

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلَّامُ الْغُيُومِ

المنتخب

من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الأول

للسنة الأولى الثانوية

جمعه وشرحه

على الجازم

احمد امين

احمد الاسكندري

الدكتور احمد ضيف

عبد العزيز البشرى

١٩٥٤

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد علي النياوي



فہرِس الكتاب

صفحة	المقدمة	عصر النهضة الحديثة	(١) النثر
١	الشيخ عبد الرحمن الجبرتي
١	من كتاب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) عند الكلام على الحملة الفرنسية
٣	الشيخ حسن العطار ..
٣	من كتاب له في التحية
٤	رفاعة بك رافع الطهطاوى
٤	من كلام له في حب الوطن
٥	عبد الله باشا فكرى
٥	كتاب له في التحية والشوق
٦	من كتاب له ينتقد فيه بعض أحوال معاصريه
٩	السيد عبد الله نديم
٩	من رسالة له تعتمد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكر الحكيم
١٠	السيد جمال الدين الأفغانى
١٠	كتابه إلى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه
١٢	أديب إسحاق
١٢	أوربا والشرق
١٣	نجيب الحداد
١٣	ما كتبه في إرضاء الناس
١٣	من كلامه الجارى مجرى الحكم
١٤	مصطفى بك نجيب
١٤	وصفه نظارة وشكره من أهداها
١٦	الشيخ محمد عيده
١٦	القرآن (من رسالة التوحيد)
١٨	وصفه نهج البلاغة
٢١	إبراهيم بك المويلحى
٢١	شكواه - بلسان حاج - ما رأى في إحدى السنين من فتك الوباء بالحجاج
٢٤	من كتاب له يشكو ناسا من معاصريه
٢٤	الشيخ إبراهيم اليازجى
٢٤	تمزية بعض أصدقائه
٢٦	كتابه إلى صديق له يشكر له صنيعا

[illegible]

٨٣	قوله يخاطب ناظر الحاقانية وقد نقله إلى قنا
٨٦	سؤاله المرحوم حسين رشدي باشا أن يمد خدمته لما أشرف على الإحالة إلى المعاش
٨٦	قوله في التحمير على ضياع علمه بموته
٨٧	ولي الدين يكن
٨٧	ويل للناس من الناس
٨٨	معارضته قصيدة المصري (يا ليل الصب متى غده)
٩٠	إسماعيل صبري باشا
٩٠	من قوله في إثبات الموت على الحياة
٩٠	مناجاته الدواء
٩١	قوله يتمنى الموت
٩١	قوله في وصف لقاء صديق
٩٢	قال في ساعة التوديع
٩٢	قال متغزلاً
٩٣	قال متغزلاً أيضاً
٩٣	ومن قوله متغزلاً أيضاً
٩٤	من قوله في التصوف
٩٤	رثاؤه عمر ابن المرحوم الشيخ على يوسف وقد مات صغيراً
٩٥	قوله يحمس المصريين على لسان فرعون
٩٦	قال في مسامحة الصديق
٩٦	الشيخ محمد عبد المطلب
٩٦	من قصيدة له بعيد النيروز سنة ١٩١٩م يفخر بمصر ويعدد ما أثرها
٩٧	من قصيدة له في المعلم
٩٨	حافظ إبراهيم
٩٨	وصف الشمس
١٠٠	ما قاله على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها
١٠٢	غادة اليابان
١٠٦	شوقي
١٠٦	من قصيدة له يصف فيها دمشق
١٠٧	قوله متغزلاً
١٠٧	قوله متغزلاً أيضاً
١٠٨	وصفه الطبيعة في طريقه إلى الآستانة قادماً من أوروبا
١١٠	وصفه الطيارة
١١٠	من قصيدة له دعاها « الأندلس الجديدة »
١١١	من روائع حكمه وما جرى من شعره مجرى الأمثال

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد عدلت وزارة المعارف مناهج الأدب العربي ، كما أخذت غيرها بفنون التعديل . وكان تاريخ الأدب يُدرس في المدارس الثانوية مبتدئاً من حيثُ يبتدىء الأدب ، ويظلُّ مسترسلاً إلى هذا العصر الذي نعيش فيه . فاجتمع رأيها على أن يبدأ تدريسه في هذه المدارس من هذا العصر لأن أدبه هو الحاضر لهم ، الملابس لجسهم ، المترجم عما يحيط بهم . فإذا انتهوا منه ، ترقوا إلى العصر الذي فوقه ، فإنه أدنى إليهم ، وأخضر من سواه لهم . هكذا . وكذلك وضعنا كتاب : « تاريخ الأدب العربي » ، وعلى هذا النحو حررناه . ولقد دعا ذلك ، بالضرورة ، إلى تغيير الوضع فيما كنا قد اخترناه من النصوص الأدبية في كتاب : « المنتخب من أدب العرب » وخاصةً بعد إذ فُرض تاريخ الأدب ، وفي هذه المناهج الجديدة ، على طلاب السنتين : الأولى ، والثانية . ولم يكن لهما فيه حظ كبير ولا صغير .

وقد أخرجنا هذا المنتخب الجديد في أربعة أجزاء ، لكل سنة

من سني التعليم الثانوي جزء مقسوم .

وقد حرصنا أشد الحرص ، في هذا الكتاب أيضاً ، على أمرين نرى أن
لهما خطراً عظيماً :

(الأول) أن تكون النصوص التي نختارها لكلِّ عصرٍ من عصور
الأدب العربيِّ مرآةً صافيةً ، وصورةً صادقةً واضحةً للحياة الأدبية في هذا
العصر ، على اختلاف فروعها ، وافتراق نزعات الشعراء والكتّاب والأدباء
فيها ، بحيث يستطيع المعلم أن يعتمد عليه في تصوير ما يدرّس للمتعلمين من
تاريخ الأدب ، ويستطيع المتعلمون أن يجدوا فيه مصداقاً ما يسمعون من
الأساتذة ، ويقرءون من الكتب من حقائق هذا التاريخ .

(الثاني) أن يكون ما اخترناه ، على صحة تمثيله للعصور الأدبية ، وصدق
تصويره لشخصيات الأدباء ، ومذاهبهم في الأدب ، في جملة جميلة راقية ،
وجزلاً رائعاً ، خفيف الموقع من الأسماع ، لطيف المسلك إلى النفوس ،
يستطيع أن يبعث في قلوب الشباب حبّ لغتهم وأدبها ، ويرغبهم في الاستزادة
منها ، والتفقه فيها : وتوخّينا ، إلى ذلك كلّهُ ، أن يكون جُلُّ ما اخترناه
من الشعر والنثر سهلاً يسيراً ، يلائم حالة الشباب وطاقاتهم .

على أننا : فوق هذا ، ضبطنا الجزء الأول بالشكل الكامل ، وتوسّلاً إلى
أخذ المبتدئين بالمنطق الصحيح للجديد عليهم من فصيح العربية ، كما تحرّينا
شرح كلّ ما يغربُ عليهم من مفردات اللغة ، حتى لا تختلط المعاني على أذهانهم
على أنه كلما علت بهم السنون تخفّفنا من هذا وهذا بقدر ، طوعاً لسنة التدريج .
ونحن نرجو أن نكون قد وفّقنا من ذلك إلى ما قصدناه ، والله وحده
ولى التوفيق .

عصر النهضة الحديثة

(١) النثر

١ — الشيخ عبد الرحمن الجبرتي^(١)

قال في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهي أولُ سِنِي المَلّاحِمِ^(٢) العظيمة ، والحَوَادِثِ الجَسِيمة^(٣) ، والوقائع النّازلة ، والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور^(٤) ، وتوالى المحن ، واختلال الزّمن ، وانعكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع ، وتتابع الأهوال ، واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التدمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » .

(١) هو مؤرخ مصرى ، ولد بمصر وتعلم بالأزهر . ونسبته إلى جبرت وهي الزيلع في بلاد الحبشة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتباً في الديوان وكان مفتي الحنفية في عهد محمد علي باشا ؛ وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر سنة ١١٠٠ هـ إلى سنة ١٢٣٦ هـ . وقد مات سنة ١٢٤٠ هـ . بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قتل .

(٢) الملاحم : جمع ملاحمة ؛ وهي الحرب العظيمة .

(٣) الجسيمة : العظيمة

(٤) ترادف : تتابع .

في يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة ، وردت مكاتبات على يد الشعاع من ثغر الإسكندرية ، ومضمونها أن في يوم الخميس ثامنه حضر إلى الثغر عدة مراكب من مراكب الإنجليز ، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبا أيضا ، فانتظر أهل الثغر ما يريدون ، وإذا بقابق صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد ، والرئيس إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض ، السيد محمد كريم الآتي ذكره ، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم ، فأخبروا أنهم إنكليز ، حضروا للتفتيش على الفرانسيس لأنهم خرجوا بعارة^(١) عظيمة ، يريدون جهة من الجهات ، ولا ندري أين قصدوهم ، فرمما دهموكم ، فلا تقدرّون على دفعهم ، ولا تتمكنوا^(٢) من منعهم ، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول ؛ وظن أنها مكيدة ، وجأوبوهم بكلام خشن ؛ فقالت رسل الإنكليز : نحن نقف بمراكبنا في البحر ، محافظين على الثغر ، لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بشمته ، فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا : هذه بلاد السلطان ، وليس للفرانسيس ولا غيرهم عليها سبيل فذهبوا عنا ، فعندها عادت رسل الإنكليز ، وأقلموا في البحر ، ليمتاروا^(٣) من غير الإسكندرية ، وليقضّي الله أمرا كان مفعولا ؛ ثم إن

(١) يريد أسطولا .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب : ولا تتمكنون .

(٣) ليجلبوا الميرة ؛ وهي الزاد .

أَهْلَ الثَّغْرِ أَرْسَلُوا إِلَى كَاشِفِ الْبُحَيْرَةِ لِيَجْمَعَ الْعُرَبَانِ ، وَيَأْتِي مَعَهُمُ لِمَحَافَظَةِ
بِالْثَّغْرِ ، فَلَمَّا قُرِئَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَاتُ بِمِصْرَ حَصَلَ بِهَا اللَّغَطُ الْكَثِيرُ مِنْ
النَّاسِ ، وَتَحَدَّثُوا بِذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَكَثُرَتِ الْمَقَالَاتُ^(١) وَالْأَرَاخِيفُ^(٢) .

٢ - من كتاب للشيخ حسن العطار^(٣)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشْيٍ^(٤) رَقْمَتْهُ^(٥) الْأَقْلَامُ ، وَأَبْهَى زَهْرٍ تَفَتَّحَتْ
عَنْهُ الْأَكْثَامُ^(٦) عَاطِرُ سَلَامٍ يَفُوحُ بِعَبِيرٍ^(٧) الْمَحَبَّةِ نَفْحُهُ^(٨) وَيُشْرِقُ
فِي سَمَاءِ الطُّرُوسِ^(٩) صَبْحُهُ .

سَلَامٌ كَزَهْرِ الرُّوضِ أَوْ نَفْحَةِ الصَّبَا

أَوْ الرَّاحِ تَجَلَّى فِي يَدِ الرَّشَاءِ الْأَلْمَى^(١٠)

(١) المقالات : الأقوال .

(٢) الأراخيف : الأقوال يقال على جهة التخيل والظن أو الكذب والادعاء .

(٣) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ،
وصار بعد محرراً للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخاً للأزهر الشريف وكان ، على علمه ؛ شاعراً
كاتباً بليغاً ؛ توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

(٤) الوشْي : المحسن بالألوان . يريد به هنا : زخرفة الكلام .

(٥) رَقْمَتْهُ : خطته .

(٦) الْأَكْثَامُ : جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم وهو غلاف الزهرة التي تنشق منه .

(٧) الْعَبِيرُ : أخلاط من الطيب .

(٨) نَفْحُهُ : رائحته .

(٩) الطُّرُوسُ : الأوراق ، واحدها طرس بكسر الطاء .

(١٠) الرَّاح : الحُر تَجَلَّى : بالبناء للمجهول تكشف وتدار مشرفة . الرَّشَاءُ : ولد الظبية

والألمى : المسود الشفة ؛ وهذه الصفة من مظاهر الحس عند العرب .

سَلَامٌ عَاطِرُ الْأُرْدَانِ^(١) ، تَحْمِلُهُ الصَّبَا سَارِيَةً عَلَى الرَّندِ^(٢) وَالْبَانَ^(٣) ، إِلَى
مَقَامِ حَضْرَةِ الْمُخْلِصِ الْوَدَادِ ، الَّذِي هُوَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ ،
صَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، حِلْيَةِ الزَّمَانِ الَّذِي حَلَّى بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ .

٣ — رفاة بك رافع الطهطاوى^(٤)

من كلام له فى حُبِّ الوطن :

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ طَبَعِ الْأَحْرَارِ إِحْرَازُ الْحَنِينِ إِلَى
الْأُوطَانِ . وَمَوْلِدُ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مُحْبُوبٌ ، وَمَنْشَوُهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ .
وَلِأَرْضِكَ حُرْمَةٌ وَطَنِيًّا ، كَمَا لَوَالِدَتِكَ حَقٌّ لَبَنِيًّا . وَالكَرِيمُ لَا يَخْفُو
أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ^(٥) ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّي وَإِنْ أَلْبَسْتَنِي الْمَحْرُوسَةَ
نِعْمًا ، وَرَفَعْتَ لِي بَيْنَ أَمْثَالِي عِلْمًا^(٦) . وَكَانَتْ أُمُّ الْوَطَنِ الْعَامَّةُ ؛ وَوَلِيَّةُ
الْآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ ، وَأَحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النِّعَمِ . وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ
مُجَاوِرًا « كَرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُورِ الطَّوَامِيَا » . فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي

(١) الأردن : جمع ردن بضم الراء ؛ وهو طرف الكرم .

(٢) الرند : نبات طيب الرائحة .

(٣) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

(٤) ولد بطهطا ؛ مدينة بمديرية جرجا ؛ وربي بالأزهر وفرنسا ؛ وشغل مناصب تعليمية وسواها
وألف عدة كتب . وهو على الجملة من بناء النهضة الحديثة فى العلم والأدب . وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ .

(٥) القوابل : جمع قابلة . وهى التى تتلقى الولد عند ولادته .

(٦) العلم بفتحيتين : الراية ؛ يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

الْخُصُوصِيَّ وَأَتَشَوَّفُ^(١) ؛ وَأَتَطَّلَعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّةِ وَأَتَعَرَّفُ . وَلَا أُسَاوِي
بَطْهَطًا الْخُصْبَةَ سِوَاهَا ، فِي الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَنَوَاهَا .

مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غَيْرَهَا مُقَيَّتٌ حَيًّا يَعْمُ ، وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ^(٢)
وَأَمْنَحُهَا زَمَنًا بَعْدَ زَمَنِ الزِّيَارَةِ ، وَأَجِدُّ فِيهَا مِنْ هَبَاتِ الْحُكُومَةِ
الْعِمَارَةِ ، وَأَبْذُلُ فِي مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرَاذِيِّ لِلزَّرْعِ وَالْعَرْسِ ،
وَأَفْتَحِرُ بِهَا كَمَا افْتَحَرَ عَصَامٌ بِالنَّفْسِ^(٣) ، وَأُنْشِدُ قَوْلَ الْحَافِظِ كَمَالَ الدِّينِ
الْأَذْفَوِيَّ .

أَحِبُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ وَيَزْدَادُ وَجْدِي حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا
وَتَذْكُرُهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِي فَتَجْرِي دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ التَّهَابُهَا

٤ - لعبد الله باشا فكرى^(٤)

سَلَامٌ يُعْبَرُ عَنِ الْوِدَادِ طِيبَ عَمِيرِهِ^(٥) ، وَيُخْبِرُ عَنْ إِخْلَاصِ الْفَوَادِ لَطْفُ
تَعْبِيرِهِ ، وَثَنَاءٌ عَلَى مَحَاسِنِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ^(٦) ، أَرْقُ مِنْ نَسَمَاتِ الشَّمَائِلِ^(٧) ، وَتَحِيَّةٌ

(١) تشوف إلى الشيء : تطالع إليه في شغف .

(٢) الحيا : الطر . يدعو لها بالخصب والرخاء .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما
وصيرته ملكا حاميا

(٤) انظر ترجمته في الشعر .

(٥) عمير الزهر : رائحته الطيبة .

(٦) الخلايا والسجايا .

(٧) جمع شمال : اسم ريح .

بِهَيْئَةٍ تُبَاهِي الْخُمَالِ^(١) ، بِنَفَحَاتٍ أَوْرَادِهَا^(٢) ، وَأُذْعِيَّةٍ مَرْضِيَّةٍ جَعَلَتْهَا الْأَلْسِنَةُ
خَيْرَ أَوْرَادِهَا^(٣) ، وَسُؤَالٍ عَنِ الْمَزَاجِ الزَّاهِرِ ، وَصَحَّةِ الْخَاطِرِ الْبَاهِرِ ، لَا زِلْتُمْ
مَحَلَّ نِعْمَةٍ يَتَّصِلُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ بِقَاوُهَا ، وَيَزِيدُ عَلَى مَرِّ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ
بِهَاوُهَا وَلَا بَرَحَتْ تُغُورُ الْإِقْبَالِ إِلَيْكُمْ بَوَاسِمِ ، وَرِيَّاحُ الْأَمَالِ لَدَيْكُمْ
نَوَاسِمِ^(٤) .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ بِي مِنَ الْأَشْوَاقِ ، مَا تَضَعِفُ عَنْ حَمَلِهِ إِلَى حِمَاكُمْ الْأَوْرَاقِ ،
وَمِنْ التَّأْسُفِ عَلَى مَا حُرِمْتُهُ مِنْ لِقْيَاكُمْ ، وَالتَّلَهُّفِ إِلَى مَطَالَعَةِ أَنْوَارِ مُحْيَاكُمْ
مَا يَقْصُرُ عَنْ وَصْفِهِ لِسَانُ الْبِرَاعَةِ^(٥) ، وَيُقْتَصِرُ دُونَ وَصْفِهِ بَيَانُ الْبِرَاعَةِ ،
وَيَضِيقُ عَنْهُ نِطَاقُ الْعِبَارَةِ ، وَلَا يَنْفَسِحُ لَهُ مَيْدَانُ الْإِشَارَةِ .

ومن كتاب له أيضاً إلى بعض أصحابه :

كَتَبْتُ وَالذَّهْنُ فَاتِرٌ^(٦) ، مِنْ وَهْنِ الدَّفَاطِرِ ، وَالتَّبْيِضِ وَالتَّسْوِيدِ وَالتَّقْيِيدِ
وَالْتَّسْدِيدِ ، وَالتَّرَجُّمَةِ وَكَثْرَتِهَا ؛ وَالْهَمَّةُ وَفَقْرَتِهَا ، وَالْمَاهِيَّةُ^(٧) وَقِلَّتِهَا ، وَالنَّفْسُ
وَذِلَّتِهَا ، وَرَاتِبِي لَا يَكْفِي أُجْرَةَ الْبَيْتِ ، وَلَا يَفِي ثَمَنَ الْمَاءِ وَالزَّيْتِ ، وَبِالْأَمْسِ
وَعَدَ الْوَكِيلُ بِالزِّيَادَةِ وَاعْتَذَرَ الْيَوْمَ بِالْأَصِيلِ^(٨) عَلَى الْعَادَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ حَصَلَتْ

(١) الخُمَال : جمع خيلة وهي الشجر الكثير الملتف .

(٢) الأوراد : الورد .

(٣) الأوراد : ما يتلوه الناسك من الأذكار .

(٤) نسمت الريح : تحركت وهبت .

(٥) البراعة : القلم ؛ وهي في الأصل : القصة .

(٦) فاترة : الضعف ؛ فالذهن الفاتر : المنعّب المسكود .

(٧) الماهية في اصطلاح المناطقة : حقيقة الشيء ؛ واستعملها العامة بمعنى المرتب .

(٨) الأصيل : يريد به الرئيس .

زِيَادَةٌ فَلَزِيدٌ وَعَمْرُو ، إِلَى آخِرِ الزَّمَرِ ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ . أَحْوَالٌ مُتَبَدِّدَةٌ ، وَنَفُوسٌ
مُتَبَلِّدَةٌ ، وَأَشْغَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، وَإِخْوَانٌ خُؤَانٌ ^(١) ، وَخِلَآنٌ غِيْلَانٌ ، وَرِفَاقٌ ،
وَمَا أَجْمَلَ الْفِرَاقَ ! وَقُلْتُ :

إِلَامٌ أَغَانِي الصَّبْرَ وَالدهْرُ غَادِرٌ وَحَتَّى مَتَى أَشْكُو وَمَالِي عَادِرٌ
وَلَوْ أَنِّي أَشْكُو عَظَائِمَ شِدَّتِي لَمَيْتُ ، لَرَقَّتْ لِي الْعِظَامُ النَّوَاحِرُ
وَسَأَلْتُ عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، وَهَيَّانَ بْنِ بَيَّانٍ ^(٢) ، مِمَّنْ يَنْتَسِبُ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ،
وَيَتَظَاهَرُ بِشِعَارِ فَضْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِلِجِيَّةٍ تَعْظُمُ وَأُطْوَلُ ، وَشَوَارِبُ
تُحَفُّ وَتُسْتَأْصَلُ ، وَعُمُيُونَ عَلَى مَا بَهَا مِنْ غَمَصٍ وَرَمَصٍ تُكَحَّلُ . . . فَهُمْ
أَعْلَمُ مَنْ أَقَلَّتُهُ الْغَبْرَاءُ ، وَأَفْقَهُ مَنْ أَظَلَّتُهُ الْخَضْرَاءُ ^(٣) ، وَإِنْ كَانَ لِلْعِلْمِ غَيْرُ هَذِهِ
الْآلَاتِ فَمَا لَهُمْ سِوَى هَذِهِ الْحَالَاتِ . . . يَا قَوْمَ : أَهَذَا النُّحُوْ وَإِعْرَابُهُ ، وَالصَّرْفُ
وَأَبْوَابُهُ وَالْعَرْمُوضُ وَأَوْزَانُهُ وَأَبْجُرُهُ ، وَالْمَعَانِي وَإِنْشَاؤُهُ وَخَبَرُهُ ، وَالْبَيَانُ
وَفَرَائِدُهُ وَالْبَدِيعُ وَشَوَاهِدُهُ وَهَذِهِ الْعُلُومُ الْمَوْضُوعَةُ ، وَالْأَسْفَارُ الْمَحْمُولَةُ ،
وَالدَّرُوسُ الْمَأْهُولَةُ ^(٤) ، وَالْأَصْوَاتُ الْمَهْمُولَةُ ، لِجَرْدِ مَعْرِفَةِ ضَرْبِ زَيْدٍ لَعَمْرُو ،
وَقِتَالِ خَالِدٍ لِبَكْرٍ . وَأَنْ قَالَ أَصْلُهَا قَوْلٌ ، ثُمَّ لَا يَدْرِي مَا حَصَلَ ، وَالطَّوِيلُ
مِنْ فِعُولِنِ مَفَاعِيلِنِ ، ثُمَّ لَا يَعْلَمُ ، كَيْفَ يُنْظَمُ ، وَالْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ، وَلَا أَصْلَ
وَلَا فَصْلَ ، وَالْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ ، وَلَيْسَ لَهَا مَجَازٌ ، وَالتَّوْرِيَّةُ وَالْجِنَاسُ ، مِمَّا يُحْفَظُ

(١) خُؤَانٌ : جَمْعُ خَائِنٍ .

(٢) هَيَّانُ بْنُ بَيَّانٍ : اسْمُ مَنْ لَا يَعْرِفُ وَلَا يَعْرِفُ أَبُوهُ :

(٣) الْخَضْرَاءُ : الْمَمَاءُ .

(٤) الْمَأْهُولَةُ بِالتَّلَامِيذِ .

وَلَا يُقَاسُ إِذَا وَاللَّهُ تَكُونُ تِلْكَ الْفُنُونُ ، مِنْ أَفَانِينَ^(١) الْجُنُونُ ، وَيَكُونُ الْمِيلُ إِلَيْهَا ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهَا ، عَمَلًا حَابِطًا^(٢) ، وَشُغْلًا سَاقِطًا ، وَهَوَسًا حَاطِلًا ، وَوَسْوَاسًا بَاطِلًا ، وَيَكُونُ وَاضِعُوهَا أَسَاءُوا النَّاسَ ، وَأَخْطَأُوا الْقِيَاسَ ، وَبَنَوْا عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ ، كَمَا إِنَّمَا وَضَعُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ ، وَشَرَعُوا لِلنَّاسِ تِلْكَ الْمَوَارِدَ^(٣) ، لِيَتَكَلَّمُوا بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِثْلَ مَا تَكَلَّمْتُمْ وَيَفْهَمُوا مِنْ أَلْفَظِهَا كَالَّذِي فَهَمْتُمْ . وَيُتَرَجِّمُوا عَنْ سَرَائِرِ الضَّمَائِرِ كَمَا تَرَجَّمْتُمْ ، وَيَنْثُرُوا وَيَنْظِمُوا كَمَا نَثَرْتُمْ وَنَظَّمْتُمْ .

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْعَرَبُ الَّتِي أَوْدَعَ اللَّهُ الْفَصَاحَةَ لِسَانِهَا ، وَشَرَّفَ بِسَيِّدِنَا النَّبِيِّ وَالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ مَكَانَهَا ، تَتَكَلَّمُ بِهِ هَذِهِ اللُّغَةُ الْعَلِيَّةُ ، عَلَى الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ ، وَالسَّجِيَّةِ الْجَبَلِيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ ، وَتِلْكَ الْأَبْوَابِ ، وَالْفُصُولِ ، وَكَانَتْ تَعْتَدُ الْبَلَاغَةَ مَبْلَغَ عُلَاهَا ، وَتَعْتَقِدُ الْفَصَاحَةَ مِنْ مَحَاسِنِ حُلَاهَا ؛ إِلَى أَنْ خَلَفَ هَذَا الْخَلَفَ ، فَظَنُّوا تِلْكَ الْوَسَائِلَ مَقَاصِدَ ، لَيْسَ بَعْدَهَا غَايَةٌ لِقَاصِدٍ ، وَحَسِبُوا هَذِهِ الْكُتُبَ تُقْصَدُ لِدَاتِهَا ، وَيُكْتَفَى بِالتَّعَبُّدِ بِكَلِمَاتِهَا ، فَوْقَفُوا عِنْدَهَا ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا ، لَمَّا بَعْدَهَا ، وَاتَّخَذُوا الْأَدَبَ وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا^(٤) ، وَجَعَلُوا النِّظْمَ وَالنَّثْرَ شَيْئًا فَرِيًّا^(٥) .

(١) أَفَانِينَ : أَنْوَاعُ .

(٢) حَابِطًا : بَاطِلًا .

(٣) الْمَوَارِدُ : مَوَاضِعُ الْمَاءِ يَسْتَقِي دَنَهَا . شَرَعُوهَا . فَتَجَوَّاهَا .

(٤) أَيْ لِبُذُوهِ .

(٥) أَيْ لُغَا .

٥ — السيد عبد الله النديم^(١)

من رسالة طويلة ، تعمّد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آي الذكر الحكيم :
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اسْتَبَّهَ الْمُرَاقِبُ^(٢) بِاللَّاهِ^(٣) ، وَاسْتَبَدَّلَ الْحُلُومُ بِالْمُرِّ ،
وَقَدَّمَ الرَّفِيقُ عَلَى الْحَرِّ ، وَبِيعَ الدُّرُّ بِالْخَزَفِ^(٤) وَالْخَزُّ^(٥) بِالْخَشَفِ^(٦) ، وَأَظْهَرَ
كُلُّ لَيْثٍ كِبَرَهُ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ : سَمِعًا سَمِعًا ، فَالْوَشَاةُ إِنْ سَعَوْا لَا يَمْلِكُوا ،
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَكَيْفَ تَشْتَرُونَ مِنْهُمْ الْقَارَ^(٧) فِي صِفَةِ
الْعَنْبَرِ ، وَقَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، وَكَيْفَ
تَسْمَعُ الْأَخْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَرَ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ^(٨)
عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مَعْرُضُونَ . فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
يَرْكَضُونَ^(٩) . وَأَنْتَ يَا عَزِيزَ الْعَالِيَا ، وَوَحِيدَ الدُّنْيَا ، قَدْ يَدْنَتْ لَكَ فِعْلُهُمْ .

(١) انظر ترجمته في الشعر .

(٢) يريد بالمراقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه .

(٣) اللاه : اللاهي ؛ وهذا جناس .

(٤) الخزف : القنطار .

(٥) الخز بفتح الخاء : الحرير يخلط بالصوف .

(٦) الخشف : الردى . من الصوف .

(٧) القار : الزفت .

(٨) ازدجره كزجره : منعه ونهاه .

(٩) البأس . القوة . وركض : جرى وعدا .

فَبِمَا رَحْمَةٍ (١) مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ . وَلَكِنْهُمْ صَمَعُوا فِي عَمِيمٍ طَوْلِكَ (٢) ، وَلَوْ كُنْتَ
فَطًّا (٣) غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ . أَتَرَاهُمْ يَعْقِلُونَ كَلَامَكَ أَمْ يَفْهَمُونَ ؟
لَعَمْرُكَ (٤) إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٥) . لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَذَرُونَ بِهَا لِلْحَسَدِ
قِرَارًا ، لَوْ أُطْلِعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا . كَيْفَ يَسْعَى الْعَاذِلُ بَيْنَ النَّدِيمِ
وَالْإِفْهِ ، وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ (٦) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ . فَيَا سَادَتِي : دَعُونِي
مِنَ الْمُعْجَبِ وَالْمُطْرَبِ ، لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُؤَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . وَاجْعَلُوا سَيْفَ ثَبَاتِكُمْ لِلْعُدَّالِ مَسْلُولا ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا .

٦ — السيد جمال الدين الأفغانى (٧)

كتب إلى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمّه أمام
الحديو على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه (٨) :
مولاي إِنْ نَسَبْتُكَ إِلَى هَوَادَةٍ فِي الْحَقِّ وَأَنْتَ — تَقَدَّسَتْ جِبِلَّتُكَ (٩) —
فُطِرْتَ عَلَيْهِ وَتَخَوَّضُ النِّعَمَاتِ إِلَيْهِ : فَقَدْ بَعْتَ يَقِينِي بِالشَّكِّ ؛ وَإِنْ تَوَهَّمْتُ فَيْكَ

(١) فيما رحمة : فبرحة ؛ وما للتوكيد .

(٢) طوولك بفتح الطاء : إحسانك .

(٣) الفظ : الجافى النفس السيء الخلق .

(٤) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : وحياتك .

(٥) يعمهون : يتحيرون .

(٦) النذر بضم نين : جمع نذير بمعنى الإنذار .

(٧) هو محمد بن صفر ولد في أسعد آباد وتنقل في بلاد الهند وأفغانستان ، ثم رحل إلى الآستانة ؛ ثم
نفي منها فجاء مصر ونفخ فيها من روحه ؛ وأسس نهضة إصلاحية في الدين والسياسة وتعلم له فيها الشيخ
محمد عبده وغيره ، نفي من مصر ؛ ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة « العروة الوثقى »
ثم دعي إلى الآستانة وبهامات سنة ١٣١٥ هـ .

(٨) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه في ذلك المقام أبلغ دفاع .

(٩) أى طهر أصلك وطبعك .

حَيِّدَانَا^(١) عَنِ الرُّشْدِ ، وَجَوْرًا عَنِ الْقَصْدِ ، وَأَنَا مُوقِنٌ أَنَّكَ لَا زِلْتَ عَلَى السَّدَادِ
غَيْرَ مُفْرِطٍ وَلَا مُفَرِّطٍ^(٢) فَقَدْ اسْتَبَدَلْتُ عِلْمِي بِالْجَهْلِ — وَلَوْ قُلْتُ : إِنَّكَ مِنَ
الَّذِينَ تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوَمَةٌ لَأُثِمُّ ، وَتَصُدُّهُمْ عَنِ الصَّدَقِ خَشْيَةً ظَالِمٍ ، وَأَنْتَ
تَصْدَعُ بِهِ^(٣) غَيْرَ وَإِنْ وَلَا ضَجِرٍ ، وَلَوْ أَلَبَّ^(٤) الْبَاطِلُ الْكَوَارِثَ الْمُرْدِيَّةَ ،
وَأَجْرِي عَلَيْكَ الْخُطُوبَ الْمُؤَبِّقَةَ ، لَكَذَّبْتُ نَفْسِي وَكَذَّبَنِي مَنْ يَسْمَعُ مَقَاتِي
لَأَنَّ الْعَالِمَ وَالْجَاهِلَ وَالْفَطِنَ وَالْغَبِيَّ كُلَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى طَهَارَةِ سَجِيَّتِكَ .
وَتَقَاوَةِ سَرِيرَتِكَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَضَائِلَ حَيْثُ أَنْتَ ، وَالْحَقُّ مَعَكَ أَيْنَمَا
كُنْتُ ، لَا تُفَارِقُ الْمَكَارِمَ وَلَوْ اضْطُرَرْتُ وَأَنْتَ مُجْبُولٌ عَلَى الْخَيْرِ لَا يَحُومُ
حَوْلَكَ شَرٌّ أَبَدًا ، وَلَا تَصْدُرُ عَنْكَ تَقْيِصَةٌ قَصْدًا ، وَلَا تَهِنُ^(٥) فِي قَضَاءِ حَقٍّ ،
وَلَا تَنِي عَنْ شَهَادَةِ صِدْقٍ — وَمَعَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ إِنَّكَ مَعَ عِلْمِكَ بِوَاقِعِ
أَمْرِي ، وَعِرْفَانِكَ بِسَرِيرَتِي وَسَرِّي ، أَرَاكَ مَا ذُذْتُ عَنْ حَقٍّ كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ حِمَايَتُهُ ، وَلَا صُنْتَ عَهْدًا كَانَتْ عَلَيْكَ رِعَايَتُهُ ، وَكَتَمْتَ الشَّهَادَةَ وَأَنْتَ
تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَضْمَرْتُ لِلْخَدِيوِ وَلَا لِلْمُضَرِّيِّينَ شَرًّا ، وَلَا أَسْرَرْتُ لِأَحَدٍ فِي خَفِيَّاتِ
ضَمِيرِي ضَرًّا ، وَتَرَكْتَنِي وَأَنْيَابَ النَّذْلِ اللَّثِيمِ (فُلَانٍ) حَتَّى نَهَشَنِي نَهَشَ
السَّبْعِ الْهَرَمِ الْعِظَامَ ، ضَغِينَةً مِنْهُ عَلَى السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَائِيَّ وَإِعْرَاءَ مِنْ أَعْدَائِي
أَحْزَابِ (فُلَانٍ) ، مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِكَ ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ رُشْدِكَ وَسَدَادِكَ

(١) الحيدان : الميل .

(٢) الإفراط في الشيء : المغالاة في الأخذ فيه . والتفريط : إهماله كل الإهمال .

(٣) تصدع به : تَجَهَّرَ بِهِ .

(٤) أَلَبَّ : جمع .

(٥) تهن : تضعف .

وَلَا يُطَاوَعُنِي لِإِسَانِي — وَإِنْ كَانَ قَلْبِي مُذْعَنًا بِعُظْمِ مَنْزِلَتِكَ فِي الْفَضَائِلِ ،
مُقَرَّرًا بِشَرَفِ مَقَامِكَ فِي الْكَمَالَاتِ — أَنْ أَقُولَ : عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ إِلَّا أَنْ ،
تَصْدَعِ بِالْحَقِّ ، وَتَقِيمِ الصَّدْقَ ، وَتُظْهِرِ الشَّهَادَةَ إِزَاحَةً لِلشُّبْهَةِ ، وَإِدْحَاضًا
لِلْبَاطِلِ ، وَإِخْزَاءً لِلشَّرِّ وَأَهْلِهِ ، وَأُظْهِرُكَ قَدْ فَعَلْتَ أَدَاءَ لِفَرِيضَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ،
ثُمَّ إِنِّي يَا مَوْلَايَ أَذْهَبُ الْآنَ إِلَى لَنْدَنَ وَمِنْهَا إِلَى بَارِيسَ مُسَلِّمًا عَلَيْكُمْ ،
وَدَاعِيًا لَكُمْ — وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَخِي الْفَاضِلِ الْبَارِئِ أَمِينِ بِكَ .

جمال الدين الأفغانى

٨ صفر سنة ١٣٠٠

٧ — لأديب إسحاق^(١)

أوروبا والشرق

كتب تحت هذا العنوان :

قَضَى عَلَى الشَّرْقِ أَنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الِارْتِفَاعِ ، وَيَذِلَّ بَعْدَ الِامْتِنَاعِ^(٢)
وَيَكُونَنَّ هَدَفًا^(٣) لِسِهَامِ الْمُطَامِعِ وَالْمُطَالِبِ ، تَعَبْتُ بِهِ أَيْدِي الْأَجَانِبِ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُغِيرُ عَلَيْهِ بِحِجَّةِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَتَدَاخَلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقَامَةِ الْمَدَنِيَّةِ . وَلَمْ نَرِ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِي دَعْوَاهُ ،
بَلْ كُلُّهُمْ تَابِعٌ فِي ذَلِكَ قَصْدُهُ وَهَوَاهُ .

(١) ولد بدمشق وتعلم في مدارس المرسلين العربية والفرنسية ، وأجاد الأدب العربي واشتغل بالسياسة
والصحافة وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى . وتوفي سنة ١٨٨٥ م . ويمتاز أسلوبه
بالإرسال الممزوج بالسجع مع السهولة .

(٢) الامتناع : الرفعة والتمنع على صروف الزمن أن تنال منه شيئاً .

(٣) الهدف : بفتحين مرمى السهام .

٨ — نجيب الحدّاد^(١)

كتب في إرضاء الناس :

« عبارة لو وضعت في كتب اللغة لكانت أخت المستحيل في المعنى ،
ومرادف النجم في البعد ، وشبه الكبريت الأحمر^(٢) في الندرة والقلة . وإن
شدت فقل : إرضاء الناس كلمة تقال ، ولا تُخال ، حتى يُصاغ من الخاتم
خلخال . ومن لا يقدر أن يرضى الواحد الفرد في جميع أخلاقه ، كيف
يقدر على أن يرضى الجميع ؟ ... » .

ومن كلامه الجارى مجرى الحكم :

من جار على صباه ، جارت عليه شيخوخته .

مهما اجتهدت المرأة في أن تقلد الرجل ، فجل ما تصل إليه أنها

لا تصير رجلاً ، ولا تعود امرأة !

من غريب طبائع الإنسان أنه يحب العدالة مظلوماً ، ويكرهها

ظالماً ، ويطلب الحرية مرءوساً ، وينكرها رئيساً !

(١) كاتب رقيق ، وشاعر مجيد ، اشتغل بالتحرير في الصحف ، وترجمة الروايات ، وأسلوبه رصين ،

والفاظه مختارة .

(٢) الكبريت الأحمر : يضرب به المثل في القلة والندرة .

٩ - مصطفى بك نجيب^(١)

كتب يصف نظارة ويشكر من أهداها :

وَرَدَ الْكِتَابُ الْمُطَرَّزُ بِحُلَى الْكَرَمِ ، الْمُحَلَّى بِجَمِيلِ النِّعَمِ ، وَاسْتَلَمْتُ^(٢)
الْهَدِيَّةَ ، فَسَلَمْتُ يَدَهُ أَهْدَيْتُهَا ، وَحَفِظْتُ السَّجَايَا الَّتِي لِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ
هَدَيْتُهَا ، وَدَامَتْ رَحَابٌ لِمِثْلِ هَذِهِ الْحُسْنَاتِ فِيهَا مَجَالٌ ، وَلِلْمُحْسِنَاتِ بَهَا
وَجَمَالٌ ، وَلِلْأَمَالِ مَحَطٌّ رَحَالٌ ؛ وَلِلْمَقَاصِدِ كَعْبَةٌ إِقْبَالٌ ، وَطَابَتْ نَفْسُ تَعَالَى اللَّهِ
أَنْ تُثَامِلَهَا نَفْسُ عَصَامِ^(٣) ، فَإِنَّهَا نَسَخَتْ آيَةَ الْكُرِّ وَالْإِقْدَامِ ، بِآيَةِ الْجُودِ
وَالْإِكْرَامِ ، وَفَعَلَتْ فِي الْقُلُوبِ بِالْعَطَاءِ وَالنَّوَالِ ، مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ الرِّمَاحُ
الطُّوَالِ ، وَتَأَمَّلْتُهَا فَأَرْتَنِي مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَأُظْهِرْتُ مِنْ مُحَاسِنِ الْمَنَاطِرِ
مَا أَضْمَرْتُ ، وَقَرَّبْتُ كُلَّ مَنْظُورٍ بَعِيدٍ ، وَتَلَمْتُ (فَكَشَفْنَا عَنْكَ
غَطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)^(٤) ، وَصَفَا وَقْتِي بِصَفَائِهَا ، فَلَمْ أَشْتَهَ شَيْئًا
إِلَّا جَمَعْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنِي ، وَصَحَّ عَلَيْنَا قَوْلُ الْقَائِلِ : (رَأَيْتُ بِعَيْنِهَا وَرَأَتْ

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب . شاعر كاتب ، يمتاز بسهولة الأسلوب ، ورشاقة العبارة ، وإيراد أروع النكات في شعره ونثره . وقد نشأ في معية الحديوي ؛ ثم تحول إلى وزارة الداخلية فشغل فيها مناصباً كبيراً حتى مات رحمه الله ، وهو صاحب رسائل « أحلام الأحلام » وكتاب « حماة الإسلام » الذي نشر منجماً في جريدة اللواء . وتوفي سنة ١٣٢٠ هـ .

(٢) لقد جرى الكاتب أهل العصر في استعمال هذه الكلمة ؛ والاستلام لا يكون إلا للحجر الأسود .

(٣) اسم رجل أنشأ نفسه ويضرب به المثل ؛ قال النابغة الذبياني يمدحه :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والإقداما

* وصديقه ملكا هما *

(٤) حديد : قوى نفاذ .

بِعَيْنِي) ، ثُمَّ سَرَّحْتُ نَظْرِي فِي الْأَطْلَالِ وَالرُّسُومِ ^(١) حَتَّى نَظَرْتُ نَظْرَةً
فِي النُّجُومِ ، فَلَمْ تُخَفِ عَنِّي شَجَرًا وَلَا مَدْرًا ^(٢) وَلَا نَجْمًا ، وَلَا قَرًّا :

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

بِبَهَاءٍ ، يُخَيِّلُ لِي أَنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِيَاءٍ ، فَلَوْ كَانَتْ فِي يَدِ ذَلِكَ الظَّمَانِ
— أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — لَمَا كَانَ يُحْسِبُ أَنَّ السَّرَّابَ مَاءً ، اسْتَغْرَبَتْهَا الْعُقُولُ
حَتَّى صَارَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ فِيهَا نَظَرٌ ، وَاطَّلَعَتْ عَلَى تَفَاوُتِ النَّاسِ لَجَاءَتْ لِكُلِّ
بَصَرٍ بِقَدَرٍ ، وَنَالَ بِهَا كُلُّ قَصْدٍ وَمَرَامٍ ، وَاسْتَوَى عِنْدَهَا « أَعْمَى وَأَعْشَى
ثُمَّ ذُو بَصَرٍ وَزَرْقَاءُ ^(٣) الْيَمَامَةِ » ، فَلَوْ كَانَتْ عَيْنًا لَكَشَفَتْ حَقَائِقَ
الضَّمَائِرِ ، وَنَظَرَ بِهَا تَقَلُّبُ الْقُلُوبِ وَحَقِيقَةُ الْبَصَائِرِ . شَهِدَ لَهَا الْجَمْعُ بِالْفَضْلِ
لَمَّا ظَهَرَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَدَيْهَا حَالَةٌ ضَعْفِهِ ، وَعَظُمَ مِقْدَارُهَا كُلُّ فَرْدٍ وَرَفَعَهَا
— رَغْبَةً مِنْهُ أَوْ رَغْمًا — عَلَى أَنْفِهِ ، وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنِّي نَظَرْتُ بِهَا
فِي سَمَاءِ فَضْلِكَ الْبَاهِرِ ، وَأُفُقِ شَرَفِكَ الطَّاهِرِ ، فَلَمْ يَنْكَشِفْ لِي بِهَا إِجْوَدَاءُ
آخِرٍ ، لَا زَالَ كَرَمِكَ بَعِيدًا حَدُّهُ عَلَى كُلِّ نَاطِرٍ وَبَاصِرٍ ، وَفَضْلُ مَنْهَايِكَ
غَايَةً تَقْصِدُهَا الْأَوَائِلُ وَالْآوَاخِرُ .

(١) الأطلال والرسوم مابق من آثار الديار بعد أن تركها أهلها .

(٢) المدر : التراب المتلبد ؛ أو الطين .

(٣) امرأة يمانية يقال لأنها كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام .

١٠ - للشيخ محمد عبده^(١) « من رسالة التوحيد »

القرآن

جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق إليه الريبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نشأته وأُمِّيَّته على الحال التي ذكرناها ، وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء بكتاب قال إنه أنزل عليه ، وأن ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ صدور في من عني بحفظه من المسلمين إلى اليوم

كتاب حوى من أخبار الأمم الماضية ما فيه معتبر^(٢) للأجيال الحاضرة والمستقبل ؛ نقيب على الصحيح منها ، وغادر الأباطيل التي ألحقها الأوهام بها ، ونبة على وجوه العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرأهم مما رامهم به أهل دينهم المعتقدون برسالاتهم . آخذ^(٣) العلماء من الملل المختلفة على ما أفسدوا من عقائدهم ، وما خاطوا في أحكامهم ، وما حرفوا^(٤) بالتأويل في كتبهم ، وشرع للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة في العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده في مجلة نصر إحدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بمجاله الدين الأفغاني ، وكان أكثر الناس انتفاعاً به ، ثم نفي عقب الثورة العرابية ؛ ولكنه عاد إلى مصر وتولى التدريس والقضاء في المحاكم الأهلية ثم الإفتاء مجتهداً محققاً وقد توفي سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثاراً ثمينة وطبقة من أئمة الطبقات المصرية .

(٢) معتبر : عبرة وموعظة .

(٣) آخذ : حسب .

(٤) التحريف : التغيير ؛ ووضع شيء مكان شيء .

ما كانت عِنْدَ حَدِّ مَا قَرَّرَهُ^(١) ، ثم عَظُمَتِ الْمَضَرَّةُ فِي إِهْمَالِهَا وَالانْحِرَافِ
عنها أو البُعْدِ بها عن الرُّوحِ الذِي أودَعَتْهُ^(٢) ففَاقَتْ بِذَلِكَ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ
الْوَضْعِيَّةِ^(٣) كما يَتَبَيَّنُ لِلنَّاظِرِ فِي شَرَائِعِ الْأُمَمِ . ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِكْمِ
ومواعظ وآداب تَخْشَعُ لَهَا الْقُلُوبُ ، وَتَهْشُ^(٤) لاسْتِقْبَالِهَا الْعُقُولُ ، وَتَنْصَرِفُ
وَرَاءَهَا الْهَمَمُ ، أَنْصِرَافُهَا فِي السَّبِيلِ الْأُمَمِ^(٥) .

نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي عَصْرِ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ وَتَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَلَى أَنَّهُ أَرُقِي
الْأَعْصَارَ عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَغْزَرُهَا مَادَّةٌ فِي الْفَصَاحَةِ ، وَأَنَّهُ الْمُمْتَازُ بَيْنَ جَمِيعِ
مَا تَقَدَّمَهُ بِوَفْرَةِ رِجَالِ الْبَلَاغَةِ ، وَفُرْسَانِ الْخُطَابَةِ ، وَأَنْفُسُ مَا كَانَتْ
الْعَرَبُ تَتَنَافَسُ فِيهِ مِنْ ثَمَارِ الْعَقْلِ ، وَنَتَائِجِ الْفُطْنِ وَالذِّكَاةِ هُوَ الْغَلَبُ^(٦)
فِي الْقَوْلِ ، وَالسَّبْقُ إِلَى إِصَابَةِ مَكَانِ الْوِجْدَانِ مِنَ الْقُلُوبِ ، وَمَقَرُّ الْإِذْعَانِ
مِنَ الْعُقُولِ ، وَتَفَانِيهِمْ فِي الْمُفَاخَرَةِ بِذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَى الْإِطَالَةِ فِي بَيَانِهِ .
تَوَاتَرَ الْخَبَرُ كَذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى مُعَارَضَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِتْمَانِهِمُ الْوَسَائِلَ قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا ، لِإِبْطَالِ دَعْوَاهُ ، وَتَكْذِيبِهِ
فِي الْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ ، وَإِتْيَانِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَى مَبْلَغِ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
الْمُلُوكُ الَّذِينَ تَحْمِلُهُمْ عِزَّةُ الْمُلْكِ عَلَى مُعَانَدَتِهِ ، وَالْأُمَرَاءُ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ

(١) يريد مادامت فاعلة على حدوده ، عاملة بأحكامه .

(٢) أودعته : حفظت فيه .

(٣) الشرائع الوضعية : القوانين التي تسنها الحكومات .

(٤) تهش : ترقح وتسر .

(٥) الأمم بفتح الهمزة والميم : البين الواضح .

(٦) الغلب : التغلب .

السُّلْطَانُ إِلَى مَنَاوَأَتِهِ^(١) وَالْخُطْبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْكِتَابُ الَّذِينَ يَشْمَخُونَ
بَأْنُوفِهِمْ عَنْ مُتَابَعَتِهِ ، وَقَدْ اشْتَدَّ جَمِيعُ أَوْلَئِكَ فِي مُقَاوَمَتِهِ^(٢) ، وَانْهَالُوا
بِقُوَاهُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا عَنِ الْخُضُوعِ ، وَتَعَسُّكَأً بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
أَذْيَانِ آبَائِهِمْ ، وَحِمِيَّةٍ^(٣) لِعِقَائِدِهِمْ وَعَقَائِدِ أَسْلَافِهِمْ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُخْطِئُ
آرَاءَهُمْ ، وَيُسَفِّهُ أَعْلَامَهُمْ^(٤) ، وَيَحْتَقِرُّ أَصْنَافَهُمْ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَا لَمْ تَعْهَدْهُ
أَيَّامُهُمْ ، وَلَمْ تَخْفُقْ لِمِثْلِهِ أَعْلَامُهُمْ ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ كُلِّهِ
إِلَّا تَحْدِيثَهُمْ^(٥) بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ ، أَوْ بَعْشَرِ
سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَكَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُصَحَاءِ
وَالْبُلَغَاءِ مَا شَاءُوا لِيَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ مِثْلِ مَا أَتَى بِهِ لِيُبْطِلُوا الْحُجَّةَ ،
وَيُفْجِحُوا^(٦) صَاحِبَ الدَّعْوَةِ .

جَاءَنَا الْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ أَنَّ مَعَ طُولِ زَمَنِ التَّحْدِي ، وَجَلَّاجِ^(٧) الْقَوْمِ
فِي التَّمَدِّي ، أُصِيبُوا بِالْعَجْزِ ، وَرَجَعُوا بِالْخَيْبَةِ ، وَحَقَّتْ لِلْكِتَابِ الْعَزِيزِ
الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا عَلَى كُلِّ كَلَامٍ .

وله يصف نهج البلاغة :

أَوْفَى لِي حُكْمُ الْقَدَرِ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى كِتَابِ « نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » صُدْفَةً بَلَا تَعْمَلُ
أَصْبَتْهُ عَلَى تَغْيِيرِ حَالٍ^(٨) ، وَتَبْلُبِلُ بِالِ ، وَتَزَاحِمُ أَشْغَالٍ^(٩) ، وَعُظْلَةٌ مِنْ أَعْمَالٍ ،

(١) مناوأتة : محاربة .

(٢) مقاومته : صده .

(٣) الحمية : الغيرة .

(٤) الأعلام : جمع حلم ؟ وهو العقل .

(٥) التحدى : طلب الإتيان بالشيء مع إظهار العجز عنه .

(٦) يفجمونه : يجهلونه يعيا من النطق والمقاومة .

(٧) اللجاج : — هنا — المتابعة .

(٨) تبليبل بال : اضطرابه .

(٩) الأشغال : جمع شغل ؟ وهو ما يشغل النفس بم أي تراحم الهموم وشواغل النفس .

خَسِبَتْهُ لِلتَّسْلِيَةِ ، وَجَعَلَتْهُ لِلتَّخْلِيَةِ . فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ مُجَلَّاتِهِ مِنْ عِبَارَاتِهِ ، مِنْ مَوَاضِعِ مُخْتَلَفَاتِ ، وَمَوَاضِيَعِ مُتَفَرِّقَاتِ . وَكَانَ يُخَيِّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنَّ حُرُوبًا شَبَّتْ وَغَارَاتٍ شَدَّتْ ، وَأَنَّ لِلْبَلَاغَةِ دَوْلَةً وَلِلْفَصَاحَةِ صَوْلَةً ، وَأَنَّ لِلْأَوْهَامِ عَرَامَةً ^(١) ، وَلِلرَّيْبِ دَعَارَةً ^(٢) . وَأَنَّ جَحَافِلَ الْخَطَابَةِ ^(٣) ، وَكِتَابِ الدَّرَابَةِ ^(٤) ، فِي عُقُودِ النِّظَامِ ، وَصُفُوفِ الْإِنْتِظَامِ ، تُنَافِحُ ^(٥) بِالصَّفِيحِ ^(٦) الْأَبْلَجِ ^(٧) ، وَالْقَوِيمِ الْأَمْلَجِ ^(٨) وَتَمْتَلِجُ ^(٩) الْمَهْجِ ^(١٠) ، بِرَوَائِعِ الْحُجَجِ . وَتَفْلُ دَعَارَةَ الْوَسَاوِسِ ، وَتُصِيبُ مَقَاتِلَ الْخَوَانِسِ ^(١١) . فَمَا أَنَا إِلَّا وَالْحَقُّ مُنْتَصِرٌ ، وَالْبَاطِلُ مُنْكَسِرٌ ، وَمَرْجُ الشَّكِّ فِي مُخُودٍ ، وَهَرَجٍ ^(١٢) الرَّيْبِ فِي رُكُودٍ ، وَأَنَّ مُدَبَّرَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ ، وَبَاسِلَ تِلْكَ الصَّوْلَةِ هُوَ حَامِلُ لَوَائِهَا الْغَالِبِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، بَلْ كُنْتُ كَمَا انْتَقَلْتُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَحْسُ بِتَغْيِيرِ الْمَشَاهِدِ ، وَتَحَوُّلِ الْمَعَاهِدِ :

- (١) عرامة — بفتح العين — : شدة وشراسة .
 (٢) الدعارة — بفتح الدال وكسر ها — الفجور وسوء الخلق .
 (٣) الجحافل : جمع جحفل — بفتح الجيم — وهو الجيش الكثير .
 (٤) الكتاب : جمع كتيبة — بفتح الكاف — وهي القطعة من الجيش .
 (٥) الدرابة — بفتح الدال — : الفصاحة .
 (٦) تنافح : تدافع .
 (٧) الصفيح : السيوف ؛ وأراد بها هنا : المفرد .
 (٨) الأبلج : الأبيض اللامع .
 (٩) يريد بالقويم الأملج : الرمح المعتدل الأسر .
 (١٠) تمتلج : تمتص .
 (١١) المهج : جمع هجة — بضم الميم — وهي دم القلب .
 (١٢) لعله يريد بالخوانس ما يجول في النفس من خواطر السوء .
 (١٣) للارج — بفتح الراء — القلق والاضطراب ؛ ولأنما تسكن الراء إذا قرنت بالهرج . والهرج — بسكون الراء — الفتنة .

فَتَارَةً كُنْتُ أَجِدُنِي فِي عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِنَ الْمَعَانِي أَرْوَاحٌ عَالِيَةٌ فِي حُلَلٍ مِنَ
 الْعِبَارَاتِ الزَّاهِيَةِ ، تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَةِ ^(١) ، وَتَدْنُو مِنَ الْقُلُوبِ
 الصَّافِيَةِ ، تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا وَتُقَوِّمُ مِنْهَا مُنَادَهَا ^(٢) ، وَتَنْفُرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ
 الْمُنْزَالِ ^(٣) ، إِلَى جَوَادِ ^(٤) الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَطَوْرًا كَانَتْ تَنْكَشِفُ لِي الْجَمَلِ
 عَنْ وُجُوهِ بَاسِرَةٍ ^(٥) ، وَأَنْيَابِ كَاشِرَةٍ وَأَرْوَاحِ فِي أَشْبَاحِ النُّمُورِ ، وَخَالِبِ
 الذُّسُورِ ، وَقَدْ تَحَفَّزَتْ لِلْوَثَابِ ، ثُمَّ انْقَضَتْ لِلَاخْتِلَابِ ، تَخَلَّبَتْ الْقُلُوبَ عَنْ
 هَوَاهَا ، وَأَخَذَتْ الْخَوَاطِرَ دُونَ رَمَاهَا ، وَأَغْتَالَتْ فَاسِدَ الْأَهْوَاءِ ، وَبَاطَلَ
 الْأَرَاءِ . وَأَخْيَانًا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ عَقْلًا نُورَانِيًّا ، لَا يَشْبَهُ خَلْقًا جُسْدَانِيًّا ،
 فَصَلَ عَنِ الْمَوْكِبِ الْإِلَهِيِّ ^(٦) ، وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ الْإِنْسَانِيِّ ، تَخْلَعُهُ عَنْ غَاشِيَاتِ
 الطَّبِيعَةِ وَسَمَّا بِهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى ، وَنَمَّا ^(٧) بِهِ إِلَى مَشْهَدِ النُّورِ الْإِجْلِيِّ ،
 وَسَكَنَ بِهِ إِلَى عَمَارِ جَانِبِ التَّقْدِيسِ ، بَعْدَ اسْتِخْلَاصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّلْبِيسِ
 وَأَنَاتِ ^(٨) كَأَنِّي أَسْمَعُ خَطِيبَ الْحُكْمَةِ ، يُنَادِي بِأَعْلِيَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَأَوْلِيَاءِ
 أَمْرِ الْأُمَّةِ ، يُعْرِفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ وَيُبَصِّرُهُمْ مَوَاضِعَ الْإِرْتِيَابِ وَيُحَذِّرُهُمْ
 مَزَالِقَ الْاضْطِرَابِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَقَائِقِ السِّيَاسَةِ ، وَيَهْدِيهِمْ طَرِيقَ
 الْكِيَاسَةِ ، وَيَرْتَفِعُ بِهِمْ إِلَى مَنْصَبَاتِ ^(٩) الرِّيَاسَةِ ، وَيُضْعِدُهُمْ شَرَفَ التَّدْيِيرِ ،
 وَيُشْرِفُ بِهِمْ عَلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ .

(١) الزَّاكِيَةُ : الْمُطَهَّرَةُ . (٢) الْمُنَادُ : الْمُعْجِزُ .

(٣) الْمَدَاحِضُ : جَمْعُ مَدْحَضَةٍ — بَفَتْحِ الْمِيمِ — وَهِيَ الْمَزَلَّةُ وَالْمَزَلَةُ .

(٤) الْجَوَادُ — بِتَشْدِيدِ الدَّالِ — جَمْعُ جَادَةٍ ؛ وَهِيَ مَعْظَمُ الطَّرِيقِ أَوْ وَسْطُهُ .

(٥) بَاسِرَةٌ : مُتَقَطِّعَةٌ . (٦) فَصْلَ عَنْهُ — بِصِيغَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ — خَرَجَ عَنْهُ . (٧) نَمَّا بِهِ : ارْتَفَعَ .

(٨) أَنَاتٌ : أَوَاقَاتٌ . (٩) الْمَنْصَبَاتُ : جَمْعُ مَنْصَبَةٍ — بِكَسْرِ الْمِيمِ — وَهِيَ الْكَرْسِيُّ .

١١ - إبراهيم بك المويلحي^(١)

يَشْكُو بِلِسَانٍ حَاجٍّ مَا رَأَى إِخْدَى السِّنِينَ فِي الْحِجِّ مِنْ فَتْكَ الْوَبَاءِ^(٢)
بِالْحِجَّاجِ وَإِهْمَالِ السُّلْطَاتِ شَأْنَهُ وَشَأْنَهُمْ

ترجمت إلى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كَذَا فَلْيَجْلِ^(٣) الْخَطْبُ وَلْيَفْذَحْ^(٤) الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُدْرُ
يقول الشاعر البيت الجَزَلَ من الشعر لغرض له حقير ، ثم يتركه ويأتي
من بعده مَنْ يَضَعُهُ مَوْضِعَهُ اللَّائِقَ به من حوادث الزَّمان . وإنَّ هذا البيتَ
لا يَحِلُّ مَحَلُّهُ فِي رِثَاءِ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا يَقَالُ لِيُبَكِّى بِهِ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ
فِي مَكَّةَ هَذَا الْعَامِ ، وَلَا غَرَوْ^(٥) أَنْ تَرْتَعِدَ الْيَدُ وَيَقِفَ الْقَلَمُ ، وَيَتَلَعَّمِ اللِّسَانُ
عِنْدَ وَصْفِ مَا فَعَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ حِينَ قَامَتْ تَفَتِّكُ فِي الْأَرْوَاحِ ، وَتَهْتِكُ فِي
الْأَشْبَاحِ^(٦) ، حَتَّى فُرِشَتْ الْأَزِقَّةُ بِالْمَوْتِ ، وَأَقَامَتْ مِنْهُمْ كُثْبَانًا^(٧) تَشْهَدُ
عَلَى عَجْزِ الْقَوْمِ عَنْ تَدَارُكِ الْأُمُورِ .

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب ؛ وقد انحدروا إلى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم في بيت حسب وغنى ، وكان أبوه من كبار التجار يتجر في الحرير ؛ فنزع إبراهيم ، مع معالجته التجارة ، إلى الأدب فقرأ كثيراً من كتب المتقدمين ، وكان من أوائل من استظهروها ؛ حتى برع في الأدب ؛ وحذق الفرنسية والتركية ، وجود التاريخ القديم والحديث ، وانصل بالأفاضل المبرزين في عصره وشرع لونا من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وخفوة اللفظ ، وبين الوقوع على المعاني الغريبة ؛ والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة ، فكان في بيانه نسيج وحده ، وهو يعد بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية في العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار ، ثم جريدة مفتاح الشرق وحرر فيها وفي كثير من الصحف التي كانت قائمة في عهده . وتوفي سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣ هـ) .

(٢) الوباء : المرض العام ينزل بالبلد فيصيب أهلها ويتفشاهم .
(٣) فليجل : فليعظم .
(٤) فذح الأمر : تقل وصعب احتماله .
(٥) لا غرو : لا عجب .
(٦) المراد من الأشباح هنا : الأجسام
(٧) الكشبان : جمع كشيبي . وهو التل من الرمال .

ولقد رأيتُ من المناظر المدهشة ما تتصاغر عنده عَظِيَمَاتُ النَّوَابِ ،
وَتَتَضَاعِلُ لديه جَسِيَمَاتُ الْمَصَائِبِ ، فمن ذلك أَنِّي رَأَيْتُ شَابًّا عَلَيْهِ شَارَةٌ^(١)
الْحِشْمَةُ وَالنَّجَابَةُ ، يَتَخَبَّطُ فِي الثَّرَابِ وَلَا يَسْتَطِيعُ إِشَارَةً وَلَا كَلَامًا ، وَإِنَّمَا
كَانَ يَطْلُبُ بَعِيْنِيْهِ الْمَمْلُوءَتَيْنِ بِالْدَّمْعِ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ أَحَدُ الْمَارَّةِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ
فَوَجَدْتُهُ قَدْ مَاتَ . فَأَبْكَا نِي مَوْتُهُ غَرِيْبًا عَنْ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ
الْمُوَلَّةِ ، فَطَلَبْتُ بِالْأَجْرَةِ مَنْ يَدْفِنُهُ فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا ، عَلَى إِفْرَاطِ حُبِّ الْمَالِ
فِي هَذَا الْبَلَدِ . فَكَتَبْتُ وَرَقَةً وَأَرْسَلْتُهَا إِلَى قَاضِي مَكَّةَ أَسْأَلُهُ الْمَعُونَةَ عَلَى
دَفْنِ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ الْمَطْرُوحِينَ تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ ، فَأَجَابَنِي بِأَنْ
هَذَا لَا يَمْلَقُ^(٢) بِشَيْءٍ مِنْ وَظِيْفَتِهِ ، وَلَا يَخْصُهُ الْاِسْتِغَالُ بِهِ اِفْسَأَلْتُ عَنْ غَيْرِهِ
مِنْ أَصْحَابِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ^(٣) ، فَوَجَدْتُهُمْ قَدْ طَارَوْا إِلَى الطَّائِفِ وَتَرَكُوا مَكَّةَ
لِلْقَتْلِ الْعَامِّ .

وَبَيْنَا أَنَا حَيْرَانٌ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ الْمَكْشُوفَةِ ، إِذْ لَاحَتْ مِنِّي التِّفَاقَةُ^(٤)
إِلَى الْمَوْتِ فَرَأَيْتُ وَلَيْتَنِي لَمْ أَرَ ، امْرَأَةً اخْتَطَفَتْهَا الْمَنِيَّةُ مِنْ بَنَاتِهَا صَغِيرَةٍ
لَمْ تَبْلُغْ سِنَّ التَّمْيِيزِ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ ، وَقَدْ شَرَعَتْ تِلْكَ الصَّغِيرَةُ تُحَرِّكُ
أُمِّهَا بِيَدَيْهَا لِإِيقَازِهَا ، وَتَبْكِي لِعَدَمِ إِجَابَتِهَا ، بَعِيُونِ تَقَسَّمَتْ نَظَرَاتُهَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، وَتَعْدُّهَا فِي خِلَالِ تِلْكَ النَّظَرَاتِ الْمُبْهَمَةِ أَنَّهَا لَا تَعُودُ لَشَيْءٍ كَانَتْ
نَهَتْهَا عَنْهُ ، بِعِبَارَاتٍ تَسْتَخْرِجُ الْحُنُوزَ^(٥) وَالشَّفَقَةَ مِنَ الْقُلُوبِ الصَّخْرِيَّةِ .

(١) الشارّة : العلامة والدلالة . (٢) يعلق : يتصل . أى ليس من شأنه .

(٣) المراد أهل التصرف في الأمور ، وهم رجال الحكومة . (٤) الحنوز : الحنان .

فَأَمْسَكَتُ بِالْبَيْتِ وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَصِفَ لَكَ كَيْفَ فَصَلْتَهَا عَنْ رَمَّةٍ ^(١) أُمِّهَا ،
وكيف كان حالها وحال مَنْ يَرَاهَا عِنْدَ آخِرِ نَظَرَةٍ نَظَرَتْهَا إِلَى وَالِدَتِهَا وَكَافَلَتْهَا ^(٢)
ثُمَّ قَفَلْنَا إِلَى جُدَّةَ مُشْتَتَيْنِ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ أَرْسَلَتْ وَابُورًا لِتَقْلِ
الْحُجَّاجِ ، وَلَيْتَهَا لَمْ تُرْسَلْ فَإِنَّ قِبْطَانَ الْوَابُورِ كَانَ أَشَدَّ قَسْوَةً عَلَى الْحُجَّاجِ
مِنَ الْمَوْتِ : أَمَرَ أَوَّلًا بِإِقْصَاءِ قَسَمٍ مِمَّا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَزْوَادِ ^(٣) . فِي الْبَحْرِ
يَدْعَوِي الْمَحَافِظَةَ عَلَى الصُّحَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ يَبِيعُ لَهُمْ ثَانِيًا ، وَهُمْ فِي اللَّجَّةِ ^(٤) ، مِمَّا
اِحْتَكَرَهُ مِنَ الْقُوتِ ، بَيْنَ الْقَحْطِ الْيُوسُفِيِّ ^(٥) . وَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ مِنَ النَّقْدِ
شَيْءٌ ، شَرَعَ يَبِيعُ لَهُمْ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا وَالسَّبِجِ ، وَكَانَ الْجَبَّارُ لَا يُحِبُّ أَنْ
يَسْمَعَ بِمَرِيضٍ فِي السَّفِينَةِ ، وَلِهَذَا اضْطُرَّ كَثِيرٌ أَنْ يَكْتُمُوا أَمْرَاضَهُمْ .
وَمَا زِلْنَا مَعَهُ عَلَى شَفَا ^(٦) الْخَطَرِ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى الطُّورِ ، فَلَقِينَا هُنَاكَ مِنْ
كِبَرِيَاءِ الْأَطِبَّاءِ وَعَظَمَتِهِمْ مَا تَمَنَّيْنَا لَهُ أَنْ نَكُونَ طُعْمًا ^(٧) لِلْحَيْتَانِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا
يَأْتِفُونَ أَنْ يَمَسُّوا أَيْدِيَ الْحُجَّاجِ بِأَيْدِيهِمْ ؛ وَكَانُوا يَكْتَفُونَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ ^(٨)
إِلَيْهِمْ . وَكَثِيرٌ أَمَا كَانُوا يَمْتَرِضُونَ عَلَى الْحُجَّاجِ . فَاعْتَقَدْتُ أَنَّ الْخَيْرَ اِرْتَفَعَ
إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَنَّ الْأَرْضَ أَصْبَحَتْ قَاعًا صَفْصَفًا ^(٩) مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَأَنَّ
الَّذِينَ نَرَاهُمْ هُمْ شَيَاطِينُ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ ؟

(١) الرمة : الجثة . (٢) الكافلة : التي تكفله وتقوم على أمره .

(٣) الأزواد : جمع زاد . وهو ما يتخذ من الطعام للسفر .

(٤) أى فى عرض البحر . (٥) القحط الذى أصاب مصر ، وذكر فى القرآن فى سورة يوسف .

(٦) الشفا : حرف كل شىء . (٧) الطعم : الطعام .

(٨) النظر الشرر : هو النظر بجانب العين دليلا على الإعراض أو الغضب .

(٩) الصفصف : المستوى المظلم . والمراد : أنها خالية لا أحد بها .

وَقُصَارَى الْقَوْلِ إِنَّا فِي زَمَنِ أَصْبَحَ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ فِيهِ كَالْقَابِضِ عَلَى
الْجَرِّ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

ومن كتاب له :

« أَكْتُبُ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ ، وَنَفْسِي تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فِي عُلوِّهَا
وَارْتِفَاعِهَا بِنَظَرِ السُّلْحَفَةِ إِلَى الْأَجْدَلِ ^(١) فَوْقَ شُرُفَاتِ الْمَجْدَلِ ^(٢) ، وَتُحَدِّثُنِي :
لَوْ مُدَّتْ لِي طَرِيقُ قَضْبَانِهِ مِنَ الذَّهَبِ لَا الْحَدِيدِ وَمَرَّ كِبَاتُهُ مِنْ أَلْيَوَاقِيْتِ ،
وَسَائِقُ آلَتِهِ جِبْرَائِيلُ ، لِيُبَلِّغَنِي بَلَدًا أَسَاكِينُ فِيهِ هَوَؤُلاءِ الْقَوْمِ ، لَفَضَّلْتُ
الْجُلُوسَ حَيْثُ أَنَا الْآنَ ، أَكْتُبُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ
لَا أَظْلِمُ وَلَا أَظْلَمُ ! »

١٢ — الشيخ إبراهيم اليازجي ^(٣)

كتب يعزى بعض أصدقائه :

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِعِ ^(٤) ، فَلَمْ يَصْحَبْ
دَهْرَهُ عَلَى غَرَّةٍ ^(٥) ، وَلَمْ يَفْتَرِ ^(٦) ، مِنَ الْأَقْدَارِ بِفَتْرَةٍ ^(٧) ، لَمْ تَكْذِبْ عَلَيْهِ الرِّزِيَّةُ ^(٨)

(١) الأجدل : الصقر .
(٢) المجدل : بكسر الميم وفتح الدال : القصر .
(٣) يعد إبراهيم اليازجي من خير علماء اللغة والنحو والأدب في هذا العصر . أصدر باسمه مجلتي
البيان والضياء . وله مؤلفات محكمة في علوم اللغة والنقد اللغوي . توفي سنة ١٣٢٤ هـ .
(٤) المصارع : المهالك .
(٥) الغرة بكسر الغين : الغفلة .
(٦) يفتري : يسكن .
(٧) الفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين التوبتين من الحمى .
(٨) الرزية : المصيبة .

إِذَا اغْتَالَتْ ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ^(١) ؛ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَةً^(٢) ، وَإِنْ لِلْيَالِ كَمْنَةً^(٣) وَوَثْبَةً . وَمِثْلُكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي الْأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا^(٤) ، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِيرَهَا . وَإِنَّمَا الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ ، وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُودِ . وَلَا أَزِيدُكَ عِلْماً بِأَلْكَوْنٍ وَشَرَائِعِهِ ، وَالكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ . إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَجَّأَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ ، وَحَلَّ بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ . وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ ، وَمِنْ النَّاسِيَةِ^(٥) مَا تَعَلَّمُهُ مِنْ حَالِ مُخَاطَبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ . وَمَا أَخْلَقَنِي^(٦) بِأَنْ أَقُولَ : إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا عَلَى أَشْجَانِي^(٧) ، وَنَكَأً^(٨) مَا تَمَائَلُ^(٩) مِنْ قَرْحَةٍ أَخْزَانِي . وَلَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إِلَى حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ ، وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسَلَمٍ وَلَا قِتَالٍ ، فَكَأَنَّمَا إِلَيَّ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ^(١٠) حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ^(١١) مِنْ نِبَالٍ^(١٢)
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْني سِهَامُ تَكَسَّرَتْ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ^(١٣)

(١) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له ، وإن طال أمد السلامة ، لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائماً داخلية في حسابه .

(٢) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم .

(٣) يريد بالكمنية السكون .

(٤) مصاير الأمور : غاياتها .

(٥) الناسية : التصبير والتعزية .

(٦) الشجن بفتح الشين والجيم : الهم والحزن ، وجمعه أشجان .

(٧) أشجان بفتح الشين والجيم : الهم والحزن ، وجمعه أشجان .

(٨) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

(٩) تمائل : قارب البرء .

(١٠) الأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة .

(١١) الغشاء : الغطاء .

(١٢) النبال : جمع نبله ، وهي السهم .

(١٣) النصال : جمع فصل بفتح النون وسكون الصاد ، وهو حديدة السهم وطره .

وكتب إلى صديق له :

مَهْمَا زِدْتَنِي مِنْ جَمِيلِكَ الْمَأْلُوفِ ، وَصَنِيعِكَ ^(١) الْمَعْرُوفِ . فَمَا أَزِيدُكَ عَلَى مَا يَنْطِقُ بِهِ إِنْ سَانُ حَالِي مِنَ الْاعْتِرَافِ بِتَطَوُّلِكَ ^(٢) ، وَالثَّنَاءِ عَلَى تَفَضُّلِكَ ، لَا سِيَّما فِيمَا أَبْدَيْتَ مِنَ الْحَفَاوَةِ ^(٣) وَاللُّطْفِ فِي جَانِبِ أَخِي وَأَخِيكَ النَّازِلِ فِي كَنْفِ ^(٤) تَذْيِيرِكَ ، أَلَمْ يَكُنْ كَوْلِي إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَهِيَ يَدٌ ^(٥) لَكَ حَمَلْتُ جَمِيلَهَا عَلَى عَاتِقِي ^(٦) فَوْقَ مَا أَنْقَلْتَهُ أَيْدِيكَ السَّابِقَةُ ، وَالْطَّافُكُ ^(٧) السَّالِفَةُ . وَإِنِّي لَأُمَلُّ لَهُ بِمُوَازَرَتِكَ ^(٨) نَجْحًا لَا يَعْتَرِضُهُ إِخْفَاقٌ مَسْمُومٌ ، وَفَوْزًا لَا يَصْدُرُ ^(٩) عَنْهُ طَيْشٌ رَأَى . وَأَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ وَلَهُ السَّلَامَةَ وَالتَّوْفِيقَ بَعْنَهُ ^(١٠) وَطَوُّلَهُ ^(١١) .

١٣ - مصطفى باشا كامل ^(١٢)

من خطبة له :

أَيُّهَا السَّادَةُ : إِنَّكُمْ بِاجْتِمَاعِكُمْ الْيَوْمَ هَذَا الْجَمَاعَةَ الْوَطَنِيَّةَ تَرْفَعُونَ كَثِيرًا مِنْ مَقَامِ الْوَطَنِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ وَتَخَفُّفُونَ مِنْ آلامِ مِصْرَ الْعَزِيزَةِ الَّتِي قَاسَتْ

(١) الصنيع المكرمة . (٢) التطول : التفضل .

(٣) الحفاوة بالرجل : لإكرامه وإظهار السرور به .

(٤) الكنف بفتح الكاف والنون : الظل والجانب . والمراد هنا : الرعاية .

(٥) اليد : النعمة . (٦) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

(٧) الألفاف ، جمع لطف ، بفتح اللام والطاء ، وهو الإحسان والإتحاف .

(٨) المؤازرة : المعاونة . (٩) يصدر عنه : أى لا يكون منه .

(١٠) المن : المنة . (١١) الطول : الفضل .

(١٢) خطيب وسياسي وزعيم مصري ، تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف إلى مقاومة الاحتلال الإنجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين : إحداهما بالفرنسية ، والأخرى بالإنجليزية . وتنقل في بلدان أوروبا داعياً للوطن وكان فصيحاً مؤثراً في كتابته وخطابته ، مات شاباً سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩٠٨ م) .

وَتَقَاسَى أَشَدَّ الْعَذَابِ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْكُمْ يَا أَعَزَّ بَنِيهَا وَيَا نُخْبَةَ أَنْجَابِهَا . فَكُلْ
اجْتِمَاعَ وَطَنِيٍّ تَذْكُرُ فِيهِ مَصْرُ وَيَطَالِبُ بِحَقُوقِهَا ، وَيُعَلِّمُ أَبْنَاؤَهَا
إِخْلَاصَهُمْ لَهَا ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَرْهُمٌ لِجِرَاحِهَا وَدَوَاءُ لِدَائِهَا فَادْكُرُوهَا
مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ فِي ذِكْرِهَا ذِكْرَ آلامِهَا ، وَذِكْرَ آلامِ تَجَرُّ حَتْمًا إِلَى
ذِكْرِ عَوَامِلِ الشِّفَاءِ . اذْكُرُوهَا كَمَا يَذْكُرُ الْوَلَدُ الْخُنُونُ أُمَّهُ الشَّفِيقَةَ ، وَهِيَ
عَلَى سَرِيرِ الْمَرَضِ وَالْعَنَاءِ . اذْكُرُوهَا بِآلامِهَا وَإِنْ كَانَ غَيْرُكُمْ يَذْكُرُ بِلَادَهُ
بِمَجْدِهَا وَرِفْعَةِ شَأْنِهَا . اذْكُرُوهَا فَإِنَّكُمْ مَا دُمْتُمْ مُقَدِّرِينَ لِمَصَائِبِهَا عَارِفِينَ
بِحَقِيقَةِ آلامِهَا ، دَامَ لِأَمَلٍ وَطِيدٍ^(١) فِي سَلَامَتِهَا وَدَامَ الرَّجَاءُ . اذْكُرُوهَا ،
فَمَنْ الْمُسْتَحِيلُ أَنْ يَرَى الْعَاقِلُ النَّارَ فِي دَارِهِ ، وَالِدَاءُ فِي شَخْصِ أُمِّهِ ، وَيُهْمِلُ
النَّارَ وَيُهْمِلُ الدَّاءَ . . . ١ .

ثُمَّ قَالَ وَهُنَاكَ فِئَةٌ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ لَا أَنْكُرُ إِخْلَاصَ رَجَالِهَا لِلْوَطَنِ
الْعَزِيزِ ، وَلَكِنْ أَنْكُرُ عَلَيْهِمُ الْيَأْسَ الَّذِي يَتَظَاهَرُونَ بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ
وَفِي كُلِّ مَكَانٍ . فَهُمْ مَا عَمِلُوا وَلَا يَعْمَلُونَ لِلْبِلَادِ عَمَلًا نَافِعًا ، وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا
الْيَأْسَ عِلَّةَ عَدَمِ الْعَمَلِ وَعِلَّةَ الْكَسَلِ ! فَإِنْ سَأَلْتَهُمْ لِمَ لَا تَقُومُونَ بِعَمَلٍ
عُمُومِيٍّ نَافِعٍ لِلْبِلَادِ ؟ أَجَابُوكَ « نَحْنُ يَأْسُونَ مِنْ مُسْتَقْبَلِ الْوَطَنِ ، مُعْتَقِدُونَ
إِظْمَاطَ الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ » فَبِاللَّهِ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ طَبِيبٌ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى عَالِيلٍ بِعَدَمِ
لِشْفَاءٍ قَبْلَ أَنْ يَفْحَصَ دَاءَهُ وَيُعْطِيَهُ الدَّوَاءَ ؟ عَلَى أَنَّنَا نَرَى الْكَثِيرَ مِنْ
لِأَطْبَاءٍ لَا يَبْشُرُ أَبَدًا مِنْ شِفَاءِ الْمَرِيضِ حَتَّى فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ . فَكَيْفَ

(١) وَطِيدًا : ثَابِتًا قَوِيًّا

يَيْئَسُ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مِصْرَ مِنْ مُسْتَقْبَلِ الْبِلَادِ ؟ وَهُمْ إِنْ كَانُوا قَدْ خَبَرُوا دَاءَ
مِصْرَ فَيَعْلَمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ إِلَى الْيَوْمِ مَا قَدَّمُوا لَهَا الدَّوَاءَ .

كَيْفَ نَيْئَاسٌ مِنْ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَالْمُسْتَقْبَلُ بِيَدِ اللَّهِ وَخُذْهُ ، وَكَثِيرًا مَا تَأْتِي
الْحَوَادِثُ بِخِلَافِ الْمُنتَظَرِ وَبَغَيْرِ حِسَابٍ ؟

هِيَ النُّفُوسُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي يُخْلَقُ عِنْدَهَا الْأَمَلُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتِلْغَرَفٍ ! ثُمَّ
يَسْتَوِي عَلَيْهَا الْيَأْسُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتِلْغَرَفٍ ! أَمَّا النُّفُوسُ الْعَالِيَةُ الْكَبِيرَةُ
فَيَدُومُ فِيهَا الْأَمَلُ مَا دَامَ الدَّمُ فِي الْعُرُوقِ وَمَا دَامَتِ الْحَيَاةُ .

وَأَيُّ حَيَاةٍ تَرْضَاهَا النُّفُوسُ الشَّرِيفَةُ مَعَ الْيَأْسِ ، أَيْجَمَعُ الْمَرْءُ فِي جِسْمٍ
وَاحِدٍ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ؟ إِذَا الْيَأْسُ مَوْتُ حَقِيقٍ وَأَيُّ مَوْتٍ ؟

كَيْفَ نَيْئَاسٌ وَنَحْنُ جَمِيعًا عَالِمُونَ بِأَنَّ مَا يَظْهَرُ طَوِيلًا فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ
هُوَ قَصِيرٌ فِي حَيَاةِ الشُّعُوبِ ، فَعَشْرٌ مِنَ السَّنَوَاتِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ طَوِيلَةٌ
حَقًّا ، وَلَكِنَّهَا فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ قَصِيرَةٌ جَدًّا ، عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْيَائِسُونَ مُعْتَقِدِينَ
بِصِحَّةِ أَفْكَارِهِمْ ، فَمَارَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا فِي الْأُمَّةِ بِوِظَيفَةِ تَنْبِيْطِ هَمِّ الْأَمَلِينَ ،
وَالْأَمَلُونَ فِي الْبِلَادِ كَثِيرُونَ ، بَلِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مُؤَمَّلَةٌ خَيْرًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ . وَإِنْ
لَمْ تَظْهَرْ إِلَى الْآنَ أَعْمَالُ الْأَمَلِينَ فَسَتَظْهَرُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَسَتَرَى الْأُمَّةَ الْمِصْرِيَّةَ
وَأُمَمَ الْعَالَمِ أَجْمَعٍ أَنَّ لِلْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ أَبْنَاءَ مُخَاصِينَ يَقْدَرُونَ الْوَطَنِيَّةَ قَدَرَهَا ،
وَيَعْرِفُونَ لِمِصْرَ حُقُوقَهَا .

وَلَا غَرَوْ فَإِنَّ سُبُلَ خِدْمَةِ الْوَطَنِ عَدِيدَةٌ ، وَإِنْ أَهْمَهَا إِعْلَانُ الْحَقِيقَةِ
فِي كُلِّ بَلَدٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ . فَالْحُرِّيَّةُ بِنْتُ الْحَقِيقَةِ ، وَمَا انْتَشَرَتِ الْحَقِيقَةُ
فِي أُمَّةٍ إِلَّا وَارْتَفَعَتْ كَلِمَتُهَا ، وَعَلَا شَأْنُهَا . فَالْحَقِيقَةُ نُورٌ سَاطِعٌ إِذَا
انْتَشَرَ اخْتَفَى الظُّلْمُ وَالظُّلُمَةُ ، وَانْتَشَرَتِ الْحُرِّيَّةُ وَالْعَدْلُ . فَكَمَا أَنَّ الْأَفْرَادَ
لَا تُسَلَبُ حُقُوقُهُمْ ، وَلَا يَتَعَدَّى الْأَصْوَصُ عَلَى أُمَّتِهِمْ ، إِلَّا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ
الْحَالِكِ ، فَكَذَلِكَ شَأْنُ الْأُمَمِ ، لَا تُسَلَبُ حُقُوقُهَا ، وَلَا يَتَعَدَّى الْعَدُوُّ عَلَى
أَمْلَاكِهَا إِلَّا إِذَا كَانَتْ الْحَقِيقَةُ مُجْهُولَةً فِيهَا ، وَكَانَتْ هِيَ عَائِشَةً فِي الْجَهْلِ
وَالظُّلَامِ .

ومن خطبة له ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م :

« بِلَادِي ! بِلَادِي ! لَكَ حُبِّي وَفُؤَادِي ، لَكَ حَيَاتِي وَوُجُودِي ، لَكَ دَمِي
وَنَفْسِي ، لَكَ عَقْلِي وَلِسَانِي ، لَكَ لُبِّي وَجَنَانِي ، فَأَنْتِ أَنْتِ الْحَيَاةُ ، وَلَا حَيَاةَ
إِلَّا بِكَ يَا مِصْرُ !

« يَقُولُ الْجُهْلَاءُ وَالْفُقَرَاءُ فِي الْإِذْرَاكِ إِنِّي مُتَهَوِّرٌ ^(١) فِي حُبِّهَا ، وَهَلْ
يَسْتَطِيعُ مِصْرِي أَنْ يَتَهَوَّرَ فِي حُبِّ مِصْرٍ ؟ إِنَّهُ مِنْهَا أَحَبُّهَا ، فَلَا يَبْلُغُ الدَّرَجَةَ
الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا جَمَاهُا وَجَلَالُهَا وَتَارِيخُهَا ، وَالْعَظَمَةُ اللَّائِقَةُ بِهَا .

« أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمُونَ ! انْظُرُوا هَاهُنَا وَتَأَمَّلُوا هَاهُنَا ، وَاقْرَءُوا مُصْحَفَ مَاضِيهَا
وَاسْأَلُوا الزَّائِرِينَ لَهَا مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ : هَلْ خَلَقَ اللَّهُ وَطَنًا أَعْلَى مَقَامًا ،

(١) التهور : الوقوع في الأمور بغير مبالاة ، ويريد به هنا : التهلك والمبالغة والإفراط .

وَأَسْمَى شَأْنًا، وَأَجَلَ طَبِيعَةً، وَأَجَلَ آثَارًا، وَأَغْنَى تَرْبَةً^(١)، وَأَضْفَى سَمَاءً،
وَأَعَذَبَ مَاءً، وَأَدْعَى لِلْحُبِّ وَالشَّغَفِ^(٢) مِنْ هَذَا الْوَطَنِ الْعَزِيزِ؟

أَسْأَلُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ يُجِيبُكُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: إِنَّ مِصْرَ جَنَّةِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ
شَعْبَهَا الَّذِي يَسْكُنُهَا وَيَتَوَارَثُهَا لَأَكْرَمُ الشُّعُوبِ إِذَا أَعَزَّهَا، وَأَكْبَرُهَا
جِنَايَةً عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِهِ إِذَا تَسَامَحَ فِي حَقِّهَا، وَسَلَّمَ أَرْمَتَهَا^(٣) لِلْأَجْنَبِيِّ.

إِنِّي لَوْ لَمْ أُولَدْ مِصْرِيًّا لَوَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ مِصْرِيًّا؟

قَدْ يَرَى السُّفَهَاءُ وَالطَّائِشُونَ أَنَّ الْأُنْتِسابَ لَشَعْبٍ مُسْتَعْبِدٍ كَالشَّعْبِ
الْمِصْرِيِّ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِإِنْسَانٍ، وَلَكِنْ أَيْ شَرَفٍ يَطْمَعُ فِيهِ الْخُرُّ أَكْبَرُ
مِنْ الْعَمَلِ لِأَحْيَاءِ الْأُمَّةِ الَّتِي سَمَقَتِ الْأُمَمُ كَافَّةً فِي الْعِلْمِ وَالْمَدَنِيَّةِ وَالْأَدَبِ؟
أَيُّ رِفْعَةٍ يَسْعَى الشَّرِيفُ إِلَيْهَا أَسْمَى مِنْ إِنْهَاضِ شَعْبٍ كَانَ أَسْتَاذَ الشُّعُوبِ
الْبَشَرِيَّةِ، وَمُرَبِّي الْعَالَمِ كُلِّهِ أَيْ سُودِدِ^(٤) تَرْمِي النُّفُوسُ الْأَبِيَّةُ إِلَيْهِ
أَعْلَى مِنْ إَخْرَاجِ الْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَإِخْلَالِهِ الْمَحَلَّ
الْأَوَّلَ بَيْنَ الْأَوْطَانِ الْأُخْرَى الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّجْنَةِ^(٥) الْحَالِكَةِ^(٦) يَوْمَ
كَانَتْ بِلَادُنَا مَشْرِقًا لِلْعَرَفَانِ؟

(١) التربة : التراب ويراد بها الارض وجودتها .

(٢) الشغف : شدة الحب وتمسكه .

(٣) الأزيمة : جمع زمام ، وهو الحيل تقوده ، والمراد بأرمله مصر هنا : شئونها العامة .

(٤) السودد : الشرف والمجد .

(٥) الدجنة : الظلمة .

(٦) الحالكة : الشديدة الظلام .

لَيْتَ شِعْرِي^(١) ! أَيُّ لَذَّةٍ وَسَعَادَةٍ وَمُكَافَأَةٍ يَطْلُبُهَا الْوَطَنِيُّ الْمِصْرِيُّ
أَكْبَرُ مِنْ اشْتِرَاكِهِ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِي هُوَ أَجَلُ عَمَلٍ يَرَاهُ الْعَالَمُ
فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ؟

إِنَّ الْمَكْسَبَ الْأَدَبِيَّ لِلْوَطَنِيِّ الْمِصْرِيِّ مِنْ هَذِهِ الْخِدْمَةِ يَرْبُو عَلَى
أَتْعَابِهِ^(٢) وَمَجْهُودَاتِهِ بِكَثِيرٍ .

١٤ - الشيخ أحمد مفتاح^(٣)

كتب في التَّهَادِي :

الْهَدِيَّةُ (غَمْرَكَ اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ) تَبْسُطُ يَدَ الْمَوَدَّةِ وَتَدِرُّ أَخْلَافَ
الْقُرْبِ^(٤) ، وَتَغْرِسُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مِنَ الْأَنْثَلِافِ ، بِقَدَرِ مَا تَقْطَعُ بَيْنَهُمَا مِنْ
شَجَرِ الْخِلَافِ . وَمَا أَنَا فِيْمَا أُهْدِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمَرًا إِلَى أَرْضِ
خَيْبَرَ^(٥) ، أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَاءَ لِلْبَحْرِ ، وَالضَّوْءَ لِلْبَدْرِ ، وَالْمَلِكَ لِسُلَيْمَانَ ،
وَالْمَالَ لِقَارُونَ ، وَالْحِلْمَ لِأَخْنَفَ ، وَالذِّكَاءَ لِإِيَّاسٍ وَالتَّفْسِيرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ .
وَمَا ذَاكَ إِلَّا كِتَابٌ كَمَا تَرَاهُ ضَرْبَ فِي الْإِحْكَامِ بِسَهْمٍ ، وَوَعَى مِنَ الْأَحْكَامِ
مَا خَلَتْ مِنْهُ مُفْعَمَاتُ الْأَسْفَارِ ؛ وَمُوجَزَاتُ الرَّسَائِلِ ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ :
« كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » :

(٢) أتعاب : جمع تعب .

(١) ليت شعري : ليتني أشعر .

(٣) يتصل لسيه بالعرب ؛ نشأ بمصر ودرس بالأزهر : وعنى بالأدب ، ثم دخل دار العلوم حتى إذا
خرج منها اشتغل في الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله عدة مؤلفات ،
وطريقته في الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد في استعمال البديع .

(٤) الإدراج : الإكثار من اللين . والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لذوات الخلف كاللدى للإنسان .
والقرب : الصلات . والمعنى أن الهدايا تقوى صلة الأخ بأخيه .

(٥) استبضع تمرًا . جملة بضاعة — وأرض خيبر مشهورة بالتمر ، ومنها يصدر .

تَرْيُنُ مَعَانِيهِ الْفَاطَةُ وَالْفَاطَةُ زَانِثَاتُ الْمَعَانِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَسُقْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ مُزْدِافاً^(١) إِلَى
جَنَابِكَ الرَّحْبِ ، وَمَقَامِكَ الْأَسْنَى^(٢) ، فَقَدْ أَصَبْتُ كِبِدَ الصَّوَابِ ، وَوَضَعْتُهُ
حَيْثُ بَمَرُّهُ أَهْلُوهُ ، وَيَتَقَبَّلُهُ مِنْ بَاذِلِهِ عَالِمُوهُ ، عِلْمًا بِأَنَّكَ عِمَادُ الْعُلُومِ ،
وَأَسَاسُ الْفَضَائِلِ ، لَا تُغَادِرُ شَارِدَةً إِلَّا وَعَيْتَهَا ، وَلَا نَادِرَةً إِلَّا رَوَيْتَهَا ، وَإِلَّا
لَوْ كَانَ يَهْدِي عَلَى قَدْرِي وَقَدَّرَ كُمُو لَكُنْتُ أَهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

١٥ - الشيخ علي يوسف^(٣)

كتب تحت عنوان « لا تعصّب في مصر » :

التَّعَصُّبُ بِالْمَعْنَى الْمَعْرُوفِ فِي الْغَرْبِ عَنْ أَهْلِ الشَّرْقِ ، وَبِمَعْبَارَةِ أُخْرَى
عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، هُوَ انْبِثَاطُ رُوحِ الْعَدَاءِ وَالْبَغْضَاءِ مِنَ الْآخَرِينَ
ضِدَّ الْأَوَّلِينَ ، انْبِثَاطًا يَحْمِلُ عَلَى الْاِعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ حِينًا بَعْدَ حِينٍ .
التَّعَصُّبُ بِهَذَا الْمَعْنَى رَذِيلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ الَّتِي يَنْهَى عَنْهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ ،
وَالْقَوَائِنُ الْأَجْتِمَاعِيَّةُ ، وَفِي نَظَرِ الْأَوْرُبِيِّينَ هُوَ التَّوَحُّشُ الَّذِي يَفْتِكُ بِنَفْسِ
الْأَبْرِيَاءِ كُلَّمَا ثَارَ ثَائِرُهُ ، أَوْ أَشْبَهَهُ بِالْفُؤُلِ الْكَاشِرِ^(٤) الَّذِي يَنْدَفِعُ بِعِمَايَةٍ
فَيَقْتَرِسُ كُلَّ مَا فِي طَرِيقِهِ مِنْ نَفُوسِ الْبَشَرِ .

(١) ازدلف إليه : تقرب .

(٢) الأسنى : الأرفع .

(٣) أصله من بلدة بلفورة بمصر ، نشأ نشأة دينية ، ودرس بالأزهر ، ولكنه عني بالأدب ،
وخرج صحفياً بارعاً ذا أسلوب قوى رائع ظهر في « النّويد » صحيفته المصرية الإسلامية . ونال منزلة سامية
بقوة أسلوبه ، وشدة نفسه ، وذكاء جنانته توفي سنة ١٣٣١ هـ .

(٤) الذي يكشر عن أنيابه .

التَّعَصُّبُ عَلَى هَذَا مَجْمُوعُ أَرْوَاحٍ شَرِّيرَةٍ لَا نِظَامَ لَهَا فِي ثَوَرَانِهَا وَعُدْوَانِهَا،
نَعْمُودُ بِاللَّهِ أَنْ تُرْزَأَ أُمَّةٌ بِهَذَا الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ ^(١).

قالوا إِنَّ الْمَصْرِيِّينَ مُتَمَعِّبُونَ تَعَصُّبًا دِينِيًّا . وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ
الْمُخَالَفِينَ لَهُمْ فِي الدِّينِ كَرَاهَةً غَمِيَاءَ يَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ بِرُوحِ الْبَغْضَاءِ الْمُتَنَاهِيَةِ ،
كَلَّمَا سَنَحَتْ لَهُمْ فُرْصَةُ الْاِفْتِرَاسِ أَوْ اسْتَفْزَظَتْهُمْ صَائِحٌ .

فِي الْبِلَادِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ أَدْيَانٌ مُخْتَلِفَةٌ يَتَجَاوَرُ أَهْلُهَا فِي الْمَنَازِلِ ،
وَيَتَشَارَكُونَ فِي الْمَرَافِقِ ^(٢) ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الْأَعْمَالِ ، فَلَمْ تَكُنْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
وَالْأَقْبَاطِ تِلْكَ الرُّوحُ الشَّرِّيرَةُ . وَلَوْ كَانَتْ فِي فِطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ فِطْرَةِ
الْفَرِيقَيْنِ لِلْاَشْتِاقِ ^(٣) الْأَكْثَرِيَّةُ الْأَقْلِيَّةُ فِي عُصُورٍ مَضَتْ ، وَخُصُوصًا
فِي عُصُورٍ كَانَتْ الْجَهَالَةُ فِيهَا سَائِدَةً ، وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَّامِ مِنَ الْمَالِكِ
وغيرهم يَبْذُرُونَ بِذُورَ الْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ لِاَلْخِدْمَةِ دِينِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ ،
وَلَكِنْ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى مَنَشُوءُهَا الشَّهَوَاتُ وَالْمَطَامِعُ . وَلَكِنَّ التَّوَارِيخَ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ عَاشَا عَلَى الْوِثَامِ ^(٤) وَالسَّلَامِ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ أَوْ أَكْثَرِهَا .
وَفَدَّ عَلَى الْقَطْرِ الْمِصْرِيِّ مِنْذُ أَوَّلِ عَهْدِ الْمَرْحُومِ مُحَمَّدٍ عَلَى بَاشَا الْكَبِيرِ وَفُودٍ
مِنْ كُلِّ الطَّوَائِفِ الْمَسِيحِيَّةِ ، غَرْبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ : مَنْ أَرْمَنَ وَأَرْوَامَ وَسُورِيَّيْنَ
وَفَرَسَاوِيَّيْنَ وَطَلِيَانِيَّيْنَ وَإِنْكَايَزَ وَنَمْسَاوِيَّيْنَ وَأَمْرِيكَانِيَّيْنَ : مِنْ بُرُوتِسْتَانَتْ

(٢) المرافق : يريد شؤون المعاش .

(٤) الوثام : الوباء .

(١) ترزأ : تصاب .

(٤) أى أفتتها .

وَكَاثُولِيكَ وَأَرْثُوذَكْسَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُلَمَاءِ وَتُجَّارٍ وَصُنَّاعٍ وَعَمَلَةٍ^(١) وَهَمَلٍ^(٢) مُتَشَرِّدِينَ ، فَلَقِيَ السَّكَلُ فِي مِصْرَ صَدْرًا رَحِيْبًا .

كَانَ مِنْهُمْ الْمُوظَّفُونَ فِي كُلِّ مَصْلُحَةٍ حَتَّى تَوَلَّى نَوْبَارُ بَاشَا رِيَاةَ النُّظَارِ فِي مِصْرَ ، وَكَانَ قَاعُ قَامِ خَدِيرٍ ، وَرِئِيسَ الْإِحْتِفَالِ بِمَوْكِبِ الْمُحْمَلِ الشَّرِيفِ ، فَهَلْ يَوْجَدُ فِي أُمَّةٍ غَيْرِ الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ مِثْلُ هَذَا التَّسَاهُلِ فَيَرَأْسَ إِحْتِفَالًا دِينِيًّا مَسِيحِيًّا مُسْلِمًا أَوْ غَيْرَ مَسِيحِيٍّ ؟ .

وَكَانَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ^(٣) الْأَسَاتِذَةُ وَالْمُعَلِّمُونَ وَنُظَارُ الْمَدَارِسِ وَالْمُكْتَشِفُونَ ، فَهَلِ الْأُمَّةُ الَّتِي تُرَبِّي أبنَاءَهَا عَلَى أَيْدِي الْأَسَاتِذَةِ مِنْ غَيْرِ دِينِهَا ، تُعَدُّ مُتَعَصِّبَةً ؟ وَكَانَ التُّجَّارُ عَلَى مَا يُحِبُّونَ مِنَ الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ وَحُسْنِ الْقَبُولِ ، فَضَرَبُوا فِي الْبِلَادِ بِمَتَاجِرِهِمْ مِنْ غَتٍّ وَسَمِينٍ ، وَجَيْدٍ وَرَدِيٍّ وَخَالِصٍ وَمَغْشُوشٍ ، حَتَّى صَارَتْ مِصْرُ مِنْ أَوْسَعِ أَسْوَاقِ مَتَاجِرِ أَوْرَبَا وَمَعَامِلِهَا الَّتِي وَجَدَتْ إِقْبَالًا مِنَ الْأُمَّةِ هَائِلًا^(٤) .

وَهَؤُلَاءِ بَعْضُ الْأَجَانِبِ يُقِيمُونَ الْأَكْوَاخَ الصَّغِيرَةَ الْحَقِيرَةَ لِبَيْعِ الْخُمُورِ الرَّدِيئَةِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْقَطَرِ ، مَهْمَا سَحَقَتْ^(٥) وَقَلَّ عَدْدُهَا ، أَوْ يُرَبُّونَ الْخَنَازِيرَ وَيُثْرَمُونَ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَكُونَ الصُّعْلُوكُ مِنْهُمْ فِي بَضْعِ سَنَوَاتٍ صَاحِبَ الْقَرْيَةِ وَمَزَارِعِهَا وَمُدَايِنَ أَهْلِهَا وَسَيِّدُهُمْ ، فَهَلِ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُتَعَصِّبُونَ الَّذِينَ يُخْشَى مِنْ شَرِّهِمْ فِي وَادِي النَّيْلِ عَلَى الْأَوْرُبِيِّينَ ؟ .

(١) عملة : جمع عامل .
(٢) الهمل : من لا عمل لهم ولا رياسة عليهم .
(٣) أى من العلماء غير المسلمين .
(٤) الهائل يريد بها هنا : العظيم ، أو الكبير . وأصلها : من هال يهول : إذا راع وأفزع ، وكان الإقبال لعظمه يهول ويروع .
(٥) سحقت : بعدت .

١٦ — كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله^(١)

إلى بعض الأفاضل يطلب وده

كما أن شَغَفَ^(٢) الْجَنَانِ^(٣) ، بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ ، تَكُونُ دَاعِيَتُهُ الْمُشَاهَدَةَ
وَتَسْرِيحَ الْإِنْظَارِ فِي مُحْيَا^(٤) الْكَمَالِ ، وَتُجْتَلَى^(٥) الْجَمَالِ . فَتَرَى الْعَيْنُ مِنْ تِلْكَ
الْفَرَّةِ^(٦) مَا يَمْلَأُهَا قُرَّةٌ^(٧) ، فَكَذَلِكَ السَّمْعُ يَسْتَدْعِي هَذَا الشَّغْفَ ، فَيَتَأَثَّرُ
الْفُؤَادُ بِمَا يُشَنَّفُ^(٨) الْأُذُنَ مِمَّا تُهْدِيهِ إِلَيْهِ طَرَائِفُ^(٩) الْأَخْبَارِ ، حَتَّى كَأَنَّ حَاسَّتِي
السَّمْعِ وَالْبَصَرِ فِي ذَلِكَ صِنُوان^(١٠) ، بَلْ أَخَوَانِ ، فِي هَيْكَلِ هَذَا الْجُثْمَانِ^(١١) .

أَلَا وَإِنَّ مُحَاسِنَ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ لَمَّا سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا
كُلُّ لِسَانٍ ، مَا بَيْنَ أَخْلَاقِ أَبْهَى مِنَ الرُّوضِ النَّضِيرِ^(١٢) وَأَعْرَاقِ^(١٣) أَشْهَى
مِنْ عُذِيبِ النَّمِيرِ^(١٤) قَدْ اخْتَلَّتْ مِنْ فُؤَادِي لَا أَقُولُ مَنْزِلًا رَحِيبًا ، وَلَا وَادِيًا
خَصِيْبًا ؛ بَلْ مَنْزِلَةٌ شَمَاءَ^(١٥) وَدَارَةٌ^(١٦) عَلِيَاءَ^(١٧) . وَأَوْجًا بَطَوَّالِهَا السَّعِيدَةُ يَسْعَدُ

(١) ولد بالإسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها ، واشتغل بالصحافة في تونس ومصر .
ثم مدرسا ومفتشا بالمعارف ، وقد توفي سنة ١٩١٨ م .

(٢) الشغف : شدة الحب . (٣) الجنان بالفتح : القلب .

(٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء : الوجه . (٥) مجتلاه : منظره .

(٦) الفرة : الوجه .

(٧) قرى العين : جف دمعها وبردت من السرور . والاسم منه الفرة بضم القاف .

(٨) يشنف الأذن : يطربها وأصله من لبس الشنف وهو القروط .

(٩) الطرائف : الأحاديث المستملعة . (١٠) الصنوان : الأخوان الشقيقان .

(١١) الجثمان بضم الجيم : الجسم . (١٢) النضير : الحسن .

(١٣) الأعراق هنا : بمعنى الطباع والصفات .

(١٤) النمير : الكثير من الماء . (١٥) شماء : عالية .

(١٦) الدارة : الدار ، ويريد بها المسكنة (١٧) الأوج : العلو .

وَيَلُوحُ بِهَا مِنْ ذِكْرَاهُ كُلِّ حِينٍ فَرَقَدَ^(١) . فَلَمْ أَنْشَبْ^(٢) أَنْ قَدَّمْتُ كِتَابِي
هَذَا لِمَوْلَايَ بَيْنَ يَدَيِ اللِّقَاءِ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَحَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَتُشْعِرَ^(٣) عَنْهُ اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامَ ، لِيُتَاحَ^(٤) لِي رَى الْفُؤَادِ بِمَا أَرُوِيهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ الْخَلِيلِ الَّذِي سَمَّاهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ الْخَيْرِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا وَصِفَ لِي أَحَدٌ فَرَأَيْتُهُ
إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا وَصِفَ لِي سِوَاكَ ، وَإِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ مُجِبُّهُمَا اللَّهُ (الْحِلْمُ
وَالْأَنَاءُ^(٥)) مُقْتَدِيًا بِالْإِمَامِ مُحَمَّدٍ جَارٍ^(٦) اللَّهُ فِي تَقْدِيمِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ
عَلَى مَا أَنْشَدَهُ إِيَّاهُ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّجَرِيِّ أَوَّلَ مَا لَقِيَهُ ، وَكَانَا قَدْ تَحَابَّاهُ بِالسَّمَاعِ :
كَأَنْتَ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا عَنْ جَابِرِ بْنِ رَبِيعٍ أَطِيبِ الْخَبَرِ
حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أُذُنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي

١٧ — المرحوم حَفْنَى بَك نَاصِف^(٧)

كُتِبَ إِلَى الْفَاضِلِ السَّيِّدِ تَوْفِيقِ الْبَكْرِيِّ شَيْخِ مَشَايِخِ الطَّرِيقِ الصُّوفِيَّةِ :
كِتَابِي إِلَى السَّيِّدِ السَّنَدِ وَلَا أَجْشُمُهُ^(٨) الْجَوَابَ عَنْهُ فَذَلِكَ مَا لَا أَنْتَظِرُهُ
مِنْهُ ، وَإِنَّمَا أَسْأَلُهُ أَنْ يَنْشَطَ إِلَى قِرَاءَتِهِ ، وَيَتَنَزَّلَ إِلَى مُطَالَعَتِهِ ، وَلَهُ الرَّأْيُ
بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُجَاسِبَ نَفْسَهُ وَيُرَكِّبَهَا ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهَا أَوْ لَهَا .
فَقَدْ تَنْفَعُ الَّذِي كَرَى إِذَا كَانَ هَجْرُهُمْ دَلَالًا ، فَأَمَّا إِنْ مَلَّأَ فَلَا نَفْعًا

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ؛ وهما فرقدان .

(٢) لم أنشب : لم ألبث .

(٣) تشعر : تكشف .

(٤) يتاح لى . يتعبأ لى .

(٥) الأناة : الوقار والحلم .

(٦) هو الإمام الزمخشري العالم المفسر المشهور .

(٨) أجشمه الأمر : كلفه إياه .

(٧) اقرأ ترجمته فى شعره .

زُرْتُ السَّيِّدَ ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَى لِقَائِهِ ، كَجِرْصِي عَلَى بَقَائِهِ ، وَكَانِي ^(١)
بِشُهُودِهِ ^(٢) ، كَشَغْفِي ^(٣) بِوُجُودِهِ ، فَقَدْ بَعْدَ وَاللَّهِ عَهْدُ التَّلَاقِ ، وَطَالَ أَمَدُ
الْفِرَاقِ ، وَتَصَرَّمُ ^(٤) الزَّمَانُ ، وَأَنَا مِنْ رُؤْيَيْتِهِ فِي حَرَمَانٍ ، فَقِيلَ لِي : إِنَّهُ خَرَجَ
لِتَشْيِيعِ ^(٥) زَائِرٍ ، وَهُوَ عَمَّا قَلِيلٍ حَاضِرٌ ؛ فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَهُ ؛ وَتَرَقَّبْتُ طُلُوعَهُ ،
وَلَمْ أَزَلْ أَعِدُّ اللِّحَظَاتِ ، وَأَسْتَطِيلُ الْأَوْقَاتِ حَتَّى بَرَزَتْ الْأَنْوَارُ ؛ وَارْتَجَّ
صَحْنُ الدَّارِ ^(٦) وَظَهَرَ الْاسْتِبْشَارُ عَلَى وُجُوهِ الزُّوَّارِ ، وَجَاءَ السَّيِّدُ فِي مَوْكِبِهِ ،
وَجَلَّالَةِ مَحْتَدِهِ ^(٧) وَمَنْصِبِهِ ، فَقُمْنَا لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَهَيَّئْنَا ^(٨) بِكَمَالِهِ ؛ فَمَرَّ يَتَعَرَّفُ
وُجُوهَ الْقَوْمِ حَتَّى حَازَانِي ، وَكَبَّرَ عَلَى عَيْنِهِ أَنْ تَرَانِي ؛ فَغَادَرَنِي وَمَنْ عَلَى
يَسَارِي ، وَأَخَذَ فِي السَّلَامِ عَلَى جَارِي ، وَجَرَّ السَّلَامُ الْكَلَامَ ، وَتَكَرَّرَ
الْقُعُودُ وَالْقِيَامُ ، وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ أَوْهُمْ جَارِي ، أَنَّى فِي دَارِي ، وَأُظْهِرُ لِلنَّاسِ
أَنَّ شِدَّةَ الْأُلْفَةِ ، تُسْقِطُ الْكَفَّةَ ؛ وَمَرَّ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَمَامِي ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ ، وَمِنْ الْغَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا فَاتَ ، وَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ
لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ أَرْبَعَةً ؛ وَدَعَانِي إِلَى الْحُجْرَةِ فَدَخَلُوا مَعَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِيَامُ ،
وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ .

تَمْرُونُ الدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْوَا عَلَى إِذْنِ حَرَامٍ ^(٩)

(١) الكلف بفتحين : الحب الشديد .

(٢) شهوده : رؤيته .

(٣) الشغف كالكلف .

(٤) تصرم الزمان : انقضى .

(٥) تشييعه : توديعه .

(٦) صحن الدار : ساحتها .

(٧) المحتد : الأصل .

(٨) الهيئنا : الصوت الحقي .

(٩) عاج : مال ، أى لم تميلوا إلى .

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانَتِي عِنْدَ السَّيِّدِ لَا تُنْكَرُ ، وَأَنَّ عَهْدِي لَدَيْهِ
لَا يُخْفَرُ^(١) ؛ فَإِذَا أَنَا لَسْتُ فِي الْعَبْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ^(٢) وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِيرٌ ،
وَذَهَابُ صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرٍ عَلَيْهِ يَسِيرُ .

وَمَنْ مَدَّتْ الْعَلِيَا إِلَيْهِ يَمِينَهَا فَأَكْبَرُ إِنْسَانٍ لَدَيْهِ صَغِيرُ

وَلَا أَدْعِي أَنِّي أُوَارِي السَّيِّدَ (صَانَهُ اللَّهُ) فِي عُلُوِّ حَسَبِهِ ، وَأَدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ
وَأَدَابِهِ ، أَوْ أَقَارِبُهُ فِي مَنَاصِبِهِ وَرُتَبِهِ ، أَوْ أَكَاثِرُهُ فِي^(٣) فَضَّتِهِ وَذَهَبِهِ ، وَإِنَّمَا
أَقُولُ يَنْبَغِي لِلْسَّيِّدِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي وَالْأَذْكَارِ ،
وَشُهُودِ الْأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلسَّلَامِ ، وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ
الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يَفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصًا لِلْخِلَاصِ^(٤) وَمَنْ يَتَرَدَّدُ
لِجَابَةِ لَدَعْوَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَالْأَيَّامِ عَلَيْهِ حَالَابُ الْفَوَائِدِ^(٥) بِطُلَّابِ الْعَوَائِدِ ،
وَقُنَاصُ الشُّوَارِدِ^(٦) بِنُقَبَاءِ الْمَوَالِدِ ، وَرُؤَادُ الطَّرَفِ^(٧) بِأَرْبَابِ الْحَرْفِ .

فَمَا كُلُّ مَنْ لَا قِيَّتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلَتْ سَائِلَاتُ الْعُرْفَانِ^(٨)

(١) خفر عهده : نقضه .

(٢) يقال : هو لا في العبر ولا في النفير ؛ أى أنه لا قيمة له ولا يحسب له أى حساب .

(٣) كآثره : فاخره بكثرة المال .

(٤) الخلاص بكسر الخاء : ما اتقى عنه الغش من الذهب والفضة أو الزبد . والمراد به هنا ما يقدم من الصدقة ونحوها .

(٥) العوائد : جم عائدة وهي المنفعة .

(٦) يربد بالشوارد غرائب اللغة ونوادير الأدب .

(٧) الطرف بضم الطاء وفتح الراء : جمع طرفة بضم الطاء ، وهي الجديد الحسن المتخير .

(٨) العرف : الجود والمعروف .

فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْضَى عَنْ بَعْضِ الْأَجْنَاسِ ، فَلَا يَحْسُنُ أَنْ
يُغْضَى عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ .

وَلَا أُرُومُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنَزِلَةً غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَامَا
وَأِنَّمَا أَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضَّعَةِ ، وَلَا أَعْرِضُهَا لِلضَّيْقِ وَفِي الدُّنْيَا سَعَةً .
وَأَكْرِمُ نَفْسِي إِنِّي إِنْ أَهَنْتُهَا وَحَقَّقْتُ لَمْ تَكْرُمُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي
فَلَا يُصَعِّرُ ^(١) السَّيِّدُ مِنْ خَدِّهِ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِنْ بُعْدِهِ ،
وَلَا يَغُضُّ ^(٢) مِنْ عَيْنِهِ ، فَهَذَا فِرَاقُ يَدَيَّ وَبَيْنِهِ ، وَلَيْتَ تَخَذَنِي صَاحِبًا مِنْ بَعِيدٍ ،
وَلَا يُكَلِّمَنِي إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ ^(٣) .

كَلَانَا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِثْنَا أَشَدُّ تَفَانِيَا
وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامُ ، عَلَى الدَّوَامِ ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبَسَ جَدِيدًا ، وَكُلَّ
حَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيدًا ، وَمَرَحَى ^(٤) إِذَا أَصَابَ ، وَشَيْعَتُهُ السَّلَامَةُ
إِذَا غَابَ ، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آبَ ، وَبِالرَّفَاءِ وَالْبَيْنِ ^(٥) إِذَا أَعْرَسَ ^(٦)
وَبِالطَّلَاعِ الْمُسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ ^(٧) ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا عَطَسَ ، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا
نَعَسَ ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا أُسْتَيْقِظَ ، وَهَنِيئًا إِذَا شَرِبَ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ

(١) صعر الرجل خده : أماله كبرا وتبها .

(٢) يغض عينه : يغمضها .

(٣) يوم الوعيد : يوم القيامة .

(٤) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء : كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية .

(٥) بالرفاء والبنين : دعوة لمن يتزوج بالالتئام واستيلاد الأولاد .

(٦) أعرس : تزوج .

(٧) أنجب : ولد له ولد .

إِذَا رَكِبَ ، وَلَنِمَّ صَبَاحُهُ إِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرُ ، وَسَعِدَ مَسَاوُهُ إِذَا أَذَّنَ الْعَصْرُ ،
وَبَخَّ بَخَّ (١) إِذَا نَثَرَ (٢) وَلَا فُضَّ فُوهُ (٣) إِذَا شَعَرَ (٤) ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذَا خَطَبَ ،
وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَبَ ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ حَجًّا مَبْرُورًا ، وَإِذَا شَيَّعَ
جَنَازَتِي فَسَعِيًّا مَشْكُورًا .

وكتب إلى الشيخ على الليثي رحمه الله يشكره على هدية عنب :

وَصَلِّ يَا مَوْلَايَ إِلَى هَذَا الطَّرَفِ ، مَا خَصَصْتَ بِهِ الْعَبْدَ مِنَ الطَّرَفِ (٥)
« قَفَصٌ » مِنْ عَنَبٍ كَاللُّوْلُؤِ فِي الصَّدَفِ ، تَتَأَلَّقُ عُنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا مِنْ صِنَاعَةِ
« النَّجَفِ » (٦) وَلَعَمْرُ الْحَقِّ (٧) إِنَّهَا تَحْفَةُ مَنْ أَهْلَى التَّحَفِ ، لَا يُعْتَرُ عَلَى
مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ « الصَّدَفِ » فَقَابِلِنَاهُ لَنَمَّا بِالْأَفْوَاهِ ، وَرَشَفًا بِالشِّفَاهِ .
وَأُخْتَفِينَا (٨) بِقُدُومِهِ كُلِّ اخْتِفَاءٍ ، وَلَمْ نَفْرُطْ فِي حَبَّةٍ عِنْدَ الْإِقَاءِ ؛
بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الْحَبِي (٩) ، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ، وَأَوْسَعْنَاهُ عَضًا
وَلَنَمَّا ، وَتَنَاوَلْنَاهُ تَجْمِيشًا (١٠) وَضَمًّا ؛ وَحَفِظْنَا فِي صُدُورِنَا سِرَّهُ الْمَكْنُونِ ،
وَطَوَيْنَاهُ فِي غُضُوفِ الْبُطُونِ ، فَطَرَبَتْ مِنْ تَعَاطِيهِ الْأَرْوَاحُ ،

(١) بخ : كلمة يقال عند استحسان الشيء والإعجاب به .

(٢) نثر : أرسل القول مشوراً .

(٣) لافض فوه : لاخلأ من أسنانه . دعوة توجه لمن يجيد القول .

(٤) شعر : قال الشعر . (٥) يريد بالطرف : التحف .

(٦) النجف : كلمة مولدة . (٧) لعمر الحق : قسم بالحق .

(٨) احتنى به احتفاء : أكرمه وأظهر السرور به .

(٩) يقال فلان من تحل له الحبي ، أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبي : جمع حبة وهى ما يجمع به
.. ما بين الظهر والساق من حبل ونحوه .

(١٠) جمشه تجميشاً : قرصه ولعبه

وَلَا غَرَوْ^(١) فَهُوَ أَصْلُ الرَّاحِ^(٢) . وَانْتَشَيْنَا^(٣) وَلَمْ نَحْمِلْ وَزْرًا ، وَتَمَلَّنَا^(٤)
وَلَمْ نَذُقْ طَعْمًا مُرًّا . فَهُوَ كَبِيَانٌ مُهْدِيهِ سِجْرٌ وَلَكِنَّهُ حَلَالٌ ، وَلَعِبٌ
إِلَّا أَنَّهُ كَمَالٌ .

وَكَانَ الْآخَرَىٰ بِهَذَا الْعِنَبِ أَنْ يُنَاطَ^(٥) بِالنَّحُورِ ، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُورُ ؛
فَمَا هُوَ إِلَّا الْأَوَّلُ وَلَكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سِجْنِ الْبِحَارِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الدُّرُّ لَكِنْ
لَيْسَ فِيهِ صُغَارٌ^(٦) .

وَمَنْ كُنْتَ بِحُجْرًا لَهُ يَا عَلِيُّ لَا يَلْقُطُ الدُّرَّ إِلَّا كُبَارًا^(٧)
وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَفْصُ ، (حِصَّةٌ مِنَ الْحِصَصِ^(٨)) فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ
يُودَعُ فِي الْأَقْفَاصِ ، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَمَايَا الضُّلُوعِ خَلَاصٌ . فَلَا بَدْعَ
أَنْ تُسْتَقَلَّ فِي حَبَاتِهِ حَبَاتُ الْقُلُوبِ ، وَيُسْتَمْلَحَ فِي جَنْبِ حَلَاوَتِهِ رُضَابٌ^(٩)
الْمُحْبُوب . وَكَأَنَّ الْإِرْيَاءَ لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَهُ ، فَعَرَّ الْهَلَالُ فَاهُ^(١٠) لِمُنْقُودِهَا
يُرِيدُ أَكْلَهُ ، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِي السَّمَاءِ ، وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِنَ الْوَرَاءِ .
وَهِيَ تَجْرِي مِنَ الْأَمَامِ ، خَافَةَ الْإِتِهَامِ . هَذَا لِمُجَرَّدِ تَشَابِهِ فِي الشَّكْلِ

(٢) الراح : من أسماء الحمر .

(٤) عمل : سكر .

(٦) الصغار بضم الصاد : الصغير .

(١) لا غرو : لا عجب .

(٣) انتشى : سكر .

(٥) يناط : يعلق .

(٧) الكبار بضم الكاف : الكبير .

(٨) الحصة في الأصل : النصيب واستعملها المحدثون في معنى الفترة من الزمن يريد وقتنا من الأوقات .

(١٠) ففر فاه : فتجه .

(٩) الرضاب بضم الراء : الريق .

فَكَيْفَ بِالْثُرَيَّا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حَلَاوَةٌ وَرِيًّا^(١) ، فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعَنَاقِيدُ مَا أَشَدَّ
تَأَلُّفَهَا^(٢) ، وَأَصْنَى مَاءِهَا ، وَأَحْسَنَ رَوْنَقِهَا . مِنْ كُلِّ عُنُقُودٍ تَخَالُهُ عُمُودُ الصُّبْحِ^(٣)
أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَارِيُّ ، أَوْ غَضِنَ الْبَانِ^(٤) تَعَلَّقَتْ بِهِ الْقَمَارِيُّ^(٥) .

وكتب يعزى كبيراً (لعله الشيخ على يوسف رحمه الله في ولده) :

خَفَّفَ اللَّهُ لَوْعَتِكَ^(٦) ، وَأَرْقَأَ^(٧) دَمْعَتِكَ ، وَجَنَّبَكَ الْجَزَعَ^(٨) ، وَوَقَاكَ
الْهَلَعَ^(٩) . وَاللَّهِمَّكَ الصَّبْرَ ، وَأَجْزَلَ لَكَ الْأَجْرَ وَرَزَقَكَ مِنَ الْبَيْنِ ، فِي مُسْتَقْبَلِ
السِّنِينَ ، مَا تَقَرُّ^(١٠) بِهِ عَيْنَاكَ ، وَيَقْوَى بِهِ عَنَّاكَ^(١١) ، وَأَنْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
فِي قُوَّةٍ وَبَقِيَّةٍ مِنَ الْفُتُوَّةِ^(١٢) ثُمَّ كُنْكَ مِنَ الْأُبُوَّةِ ، لِخَيْرِ الْبُنُوَّةِ . عَلَى أَنَّ لَكَ
فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، وَضُرُوبِ الْكِيَاسَةِ^(١٣) ، فِي هَذِهِ الْبِلَادِ ، أَلْوَانًا مِنَ الْأَوْلَادِ ،
وَأَثَارًا كُبْرَى ، تَضَمَّنَ لَكَ الذِّرَى ، وَتَجَمَّلَ لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِينَ لِسَانُ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(١) الرى بالكسر : الصبح من الماء .

(٢) تألفها : بريقها .

(٣) عمود الصبح : ضوؤه .

(٤) البان : شجر يضرب المثل بأغصانه في اعتدال القوام .

(٥) القمارى بفتح القاف وكسر الراء : جمع قرى بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت

(٦) اللوعة : حرقه الحزن .

(٧) أرقأ دمعته : جففها

(٨) الجزع : أشد الحزن .

(٩) الهلع : الجزع من المصيبة .

(١٠) قرت العين : بردت من السرور .

(١١) العنا : الجانب .

(١٢) الفتوة : قوة الشباب .

(١٣) الكياسة : الفطنة وصحة الرأي .

١٨ — السيد مصطفى لطفي المنفلوطي^(١)

نفس الشاعر

« قطعة من رواية الشاعر ، يخاطب فيها سيرانو
ليريه الذي ينصحه بحسن السياسة والمداواة »

أَتُرِيدُ أَنْ أَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِي عَلَى غَيْرِي ، وَأَنْ أَضَعَ زَمَامَ نَفْسِي فِي يَدِ
عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ ، أَوْ نَبِيلٍ مِنَ النُّبَلَاءِ ، يَصْطَنِعُنِي وَيَحْتَبِينِي^(٢) وَيَكْفِينِي
مَشْوَنَةَ عَيْشِي ، وَيَحْمِلُ عَنِّي هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَثْقَالَهَا ، فَيَكُونُ مِثْلِي مِثْلَ شَجَرَةٍ
« اللَّبْلَابِ » لَا عَمَلَ لَهَا فِي حَيَاتِهَا سِوَى أَنْ تَلْتَفَّ بِأَحَدِ الْجُذُوعِ تَلْمَعُ^(٣)
فَشِرَّتُهُ ، وَتَمْتَصُّ مَادَّةَ حَيَاتِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِهَا عَلَى نَفْسِهَا ! .
ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ .

أَتُرِيدُ أَنْ أَهْمِلَ نَفْسِي عَلَى عَاتِقِي ، كَمَا يَحْمِلُ الدَّلَالُ سُلْعَتَهُ ، وَأَدُورُ بِهَا
فِي الْأَسْوَاقِ مُنَادِيًا عَلَيْهَا : مَنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَثْرِيَاءُ^(٤) ، وَالْوُزَرَاءُ
وَالْعُظَمَاءُ ، وَأَصْحَابُ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، يَتَتَاعُ نَفْسًا بِذِمَّتِهَا وَضَمِيرِهَا ، وَعَوَاطِفِهَا
وَمَشَاعِرِهَا ، بِلُقْمَةِ عَيْشٍ ، وَجُرْعَةِ مَاءٍ ؟ .

(١) نشأ السيد المنفلوطي بمنفلوط وتعلم بالأزهر . واشتغل محرراً بالمؤيد . ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا
زغلول فألحقه بالمعارف ثم الحفانية . وكان كاتباً رقيق القول بحكم الفسح . يجيد تصوير الشعور الحزينة
وله شعر قليل توفي سنة ١٣٤٣ هـ تاركاً آثاراً علمية جميلة

(٢) يجتبنني : يختارني

(٣) لعق الشيء : أخذه بطرف لسانه

(٤) الأثرياء : جمع ثرى وهو من عنده مال كثير .

أَتُرِيدُ أَنْ تَسْتَحِيلَ قَامَتِي إِلَى قَوْسٍ مِنْ كَثَرَةِ الْأَنْحِنَاءِ وَأَنْ تَهْدَلَ أَجْفَانٍ مِنْ كَثَرَةِ الْإِطْبَاقِ وَالْإِغْضَاءِ ، وَأَنْ تَجْتَمَعَ فَوْقَ رُكْبَتِي طَبَقَةٌ مَمِيكَةٌ مِنْ كَثَرَةِ السُّجُودِ وَالْجُثُوءِ^(١) بَيْنَ أَيْدِي الْعُظَمَاءِ ! .

أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي لِسَانَانِ : لِسَانٌ كَاذِبٌ أَمْدَحُ بِهِ ذَلِكَ الَّذِي صَنَعَنِي وَاجْتَبَانِي ، وَلِسَانٌ أُعَدُّ بِهِ عُيُوبُهُ وَسَيِّئَاتِهِ . وَأَنْ يَكُونَ لِي وَجْهَانِ : وَجْهٌ رَاضٍ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ يَذُودُ عَنِّي وَيَحْمِينِي ، وَوَجْهٌ سَاخِطٌ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يَسْتَعْبِدُنِي وَيَسْتَرْقِنِي ؟

ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ !

أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أَضْحَكُ كَمَا أَشَاءُ ، وَأَبْكِي كَمَا أُرِيدُ ، وَأَحْتَفِظُ بِنَظَرِي سَلِيمًا وَصَوْنِي رَنَانًا ، وَخَطَوَاتِي مُنْتَظِمَةً ، وَرَأْسِي رَافِعًا وَقَوْلِي صَرِيحًا ، أَنْظِمُ الشُّعْرَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَخْتَارُهَا ، وَفِي الشَّأْنِ الَّذِي أُرِيدُهُ فَإِنْ أَعْجَبَنِي مَا وَرَدَ عَلَى مِنْهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا تَرَكَتُهُ غَيْرَ آسِفٍ عَلَيْهِ ، وَأَخَذْتُ فِي نَظْمِ غَيْرِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ أَتَوَسَّلَ إِلَى الطَّابِعِينَ أَنْ يَنْشُرُوهُ ، وَالْأَدَبَاءُ أَنْ يُقَرِّطُوهُ ، وَالْمُمَثِّلِينَ أَنْ يُمَثِّلُوهُ ، وَالْعُظَمَاءُ أَنْ يُنَوِّهُوا بِهِ وَيَرْفَعُوا مِنْ شَأْنِهِ ! أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أُنَاضِلُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأُجَادِلُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأَنْتَقِدُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأَنْ أَقُولَ كَلِمَتِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِلْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ فِي وَجْهِهِمْ ، لَا مُتَمَلِّقًا أَوْلَئِكَ ، وَلَا خَاشِيًا هَؤُلَاءِ .

(١) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه

(٢) أناضل : أدافع وأغالب

وكتب أيضا :

الشاعر

إِنَّمَا يَشْقَى فِي هَذَا الْعَالَمِ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ : حَاسِدٌ يَتَأَلَّمُ لِمَنْظَرِ النِّعَمِ
الَّتِي يُسَبِّغُهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَنِعَمُ اللَّهِ لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنَى . وَطَمَّاعٌ
لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى غَايَةٍ مِنَ الْغَايَاتِ حَتَّى تَتَّبِعَتْ نَفْسُهُ وَرَاءَ غَايَةٍ غَيْرِهَا ؛
فَلَا تَفْنَى مَطَامِعُهُ ، وَلَا تَنْتَهَى مَتَاعُهُ . وَمُقْتَرِفٌ جَرِيعةٌ مِنْ جَرَائِمِ
الْعَرَضِ وَالشَّرَفِ ، لَا يُفَارِقُهُ خَيَالُهَا حَيْثُمَا حَلَّ وَأَيْنَمَا سَارَ ، وَمَا أَنْتَ
يَا سَيِّدِي بِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَمِنْ أَيِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ يَتَسَرَّبُ الشَّقَاءُ
إِلَى قَلْبِكَ .

أَنْتَ شَاعِرٌ يَا مَوْلايَ ، وَقَلْبُ الشَّاعِرِ مِرْآةٌ تَتَرَاءَى فِيهَا صُورُ
الْكَائِنَاتِ ، صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا ، دَقِيقُهَا وَجَلِيلُهَا ؛ فَإِنْ أَعُوْزْتُكَ ^(١) السَّعَادَةُ
فَفَتَّشْ عَنْهَا فِي أَعْمَاقِ قَلْبِكَ ؛ فَقَلْبُكَ الصُّورَةُ الصُّغْرَى لِلْعَالَمِ
الْأَكْبَرِ وَمَافِيهِ .

السَّمَاءُ جَمِيلَةٌ ؛ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ سِرَّ جَمَالِهَا ؛
وَيَخْتَرِقَ بِنَظَرَاتِهِ أَدِيمَهَا ^(٢) الْأَزْرَقَ الصَّافِي ؛ فَيَرَى فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمُلَوَّى
النَّائِي مَا لَا تَرَاهُ عَيْنٌ ، وَلَا يَحْتَدُّ إِلَيْهِ نَظَرٌ .

(١) أعوزتك : احتجت إليها .

(٢) الأديم : الجلد . وأديم الأرض والسماء : ما ظهر منها .

وَالْبَحْرُ عَظِيمٌ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَشْعُرُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، وَيَرَى
فِي صَفْحَتِهِ الرَّجْرَاجَةَ^(١) الْمُرْجَجَةَ^(٢) صُورَ الْأَمِّ الَّتِي طَوَّاهَا ، وَالْمُدُنَ الَّتِي
حَمَّاهَا ، وَالذُّوُلَ الَّتِي أَبَادَهَا وَهُوَ بَاقٍ عَلَى صُورَتِهِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ،
وَلَا يَبْلَى^(٣) عَلَى الْمُصُورِ وَالْأَيَّامِ .

وَاللَّيْلُ مُوَحِّشٌ^(٤) وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ فِي سُكُونِهِ وَهُدُوءِهِ
أَنِينَ الْبَاكِينَ ، وَزَفَرَاتٍ^(٥) الْمُتَأَلِّمِينَ ، وَأَصْوَاتَ الدُّعَاءِ الْمُتَصَاعِدَةِ إِلَى
آفَاقِ السَّمَاءِ ، وَيَرَى صُورَ الْأَحْلَامِ الطَّائِفَةِ بِمَضَاجِعِ النَّائِمِينَ ، وَخَيَالَاتِ
السَّعَادَةِ أَوِ الشَّقَاءِ الْهَائِمَةِ^(٦) فِي رُءُوسِ الْمَجْدُودِينَ^(٧) وَالْمَحْدُودِينَ^(٨) .
الشَّاعِرُ يَرَى الْجَمَالَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَنَاوَلُهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ ، حَتَّى فِي الزَّهْرَةِ
الذَّابِلَةِ ، وَالنَّدْبَةِ الْخَائِلَةِ^(٩) ، وَالنَّحْلَةِ الطَّائِرَةِ ، وَالْفَرَّاشَةِ الْخَائِمَةِ^(١٠) ، وَفِي
مَدَارِجِ^(١١) النَّمَالِ وَأَفَاحِيصِ^(١٢) الْقَطَا^(١٣) وَالنُّؤَى^(١٤) الْمُتَهَدِّمِ ، وَالْجُدَثِ الْبَالِيِ ،
وَالشَّبَحِ الْمُخِيفِ ، وَالْخَيَالِ الرَّائِعِ ، وَفِي الضُّفْدَعَةِ الْمُتَلَقِّةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ،

(١) الرجراجة : المتحركة المتماوجة .

(٢) المترججة : المهتزة المضطربة .

(٣) بلى الشيء : تهيأ للفناء .

(٤) موحش : مظم يبعث على الوحشة والانتقاص

(٥) زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده إياه ؛ من ضيق وحزن .

(٦) الهائمة : الطائفة .

(٧) المجدودون : جمع مجدود ، وهو ذو الحظ الموفق .

(٨) المحدودون : جمع محدود ؛ وهو ضد المجدود .

(٩) الخائلة : المتغيرة .

(١٠) الخائمة : أى التى لا تفتأ تدور حول النار والنور .

(١١) المدارج : جمع مدرج . موضع الدروج . وهو المشى .

(١٢) الأفاحيص جمع أفحوص بضم الهمزة . وهو الموضع الذى تفحص القطة التراب عنه لتبيض فيه .

(١٣) القطا : جمع قطة . وهى طائفة فى حجم الحمام .

(١٤) النؤى : الحفرة التى تحفر حول الخيام ليذهب فيها السيل .

وَالدُّودَةُ الْمُتَمَدِّدَةُ فِي بَاطِنِ الصَّخْرِ ، فَهُوَ مِنْ خَيَالِهِ الْوَاسِعِ فِي نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ
لَا تَنْفَدُ وَلَا تَبْلَى .

أَنْتَ كَالطَّائِرِ السَّجِينِ فِي قَفَصِهِ ، فَمَزَّقَ عَنْ نَفْسِكَ هَذَا السَّجْنَ الَّذِي
يُحِيطُ بِكَ ، وَطَرَّ بِجَنَاحَيْكَ فِي أَجْوَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْبَسِطِ الْفَسِيحِ ، وَتَنَقَّلَ
مَا شِئْتَ فِي جَنَبَاتِهِ وَأَكْنَفِهِ^(١) ، وَاهْتَفَ^(٢) بِأَغَارِيدِكَ^(٣) الْجَمِيلَةِ فَوْقَ قِمَمِ^(٤)
جِبَالِهِ ، وَرَعَّوَسِ أَشْجَارَهُ ، وَضَفَّافٍ^(٥) أَنْهَارِهِ ، فَأَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِلْسَّجْنِ وَالْقَيْدِ
بَلْ لِلْهَيْئَةِ وَالْتَّغَرُّيدِ .

١٩ — سعد زغلول باشا^(١)

وَجَّهَ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا النِّدَاءَ إِلَى الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ عَقِبَ عَوْدَتِهِ إِلَى مِصْرٍ
فِي صَدْرِ سَنَةِ ١٩٢١ م :

رَحَّبَتِ الْأُمَّةُ بِعَوْدَةِ نُوَابِهَا تَرْحِيبًا فَاكَّ كُلُّ تَرْحِيبٍ ، وَأَعْجَزَ وَصَفَ
كُلُّ كَاتِبٍ وَخَطِيبٍ ، فَقَدْ أَتَى أَفْرَادُهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِدَافِعٍ مِنْ ضَمَائِرِهِمُ
النَّيِّرَةِ ، وَبَاعَثَ مِنْ شُعُورِهِمُ الْحَيِّ ، تَرْتَعِشُ أَعْصَابُهُمْ حِمَاسَةً ، وَتُخَفِّقُ قُلُوبُهُمْ
بِالْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ ، لِلِالْتِفَافِ حَوْلَ مَنْ اتَّخَذُوا مِنْهُمْ رِئَاسَةً وَأَمَانِيَّةً وَعُنْوَانًا مَبَادِيئِهِمْ .

(١) أَكْنَفُهُ : نَوَاحِيهِ . (٢) هَتَفَ : مَدَّ صَوْتَهُ .

(٣) الْأَغَارِيدُ : جَمْعُ أَغْرُودَةٍ . وَهِيَ غَنَاءُ الطَّائِرِ .

(٤) الْقِمَمُ : جَمْعُ قِمَّةٍ وَهِيَ أَعْلَى الْجَبَلِ . (٥) ضَفَّافٌ : جَمْعُ ضَفَّةٍ . وَضَفَّةُ النَّهْرِ : جَانِبُهُ .

(٦) يَعِدُ سَعْدُ زَغَلُولُ بَاشَا زَعِيمَ الْخُطَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي عَصْرِهِ — دَرَسَ فِي الْأَزْهَرِ دَرَاةَ اسْتِقْلَالِيَّةٍ
أَعَدَّتْهُ لِيَكُونَ كَاتِبًا نَافِئًا وَمُحَامِيًا بَارِعًا وَقَانُونِيًّا قَدِيرًا كَانَ زَعِيمَ النُّهْضَةِ السِّيَاسِيَّةِ حَتَّى تَوُفِيَ سَنَةَ ١٩٢٧ م .

وَلَقَدْ رَأَيْتِ آيَاتِ الْحِكْمَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالثَّبَاتِ تَتَجَلَّى فِيمَا اسْتَقْبَلْنَا بِهِ مِنْ مَظَاهِرِ الْفَرَجِ الْبَاهِرِ — تِلْكَ الصِّفَاتُ الَّتِي تَضُمُّنُ لِلشُّعُوبِ تَقَدُّمَهَا وَالْأَمَّ سَعَادَتَهَا . وَشَعَرْتُ مِنْ قُبُلَاتِ التَّرْحِيبِ الَّتِي غَمَرُونَا بِهَا بِحَرَارَةِ قَلْبٍ يَخْفِقُ فِي جِسْمِ شَعْبٍ عَظِيمٍ . وَقَدْ اشْتَرَكَ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ فِي أَنْ يُمْلُوا عَلَى الْجَمُوعِ وَكُلٌّ فَرْدٍ وَاجِبُهُ نَحْوُ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ ، وَأُجْمَعِ الْكُلُّ عَلَى مُطَابَقَتِنَا بِمُوَاصَلَةِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَنَّهُ الْحَقُّ الْقَوِيمُ .

وَإِنَّ الشَّرَفَ وَالْكَرَامَةَ وَالْإِخْلَاصَ لَوْطَنِنَا الْمُقَدَّسِ لِمِمَّا يُوجِبُ عَلَيْنَا طَاعَةَ هَذَا الْأَمْرِ الْكَرِيمِ ، وَالنِّزَامَ هَذَا الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

إِنَّا نَشْكُرُ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا ، قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا ، عَلَى حُلَّةِ الثَّقَةِ ^(١) الَّتِي زَيَّنَتْهَا بِهَا ، وَنُقَسِّمُ بِالْوَطَنِ وَشَعَائِرِهِ ^(٢) الْمُقَدَّسَةِ — وَيُشَارِكُنَا فِي هَذَا الْقَسَمِ الْعَظِيمِ أَصْحَابُنَا الْمُخْلِصُونَ فِي جِهَادِهِمْ — أَنَّنَا لَا نَدْخِرُ شَيْئًا مِنْ وَسْعِنَا لِتَحْقِيقِ هَذِهِ النِّقَّةِ الْغَالِيَةِ ، وَلَا نَتَّحَوَّلُ لِحُظَّةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ الْغَرَضِ الَّذِي وَضَعْنَاهُ نُصَب ^(٣) عُيُونِنَا حَتَّى نَصِلَ إِلَيْهِ .

إِنَّا لَمْ نَعُدْ إِلَّا لِنُقَوِّيَ بِعَزَائِمِ مُوَاطِنِينَا الْكَرَامِ عَزَائِمَنَا ، وَنَشُدَّ أَزْرَانَا بِاتِّحَادِهِمِ الْمَتِينِ ، وَنَتَمَتَّعَ بِمِرْآةٍ بَعْدَ طَوْلِ هَذِهِ الْغَيْبَةِ ، وَنَتَأَكِّدَ مِنْ أَنَّ الْإِشْتِرَاكَ فِي الْمَفَاوِضَاتِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي دَعَتْنَا الْوِزَارَةُ الْجَدِيدَةُ لَهُ مُتَّفَقٌ مَعَ الْمَبَادِي الَّتِي وَضَعَتْهَا الْأُمَّةُ ، وَعَاهَدْنَاهَا عَلَى احْتِرَامِهَا ، وَمَعَ الْخُطَّةِ الَّتِي رَسَمَتْهَا

(١) الحلة : الثوب . (٢) الشعائر : العلامات والعالم . (٣) نصب عيوننا : أمامها .

وَتَعَهَّدْنَا بِمُتَابَعَتِهَا ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَخْدُمَ بِلَادَنَا بِالِاتِّفَاقِ
مَعَ كُلِّ هَيْئَةٍ مُسْتَعِدَّةٍ لِأَنْ تَسْتَرْشِدَ بِإِرَادَةِ الْأُمَّةِ ، وَعَامِلَةٍ عَلَى تَحْقِيقِ
غَايَتِهَا السَّامِيَةِ .

لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ يَعُودَ كُلُّ مِنَّا إِلَى عَمَلِهِ ، وَيُقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ : فَالْتَمِيزُ
إِلَى مَدْرَسَتِهِ ، وَالْفَلَاحُ إِلَى مَزْرَعَتِهِ ، وَالصَّانِعُ إِلَى مَصْنَعِهِ ، وَالتَّاجِرُ إِلَى مَتَجَرِّهِ ،
وَالْكَاتِبُ إِلَى مَكْتَبِهِ ، وَالْمَرَأَةُ إِلَى إِدَارَةِ بَيْتِهَا ، وَعَلَى الْكُلِّ مِنْ غَنَى وَفَقِيرٍ
أَنْ يُبَاشِرَ عَمَلَهُ ، مُرَاقِبًا أَعْمَالَنَا ، رَاضِعًا نَصَبَ عَيْنَيْهِ الْمُقْصِدَ الْأَسْمَى ،
وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يَزِيدُ بِمَا يَعْمَلُ فِي كُنُوزِ الْوَطَنِ كَنْزًا ، وَيَضُمُّ إِلَى قُوَّاهُ قُوَّةً .
إِلَى الْعَمَلِ جَمِيعًا لِنَرْفَعَ مَنَارَ الْوَطَنِ وَنُعَلِيَ كَلِمَتَهُ ، وَلِنَتَحَيَّ مِصْرُ .

٢٠ — محمد بك المويلحي^(١)

كتب من مصر إلى منيف باشا وزير المعارف في تركيا يعزّيه في ابنته :
إِلَى الْوَزِيرِ الَّذِي تَرْتَعِشُ بِنَظَرَةٍ مِنْهُ عُقْدُ السِّيَاسَةِ حَتَّى تَنْحَلَّ مِنْ شِدَّةِ
الْارْتِجَافِ ، وَالْأَمِيرِ الَّذِي يَنْتَعِشُ بِهِ سُرُورًا دَسْتُ^(٢) الرِّيَاسَةِ ، حَتَّى يَتِيَهُ عَلَى
الْأَسْلَافِ ، وَالْفِيلَسُوفِ الَّذِي تَفَرَّعَتْ عَنْهُ أُصُولُ الْحُكْمِ ، وَالْهُمَامِ الَّذِي أَعْيَا

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحي . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكنار أئمة العلم والأدب
في عصره . وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . وامتاز قلمه بصفاء الديباجة ، ونصاعة اللفظ ،
وتلاحم النسيج ، ومثانة السجع ، وقد أوتي من البراعة في فنون الوصف ما لا يتعلّق فيه بفبارده وله
(حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجماً في جريدة « مصباح الشرق » التي كان يحررها مع أبيه
توفي سنة ١٩٣٠ .

(٢) الدست : الكرسي .

النجوم أن تباريه في علو الهمم ، والرَّفِيعُ الَّذِي سَارَتْ عَنْهُ أَمْثَالُ الْمَجْدِ الْمُؤْتَلِّ (١) ،
وانتَشَرَ عَلَى السَّمَارِ (٢) حَدِيثُ فَضْلِهِ الْمُرْتَلِّ :

إِلَى قُطْبِ (٣) الدُّنْيَا الَّذِي لَوْ بِفَضْلِهِ مَدَحْتُ بَنَى الدُّنْيَا كَفَفْتَهُمْ فَضَائِلُهُ
مِنْ عِبْدٍ لِدَوْلَتِهِ ، لَهُ الشَّرَفُ الْأَسْنَى بِهَذِهِ النِّسْبَةِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَالْفَخْرُ الْأَعْلَى
بِذَلِكَ وَأَفَانِيْنُ التَّيِّهِ (٤) . دَهْمُهُ خَيْرُ الْمُصَابِ الَّذِي أَنْقَضَ (٥) ظَهْرَهُ ، وَأَرْضَى
دَهْرَهُ (٦) ، عَلَى أَنْ الْمَوْتَ — أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الْمَجْدِ بِطُولِ بَقَائِكَ ، وَأَدَامَ رَوْنَقَ
الْفَضْلِ بِدَوَامِكَ — بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الطَّبِيعَةِ لَا مَفْرَجَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ وَلُوجِ فِيهِ ،
وَعَوْنٌ مِنْ أَعْوَانِ الْحَيَاةِ لَا بُدَّ لِلْحَيِّ مِنْ تَوَافِيهِ (٧) . وَاسْمُ الْحَيَاةِ لَا مَعْنَى لَهُ بِغَيْرِ
اسْمِ الْمَوْتِ ، وَلَفْظُ الْعَيْشِ مُتَضَمِّنٌ لِلْفَظِّ الْفَوْتِ (٨) . وَلَقَدْ قِيلَ لِحَكِيمٍ مِثْلَكَ :
مَا سَبَبُ مَوْتِ فُلَانٍ . قَالَ : كَوْنُهُ (٩) ، فَعَجِيبٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ مُكْلَهُ
وَحَزْنُهُ . وَإِنِّي أَتَيْقَنُ أَنَّ مَوْلَايَ الْوَزِيرَ مَا تَجَاسَرَ أَنْ يَلْمَسَ أَذْيَالَهُ رَسُولُ الْحَزْنِ
وَالْأَسَى ، وَلَا عَارِضَ نَوْرَ حِكْمَتِهِ عَارِضٌ مِنْ ظُلْمَةٍ ذَاكَ الدُّجَى (١٠) ، وَمَا تَسَنَّى

(١) الْمُؤْتَلِّ : الْأَصِيلُ الثَّابِتُ .

(٢) السَّمَارُ : الْمَتَسَامِرُونَ ، الْمُتَحَدِّثُونَ لَيْلًا . وَفِي اللَّيْلِ يَجْتَمِعُ النَّاسُ عَادَةً لِتَجَدُّثِ .

(٣) قُطْبُ الشَّيْءِ . مَدَارُهُ وَمَلَكَهُ الَّذِي يَعْمَلُ بِهِ . وَقُطْبُ الْقَوْمِ : سَيِّدُهُمُ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ أَصْرُهُمْ .

(٤) التَّيِّهِ : الْكَبِيرُ وَالْحَيَاءُ .

(٥) أَنْقَضَ ظَهْرَهُ : أَثْقَلَهُ .

(٦) كُلُّ أَصْرٍ يَحْسِبُ دَهْرُهُ عَامِلًا عَلَى لِيْذَائِهِ يَرْضِيهِ أَنْ يَتَوَالَى عَلَيْهِ الضَّرَرُ ، وَيَنْزِلُ بِهِ الْمَكْرُوهُ .

(٧) تَوَافَى إِلَى الْمَكَانِ : حَضَرَ إِلَيْهِ .

(٨) الْفَوْتُ : الْهَلَاكُ .

(٩) كَوْنُهُ : أَى حَيَاتِهِ .

(١٠) الدُّجَى : الظُّلْمَةُ .

لِطَفِيلٍ الْفَزَعِ أَنْ يَتَلَمَّظَ^(١) عَلَى مَائِدَةِ حِلْمِهِ بَعْدَ ارْتِقَاءِ هَضْبَاتِهِ^(٢) ؛ وَلَا طَمَعٍ أَشْعَبِيٍّ^(٣) الْجَزَعِ فِي اسْتِجْدَاءٍ مِنْ مَعْدِنٍ وَقَارِهِ وَثَبَاتِهِ .

لَكِنَّمَا الْفَقِيدَةُ الَّتِي اخْتَارَتْ رُوحَهَا فِدَاءً لِبَنَاتِ مَعَالِيكَ وَمَجْدِكَ ، وَرَضِيَتْ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهَا زَكَاةً لِكُنُوزِ فَضَائِكَ وَسَعْدِكَ ، تَسْتَوْجِبُ مِنْ جِهَتَيْنِ لَا مِنْ جِهَةٍ ، أَنْوَاعَ الْأَسَفِ ، وَيَذْبَغِي لَهَا إِرْسَالُ الدَّمْعِ الْمُنْذَرِ^(٤) ، وَاخْتِرَاقُ الْكَبِدِ عَلَيْهَا مِنْ طَرَفَيْنِ لَا مِنْ طَرَفٍ - الْأَوَّلُ : أَنَّ الْوَرْدَةَ قَدْ اقْتُطِفَتْ قَبْلَ إِبَانِهَا^(٥) ، وَانْتَزَعَتْ مِنْ أَفْنَانِهَا^(٦) قَبْلَ أَوَانِهَا ، وَاقْتُنِصَتْ الظُّبْيَةُ مِنْ خَمَائِلِهَا ؛ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ مَخَايِلِهَا^(٧) ؛ وَاخْتُطِفَتْ الْحَمَامَةُ مِنْ وَكْرِهَا قَبْلَ أَنْ يُطَوَّقَ جَيْدُهَا وَيَنْتَظِمَ نَشِيدُهَا ، وَاقْتُصِفَ الْغُصْنُ قَبْلَ إِثْمَارِهِ ، وَأَنْمَحَقَ^(٨) الْهَلَالُ قَبْلَ إِبْدَارِهِ . وَحِينَ الْبَدُءِ فِي دَوْرٍ مِنْ أَذْوَارِهِ ، وَشُعَاعُ أَمَلٍ لَفَّ عَلَيْهِ السَّحَابُ رِدَاءَهُ ، وَسَاعَةُ سُرُورٍ نَبَذَهَا حَسَدُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَرَاءَهُ :

إِنِ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا لِأَجَلِ مُنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلًا

(١) تَلَمَّظَ الشَّيْءُ : تَذَوَّقَ مِنْهُ قَلِيلًا .

(٢) هَضْبَاتُ : جَمْعُ هَضْبَةٍ وَهِيَ الْمَسْكَنُ الْمُرْتَفِعُ .

(٣) أَشْعَبُ : اسْمُ رَجُلٍ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الطَّمَعِ .

(٤) الْمُنْذَرُ : السَّائِلُ .

(٥) إِبَانُ الشَّيْءِ : أَوَّلُ وَقْتِهِ . أَيْ قَبْلَ اكْتِمَالِ نَضْرَتِهَا .

(٦) جَمْعُ فَنٍّ وَهُوَ الْغُصْنُ الْمُسْقِمُ .

(٧) مَخَايِلُهَا : صِفَاتُهَا وَحِمَاسَتُهَا .

(٨) أَنْمَحَقَ : اضمحل وانحوى .

والثاني : لأنني لستُ من رأي من ينسب إلى النبي أنه قال : « نِعَمَ
الْحَتْنُ الْقَبْرِ ^(١) » ، ولا من رأي العرب حينَ تَتَبَجَّحُ بِمُصَاهَرَةٍ ^(٢) الْقُبُورِ ،
وَهَظُمَ حَقُّ الْإِنَاتِ وَتَفْضِيلُ الذُّكُورِ . ولا أراني من مذهب الشيخ
المعري ^(٣) وَمَنْ قَبْلَهُ حيث يقول :

وَدَفْنٌ ، وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ لِإِحْدَاهُنَّ إِحْدَى الْمُسْكِرُمَاتِ ^(٤)

ولا من جانب الفرزدق ويروى عنه :

وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعًا
وَلَا أَلْتَفْتُ لِنَاحِيَةِ الْبُحْتَرِيِّ وَيُنْشَدُ لَهُ :

وَلَعَمْرِي مَا الْعَجَزُ عِنْدِي إِلَّا أَنْ تَبَيَّتَ الرِّجَالُ تَبَكَّى النِّسَاءُ ^(٥)

فَسَيَّانَ فِي حَكْمِ الطَّبِيعَةِ مُقَنَّعٌ ^(٦) بِلَامَةِ الْحَدِيدِ ^(٧) فِي الْهِجَاءِ ^(٨) ، وَمُقَنَّعَةٌ
بِلَامَةِ ^(٩) الْحَرِيرِ مِنَ النِّسَاءِ . وَإِنَّمَا الْفَضْلُ يَنْتَهِمَا لِمَنْ جَاءَ بِالْعَاقِبَةِ الْحُسْنَى ،
وَلِمَنْ قَلَّ ضَرَرُهُ وَأَتَى بِالنَّفْعِ الْأَسْنَى ^(١٠) ، وَشَتَّانَ فِي حَكْمِ الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ

(١) الحتن : زوج الابنة

(٢) كان العرب يكرهون البنات خشية العار ، وربما دفنوا البنات حية . وقد أبطل الإسلام ذلك .

(٣) هو أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف .

(٤) هذا البيت من قصيدة له كلها تهجين للمرأة وازدراء بها .

(٥) من قصيدة له يمزى فيها عن بنت توفيت .

(٦) تقنع الشيء لبسه .

(٧) اللامة : الدرع ، وهو ما يلقى به المحارب سلاح عدوه .

(٨) الهيجاء : الحرب .

(٩) أي لابسة ثوب حرير .

(١٠) الأسنى : الأرفع .

قَائِدِ لِلْجَيْشِ مُعَلِّمٌ^(١) ، وَعَذْرَاءُ تُطَرِّزُ فِي ثَوْبِهَا وَتُنَمِّمُ^(٢) . ذَاكَ يُشِيرُ بِنَانِهِ
لِتَيْتِيمِ الْأَطْفَالِ وَلِتَخْرِيبِ الْبِلَادِ ، وَتِلْكَ يُشِيرُ بِنَانِهَا لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ بِعَقْدِ الْوَدَادِ .
وَفَرَقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ يَدِ مُخَضَّبَةٍ بِالْدِّمَاءِ ، وَأُخْرَى مُخَضَّبَةٌ بِالْحَمَاءِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَحْتَضِنُ
الْأَطْفَالَ وَيُرِيِّيهِمَا وَبَيْنَ مَنْ يُسْتَتُّهَا وَيُعَذِّبُهَا ، وَبَيْنَ كَفِّ لَاحِلِيَّةٍ لَهَا إِلَّا السَّيُوفُ
الْبَوَاتِرُ ، وَأُخْرَى إِنَّمَا حَلِيَّتُهَا الْخَوَاتِمُ وَالْأَسَاوِرُ ، وَكَمْ جَلَبَتِ تِلْكَ مِنْ فِطَائِعِ
مَشْهُورَةٍ ، وَكَمْ لِهَذِهِ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءٍ مَشْكُورَةٍ :

وَلَيْسَ الْخُمْسُ^(٣) ضَارِبَةً بِسَيْفٍ نَظِيرَ الْخُمْسِ ضَارِبَةً بِدُفٍّ
أَبَاغَى حَظَّهُ بِقَنَاءٍ^(٤) وَخَيْلٍ كَبَاغِيهِ بِنُؤَالٍ وَحَفٍّ^(٥)

وَمَوْلَايَ — أَعَزَّ اللَّهُ الْفَضْلَ بِوُجُودِهِ — يَعْلَمُ حِكَايَةَ إِخْدَى الْعَذَارَى
مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِذْ رَدَّتْ بِوَقْفَةٍ مِنْهَا أَمَامَ الْجَيْشِ غَرْبٌ^(٦) الْجَيْشِ عَنْ
قَصْدِهِ ، وَأَدْخَلَتْ سَيْفَ الْقَاهِرِ الْجَبَّارِ فِي غَمْدِهِ ، وَنَجَّتْ قَوْمَهَا مِنَ الْخُرَابِ ،
وَأَقْدَتَهُمْ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ ؛ حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَصِيدَةً فِي ذَلِكَ ؛ مِنْهَا :

نَحْنُ قَوْمٌ تُذَيِّبُنَا الْأَعْيُنُ النَّجْـلُ^(٧) عَلَى أَنَّكَ مُذَيِّبُ الْحَدِيدَا
طَوْعَ أَيْدِي الْغَرَامِ تَقْتَادُنَا الْغَيْدُ^(٨) وَتَقْتَادُ بِالطَّعَامِ الْأَسْوَدَا

-
- (١) معاق عليه صوف ملون في الحرب .
(٢) نَمِّمُ الشيء : زخرفه وزينه .
(٣) يريد الأصابع الخمس .
(٤) القنأ : الرماح .
(٥) النؤال : الحشب الذي يلف عليه الثوب وكان النسيج من صنيع النساء ، والحف من حفت المرأة وجهها من الشعر : أزالته .
(٦) غرب الشيء : حده ، والمراد : رده عن وجهه .
(٧) النجل : جمع نجلاء ، وهى العين الواسعة الحسنة .
(٨) الغيد : جمع غيداء ، وهى اللينة الأعطاف .

والأخرى التي لها ما يُعْاثِلُ ذلك مع أحد ملوكِ الفُرنس وهو يُحَارِبُهُ
قَوْمَهَا فِي بِلَادِ يَهُودَا أَثْنَاءَ الزَّمَنِ الْأَوَّلِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْوَقَائِعِ .

هَذَا مَا قَوَّيَ وَقَعَ الْمَصِيبَةُ فِينَا ، وَأَمَدَّ^(١) جِيوشَ الْهُمُومِ عَلَيْنَا . أَمَّا مَوْلَايَ
الْوَزِيرُ فَمَا يُبْعِدُ الْأَسْفَ مِنْهُ ، وَيُزِيلُ الْكَدَرَ عَنْهُ ، عَلِمَهُ بِضَوْءِ حِكْمَتِهِ ،
وَنُورِ فَلَسَفَتِهِ ، أَنَّهُ مَا فَقَدَ تِلْكَ الْفَقِيدَةَ ، وَمَا صَارَتْ عَنْهُ بَعِيدَةً ، فَهُوَ
يَسْتَنْشِقُهَا فِي رَوَائِحِ الْأَزْهَارِ ، وَيَرَاهَا فِي أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ ، وَيَسْمَعُ صَوْتَهَا
فِي صَوْتِ الْأَطْيَارِ ، وَتَمُرُّ عَلَيْهِ فِي رِيحِ الصَّبَا^(٢) مِنْ لِيَالِي الرَّيِّعِ ، وَيُشَاهِدُهَا
فِي كُلِّ شَكْلِ لَطِيفٍ أَوْ بَدِيعٍ .

أَلْهَمَنَا اللَّهُ عَلَيْهَا جَزِيلَ الصَّبْرِ ، وَأَلْبَسَ مَوْلَايَ الْوَزِيرَ ثَوْبَ الْأَجْرِ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَقَالَ فِي وَصْفِ الصَّبَاحِ (مِنْ كِتَابِهِ : حَدِيثُ عَيْشِي بْنِ هِشَامٍ) :
جَلَسْنَا نَتَجَادِبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ ، مِنْ قَدِيمٍ فِي الزَّمَانِ وَحَدِيثٍ ، إِلَى أَنْ
صَارَتِ اللَّيْلَةُ فِي أُخْرِيَّاتِ الشَّبَابِ ، وَاسْتَهَانَتْ بِالْإِزَارِ وَالنَّقَابِ ، ثُمَّ دَبَّ
الْمَشِيبُ فِي فَوْدِهَا^(٣) ، وَبَانَ أَثَرُ الْوَضَحِ^(٤) فِي جِلْدِهَا ، فَعَبِثَتْ بِالْعُقُودِ
وَالْقَلَائِدِ ، مِنْ الْجَوَاهِرِ وَالْفَرَائِدِ ، وَنَزَعَتْ مِنْ صَدْرِهَا كُلَّ مَنْشُورٍ وَمَنْظُومٍ

(١) جَاءَ إِلَيْهَا بِالْمَدَدِ .

(٢) الصَّبَا : رِيحٌ مَهْبِهَا جِهَةُ الشَّرْقِ .

(٣) الْفُودُ : الشَّعْرُ الَّذِي فِي جَانِبِ الرَّأْسِ مِمَّا يَلِي الْأُذُنَيْنِ مِنَ الْأَمَامِ .

(٤) وَضَحَ الْجِلْدُ : مَا يَصِيبُهُ مِنَ الْبَرَصِ وَنَحْوِهِ . وَيَكْنَى السَّكَاتُ بِهِ عَنْ ضَوْءِ الصَّبْحِ .

مِنْ دُرِّ الْكَوَاكِبِ وَلَالِ النُّجُومِ ، وَأَلْقَتْ بِالْفَرَاقِدَيْنِ^(١) مِنْ أُذُنِهَا ،
وَحَلَمَتْ خَوَاتِيمَ الثُّرَيَّا^(٢) مِنْ يَدَيْهَا ، ثُمَّ إِنِّهَا مَزَّقَتْ جِلْبَابَهَا ، وَهَتَكَتْ
حِجَابَهَا ، وَبَرَزَتْ لِلنَّاظِرِينَ عَجُوزاً شَمْطَاءً^(٣) ، تَرْتَعِدُ مُتَوَكِّئَةً عَلَى عَصَا
الْجُوزَاءِ^(٤) ، وَتُرَدِّدُ آخِرَ أَنْفَاسِ الْبَقَاءِ ، فَسَتَرَهَا الْفَجْرُ بِمِلَإَتِهِ الزَّرْقَاءِ ،
وَوَدَّرَجَهَا^(٥) الصُّبْحُ فِي أَرْدِيَّتِهِ الْبَيْضَاءِ ، ثُمَّ قَبَرَهَا فِي جَوْفِ الْفَضَاءِ ، وَقَامَتْ
عَلَيْهَا بَنَاتُ هَدِيلٍ^(٦) ، نَائِمَةً بِالتَّسْجِيعِ وَالتَّزْتِيلِ ، ثُمَّ انْقَلَبَ الْمَأْتَمُ فِي الْحَالِ
عُرْسَ اجْتِلَاءٍ ، وَتَبَدَّلَ النَّحِيبُ بِالْغِنَاءِ ، لِإِشْرَاقِ عُرُوسِ النَّهَارِ ، وَإِسْفَارِ
هَلِيكَةِ الْبَدُورِ وَالْأَقْتَارِ .

وقال في وصف الأهرام :

وَقَفْنَا هُنَاكَ مَوْقِفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، قُبَالَةَ ذَلِكَ الْعَلَمِ^(٧) الَّذِي يَطَاوِلُ
الرُّوَابِيَّ وَالْأَعْلَامِ ، وَالْهَضْبَةَ الَّتِي تَعْلُو الْمِضَابَ وَالْأَكَامَ^(٨) ، وَالْبَنِيَّةَ^(٩) الَّتِي
تَشْرِفُ عَلَى رَضْوَى وَشَمَامِ^(١٠) ، وَتُبْلِي بِبَقَائِهَا جَدَّةَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَتَطْوِي تَحْتَ
ظِلَالِهَا أَقْوَاماً بَعْدَ أَقْوَامٍ ، وَتُفْنِي بِدَوَامِهَا أَعْمَارَ السِّنِينَ وَالْأَيَّامِ ، خَلَقَتْ
ثِيَابُ الدَّهْرِ وَهِيَ فِي ثَوْبِهَا الْقَشِيبِ ، وَشَابَتْ الْقُرُونُ وَأَخْطَأَ قَرْنُهَا وَخَطُ
الْمَشِيبِ ، مَا بَرِحَتْ ثَابِتَةً تُنَاطِحُ مَوَاقِعَ النُّجُومِ ، وَتَسْخَرُ بِثَوَاقِبِ الشُّهُبِ

(١) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالى ، يهتدى بهما فى الليل ، وقد شبههما بالقرط
فى أذن المرأة .

(٢) مجموع كواكب .

(٣) الجوزاء : برج فى السماء .

(٤) بنات هديل : الحمام .

(٥) الأكام : جم أكمة ، وهى التل .

(٦) رضى وشمام : جبلان .

(٧) مشى البياض فى شعرها .

(٨) درجها : طولها .

(٩) قبالة : أمام وتجاه . والعلم : الجبل .

(١٠) البنية : البناء .

وَالرُّجُومَ ، وَتَحَدَّثَ حَدِيثَ الْمَشَاهِدَةِ وَالْعَيَانِ ، مَا تَعَاقَبَ الْفَتَيَانُ ^(١) ، وَتَنَاقَبَ
الْمَلَوَانِ عَنْ قُدْرَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ ، فِي بَدَائِعِ الصَّنْعِ وَالْإِتْقَانِ وَتُنْبِي
عَنْ قُوَّةِ هَذَا الضَّعِيفِ الضَّئِيلِ ، فِي إِقَامَةِ مِثْلِ هَذَا الْأَثَرِ الْجَلِيلِ ، وَكَيْفَ
لِهَذَا الْفَانِ الْبَائِدِ ، أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا الْبَاقِي الْخَالِدِ - وَجَلَّ صُنْعُ
الْقَدِيرِ الْخَالِقِ ، فِي تَصْوِيرِ هَذَا الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ مَصْدَرًا
لِلْأَعْمَالِ الْمُتَنَافِضَةِ ، وَالْأَفْعَالِ الْمُتَغَايِرَةِ الْمُتَعَارِضَةِ ، فَبَيْنَمَا تَرَاهُ يَصْعَدُ إِلَى
أَجْرَامِ السَّمَاءِ وَعَوَالِمِهَا ، وَيَبْحَثُ بِفِكْرِهِ فِي رُسُومِهَا ، وَمَعَالِمِهَا ، وَيَسِيرُ
بِعِلْمِهِ فِي أَنْحَاءِهَا وَمَنَاكِبِهَا ، وَيَهْتَدِي لِحَسَابِ أَقْصَارِهَا وَكَوَاكِبِهَا ، إِذْ تَرَاهُ
يَعْتُرُ عَثْرَةً بِرَجْلِهِ ، فَيَكُونُ فِيهَا مُنْتَهَى أَجَلِهِ ، أَوْ يَكْبُؤُ فِي طَرِيقِهِ ،
فَيَغْصُ بِرِيقِهِ . ذَاكَ الَّذِي كَبُرَ وَصْفُهُ ، وَعَظُمَ وَحَقُّهُ ، وَعَزَّ وَذَلُّهُ ، وَكَثُرَ
وَقَلُّهُ ، وَصَعِدَ وَهَبَطَ ، وَعَلَا وَسَقَطَ ، وَصَلَحَ وَفَسَدَ ، وَعَرَفَ وَجَحَدَ ،
وَسَعَدَ وَشَقِيَ ، وَفَنِيَ وَبَقِيَ ، وَسُبْحَانَ الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ .

٢١ - مصطفى صادق الرافعي ^(٢)

قال يصف البلاغة النبوية :

هَذِهِ الْبَلَاغَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي سَجَدَتْ الْأَفْكَارُ لِآيَاتِهَا ، وَحَسَرَتْ ^(٣)

(١) الفتیان والمولان . الليل والنهار .

(٢) عني في مطلع حياته بالشعر ، فأخرج ديواناً في ثلاثة أجزاء ، ثم تجرد للنثر ، فأجاد فيه ، وترك
النظم إلا في النادر وهو قدي لتوليد المعاني ، بالنم التجويد للألغاز ، واسع الاطلاع على الأدب العربي ،
وقد كان شديد الغيرة على العروبة ، وكان يكثر من المجازات والتشبيهات ، ويتخير من الألغاز الجزل
والفخم . توفي سنة ١٩٣٧ م .

(٣) حسرت القول : ارتدت ونجاسات .

الْعُقُولُ دُونَ غَايَاتِهَا . لَمْ تُصْنَعْ ، وَهِيَ مِنَ الْإِحْكَامِ كَأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ ، وَلَمْ يُتَكَلَّفْ لَهَا ، وَهِيَ عَلَى الشَّهْوَةِ بِعِيدَةٍ مَمْنُوعَةٍ ^(١) .

أَلْفَافُ النُّبُوَّةِ يَعْمُرُهَا قَلْبٌ مُتَّصِلٌ بِجَلَالِ خَالِقِهِ ، وَيَصْقُلُهَا لِسَانٌ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ بِحَقَائِقِهِ ، فَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَحْيِ ، وَلَكِنَّهَا جَاءَتْ مِنْ سَبِيلِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْهُ دَلِيلٌ ، فَقَدْ كَانَتْ هِيَ مِنْ دَلِيلِهِ .

مُحْكَمَةُ الْفُضُولِ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عُرْوَةٌ مَفْضُولَةٌ ، مَحْذُوفَةٌ الْفُضُولِ .
حَتَّى لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ مَفْضُولَةٌ .

وَكَأَنَّمَا هِيَ فِي اخْتِصَارِهَا وَإِفَادَتِهَا ، نَبْضُ قَلْبٍ يَتَكَلَّمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي سُموها وإِجَادَتِهَا ، مَظْهَرٌ مِنْ خَوَاطِرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إِنْ خَرَجَتْ فِي الْمَوْعِظَةِ ، قُلْتُ : أَنِينُ مِنْ فُؤَادٍ مَقْرُوحٍ ، وَإِنْ رَأَيْتُ بِالْحِكْمَةِ ، قُلْتُ : صُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ مِنَ الرُّوحِ فِي مَنْزِعٍ ^(٢) يَلِينُ فَيَنْفِرُ بِالْدموعِ ، وَيَشْتَدُّ ^(٣) ، فَيَنْزُو ^(٤) بِالْدماءِ .

وَإِذَا أَرَاكَ الْقُرْآنُ أَنَّ خِطَابُ السَّمَاءِ لِلْأَرْضِ ، أَرَاكَ هَذَا أَنَّ كَلَامَ الْأَرْضِ بِهَذَا السَّمَاءِ .

(١) أى تمتنع على من يحاول محاكمتها .

(٢) منزع — هنا — : أسلوب .

(٣) ينفر بها : يندفعها

(٤) ينزو : يثب .

(ب) الشعر

١ - الخشاب^(١)

كتب على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدٍ خَذَنْ الْمَعَالِي وَالسَّرَى الْأُنْجَدِ^(٢)
وَالْحَازِقِ الْفَطْنِ اللَّيْبِ أَخِي الذَّكَاءِ وَاللَّوْذَعِي الْأَلْمَعِي الْأَوْحَدِ^(٣)
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ فِي الْقَرِيضِ مَذَاهِبًا ذَهَبْتَ بِشِعْرِكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ^(٤)

كَدَّرْتَ مِنْهُ بِمَا صَنَعْتَ مُجُورُهُ فَغَدَتَ مَشَارِعَ لَيْسَ يَنْجُوهَا صَدَى^(٥)
فَإِذَا نَظَّمْتَ فَكُنْ لِنَظْمِكَ نَاقِدًا نَقَدَ الْبَصِيرُ بِذِهْنِكَ الْمُتَوَقَّدِ
أَوْ لَا فَدَعْ تَكْلِيفَ نَفْسِكَ وَاسْتَرْخِ مَنْ قَوْلِهِمْ مَا شِعْرُهُ بِالْجَيِّدِ
وَلَيْنَ عَنُفْتُ^(٦) عَلَيْكَ فِيمَا قُلْتَهُ فَلَقَدَ بَذَلْتُ النُّصْحَ لِلْمُسْتَرْشِدِ

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد إسماعيل الخشاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد علي باشا الكبير وقد توفي سنة ١٢٣٠ هـ وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة

(٢) الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب ، والسرى : السيد الشريف السخي .

(٣) اللوذعي : الذكي الذهن . والألمعي : الذكي المتوقد الذكاء .

(٤) القرِيض : الشعر . والحَضِيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ؛ والأَوْهَد : العظيم الانخفاض والمراد أن شعره نزل إلى أسفل الدرك ، وقد صرف (مذاهب) لضرورة الشعر .

(٥) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشارع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء وينجوها يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد المعش .

(٦) عنفت : فسوت ، والمسترشد : طالب الرشده والهداية .

وقال متغزلاً :

يَا شَقِيقَ الْبَدْرِ نُورًا وَسَنَى وَأَخَا الْغُصْنِ إِذَا مَا أُنْعَطَفَا^(١)
بِأَبِي مِنْكَ جَبِينًا مُشْرِقًا لَوْ بَدَا لِلنَّيِّرِينَ أَنْكَسَفَا^(٢)
يُنْفِيتِي مِنْكَ رُضَابٌ وَرَضَا وَعَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا الْعَفَا^(٣)

٢ - الشيخ حسن العطار^(٤)

قال يتغزل :

أَعْنِ الْمَحَبَّ ثَنَّاكَ عَنْهُ وَجَبِيهِ؟ أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى الْبِعَادِ رَقِيبُهُ؟^(٥)
هَجَرَ الْكَرَى لَمَّا هَجَرَتْ وَوَاصَلَتْ هُ شُجُونُهُ وَازْدَادَ فِيكَ نَحِيبُهُ^(٦)
لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا فِي هَوَاكَ ، وَإِنَّمَا قَدْ كَانَ بِالْهَجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُهُ
أَفْقَرْتَهُ مِنْ حُسْنِ وَصْلِكَ بَعْدَ مَا جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنَسِيبُهُ^(٧)
لَوْ لَلْقَا عَطْفَتِكَ مِنْهُ شَكَايَةٌ رَقَّتْ وَدَمَعٌ طَافِحٌ شَوْبُوبُهُ^(٨)
لَرَأَيْتَ جِسْمًا كَالْخِلَالِ مِنَ الضَّنَا وَلَهَيْبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذِيْبُهُ^(٩)

(١) السنى : الرفعة أو الضوء . وانعطف : مال وانثنى .

(٢) بأبى : أفدى بأبى . والنيران : الشمس والقمر .

(٣) الرضاب (بضم الراء) : الريق المرشوف . والعفا : الهلاك .

(٤) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ،

وصار بعد محرراً للوقائع المصرية أول ظهورها . ثم صار شيخاً للأزهر الشريف . وكان على علمه شاعراً
مكاتباً بليفاً ؛ توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

(٥) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٦) الشجون جمع شجن بفتحين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد

(٧) النسيب : رقيق الشعر فى الغزل .

(٨) عطفتك : أمالك إليه وحببتك . الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شأبيب .

(٩) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التى يتخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

صِلُهُ لَتَسْتَبْقَى بِهِ الرَّمَقَ الَّذِي لَوْلَا الْأَمَانِ مَا بَقِيَ مَوْهُوبُهُ^(١)
 أَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فِيكَ تَأْسِيًا وَالصَّبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نَجِيْبُهُ^(٢)
 وَبُلِيْتُ مِنْكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَدَّدَ دَى نَحْوِ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كُرُوبُهُ^(٣)

أَفَلَا رَأَيْتَ لِعَاشِقٍ لَعَبَتْ بِهِ أَيْدَى الْمُنُونِ وَنَازَعَتْهُ خُطُوبُهُ^(٤)
 أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمَنْ عَجَبٍ تُعَذُّ ذِبُّهُ ، وَتُمْرُضُهُ وَأَنْتَ طَبِيبُهُ

وقال متغزلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْكَ يَا كُلَّ الْمُنَى بِالَّذِي تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الْفَرَامِ
 لَسْتُ أَبْنَى مِنْ زَمَانِي حَاجَةً غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا وَالسَّلَامِ

وقال يصف بركة الازبكية :

بِالْأَزْبَكِيَّةِ طَابَتْ لِي مَسَرَّاتُ وَلَدَّ لِي فِي بَدِيعِ الْأَنْسِ أَوْقَاتُ
 حَيْثُ الْمِيَاهُ بِهَا وَالْفُلُكُ سَاجِحَةٌ كَأَنَّهَا لِبُدُورِ الْحُسْنِ هَالَاتُ^(٥)

(١) الرَّمَقُ : بفتحتين بقية الحياة يقول : لأنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر ، بل استبقها بالوصل .

(٢) التَّأْسَى : التصبر والتعزى . والنَجِيبُ : البعير الكريم .

(٣) اللَاحِى : الشاتم العائب والطود بفتح الطاء وسكون الواو . الجبل العظيم . كروبه مصائبه الشديدة

(٤) رثى له : رق له وعطف عليه . المنون : الموت .

(٥) الفلك — بضم الفاء وسكون اللام : السفينة ولفظ جمعه كالقمر مفردة . والمراد بـ (الزهر)

بضم الزاى : النجوم المشرقة .

(٦) الهالات : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر .

وَالْمَاءَ حِينَ سَرَى رَطْبُ النِّسِيمِ بِهِ وَحَلَّ فِيهِ مِنَ الْأَدْوَاحِ زَهْرَاتُ^(١)
كَسَابِغَاتِ دُرُوجٍ فَوْقَهَا نُقْطُ^(٢) مِنْ فِضَّةٍ ، وَاحْمَرَّ أَرُ الْوَجْهِ طَعْنَاتُ^(٣)

٣ — السيد علي الدرويش

قال يرثي صديقه الشيخ علي الغلباني :

أَفِرُّ مِنَ الْمُخْتُومِ ، وَهُوَ مُطَارِدِي وَهَلْ أُمِلِي إِلَّا حَبَالُ الْمَصَايِدِ^(٤)
وَأَرْصُدُ أَفْقَ الْوَحْمِ وَالْأَمَلِ الشَّهَى وَرَائِدُ مَوْتٍ كَامِنٍ فِي وَرَائِدِي^(٥)
وَوَقْتُ بَأْمَالِي ، وَلَمْ تَفْ مَرَّةً وَلَا ثِقَةً لِي بِالنَّذِيرِ الْمُعَاهِدِ
فَأَسْتَبْعِدُ الْمَعْلُومَ ، وَهُوَ مُقَارِبِي وَأَسْتَقْرِبُ الْمَجْهُولَ ، وَهُوَ مُبَاعِدِي
وَمَنْ عَتَمَنِي خَلْتُ التَّجَاهُرَ خَافِيًا بَغْسُ زُيُوفٍ عَدَّهَا كُلَّ نَاقِدِ^(٦)
أَحَازِرُ مَرَأَى النَّاسِ لَا إِلَهَ فِي الْهَوَى وَعِنْدَهُمْ تَفْصِيلُ نَقْصِي وَزَائِدِي
لَأَمَارَتِي بِالسَّوِّءِ مُسْتَعْبِدٌ وَلِي مُدَاهَنَةٌ فِي اللَّهِ ، صُورَةٌ قَابِدِ^(٧)
أُبَالِغُ فِي الْإِسْرَافِ حَتَّى كَأَنِّي لَمَعَيْتُ غَدًا ، لَكِنِّي لِي حِرْصٌ خَالِدِ

(١) الأدواح : جمع دوحة بفتح الدال ، وهي الشجرة العظيمة .

(٢) الدروع : جمع درع وهي القميص من زرد الحديد يلبسه المحارب يتقي به سلاح العدو . والدروع السابغات : الطويلة الضافية . والشاعر يشبه البركة وما يعلوها من الزبد والفقايع بالدروع الضافية ترصع بالفضة ، ويشبه الورد فيها بالدم من آثار الطعنات .

(٣) هو السيد علي أفندي الدرويش بن حسن المصري ، كان أديبا شاعرا ولوعا في شعره ونثره بالحسنات البديعية للغاية القصوى وهو أبرع من علم في التواريخ الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ .

(٤) المختوم : الحادث الذي لامر من وقوعه .

(٥) ورائد موتي : وطالب موتي . ورائد : جمع وريد . وهو عرق في العنق .

(٦) عتمني : العته بفتح العين نقص العقل بلاجنون . زيوف : جمع زيف بفتح فسكون وهو الدرهم المفسوش . يقول : ومن نقص عقلي وقصور تفكيري ظننت أن الجهر بالأمور الباطلة المفسوشة التي راج غشها على الناس أمر خاف على الله .

(٧) أمارتي بالسوء : نفسي . المداينة في الله : أن تظهر له خلاف ما تبطن . يقول : لأنني مستعبد لنفسي خاضع لمبولها ولكنني أظهر خلاف ما أبطن نفاقا ومداينة ، فأظهر بصورة العابد الطائم ، على حين أجاري نفسي وأخضع لها في الخفاء .

٤ - الشيخ شهاب^(١)

قال من قصيدته التي أنشأها لتكتب حول « جامع القلعة » :

عَرُوسُ كُنُوزٍ قَدْ تَحَلَّتْ بِمَسْجِدِ	مُكَلَّلَةٌ تِيَجَانُهَا بِالزَّبَرَجَدِ
أَمِ الْجَنَّةِ الْمَبْنِي عَلَى قُصُورِهَا	بِأَنْهَاجِ يَأْقُوتٍ وَأَنْهَى زُمُرْدِ
أَمِ الْمَكْرُمَاتِ الْأَصْفِيَّةِ أَبْدَعَتْ	هَيُولَى أَعَاجِيبِ بِصُورَةِ مَسْجِدِ ^(٢)
هُوَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى تَنْزَلَ وَأَزْدَهَى	بِزُهرِ الدَّرَارِي جَامِعًا كُلَّ فَرْقَدِ
أَلَا إِنَّ تَجْدِيدَ الْعَجِيبِ مِنَ الْبِنَا	يُؤَكِّدُ تَأْسِيسَ اقْتِدَارِ الْمُجَدِّدِ
فَدَعِ قَصْرَ عُمْدَانٍ وَأَهْرَامَ هُرْمُسِ	وَإِيوانَ كِسْرَى إِنْ أَرَدْتَ لِهَيْتَدِي
وَدَعِ إِرَمًا ذَاتَ الْعِمَادِ وَنَحْوَهَا	وَعَرْشًا لِبَلْقِيسٍ كَصَرْحِ مُرَدِّ
وَدَعِ أُمُومَى الشَّامِ وَأُنْزِلْ بِمِصْرِنَا	وَبَادِرِ إِلَى هَذَا بِإِيْمَاءِ مُرْشِدِ ^(٣)
فَلَوْ عُدَّتْ فِي الْكُؤُنِ بَدْءُ بَدَائِعِ	لَكَانَ بِهِ خَتْمٌ لِدَاكِ التَّعَدُّدِ
كَأَنَّ اللَّيَالِي أُلُودَاتِ عَجَائِبَا	أَصْنَنَ بِعَقْمٍ بَعْدَ هَذَا التَّوَلَّدِ ^(٤)

(١) هو شهاب الدين محمد بن إسماعيل المسكي الأصل المصري المنشأ . كان شاعراً متأدباً موسيقياً ، اشتغل في الكتابة بالوقائع المصرية أول ظهورها مساعداً للشيخ حسن العطار ، ثم كان رئيساً لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجل مؤلفاته سفينة التي حفظت كثيراً مما كانت تنفني به العامة في عصره وقبيله . وتوفي سنة ١٢٧٥ هـ .

(٢) الأصفية : نسبة إلى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، والهيولى عند القدماء . الطينة التي خلق منها العالم .

(٣) يريد بأُمُومَى الشام : جامع دمشق العظيم .

(٤) يقول كأن الليالي التي تلد العجائب أصببت بعد بناء هذا الجامع بعقم ، فكان آخر مولود من عجائبها لروعته وإعجاز هندسته . وفي البيت إشارة لقول الشاعر القديم :
والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة

هـ — الشيخ ناصيف اليازجي^(١)

قال في الغزل :

حَوَاكَ وَقَدْ حَلَلْتَ بِكُلِّ قَلْبٍ فُؤَادُ لَمْ يُحُلَّ بِهِ سِوَاكَ
نَزَلْتَ بِهِ عَلَى طَلَلٍ تَفَانِيْ وَلَسْتَ بِمَنْ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكِي^(٢)
أَطَعْتَ الْعَاذِلِينَ بِقَتْلِ صَبٍّ يُرِيدُ الْقَتْلَ لَكِنْ عَنْ رِضَاكَ
تَعَزُّ كَرَامَةً ، وَيَهْوُونَ ذُلًّا فَتَأَنَّفُ أَنْ يَقُولَ : دَمِي فِدَاكَ

وقال :

كُفَّ عَنِّي لَا أَبَاكَ قَدْ تَبَيَّنَّا مَحَالَكَ^(٣)
قَدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكَ
قَدْ مَضَى لِي بِكَ عَصْرٌ حَامِلًا فِيهِ مَلَالَكَ
حَسْبُ قَلْبِي مِنْكَ جَوْرٌ كَادَ مِنْهُ يَتَهَالَكَ
وَكَفَانَا مَا اخْتَمَلْنَا مِنْكَ فَاسْتَدْعِ اخْتِمَالَكَ
سَتَرَى النَّادِمَ مِنَّا وَيُسِيءُ اللَّهُ فَلَاكَ

(١) هو ناصيف بن عبد الله اليازجي ، شاعر من كبار الأدباء والمفكرين ، له بحوث مختلفة في فقه اللغة وله كتاب « مجمع البحرين » ، وهو مجموعة مقامات مثل مقامات الحريري ، وكتب أخرى في النحو ، وتوفى سنة ١٢٨٧ هـ .

(٢) الطلل : الشاخص من آثار منزل قديم . يقول : نزلت بقلبي على أثر بال من شدة الوجد والوله ، تفانى فيك غراما ، ولكنك لم تبك عليه ولم ترق له ، شأن الذين يشهدون الآثار البالية فيأسفون عليها .

(٣) المحال بكسر الميم الحديعة والكيد .

وقال من قصيدة يرثي بها صديقاً له :

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْبُشْرَى بِرُؤْيَيْهِ نَجَاءَنِي غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ
إِنْ كَانَ قَدْ فَاتَ شَهْدُ الْوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لَكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرُ
أَحَبُّ شَيْءٍ لِعَيْنِي حِينَ أَذْكَرُهُ دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيْءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ
هَذَا الصَّدِيقُ الَّذِي كَانَتْ مَوَدَّتُهُ كَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ لَا يَغْتَالُهَا كَدَرُ^(١)
لَا غَرْوَ إِنْ أَحْزَنَ الزُّورَاءُ مَصْرَعُهُ مُحْزَنُهُ فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَدَرُ^(٢)

وقال يرثي صديقاً آخر له :

الْمَوْتُ يَخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِهِ مِنَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا أَعْتَدَى
قَدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةٌ مَكْنُونَةٌ كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارِي حُسَّداً
كَنَزٌ ذَخَرْنَا لَهُ لَنَا فَاغْتَالَهُ لَيْسَ الْمَنِيَّةُ خَاطِفاً مُتَمَرِّداً^(٣)

وقال يرثي طبيباً من أصدقائه :

قَدْ كَانَ فِي طَبِّهِ لِلنَّاسِ مَنَفَعَةٌ فَإِذَا أَتَى الْمَوْتُ ذَاكَ الطَّبَّ مَا نَفَعَا
وَكَانَ يُبْرِئُ مِنَ النَّاسِ الْجِرَاحَ فَهَلْ يُبْرِئِي جِرَاحَ فُؤَادٍ بَعْدَهُ أَنْصَدَعَا^(٤)
صَارَتْ إِلَى اللَّهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً جِسْمًا يُرَى فِي رَأْبِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعَا
كُلُّهُ إِلَى أَصْلِهِ قَدْ عَادَ مُنْقَلِبًا فَانْحَطَّ هَذَا وَهَذَا طَارَ مُرْتَفِعَا^(٥)

(١) يغتالها : يخالطها فيقضى عليها .

(٢) فاغتناله : فقتله خفية .

(٤) انصدع : انشق . وهذا كناية عن شدة وقع المصيبة عليه .

(٥) يقول : قد رجع جسمه وروحه إلى أصلهما بعد موته ، فالروح ارتفع إلى الله في السماء والجسم عاد إلى تراب الأرض الذي خلق منه في الأصل .

(٢) الزوراء : مدينة حلب .

٦ - السيد علي أبو النصر^(١)

قال يتحسر على فراق أحبابه :

لَقَدْ ذَهَبَ النَّوَى بِحَمِيلِ صَبْرِي وَأَوْدَعَ فِي حُشَاشَتِي الْوُلُوعَا^(٢)
وَأَلْبَسَنِي الْأَسَى خِلْعَ التَّمَنَّى وَالزَمَنِي السَّذْلَ وَالْخُضُوعَا^(٣)
وَنَارُ الشَّوْقِ أَغْرَاهَا غَرَامِي عَلَى كَبِدِي فَقَوَّمتِ الضُّلُوعَا^(٤)
وَلِي قَلْبٌ ثَقَلَبُهُ شُجُونِي وَتَمَنَعَهُ السَّكِينَةُ وَالْهَجُوعَا^(٥)
يَبِيتُ مَعَ الْأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا وَيُصْبِحُ رَاجِيًا مِنْهُمْ رُجُوعَا
يَرَى أَضْغَاثَ أَحْلَامِ الْأَمَانِي حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وُلُوعَا^(٦)
تَطُوفُ بِهِ الْحَوَادِثُ وَهُوَ لَاهٍ كَأَنَّ الْوَهْمَ أَلْبَسَهُ دُرُوعَا
وَرُبَّ مُكَابِدٍ عَانِي خُطُوبَا وَمُفْرَدٌ عَزَمِهِ عَزَّ الْجُمُوعَا^(٧)
وَقَائِلَةٌ : إِلَامَ تَحْنُ شَوْقَا إِلَى حَيٍّ أَحَلَّ بِكَ الْهُلُوعَا^(٨)

(١) هو الشريف العالم الشاعر الزجال ، أصله من منفوط بأسيوط ، درس بالأزهر وبرع في الأدب واتصل بالبيت الحديوي من عهد محمد علي باشا الكبير إلى عهد توفيق باشا وبعد شعره متوسطا ، وله ولع بالتاريخ العمري ، وقد توفي سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) النوى : البعد والفرقة ، والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع بفتح الواو : شدة العشق

(٣) الأسى : الحزن والهم . خلع : جمع خلعة بكسر فسكون ، وهي الثوب الذي يعطى منحة .

(٤) يريد أن نار الشوق لشدتها جعلت أضلاعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية .

(٥) المهجوع : النوم في الليل .

(٦) أضغاث الأحلام : المختلطة المتبسة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع ، وهو الحب .

(٧) عز الجموع : غلبها .

(٨) الحى : منازل القوم . والهلع بضم الهاء . الجزع .

فَقُلْتُ لَهَا : وَقِيَتِ الْبَاسَ ؛ إِنِّي
أَبْعَدَ فَرَاقِهِمْ تَرْتَاخُ رُوحِي
فَهُمْ رُوحِي وَرَيْحَانِي وَرَاحِي
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

نُورُ زَاهِي الرُّوضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحِ
وَنَجْمٌ تَزْدَهِي فِي أَفْقِهَا
لَا وَلَا بَلْ بَدْرٌ نَمَّ يَنْجَبِلِي
بِمُحْيَا يَزْدَرِي شَمْسَ الضُّحَى
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَتَغْزَلَا :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلَفٍ عَنِيْدٍ
بَلَّغَهُ الشَّوْقُ مَدَى الْجَهْدِ
وَاهَا عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجْدٍ

(١) البأس : الشدة . الهلوع بفتح الهاء الشديد الجزع .

(٢) تلوع : تمسها حرقه الحزن .

(٣) الراح : الحمر ، ونزوعا : ميلا .

(٤) الندامى : جمع نديم ، وهم القوم يجتمعون للشراب . الاغتباق : الشرب بالعشى . والاصطباح : الشرب في الصباح .

(٥) الحيا : الوجه . يزدري : يحتقر . تعيا : تعجز .

(٦) كلف : مشتاق .

(٧) مدى الجهد : نهاية الجهد ، يقول إن الشوق بلغ به غاية لا يستطيع احتماله بعدها :

جَارَ عَلَيْهِ حَاكِمُ الْغَرَامِ فَدَقَّ أَنْ يُدْرِكَ بِالْأَفْهَامِ^(١)
فَلَوْ أَتَاهُ طَارِقُ الْحَمَامِ لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ^(٢)
إِلَّا إِذَا صَدَّرَهُ فِي الْبُرْدِ

لَهُ اهْتِزَازٌ وَارْتِيَاخٌ وَطَرَبٌ لَوْجُهُ مِنْ أَوْرَثَةِ طَوْلِ الْكَرْبِ^(٣)
فَهَلْ سَمِعْتُمْ فِي الْأَحَادِيثِ الْعَجَبِ بَيْنَ مُنَاهِ قَرَبُ مَنْ مِنْهُ الْعَطَبِ
وَمَنْ رَأَى الْغَىَّ بِدِيلِ الرُّشْدِ

مَا الْمُذْرُ فِي الشَّلْوِ عَنْ غَزَالٍ مُنْقَطِعِ الْأَقْرَانِ وَالْأَشْكَالِ
تَسْتَخْلِفُ الشَّمْسُ لَدَى الزَّوَالِ ضِيَاءَ خَدْيِهِ عَلَى اللَّيَالِي^(٤)
فَصَارَ نُورُ الْبَدْرِ غَيْرَ مُجْدِي^(٥)

وكتب إلى بعض أصحابه :

حُرُوفٌ وَدِّيٌّ وَسَائِلٌ وَالذَّمْعُ جَارٍ وَسَائِلٌ^(٦)
وَلَوْ عَـتِيَّ وَشَجُونِي تَضِيقُ عَنْهَا الرِّسَائِلُ^(٧)

(١) الأفهام : العقول .

(٢) الحمام بكسر الحاء : الموت .

(٣) الكرب بضم ففتح : المصائب التي تكرب النفس .

(٤) نور خديه يخلف الشمس بعد المغيب فيطلع على الليالي ساطعا فينيرها .

(٥) غير مجد : غير نافع .

(٦) وسائل (الأولى) جمع وسيلة . أما الثانية فالواو حرف عطف و « سائل » اسم فاعل من :

صالح يسأل .

(٧) اللوعة : حرقه الهوى . والشجون : جمع شجن بفتحين ، وهو الهم والحزن .

لِي فِي هَوَاكُمُ غَرَامٌ - طَوْلَ الْمَدَى - غَيْرُ زَائِلٍ
 لَمَّا هَجَرْتُمُ وَبَانَتْ صَبَابَتِي لِلْمَوَازِلِ^(١)
 دَخَلْتُ دَارَ أَصْطَبَارِي خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ طَائِلِ^(٢)
 فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ : جُودِي بِالْمُرْسَلَاتِ الْهُوَامِلِ^(٣)
 وَقَدْ أَمَرْتُ يَرَاعِي نَفْطًا مَا أَنَا قَائِلِ^(٤)
 وَحُبُّكُمْ فِي ضَمِيرِي سِوَاهُ زُورٍ وَبَاطِلِ
 وَمَذْحُكُمُ - كُلَّ وَقْتٍ - فَرَائِضُ لَا نَوَافِلِ^(٥)
 وَإِنْ سَأَلْتُمْ فَإِنَّ بِشُكْرِكُمْ لَا أُمَاطِلِ^(٦)
 أَوَاخِرُ الشَّوْقِ عِنْدِي إِلَى لِقَاكُمُ أَوَائِلِ

(١) الصبابة : شدة العشق .

(٢) جعل للاصطبار داراً دخل فيها ثم خرج لم يستفد شيئاً .

(٣) المرسلات : أى الدعوى المرسلات ، أى الجاريات . والهوامل : الفائضات بالدموع .

(٤) اليراع - فى الأصل - القصب ، والمزمار ينفخ فيه راعى الإبل أو الغنم ، ثم استعير للافلام .

(٥) الفرائض : ما يجب على الإنسان القيام به حتماً ، والنوافل : ما يقوم به الإنسان طلباً للثواب وليس

محتوماً عليه فعله ، وأكثر ما تستعمل فى الصلاة .

(٦) أماطل : أتراخى وأسوف .

٧ - صفوت الساعاتي^(١)

قال رحمه الله يرث الأديب الشيخ حسن قويدر :

يَا شَمْسَ فَضْلَ فَدَّتْكَ الشُّهْبُ قَاطِبَةً إِذْ عَنكَ لَا أَنْجُمُ تُغْنِي وَلَا شُهْبُ
لَمَّا أَصَابَكَ لَا قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ سَهْمُ الْمَنِيَّةِ كَادَ الْكَوْنُ يَنْقَلِبُ
مَا حِيلَةُ الْعَبْدِ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ الْعُمْرُ يَوْهَبُ وَالْأَيَّامُ تُنْتَهَبُ
لَوْ افْتَدَتْكَ الْمَنَايَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ بِخَيْرِنَا لَفَدَّتْكَ الْعُجُمُ وَالْعَرَبُ
سَقَى ضَرِيحَكَ غَيْثُ الْعَفْوِ مَنْسَكِبًا وَلَا أَرَاتُوتُ بَعْدَكَ الْأَغْصَانُ وَالْعَذَبُ^(٢)
وَلَا اسْتَهْلَتْ عِيُونُ الْقَطْرِ بِأَكِيَّةٍ إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا الثُّوبُ^(٣)
أَمْسَتْ لِفَقْدِكَ عَيْنُ الْعِلْمِ سَائِلَةً تَرْجُو الشِّفَاءَ وَأَنْتَ يَا نَجَّحُ الْطَلَبُ^(٤)
بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ

كَأَنَّمَا نَالَهَا مِنْ حَزَنِهَا طَرَبُ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّ لَدَى نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ

(١) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا ، شاعر مصري ، ولد بالقاهرة وتعلم بها ، واتصل بشريف مكة فلزمه في بعض وقائع وصفها في شعره ، ثم استخدم في المعية ثم في مجلس أحكام الجيزة والقلوبية . واشتهر بالساعاتي لبراعته في فن الساعات ، ولكن لم يحترفه ؛ وكان حلو الحديث حسن المحاضرة ؛ مات سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) الغيث : المطر . المذهب بفتحين : الأغصان أيضاً .

(٣) القطر بفتح القاف : المطر . والثوب بضم النون وفتح الواو : المصائب وحادتها نوبة .

(٤) في هذا البيت استخدام ، فإن (سائلة) بمعنى فائضة بالدمع ، وفي قوله ترجو أعاد عليها الضمير .

بمعنى السؤال .

لَوْ كَانَ يَدْرِي فَوَّادِي يَوْمَ نَكَبْتِهِ كَانَ الْفِدَاءَ وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ
بِالرَّغْمِ مِنِّي حَيَاتِي بَعْدَ مَضْرَعِهِ سَيَّانَ فُرْقَةٍ مِّنْ أَحْبَبْتُ وَالْعَطَبُ^(١)

٨ — عبد الله باشا فكري^(٢)

كتب إلى أحمد فارس الشدياق ردًا على قصيدة له :

تَفْدِيكَ نَفْسُ شَجِّ عَلِيلِ آسِي عَزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الْآسِي^(٣)
أَضْنَاهُ طُولُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ يَحْكِي لِفَرْطِ ضَنْأِهِ ذَاوِي الْآسِ^(٤)
هَزَّتْهُ سَارِيَةُ النَّسِيمِ ، وَقَدْ جَرَتْ بِشَذَا فَرُوقَ أَرِيحَةَ الْأَنْفَاسِ^(٥)
فَكَأَنَّ فِي طَيِّ الشَّمَالِ إِذَا انْثَنَى مِنْ نَشْرِهَا طَرَبًا ، شَمُولَ الْكَاسِ^(٦)
وَكَأَنَّهَا حَمَلَتْ إِلَى رِسَالَةٍ غَرَاءَ جَاءَتْ مِنْ أَغَرِّ مُوَاسِي^(٧)
كَمَلِيحَةٍ عَذْرَاءَ وَافَتْ صَبَّهَا مِنْ بَعْدِ طَوْلِ تَعَذُّرٍ وَشَمَاسِ^(٨)
يَفْتَرُّ مَبْسُمُهَا بِحُسْنِ حَدِيثِهَا عَنْ سِحْرِ فَاتِنٍ جَفْنِهَا النَّعَاسِ^(٩)

(١) بعد مصرعه : بعد موته . العطب : الهلاك .

(٢) هو الكاتب الشاعر المترجم عبد الله باشا فكري بن محمد أفندي بليغ ، ولد بمكة ودرس بالأزهر ، وأجاد التركية والعربية ؛ وقد ترقى في المناصب حتى وصل إلى معية المغفور له سعيد باشا فإسماعيل باشا ؛ وكان يكتب عنهما مكانات كانت تعد نموذجاً متبعاً في المكانات الديوانية ، وكان كاتباً بليغاً يتأثر البديع والحوارزمي بالتزام السجع انقصر والمحسنات البديعية . وقد توفي سنة ١٣٠٧ هـ .

(٣) الشجى : المهوم ، الحزين . والآسى كذلك . عز الشيء : ندر وصعب الحصول عليه . الآسى : الطبيب .

(٤) أضناه : أسقمه وأهزله . أساه : حزنه . ذاوى : ذابل . الآس : نوع من الزهر .

(٥) الشذا : قوة طيب الرائحة . فروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية ؛ وأريحية : طيبة الريح .

(٦) الشمال : يريد بها ريح الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء الحر .

(٧) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواسى : المساعد للمعون .

(٨) صباها : عاشقها . والتعذر : التمتع . والشماس بكسر الشين : النفور والإباء .

(٩) يفتتر : ينكشف . والمبسم : الفم . والنعاس : الشديد الفتور .

تَذْنُو فَيَطْمَعُ حَاشِقِيهَا أَنْسَهَا وَيُشِيرُ عِزُّ دَلَالِهَا بِإِيَّاسٍ^(١)
أَوْ رَوْضَةٍ فَيَحْيَا حَيَّاهَا الْحَيَا مِنْ صَوْبِ مَحْلُولِ الْعُرَى رَجَّاسٍ^(٢)
وقال يتنزل :

كَتَبْتُ وَلَوْلَا دَمْعُ عَيْنِي سَائِلٌ تَلَطَّى جَوَابِي مِنْ تَلْهَبِ أَنْفَاسِي^(٣)
وَعِنْدِي مِنَ الْأَشْوَاقِ مَا لَمْ يَبْخُ بِهِ لِسَانُ يَرَّاجٍ فِي مَسَامِعِ قِرطَاسٍ^(٤)
وَلِي مِنْ تَبَارِجِ الْهَوَى وَشُجُونِهِ أَحَادِيثُ تُلْهِى الشَّرْبَ عَنْ لَذَّةِ الْكَاسِ^(٥)
وَلَوْ كُنْتُ مِنْ دَهْرِي أَنَا لَمْ مَارَبِي لَسَرْتُ لَكُمْ سَعْيَا عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّاسِ

وكتب إلى السيد عبد الهادي الأياري يعتذر عن عدم إجابة دعوة
لم تصل إليه :

يَا مَنْ بَدِيعُ حُلَاةٍ تَرَى الْبَدِيعَ وَتُنْسِي^(٦)
وَأَفْتِ عَقِيلَةَ نَظْمٍ تَتْلُو فَصَاحَةً قُسٍّ^(٧)
كَالْبَدْرِ لَاحَ سَنَاهُ مِنْ بَعْدِ مَغْرِبِ شَمْسٍ
فَغَادَرْتَنِي صَرِيحًا نَشْوَانَ مِنْ غَيْرِ كَأْسٍ

- (١) الإيَّاس : اليأس . أى ييأس من أن توصلهم .
(٢) الحيا : المطر . ويريد محلول العرى : المطر التزير الذى لا يحجبه شئ . والرجاس :
الشديد الصوت .
(٣) تلطى : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التى ضمنها خطابه .
(٤) البراج : يريد القلم . والقرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها .
(٥) تبارج الهوى : حرقته . والشجون جمع شجن بفتح الشين والجيم : وهو الهم والحزن .
والشرب بفتح الشين : الشاربون .
(٦) البديع فى الشطر الثانى هو بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات المشهورة والأسلوب المسجع ،
من كتاب القرن الرابع الهجرى .
(٧) قس بن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى .

فَمَنْ بِالْعَفْوِ إِنِّي مِنْهُ عَلَى غَيْرِ يَأْسٍ
وَإِنْ عَتَبْتَ فَخَيٌّ وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي

٩ - الشيخ علي الليثي^(١)

قال يرثي محمود باشا الفلكي وقد صادف أن تهاوت نيازك ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَّازِكَ عَنْ سَامٍ مِنَ الْفَلَكَ مَذْعُورَةً أَصْبَحَتْ تَصْبُو إِلَى الدَّرَكِ^(٢)
كَالطَّيْرِ فَاجَأَهَا الْبَازِي وَأَذْهَلَهَا فَا كَتِ الْبَرْقَ وَانْقَضَّتْ عَنِ الْحُبِّكَ^(٣)
نَعَمْتُ إِلَيْنَا الرَّئِيسَ الْجُهَيْذِيَّ ، وَقَدْ قَالَتْ تَعَزَّوْا فَمَا حَيٌّ بِمُتَّرِكِ^(٤)
يَا نَفْسُ هَذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا أَبْقَى فُوَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِكِ
أَلَيْسَ نَسْرُ سَمَاءِ الْعِلْمِ قَدْ عَلِقَتْ كَفُ الْمُنُونِ بِهِ فَا نَحَازَ فِي الشَّرِّكَ^(٥)
الصَّبْرَ يَا نَفْسُ ، وَأَسْتَبْقِي مَنَايِحَهُ أَوْ فَالَتَّ صَبْرَ إِنْ تَبَغَى الْهُدَى فَلَكَ^(٦)
حَلَّ الْقَضَاءِ وَنَاعَى الْمَجْدِ أَرْخَنَا قَدْ مَاتَ مُحَمَّدُ بَاشَا الْمَسْنَدُ الْفَلَكَ

١٣٠٣ ١٠٤ ٤٤ ٩٨ ٣٠٤ ١٨٥ ١٧١

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المنادر ، شاعر الخديو إسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار في معية إسماعيل باشا ؛ ولما خلقه توفيق أبقي عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط ؛ وتوفي سنة ١٣١٣ هـ .

(٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون : شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة ؛ والدرك : أسفل السفلى .

(٣) البازي : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء .

(٤) الجهيز : الناقد العارف بتميز الجيد من الرديء ؛ ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك

(٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبال الصائد .

(٦) المنايح : يريد بها جمع مناحة ، وهي موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال في عقب الثورة العرابية (من قصيدة طويلة) :

كُلُّ حَالٍ لِيُضِدَّهُ يَتَحَوَّلُ فَالزِمِ الصَّبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمُعْوَلُ^(١)
يَا فُؤَادِي اسْتَخِرْ فَمَا الشَّأْنُ إِلَّا مَا بِهِ مَظْهَرُ الْقَضَاءِ تَنْزَلُ
رُبَّ سَاعٍ لِحَتْفِهِ وَهُوَ يَمِينُ ظَنَّنَا بِالسَّعْيِ لِلْعُمَلَا يَتَوَصَّلُ^(٢)
قَدَرُ غَالِبٍ وَسِرُّ الْخَفَايَا فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيبِ مَهْمَا تَكْمَلُ
غَايَةُ الْعَقْلِ حَسْرَةٌ وَعِقَالُ وَاللَّيْبُ الذَّكِيُّ مَنْ قَدْ تَأَمَّلُ
كَيْفَ نَنَسَى وَحَادِثَاتُ اللَّيَالِي فَاجَأَتْنَا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَلُ
أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وَغَالَتْ نَفِيسًا وَذَوَى مَرْبَعِ الْخُطُوطِ وَأَتَحَمَلُ^(٣)
وَإِذَا الْمَرْءُ كَانَ بِالْوَهْمِ يَنِينِي فَخَيَالُ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَثَّلُ
وَنَحْ قَوْمٍ سَمِعُوا لِإِذْرَاكِ أَمْرِ دُونَ إِذْرَاكِ الْجِبَالِ تُزَلْزَلُ
مَا أَصْرُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَضْرُّوا بِأَنَاسٍ مِنْ نَابِهِ أَوْ مُعْفَلُ^(٤)
ذَاكَ يَسْمَعِي عَلَى التَّقِيَّةِ خَوْفًا وَسِوَاهُ يَسْمَعِي لِكَيْمَا يُجَمَلُ
لَوْ أَصَابُوا الرَّشَادَ عِنْدَ ابْتِدَائِهِ كَانَتْ الْغَايَةُ الْجَمِيلَةُ أَمَثَلُ

(١) عليه المعول : عليه المعتمد في الشدة .

(٢) الحنف : الهلاك .

(٣) أحمل : أجذب . يريد أن حادِثات الثورة أضاعت الأرواح والنفائس من مال ومتاع « وأصبحت الخطوط لا يرجى منها خير ولا أمل .

(٤) أصرروا عليه : عزموا وثبتوا على عزمهم .

(٥) التقية : التقى : وهو الخشية والحذر .

وقال يصف السفينة وهو عائد من برلين :

أَصْبَحَ الْوَقْتُ بِاسْمَا بِالشُّرُورِ كَأَنِّي سَامَ الرَّيِّعِ وَقْتَ الزُّهُورِ
أَيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبْعٍ لَطِيفًا كَيْ نُدِيرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ الْخُمُورِ
فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ نُحْسِنُ وَصْفًا حَيْثُ يَجْرِي عَلَى صَفَاءِ الْبُحُورِ
وَتَرَاهُ يَخْتَالُ وَهُوَ مَعْنَى وَيَنْحَهُ كَمْ يَجْرُ ذَيْلُ الْفُخُورِ^(١)
ذَيْلُهُ يَرْسُمُ الْمَجْرَةَ مُجْبَا بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مِثْلَ الْبُدُورِ^(٢)

١٠ — السيد عبد الله نديم^(٣)

قال يتنزل :

سَلَوْهُ عَنِ الْأَرْوَاحِ فَهِيَ مَلَاعِبُهُ وَكُفُّوا إِذَا سَلَ الْمُهَنْدَ حَاجِبُهُ
وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَعْرِهِ وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْكُمْ عَقَارِبُهُ^(٤)
وَلَا تَذْكُرُوا الْأَشْبَاحَ ؛ بِاللَّهِ ؛ عِنْدَهُ فَلَوْ أَتَلَفَ الْأَرْوَاحَ مَنْ ذَا يُطَالِبُهُ
أَرَاهُ بِعَيْنِي وَالْذُّمُوعُ تَكَاتِبُهُ وَيُخَجَّبُ عَنِّي وَالْفُؤَادُ يُرَاقِبُهُ

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : المتعب المكدود . وويحه : رحمة له .
والفخور بفتح الفاء : الكثير التفاخر .

(٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، بل يراها كبقعة بيضاء .
(٣) يعد السيد عبد الله نديم في مقدمة الخطباء العراقيين ، وكان لا يجارى في سرعة البديهة وشدة
التأثير في سامعيه بالعامة وغيرها ، وبعد متأثراً بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك
شعر ونثر جيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦ م .

(٤) الأراقم : أحببت الحيات ، واحدها أرقم ، والعقارب هنا شعر الأصداف ، شبه بها لانمطافه ،
كأذاها على العين .

فَهَلْ حَاجَةٌ تُدْنِي الْحَبِيبَ لِسَبِّهِ سَوَى زَفْرَةٍ تَنْفِي الْحُشَا وَتُجَاذِبُهُ ؟
فَلَا أَنَا مِمَّنْ يَتَّقِيهِ حَبِيبُهُ وَلَا أَنَا مِمَّنْ بِالصُّدُودِ يُعَاتِبُهُ
فَلَوْ أَنَّ طَرْفِي أَرْسَلَ الدَّمْعَ مَرَّةً سَفِيرًا لِقَلْبِي مَا تَوَالَتْ كِتَابَتُهُ (١)

١١ - الشيخ نجيب الحداد (٢)

وقال الشيخ نجيب الحداد يمدح مصر والمصريين :

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ رُكَامٍ (٣)
بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ الَّذِي يَهْمِي ، فَإِنَّ النَّيْلَ فِيكَ غَمَامٍ (٤)
نَهْرٌ تَبَارَكَ مَآوُهُ ، فَتَكَادُ أَنْ تَمْحَى بِطُحْمٍ مِيَاهِهِ الْآثَامُ (٥)
وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلِيلُ زُلَالَهُ يَشْفَى الْعَلِيلُ وَتَذْهَبُ الْأَسْقَامُ (٦)
يُخَيِّبُ الْبِلَادَ بِمَائِهِ ، فَكَأَنَّهُ الْـرَّوْحُ الَّتِي تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَامُ (٧)

-
- (١) الكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهي القطعة من الجيش .
(٢) نشأ الشيخ نجيب الحداد نشأة أدبية ، فصار شاعراً رقيقاً وكاتباً بليغاً له روايات شتى تأليفها وترجمة . توفي سنة ١٨٩٩ م .
(٣) وسقاك : الخير هنا للدعاء ، فهو يتمنى لأرض مصر الرى والسقيا من الغمام . صوب الغمام : تزوله ، والغمام : السحاب والركام (بضم الراء) : المتراكم بعضه فوق بعض .
(٤) الغانية : الغنية بحسنها وجلالها عن الزينة ، أو ذات المال الذى تستغنى به عن الغير . والمراد هنا أنها غنية بوفر مائها الذى يتدفق من النيل عن المطر . ويهمى : يسقط غزيراً .
(٥) تبارك مآؤه : خصه الله بالبركة والخير . تمحى : تزال . الآثام : الذنوب .
(٦) رشف : امتص الماء بشفتيه قليلاً قليلاً . والعليل : المريض . والماء الزلال (بضم الزاى) : العذب الصافى .
(٧) يحيى البلاد : يبعث الحياة فى أهلها وزرعها وطيرها وسائر مائها الذى لا ينقطع .
والروح : سر الحياة فى الجسم . يريد أن النيل روح مصر وسر حياتها ، ولولاه لأصبحت صحراء يابسة .

إِنَّ شَابَهُ كَدَّرَ فِي أَكْدَارِهِ صَفَوْهُ وَفِي فَيْضَانِهِ لِنَعَامٍ^(١)
 أَرْضُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ فِي أَرْجَائِهَا عِلْمٌ فَإِنَّ كِرَامَهَا أَغْلَامٌ^(٢)
 لَبِسَتْ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ مَطَارِفًا وَلَهَا مِنَ الْمَجْدِ الطَّرِيفِ وَسَامٌ^(٣)
 وَتَعَانَقَتْ وَالْفَخْرَ مِنْ قَدِيمٍ كَمَا قَدْ عَانَقَتْ أَلِفَ الْكِتَابَةِ لَامٌ^(٤)
 تَجَدُّ بِهِ هَرَمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ غَضًا وَقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الْأَهْرَامُ^(٥)
 هَرَمَانِ زَانَا صَدَرَ مَصْرَ فَأَشْبَهَا نَهْدَيْنِ زَانَهُمَا سَنَى وَتَمَامٌ^(٦)
 نَهْدَانِ كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا إِنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مَصْرَ غُلَامٌ^(٧)
 أَرْضُ الْفَرَاعِنَةِ الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا فِي الدَّهْرِ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ
 بُنْيَانُ عَزٍّ فِي الشُّطُورِ مُخَلَّدٌ وَبِنَاءُ تَجْدٍ فِي الصُّخُورِ يُقَامُ

(١) شابه : خالطه . ويريد بأكداره ما يحمله من الغرين (العلمى) إبان الفيضان ، فإن فيه زيادة في خصب الأرض ونماؤها : وهذا ما عبر عنه بالصفو ليقابل به الأكدار . إنعام : أى وفي فيضانه نعمة وخير للوطن .

(٢) العلم بفتحيتين : الجبل الطويل . والأعلام : جمع علم بفتحيتين وهو سيد القوم . يريد أن مصر إذا خلت أرضها من الجبال الضخمة العظيمة فإن فيها السادة العظماء من رجالها .

(٣) التلید : القديم . المطارف : جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء ، وهو الثوب من الحرير . والطريف : الجديد . والوسام شارة الفخر . وقد صرف (مطارف) لضرورة الشعر .

(٤) يريد أن الفخر لازمها من قديم الزمان لما فاض به تاريخها من حضارة سبقت بها الأمم .

(٥) هرم : شاب وكبرت سنه . غضا : ناضراً . والمراد أن مجد مصر مرت عليه الأزمان الطويلة فأهرمها وهو ما زال في عنفوان شبابه ونضرتة .

(٦) النهدي (بفتح النون) : الندى وجمعه نهود . والسنى (بفتح السين والنون) : الضوء . والتام (بتثنية التاء) : الكمال .

(٧) يقول إن هرمى مصر كانا في العصور الغابرة بمثابة نهدين يرضع منهما الزمن . يكفى بذلك عما كانت عليه مصر من حضارة وعظمة في الوقت الذى كان فيه العالم كالطفل لجهالة وتأخره .

لَا بَدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَا تَرَاهُمْ فَقَدْ بَقِيَتْ جُسُومُهُمْ وَهُنَّ رِمَامٌ^(١)

١٢ - مصطفى بك نجيب^(٢)

قال يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَّعَنَا أَخٌ كَرِيمٌ حَسَبًا وَحَاتَمِي مَحْتَدًا وَنَسَبًا^(٣)
بِسَاعَةٍ مِنْ خَيْرِ مَا قَدْ جَلَبَا مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنٌ لَهَا مُضْطَرَبًا^(٤)
تَمَشَى مَعَ الزَّمَانِ سَيْرًا عَجَبًا لَا تُخْطِئُ الْوَقْتَ وَلَوْ تَذَبَّدَا^(٥)
كَأَنَّ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسَبًا وَبَذْكَاءٍ لُحْمَةً وَنَسَبًا^(٦)
حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَا وَرَامَتْ الشَّمْسُ لَهَا مُنْقَلَبًا^(٧)
رَأَيْتَ فِيهَا الْعَقْرَبَيْنِ عَقْرَبَا

(١) لا بدع : لا غرابة ولا عجب . رمام : جمع رمة بكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وهي الجسم البالي . يقول لا غرابة في بقاء آثارهم من أهرامات ومعابد ، فهذه جسومهم وهي رهن البلى ، ما زالت باقية لم تندثر بفضل نبوغهم وتقدمهم في فن التحنيط .

(٢) هو ابن محمد نجيب ، أديب إداري ، وكاتب شاعر مقل ، صاحب كتاب (حماة الإسلام) ؟ ومقالات (أحلام الأحلام) ؟ توفي سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) حاتمي : نسبة إلى (حاتم الطائي) الذي ضرب به المثل في الكرم ، وهو من أجواد العرب . والاحتد : الأصل .

(٤) مضطربا : تقدما أو تأخرا عن السير الطبيعي للزمن .

(٥) تذبذب : اضطرب وخرج عن حركته الطبيعية في السير .

(٦) ذكاء (بضم الذال) : الشمس ، ولحمة (بضم اللام) : قرابة .

(٧) وقت الزوال : هو الوقت الذي يزول فيه الظل حين تصل الشمس إلى كبد السماء ، أي في

الساعة الثانية عشر تماما .

وكتب على يد مروحة :

إِذَا يَدٌ لَعِبَتْ بِي قَابَلَتْهَا بِهَوَاهَا
مَزَجْتُ لُطْفَ نَسِيمِي بِلُطْفِ رِيَّا مُنَاهَا^(١)
فَزَادَهَا الرِّيحَ وَجْدًا وَزَادَهَا الْوَجْدُ آهًا^(٢)
جَاءَتْ لِتَبْرُدَ شَوْقًا فَزِدْتُ مِنْهَا جَوَاهَا^(٣)

١٣ — محمود باشا سامى البارودى^(٤)

قال فى الفخر وهو من قصيدة طويلة :

سِوَايَ بَتَحْنَانَ الْأَغَارِيدِ يَطْرُبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ^(٥)
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّهُ وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْبِرَاعُ الْمُتَقَبُّ^(٦)
وَلَكِنْ أَخُوهُمْ إِذَا مَا تَرَجَّجَتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعَلَا رَاحَ يَدَابُ^(٧)

(١) الريا : (بفتح الراء وتشديد الياء) الريح الطيبة ، كأنما رويت من الطيب والعطور فى مسراها مؤثت ريان . والمنى : جمع منية بضم الميم وتسكين النون ، وهى ما تتمناه النفس من خير .

(٢) وجداً : صباية وشوقاً . وآها : تأوها من فرط الحنين .

(٣) لتبرد لتلتبس برداً من شدة حرارتها . والجوى شدة الوجد .

(٤) هو محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى . أحد زعماء الثورة العراقية ؛ ولد سنة ١٢٥٦ هـ . وتعلم بالمدرسة الحربية ، وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظائر قبيل الثورة العراقية ، ونفى بعدها إلى سراديب ، ثم عاد إلى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى فى نشأته الأدبية الشاعرة ، يعد شعره صورة مقاربة للفحول السابقين : جزل الأسلوب ضخمة المعانى ، متنوع الفنون له ديوان ومختارات .

(٥) التحنان بفتح التاء : الحنين . والأغاريد : جمع أغرودة بضم الهمزة ، غناء الطائر . ويعجب بالسمى بالبناء للجهول : يسر منه .

(٦) يريد بسمعيه أذنيه . والبراع : القصب الذى يزمر به الراعى ، واحدته يراعة . والمتقب : ذو الثقب التى تعين النافخ على الصفير ، وتنوع الألحان .

(٧) الهم — هنا : الهممة . وترججت به : مات به ، ويريد بالسورة النزعة القوية .

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسُ أَبِيَّةٍ^(١) لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبٌ^(٢)
وَمَنْ تَكُنْ الْعَلِيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبٌّ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَّيْ خَالٌ وَلَا ضَمْنِي أَب

خُلِقْتُ عِيُوفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ^(٣) عَلَى يَدَا أُغْضَى لَهَا حِينَ يَغْضَبُ^(٤)
فَلَسْتُ لِأَمْرِ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعًا^(٥) وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أُنْتَبَّ^(٦)
أَسِيرٌ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ^(٧) لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ^(٨)
وَأَنَّى إِذَا مَا الشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ^(٩) وَأَمْسَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرِي تَشَعَّبُ^(١٠)
صَدَعْتُ حَفَافِي طُرَّتِيهِ بِكُوكَبٍ^(١١) مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمَغِيبُ^(١٢)

وقال يتشوق وهو في المنفى :

رُدُّوا عَلَى الصَّبَا مِنْ عَصْرِي الْخَالِي^(١٣) وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللَّيْمَةِ الْبَالِي^(١٤)
لَمْ يَدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَدَّتِهِ^(١٥) أَنِّي بِنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي^(١٦)

- (١) الأسنة : جهم سنان ، وهو نصل الرمح .
(٢) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة . أغضى لها : أطبق جفني ذلا وندما .
(٣) أنتب : أغضب .
(٤) المذهب : الطريقة .
(٥) الأحلام : العقول . وتشعب أى تختلف وتنفرد .
(٦) حفافا الشيء : جانباه . الطرة : الناصية ، يقول لأنه إذا أشكل الأمر وتحيث فيه العقول أناره رأى كالكوكب في وضوحه وإشراقه .
(٧) اليممة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، هو يريد شعر الرأس على الإطلاق ، ويريد بالبالي الذي تغير لونه فيبيضه المشيب .
(٨) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم ، وصلى بها فهو صال : فاسى حرها أو احترق بها .

يا غاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى عِدَّةٍ بِالْوَصْلِ يَوْمٌ أَنْأَغَى فِيهِ إِقْبَالِي^(١)
 غِبْتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ^(٢)
 فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِي طَوْعُ الْقِيَادِ وَلَا قَلْبِي إِلَى زَمْزَمَةِ الدُّنْيَا بِمَيَّالِ^(٣)
 أَيْتُ مُنْفَرِدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِثْلَ الْقَطَايِ فَوْقَ الْمَرْبِإِ الْعَالِي^(٤)

وقال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي سَرْحَةَ الْوَادِي طَاحَ الرَّدَى بِشَهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي^(٥)
 مَاتَ الَّذِي تَرَهَّبُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ وَيَتَّقِي بِأَسَهُ الضَّرْعَامَةَ الْعَادِي^(٦)
 مَضَى وَخَلَّفَنِي فِي سِنٍّ سَابِعَةٍ لَا يَرْهَبُ الْخَضَمُ لِبَرَاقِي وَإِرْعَادِي^(٧)
 فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ آصِرَتِي فَهَئِنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِي^(٨)

(١) العدة بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وأنأغى العصى : كلمه بما يعجبه ويسره .

(٢) الإجمال : الإحسان .

(٣) الرسن بفتح السين : الحبل الذي تقاد به الدابة .

(٤) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع . والقطاي بفتح القاف وضمها : العقر . والمربأ : المكان الذي

يقف فيه من يرقب .

(٥) السرحة بفتح السين : الشجرة العظيمة يستظل فيها . والمراد : يحمي حرمة . وطاح به : أهلكه

والردى بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب ، يريد أنه كان كالكوكب في انقضاضه على عاريه ، كما كان في مجتمع القوم زينتهم كالكوكب أيضا في تألقه .

(٦) الأقران : جمع قرن بكسر القاف ، وهو المناظر في الشجاعة وغيرها . صولته : سطوته وبطشه .

في النضال . والضرعامة : الأسد . والعمادي : الصائل .

(٧) إبراق وإرعادي : تهديدي ووعيدي .

(٨) يريد بأصرته : أهل قرابته ومودته .

ومن قصيدة له يرثى بها زوجته ، وقد ماتت في مصر وهو لا يزال في منفاه :

لَا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفَوَادَ ، وَلَا يَدِي تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي ^(١)
يَا دَهْرُ ! فِيمَ جَمَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ كَانَتْ خُلَاصَةً عِدَّتِي وَعَتَادِي ^(٢)
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ صَنَايَ لِبُعْدِهَا أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي ^(٣)
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى رَغَى التَّجَلُّدَ ، وَهُوَ غَيْرُ جَمَادٍ ^(٤)
هَيْهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي أَسْفًا لِبُعْدِكَ ، أَوْ يَلِينَ مِهَادِي ^(٥)
وَلَهَى عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي وَالذَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لِيُوسَادِي ^(٦)
فَإِذَا أَنْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي ^(٧)

وقال يصف الحرب :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا وَدَارَتْ ، كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ ^(٨)
وَزَيْنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالْأَتَهَبَ الضَّرْبُ

(١) اللوعة : ألم الفراق ، والغادى : الذاهب ، من غدا يشدو إذا ذهب في الصباح ، والمراد هنا من الغادى : الزاهب عن الدنيا .

(٢) العدة ، والعتاد : ما يعد المرء لشأنه ، يريد أنها كانت سنده في الحياة وعونه .

(٣) الصنا : الضعف والسقم ، والأسى : الحزن .

(٤) سامه الأمر : كلفه إياه ، والرعى : المراعاة .

(٥) تفر : تهادى ، والجوانح : الأضلاع ، مفردها : جانحة ، والمهاد : الفراش .

(٦) الوله : أشد الحزن ، والمسيرة : السير ، والمراد بها هنا العمر والحياة ، أى أن حزنه سيصاحب أيام حياته ، والوساد : المخدة والمتكأ .

(٧) انتبهت : استيقظت ، والذكرة : الذكر ، وأويت : دخلت فراشي ، والزاد : ما يتزود به .

(٨) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً للقتال ، والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح ، وشبه الحرب بالرحى فى دورانها على قطبها .

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءَ كَأَنَّا
صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاوُهَا
سُقَيْنَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرِبُ^(١)
وَأِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَ بِالْخَطْبِ^(٢)

وقال يصف الفراق :

مَحَا الْبَيْنَ مَا أَبْقَتْ عُمُونَ الْمَهَامِي
عَنَاءٍ وَيَأْسٍ وَاشْتِيَاقٍ وَغُرْبَةٍ
فَإِنْ أَكْ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا
بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ
فَهَلْ مِنْ فَتًى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلْتُ
أَهْبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِي
وَشَبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سِنِّي^(٣)
أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنٍ^(٤)
فَوَادُ أَضَلَّتْهُ عُمُونَ الْمَهَامِي عَنِّي^(٥)
فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدَارُ فِي شَرِكِ الْحُسْنِ^(٦)
فَلَيْسَ كَلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَعْنٍ
مَدَامُعْنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمَزْنِ^(٧)
وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ^(٨)

(١) العرب بفتح الشين : الشاربون .

(٢) تجلت سماؤها : يريد ذهب شدتها ، وصبور : كثير الصبر ، وألم بتشديد الميم : نزل ، والخطب : القدة والأمر العظيم .

(٣) البين : البعد والفرقة ، والمهامي : جمع مهامة ، وهي البقرة الوحشية يضرب بها المثل في جهالة العميون ، واللبانة : الحاجة في غير فاقة ، والسن : العمر ، ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومرح .

(٤) العناء : التعب والمشقة ، وألا شد : ما أشد ، والغبن : يريد به الظلم .

(٥) أضلته : يريد شغلته .

(٦) النوى : البعد ، وإثر لحظة : عقب لحظة ، واللحظة : النظرة بمؤخر العين ، والمقدار : قدر الله ، والشرك : حيلة الصيد .

(٧) أسبلت الدموع : أرسلت وهملت ، والترائب : جمع تريبة ، وهي عظمة الصدر ، والمراد بها هنا الصدر ، والمزن : المطر .

(٨) أهاب به : دعاه ، وعزني : غلبني ، والحلم : العقل ، ويثوب : يرجع ، ويغني : يفيد .

وَمَا هِيَ إِلَّا خَطَرَةٌ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ
فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفَرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظَى
وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ
وَلَكِنِّي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّني
وَلَوْلَا بُنْيَاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلُ
بِنَاعِنِ شُطُوطِ الْحَى أَجْنَحَةُ السُّفْنِ^(١)
وَكَمْ مُقْلَةٍ مِنْ غَزَرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ^(٢)
فَلَمَّا دَهْتَنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الْحُزْنِ^(٣)
إِلَى الْحُزْمِ رَأَى لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ^(٤)
لَمَّا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتِ سِنِّي^(٥)

١٤ - حَفْنِي بِكَ نَاصِفِ^(٦)

قال مخاطب ناظر الحَقَانِيَّةِ وقد نقله إلى « قنا » :

رَقِيتَنِي حِسًّا وَمَعْنَى
وَجَعَلْتَ رَأْسَ الْحَاسِدِ
وَجَعَلْتَ سُدَّةَ مَنْزِلِي
فَلِصْنُكَ الشُّكْرُ الْمُتَنَّى
يَنْ بَعْضَرٍ مِنْ قَدَمِي أَذْأُ
مِنْ أَسْقُفِ الْهَرَمَيْنِ أَسْنَى^(٧)

(١) أُلْقِعَ عَنْ الْمَسْكَنِ : تَحَوَّلَ عَنْهُ ، وَشُطُوطٌ : جَمْعُ شَطٍّ ، وَهُوَ جَانِبُ الْبَحْرِ ، وَالْحَى : مَنَازِلُ الْقَوْمِ ، وَأَجْنَحَةُ السُّفْنِ : أَشْرَعَتُهَا .

(٢) الْمُهْجَةُ : دَمُ الْقَلْبِ ، وَيُرَادُ بِهَا هُنَا الْقَلْبُ ، الزَّفَرَةُ : النَّفْسُ الشَّدِيدُ الْخَارِ ، وَالْظَى : لُحْبُ النَّارِ وَالْمَقْلَةُ : الْعَيْنُ ، وَغَزَرَةُ الدَّمْعِ : كَثْرَتُهُ ، وَالْدَجْنُ : الظُّلُمَةُ .

(٣) دَهْتَنِي : أَصَابَتْنِي ، وَأَقْضَى : أَمُوتَ ، مِنْ قَضَى الرَّجُلُ يَقْضِي .

(٤) رَاجَعْتُ : اسْتَرَدَدْتُ ، وَالْحِلْمُ : الْعَقْلُ ، وَحَامَ عَلَى الْعَيْءِ : دَارَ بِهِ ، وَالْأَفْنُ : سُوءُ الرَّأْيِ .

(٥) الْبُنْيَاتُ : جَمْعُ بَنِيَّةٍ ، وَهِيَ الْبِنْتُ الصَّغِيرَةُ ، وَالْفَائِتُ : مَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْإِنْسَانُ ، وَقَرَعَ السِّنَّ ، كُنْيَاةٌ عَنِ النَّدَمِ ، يَقُولُ : لَوْلَا بَنَاتُهُ الصَّغَارُ ، وَلَوْلَا مَنْ يَعُولُهُمْ مِنْ أَهْلِهِ الْمُسْنِينَ الَّذِينَ لَا كَسْبَ لَهُمْ مَا نَدِمَ عَلَى شَيْءٍ .

(٦) هُوَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ وَالشَّاعِرُ الْكَاتِبُ الْأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ حَفْنِي نَاصِفٍ ، وَلَدَ بِبِرْكَةِ الْحَيْجِ مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبَوِيَّةِ ، وَدَرَسَ بِالْأَزْهَرِ وَدَارَ الْعُلُومِ ، خَرَجَ نَافِثَةً نَابِغًا ، شَغَلَ مَنَاصِبَ الْقَضَاءِ وَالتَّدْرِيسِ بِالْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَةِ ، فَكَانَ مِثَالِ الْفَضْلِ وَالْبِرَاعَةِ وَحَسَنِ الْفِكَاهَةِ وَسُرْعَةِ الْبَهِيَّةِ ، يَمْتَازُ أَسْلُوبُهُ بِالْجُزَالَةِ فِي النَّثْرِ وَالسَّهُولَةِ فِي الشُّعْرِ ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٩١٩ م .

(٧) سُدَّةُ الْمَنْزِلِ (بِتَشْدِيدِ الدَّالِ) : عَتَبَةُ بَابِهِ .

أَسْكَنْتَنِي فِي بُقْعَةٍ فِيهَا غَدَوْتُ أَعَزَّ شَأْنًا
أَرَدُ الْمَشَارِعَ سَابِقًا وَالسَّبِقُ عِنْدَ الْوَرْدِ أَهْنًا^(١)
وَأَزُورُ آثَارَ الْمُلُوكِ لَكَ ، وَكُنْتُ قَبْلَ بِهَا مُعْنَى^(٢)
بَلَدٌ إِذَا حَلَّتْ بِهِ قَدَمَاكَ قُلْتُ حَلَلْتُ حِصْنًا
جَبَلُ الْمُقَطَّمِ حَوْلَهُ مُتَعَطِّفٌ كَالثُّونِ حُسْنًا^(٣)
هَيْهَاتَ أَنْ يَصِلَ الْعَدُوُّ (م) لَهُ ، وَيُدْرِكَ مَا تَمَنَّى

قَالُوا : شَخَصْتَ إِلَى قِنَا يَا مَرْحَبًا « بَقْنَا » وَ « إِسْنَا »
قَالُوا : سَكَنْتَ السَّفْحَ قَدْ تَ وَحَبَّدَا بِالسَّفْحِ سُكْنَى
قَالُوا : « قِنَا » حَرٌّ ، فَقَدْ تَ : وَهَلْ يَرُدُّ الْحُرَّ قِنَا ؟^(٤)
سِرُّ الْحَيَاةِ حَرَارَةٌ لَوْلَاهُ مَا طَيْرٌ تَغْنَى
كَتَلًا وَلَا زَهْرٌ تَبَسَّ سَمَ ، لَا وَلَا غُصْنٌ تَلْتَنَى !
تَتَدَفَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْ حَرٍّ ، وَتَرْجِي الرِّيحُ مُزْنًا !^(٥)
هَا قَدْ أَمِنْتُ الْبَرْدَ وَالْ بُرْدَاءَ ، وَالْقَلْبُ اطمأنَّنَا^(٦)

(١) أَرَدُ الْمَشَارِعَ : آتَيْهَا لِلارْتَوَاءِ ، وَالْمَشَارِعَ : جَمْعُ مَشْرَعٍ وَهُوَ الْمَنْهَلُ يَرُدُّهُ الظِّهَاءُ .

(٢) مُعْنَى : كَلَفًا (بِكْسَرِ اللَّامِ) مُشْتَقًّا .

(٣) مُتَعَطِّفٌ : مَنْحَنٌ كَالْقَوْسِ .

(٤) الْقِنَ : الْعَبْدُ الرَّقِيقُ ، وَفَاعِلٌ يَرُدُّ يَعُودُ عَلَى (حَرٍّ) بِفَتْحِ الْخَاءِ ، يَقُولُ وَهَلْ يَصِيرُ حَرٌّ قِنَا الرَّجُلُ الْحَرَّ هَبْدًا رَقِيقًا .

(٥) الْمَزْنُ : الْمَطَرُ ، وَاحِدَتُهُ مَزْنَةٌ بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ الزَّيِّ .

(٦) الْبُرْدَاءُ : الثَّقَلَاءُ ، جَمْعُ بَارِدٍ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمُتَبَلِّدُ الْإِحْسَاسَ .

وَوُقيتَ أَمْرَاضَ الرُّطُو بة ، واسترق الرياح وَهنا^(١)
أَلْقَى الهَوَاءَ فَلَا أَهَا بُ لِقَاءه : ظَهْرًا وَبَطْنًا
وَأَنَامُ غَيْرَ مُدَثِّرٍ شَيْنًا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّا
قَدْ خَفَّتِ النَّفَقَاتُ إِذْ لَا أَشْتَرَى صُوفًا وَقُطْنَا
وَقَرَّتْ مِنْ مَنِّ الْوَقُو د النصفَ أَوْ نِصْفًا وَثْنَا
فَالشَّمْسُ تَكْفُلُ رَاحَتِي ؛ فَكَانَهَا أُمِّي وَأَخِي
فَإِذَا بَدَتْ لِي حَاجَةٌ فِي الْغُسْلِ أَلْقَى الْمَاءَ سُخْنًا
أَوْ رُمْتُ طَبَخًا أَوْ عَلَا جَ الْخَبْزِ أَلْقَى الْجَوْ فُرْنَا
سُكِنَى الْقُرَى تَدْعُ السَّفِي هَ مُوَكَّلًا بِالْمَالِ مُضْنَى
أَيُّ الْمَلَاهِي فِيهِ يَص رَفُ مَالِهِ وَمَتَى وَأَنَى ؟
كُلُّ أَمْرٍ تَلْقَاهُ مِنْ بَعْدَ الظَّهْرِ مُسْتَكِنًا^(٢)
وَيَرَى الْغَرِيبَ السَّعْرَ أَيْ سَرَ حَالَةً ، وَأَخَفَّ غَبْنًا
يَجِدُ الْحَلِيبَ بِعَيْنِهِ لَبَنًا ، وَيُلْقِي السَّمْنَ سَمْنًا
عَشْ فِي الْقُرَى رَأْسًا ، وَلَا تَسْكُنُ مَعَ الْأَذْنَابِ مُدْنَا
وَدَعِ الْجَزِيرَةَ وَالْمَهَا وَالْجُسْرَ وَالظَّبْيَ الْأَغْنَا^(٣)
وَاسْلُ الْأَغَانِي وَالْعَوَا نِي ، وَاسْأَلِ الرَّحْمَنَ عَدْنَا

(١) استرق الرياح : سرى رقيقاً ناعماً ، الوهن يسكون الماء : الضعف .

(٢) مستكناً : مخبئاً .

(٣) الظبي الأغن : الذي في صوته غنة بضم القين وتمديد النون المفتوحة .

(٤) اسل : فعل أمر من سلا بمعنى ترك ونسى ، الغواني : جم غانية وهي الحسنة التي غنيت بجمالها

عن غيره . وعدن يسكون الدال : جنة عدن .

ولما أشرف على الإحالة على المعاش ببلوغ الستين ، كتب إلى المرحوم حسين رشدي باشا ، وكان يومئذ رئيساً للوزارة ، يسأله أن يمدّ في أجل خدمته ، في مفاكحة غاية في الظرف والركة :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يَا شَيْخَ الْوِزَارَةِ حَاجَتِي إِنْ شِئْتَ تُقْضَى بِإِشَارَةِ
نَالَهَا قَبْلِي أُلُوفٌ لَمْ أَكُنْ دُونَهُمْ عِلْمًا وَلَا أَدْنَى إِدَارَةِ
نَاهَزَ السِّتِينَ عُمْرِي إِنَّمَا لَمْ أَزَلْ جَمَّ الْقُوَى جَمَّ الْجِدَارَةِ^(١)
وَإِذَا لَمْ يَشْكُ مِثْلِي عِلَّةٌ هَلْ مِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ يُلْزَمَ دَارَةُ
إِنْ تَرَكِي خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ مَعَ طُولِ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَةَ
وَحَيَاتِي كُلُّهَا قَضَيْتُهَا تَارَةً فِي الْمَدْلِ وَالتَّعْلِيمِ تَارَةً^(٢)

وقال يتحسر على ضياع علمه بموته :

أَتَقْضَى مَعِيَ إِنْ حَانَ حَيِّنِي تَجَارِبِي وَمَا نِلْتُهَا إِلَّا بِطُولِ عَنَاءٍ^(٣)
وَأَبْذُلُ جُهْدِي فِي اكْتِسَابِ مَعَارِفٍ وَيَفَنِي الَّذِي حَصَلْتُهُ بِفَنَائِي^(٤)
وَيَحْزُنُنِي إِلَّا أَرَى لِي حِيلَةً لِإِعْطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي^(٥)
إِذَا وَرَثَ الْجُهَالُ أَبْنَاءَهُ غَنِيً وَجَاهًا ، فَمَا أَشَقَى بَنِي الْعُلَمَاءِ^(٦)

(١) ناهز : قارب ، والجم بتشديد الميم : الكثير . والجدارة : الأهلية والاستحقاق .

(٢) وإن كانت نشأة الشاعر الأولى في الأزهر ، ثم في دار العلوم فقد ولي القضاء في المحاكم الأهلية مدة ليست بالقصيرة .

(٣) تقضى : تموت وتفتي . وحان حيني : جاء أجلي . والتجارب : ما يستفيد المرء من خبرة في ممارسته لشؤون الحياة ، مفردها تجربة . والعناء : الجهد والمشقة .

(٤) حصلته : جمته :

(٥) العطاء : ما يجود به المرء على غيره . ويريد أن ما حصله من العلم لا يستطيع أن يهبه لمن لا يستحقه كما يوهب المال مثلاً .

(٦) الجاه : علو المنزلة ، ورفعة القدر .

١٥ - ولي الدين يكن^(١)

وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

يُرِيدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا هَنَاءَ وَيَأْبَى أَنْ يَجُودَ بِهِ الزَّمَانُ
حَيَاةَ حَارِبَتِهِمْ مُنْذُ كَانَتْ وَحَظُّهُ حَارِبُوهُ مُنْذُ كَانُوا
وَأَمَانُ تَغْرِثُهُمْ عِجَافٌ وَأَخْدَاتُ تُكَذِّبُهَا سِمَانُ^(٢)
وَكَمْ مِنْ مُسْتَنْبِلٍ لَيْسَ يُعْطَى وَكَمْ مِنْ مُسْتَعِينٍ لَا يُعَانُ^(٣)
تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ فَلَا يَرَاعُ تَوْفِيهَا الشَّكَاةُ وَلَا إِسَانُ^(٤)
أَمَانًا أَثَرَا الْخَضَمِ الْمُعَادِي إِذَا دَانَ الْعِدَا وَجَبَ الْأَمَانُ
إِنْ رَغِبُوا إِلَيْكَ رَغِبْتَ عَنْهُمْ لَقَدْ هَانَتْ رَغَائِبُهُمْ وَهَانُوا
يُمْنَى النَّاسِ بَعْضَهُمْ بِخَيْرٍ أَلَا كَذَبُوا عَلَى بَعْضٍ وَمَانُوا
وَدَاعٍ جَاءَ يَدْعُونِي لِنُصِيحٍ وَقَدْ وَهَنَ النَّهْيُ وَوَهَى الْبَنَانُ

(١) ولي الدين بن حسن سري بن إبراهيم باشا يكن ، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلاً وتعلم بها
ومال إلى الأدب واشتهر به ، ثم سافر إلى الآستانة وعين في مجلس معارفها ، ثم نفاه السلطان عبد الحميد
إلى ولاية سيوارس ، وبعد إعلان الدستور العثماني عاد إلى مصر وأخذ يفتش كتبه ومقالاته ، وله شعر
رفيق وكتابة جيدة ، مات سنة ١٣٣٩ هـ

(٢) عِجَافٌ : جمع عَجْفَاءِ هزيلة ضامرة . وسِمَانٌ : جمع سَمِينَةٍ

(٣) مُسْتَنْبِلٌ : طالب نوالاً أى عطاء . مُسْتَعِينٌ : طالب عوناً .

(٤) الْيَرَاعُ : الأَقْلَامُ ، المفرد يَرَاعَةُ .

(٥) مَانُوا : من المين يسكون الياء وهو السكذب .

(٦) وَهَنَ : ضعف . النَّهْيُ : جمع نَهْيَةٍ بضم النون ويسكون الهاء . وَهَى : ضعف . الْبَنَانُ :

الطَّرَافُ الْأَصَابِجُ جمع بَنَانَةٌ .

تَعِبْتُ مِنَ الْكَلَامِ فَلَيْسَ يُجِدِي - كَمَا أَمَلْتُ - نَظْمٌ أَوْ بَيَانٌ
وَكُنْتُ صَبُورَةً وَتَزَعْتُ عَنْهَا فَهَآنَا لَا أَدِينُ وَلَا أُدَانُ^(١)
وَمَا أَسْنَى عَلَى عَهْدٍ تَقْضَى وَلَكِنْ صُنْتُ عَهْدًا لَا يُصَانُ
ظَلَلْتُ أَمِينَهُ دَهْرًا طَوِيلًا وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي لَا أَخَانُ

وَدَارَ لَا يَزُولُ الْقَتْلُ عَنْهَا كَانَ الْحَرْبَ فِيهَا مِهْرَجَانُ
أَهَابَ بِهَا الْيَرَاعُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَنَادَاهَا جَاوَبَتِ السَّنَانُ^(٢)
تَظَلُّ بِهَا السَّوَاعِدُ حَامِلَاتُ يُصَرِّفُهَا ضِرَابٌ أَوْ طَعَانُ
بَكَتْ عَيْنِي الشَّبَابَ وَحِينَ جَفَّتْ مَدَامِعُهَا عَدَا يَبْكِي الْجَنَانُ^(٣)
لَعَمْرِكَ مَا لِي نُصِجَ مَكَانُ وَلَا لِلنُّصِجِ فِي الدُّنْيَا مَكَانُ
فَدَعْنِي إِنْ آمَالِي اسْتَكَفَّتْ فَلِي شَانٌ وَلِلْآمَالِ شَانُ^(٤)

معارضته قصيدة الحصرى

« يَا لَيْلُ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ »

الْحُسْنُ مَكَانُكَ مَغْبَدُهُ وَاللَّحْظُ فُؤَادِي مَغْمَدُهُ^(٥)
يَا سَيِّدَتِي هَذَا حُرِّي لَمْ يُعْرِفْ قَبْلَكَ سَيِّدُهُ

(١) صبرة : من صبا بمعنى مال وأحب
(٢) السنان : نصل الرمح
(٣) الجنان بفتح الجيم : القلب
(٤) استكفت : انقطعت وانتهت
(٥) مغمده : مكان غمده شبه اللحظ بالسيف ، والفؤاد بالغمد الذى يحتويه

اللَّيْلُ وَطَيْفُكَ يَعْرِفُهُ إِنْ كَانَ فُؤَادُكَ يَجْحَدُهُ
 كَمْ يُوحِي طَرْفُكَ لِي غَزَلاً وَأَنَا فِي شِعْرِي أَنْشِدُهُ
 وَتُسَاجِلُنِي الْأَطْيَارُ هَوًى فِي الدَّوْحِ أَيْتُ أَرَدُّهُ (١)
 لِلصُّبْحِ سَنَاوُكَ أَيْضُهُ لِلَّيْلِ غَرَامِي أَسْوَدُهُ
 أَحْبَبْتُ قَلَاكَ فَطَلَقَهُ عِنْدِي عَذْبٌ وَمُقَيَّدُهُ (٢)
 إِنْ ضَلَّ حَنَانُكَ عَنْ قَلْبِي فَأَنَا بِوُلُوعِي أَرْشَدُهُ
 قَدْ بَاتَ دَلَالُكَ يَحْذُلُهُ وَجَمَالُكَ كَانَ يُؤَيِّدُهُ
 زِيدِي تَيْهَا أَزْدَدَ كَلَفَا كَفَى إِنْ رَثَّ أَجَدُّهُ (٣)
 (شَوْقِي) إِنْ بَنَتْ يُضَاعِفُهُ (صَبْرِي) إِنْ جُرْتُ يُوَكِّدُهُ (٤)
 خِلَانِ مُهْمَا شَمْسَا فَلَاكَ طَرْفِي مَعَ طَرْفِكَ يَرْصُدُهُ (٥)
 فَصَلِّي بِاللَّهِ وَلَوْ حُلُمًا (مُضْنَاكَ جَفَاءُ مَرَقَدُهُ)
 وَعَدِيهِ الْيَوْمَ وَلَوْ كَذِبًا الصَّبُّ يُمَاطِلُهُ غَدُهُ (٦)

(١) تساجله : تباريه ، والدوح : الشجر ، واحدته دوحة بسكون الواو .

(٢) قلاك : هجرتك .

(٣) كلفاً : ولوعاً وشوقاً ، يقول : كلما زدت تبهماً ودلالاً أزداد بك هياماً وحباً ، رث : تقادم ويلي

(٤) شوقي : من الشوق ، وهو المعنى الظاهر من السياق . والمراد الحقيقي بلفظه المرحوم شوقي بك أمير الشعراء في العصر الحديث ، بنت : بعدت ، صبري : من الصبر ، وهو المعنى الظاهر ، والمراد بلفظه المرحوم (إسماعيل باشا صبري) الشاعر المعروف . جرت : ظلمت ، والجور هنا يراد به الهجر وادعاء الفسيان .

(٥) يقول إن «شوقي» و«صبري» الشاعرين صديقان هما كشمسي فلک يرصدهما طرفي وطرفك لإعلاء إلى سطوع شهرتهما في الشعر وتعلقه بهما .

(٦) يماطله : يسوقه ويباعده .

١٦ - إسماعيل صبرى باشا^(١)

قال :

إِنْ سَمِيتَ الْحَيَاةَ فَارْجِعْ إِلَى الْأَرْزَاقِ
تِلْكَ أُمُّ أَحْنَى عَلَيْكَ مِنَ الْأُمَمِ
لَا تَخَفْ ؛ فَالْمَمَاتِ لَيْسَ بِمَلْجَأٍ
كُلُّ مَيِّتٍ بَاقٍ ، وَإِنْ خَالَفَ الْعَمَلُ
وَحَيَاةُ الْمَرْءِ اغْتَرَابٌ فَإِنْ مَا
ضِ تَنَمَّ آمِنًا مِنَ الْأَوْصَابِ^(٢)
مُ الَّتِي خَلَفَتْكَ لِلْأَتْعَابِ^(٣)
مِنْكَ إِلَّا مَا تَشْتَكِي مِنْ عَذَابِ
وَأَنْ مَانُصَّ فِي غُضُونِ الْكِتَابِ^(٤)
تَ فَقَدْ عَادَ سَالِمًا لِلْثَرَابِ^(٥)

وقال يناجى الدواة :

يَا دَوَاةُ اجْعَلِي مَدَادَكَ وَزْدًا
وَلْيَكُنْ كَالزَّمَانِ حَالًا وَحَالًا
لَوْ فُودِ الْأَقْلَامُ حِينًا فَحِينًا^(٦)
تَارَةً آسِنًا وَأُخْرَى مَعِينًا^(٧)

(١) ولد لإسماعيل صبرى باشا سنة ١٨٥٤ م . وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والإدارة ، ثم أرسل إلى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل في مصر مناصب القضاء ، وجعل يترقى فيها إلى أن صار وكيل الحفانية ؛ وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لرقعة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر في رقة شعره وحسن ابتكاره وجمال نقده ، له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فني ؛ مات سنة ١٩٢٣ م .
(٢) الأوصاب : جمع وصب بفتحين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض . لأنه خالق من ترابها .
(٣) أحنى : أعطف وأرفق ، والأم الأولى : الأرض . والثانية : الأم الحقيقية ذات الولد . والأتعاب : جمع ، تعب .

(٤) في غضون الكتاب : في أثنائه . هذا البيت بمثابة التذليل على البيت الذى قبله ، فإنه قرر في ذلك البيت أن الموت لا يعجز عن الإنسان شيئاً ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفي هذا البيت يقول : إن كل ميت هو في الواقع حي ، وإن كان الموت معروفاً بأنه عدم الحياة ، وذلك كشأن العنوان إذا خالف في الواقع ما نص عليه في صلب الكتاب .

(٥) هذا البيت جار مجرى البيت الذى قبله ، وهو من أغر الشعر وأروع .

(٦) الورد بكسر الواو : الماء الذى يورد .

(٧) الآسن : الراكد المتغير . والمعين بفتح الميم : الماء الجارى . يطلب إلى المداد أن تكون حاله كحال الزمان فى سعادته ونحسه ، وفى صفوه وكدره .

أَكْرَمِي الْعِلْمَ وَأَمْنَحِي خَادِمِيهِ مَاكَ الْغَالِي النَّفِيسَ الشِّمِينَا
وَابْذُلِي الصَّافِيَ الْمُطَهَّرَ مِنْهُ لِهُدَاةِ السَّرَائِرِ الْمُرْشِدِينَا
وَإِذَا الظُّلُمُ وَالظَّلَامُ اسْتَعَانَا يَوْمَ نَحْسِ بِأَجْهَلِ الْجَاهِلِينَا
وَاسْتَمَدْنَا مِنَ الشُّرُورِ مَدَادًا فَاجْعَلِيهِ مِنْ قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا
وَإِذَا مُهْجَةُ الْحَمَائِمِ أَسَدَتْ نُقْطَةً سِرِّهَا الزَّكِيُّ الْمُصُونَا^(١)
فَاجْعَلِيهَا عَلَى الْمَوَدَّاتِ وَقَفًا وَهَبِيهَا رَسَائِلَ الشَّيْقِينَا^(٢)
فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكَ إِلَّا مَا أَعَدَّ الْإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينَا
فَاجْعَلِيهِ حَظِّي لَا كُتُبَ مِنْهُ شَرَحَ حَالِي لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَا^(٣)

وقال رحمه الله :

يَا مَوْتُ خُذْ مَا أَبْقَيْتَ إِلَّا أَيَّامُ وَالسَّاعَاتِ مِنِّي
يَبْنِي وَيَبْنِيكَ خَطْوَةٌ إِنَّ تَحْطُّهَا فَرَجَتْ عَنِّي

وقال :

وَلَمَّا التَّقِينَا قَرَّبَ الشُّوقُ جُهْدَهُ شَجِيئِينَ فَاضًا لَوْعَةً وَعِتَابًا^(١)
كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ وَقَابًا

(١) المهجة : دم القلب . والحمام : جمع حمامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللاطف وطهر القلب .

(٢) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جمع مودة . الشيقين : المشتاقين .

(٣) حظي : نصيبي .

(٤) شجيين : حزينين من شدة الشوق . مثني شجى (بتشديد الياء) . اللوعة : حرقة الوجد .

وقال في ساعة التوديع :

أَتَرَى أَنْتَ خَاذِلِي سَاعَةَ التَّوَدُّعِ يَا قَلْبُ فِي غَدٍ أَمْ نَصِيرِي ؟
 وَيَكْ ؛ قُلْ لِي ، مَتَى أَرَاكَ يَجْنِبِي
 لَسْتُ بَعْضَ الْخُدَاةِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِي
 سَاعَةَ الْبَيْنِ قِطْعَةٌ أَنْتِ قُدَّتْ
 لَا تَحْيِيْنِي أَوْ رُوحِي الْفَدَاءَ لِمَا حَيَا
 دِيعِ يَا قَلْبُ فِي غَدٍ أَمْ نَصِيرِي ؟
 رَاضِيًا عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟
 قِفْ قَلِيلًا ؛ فَلَسْتُ بِالْمَاجُورِ^(١)
 لِلْمُحِبِّينَ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ^(٢)
 كَ غَدًا مِنْ صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ^(٣)

وقال يتغزل :

أَبْشِكِ مَا بِي فَإِنْ تَرَجَمِي وَأَشْكُو النَّوَى مَا أَمَرَ النَّوَى
 وَأَخْشَى عَلَيْكَ هُبُوبَ النَّسِيمِ
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ بَرَهَةٍ
 رَحِمْتَ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبًّا^(٤)
 عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لَبًّا^(٥)
 وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوْضِ هَبَّا
 مِنَ الْعُمُرِ لَمْ تَلْقِنِي فِيكَ صَبًّا^(٦)

- (١) الخداة بضم الحاء : جمع حاد ، الذي يسوق الإبل ويغني لها . يريد من قلبه أن يثبت في مكانه الذي هجره ليسير في ركاب الأحبة ويغنيهم ، وذلك كناية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .
 (٢) البين : البعد والفرق . وقدت قطعت .
 (٣) حان الشيء : يحين : قرب وقته . يقول : لا تقتربي يا ساعة الفراق ، رُوحِي فداء لمن يحرك غداً من الزمن .
 (٤) اللوعة : حرقه الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .
 (٥) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق .
 (٦) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . الصب : العاشق الشديد العشق .

تَعَالَى نُجَدُّ زَمَانَ الْهَنَاءِ وَتَنْهَبُ لِيَالِيَهُ الْغُرَّ نَهَبًا^(١)
تَعَالَى أَذَقَ بِكَ طَعْمَ السَّلَامِ وَحَسَنِي وَحَسْبُكَ مَا كَانَ حَرْبًا^(٢)

وقال يتغزل :

يَا رَاحَةَ الْقَلْبِ يَا شُغْلَ الْفُؤَادِ صَلِي مُتَمِّمًا أَنْتِ فِي الْحَالَيْنِ دُنْيَاهُ^(٣)
زَيْنِي النَّدَى وَسِيلِي فِي جَوَانِبِهِ لُطْفًا يَمُّ رَعَايَا اللَّطْفِ رِيَّاهُ^(٤)
رِيْحَانَةُ أَنْتِ فِي صَحْرَاءِ مُجْدِبَةٍ مِنَ الرِّيَّاحِينَ حَيَّانَا بِهَا اللَّهُ
إِنْ غَابَ سَاقِي الْبَلَاءِ أَوْ صَدَّ ، لَا حَرْجُ هَذَا جَمَالُكَ يُغْنِينَا مُحْيَاهُ^(٥)

وقال متغزلًا :

أَقْصِرْ فُؤَادِي فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا^(٦)
سَلَا الْفُؤَادُ الَّذِي شَاطَرْتَهُ زَمَنَا حَمَلَ الصَّبَابَةَ فَأَخْفَقَ وَخَذَكَ الْآثَا^(٧)

(١) الغر : جمع غراء بتشديد الراء : يريد الحسنان .
(٢) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهذا شبيهه بقول العباس بن الأحنف

تعالى نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

(٣) المتيم ، الذي استئذله الحب . وفي الحالين ، أى فى حال الوصل والهجر .

(٤) الندى ، بتشديد الياء . النادى . والريا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .

(٥) الطلاء بكسر الطاء : الحمر . والحيا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

(٦) أقصر : كفف وأقلع

(٧) سلا : هجر ونسى . يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادله الحب ، والصباية بفتح الصاد : العشق .

هَلَّا أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أَهْبَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانًا^(١)
لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتُ الْعُمَرَ مُقْتَحِمًا فِي الْوَصْلِ نَارًا وَفِي الْهَجْرِ انْ نِيرَانًا^(٢)

ومن قوله في التَّصَوُّفِ :

يَا رَبِّ : أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمُ
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى
يَا رَبِّ : أَهْلَنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفِنِي
وَمِرَ الْوُجُودِ يَشْفُ عَنْكَ لِكَيْ أَرَى
يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ حَسْبِي مَحْنَةٌ
أَخْلَقَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسْمَعُ الْوَرَى
لِلظَّالِمِينَ غَدَاً وَلِلْفُجَّارِ ؟
وَالْأَرْضِ شِبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ
غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ^(٣)
عِلْمِي بِأَنَّكَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ^(٤)
أَلَّا تَضِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ^(٥)

وقال يرثي « عمر » ابن المرحوم الشيخ علي يوسف وقد مات صغيراً :

يَا مَالِي الْعَيْنِ نُورًا وَالْفُؤَادَ هَوًى
لَا تُخَلِّ أَفْقَكَ ، يَخْلُفُكَ الظَّلَامُ بِهِ
وَالْبَيْتَ أَنْسَا ، تَهْمَلُ يَهَا الْقَمَرُ^(٦)
وَالزَّمْ مَكَانَكَ ، لَا يَخْلُلُ بِهِ الْكَدَرُ^(٧)

(١) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء : العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبة أي هيات له أسبابه .
والأشجان : الهموم والأحزان ، وأحدها شجن ، يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة
والهجران ، فأعددت له عدته قبل أن تندفع في تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق
هموماً وأحزاناً بما تعاني من القطيعة .

(٢) اقتحم النار : أي رمى بنفسه فيها ، وهجم عليها .

(٣) شَف الشيء : يشف من باب ضرب : رق فظهر ما وراءه . اللطيف : المراد به هنا الذات
الإلهية وكذلك الجبار .

(٤) المحنة : البلية والمصيبة ، يقول : يكفيني مصيبة علمي بأنك تعلم السر وما يخفى ، لأنك مطلع
على آتائي وأوزاري .

(٥) أخلق به أن يفعل كذا : أي ما أحقه بفعله ؛ الأوزار : جمع وزر بكسر الواو وهو الإثم .

(٦) الهوى : الحب .

(٧) يخلفك : يحل محلك ، ولا يحل : لا يحل ، وقد فك الإدغام لضرورة الشعر .

فِي الْحَيِّ قَلْبَانِ بَاتَا ، يَا نَعِيمَهُمَا ، وَفِيهِمَا ، إِذْ قَضَيْتَ النَّارُ تَسْتَعْرُ^(١)
 وَأَعْيُنُ أَرْبَعٍ تَبْكِي عَلَيْكَ أَسَى وَمِنْ بُكَاءِ الشُّكَايِ : السَّيْلُ وَالْمَطَرُ^(٢)
 قَدْ كُنْتَ رِيحَانَةً فِي الْبَيْتِ وَاحِدَةً يَرُوحُ فِيهِ وَيَغْدُو تَفْحُهَا الْعَطَرُ^(٣)
 مَا كَانَ عَيْشُكَ فِي الْأَحْيَاءِ مُخْتَصِرًا إِلَّا كَمَا حَاشَى فِي أَكْثَامِهِ الزَّهَرُ^(٤)
 فَارْحَلْ تُشِيعُكَ الْأَرْوَاحُ جَارِعَةً فِي ذِمَّةِ اللَّهِ بَعْدَ الْقَبْرِ يَا عُمَرُ^(٥)

وله يحمس المصريين على لسان فرعون :

لَا الْقَوْمُ قَوِي وَلَا الْأَعْوَانُ أَعْوَانِي إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ الْعَلَا وَانِي^(٦)
 وَلَسْتُ إِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِي فَرَاعِنَةً مِنْكُمْ بِفِرْعَوْنَ عَالِي الْعَرْشِ وَالشَّانِ^(٧)

لَا تَقْرَبُوا النَّيْلَ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا عَمَلًا فَمَا وَهُ الْعَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسَلَانِ

- (١) الحى : منازل القوم ، ويريد به بيت أبيه ، والقلبان : قلب والده وقلب والدته . وبانعيمهما : أى فى حال حياة ولدهما ؛ وقضيت : مت ، وتستعر : تلتهم .
- (٢) الأعين الأربع : عينا أبيه ، وعينا أمه . والأسى : الحزن . والشكلى : جمع ثاكل وهو الذى يفقد ولده . والمعنى أن أعين والدك تبكى من الحزن لفقدك ، ودموع الفاقدين أولادهم تشبه السيل والمطر فى تدفقه وانهماره .
- (٣) كان ريحانة واحدة ، لأنه لم يكن لوالديه غيره . النفخ : الرائحة . والعطر بفتح العين وكسر الطاء الطيب الرائحة .
- (٤) مختصراً أى قصيراً ، والأكمام : جمع كم بكسر الكاف ، وهو الغلاف الذى يحيط بالزهرة ، وهو لا يلبث أن يفشق ، فتخرج الزهرة ، ويضرب بالزهر المثل فى قصر العمر .
- (٥) تشيعك : تودعك ، وجازعة : شديدة الحزن .
- (٦) الأعوان : جمع عون وهو النصير ، وونى : فتر وضعف ، وتحصيل العلا : نيل محامد الأمور .
- (٧) العائن : الأمر ، والمراد الذى عظم أمره ، وسمت منزلته .

وقال في مسامحة الصديق :

إِذَا خَانَنِي خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقَّنِي وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فِي مَقَاتِلِهِ سَهْمِي^(١)
تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوُدِّ يَنِينِي وَيَدْنِي فَكَسَّرَ سَهْمِي فَأَنْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ

١٧ — الشيخ محمد عبد المطلب^(٢)

قال في احتفال الأمة المصرية بعيد النّيروز سنة ١٩١٩ م ، يفخر بمصر

ويعدّد ما أثرها من قصيدة طويلة :

لَنَا ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الَّذِي تَحْتَ ظِلِّهِ تَنَاسَلَتِ الْأَحْقَابُ وَاعْتَمَلَ الدَّهْرُ^(٣)
لَنَا آيَةُ الْأَهْرَامِ يَتَلَوُّ قَدِيمَهَا حَدِيثُ اللَّيَالِي فَهَيَّ فِي فَمِهَا ذِكْرُ
مَلَأْنَا بِهَا لَوْحَ الْوُجُودِ مَنَاقِبًا إِذَا مَا خَلَا عَصْرُ تَلَاهُ بِهَا عَصْرُ^(٤)
وَلِلْعِلْمِ مِنْ آثَارِنَا فِي جِبَالِنَا عَلَى الدَّهْرِ آيَاتُ بِهَا يَنْطِقُ الصَّخْرُ

(١) عقه : عصاه ولم يبر به ، وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة : جعل الوتر في فوقه عند الرمي والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم ، يريد أنه إذا عصاه ولم يبر به سدد إلى مقاتله السهم ، كناية عن إيذائه والكيد له .

(٢) هو محمد بن عبد المطلب بن واصل ، ولد ببلدة « باصونة » إحدى قرى مديرية جرجا ، وأبواه عربيان ينتميان إلى أسرة تتصل بعشيرة من عشائر جهينة التي هي إحدى بطون قضاة ؛ تعلم في الأزهر ، وتخرج في دار العلوم ، وقد كان مدرسا للعلوم العربية بها كان واسع الاطلاع على المحفوظ من قصائد العرب المطولة ، شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقوادها وعلماؤها وشعرائها ، شديد الغيرة على العربية والإسلام ، وتميز شعره بجزالة الألفاظ ، ومتانة التراكيب ، وقوة القافية . وقد تفتى في شعره بأعلام البادية ومعالمها حتى لقب بالشاعر البدوي . على أن شعره قد حوى موضوعات عصرية شتى كوصف الحرب الكبرى وحديث السياسة المصرية وغيرها . ومات سنة ١٩٣١ م . عن ستين عاما . وله ديوان مطبوع .

(٣) اعتمل الدهر : اضطرب .

(٤) مناقب : جم منقبة أى مفخرة .

وَلِلْمَلِكِ مِمَّا كُلُّ أَرْوَغَ نُظِّمَتْ
وَمِمَّا الَّذِي سَاقَ الْأَسَاطِيلَ شُرْعَا
لَنَا كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَدَنِيَّةٍ
لَنَا فِي الْوَرَى حَقُّ الْمَعْلَمِ لَوْ رَعَوْا
إِذَا اعْتَزَّ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ سَمَتْ بِنَا
بَنِينَا عَلَى آدَابِ عَيْسَى وَأَحْمَدِ
كَلَانَا عَلَى دِينٍ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ أَنَّا تَزَلْزَلْتُ
عَلَى تَاجِهِ الْأَفْلَاكُ وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ^(١)
عَلَى الْبَحْرِ يَسْتَحْيِي لِمَوَلَتِهَا الْبَحْرُ^(٢)
بِهَا تَعْمُرُ الْأَمْصَارُ وَالْبِلَادُ الْقَفَرُ^(٣)
لَنَا ذِمَّةٌ وَالْدَّهْرُ شِيَمَتُهُ الْغَدْرُ
مَكَارِمُ فِي طَيِّ الزَّمانِ لَهَا نَشْرُ^(٤)
مَنَازِلَ عِزٍّ دُونَهَا يَقَعُ النَّشْرُ^(٥)
وَلَكِنَّ خِذْلَانَ الْبِلَادِ هُوَ الْكُفْرُ
بِنَا قَدَمٌ أَوْ مَسٌّ وَخَدَتْنَا الضَّرُّ

وقال من قصيدة له في المعلم :

بَنِي مِصْرَ مَا بَالُ الْمَعْلَمِ كَاسِفًا
سَبِيلُ النَّبِيِّينَ الْكَرَامِ سَبِيلُهُ
سَلُّوا عَنْهُ جُنْحَ اللَّيْلِ كَمْ بَاتَ مُتَعَبًا
سَلُّوا عَنْهُ عَيْنًا قَرَّحَ الشَّهْدُ جَفْنَهَا
يُرَى النَّاسُ فِيهَا يَكْبُرُونَ وَيَصْغُرُ^(٦)
يَعْمُ بِهِ الدُّنْيَا صَبَاحًا فَتَقْمُرُ^(٧)
تَنَامُ حَوَالِيَهُ النُّجُومُ وَيَسْمُرُ^(٨)
يَخُطُّ عَلَيْهَا فِي الظَّلَامِ وَيَسْطُرُ

(١) الأروغ : السيد الشهم .

(٢) شرعاً : ضاربات بأشرعتها في الجو . الصولة : البطش .

(٣) البلد القفر : الحال من النبات .

(٤) يريد أن لنا تاريخاً مجيداً مطويًا في السنين الحالية تنشر أخباره على الأيام وهو مبعث العزة فينا

كما يعتز غيرنا بالاختراعات الحديثة . (٥) النسر : طائر جارح لا يقع إلا على القمم العالية .

(٦) كاسفاً : حزيناً .

(٧) النبئين : جمع نبي . مهموز نبي . فتقمُر : يريد فتضيء .

(٨) جنح الليل : ظلامه . تنام النجوم : يريد تغيب .

سَلُّوا عَنْهُ جَسَماً بَاتَ بِالسُّقْمِ نَاحِلَا
سَلُّوا عَنْهُ أَسْفَارًا قَضَى اللَّيْلَ بَيْنَهَا
سَلُّوا عَنْهُ قَلْبًا بَاتَ يَخْفِقُ رَحْمَةً
فَإِنْ مَدَّ لِلدُّنْيَا يَدًا يَسْتَمِدُّهَا
فِيَا وَيْحَهُ كَمْ يَشْتَكِي فِي حَيَاتِهِ
وَلَمْ تَحْيَ إِلَّا بِالْمَعْلَمِ أُمَّةٌ
فَإِنْ لَمْ يَطْبُ بِالْعَيْشِ نَفْسًا وَلَمْ يَكُنْ
رَأَيْتَ شَبَابًا يُطْفِئُ الْجَهْلُ نُورَهُ
فَلَا الْبُرَّةَ مَا مُولَ وَلَا هُوَ يُعْذَرُ
غَرِيبًا عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلُوهُ حُضُرٌ^(١)
عَلَى فِتْيَةٍ مِنْ حَوْلِهِ تَتَضَوَّرُ^(٢)
لَهُمْ، عَنْهُ وَلَّتْ وَهَى غَضَبِي تَشْرُرُ^(٣)
وَكَمْ يَتَلَقَّى مِنْ بَلَاءٍ فَيَصْبِرُ
وَلَا سَادَ إِلَّا بِالْمَعْلَمِ مَعْشَرُ
لَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ الْمَقَامُ الْمَوْقَرُ
وَنَشْتًا إِذَا هَمُّوا إِلَى الْمَجْدِ قَصَرُوا^(٤)

١٨ - حافظ إبراهيم^(٥)

قال يصف الشمس :

لَا حَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ
وَمَحَتْ آيَهَا آيَتَهُ
فَنَسُوا بِاللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَبِينِ^(٦)
وَتَبَدَّتْ فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ

(١) أسفاراً : كتباً ، جمع سفر بكسر السين . حضر : جمع حاضر .

(٢) تتضوّر : تتلوى من الجوع .

(٣) يستمدّها : يطلب منها المدد أى المعونة . تشرر بحذف إحدى التاءين : تنظر إليه بغضب وازدراء .

(٤) النش : جمع ناشئ وهو الصغير .

(٥) هو المرحوم حافظ بك إبراهيم ، ولد حوالى سنة ١٨٧٢ م . وتعلم فى المدرسة الحربية ، ثم تخرج ملازماً وسافر إلى السودان ، ثم أحيل إلى المعاش ، ثم عين رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب ، وتوفى سنة ١٩٣٢ م . وكان شاعراً جيد الأسلوب ، قوى اللفظ ، موفقاً فى الاجتماعيات ، ماهياً للشعور الوطنى بما يفتش من قصائده السياسية .

(٦) وضاح الجبين : القمر .

نَظَرَ إِبْرَاهِيمُ فِيهَا نَظْرَةً فَأَرَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينُ^(١)
 قَالَ : ذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَتَ قَالَ : (إِنِّي لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)^(٢)
 وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٣)
 رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَاسِرِينَ
 خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ وَإِلَى الْأَذْقَانِ خَرُّوا سَاجِدِينَ
 نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً فَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُرْسَلِينَ
 نَظَرُوا بَدَرَ الدُّجَى رِزَاتِهَا تَتَجَلَّى فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ .
 ثُمَّ قَالُوا : كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا هَلْ لَهَا فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ قَرِينٌ ؟
 هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينٌ^(٤)
 هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَتِينِ^(٥)
 هِيَ طَلَعُ الرَّوْضِ نَوْرًا وَجَنَى هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ ، طَيْبُ الْيَاسَمِينِ^(٦)
 هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةٌ لِلوَرَى وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلْغَابِرِينَ
 صَدَقُوا لِكِنَّهُمْ مَا عَلِمُوا أَنَّهَا خَلَقُ سَيِّئِلَى السَّنِينِ

(١) إبراهيم : لغة في إبراهيم ، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في القرآن في سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : « فلما رأى الشمس بازغة الآية : وقوله : « فأرى الشك » ملح ؛ أى أظهر لقومه أنه شك في الإله لكي يهديهم إليه وهو متيقن وجوده .
 (٢) أفلت : غابت (٣) السلطان : الحجة
 (٤) يشير بقوله : « هي أم الأرض » ، إلى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت عنها وبرد ظاهرها بتطاؤل الزمن .
 (٥) المتعين : النابع من العيون .
 (٦) يريد « بالطلع » : ما يبدو من الثمرة في أول ظهورها . ونور النبات بفتح النون : زهره .
 والجنى : ما يجنى من الشجر . ونشر الورد : رائحته المنتشرة منه .

أ إِلَه لَمْ يُنَزَّ ذَاتَهُ عَنْ كُفُوفٍ ، بِئْسَ زَعَمُ الْجَاهِلِينَ
إِنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَهَا مِنْ مَّعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
حِكْمَةً بِالْغَةِ قَدْ مَثَلَتْ قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ غَافِلِينَ

وقال على لسان اللغة العربية تنمى حظها بين أهلها :

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي (١)
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقُمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي (٢)
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِمِرَائِسِي رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي (٣)
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا صُنْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعَظَاتٍ (٤)
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيْقِ أَتْمَاءٍ لِمُخْتَلَعَاتٍ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَاءَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَفَاتِي
فَيَا وَيْحَكُمْ أَبَلَى وَتَبَلَى مُحَاسِنِي وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي (٥)
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي (٦)

(١) رجعت لنفسي : أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتي : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية لى عدت لى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بقدرتى ، وكنت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجِد منهم سميماً ، فادخرت حياتى عند الله .

(٢) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتني كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . ويكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها .

(٣) يريد « بالمرائس » الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية .

(٤) الآى : جمع آية .

(٥) الأساة : جمع الآسى : وهو الطبيب .

(٦) تكلونى : تتركونى . وتحين : تحل .

أَرَى لِرَجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتٍ^(١)
 أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّنًا فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
 أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِأَدَى فِي رَيْعِ حَيَاتِي^(٢)
 وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتٍ^(٣)
 سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا يَعْزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي^(٤)
 حَفَظَنَ وَدَادَى فِي الْبَلَى وَحَفَظْتُهُ لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ
 وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطْرَقُ حَيَاءٍ بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ^(٥)
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجُرَائِدِ مَزْلَقًا مِنْ الْقَبْرِ يُدْنِي بِنِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ^(٦)
 وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مَصْرٍ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّامِحِينَ لُغَاتٍ^(٧)
 أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ - إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةٍ^(٨)
 سَرَتْ لَوْثَةُ الْأَفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ^(٩)

- (١) يقال : هو في منعة ، أي في قوم يمنعونه ويحمونه .
 (٢) الناعب : الصوت بما هو مستكره . وريع الحياة : أيام الشباب والقوة .
 (٣) زجر الطير : هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك في طيرانه ميامنه تفاءلت به خيراً ، وإن ولاك مياسره تطايرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم مايجر دفتي هليكم من السقوط والانحلال .
 (٤) القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » من دفن في الجزيرة من العرب الأولين . (٥) النخرات : البالية المتفتنة .
 (٦) المزلق : مكان الانزلاق ، أي السقوط والزلال . والأناة : التأني والإبطاء . ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .
 (٧) اللعنة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .
 (٨) لم تتصل برواة . أي لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التي تحفظها من الغير كما هو الشأن في العربية . ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة ؛ وكان ذلك في سنة ١٩٠٣ .
 (٩) اللوثة بالضم : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعي : سمها . والفرات : الماء العذب .

جَاءَتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشَكَّلَةً الْأَلْوَانِ مُخْتَلَفَاتِ
إِلَى مَعْشَرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٌ بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايِ^(١)
فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ الْمَيِّتَ فِي لَبْلَى وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي^(٢)
وَأَمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتِ

ومن قصيدة له دعاها « غادة اليابان » ضمنها غرامه بغادة يابانية ؛ وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا :

لَا تَلَمْ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَاً صَحَّ مِنِّي الْعَزْمُ وَالْدَّهْرُ أَبَى^(٣)
رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا
مَرْحَبًا بِالْخُطْبِ يَبْلُونِي إِذَا كَانَتِ الْعُلْيَا فِيهِ السَّبَبَا^(٤)
عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي أُوتِرْتُ الْحُسْنَى عَقَقْتُ الْأَدْبَا^(٥)
إِيهِ يَا دُنْيَا عَدِسِي أَوْ فَابِسِمِي لَا أَرَى بَرَقَكَ إِلَّا خُلْبَا^(٦)
أَنَا لَوْلَا أَنْ لِي مِنْ أُمَّتِي خَاذِلًا مَا بَتُّ أَشْكُو الثُّوبَا
أُمَّةٌ قَدْ فَتَّ فِي سَاعِدِهَا بَغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّهَا الْغُرَبَا^(٧)

(١) الشكاة : الشكوى .

(٢) تبعث الميت : تهيئه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تسكر وبلى ، يريد ما بقي من الجسد بعد الموت .

(٣) نبا السيف : كل وارتد . (٤) يبلوني : يختبرني .

(٥) عقه : ترك الإحسان إليه ولم يبر به . يقول إن الدهر لم ينصفني ، والجاني على هو أدبي ، ولولا أنني أوتِرُ الإحسان لهجرت الأدب الذي كان سبباً في شقائي .

(٦) البرق الخلب : الذي يطعم الناس في مطره ويخلفهم .

(٧) فت في ساعدها : عبارة يكنى بها عن الإضعاف وإيهان القوى .

تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعَلَا وَتُقَدِّى بِالنُّفُوسِ الرُّتَبَا
وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا تَعَشَّقُ اللَّهُوَ وَتَهْوَى الطَّرَبَا^(١)
لَا تُبَالِي لَعِبِ الْقَوْمِ بِهَا أَمْ بِهَا صَرَفُ اللَّيَالِي لَعِبَا^(٢)
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذَاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثًا عَجَبَا^(٣)
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا^(٤)
ذَاتَ وَجْهِ مَزَجَ الْحُسْنَ بِهِ صُفْرَةً تُنْسِي الْيَهُودَ الذَّهَبَا
حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَا لَا زَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا
وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ فَتَى وَهَلَالُ الْأُفُقِ فِي الْأُفُقِ حَبَا^(٥)
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشَعْرِ بِاسِمٍ نَظَمَ الدَّرَّ بِهِ وَالْحَبِيبَا^(٦)
نَبِّئُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا^(٧)
وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أُغْتَدِي عَلَنِي أَقْضَى لَهُ مَا وَجَبَا^(٨)
نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرِي جِلْدَهُ أَيَّظُنُّ الدُّبَّ إِلَّا يُغْلَبَا^(٩)

- (١) والأحداث تستهدفها : أى أن حوادث الدهر تجعلها هدفاً لها ترميه .
(٢) يريد « بالقوم » : الإنجليز ، وصروف الليالي : غيرها ونوائبها ، أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .
(٣) يقال شجاء شجواً ، إذا هيج أحزانه وشوقه .
(٤) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .
(٥) والليل فتى : أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .
(٦) الحبيب : الفقايع التى تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها .
(٧) المنقلب : العودة والرجوع .
(٨) أغتدى : أى أبادر مبكرة للدفاع عنه .
(٩) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف النملقرا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر .
ونفري : نشق ويشير بهذا البيت إلى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م . وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م .

قلتُ وَالْأَلَامُ تَفَرَّى مُهْجَتِي وَيَاكَ ، مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظُّبَا^(١)
 مَا عَهْدُنَاهَا لِظُنِّي مَسْرَحًا يَتَغَيَّ مَلْهُى بِهِ أَوْ مَلْعَبًا
 لَيْسَتْ الْحَرْبُ نُفُوسًا تُشْتَرَى بِالتَّمَنَّى أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى^(٢)
 أَحْسِبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُدَّتِهَا أَمْ ظَنَنْتُ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا^(٣)
 فَسَلِّينِي ، إِنِّي مَارِسْتُمَا وَرَكِبْتُ الْهَوَلَ فِيهَا مَرْكَبًا^(٤)
 وَتَقَحَّمتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبًا^(٥)
 قَطَّبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطَّبًا^(٦)
 جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أُنْحَائِهَا تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبِي^(٧)
 فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا وَأَزِمِي يَا ظَبِيَّةَ الْبَانِ الْخَبَا^(٨)
 فَأَجَابَتْنِي بِصَوْتٍ رَاعِي وَأَرْتَنِي الظُّبَى لَيْثًا أَغْلَبَا^(٩)
 إِنْ قَوْمِي اسْتَعَذَبُوا وَرَدَ الرَّدَى كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَّا أَشْرَبَا ؟

- (١) الظبا : الأطباء . وقصر لضرورة الشعر .
 (٢) تستبي : تؤسر بالحرب .
 (٣) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهي حد السنان .
 (٤) مارسهما : أى اشتركت فيها .
 (٥) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .
 (٦) التقطيب : العبوس . والضمير فى (قطب) للغارة .
 (٧) الهيدبي (بالجمع والمهمله) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل فى هذه الحرب .
 (٨) البان : شجر سبط القوام لبن ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الأطباء . والخبأ (بالقصر) : الخباء (بالمد) وقصر لضرورة الشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .
 (٩) راعى : أفرغنى ، والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة وهو علامة القوة . يقول لأنها غضبت من تنقصه لها وأنها لا تصلح للحرب فأجابته بصوت أفرغه لشدة وقوته واستحالت من ظي وادع إلى أسد قوى .

أَنَا يَا بَابِيَّة لَا أَنْشَى عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْعَطَبَا^(١)
 أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسِنِ الرَّمَى وَلَمْ تَسْتَطِعْ كَفَايَ تَقْلِيبَ الظُّبَا^(٢)
 أَخْدُمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ وَأُوَاسِي فِي الْوَغَى مَنْ نُكِبَا^(٣)
 هُكْذَا (الميكادُ) قَدْ عَلَّمَنَا أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمَّا وَأَبَا^(٤)
 مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
 وَإِذَا مَارَسَتْهُ الْفَيْتَةُ حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلُوبَا^(٥)
 كَانَ وَالتَّاجُ صَغِيرَيْنِ مَعًا وَجَلَّالُ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا
 فَعَدَا هَذَا سَمَاءَ لِلْعُلَا وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْكَبَا
 بَعَثَ الْأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِهَا وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَدَّأَبَا^(٦)
 فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغَى شَأْوُهُ وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارَبَا^(٧)

(١) العطب : الهلاك .

(٢) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهي حد السيف أو السنان .

(٣) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة .

(٤) الميكادو : لقب لملك اليابان .

(٥) الحول : الشديد الاحتياال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في أخرى . والقلب : البصير بتقلب

الأمور .

(٦) تدأب : تجدد في طلبها .

(٧) الشأو : الغاية .

١٩ - شوقي^(١)

قال من قصيدة له يصف فيها دمشق :

آمَنْتُ بِاللَّهِ وَاسْتَشْنَيْتُ جَنَّتَهُ دَمَشْقُ رَوْحٍ وَجَنَّاتٍ وَرِيحَانُ
قَالَ الرَّفَاقُ وَقَدْ هَبَّتْ نَحْمَاتُهَا الأرض دار لها (الفيحاء) بُسْتَانُ^(٢)
جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقَانَا بِهَا (بَرْدَى) كما تَلَقَّاكَ دُونَ الْخُلْدِ رِضْوَانُ^(٣)
دَخَلْتُهَا وَحَوَاشِيَهَا زُمُرْدَةٌ وَالشَّمْسُ فَوْقَ الْجَيْنِ الْمَاءِ عَقِيَانُ^(٤)
وَالْحَوْرُ فِي (دُمِرٍ) أَوْ حَوْلِ (هَامَتِهَا) حُورٌ كَوَاشِفُ عَنْ سَاقٍ وَوَلْدَانُ^(٥)
و (رَبْوَةٌ) الْوَادِ فِي جَلْبَابِ رَاقِصَةٍ السَّاقُ كَاسِيَةٌ وَالنَّحْرُ عُرْيَانُ
وَالطَّيْرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ الْعُمُيُونِ بِهَا وَلِلْعُمُيُونِ كَمَا لِلطَّيْرِ الْخَنَانُ
وَأَقْبَلْتُ بِالنَّبَاتِ الْأَرْضُ مُخْتَلِفًا أَفْوَاهُهُ فَهُوَ أَصْبَاغٌ وَأَلْوَانُ^(٦)

(١) هو أحمد شوقي بك ابن أحمد شوقي بك ولد بالقاهرة ونشأ فيها . على أن أصله ، كما يحدث هو عن نفسه ، عربي تركي يوناني ، جر كسي . وكانت نشأته في كنف بيت الملك ، وقد تقدم في العلم حتى دخل مدرسة الحقوق صغير السن . فلبث فيها سنتين ، ثم أنشأ بها قسم للترجمة فلبث فيه سنتين آخرين وحصل على الإجازة النهائية ، ثم أوفده المرحوم الحديو توفيق على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب فلما عاد ألحقه بمعيشته ، فلبث في المعية الحديوية حتى نشبت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ فترك مصر وعاش في أسبانيا ، ثم عاد إلى مصر .

وهو أشهر شعراء هذا العصر ، ومن أطولهم نفساً ، وأكثرهم تصرفاً في فنون الشعر حتى لقد اصطلاح جمهور الأدباء في العالم العربي على تلقيبه « بأمير الشعراء » . توفي إلى رحمة الله في سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الفيحاء : دمشق .

(٣) بردى : نهر دمشق .

(٤) الجين بضم اللام وفتح الجيم : الفضة . والعقيان : الذهب الخالص .

(٥) دمر : ضاحية دمشق . الحور الأولى : شجر عظيم يشبه السرو . والحور الثانية : جمع حوراء .

وهي المرأة في عينها حور ، أي شدة بياضها مع شدة سوادها ، والمراد بالحور : الحسان .

(٦) أفواهه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب . والمراد هنا الزهر .

وَقَدْ صَفَى (بَرَدَى) لِّلرِّيحِ فَابْتَرَدَتْ
لَدَى سُتُورٍ حَوَاشِيهِنَّ أَفْنَانُ^(١)
ثُمَّ انْتَنَتْ لَمْ يَزُلْ عَنْهَا الْبَلَالُ وَلَا
جَفَّتْ مِنَ الْمَاءِ أَذْيَالُ وَأَرْدَانُ^(٢)

وقال يتنزل :

تَأْتِي الدَّلَالُ سَجِيَّةً وَتَصَنُّعًا
وَأَرَاكَ فِي حَالٍ دَلَالِكَ مُبْدَعًا
تَهْ كَيْفَ شِدَّتَ فَمَا الْجَمَالُ بِحَاكِمٍ
حَتَّى يُطَاعَ عَلَى الدَّلَالِ وَيُسْمَعَا
لَكَ أَنْ يُرَوِّعَكَ الْوَشَاةُ مِنَ الْهَوَى
وَعَلَى أَنْ أَهْوَى الْغَزَالُ مُرَوِّعًا
قَالُوا : لَقَدْ سَمِعَ الْغَزَالُ لِمَنْ وَشَى
وَأَقُولُ : مَا سَمِعَ الْغَزَالُ وَلَا وَعَى
أَنَا مَنْ يُحِبُّكَ فِي نِفَارِكَ مُؤْنِسًا
وَيُحِبُّ تِيهَكَ فِي نِفَارِكَ مُطْمَعًا
قَدِّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ أَيَّامَ الْهَوَى
وَجَعَلْتُهَا أَمَلًا عَلَيْكَ مُضِيْعًا
وَصَدَّقْتُ فِي حَبِيٍّ وَلَسْتُ مُبَالِيًا
أَنْ أُمْنَحَ الدُّنْيَا بِهِ أَوْ أُمْنَعَا

وقال يتنزل أيضا :

رُدَّتْ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكَ
أَحْسَنُ الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَرْجَعَكَ^(٣)
مَرًّا مِنْ بَعْدِكَ مَا رَوَّعَنِي
أَتَرَى يَا حُلُوُّ بُعْدِي رَوَّعَكَ ؟
كَمْ شَكَوْتُ الْبَيْنَ بِاللَّيْلِ إِلَى
مَطْلَعِ الْفَجْرِ عَسَى أَنْ يُطْلِعَكَ
وَبَعَثْتُ الشُّوقَ فِي رِيحِ الصَّبَا
فَشَكَا الْحُرْقَةَ مِمَّا اسْتَوْدَعَكَ

(١) ابتعدت : اغتسلت .

(٢) البلال : أى الببل - أردان : جمع ردن بضم الراء (وسكون الدال) وهو الكم .

(٣) ضنى الرجل على وزن علم : مرض فتمكن منه الضعف والهزال .

يَا نَعِيمِي وَعَذَابِي فِي الْهَوَىٰ بِمَذُولِي فِي الْهَوَىٰ مَا جَمَعَكَ ؟
 أَنْتَ رُوحِي ، ظَلَمَ الْوَاشِي الَّذِي زَعَمَ الْقَلْبَ سَلَا أَوْ ضَيَّعَكَ ^(١)
 مَوْقِعِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ آه لَوْ تَعْلَمَ عِنْدِي مَوْعَكَ
 أَرْجَفُوا أَنَّكَ شَالِكٌ مُّوجِعٌ لَيْتَ لِي فَوْقَ الضَّنَا مَا أَوْجَعَكَ
 نَامَتِ الْأَعْيُنُ إِلَّا مُقْلَةً تَسْكُبُ الدَّمْعَ وَتَرْغَى مَضْجَعَكَ

وقال يصف الطبيعة في طريقه إلى الأستانة قادماً من أوربا :

تِلْكَ الطَّبِيعَةُ قَفٌّ بِنَا يَا سَارِي حَتَّى أُرِيكَ بَدِيعَ صُنْعِ الْبَارِي
 الْأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسَّمَاءُ اهْتَزَّتَا لِرَوَائِعِ الْآيَاتِ وَالْآثَارِ
 مِنْ كُلِّ نَاطِقَةِ الْجَلَالِ كَأَنَّهَا أُمُّ الْكِتَابِ عَلَى لِسَانِ الْقَارِي ^(٢)
 دَلَّتْ عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ فَلَمْ تَدْعُ لِأَدَلَّةِ الْفُقَهَاءِ وَالْأَحْبَارِ ^(٣)
 مِنْ شَكٍّ فِيهِ فَنظَرْتُ فِي صُنْعِهِ تَمْحُو أُمِّمَ الشَّكِّ وَالْإِنْكَارِ

كُشِفَ الْغَطَاءُ عَلَى الطَّرُولِ وَأُشْرِقَتْ مِنْهُ الطَّبِيعَةُ غَيْرَ ذَاتِ سِتَارٍ
 شَبَّهْتُهَا (بِلَقَيْسَ) فَوْقَ سَرِيرِهَا فِي نَضْرَةٍ وَمَوَاكِبَ وَجَوَارِي

(١) سلا : سلاك أى نسيك .

(٢) أم الكتاب : فاتحته .

(٣) الأحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

أَوْ (بَابِن دَاوِدَ) وَوَاسِعٍ مُلْكِهِ وَمَعَالِمٍ لِلْعِزِّ فِيهِ كِبَارٌ^(١)
هُوجُ الرِّيحِ خَوَاشِعٌ فِي بَابِهِ وَالطَّيْرُ فِيهِ نَوَاقِسُ الْمُتَقَارِ^(٢)

قَامَتْ عَلَى صَاحِي الْجَنَانِ كَأَنَّهَا رِضْوَانُ يُزْجِي الْخُلْدَ الْأَبْرَارِ^(٣)
كَمْ فِي الْحَمَائِلِ؛ وَهِيَ بَعْضُ إِمَائِهَا مِنْ ذَاتِ خَلْخَالٍ وَذَاتِ سَوَارِ^(٤)
وَحَسِيرَةٍ عَنْهَا الثِّيَابُ وَبِضَّةٍ فِي النَّاعِمَاتِ تَجُرُّ فَضْلَ إِزَارِ^(٥)
وَضُحُوكِ سَنٍّ تَمَلُّ الدُّنْيَا سَنَى وَغَرِيقَةٍ فِي دَمْعِهَا الْمُدْرَارِ
وَوَحِيدَةٍ بِالنَّجْدِ تَشْكُو وَخَشَةَ وَكَبِيرَةٍ الْأَتْرَابِ بِالْأَغْوَارِ^(٦)

وَلَقَدْ تَمَرُّ عَلَى الْغَدِيرِ تَخَالُهُ وَالنَّبْتُ مَرَاةَ زَهَتْ بِإِطَارِ^(٧)
حُلُوِّ التَّسْلُسِ مَوْجُهُ وَخَرِيرُهُ كَأَنَّمَا مَرَّتْ عَلَى أَوْتَارِ
سَدَّتْ سَوَاعِدَ مَائِهِ وَتَأَلَّقَتْ فِيهَا الْجَوَاهِرُ مِنْ حَصَى وَجِمَارِ^(٨)
يَنْسَابُ فِي مُخْضَلَّةٍ مُبْتَلَا مَنَسُوجَةٍ مِنْ سُنْدُسٍ وَنُضَارِ^(٩)

-
- (١) المعالم : جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه .
(٢) هوج : جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التي لا تستوى في هبوبها وتقلع البيوت .
(٣) الصاحي : المكان البارز - يزجي : يسوق ويستحث .
(٤) الإماء : الجوارى .
(٥) الإزار : الملحفة وكل ما ستر .
(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . الغور : القعر من كل شيء .
(٧) إطار الشيء : كل ما أحاط به والمعنى أن الغدير بما استدار على حافته من الزهر كأنه مرآة لها إطار .
(٨) جمار : جمع جرة وهي الحصى .
(٩) اخضل الشيء : صار نديا بليلا . النضار : الذهب .

زَهْرَاءُ عَوْنِ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْهَوَى
قَامَ الْجَلِيدُ بِهَا وَسَالَ كَأَنَّهُ
وَتَرَى السَّمَاءَ ضَحَى وَفِي جُنْحِ الدُّجَى
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ سَلَكَتَ وَمَذْهَبِ
مُخْتَارَةَ الشَّعْرَاءِ فِي آذَارِ
دَمْعِ الصَّبَابَةِ بَلَهَ غَضْنَ عَذَارِ
مُنْشَقَّةً عَنْ أَنْهَرٍ وَبِحَارِ^(١)
جَبَلَاتٍ مِنْ صَخَرٍ وَمَاءٍ جَارِ

وقال في وصف الطيارة ، وهذا من أروع الكلام :

نِصْفُهُ طَيْرٌ وَنِصْفُهُ بَشَرٌ
حَمَلَ الْفَوْلَاذُ رِيشًا وَجَرَى
وَجَنَاحٌ غَيْرِ ذِي قَادِمَةٍ
وَذَنَابِي ، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا
يَتَرَاءَى كَوْكَبًا ذَا ذَنْبٍ
فَإِذَا جَاَزَ الثُّرَيَّا لِاتَّرى
يَا لَهَا إِحْدَى أَعَاجِبِ الْقَضَاءِ !
فِي عَنَانَيْنِ لَهُ : نَارٌ وَمَاءٌ
كَجَنَاحِ النَّحْلِ مَصْنُوعٍ سَوَاءٍ
مَسَّهُ صَاعِقَةٌ مِنْ كَهْرَبَاءٍ
فَإِذَا جَدَّ فَسَهُمَا ذَا مَضَاءٍ
جَرَّ كَالطَّائِفِ ذَيْلَ الْخَيْلِ

ومن قصيدة له دعاها : (الأندلس الجديدة) :

يَا أُخْتَ أُنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلَامٌ
نَزَلَ الْهَلَالُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْتَهَا
أَزْرَى بِهِ وَأَزَالَهُ عَنْ أَوْجِهِ
هَوَتْ الْخِلَافَةُ عَنْكَ وَالْإِسْلَامُ^(٢)
طُوِيَتْ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظُلَامٌ
قَدَرْتُ يَحُطُّ الْبَدْرُ وَهُوَ تَمَامُ^(٣)

(١) الدجى : الظلمة أو سواد الليل .

(٢) يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنة وقد كانت من أمهات المدن العثمانية في مقدونية وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها في الحرب سنة ١٩١٣ بعد أن أبلت حاميتها في الدفاع عنها بلاء حسناً .

(٣) أزرى به : وضع من شأنه ، الأوج : العلو .

جُرْحَانِ تَمْضِي الْأُمْتَانِ عَلَيْهِمَا : هَذَا يَسِيلُ وَذَاكَ لَا يَلْتَامُ^(١)
 بَكْمَا أُصِيبَ الْمَسَامُونَ وَفِيَكُمَا دُفِنَ الْيَرَاعُ وَغُيِبَ الصَّمْصَامُ^(٢)
 لَمْ يُطَوِّ مَا تُمَهَا ، وَهَذَا مَا تُمُّ مَا بَيْنَ مَصْرَعَيْهَا وَمَصْرَعِكَ انْقَضَتْ^(٣)
 خَلَّتِ الْقُرْمُونُ كُلَيْلَةً وَتَصَرَّمَتْ فِيمَا نُحِبُّ وَنَكْرَهُ الْأَيَّامُ^(٤)
 وَالدَّهْرُ لَا يَأْكُلُ الْعَمَالِكُ مُنْذِرًا دَوْلُ الْفُتُوحِ كَأَنَّهَا أَخْلَامُ^(٥)
 فَإِذَا غَفَلْنَا فَمَّا عَلَيْهِ مَلَامُ^(٦)

مَقْدُونِيَا ، وَالْمَسَامُونَ ، عَشِيرَةٌ كَيْفَ الْخَوُولَةُ فِيكَ وَالْأَعْمَامُ^(٧)
 أَتَرَيْنَهُمْ هَانُوا ، وَكَانَ بَعْزُهُمْ وَعُلُوُّهُمْ يَتَخَايَلُ الْإِسْلَامُ^(٨)
 إِذْ أَنْتِ نَابُ اللَّيْثِ ، كُلُّ كَتِيبَةٍ طَلَعَتْ عَلَيْكَ فَرِيَسَةٌ وَطَعَامُ^(٩)
 مَا زَالَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى بُدِّلَتْ وَتَغَيَّرَ السَّاقِي ، وَحَالَ الْجَامُ^(١٠)

(١) جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدي المسلمين ، والثاني خروج الأندلس من أيديهم .
 الأمتان هم العرب أيام نسكبة الأندلس ، والتراك أيام ضياع أدرنة .

(٢) اليراع : يريد القلم ، والصمصام : السيف .

(٣) لم يطو ما تمها : أي ما تم الأندلس .

(٤) خلت : مضت . تصرمت : انقضت .

(٥) لا يألو : لا يقصر ولا يبطل .

(٦) مقدونيا : اسم الإقليم الذي تقع فيه أدرنة . العشيرة : قبيلة الرجل . الخوولة : نسبة إلى الحال كالمعومة وهي النسبة إلى العم .

(٧) يتخايل : يتبخر .

(٨) إذ أنت ناب الليث : أي مثل الليث في أنه مخوف لا يمكن الوصول إليه . الكتيبة : الجيش ، وقيل القطعة منه . والمعنى أن الإسلام كان يتخايل بعز أبنائه في مقدونيا حينما كانت متمتعة على العدو كامتناع الليث على من يريده ، وحينما كانت تفتي دونها جيوش الأعداء .

(٩) حال : تحول من حال إلى حال . والجام : إناء من فضة تسقى فيه الخمر .

أَرَأَيْتَ كَيْفَ أُدِيلَ مِنْ أَسَدِ الشَّرَى وَشَهِدْتَ كَيْفَ أُبَيِّحَتِ الْأَجَامُ^(١)
 زَعَمُوكَ هَمًّا لِلْخِلَافَةِ نَاصِبًا وَهَلِ الْمَمَالِكُ رَاحَةً وَمَنَامُ^(٢)
 وَيَقُولُ قَوْمٌ : كُنْتَ أَشَامَ مَوْرِدٍ وَأَرَاكَ سَائِغَةً عَلَيْكَ زَحَامُ
 وَيَرَاكَ دَاءَ الْمُلْكِ نَاسُ جَهَالَةٍ بِالْمُلْكِ مِنْهُمْ عِلَّةٌ وَسَقَامُ
 لَوْ آثَرُوا الْإِصْلَاحَ كُنْتَ لَعَرَشِهِمْ رُكْنَا عَلَى هَامِ النُّجُومِ يُقَامُ^(٣)
 وَهُمْ يُقَيِّدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ وَفِيُودُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَوْهَامُ
 صُورُ الْعَمَى شَتَّى ، وَأَقْبَحُهَا إِذَا نَظَرْتَ بَغَيْرِ عُيُونِنَ الْهَامُ
 وَلَقَدْ يُقَامُ مِنَ السُّيُوفِ ، وَلَيْسَ مِنْ عَثَرَاتِ أَخْلَاقِ الشُّعُوبِ قِيَامُ

ومن روائع حكمه ، وما جرى من شعره مجرى الأمثال . قوله :

وإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُوهُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَاقْتُمْ عَلَيْهِمْ مَا تَمَّا وَعَوِيلاً

وَمَا السَّلَاحُ لِقَوْمٍ كُلِّ عُدَّتِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي أَهَبِ

(١) أدبل منها : صارت مغلوبة بعد أن كانت غالبية . والشرى : مكان نكثر فيه الأسود .
 الأجام : جمع أجهم ، وهو الشجر الملتف تألفه الأسود أيضاً .

(٢) الهم الناصب : المتعب .

(٣) لو آثروا الإصلاح : أى لو اختاروه . الهام : جمع هامة ، وهى رأس كل شىء .

عَلَى الْأَخْلَاقِ خُطُّوا الْمَلَكَ وَابْنُوا فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلْعَزِّ رُكْنٌ

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ مُبْنِيَانُ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَقَهُمْ كَانَتْ خَرَابًا

وَلَا الْمَصَائِبُ إِذْ يُرْمَى الرَّجَالُ بِهَا بِقَاتِلَاتٍ إِذَا الْأَخْلَاقُ لَمْ تُصَبِّ

أَعْلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلٍّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا ؟

وَلَيْسَ بِالْفَاضِلِ فِي نَفْسِهِ مَنْ يُنْكِرُ الْفَضْلَ عَلَى رَبِّهِ

مَا أَضْعَبَ الْفِعْلَ لِمَنْ رَامَهُ وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَ

رَبُّ إِنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ وَإِذَا شِئْتَ فَالْمَضِيقُ فَضَاءٌ

* وَاسْتَقِيمُوا يَفْتَحِ اللَّهُ لَكُمْ بَابًا فَبَابًا *

وَالْجَهْلُ مَوْتُ فَإِنْ أُوتِيَتْ مُعْجِزَةٌ فَأُبْعَثُ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ فَأُبْعَثُ مِنَ الرَّجَمِ

صَلِّحْ أَمْرَكَ لِلْأَخْلَاقِ رَاجِعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ

* الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحْمِ *

تم بعون الله تعالى طبع هذا الكتاب في يوم السبت ٢٢ ذى الحجة
سنة ١٣٧٣ هـ (الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٤ م) بمطابع
دار الكتاب العربي لصاحبها ومديرها محمد حلمى النياوى

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الثاني

للسنة الثانية الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي النياوي

فهرس

صفحة	العصر العباسي الثاني	صفحة	التنوخى :
	الأدب في خراسان والعراق		قال يصف الليل والنجوم ... ١١
	(١) الشعر		وقال أيضاً في هذا المعنى ... ١١
	الشريف الرضى :		وقال في وصف رسالة ... ١٢
	قال يتغزل ... ١		الدينورى :
	وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك		قال يشكو ولده ... ١٢
	بهاء الدين البويهى ... ٢		وقال أيضاً في شكوى الكبير ... ١٣
	وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسي		ابن المنجم :
	في أحد مجالسه ... ٣		قال في الشكوى والتوجع ... ١٣
	وقال يفتخر من قصيدة يمدح بها أهل		الضبي :
	البيت ... ٤		قال يصف الليل والسهر ... ١٣
	وقال في صغره ... ٥		أبو الفضل الميكالى :
	مهيار الديلى :		قال في التوجع وشكوى الدهر ... ١٤
	قال في الفخر بقومه فارس وبالإسلام		وقال في وصف الترجس ... ١٥
	وقال من قصيدة في التشوق ... ٧		الأبيوردى :
	وقال من قصيدة في الحكمة والشكوى		قال في الشكوى ... ١٥
	وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له		وقال أيضاً يستحث على اقتفاء أثر الآباء
	وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين		الكرام ... ١٦
	أبا الحسن ويهتبه بالمهرجان ... ٩		الطغراني :
	أبو سعد الكاتب :		قال يصف الغدير ... ١٦
	قال في الشوق إلى بغداد ... ١٠		وله في الأعداء والحساد ... ١٧
	ابن لنكك :		ومن لاميته الشهورة في الحكم ... ١٨
	قال في الهجاء ... ١١		

صفحة	صفحة
وقال يرثي مؤيد الملك وقد مات مقتولا	١٨
وقال يرثي زوجته	١٩
وقال في أعدائه	١٩
السمروردي :	
قال في الفلسفة والتصوف	٢٠
الرفاعي :	
من قوله في العشق الصوفي	٢٠
السري الرفاء :	
قال يصف مجلسا	٢١
وقال يصف الروض والجو في يوم ظهر	
فيه قوس قزح	٢٢
وقال يعاتب صديقا أفشى له سرا	٢٢
الجرجاني :	
قال يمدح الوحدة ويندم مخالطة الناس	٢٣
الصائبي :	
قال يهجو	٢٣
الصاحب بن عباد :	
قال يذم الشماتة	٢٣
الخوارزمي :	
قال يوصي بتخير الأصدقاء	٢٤
ابن نباتة السعدي :	
قال يصف فرسا أدهم	٢٤
وقال يعزي صمصام الدولة في أبيه	٢٥
الليثي :	
قال يعزي بالكرم	٢٥
وقال أيضاً في المداولة بين الراحة والتعب	٢٥
وقال في جواب كتاب	٢٦
وقال أيضاً في هذا الغرض	٢٦
الناشي الأصغر :	
قال في معاملة الصديق	٢٦
الآهري :	
قال في الحكم	٢٧
صردر :	
قال يصف كتيبة	٢٧
وقال يستهدي مداداً ويصف الدواة	
والقرطاس والقلم	٢٨
السلامي :	
قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان	٢٩
(ب) النثر	
أولا - النثر الفني	
ابن العميد :	
من كتاب له في التهديد واللوم	٣٠
وكتب إلى أبي عبد الله الطبري	٣١
الصاحب بن عباد :	
رقعة منه إلى القاضي أبي بشر الجرجاني	٣٢
وله ؛ فصل من كتاب إلى ابن العميد	
جوابا لكتاب إليه في وصف البحر	٣٣

صفحة

وقال يذكر قيام شبيب العقيلي وكان	
خارجا على كافور ٥٦	
وقال يوم عرفة وقد خرج من مصر	
فأرأ من كافور إلى الكوفة ٥٨	
وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند	
إزماعه السفر إلى مصر ٦٠	
وقال في الحكمة ٦٣	
وقال من قصيدة يمدح بها كافورا ... ٦٤	
وقال في وصف الحياة والناس ٦٥	
أبو فراس :	
قال في الشكوى والعتاب ٦٦	
وقال في الحكم ٦٧	
وقال يشكو حاسديه ويندم فعلهم ... ٦٧	
وقال في وصف كتاب ورد عليه من	
صديق له ٦٧	
وقال من قصيدة ينوه فيها بشجاعته ... ٦٨	
وكتب وهو في أسر الروم إلى سيف	
الدولة ٦٩	
وقال من قصيدة بعث بها إليه من	
الأسر يعاتبه على تباطئه في فكاهه ٧١	
أبو العلاء المعري :	
قال في الفخر ٧٢	
وقال يصف ديكا ٧٥	
وقال في وصف ليلة ٧٦	
وقال يرثي فقيها حنفيا ٧٧	
وقال يفتخر ٧٨	
وقال من قصيدة تتضمن كثيرا من	
خاص آرائه ٨٠	
وقال يصف الحياة الدنيا ٨٢	
وقال في هذا المعنى ٨٢	

صفحة

الخوارزمي :	
كتب إلى قاضي سجستان حين نكبه	
أميرها ٣٤	
البديع الهمداني :	
كتب يعتذر من إنباته رسوله عن شخصه	
المقامة القريضية ٣٧	
ثانياً — النثر العلمي التأليف	
٣٨	
أبو جنى :	
قطعة من كتابه الخصائص ٤٢	
الجرجاني :	
فصل من كتابه دلائل الإعجاز ... ٤٣	
الحريري :	
فصل من كتابه درة الغواص ٤٤	
المسعودي :	
قطعة من مقدمة كتابه التنبيه والإشراف	
٤٥	
الماوردي :	
فصل من أدب الوزير ٤٧	
أبو حمدون :	
فصل من تذكرته في السياسة والآداب	
الملكية ٤٨	
الأدب في مصر والشام	
(١) الشعر	
المتنبي :	
قال في صباه من قصيدة ٥٠	
وقال من قصيدة يصف حربا ٥١	
وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة	
ويذكر محاربه للروم ٥٣	

قال في الحكمة ٨٣	ابن الفارض :
وقال يصف التدين الكاذب ٨٣	قال من قصيدة ٩٢
وقال في انطباع الناس على الشر ٨٣	عمار اليمنى :
وقال في رأى الناس وخبرهم ٨٤	قال من قصيدة يصف فيها داراً ... ٩٣
سر كشاجم :	القاضى الفاضل :
قال يشكو الحظ والزمن ٨٤	قال من قصيدة خمرية وصف فيها
وقال يهجو عوادة ٨٤	بلاغته ٩٥
وقال يتغزل ٨٥	ابن فلاح :
أبو الفرج البغفاء	قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال ٩٧
قال يصف كتنية وقائدها ٨٥	وقال مرتجل وقد خر السقف عليه
عبد المحسن الصورى	من أثر مطر هاطل ٩٨
قال يهجو من ضافه ٨٦	وقال يصف فوارة ٩٩
وقال في وصف جميل يسبح في ماء ... ٨٦	وقال يصف الشمس وهى غاربة
تميم بن المعز الفاطمى العبيدى :	في النيل ٩٩
قال يصف قوارة في بستان ٨٧	ابن النبيه المصرى :
وقال أيضا في الفخر ٨٧	قال يصف الحياة والموت ٩٩
وقال في الغزل ٨٨	وقال يتغزل ١٠٠
أبو الحسن التهامى :	ابن مطروح :
قال يرثى ابناً له مات صغيراً ٨٨	قال يصف حسناء تسير بليل ... ١٠٠
على بن النعمان :	وقال يتغزل ١٠٠
قال في وصف صديق ٩١	البهاء زهير :
أبو الحسن على بن عبد الرحمن :	قال في الشكوى ١٠١
قال في الهجاء ٩١	وقال في عتاب الحبيب والتشوق إليه ١٠١
الحسن بن الزبيرى الأسوانى :	وقال في التغزل ١٠٢
قال يشتاق إلى نهر بردى بالشام ... ٩١	وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر
	العزيزة ١٠٣

بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي :

قال في الصبابة والتحزن ... ١١٢

وقال في الروض ... ١١٤

الشاب الظريف :

قال من قصيدة في الشكوى والحكمة ١١٤

وقال في الغزل ... ١١٤

وقال في زيارة الحبيب ... ١١٥

وقال في الغزل ... ١١٥

وقال فيما يحمد العاشق وما يصنع ... ١١٥

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر ١١٦

وقال في الغزل ... ١١٦

سراج الدين الوراق المصري :

قال في شكر الله على نعمائه ... ١١٧

وقال في لوم النفس على المعصية ... ١١٧

وقال في الترفع ... ١١٧

وقال في الحنين الى الأحباب ... ١١٨

نصير الدين الحامى المصرى :

قال بصف شخصا ... ١١٨

وقال في ذم داره ... ١١٨

عمر بن الوردى :

قال في مدح شهاب الدين فضل الله ١١٩

وكتب إلى القاضي جمال الدين يوسف

معاتباً له ... ١٢٠

صفي الدين الحلى :

من ملحه ... ١٢١

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون

عند كسر الخليج ... ١٢١

وقال يهنيء المؤيد بالقدوم إلى الصيد ١٢٣

(ب) النثر

أولا - النثر الفنى :

أبو الفرج الببغاء :

من كتاب يهنيء فيه بولاية عمل ... ١٠٤

ومن كتاب له في التهنئة بعيد ... ١٠٤

من كتاب في التهنئة بمولودة ... ١٠٤

على بن خلف :

كتب في الدعوة إلى وليمة ... ١٠٥

القاضى الفاضل :

قال يصف مدينة آمد ... ١٠٦

ابن الصيرفى :

فصل له من كتاب بشارة بالسلامة ١٠٧

ابن قادوس :

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس

بوفاء النيل في الدولة الفاطمية ... ١٠٨

ثانياً - النثر العلمى التأليفى

المعري :

من قوله في مقدمة اللزوميات ... ١٠٩

ابن شداد :

فصل من كتابه : النوادر السلطانية

والمحاسن اليوسفية ... ١١٠

عصر المماليك والعثمانيين

(١) الشعر

شمس الدين محمود الكوفى :

قال في رثاء بغداد ... ١١٢

صفحة	صفحة
ابن دقيق العيد :	وقال يحرش الأمير نور الدين على ملتي
١٣٣ قال يتمنى الجمع بين الشباب والمشيب	١٢٤
١٣٣ وقال في الشكوى	١٢٥
١٣٣ وقال في بعض الوزراء	١٢٥
بجير الدين بن تميم :	جمال بن نباتة المصري :
١٣٤ قال يصف روضا	١٢٥ قال يرثي ولداً له مات صغيراً
١٣٤ قال في وكيل بدار القاضي بدمشق	وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه
١٣٤ وقال في روضة	١٢٧ في والده
وكتب إلى كمال الدين النجار وكيل	١٢٩ وقال في بالناصر حسن
بيت المال بدمشق	صفي الدين بن قرناص الحموي :
١٣٥ وقال في رثاء صديق له اسمه قطب	١٢٩ قال يصف روضا
الدين	١٣٠ وقال يصف نهراً
١٣٥ وقال في التشوق	علي بن محمود المبارك :
١٣٥ وقال في الغزل	١٣٠ قال يذم داره سكناه
١٣٥ وقال في ليلة سكر	ابن سعيد المغربي :
١٣٦ وقال يهجو	١٣١ قال يصف الجزيرة
١٣٦ وقال يمدح النرجس	محمد بن سليم المصري :
١٣٦ وقال في روضة	كتب إلى سراج الوراق في حمار له
الشهاب الخفاجي البهاسي :	سقط في بئر فمات
١٣٧ قال يتغزل	ابن الجنان :
السيد عبد الرحيم :	١٣٢ قال يصف روضا على نهر
١٣٨ قال يصف ضعفه	محمد بن الحسين :
١٣٨ وقال يشكو من الأصدقاء	١٣٢ قال في نوح الحمام
١٣٨ وقال يصف الصداقة الحق	محمد بن الحسن الصائغ العروضي :
١٣٨ وقال في لئيم ابتداء بالتحية	١٣٣ قال يتشوق وهو بمصر إلى دمشق
١٣٩ وقال في الحكمة	
محمد بن القاسم الحلبي :	
قال يحيب الشهاب الخفاجي على قصيدته	
١٣٩ التي تقدمت	

صفحة	صفحة
القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :	أحمد بن العلقمي :
من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن ١٥٢	قال يتمدح ... ١٤٠
الإمام ابن حبيب الحلبي :	عبد الرحمن بن عماد الدين :
من كتاب نسيم الصبا ... ١٥٤	قال في الموت وطلب الرحمة ... ١٤١
شهاب الدين محمود الخفاجي :	الأمير محمد بن منبجك :
المقامة الساسانية ... ١٥٦	قال متغزلاً ... ١٤١
ثانياً — النثر العلمي	ابراهيم بن المبلط :
الشيخ كمال الدين الدميري :	قال من قصيدة طويلة في الغزل ... ١٤٢
قطعة من كتابه حياة الحيوان ... ١٦١	ينور الدين العسيلي :
ابن خلدون :	قال يصف دولاباً ... ١٤٣
فصل من مقدمته ... ١٦٣	الأستاذ الإمام أبو المواهب البكري :
المقرئزي :	قال يصف يوم مرج ... ١٤٥
من خطبة كتابه المواعظ والاعتبار ١٦٥	الشيخ عبد الله الشبراوي :
شمس الدين محمد النواجي :	قال في السيد عبد القادر نقيب ... ١٦
من كتابه حلبة الكيمت ... ١٦٦	الأشراف ... ١٤٦
ابن خلكان :	وقال متشوقاً إلى مصر ... ١٤٧
من كتابه وفيات الأعيان ... ١٦٧	(ب) النثر
الديار بكري :	أولاً — النثر الفني
فصل من كتاب الخميس في أحوال	الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
أنفس نفيس ... ١٦٨	الصفدي :
الشيخ شهاب الدين الألبشيبي :	قال يصف بستاناً ... ١٤٨
قطعة من كتابه المستطرف ... ١٧٢	القلقشندي :
	من رسالة له عن الملك الناصر برقوق
	إلى صاحب فاس ... ١٥١

العصر العباسي الثاني

الأدب في خراسان والعراق

(١) الشعر

١ - الشريف الرضي^(١)

قال يتغزل :

يا ظبية البان ترعى في خائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك^(٢)
الماء عندك مبدول لشاربه وليس يرؤيك إلا مدمعي الباكي^(٣)
هبت لنا من رياح الغور رائحة^(٤) بعد الرقاد عرفناها برياك^(٥)
ثم انثنينا إذا ما هزنا طرب^(٦) على الرحال تعلقنا بذكراك
سهم أصاب وراميه بذى سلم^(٧) من بالعراق ، لقد أبعدت مرمك^(٨)

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضي العلوي نقيب أشرف بغداد وأشعر بني هاشم توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح في الاعتدال واللين .
والخائل : جمع خيلة وهي الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) المدمع : مجرى الدمع في العين .

(٤) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز . وهي المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة .

(٥) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

حَكَّتْ لِحَاظُكَ مَا فِي الرَّيِّمِ مِنْ مُلَحٍّ يَوْمَ اللِّقَاءِ ، وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْحَاكِي ^(١)
كَأَنَّ طَرَفَكَ يَوْمَ الْجِزْعِ يُخْبِرُنِي ^(٢) بِمَا طَوَى عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءٍ قَتْلَاكَ ^(٣)
أَنْتَ النِّعِيمُ لِقَلْبِي وَالْعَذَابُ لَهُ فَمَا أَمَرَكَ فِي قَلْبِي وَأَحْلَاكَ
عِنْدِي رِسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكُرُهَا لَوْلَا الرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَكَ

وَقَالَ مِنْ نَسِيبِ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْمَلِكَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ الْبُؤَيْهِيَّ وَأَنْفَذَهَا إِلَيْهِ وَهُوَ
فِي الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ فَتَحَهَا فِي آخِرِ سَنَةِ ٣٩٤ هـ :

أَلْهَاكِ عَنَّا رَبَّةَ الْبُرْقِعِ مَرُّ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِ ^(٤)
أَنْتِ أَعْنَتِ الشَّيْبَ فِي مَفْرَقِ مَعَ الْإِيَالِ ، فَصَلِّي أَوْ دَعِ ^(٥)
يَا حَاجَةَ الْقَلْبِ أَلَمْ تَرْجِي جَنَایَةَ الدَّمْعِ عَلَى مَدْمَعِي ؟
لَوْلَا ضَلَالَاتُ الْهَوَى لَمْ يَكُنْ عِنَانُ قَلْبِي لَكَ بِالْأَطْوَعِ ^(٦)
كَيْفَ طَوَى دَارَكَ ذُو صَبُوءٍ عَمْدِي بِهِ يَطْرَبُ لِلْمَرْبَعِ ^(٧)
كَانَ يَرَى نَازِرُهُ سُبَّةً أَنْ مَرَّ بِالْدارِ وَلَمْ يَدْمَعِ ^(٨)

(١) الرِّيمُ : الظبي الخالص البياض .

(٢) الجِزْعُ : موضع بالحجاز قرب الطائف .

(٣) أَمْرٌ مِنْ الْعَمْرِ : فَيَكُونُ عَمْرُهُ يَوْمَئِذٍ ٣٤

(٤) الْمَفْرَقُ : وَسَطُ الرَّأْسِ ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَفْرَقُ عَنْهُ الشَّعْرُ . أَيْ أَنَّ حَبْلَكَ أَهْمَنِي

بِفَعْلِ الشَّيْبِ يَسْرِعُ فِي رَأْسِي فَوْقَ فَعْلِ الْإِيَالِ بِهِ .

(٥) الْعِنَانُ بِالْكَسْرِ : سَيْرُ اللَّجَامِ ، أَيْ : لَوْلَا حَبْلِي إِيَّاكَ لَمْ يَكُنْ قَلْبِي طَوْعًا لَكَ .

(٦) طَوَى دَارَكَ : مَرَّ بِهَا وَحَازَهَا . وَالْمَرْبَعُ الْمَكَانُ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ وَقْتُ الرَّبِيعِ ، وَيُرَادُ

بِهِ هُنَا الدَّارُ مُطْلَقَةً وَيَطْرَبُ هُنَا : بِمَعْنَى يَحْزَنُ وَيَشْجُو .

(٧) السُّبَّةُ هُنَا : الْعَارُ . وَالْمُرَادُ بِالنَّازِرِ : الْعَيْنُ .

يا حبيذا منك خيالٌ سرى فدلّه الشوقُ على مضجعي
باتَ يعطيني جنى ظلمه وبث ظمآنٍ ولم أنقع^(١)

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسي في أحد مجالسه :

لله يوم أطلعتك به العـلا علما يزاولُ بالعيون ويرشق^(٢)
لما سميت بك غرة مرموقة كالشمس تبهرُ بالضياء وتومق^(٣)
وبرزت في بُرد النبيّ ، وللهدي نورٌ على أسرار وجهك مشرق^(٤)
وكان دارك جنة حصباءها || جادى أو أنماطها الإستبرق^(٥)
في موقف تغضى العيونُ جلاله فيه ويفترُّ بالكلام المنطق^(٦)
والنّاسُ : إما راجعٌ منهيبٌ مما أرى ، أو طالعٌ مشوّق
مألوا إليك محبةً ، فتجمعوا ورأوا عليك مهابةً ، فتفرّقوا

(١) الظلم : تلالؤ أسنان الثغر ، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة . ولم أنقع :
أى لم أروظمى .

(٢) العلم : الجبل . ويزاول : يطلب .

(٣) الغرة : الوجه : ومرموقة : تتجه الأنظار إليها . وتبهر : تغلب . وتومق :
تحب وتعشق

(٤) الأسرار : خطوط الوجه ، واحدها : سرر .

(٥) الحصباء : الحصى . والجادى : الزعفران . والأنماط : جمع نمط ، وهو البساط ،
والإستبرق : ثياب حريرية .

(٦) تغضى : تغمض .

وقال يفخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت :

لِغَيْرِ الْعُلَا مَنِّي الْقَلَى وَالتَّجَنُّبُ وَلَوْلَا الْعُلَا مَا كُنْتُ فِي الْحَبِّ أَرْغَبُ^(١)
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَعْذِرْكَ فِيمَا تَرَوُهُ فَمَا النَّاسُ إِلَّا عَاذِلٌ وَمُؤَنَّبُ
 مَلَكَتُ بِحِلْمِي فُرْصَةً مَا اسْتَرَقَّهَا مِنْ الدَّهْرِ مَفْتُولُ الذَّرَاعَيْنِ أَغْلَبُ^(٢)
 فَإِنْ تَكَ سَنَى مَا تَطَاوَلَ بَاعُهَا فَلِي مِنْ وَرَاءِ الْمَجْدِ قَلْبٌ مُذْرَبُ^(٣)
 فَحَسْبِيَ أَنِّي فِي الْأَعَادَى مُبْغِضٌ وَأَنِّي إِلَى غُرِّ الْبُلُوغِ إِلَى مُحِبِّبُ
 وَلِلْحِلْمِ أَوْقَاتٌ ، وَلِلْجَهْلِ مِثْلُهَا وَلَكِنْ أَيْبَأَى إِلَى الْحِلْمِ أَقْرَبُ^(٤)
 يَصُولُ عَلَى الْجَاهِلُونَ ، وَأَعْتَلَى وَيُعْجِمُ فِي الْقَاتِلُونَ ، وَأُعْرِبُ^(٥)
 يَرُونَ احْتِمَالِي غُصَّةً ، وَيَزِيدُهُمْ لَوَاعِجَ ضَعْفٍ أَنْتَى لَسْتُ أَغْضَبُ^(٦)
 وَأَعْرَضُ عَنْ كَأْسِ النَّدِيمِ كَأَنَّمَا وَمِيزُ غَمَامٍ غَائِرُ الْمَزْنِ خُلْبُ^(٧)
 وَقَوْرٌ ، فَلَا الْأَلْحَانَ تَأْسَرُ عَزَمَتِي وَلَا تَمَكُّرُ الصَّهْبَاءِ بِي حِينَ أَشْرَبُ
 وَلَا أَعْرِفُ الْفَحْشَاءَ إِلَّا بِوَصْفِهَا وَلَا أَنْطِقُ الْعَوْرَاءَ وَالْقَلْبُ مُغْضَبُ

- (١) القلى : البغض والكراهة والهجر . أى لولا أننى أحب المعالى لما كان لى رغبة فى أى حب
 (٢) استرقها : يريد نالها وحصل عليها . والأغلب : يريد القوى الذى يغلب خصمه . أى
 أننى أنال بالحلم ما لا يناله القوى الشجاع بقوته وشجاعته .
 (٣) المذرب : المحدد الماضى .
 (٤) الجهل هنا : الجفاء والغلظة والإسراع إلى المعاقبة والانتقام .
 (٥) الجاهلون هنا : الحق الذين لا عقل لهم ولا رأى . والإعجام ضد الإبانة ، أى أن
 أولئك الجاهلين الحق يعتدون على ولكن قدرى يرتفع ، ويقولون عفى كالأما كأنه لسخفه
 معجم غير بين ولا كنتى أعرب وأبين بقولى الواضح ، وفعلنى الصالح .
 (٦) لواعج : جمع لاعج ، وهو المحرق . أى أن ترى الغضب يزيدهم أضغانا محرقة فى صدورهم
 (٧) الوميض : لمعان البرق . والغمام : السحاب . والمزن العائر : السحاب الذاهب .
 والخلب : الخادع وهو صفة للوميض .

تَحَلَّمُ عَنْ كَرِّ الْقَوَارِصِ شَيْئًا كَانَ مُعِيدَ الذَّمِّ بِالْمَدْحِ مُطْنِبٌ^(١)
 لِسَانِي حَصَاةً يَقْرَعُ الْجَهْلَ بِالْحِجَا إِذَا نَالَ مِنِّي الْعَاظَةُ الْمُتَوَثِّبُ^(٢)
 وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَمَسَّ عِزِّي فَضَالَاتُ مَا يُعْطَى الزَّمَانُ وَيُسْلَبُ^(٣)
 غَرَائِبُ آدَابٍ حَبَانِي بِحِفْظِهَا زَمَانٌ وَصَرَفُ الدَّهْرِ لِعَمِّ الْمُؤَدِّبِ^(٤)

وقال في صغره :

سَتَعْلَمُونَ مَا يَكُونُ مِنِّي إِنْ مَدَّ مِنْ ضَبْعِي طَوْلُ سَنِي^(٥)
 أَدْعُ الدُّنْيَا ، وَلَمْ تَدْعُنِي يَلْعَبُ بِي عَنَاؤُهَا الْمَعْنَى^(٦)
 وَسِعَتْ أَيَّامِي وَلَمْ تَسْغِنِي أَفْضَلُ عَنْهَا ، وَتَضْيِيقُ عَنِّي^(٧)

(١) تحلم ، أصلها تتحلم ، حذف إحدى التاءين ، والقوارص : الشتائم الشديدة .
 والشيعة : السجية والخصلة ، أى أن كريم طبعى يأبى على إلا أن أقابل تكرار ذمى بالحلم ،
 حتى كأن مكرر ذمى يطيل فى مدحى .

(٢) الحصاة هنا : العقل والجهل : الحق . والعاضه : الذى يكذب على المرء فى وجهه .
 أى أنى إذا آذانى متوثن على ذمى بالكذب فى وجهى ، لم أقابله بالمثل ، ولم أبسط فيه لسانى ،
 بل أحلم عليه ، وأجعل لسانى عقلا يفكر ولا يتكلم

(٣) الفضلات فى الأصل : البقايا . ويريد بها هنا : الملاذ الدنيوية . أى أنها لا تثيننى
 عن معالى الأمور ، فلا يحزننى ما أفقد من هذه الملاذ ، ولا يسرنى ما أنال منها .

(٤) صرف الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٥) الضبع : العضد . أى إن كبرت سنى ، واشتد عضدى .

(٦) المعنى : المرهق الشاق أى أترك الدنيا يلعب بى عناؤها وهى لم تتركى .

(٧) وسعت أيامى : انسعت لها واستنفدتها . وأفضل . أزيد . أى أن همى تتسع لأيام
 حياتى ، حتى تستنفدها ، ثم تزيد عليها ، فالأيام تضيق عن كل ما أريد ، إذ أن همى أبعد مدى منها .

لم أنا مثلُ العاطنِ المُبِينِ أَسْحَبُ بُرْدِي ضَرَجَ وَأَفْنِ^(١)
 ولي مضاء قط لم يَخُنِّي : ضميرُ قلبي ، وضميرُ جَفْنِي^(٢)
 راض بما يُضَوِي الفتى وَيُضْنِي أسس آباءى وسوف أبني^(٣)
 قد عزّ أصلى ويعزُّ غُصْنِي غنيتُ بالمجد ولم أستغن

٢ - مَهْيَارُ الدَّيْلَمِي^(٤)

قال في الفخر بقومه فارس وبالإسلام :

أُعْجِبْتُ بِي بَيْنَ نَادِي قَوْمِهَا أُمُّ سَعْدٍ ، فمضتْ تَسْأَلُ بِي
 سَرَّهَا مَا عَلِمْتُ مِنْ خَلْقٍ فَأَرَادَتْ عِلْمَهَا مَا حَسَبِي ؟
 لَا تَخَالِي نَسَبًا يَخْفُضُنِي ، أَنَا مِنْ يُرْضِيكَ عِنْدَ النَّسَبِ
 قَوْمِي اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّهْرِ فَتَى ، وَمَشَوْا فَوْقَ رِمَوسِ الْحَقَبِ
 عَمَّوْا بِالشَّمْسِ هَامَاتِهِمْ ، وَبَنَوْا أَيْبَاتِهِمْ بِالشَّهْبِ
 وَأَبَى كَسْرَى عَلَا إِيوَانُهُ أَيْنَ فِي النَّاسِ أَبٌ مِثْلُ أَبِي ؟

(١) العاطن : الجمل المبارك بجانب الماء . والمبين : المقيم ، والكريه الرائحة . والضرع
 الدل والضعف . والآفن : سوء الرأي ، أى لم أقيم فى دارى مثل الجمل المقيم فى المبارك
 الكريه الرائحة ؟ أما آن لى أن أنشط فى طلب المجد ولا أجر ثوب استضعاف وثوب
 رأى غير سديد ؟

(٢) المضاء : النفوذ والإصابة ؛ أى أن قلبى ونظرى ثاقبان فى معرفة الأمور .

(٣) يضوى : يجعله نحيفاً هزيل الجسم .

(٤) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمى ، كان مجوسياً يتكسب بالكتابة فى
 الدواوين ، تخرج على الشريف الرضى فى الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله ، وأسلم على يده
 وتشيع بمذهبه وغلا فى التشيع .

قد قَبَسْتُ المجدُ من خيرِ أبي ، وقَبَسْتُ الدِّينَ من خيرِ أبي
وضَمَمْتُ الفخرَ من أطرافه : سُودِدَ الفُرْسُ ، ودين العرب

وقال من قصيدة في التشوق :

يا نَسِيمَ الصُّبْحِ مَنْ كَاطَمَةٍ شَدَّ ما هَجَّتْ الْجَوَى والْبُرْحَا^(١)
الصِّبَا — إن كان لا بد — الصِّبَا إِنَّهَا كانت لِقَلْبِي أَرْوَحَا^(٢)
يا نَدَاماي بَسْلَعِ اهل أرى ذَلِكِ المَغْبِقِ والمُصْطَبِحَا؟^(٣)
فاذكرونا مثل ذكرانا لَكُم ؛ رَبِّ ذَكْرِي قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا^(٤)
واذكروا صَبًّا إذا غَنَّى بَكُم شَرِبَ الدَّمْعَ وعاف القدحا

وقال من قصيدة في الحكمة والشكوى :

خَلِيلُكَ مِنْ صَمَا لَكَ فِي البِعَادِ وَجَارُكَ مِنْ أَدَمَ عَلَى الْوِدَادِ^(٥)
وَحَظُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ أَنْ تَرَاهُ عَدُوًّا فِي هَوَاكَ لِمَنْ نَعَادِي
وَرُبَّ أَيْحِ قَصَى العَرَقِ ، فِيهِ سُلُوٌّ عَنْ أَخِيكَ مِنَ الْوِلَادِ^(٦)
فَلَا تَغْرُزْكَ أَلْسِنَةُ رَطَابٍ بِطَائِنُهُنَّ أَكْبَادُ صَوَادِي^(٧)

(١) كاظمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس . والبرحا : مقصور البرجاء بالمد ، وهى شدة الألم .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وأروح : أجلب للراحة .

(٣) سلع : جبل بالمدينة . والمغبق : مكان الغبوق ، أى الشرب مساء . والمصطبيح : مكان الاصطباح أى الشرب صباحا .

(٤) نزح : بعد .

(٥) أذم : أعطى عهداً وذمة على الوداد .

(٦) قصى العرق : أى بعيد النسب . والولاد : الولادة .

(٧) رطاب : رطوبة تنطق بالكلام اللين . وصواد : عطشى ، أى ملتهبة من الحقد .

وعش إِمَا قَرِينِ أَخٍ وَفِيٍّ أَمِينِ الْغَيْبِ ، أَوْ عِشَ الْوَاحِدِ^(١)
فإني بَعْدَ تَجَرُّبِي لِأَمْرِ أَنْتَ — وَلَا أُغْشِكَ — بِانْفِرَادِي
تُرِيدُ خَلَائِقُ الْأَيَّامِ مَكْرَأَ لَتَغْصِبَنِي عَلَى خُلُقِي وَعَادِي^(٢)
وَتَغْمِزُنِي الْخُطُوبُ تَظُنُّ أَنِّي أَلِينُ عَلَى عَرَائِكِهَا الشَّدَادِ^(٣)
وَمَا شِهْلَانُ نُشْرِقُ قُنِّيَاهُ بِأَحْمَلِ لِلنَّوَابِ مِنْ فَوَادِي^(٤)
تُغْرِبُ فِي تَقَلُّبِهَا اللَّيَالِي عَلَى بَكْلِ طَارِقَةٍ نَادٍ^(٥)
إِذَا قُلْتُ : أَكْتَفَتْ مِنِّي ، وَكَفَّتْ نَزَتْ بِالْدَّاءِ ثَائِرَةَ الْعَدَادِ^(٦)
رَعَى سَمَنُ الْحَوَادِثِ فِي هُزَالِي كَأَنَّ صَلَاحَهُنَّ عَلَى فَسَادِي
فَيَوْمًا فِي الذَّخِيرَةِ مِنْ صَدِيقِي وَيَوْمًا فِي الذَّخِيرَةِ مِنْ تِلَادِي^(٧)
يَذُمُ النَّوْمَ دُونَ الْحَرْصِ قَوْمٌ وَقُلْتُ لِرَقْدَتِي عَنْهُ : حَمَادٍ^(٨)
وَمَا كَانَ الْغَنَى إِلَّا يَسِيرًا لَوْ أَنَّ الرِّزْقَ يَبْلُغُهُ أَجْتِهَادِي
وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له من أولاد الرؤساء يستعينه على أبيه في حاجة :
إِلَى وَزَرَ أَحْطُ بِهِ ثِقَالًا مِنْ الْأَمَالِ وَهُوَ لَهَا مَالٌ^(٩)
رَضِينَا — وَالْعُدَاةُ لَهَا غَضَابٌ — سَجَايَا^(١٠) فَيَكُ أَعْطَاكَ الْكَمَالُ^(١١)

- (١) أمين الغيب : أى لا يقول فيك شراً حين يغيب عنك . والوحيد : أى التوحيد والافتقار .
(٢) أى تريد خلائق الأيام أن تغلبني على أخلاقي وعاداتي وتسلبني إياها ، وتقهرنى على تغييرها .
(٣) العرائك : جمع عريكة ، وهى الطبيعة .
(٤) شهلان : جبل . والقنة : أعلى الجبل ؛ أى أن جبل شهلان لا يتحمل ما يتحملة قلبه
من النوائب . (٥) أى تأنى بالغرائب . والطارقة : الداهية . والنآد : العظيمة .
(٦) نزت : وثبت . وثائرة العداد ، مهتاجة فى عودتها ورجوعها .
(٧) أى فيوما تفقدنى صديقاً ؛ ويوما تفقدنى مالا .
(٨) حماد : كلمة مبغية على الكسر ، أى حمداً وشكراً ، أى أنه يحمد بعده عن الحرص
وزهده فى الجشع ، وإن كان ذلك يذمه قوم . (٩) ملجأً ومعتصم .
(١٠) سجايا : أخلاق ، جمع سجية . (١١) أى أعطاك الكمال إياها .

إذا اختلف الحدود فظلت يوماً
من النجباء يرضى السلم منهم
نموك^(١) فأشبهه الضرغام^(٢) شبل^(٣)
وكنت ابناً لوالده معيناً
ولمّا لم تحب فيك الأمانى
وآنس^(٨) منك يوم برقت غيثاً
شمائل^(١١) طاب مغرسها فطابت
تعدّهم ، استوى عمّ وخال
نفوساً ليس يابها القتال
وقايس^(٤) اليد اليمنى الشمال
وبعضهم لوالده عيال^(٥)
رحى بك حيث لم تنب^(٦) النصال^(٧)
دموع سحابه أبداً سجال^(١٠)
كما هبت على الرّوض الشمال^(١٢)

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنته بالمهرجان :

هل عند هذا الطلل الماحل
أصمّ ! بل يسمع ! لكنه
وقفت فيه شبحاً مائلاً
ولا ترى أعجب من ناحل
من جلد يُجدى على سائل^(١٣)
من البلى فى شغل شاغل^(١٤)
مرتفداً من شبح مائل :^(١٥)
يشكو ضناً الجسم إلى ناحل^(١٦)

-
- | | |
|--|--|
| (٢) الأسد | (١) رفعوا نسبك إليهم |
| (٤) ساوتها . | (٣) ابن الأسد : |
| (٦) تتباعد وتتجافى . | (٥) ثقل . |
| (٨) أبصر . | (٧) السيوف ، جمع نصل . |
| (١٠) فائضة . | (٩) لمعت ، يريد : ظهرت صغيراً : |
| (١٢) الريح التى تهب من ناحية القطب . | (١١) أخلاق . |
| | (١٣) الماحل : الجذب للمقفر . |
| | (١٤) البلى : القدم والريثة . |
| | (١٥) مرتفداً : أى طالبا للرّفد ، وهو العطاء ، والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته . |
| | (١٦) الناحل : السقيم الهزيل . |

لَهْفَكَ يَا دَارُ ! وَلَهْفِي عَلَى قَاطِنِكَ الْمُحْتَمِلِ الزَّائِلِ ^(١)
 قَلْبِي لِلْأَحْزَانِ بَعْدَ النَّوَى ، وَأَنْتِ لِلْسَافِي وَالنَّاخِلِ ^(٢)
 مِثْلُكَ فِي السُّقْمِ ، وَلِي فَضْلَةٌ بِالْعَقْلِ ، وَالْبَلْوَى عَلَى الْعَاقِلِ
 يَا أَهْلَ نَعْمَانَ أَسْمَعُوا دَعْوَةَ ^(٣) إِنْ أَسْمَعْتَكُمْ مِنْ لَوَى عَاقِلِ ^(٣)
 هَلْ زَوْرَةٌ تُمْتَعِنَا مِنْكُمْ وَهَنَا بِمِيسَادِ الْكَرَى الْبَاطِلِ ؟ ^(٤)
 أَمْ هَلْ لَجَسْمٍ قَاطِنٍ أَنْ يَرَى عَوْدَةَ قَلْبٍ مَعَكُمْ رَاحِلِ

٣ — أَبُو سَعْدِ الْكَاتِبِ ^(٥)

قال في الشوق إلى بغداد :

فَدَى لَكَ يَا بَغْدَادُ كُلُّ مَدِينَةٍ مِنْ الْأَرْضِ حَتَّى خِطَّتِي وَدِيَارِيَا
 فَقَدْ سَرْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا وَطَوَّفْتُ خَيْلِي بَيْنَهَا وَرَكَابِيَا
 فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ بَغْدَادَ مَنْزِلًا وَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ دَجَلَةَ وَادِيَا
 وَلَا مِثْلَ أَهْلِهَا أَرْقَ شِمَانِلًا وَأَعَذِبَ أَلْفَاظًا وَأَحْلَى مَعَانِيَا
 وَكَمْ قَائِلٌ لَوْ كَانَ وَدُّكَ صَادِقًا لِبَغْدَادٍ لَمْ تَرْحَلْ . فَكَانَ جَوَابِيَا :
 (يُقِيمُ الرِّجَالُ الْمَوْسِرُونَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا) ^(٦)

(١) القطين : أى من كان مقبلاً . والمحتمل : الذى حمل رحله وانتقل .

(٢) يريد بالسافى والناخل : الريح .

(٣) نعمان : مكان . وكذلك : لوى عاقل .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل .

(٥) هو أبو سعد الكاتب على بن محمد أحد كتّاب بنى بويه ، توفى سنة ٤١٤ هـ .

(٦) المقتر : المحتاج . والمراحمى المطارح البعيدة . وهذا البيت لشاعر قديم .

٤ - ابن لنكك^(١)

قال في الهجاء :

وَعُصْبَةٌ لَمَّا تَوَسَّطَتْهُمْ صَارَتْ عَلَى الْأَرْضِ كَالْخَاتَمِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ سُوءِ أَفْهَامِهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا بَعْدُ إِلَى الْعَالَمِ
يَضْحَكُ إِبْلِيسُ إِذَا رَأَاهُمْ لِأَنَّهُمْ عَارَوْهُ عَلَى آدَمِ^(٢)

٥ - التنوخي^(٣)

قال يصف الليل والنجوم :

رُبَّ آيِلٍ قَطَعَتْهُ كَصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحَشٍ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْنُ ، وَتَأْتِي حَدِيثَهُ الْأَسْمَاعُ
وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهُ سُنَنِ لَاحَ يَبْنِيْنِ ابْتِدَاعِ
وَكَأَنَّ السَّمَاءَ خَيْمَةً وَشَى وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ فِيهَا شَرَاعِ
كَأَنَّ لَيْلًا فَصَيَّرَتْهُ نَهَارًا كُتِبَتْ تَسْكِيْتُ الْعَدَا وَرَقَاعِ
وقال أيضاً في هذا المعنى :

وليلة مُشْتَقٍ كَأَنَّ نَجْمَومَهَا قَدْ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكَرَى ، وَهِيَ نُومُ
كَأَنَّ عُمُونَ السَّاهِرِينَ لَطُولُهَا إِذَا شَخَصَتْ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ الْأَنْجَمُ
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ - وَالْفَجْرُ ضَاكُ يُلُوحُ وَيَخْفَى - أَسْوَدُ يَتَبَسَّمُ

(١) هو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنكك شاعر البصرة وأهلى أهل زمانه بالملقطات

(٢) راءهم : رآهم .

(٣) هو القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن محمد أحد قضاة بني بويه ونديم الوزير المهلب

وقال في وصف رسالة :

وَإِنِّي كَتَابُكَ مَثَلًا وَإِنِّي بِمَقْصُودٍ بِشِيرٍ
وَكُنْهُ الْإِقْبَالَ جَاءَ أَوْ الشِّفَاءَ أَوْ النَّشُورَ
وَكُنْهُ شَرِّخٌ ^(١) الشَّبَا بَ وَعَيْشُهُ الْغَضُّ النَّضِيرُ
وَإِنِّي وَعِيرٌ ^(٢) اللَّيْلُ وَالْقَفَّةُ الرِّكَابُ لَا تَسِيرُ
فَأُضَاءَ لِي مِنْ كُلِّ فِجٍّ ^(٣) مِنْهُ فَجْرٌ مُسْتَنِيرُ
وَارْتَدَّ طَرْفُ الدَّهْرِ عَنْ نِي وَهُوَ مَطْرُوفٌ ^(٤) حَسِيرٌ ^(٥)
وَرَأَيْتُ أَفْلَاكَ السَّرُورِ بِكُلِّ مَا أَهْوَى تَدُورُ
وَفَضَضْتُهُ فَكَانَهُ أَثْوَابٌ وَشَيْ ^(٦) أَوْ حَبِيرٌ ^(٧)
وَكُنْهُ لَيْلٌ يَلُوحُ خُ خَلَالَهُ صُبْحٌ مُنِيرُ

٦ - الدينوري ^(٨)

قال يشكو ولده :

رَبِّيتُهُ وَهُوَ فَرْنَخٌ لَا نَهْوْضَ لَهُ وَلَا شَكِيرٌ وَلَا رِيْشٌ يُوَارِيهِ ^(٩)
حَتَّى إِذَا ارْتَأَشَ ، وَاشْتَدَّتْ قَوَادِمُهُ وَقَدْ رَأَى أَنَّهُ آتَتْ خَوَافِيهِ ^(١٠)
مَدَّ الْجَنَاحَيْنِ مَدًّا ، ثُمَّ هَزَّهُمَا وَطَارَ عَنِّي ، فَقَلْبِي فِيهِ مَا فِيهِ

(١) أول .

(٢) قافلة .

(٣) طريق .

(٤) طرفت العين : أصيبت بشيء ، فهي تدمع .

(٥) كليل .

(٦) نوع من الثياب منقوش .

(٧) ثياب يمنية .

(٨) هو أبو القاسم الدينوري عبد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس

الكتاب بخراسان . (٩) الشكير : الريش أول ما ينبت ، أو الزغب .

(١٠) ارتأش : تمكن من النهوض . والقوادم : كبار الريش في مقدم الجناح .

والخوافي : صغار الريش ، وهي التي نخفي تحت القوادم .

وقال أيضاً في شكوى الكبير :

عشتُ من الدهر ما كَفَانِي ومرةً ما مرةً من زَمَانِي
وقد حَمَنَتْنِي وَقَوَّسَتْنِي تسعٌ وتسعون وأثنان
وقد سُمْتُ الحَيَاةَ مِمَّا أَلْقَى من الذُّلِّ والمَوَانِ
وَمِنْ أَخٍ كُنْتُ أَرْجِيهِ لحادث الدهر قَدْ قَلَانِي ^(١)
وَمِنْ غُلَامٍ إِذَا يُنَادِي تَصَامَمَ النَّذْلُ وهو دَانِي ^(٢)
مُدْمِدُّمٌ لَا أَرَاهُ إِلَّا مُقَطَّبَ الْوَجْهِ مَا رَأَانِي ^(٣)

٧ - ابن المنجم ^(٤)

قال في الشكوى والتوجع :

هو الدهرُ لم تُبدعْ عَلَى صُرُوفِهِ ولم يَأْتْ شَيْئًا لَمْ أَكُنْ أُنْحِيْلُهُ ^(٥)
وما رَاعَنِي الْمَكْرُوهُ إِذْ هُوَ عَادِي لَدَيْهِ ، وَلَسَكُنْ رَاعَ قَلْبِي تَعَجَّلُهُ
تَعَجَّلَ حَتَّى كَادَ آخِرُ فَعْلِهِ يَجِيءُ ، وَلَمَّا يَنْقَطِعْ بَعْدُ أَوَّلُهُ

٨ - الضَّبِّي ^(٦)

قال يصف الليل والسهر :

رُبَّ لَيْلٍ سَهْرَتُهُ مُفَكَّرًا فِي امْتِدَادِهِ

(١) قَلَانِي : أَبْغَضَنِي وَكَرِهَنِي .

(٢) تَصَامَمَ : تَصَنَعَ الصَّمَمَ ، أَيْ أَغْلَقَ أُذُنَهُ عَنْ نِدَائِي .

(٣) الدَّمْدَمَةُ : التَّسْكُمُ فِي غَضَبٍ ، وَمَا رَأَانِي : كَلَّمَا رَأَانِي .

(٤) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْمُنَجِّمِ مِنَ الْأَدْبَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الْبُيُوتِيَّةِ .

(٥) أَبْدَعَ : أَنْشَأَ وَخَلَقَ ، أَيْ لَمْ يَأْتْ بِشَيْءٍ كَانَ مَجْهُولًا . وَصُرُوفُهُ : حَوَادِثُهُ .

(٦) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الضَّبِّيِّ أَحَدُ وَزَرَاءِ بَنِي بُيُوتِهِ .

كَلَّمَا زِدْتُ رَغْبِيهِ زَادَنِي مِنْ سَوَادِهِ
فَتَبَيَّنْتُ أَنَّهُ تَائِهٌ فِي رِقَادِهِ
أَوْ تَفَانَتْ نُجُومُهُ فَبَدَا فِي حِدَادِهِ

٩ - أبو الفضل الميكالي^(١)

قال في التوجع وفي شكوى الدهر :

يا دهرُ ما أقساك يا دهرُ لم يحظَ فيك بِبَطَائِلِ حُرِّ
أما اللثام فأنت صاحبهم ولهم عليك العطفُ والنصرُ
يَبْقَى اللثيمُ مَدَى الحَيَاةِ فلا يرتاعُ منه كَلِاثٌ صَدُرُ
تصفو له الدنيا بلا كَدَرٍ ويُطِيعُهُ في عَيْشِهِ اليُسْرُ
فَرَامُهُ سَهْلٌ ، وَكَوْكَبُهُ سَعْدٌ ، وَغُصْنُ سُورِهِ نَضْرُ
وَعَلَى الكَرِيمِ يَدٌ يُسَلِّطُهَا مِنْكَ الْجَفَاءُ الْمُرُّ وَالْقَسْرُ
إِنْ نَابَ خُطْبٌ فَهُوَ عُرْضَتُهُ يَفْقَرُ بِهِ مِنْهُ النَّابُ وَالظَفَرُ^(٢)
أَوْ يَبِغْ مَعْرُوفًا لَدَيْكَ غَدَا يُنْحَى عَلَيْهِ حَادِثٌ نُكْرُ^(٣)
مَرْعَاهُ جَذْبٌ ، وَالْحِظْوُظُ لَهُ حَرْبٌ ، وَجَانِبُ عَيْشِهِ وَغَرُ

(١) هو أبو الفضل عبيد الله الميكالي بقية آل الميكال أمراء فارس .

(٢) عرَضَتُهُ : هدفه ، ومرمى ضرباته .

(٣) الحادث النكر : الشديد الذي ينكر لفظاءته .

وجفاهُ شَوْكٌ ، والبُحورُ لَهُ وَشَلٌ ، وَحَشَوُ فُؤاده جَمْرٌ^(١)
يا دَهْرُ دَعْ ظَلَمَ الكرامِ فَهَمُّ عَقْدٌ لَفَحْرُكَ لَوْ دَرَى النَّحْرُ^(٢)
سالمَهُمْ واسْتَبَقَ وَدَّهَمُ فَهَمُ نَجْمُ ظلامِكَ الزُّهْرُ

وقال في وصف النرجس :

أَهْلًا بِنَرجِسِ رَوْضِ بَرْهَى بِحُسْنِ وَطِيبِ
يَرْنوُ بَعَيْنِ غَزَالٍ عَلَى قَضِيبِ رَطِيبِ
وفيه مَعْنَى خَفِيَّ يَزِينُهُ فِي القلوبِ
أصحيفه إن نسقت الـ حُرُوفَ بَرْهَى حَبِيبِ^(٣)

١٠ - الأبيوردي^(٤)

قال في الشكوى :

قالوا : هجرتَ الشعرَ قُلْتُ : ضَرُوةُ بابُ البِواعثِ والدواعي مُغْلَقُ
خَلَّتِ البلادُ ، فلا كَرِيمٌ بَرْهَتَجِي مِنْهُ النِوالُ ، ولا مَلِيحٌ يُعَشِّقُ
ومن العجائب أنه لا يُشْتَرَى ومع الكساد يُخَانُ فيه وَيُسْرَقُ

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) النحر : موضع القلادة من الصدر .

(٣) التصحيف : التحريف والغلط في قراءة الحروف ، أى أن لفظ « نرجس » لوقرى مصحفاً ولم يكن منقوفاً لكان : بر حبيب : أى عودته وعطفه .

(٤) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي الأموى الشافى المشهور . ولد بأبيورد من بلاد خراسان ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ .

وقال أيضاً يستحث على اقتفاء الآباء الكرام :

يَأْبَى — وإن عظم الفداء — قَتَّ لَلْهِمَّ فِي جَنْبَيْهِ مُنْتَزَكٌ
نَبِيَّهُ وَلَيْلٌ مُعْتَكِرٌ وَنَجْوَاهُ فِي الْأَفْقِ تَشْتَبِكُ^(١)
وَمَشَى عَلَى كَسَلٍ ، فَقُلْتُ لَهُ عَثَرْتُ بِكَ الْوَحَادَةَ الرَّمَكُ^(٢)
أَرْضِيَتْ أَمْرًا لَا يَزَالُ بِهِ فِي الذِّلِّ عَرَضُ أَخِيكَ يُنْتَهِكُ ؟
وَالدهرُ يَرْمِي بِالْخُطُوبِ ، وَفِي غُلَوَائِهَا الْآيَاتُ تَنْهَمُكُ^(٣)
مَا نَحْنُ مِنْ سُوقٍ فَتَشْبِهُهُمْ لَمْ يُنْمَنَا إِلَّا أَبٌ مَلِكُ
فَانْظُرْ إِلَى الْأَجْدَادِ كَيْفَ سَعَوْا لِلْمَكْرُمَاتِ وَآيَةً سَلَكُوا^(٤)
هَلَّا أَخَذْتَ بِهِدْيِهِمْ ! فَهَمُّ تَرَكُوا الْعُلَاكَ فَارَعَ مَا تَرَكُوا
وَاطْلُبْ مَدَاهِمُ ، إِنَّهُمْ نَفَرُوا عَاشُوا بِذِكْرِهِمْ ، وَقَدْ هَلَكُوا
وَإِذَا عَجَزْتَ وَلَمْ تَلَمْ بِهِ فَالْعِجْزُ بَعْدَ طِلَابِهِ دَرَكُ^(٥)

١١ — الطُّغْرَانِيُّ^(٦)

وقال مؤيد الدين الطغراني يصف الغدير :

عُجْنَا إِلَى الْجَزْعِ الَّذِي مَدَّ فِي أَرْجَائِهِ الْغَيْمُ بِسَاطَ الزَّهَرِ^(٧)
حَوْلَ غَدِيرٍ مَأْوَاهُ الْمُنْتَمِي إِلَى بَنَاتِ الْمُزْنِ يَشْكُو الْخَصْرَ^(٨)

(١) اعتكر الليل : اشتد ظلامه .

(٢) الرمك : اسم جمع لرمكة ، وهي الفرس . والوخادة : السريعة الجرى .

(٣) غلواء الخطوب : شدتها وصولتها .

(٤) السوق : جمع سوقة . وهم الرعية ، أى ما دون الملك .

(٥) الدرك : بلوغ القصد . أى أنك إذا بذلت الجهد سعياً إلى شيء فلم تصبه ، فكأنك

أصبت له لأن على المرء أن يسعى .

(٦) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد نخر الكتاب آخر فحول المشرق في الشعر . ومن

شعره لامية العجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع قتل في فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .

(٧) عجنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادى أو وسطه ذو الأشجار والنبات .

(٨) المزن : السحاب ، والمراد بالبنات مطرها . والخصر : البرودة في الماء .

لولاذت الريحُ سَمُوما به لاقلبتُ وهى نَسِيمُ السَّحَرِ^(١)
 حَصْبَاوَهُ دُرٌّ وَرَضْرَاضُهُ سَحَالَةٌ العَسْجَدِ حَوْلَ الدَّرَرِ^(٢)
 وقد كَسَتْهُ الرِّيحُ من نَسِجِهَا دَرْعًا بها يَلْقَى نِبالَ المَطَرِ^(٣)
 وألْبَسَتْهُ الشَّمْسُ من صَبِغِهَا نُورًا به يَخْطِفُ نورَ البَصَرِ
 كَأَنَّهُ المِرَاةُ مَجْلُوءَةٌ على بَسَاطٍ أَخْضَرٍ قد نُشِرَ

وله فى الأعداء والحساد :

جاملْ عَدُوَّكَ ما استطعت فإنه بالرَّفَقِ يُطْمَعُ فى صلاحِ الفاسِدِ
 واحذِرْ حَسُودَكَ ما استطعت ، فإنه إن نَمَتَ عنه فليس عنكَ بَراقدِ
 إن الحسودَ وإن أراك تَوَدَّدًا مِنْهُ أضرَّ مِنَ العَدُوِّ الحاقِدِ
 ولرُبِّما رَضِيَ العَدُوُّ إذا رأى مِنْكَ الجميلَ فَصارَ غَيْرَ مُعاندِ
 ورضا الحسودِ زوالُ نِعْمَتِكَ التى أوتيتها من طَافِرٍ أو تالِدِ^(٤)
 فاضْبِرْ على غَيْظِ الحسودِ فَنارُهُ رَمَى حِشَاءً بالعذابِ الخالدِ
 أو ما رأيت النارَ تَأْكُلُ نَفْسَهَا حتى تَعُودَ إلى الرَّمَادِ الهامِدِ
 تَضَفُّوْا على الحسودِ نِعْمَةً رَبِّهِ وَيَذُوبُ مِنْ كَمَدٍ فَوَّادِ الحامِدِ

(١) لاذت الريح به : التجأت ومالت إليه . أى أنه لنداء وطيب جوه لوجاءه ريح سموم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر .

(٢) الحصباء : الحصى والرضراض : صفار الحصى . والعسجد : الذهب وسحاله : برادته .

(٣) الدرع : قميص من زرد الحديد يلبس وقاية من سلاح العدو . والنبال : جمع نبل :

وهو السهم .

(٤) الطارف : الجديد المستحدث ، والتالِد : القديم المأثور ..

ومن لاميته المشهورة في الحكم :

حُبُّ السلامة يثني هم^(١) صاحبه عن المعالي ويفرى^(٢) المرء بالكسل
فإن جَنَحْتَ إليه فَاتَّخِذْ نَفَقًا في الأرض أو سُلماً في الجبل فاعتزل
ودع غِمَار^(٣) العلا للمقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالبلل
رضا الدليل يخفض العيش مسكنة والعز عند رسيم^(٤) الأينق الدال
إن العلا حدثني - وهي صادقة فيما تحدث - أن العز في النقل^(٥)
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى لم تهرح الشمس يوماً دارة الحمل^(٦)

وقال يرثي مؤيد الملك وقد مات مقتولا وبقى بالعراء عدة أيام بغير دفن :

ما بعد يومك للحزين الموجه غير العويل^(٧) وأنة^(٨) المتفجع^(٩)
يوم أصيب الدين فيه وعطلت أحكامه ، فكأنها لم تشرع
ومضى الذي كنا نروع^(١٠) بذكره نوب^(١١) الزمان ، فماله من مرجع
من ذا رأى الأسد المدل^(١٢) ببأسه شلوا^(١٣) طريحا بالعراء^(١٤) البلقع^(١٥)
أعزز^(١٦) على بأن أسرح ناظري في مجمع وسواك صدر المجمع
لهفي^(١٧) عليك المستجير يبتغي وزراً^(١٨) لديك وماله من مفزع

-
- (١) عزم . (٢) يولع . (٣) جمع غمرة وهو الماء الكثير .
(٤) سير . (٥) جمع نقلة بمعنى الانتقال . (٦) أحد بروج الشمس .
(٧) رفع الصوت بالبكاء . (٨) التأوه من الوجع . (٩) المتوجع للمصيبة .
(١٠) تخيف . (١١) مصائب . (١٢) المنكبر .
(١٣) الشلوهنا : بقية البدن . (١٤) الفضاء . (١٥) الأرض القفر .
(١٦) أعزز : فعل تعجب أتى على صورة الأمر ، أي ما أعزه .
(١٧) حسرتي . (١٨) ملجأ .

جَمَعَتْ^(١) بك الهمم التي لا تنثنى
ووقفت حيث السيف يردد متنه
في موقف بين الصوارم والقنا
ضاعت بك الدنيا فعمت جوارها
كل إلى أمدٍ بصيرٍ ، فمقَّص^(٥)
عما تروم من المرام الأمتع^(٢)
لم ترعد فرقا^(٣) ولم تتخشع
ضنك^(٤) ويوم للكريهة أشنع
ونزعت نحو الخلد أكرم منزع
بالسيف أروح من مريضٍ مَوَجَّع

وقال يرثي زوجته :

ولم أنسها ، والموت يقبض كفها
وقد دَمَعَتْ أجفانها فوق خدها
وحلّ من المقدور ما كنت أتقى
وقيل : فراق لا تلاقى بعده !
فلو أن نفساً قبل محتوم يومها
هلالٌ نوى من قبل أن تمَّ نوره
فواحبَّبا أنى أحيم اجتماعنا ؟
ويبسُّطها ، والعين ترنو وتطرق
جنى نرجس فيه الندى يترقرق
وحمّ من المحذور ما كنت أفرق^(٦)
ولا زاد إلا حسرةً وتحرُّق
قضت حشرات كانت الروح ترهق^(٧)
وغصن ذوى فينانه وهو مورك^(٨)
ويا حسرتى من أين حلّ التفرُّق^(٩) ؟

وله في أعدائه :

نكروا على معايبى لحذرتهَا
ولربما انتقم القات بعدوه
ونفيت عن أخلاق الأقداء^(١٠)
والسم أحيانا يكون شفاء

-
- (١) أشرعت . (٢) الصعب على مريده وطالبه . (٣) خوفا . (٤) ضيق .
(٥) المقصص : الليت من ضربة أو رمية . (٦) حم الأمر : قضى ووقع وأفرق : أخشى
(٧) المحتوم : الذى لا مفر منه . يريد أنه لو أن امرأ تقضى عليه حسرته قبل انقضاء
أجله زهقت روحه من طول ما يتحسر ويحزن لمصابه . (٨) الفينان هنا : الكثير
الأهداب والورق . (٩) أحم : قدر . يتعجب من اجتماعهما الذى آل إلى فراق ، ويتحسر
لهذه الفارقة التى ليس بعدها لقاء . (١٠) الأقداء : جمع قذى ، وهو ما يقع فى العين
من غبار أو غيره من صغار الأشياء ، فيؤذيها ، يريد ما يشوب الأخلاق من الصغار وما يندم .

١٢ - السَّهْرَوَرْدِي^(١)

قال في الفلسفة والتصوف :

قُلْ لِأَصْحَابِ رَأْيِي مَيِّتًا فَبَكَّوْنِي إِذْ رَأُونِي : حَزَنًا
لَا تَظُنُّونِي بِأَنِّي مَيِّتٌ لَيْسَ ذَاكَ الْمَيِّتُ وَاللَّهُ أَنَا
أَنَا عُصْفُورٌ ، وَهَذَا قَفْصِي طَرْتُ عَنْهُ ، فَتَخَلَّى رَهْنًا^(٢)
فَاخْلَعُوا الْأَنْفُسَ عَنْ أَجْسَادِهَا فَتَرَوْنَ الْحَقَّ حَقًّا بَيْنَنَا
لَا تَرُعْكُمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ فَمَا هِيَ إِلَّا بِإِنْتِقَالٍ مِنْ هُنَا

١٣ - الرِّفَاعِي^(٣)

من قوله في العشق الصوفي :

إِذَا جَنَّ لَيْلِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِكَ أَنْوَحُ كَمَا نَاحَ الْجَمَامُ الْمَطْوِقُ
وَفَوْقِي سَحَابٌ يَمْطُرُ الْهَمَّ وَالْأَسَى وَتَحْتِي بِحَارٌ بِالْأَسَى تَتَدَفَّقُ
سَلُّوا أُمَّ عَمْرٍو كَيْفَ بَاتَ أَسِيرُهَا تَفَكُّ الْإِسَارَى دُونَهُ وَهُوَ مُوثَقٌ ؟
فَلَا هُوَ مُقْتُولٌ ، فِي الْقَتْلِ إِرَاحَةٌ وَلَا هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَيُطْلَقُ

(١) هو شهاب الدين عمر السهروردي ، وهذه الأبيات قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ بقلعة حلب ، قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر .

(٢) الرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك ، أي : خليت القفص نائبا منابي .

(٣) هو أبو العباس أحمد الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية ، المتوفى بقرية أم عبيدة ببطاح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

١٤ - السرى الرفاء^(١)

قال يصف مجلساً اتخذهُ الحسن بن محمد المهلبى وزير معز الدولة ذات ليلة على برك وفوارات رُكزت حولها رماح علق عليها شمع فكانَ ذلك منظرًا حسنًا :

فضلت ليلالى القصف^(٢) ليلتُك التى هى فى المحاسن عادةً حسناء
رقت غياهبها^(٣) فهن غلائل^(٤) وسجت^(٥) جنائبها^(٦) فهن رخاء
بركٌ تحمَّت بالكواكب أرضها فارتدَّ وجهُ الأرض وهو سماء
رُفعت إلى الجوزاء^(٧) فواراتها عُمدًا تصاب بصوبها^(٨) الجوزاء
مثلَ القنا^(٩) الخطى^(١٠) قوِّم مَيْلُهُ وَجَرَتْ عليه الفضة البيضاء
حتى إذا انتشرت جلايب الدجى وتكلفت من دونها الظلماء
فرَّجْنها بصحائحٍ إن تعتَلَّ فلمنَّ من ضرب الرقاب شفاء
شمعًا حمَّت على الرماح رماحه فقُدودُهم^(١١) وما حمَلنَ سِواء

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصاف مداح نشأ بالموصل ، وكان يتكسب فى صباه برفو الثياب وأطريزها ، ثم نظم الشعر فأجاده ، وقصد سيف الدولة بحلب ، فأقام معه حتى مات سيف الدولة ، ثم قصد بغداد ، فمدح رؤساءها ، ومات بها سنة ٣٦٦ هجرية .

(٢) فضلت : امتازت وفاقت . والقصف : اللهو .

(٣) جمع غيب : الظلمة .

(٤) جمع غلالة : شعار يلبس على الجسد تحت الثياب .

(٥) سكنت .

(٦) جمع جنوب ، وهى ريع حارة .

(٧) نجم .

(٨) الصوب : المطر . يريد ما يتصعد من ماء الفوارات .

(٩) الرماح .

(١٠) نسبة إلى الخط وهى بلد بالبحرين تصنع بها الرماح .

(١١) قاماتهم .

وقال يصف الروض والجو في يوم ظهر فيه قوس قزح :

وصاحب يقدهح لى نار السرور بالقدهح^(١)
 فى روضة قد لبست من لؤلؤ الطلّ سُبَح^(٢)
 يالغنا^(٣) حمامها مُغْتَبَقًا^(٤) ومصطبَح^(٥)
 أوقفه بالعزف^(٦) أو يوقظنى إذا صدح^(٧)
 والجو فى مُمَسِّك^(٨) طرازه^(٩) «قوس قزح»^(١٠)
 يبكى بلا حزن كما يضحك من غير فرح

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سراً :

رأيتك تبدى للصديق نوافذاً عدوك من أمثالها الدهر آمن
 وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً ويارب مزح راح وهو ضغائن
 سأحفظ ما بينى وبينك صائناً عهدك إن الحرة للعهد صائن
 وألقاك بالبشر الجميل مداهنًا^(١١) فلى منك خلٍّ - ما عرفت - مداهن
 أُنم^(١٢) بما استودعته من زجاجة ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

(١) إناء يشرب فيه الخمر .

(٢) جمع سبعة وهى خرزات يسبح بها .

(٣) قوله : يالغنا حمامها ! : يعجب من غناء حمامها وحسن صوته .

(٤) وقت اغتباق الخمر ، أى شربها مساء .

(٥) وقت اصطباح الخمر ، أى شربها صباحاً .

(٦) غنى .

(٧) الغناء .

(٨) مطيب بالمسك .

(٩) وشيه .

(١٠) « قوس قزح » : طرائق منقوشة تبدو فى السماء عقب المطر بحمرة وصفرة وخضرة

وغيرها من الألوان . (١١) المداهن : الذى يظهر خلاف ما يضمّر .

(١٢) أنم : أفعّل تفضيل من : نم ، أى أفشى .

١٥ - الجرجاني^(١)

قال يمدح الوحدة ، ويذم مخالطة الناس :

ما تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ العِيشِ حَتَّى صِرْتُ لِلْبَيْتِ وَالكِتَابِ جَلِيسًا
لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزُّ عِنْدِي مِنَ الْعَدُوِّ ، فَمَا أُبْتَغِي سِوَاهُ أَنْيْسًا
إِنَّمَا الدُّلُّ فِي مُخَالَطَةِ النَّاسِ فَدَعُهُمْ ، وَعِشْ عَزِيزًا رَئِيسًا

١٦ - الصَّابِي^(٢)

قال يهجو :

يَا جَامِعًا لِحِلَالٍ قَبِيحَةٍ لَيْسَ تُحْصَى
نَقَضَتْ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ فَقَدْ تَكَامَلَتْ نَقْصًا
لَوْ أَنَّ لِلْجَهْلِ شَخْصًا لَكُنْتُ لِلْجَهْلِ شَخْصًا

١٧ - الصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ^(٣)

قال يذم الشماطة :

وَكَمْ شَامَتٍ بَعْدَ مَوْتِي جَاهِلًا يَظَلُّ يُسَلُّ السَّيْفَ بَعْدَ وَفَاتِي
وَلَوْ عَلِمَ الْمَسْكِينُ مَاذَا يَفْأَلُهُ مِنَ الظُّلْمِ بَعْدَى مَا تَقْبَلُ مِمَّا تَتَى

(١) هو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ، وهو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابِي الحُراني ، كان صابئًا على دين فلاسفة القدماء من اليونان ، وكان جميل العشرة للمسلمين ، وتكسب في الكتابة في دواوين بغداد ؛ وكان رئيس الكتاب بها . وصدرت عنه نقائس الرسائل وله شعر جميل ، ومات سنة ٣٧٤ هـ .

(٣) هو الصَّاحِبُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَادٍ ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه . توفي سنة ٣٨٥ هـ .

١٨ - الْخَوَارِزْمِيُّ^(١)

قال يوصى بتخير الأصدقاء :

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد^(٣) سريعة والجمز يوضع في الرماد فيخمد

١٩ - ابن نباتة السعدي^(٢)

قال يصف فرساً أدهم أغر^(٤) مُحجَّلاً حمله عليه سيف الدولة :

يأبى الملك الذى أخلاقه من خلقه ورؤاؤه^(٤) من رائه^(٥)
قد جاءنا الطُرف^(٦) الذى أهديته هاديه^(٧) يعقد أرضه بسمائه
أولايةً ولَّيْنَا ؟ فبعثته رُحماً سيب^(٨) العُرف عقد لوائه^(٩)
نختال منه على أغر^(٤) مُحجَّل ماء الدياجى قطرة من مائه
فكأما أطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض فى أخشائه
متمهلاً ، والبرق من أسمائه متبرقعا ، والحسن من أ كفائه
لا تعلقُ الأخطافُ فى أعطافه إلا إذا كفكفت من غلوائه^(١٠)

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٢) الجليد : القوى ، يريد الهمام .

(٣) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي التيمي أحد فحول الشعراء . توفى سنة ٤٠٥ هـ ببغداد .

(٤) حسن النظر .

(٥) مصدر راء التى هى مقلوب رأى .

(٦) الكريم من الخيل .

(٧) عنقه . (٨) شعر العرف . (٩) شعر عنق الفرس .

(١٠) كفكف : صرف ومنع ، والغواء : يريد السرعة ، أى لا تراه الأعين إلا إذا

منعه راكبه من سرعة جريانه ، وخفف من شدة عدوه .

قال يعزى صمصام الدولة في أبيه :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَا صَمَّصَامَ أَدْنَى فَضَائِلِهِ التَّكْرُمُ وَالْحِمَاءُ
فَخَذَ بِنَصِيْبِكَ الْمَوْفُورَ مِنْهُ وَخَلَّ الْحَزْنَ يَأْلَفُهُ النَّسَاءُ
كَلَّى عَادَاتِهَا جَرَتْ أَلْيَالِي فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا رَخَاءُ
تَعَزَّ قَبْلَ يَوْمِ أَيْبِكَ غَالَتْ غَوَائِلُهَا^(١) الْمُلُوكَ وَلَا سِوَاهُ^(٢)
وَكُنْتُ إِذَا السَّيْفُ نَبَتْ وَكَلَّتْ مَضَيْتْ ، وَمِنْ سَجِيَّتِكَ الْمَضَاءُ
فَإِنْ يَكْ قَدْ طَوَّتْهُ يَدُ أَلْيَالِي فَإِنَّ الصُّبْحَ يَطْوِيهِ الْمَسَاءُ

٢٠ - البُسْتِي^(٤)

قال يعزى بالكرم :

بَيْنَ مَنْ يُعْطَى وَمَنْ يَأْ خُذْ فِي التَّقْدِيرِ عَرَضُ^(٥)
فَيَدُ الْمُعْطَى سَمَاءٌ وَيَدُ الْآخِذِ أَرْضُ
وَعَلَى الْآخِذِ أَنْ يَشْكُرَ ، إِنَّ الشُّكْرَ فَرَضُ

وقال أيضاً في المداولة بين الراحة والتعب :

أَفْذُ طَبْعِكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً يَجْمُ^(٦) وَعَلَّلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ ذَاكَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارِ مَا تُعْطَى الطَّعَامَ مِنَ الْمَلَحِ

(١) مصائبها ، والضمير للدنيا .

(٢) السواء : المائلة ، أى ولا أقول إن الملوك يماثلون أباك في الشرف والمجد والمنزلة .

(٣) لم تقطع .

(٤) هو أبو الفتح البسقي على بن محمد الكاتب الشاعر ، أحد المولعين بالتجنيس ، وأحد رؤساء الكتاب في الدولة الغزنوية ، والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٥) يريد بالعرض : البعد والبون .

(٦) يجم : يستريح ، وترجع إليه قوته ونشاطه .

وقال في جواب كتاب :

لما أتاني كتابٌ منك مُبْتَسِمٌ عن كلِّ برٍّ وفضلٍ غيرِ محدودٍ
حكى معانيه في أثناء أسطره آثارك البيض في أحوالى السودِ

وقال أيضاً في هذا الغرض :

ما إن سمعتُ بنوَّارٍ لهُ ثمرٌ في الوقتِ يمتعُ سَمْعَ المرءِ والبصرا^(١)
حتى أتاني كتابٌ منك مَبْتَسِمٌ عن كلِّ لفظٍ ومعنى يشبه الدررا
وكان لفظُك من لآلئه زهراً ، وكان معناه في أثناءه آمرا
تسابقاً ، فأصابا القصد في طلق لله من ثمرٍ قد سبق الزهرا^(٢)

٢١ — الناشئ الأصغر^(٣)

قال في معاملة الصديق :

إني ليهجُرني الصديقُ تجنُّياً فأريه أنَّ لهجره أسباباً
وأخافُ إن عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتاباً
وإذا بكيتُ بِجَاهِلٍ مُتَعَاوِلٍ يدعُو المَحال من الأمور صواباً
أوليتهُ منى السكوت ، وربما كان السكوتُ عن الجواب جواباً

(١) النوار : الأبيض من الزهر .

(٢) الطلق : الشوط في الجرى ، أى في شوط واحد .

(٣) هو أبو الحسن على بن عبد الله المعروف بالناشئ الأصغر ، والشاعر البليغ المتوفى

٢٢ - الأبهري^(١)

قال في الحكم :

متى ترغب إلى الناس تكن للناس مملوكا
وإن أنت تحققت على الناس أحبوكا
وإن ثقلت عافوك ومملوك وسبوكا^(٢)
إذا ما شئت أن تُعصى فمُر من ليس يزوجوكا
وسل من ليس يخشاك فيدعى عندها فوكا

٢٣ - صردر^(٤)

قال بصف كتيبة^(٥) :

وفوارس يصلون نيران الوغى مما تشير جيادهم بدخان
جنبوا^(٦) إلى الأعداء كل طمرة^(٧) بُنيت مفاصلها على شيطان
طلعوا طلوع الشمس بغير ضوءها هام^(٨) الرثا ومغابن^(٩) الغيطان
في كل معترك تُجِيل كئاتهم قدحاً يفوز إذا التقى الجمعان

-
- (١) هو أبو الحسن علي بن مأمون الأبهري ، أحد شعراء الجبل وطبرستان .
(٢) عافوك : كرهوك ورغبوا عنك .
(٣) يدعى : يسيل دمه . أى يلقاك من رد سؤالك بما يكون لفمك كالجرح الدامى .
(٤) هو على بن الحسن ، أحد الشعراء المشهورين ، جمع جودة السبك وحسن المعنى .
توفي سنة ٤٦٥ هـ بطريق خراسان .
(٥) الكتيبة : الجماعة من الخيل ، تكون للاغارة والغزو .
(٦) قادوا .
(٧) الفرس الجواد .
(٨) رموس .
(٩) ما استتر من الأرض .

فأسأل جبال الرُّوم لما طَوَّقُوا أعناقَهُمْ من جمعهم برعان^(١)
تركوا المعارك كالمناحر^(٢) من منى^(٣) وجماجم^(٤) الأعداء كالقُرْبَانِ
فكأُما فرش النّجيع^(٥) تلاءمها^(٦) ووهادها^(٧) بشقائق النّعمان^(٨)

وقال يستهدى مداداً ويصف الدواة والقرطاس والقلم :

إليك أشكو مشياً لاح بارقة^(٩) في فرع دهماء^(٩) تجري بالأساطير
كانت مفارقها مسكاً مضجعةً فما لها بُدَّتْ مِنْهُ بكافور^(١٠)
ومُقَلَّةً عُدَّتْ كحلاء مرَّهما^(١١) طول البُكاء على بيض الطّوامير^(١٢)
يا حبذا هي والأقلامُ واردةٌ فيها وصادرةٌ سُحْمٌ^(١٣) المناقير

(١) جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل ، ويطلق على الجيش الذي له فصول كرعان الجبال ، وهو المراد هنا .

(٢) المذايح .

(٣) منسك من مناسك الحج .

(٤) جمع جمجمة وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

(٥) الدم .

(٦) جمع تلعة : المرتفع والمنخفض معاً من الأرض ، وأراد هنا المرتفع .

(٧) جمع وهدة وهي المنخفض من الأرض .

(٨) نبت أحمر ، واحدها شقيقة ، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ، وأضيفت إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لأنه حمى أرضاً فكثرت فيها .

(٩) الدهاء : التامة السواد شبه بها الدواة لما فيها من سواد مدادها ، وأن القلم يجري منها بالسطور .

(١٠) أى أن هذه الدواة كانت سوداء كالمسك لكثرة مدادها الأسود فأصبحت بيضاء كالـكافور لذهاب مدادها .

(١١) أخلاها من الكحل .

(١٢) جمع طومار وهو الصحيفة .

(١٣) جمع أسحم وهو الأسود .

كأنا كرت^(١) في ناظرى رشاً^(٢) أو في سويداء قلب غير مسرور
 تحوى القراطيس منها روضة أنفاً^(٣) بها مفاخرة الظلماء للنور
 فكيف لى بخطاب^(٤) تسترد به من الشبيبة لونا غير مهجور
 لو أن صبغته فاز الشباب بها لما رعى الدهر فؤديه^(٥) بتغيير
 ٢٤ — السلامى^(٦)

قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان :

ونهر ترح الأمواج فيه مراح^(٧) الخيل فى رهج^(٨) الغبار
 إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نمير^(٩) الماء يمزج بالعقار^(١٠)
 كأن الماء أرض من لجين^(١١) مغطاة صفائح^(١٢) من نضار^(١٣)
 وأشجاره عملة كؤوساً تضحك^(١٤) فى أحمرار واخضرار
 إذا أبصرن فى نهر سماء وهبن له نجوم الجلفار^(١٥)

(١) شربت .

(٢) ولد الغزال ، والمراد أنها أخذت من عينيه السواد .

(٣) جديدة ، لم يرعها أحد . (٤) ما يختضب به ، أى يصبغ به الشعر .

(٥) مثنى فود وهو جانب الرأس . يقول : لو أن سواد المداد الذى تبعث به هدية إلى

يظفر بمثله الشاب لعجز الدهر عن أن يصيب الشعر الذى يصبغ به بشيب .

(٦) هو محمد بن عبد الله السلامى من أشهر شعراء العراق ، ولد ببغداد سنة ٣٣٦ هـ .

وقال الشعر فى العشرين من عمره . واتصل بالصاحب بن عباد وبعض الدولة فبلغ عندهما

منزلة حسنة . وتوفى سنة ٤٩٤ هـ .

(٧) نشاط .

(٨) الرهج الغبار نفسه . فالإضافة بيانية .

(٩) الماء الناجع فى الرى . (١٠) الحجر .

(١١) فضة . (١٢) ألواح . (١٣) ذهب .

(١٤) أصله تضحك ، حذف إحدى التاءين تخفيفاً . (١٥) زهر الرمان .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — ابن العميد^(١)

من كتاب له فى التهديد واللوم :

كتابى وأنا مُترجِّحٌ بين طمَعٍ فيكَ ويأسٍ مِنْكَ ، وإقبالٍ عَلَيْكَ ، وإعراضٍ عَنْكَ ، فَإِنَّكَ تُدَلِّ^(٢) بِسَاقِ حُرْمَةٍ . وَتَمُتُّ بِسَالِفِ^(٣) خِدْمَةٍ . أَيْسَرُهُمَا يُوجِبُ رِعايَةَ ، وَيَقْتَضِي مَحَافِظَةَ وَعِنايَةَ . ثُمَّ تَشْفَعُهُمَا بِمِحَادَثِ غُلُولِ^(٤) وَخِيَانَةٍ ، وَتَتَّبِعُهُمَا بَأَنَفِ^(٥) خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ . وَأَدْنَى ذَلِكَ يُحْبِطُ^(٦) أَعْمَالَكَ ، وَيَسْحَقُ كُلَّ مَا يُرعى لَكَ ، لَا جَرَمَ أَنى وَقَفْتُ بَيْنَ مِيلٍ إِلَيْكَ وَمِيلٍ عَلَيْكَ ، أَقْدَمُ رَجُلًا لِيَصِدَّكَ ، وَأَوْخَرُ أُخْرَى عَنْ قَصْدِكَ ، وَأَبْسُطُ يَدًا لِاصْطِلَامِكَ^(٧) واجْتِيَاكِ ، وَأَثْنَى ثَانِيَةً لَاسْتِبْقَائِكَ واستِصْلَاحِكَ ، وَأَتَوَقَّفُ عَنْ امْتِثَالِ^(٨) بَعْضِ الْمَامُورِ فِيكَ . ضَنًّا بِالنِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَمِنَافَسَةٍ فِي الصَّنِيعَةِ^(٩) لَدَيْكَ ، وَتَأْمِيلًا لِفَيْئَتِكَ^(١٠) وانْصِرَافِكَ ، وَرَجَاءً لِمِرَاجِعَتِكَ وانْعِطَافِكَ ، فَقَدْ يَغْرُبُ^(١١) الْعَقْلُ ثُمَّ يُوْوبُ . وَيَعْزُبُ^(١٢) اللَّبُّ

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنشور توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) الإدلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه .

(٣) تمت : تتوصل وتتصل . (٤) الغلول : الخيانة .

(٥) آنف ، يريد : جديد . (٦) ويحبط : يبطل .

(٧) الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح .

(٨) الامتثال ، يريد به الطاعة والإنفاذ .

(٩) الصنعة : الإحسان والتكرم .

(١٠) لفئتك : لرجوعك ، أى إلى الطاعة .

(١١) يغرب : يذهب ويغيب . ويعزب : مثل يغرب .

ثم يثوب . ويذهب الحزم ثم يعود . ويفسد العزم ثم يصلح . ويضع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء . وكل غمرة^(١) فإلى انجلاء . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحسبه أولياؤك ، فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترتبه أعداؤك . وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت مراكبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنبه انتباهه تبصر فيها قبح ماصنت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسي^(٢) في الإبقاء والمماثلة ما صلح ، وعلى الاستيفاء^(٣) والمطابقة ما أمكن ، طمعا في إنباتك^(٤) ، وتحكما لحسن الظن بك . فلست أعدم فيما أظاهره من إعدار^(٥) ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجا عليك ، واستدراجا لك ، فان يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسدّدك ، فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وكتب إلى أبي عبد الله الطبري :

كتابي وأنا بحال لو لم ينغص منها الشوق إليك ، ولم يرتق^(٦) صفوها النزاع^(٧) نحوك ، أعدتها من الأحوال الجميلة ، وأعددت حظي منها في النعم الجميلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسمي بصلاح ، وفي سعيي بنجاح ، لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدى عنك ، ويخلو ذرعي^(٨) مع خلوي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك .

(١) الغمرة : التغطية بالماء كموجة البحر تغمر الساج ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث الشدائد والحن والمصائب .

(٢) الرسم : أي ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذاته .

(٣) الاستيفاء : التمهّل والانتظار . (٤) الإنابة : الرجوع عما هو عليه .

(٥) من عمل ينفي عذرك في المعصية ويكفل الرضا عنك .

(٦) يرتق : يكدر . (٧) النزاع نحوك : الميل والشوق إليك .

(٨) يقال : فلان خالي الذرع : أي فارغ القلب من الهموم ، ويراد بالذرع : الطاقة

وسعة النفس والخلق .

وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي ، وناظم لشمل أنسى . وقد حرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك . وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام ، وينفع أنس بيت بلا نظام . وقد قرأت كتابك — جعلني الله تعالى فداءك فامتلات سروراً بملاحظة خطك ، وتأمل تصرّفك في لفظك ، وما أقرّظهما ؛ فكل خصالك مقرّظ عندي . وما أمدحهما ؛ فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقدي^(١) وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك^(٢) وإلا فقد غطى هواك وما ألقى على بصرى^(٣) .

٢ — الصاحب بن عباد^(٤)

رقعة منه إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الرى وافداً عليه :

تحدثت الرّكابُ بسير أروى إلى بلد حطّطُ به خيامي^(٥)
فكدتُ أطيّر من شوقى إليها بقادمة كقادمة الحمام^(٦)
أفحقّ ما قيل أمرُ القادم ، أم ظنّ كأمانيّ الحالم ؟ لا والله ! بل هو دركُ العيان
وإنه ونيل المني سيمان ، فرحباً أيها القاضي براحتك ورّحلك^(٧) ! بل أهلاً بك .

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) في الكلام إيجاز حذف ، والتقدير : فإن كان كذلك فحسن .

(٣) هذا شطر بيت تمثل به الكاتب .

(٤) هو كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكاتبهم ، وأحد أعلام البلغاء والكتاب من حلبة ابن العميد في كتابة الشعر المنشور ، توفي سنة ٣٧٥ هـ .

(٥) أروى : اسم امرأة .

(٦) القادمة : واحدة القوادم ، وهى كبار الريش التى فى مقدم الجناح .

(٧) الراحلة : ما يصلح من الإبل للرحلة والسفر : والرحل ما يستصحب فى الارتحال

من الأثاث .

وبكافة أهلاك ، ويا سرعة ما فاح نسيمُ مشراك ، ووجدنا ريح يوسف من رياك .
 مُخِتَ المطى تزل غلتي بسقياك ، وتزخ علتي بلبقياك ، وانص على يوم الوصول
 لنجعله عيداً مشرفاً ، وتتخذهُ موسمًا ومُعرفاً^(١) ورد الغلام ، أسرع من رجع
 الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر وأن يترك الصبا في عقال وأسر^(٢) :

سقى الله دارات مررت بأرضها فأدتك نحوى يا زياد بن عامر
 أصائل قرب أرتجى أن أناها بلبقياك قد زخرن حرّ الهواجر^(٣)

وله فصل من كتاب إلى ابن العميد جواباً لكتابه إليه في وصف البحر :

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من
 عجائبه ، وعان من مراكبه ، وما رآه من طاعة آلائها للرياح كيف أرايتها ، واستجابة
 أدواتها لها متى نادتها ، وركوب الناس أشباحها والخوفُ بمرأى ومسمع ، والمنون
 بمركب ومطلع ، والدهرُ بين أخذ وترك ، والأرواحُ بين نجاة وهلاك ، إذا فكروا
 في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غررُ المطالب الكثيرة
 حُبب إليهم الغرر^(٤) . وعرفت ما قاله من تمنّيه كوني عند ذلك بحضرته ، وحصولي
 على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل ، وتلاطم فيه أمواجُ

(١) المعروف بصيغة اسم المفعول : موقف عرفات ، شبه به قدومه عليه .

(٢) أى يسبق في سرعته ريح الصبا حتى كأنها في جانبه مأسورة . أخذ من قول

امرئ القيس (قيد الأوابد هيكلاً) .

(٣) الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب . والهواجر : جمع هاجرة ،

وهي وقت القيظ في وسط النهار .

(٤) الغرر : الهلاك ، يكون من تعريض المرء نفسه له .

الأدب والعلم ، لم يغتبط على الدهر فيما يُفِيتهُ من منظر البحر . ولا فضيلة له عندى
أعظم من إكبار الأستاذ لأخواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شيء أبلى في مفاخره
وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له ، فإنى قرأتُ منه الماء السُّلسال^(١)
لا الزلال ، والسَّحَر الحرام^(٢) لا الحلال . وقد علم أنه كتب وما أخطر بفكره ،
سعة صدره^(٣) ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً^(٤) لا يفضلُ عن التَّبَرُّض^(٥) ،
وتمدأ^(٦) لا يكثرُ عن الترشف^(٧) .

وكم من جبال جئت تشهد أنك الـ جبال ، وبجر شاهد أنك البحر

٣ — الخوارزمي^(٨)

كتب إلى قاضى سجستان حين نكبه أميرها :

إذا ما الدهر جرَّ على أناسٍ كلاكله أناخ بأخرينا^(٩)
فقلْ للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(١) أى الكلام للتسلسل لا الماء الحقيقى البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به .

(٢) أى الحرام على غيرك ، فلا يستطيع مجاراتك فى إنشائه وقوله : (لا السحر الحلال)

يريد به الإنشاء الذى فى إمكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأوا ابن العميد .

(٣) أى جعل سعة صدره تخطر بباله وفكره .

(٤) الوشل : الماء القليل .

(٥) التبرض : التبلىغ بالماء القليل للضرورة .

(٦) التمد : الماء القليل .

(٧) الترشف : الشرب قليلاً قليلاً والامتصاص .

(٨) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف

الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٩) الكلاكل . جمع كل كل . وهو الصدر ، أى إذا برك الدهر على قوم بصدر أناخ

وبرك أيضاً بعد زمن بأخرين .

أما بعد — أيد الله تعالى القاضى — فإنه لم يُحسن إلى غيره من أساء إلى نفسه ، ولم ينصُرْ أصدقاءه ، من خَذَلَ حَوْبَاءَهُ^(١) ؛ وإنما يُحب المرء أخاه بما فَضَّلَ عن محبته لروحته التى له خيرُها ، وعليه ضيُّها . وكانت محنةُ القاضى محنةً شملت الأنام^(٢) : وخصت الكرام ؛ ووجب على كلِّ مَنْ اشمَّ روائح العقل ؛ وميز بين النقصان والفضل ، أن ينظر لها ألماً ؛ وأن يبكى عندها دماً . وخلص إلى من ذلك ما أضحك منى الأعداء ، وأبكى لى الأصدقاء ، حتى رحى من كان يحسُدنى ، وحتى عجب من جزى من كان يُصَبِّرُنى ، وحتى غضضت طرفاً طالما رفعته ، وقبضت بناناً طالما بسطته ، وحتى عزيت كما يعزى الشكلا^(٣)ن وسليت كما يسلى اللهفان .

وأنا بعد ذلك أستصغر فعل نفسى وهى جَزَعَةٌ هَلِيعَةٌ^(٤) ، وأستقلُّ سعى عيى وهى سخينة دَمْعَةٌ^(٥) . وكان يجبُ على مُقْتَضَى هذه الجملة ، وأساس هذه البنية ، أن أحضر مجلس القاضى فأصابه نهراً ، وأساهاه ليلاً ؛ وتكون الحنة بينى وبينه أحلها عنه ، ويحملها عني ؛ ولكنى علمت أن والينا هذا رجل ينظرُ إلى الذنب الخفى ، ويتغابى عن العذر الجلى . وله أذنان : واحدة يسمعُ بها البلاغات وهى كاذبة ، وأخرى يصمُّ بها عن المعاذير وهى صادقة ؛ وليس بينه وبين العفو نسب ، ولا له إلى التثبت طريق ولا مذهب . ولو تعرضت لسخطه ؛ بعد ما عرفته من شططه^(٦) ؛ لتحملتُ دونه الوزر

(١) الحوباء : النفس .

(٢) المحنة : الشدة والمصيبة .

(٣) الشكلا^(٣)ن : الفافد ولده .

(٤) جزعة هليعة : شديدة الحزن .

(٥) سخينة دمعة : ساخنة من الوجع ، سريعة الدمع .

(٦) شططه : جوره وتعديه الحدود .

في ظلمي ، ولـكـنـتُ مُقـدِّمـته إلى ذمِّي . ومن قعد تحت الرّيبة ركبته ، ومن تعرّض للظنّة نالته .

ومن دعا الناس إلى ذمه ذمّوه بالحق وبالباطل

وأقل ما كان ينبعثُ من حُضوري أن يثب هذا الجبارُ وثبةً يصون القاضي عنها ، ويبتدئني بها ، فأكون قد ضررتُ نفسي ، ولم أنفع غيري ؛ فإذا بالحنة قد تضاعفتُ على القاضي ضعفين ، وتكرّرت عليه كرّتين ؛ يرى بوليّ من أوليائه داءً لا يقدرُ على دوائه ، ويرى وقوداً لا يصلُ إلى إطفائه ؛ ويتبين في حالة^(١) متصلة بحاله ثلثة^(٢) لا يُمكنُ سدّها ؛ ومحنة لا يستوى له ردّها . فلما ميّلتُ^(٣) بين تخافى آمناً ، وحضوري خائفاً ؛ عدلتُ بين طرفي الرّزية ، ووزنتُ بين مقداري الحنة ، فرأيت أن أميل مع السلامة وأقنّع من العمل بالنيّة ؛ وأغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة ، فغبتُ وكلّي غير جسمي شاهد ، وتخيّرتُ^(٤) وما أنا إلا مشاهد ، وبعدتُ وقلبي قريب ، وباينت وقلبي سهيم^(٥) ، وأغضيت على عين كلها قذّي^(٦) ، وانطويتُ على صدر كلّ شجاء^(٧) ، وانصرفت بقلب ساخط راض ، وأغضتُ بحفن ضاحك باك ، وقلت :

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل^(٨)

(١) أي في حالي المتصلة المرتبطة بحاله .

(٢) الثلثة : فرجة المكسور أو الهدوم .

(٣) ميل بين الأمرين : رجيع بينهما ووازن .

(٤) تخيّر : انحرفت وملت وتنحيت من جهة إلى جهة ، يريد : غبت .

(٥) السهيم : المقاسم لغيره بالسهم ، أي مبان لك منفصل عنك ، ولكن قلبي مشترك

بينى وبينك .

(٦) القذّي : ما يدخل في العين من جسم غريب عنها .

(٧) الشجاء : ما ينشب ويعلق في الحلق من شوكة ونحوها .

(٨) تمثل بهذا البيت ، وهو مقول في خالد بن عبد الله القسري والى العراق للخليفة

هشام ، ثم غضب عليه الخليفة فسجنه ، وأمر بقتله .

ولقد نسجت في ذم الظالم حُللاً لا يبيلها الماء ، ولا يجففها الهواء ،
ولا تغطي عليها الظلمات . والمغبون من احتقب^(١) الإثم ، والغارم من غرم العرض ،
والراجح من محنته فانية ، ومثوبته باقية . ولو أنصف الظالم لكان يعزى ، ولو أنصف
المظلوم لكان يهتَى .

جعل الله — تعالى — هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد^(٢)
ولا ليومها غد ، وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر ، وخاتمة لقائه لريب
الدهر . ولا حرمة فيما نزل به مثوبة الصابرين ، ولا أخلاء . وفيما بعده من مزيد
للساكرين برحمته .

٤ — البديع الهمداني^(٣)

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه :

يعز عليّ أطل الله بقاء الرئيس . أن يفوب في خدمته قلبي ، عن قدمي ،
ويسعد برويته رسولي ، دون وصولي . ويرد مشرع^(٤) الأنس به كتابي ، قبل
ركابي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة ! .

وعليّ أن أسعى وليد س عليّ إدراك النجاح

(١) احتقب الشيء : جعله في حقيقته .

(٢) أى لا يعقبها غيرها .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ، الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع ، صاحب
المقامات المشهورة . نشأ بهمدان ، ونبغ في الأدب ، وتكسب به لدى الملوك والأمراء ، مات
سنة ٣٩٣ هـ .

(٤) المشرع : مكان ورود الماء .

وقد حضرتُ داره . وقبَّلتُ جداره . وما بى حب الجدران ، ولكن شغفاً
بالقطان^(١) . ولا عشقُ الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان . وحين عدت العوادي
عنه أملتُ ضمير الشوق على لسان القلم معذراً إلى الشيخ على الحقيقة — لا عن
تقصير وقع ، أو فتور في الخدمة عرض ، ولكني أقول :

إن يكن تركنا لقصدك ذنباً فكفانا ألا نراك عقاباً

المقامة القريضية

وللهمذاني مقامات^(٢) معروفة ، وهذه هي المقامة الأولى منها :

حدثنا عيسى بن هشام قال :

طرحتنى النوى مطارحها حتى إذا وَطِئْتُ جرجان الأقصى ، استظهرت
على الأيام بضيايح أجلتُ فيها يد العمارَة ، وأموالٍ وقَفَّتْها على التجارة ، وحانوتٍ
جعلته مَسَابَة ، ورفقة اتخذتها صحابة ، وجعلتُ للدار حاشيتي النهار ، وللحانوت
ما بينهما ، فجلسنا يوماً نتذاكرُ القريض وأهله ، وتلقاؤنا شابٌ قد جلس غير بعيد ،
يُنصِتُ وكأنه يفهم ، ويسكُتُ وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلام بنا

(١) القطان جمع قاطن ، وهو الساكن بالمكان ، المقيم به . وهذا المعنى مضمون
قول الشاعر :

أمر على الديار ، ديار ، ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(٢) المقامة . مفعلة من القيام ، يقال : مقام ومقامة . ثم سمي بها المجلس ومكان الاجتماع
ثم اتسع استعمالها حتى سمي بها ما يقال في المجلس من خطبة وموعظة . فقالوا : مقامات الخطباء
ومجالس القصاص . فالمقامة صورة خيالية بين اثنين أو أكثر أو موعظة أو وصف أو بحث
أو غير ذلك من الأغراض الأدبية . وأشهر من صاغوا المقامات : الحريري والهمذاني .

مَيْلَةً ، وجرّ الجدال فينا ذيله ، قال : قد أصبتم عذيقه ، ووافقتم جذيله^(١) ، ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو قلت لأصدرت وأوردت ، ولجلوت الحق في معرض بيان يُسمع الصم ، ويُنزِلُ العصم^(٢) . فقلت : يا فاضل ادن فقد منّيت ، وهات فقد أثّنت ؛ فدنا وقال : من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وُكُناتها ، ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجد القول راغباً ؛ ففضل من تفتق للحيلة لسانه ، واتفجع للرغبة بنانه . قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال : ينسب إذا عشق ، ويسلب إذا حنق ، ويمدح إذا رغب ، ويمتذر إذا رهب ، ولا يرمى إلا صائبا ، قلنا : فما تقول في زهير ؟ قال : يُذيبُ الشعر والشعرُ يذيبُهُ ، ويدعو القول والسحرُ يُجيبُهُ . قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنزُ القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرارُ دفائنه ، ولم تفتح أغلاقُ^(٣) خزائنه . قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جريرٌ أرقُّ شعرا ، وأغزرُ غزرا^(٤) ، والفرزدق أمتنُ صخرأ^(٥)

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو كباسة الثمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ، كذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفعه ، لأنهم يرجبون عذق النخلة الكريمة ، أي يربطونه بسعفها لئلا ينقص ، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون في الجبال .

(٣) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكلون) .

(٤) غزرا . مصدر غزر .

(٥) أي أنه متنوع القوافي .

وأكثرُ فخراً ، إذا نسب أشجى^(١) ، وإذا ثلب أردى ، وإذا مدح أسنى^(٢) .
والفرزدق إذا افتخر أجزاً^(٣) ، وإذا احتقر أزرى ، وإذا وصف أوفى . قلنا :
فما تقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرفُ
لفظاً ، وأكثرُ من المعاني حظاً ، والمتأخرون ألطفُ صنْعا ، وأرقُ نسجاً . قلنا :
فلو أريت من أشعارك ، ورويت لنا من أخبارك ! قال : خذهما في معرض
واحد . وقال :

إمّا تروني أنغشى طمرا ^(٤)	مُمتطياً في الضّرّ أمراً ^(٥)
مُضطرباً على الليالى غمرا	ملاقياً منها صُروفاً خُجراً ^(٦)
أقصى أمانىّ طلوعُ الشعري	فقد غنينا بالأمانى دهُراً ^(٧)
وكان هذا الحرُّ أغلى قدراً	وماء هذا الوجه أغلى سِمْراً ^(٨)
ضربتُ للسرا قباباً خضراً	في دار دارا وإوان كسرى ^(٩)
فانقلب الدهرُ لبطنٍ ظهراً	وعاد عُرفُ العيش عندى نكراً

(١) لغة في شجاء ، بمعنى : أحزن .

(٢) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .

(٣) مسهل أجزاً بالهمزة : يعنى كفى وأغنى .

(٤) الطمر : الثوب البالى .

(٥) أمرا إمرا : منكراً عجباً .

(٦) الحر : جمع حمراء ، يريد صروفاً شديدة الوقع .

(٧) الشعري : نجم يطالع في الصيف . ولا يحتاج الفقير العارى فيه إلى دثار .

(٨) يريد بالحر . نفسه .

(٩) السرا : السراء وهى : الرخاء . ودارا وكسرى من ملوك الفرس . وإوان كسرى :

بهو عظيم فى القصر الأبيض بالمداثن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إوان بحذف يائه
لضرورة الشعر .

لم يبق من وفري إلا ذكرى ثم إلى اليوم هلم جراً^(١)
لولا عجوز لي بسر من را وأفرخ دون جبال بصرى^(٢)
قد جلب الدهر عليهم شرًا قتلت ياسادات نفسي صبرا

قال عيسى بن هشام . فأنته ما تاح^(٣) وأعرض عنا فراح . فجعلت أنفيه
وأثبتته ، وأنكره وكأني أعرفه ، ثم دلتني عليه ثناياه ، فقلت : الإسكندري والله !
فقد كان فارقنا خشفاً^(٤) ووافانا جلفاً^(٥) . ونهضت على أثره ، ثم قبضت على
خصره ، وقلت :

أست أبا الفح ؟ « ألم نربك فينا وليداً ، ولبت فينا من عمرك سنين ؟ »
فأى عجوز لك بسر من رأى ؟ فضحك إلى ، وقال :

ويحك ! هذا الزمان زورُ فلا يغرّك الغرور^(٦)
لا تلتزم حالة ولكن در باليالى كما تدور

(١) الوفير : الغنى وكثرة المال . وذكرى الشيء : التحدث عنه بعد زواله .
(٢) سر من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التي بناها المعتصم العباسي . شمال بغداد ،
وبصرى : بلدتان ، واحدة قرب بغداد ، ولعلها هي التي يريد ، والثانية من بلاد حوران
بالشام . يعنى أن له أمّاً أو زوجاً عجوزاً بسر من رأى ، وأولاداً صغاراً بقرب جبال بصرى ،
ولولا هؤلاء لقتل نفسه .

(٣) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .

(٤) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيراً .

(٥) الجلف الرجل الجافى .

(٦) الغرور : الدنيا . لأنها تغر بمظاهرها .

ثانيا - النثر العلى التالىفى

١ - ابن جنى^(١)

قطعة من كتابه « الخصائص » :

باب القول على اللغة وما هى ؟

أما حدثها فإنها أصواتٌ يُعبّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم . هذا حدثها : وأما اختلافها فلما سذكروه فى باب القول عليها : أمواضمة^(٢) هى ، أم إلهام . وأما تصريحها ومعرفة حروفها فإنها فَعْلَةٌ من لَفَوْتُ أى تَكَلَّمْتُ . وأصلها لُغَةٌ كَكُرَّةٍ وقلة^(٣) ونُبَّة^(٤) كلها لاماتها واواتٌ ، لقولهم كَرَوْتُ بالكرة ، وقلَوْتُ بالقلة ، ولأن ثبته كأنها من مقلوب ثاب يثوب . وقد دلّلت على ذلك وغيره من نحوه فى كتابى « سر الصناعة » وقالوا : لها لغاتٌ ولُغُونٌ ، ككُرَاتٍ وكُرُونٌ ، وقيل منها : لغى يلغى إذا هذى . قال :

ورُبَّ أسرابٍ حجيجٍ كظَّم عن اللّغا ورفَّت التّكلم

وكذلك اللغو ، قال الله سبحانه وتعالى : « وإذا مروا باللغو مرّوا كراما » أى بالباطل . وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صه فقد لغا » أى تكلم . وفى هذا كاف^(٥) .

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه اللغة وخصائصها (وكان أبوه مملوكا روميا) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ١٩٢ هـ .

(٢) المواضمة : الاتفاق والاصطلاح . يقال : واضعته على كذا ، اتفقت معه عليه .

(٣) القلة : عودان يلعب بهما الصبيان .

(٤) النُبّة : وسط ، يثوب إليه الماء من الجوانب . (٥) أى ما يكفى .

٢ — الجرجاني^(١)

فصل من كتابه « دلائل الإعجاز » :

وإذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف ، والتأكيّد مع المؤكّد ، فلا يكون فيها العطف البتة ، لشبه العطف فيها — لو عطف — بعطف الشيء على نفسه ، وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يُشاركه في حكم ، ويدخل معه في معنى : مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه ، فيكون حقها العطف ، وجملة ليست في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء ، فلا يكون إتياء ولا مُشاركاً له في معنى ، بل هو شيء إن ذكر لم يُذكر إلا بأمر ينفرد به ، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً ، وحق هذا ترك العطف البتة . فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية ، أو الانفصال إلى الغاية ، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين حالين ، فاعرفه .

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضع له على النظام الذي نعرفه ، ولم يزد عليه السكاكي إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينها وتوفي سنة ٤٧١ هـ

٣ - الحريري^(١)

والحريري في كتابه « درة الغواص ، في أوهام الخواص » :
ويقولون : هذا بعد اللثيا والتي ، فيضمون اللام الثانية من اللثيا ، وهو لحن فاحش
وغلط شائن ، إذ الصواب فيها اللثيا (بفتح اللام) لأن العرب خصت أذى والتي
عند تصغيرها وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت
ألفاً في آخرها عوضاً عن ضم أوّلها ، فقالوا في تصغير الذي والتي : اللذيا واللثيا ،
وفي تصغير ذاك وذلك ذياك وذيالك أنشد ثعلب :

بذيالك الوادى أهيم ، ولم أقل بذيالك الوادى وذياك من زهد
ولكن إذا ما حُبَّ شئٌ توأعت به أحرفُ التصغير من شدة الوجد
أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبة ولطف المنزلة . كما يقال : يا بُنى ، يا أُخى .
وقوله : إذا ما حُبَّ شئٌ يعنى به أحب لأنه يقال حُبَّ الشئ وأحبّه بمعنى^(٢) ،
كما جاء في المثل السائر : من حُبَّ طَبَّ^(٣) ، إلا أنهم اختاروا أن بنوا الفاعل
من لفظة أحب ، وبنوا المفعول من لفظة حُب ، فقالوا للفاعل : مُحَبٌّ ، والمفعول
محبوب ، ليعادلوا بين اللفظين في الاشتقاق منهما ، والتفريع عليهما . على أنه قد سمع
في المفعول محب ، وعليه قول عنتره :

ولقد نزلت فلا تظنني غيره منى بمنزلة المحبِّ المكرم

(١) هو أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء .
توفي سنة ٥٢٢ هـ . وأشهر آثاره « المقامات » المعروفة باسمه .

(٢) أى بمعنى واحد .

(٣) طب هنا : تأتى للامور وتلطف . أى من أحب شيئاً استعمل الأناة والرفق ،
واستخدم الحيلة رغبة في الحصول عليه .

ويقولون إذا أصبحوا : سهرنا البارحة ، وسَرَيْنَا البارحة . والاختيار في كلام العرب — على ما حكاه ثعلبٌ — أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سَرَيْنَا الليلة ، وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سهرنا البارحة .

ويتفرع على هذا أنهم يقولون من انتصاف الليل إلى وقت الزوال صُبِّحْتُ بخير ! وكيف أَصْبَحْتُ ؟

٤ — المسعودي^(١)

قطعة من مقدمة كتاب « التنبيه والإشراف » :

وقد ذكرنا في كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التي هذا سابعها أخبار العالم وعجائبه ، ولم نُخله من دلائل تعضدها ، وبراهين تؤيدها عقلاً وخبراً ، وغير ذلك مما استفاض واشتهر ، وشاهد من الشعر على حسب الشيء المذكور وحاجته إلى ذلك . ونحن وإن كان عصرنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين ، وأيامنا بعيدة عن أيامهم فترجو ألا نقصّر عنهم في تصنيف نقصده ، وغرض نؤمّه^(٢) ، وإن كان لهم سبق الابتداء ، فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر ، وتنفق الضمائر ، وربما كان الآخر أحسن تأليفاً ، وأتقن تصنيفاً لحفكة التجارب ، وخشية التبع ، والاحتراس من مواقع الخطأ . ومن ههنا صارت العلوم نامية

(١) هو العالم المؤرخ الرحالة البجائية أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، سليل عبد الله بن مسعود الصحابي صاحب كتاب مروج الذهب . والتنبيه والإشراف ، وهما مطبوعان . وله كثير من الكتب غيرها . توفي سنة ٣٤٦ هـ .

(٢) نؤمّه : نقصد إليه .

غير متناهية لوجود الآخر ما لا يحده الأول ، وذلك إلى غير غاية محصورة ،
ولا نهاية محدودة ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك فقال : « وفوق كل ذي علم
علیم » ؛ على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدمين ، وتعظيم كتب
السالفين ، ومدح الماضي ، وذم الباقي . وإن كان في كتب المحدثين ما هو
أعظم فائدة وأكثر عائدة^(١) . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان
يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم فينسبُهُ إلى نفسه فلا يرى الأسماع
تُصفى إليه ولا الإرادات تيمُّ نحوه . ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبةً وأقل
فائدة ، ثم ينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هرون أو غيرها من المتقدمين ،
ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها^(٢) ، ويسارعون إلى نسخها
لا لشيء إلا لنسبتها إلى المتقدمين ، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من
هو في عصرهم ، ومنافسته على المناقب التي يخص بها ويعنى بتشبيدها . وهذه
طائفة لا يعبأ بها كبار الناس . وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين
أعطوا كل شيء حقه من العدل ، ووفّوه قسطه من الحق ، فلم يرفعوا المتقدم
إذ كان ناقصاً ، ولم ينقصوا المتأخر إذ كان زائداً . فمثل هؤلاء تُصنّف الكتب
وتدوّن العلوم ، وسنذكر الآن الأمم السالفة في سابق الدهر ولغاتهم ومواضع
مساكنهم وغير ذلك .

(١) العائدة : المنفعة .

(٢) الكتب : الكتابة .

٥ - الماوردي^(١)

فصل من أدب الوزير :

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث — وهو الإقدام — فهو في السياسة أوفى شرطها ، وفي لوازرة أكفى نظريها ، لظفر الإقدام ، وخيبة الإحجام . وقد قيل في منشور الحكم : بالإقدام ترتفع الأقدام ، وإنما يجب الإقدام إذا ظهرت أسبابه ، وقصدت أبوابه ، في إبانته ، وعند إمكانه ، كما قال الشاعر :

إذا ما أتيت الأمر من غير بابهِ ضللت وإن تقصدت إلى الباب تهتدى

ثم يجمع بعدها بين حزمه وعزمه ، فالحزم تدبير الأمور بموجب الرأي ، والعزم تنفيذها للوقت المقدّر لها ، فإذا تكاملت شروط الإقدام من هذه الوجوه الأربعة لم يمنع من الظفر إلا عوائق القدر . وقد قيل في قديم الحكم : إذا طلب أثنان حظاً ظفر به أفضلهما ديناً . فإن استويا في الدين ظفر به أفضلهما مروءةً ، فإن استويا في المروءة ظفر به أكثرهما أعواناً ، فإن استويا في الأعوان ظفر به أسعدهما جداً . فإن انشلم من شروط الإقدام أحدها صار الإقدام تفريراً يمنع من حزم ذي اللب ، ويصدّ عن الظفر ، ما لم يقلب قدر ، فما الأقدار بقياس معتبر ، وقد قال حكيم الهند : السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي

(١) هو قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ

وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، وكتاب الوزير . وهما مطبوعان ، وله كثير من الكتب غيرها .

يحول بين الحازم وطلبته . وقد قيل ليزرُ جهر : ما أعجبُ الأشياء ؟ قال : نجح الجاهل وإكداء^(١) العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير ! ما الذى لا يُحتاج فيه إلى عزم ولا حزم ؟ فاستمعه فى جوابه ثلاثة أيام فعاد إليه بعدها ، وسأله فقال له ، الدولة^(٢) ، فقال : صدقت . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منشور الحكم : الحظ يأتى من لا يأتيه .

٦ — ابن حمدون^(٣)

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية ، وهو فى سياسة الوزراء

والكتاب وأتباع السلطان

قالوا : من صحب الملوك وقرب منهم ، ينبغي أن يكون جامعاً للخلال الحمودة ؛ فأولها العقل ؛ فإنه رأس الفضائل ، والعلم فإنه من ثمار العقل ، ولا تليق صحبة الملك بأهل الجهل . والود ، فإنه خلق من أخلاق النفس ، يؤلده العدل فى الإنسان الذى وده . والنصيحة ؛ وهى تابعة للود ، وهو الذى يبعث عليها . والوفاء ؛ فإنه شيمة لا تتم الصحة إلا بها . وحفظ السر ، وهو من صدق الوفاء . والعفة عن الشهوات والأموال . والصرامة ، وهى شدة القلب ، فإن الملوك

(١) أكدى : لم يظفر بحاجته .

(٢) الدولة يريد بها هنا : الحظ . والدولة ما يتداول فيكون لهذا مرة ولذاك أخرى ، فتطلق فى الغلبة والحظ . ودول الأيام : تقلباتها التى تعين الرجل يوماً وتعين عليه يوماً .

(٣) هو كافى الكفاة أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى الكاتب الأديب صاحب التذكرة فى الأدب والدياسة توفى سنة ٤٩٥ هـ .

لا يصحبهم أولو النكول ، ولا ينالُ الجسمَ من الأمور إلا الشجاع النجد .
والصدق ؛ فإنه من لا يصدق يكذب ، ومضرة الكذب لا تتلافى . وحسن الزى
والهيئة ؛ فإن ذلك يزيد في بهاء الملك . والبشرُ في اللقاء ؛ فإنه يتألف به قلب
من يُلاقيه ، وفي الكلوح^(١) تنفيرٌ عن غير ريبة . والأمانة فيما يستحفظ . ورعاية
الحق فيما يستودع . والعدل والإصاف ؛ فإن العدل يصلح السرائر ، ويجمل
الظواهر ، وبه يُخاصم الإنسان نفسه إذا دعتَه إلى أمر لا يحسن رُكوبه . وينبغي
له أن يجانب أصدقاء هذه الخلال ، وألا يكون حسوداً ، فإن الحسد يُفسد ما بينه
وبين الناس ، ويُفترق بين الحسد والمنافسة ؛ فإنهما يشتبهان على من لا يعقل .
وأن يخلو من اللجاج والمحك^(٢) ؛ فإن ذلك يضر بالأفعال إذا وقع فيها اشتراك .
وألا يكون بذخاً^(٣) ولا متكبراً ، فإن البذخ من دلائل سقوط النفس وشدة
الطيش والبعد عن الصبر .

وينبغي ألا يكون قدماً^(٤) وخجاً^(٥) ولا ثقیلاً الروح ؛ فإنها صفة لا تليق
بمن يُلاقى الملوك ، وأبدأ تكون سبباً للمقت من غير جرم ، وبالجملة فالفضائل
والأخلاق الحمودة كثيرة ، وأولى الناس بطلب غاياتها الملوك ، كما هم الغاية ،
ثم أتباعهم ثم سائر الرعية .

(١) الكلوح : الإفراط في العبوس والكشر عن الأنياب .

(٢) المحك : التمدى في اللجاجة عند المساومة . والمشارة والمنازعة في الكلام .

(٣) البذخ : للتعظيم المتكبر يظهر التعالى على الناس .

(٤) القدم : العاجز عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٥) الوخم ككتف : الرجل الثقيل .

الأدب في مصر والشام

(١) الشعر

١ - المتنبي^(١)

قال في صباه من قصيدة :

أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرُقُ	وجوى يزيد وعبرة تترقرقُ
جَهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَأُرَى :	عينٌ مُسَبَّدةٌ ، وقلبٌ يخفقُ
مَا لَاحَ بَرْقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ	إِلَّا أَنْتَنَيْتُ ، وَلِي فَوَادٍ شَيِّقُ
جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي	نَارُ الْغَضَى ، وَتَسْكَلُ عَمَا يُحْرِقُ ^(٢)
وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعَشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ	فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعْشَقُ
وَعَذَرْتَهُمْ ، وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنَّنِي	عَيَّرْتُهُمْ ، فَلَقَيْتُ مِنْهُ مَا لَقُوا
أَبْنَى أَبَدِنَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ	أَبْدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ ^(٣)

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعاني الدقيقة والمختصرة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه أتهم وهو مقيم بينهم بأنه ادعى النبوة ، فسجنه وإلى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام وخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي . ثم هجاء ، وفر إلى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بني بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال العظيمة فخرج عليه الأعصاب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفئ نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكفى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

نبكى على الدنيا ، وما من معشر جَمَعَهُمُ الدُّنْيَا فلم يَتَفَرَّقُوا
أين الأَكْسَرَةُ الجَّابِرَةُ إلا كَنَزُوا الكَنُوزَ ، فما بقين ولا بقوا
من كلِّ مَنْ ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحدٍّ ضيق^(١)
خرسٌ إذا دُؤا ؛ كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلالٌ مطلق
فالموتُ آتٌ ، والنفوس نفائس والمستعزُّ بما لديه الأحق
والمرء يأملُ ، والحياة شهية ، والشيبُ أوفرُ ، والشيبة أنزق
ولقد بكيتُ على الشباب ولما مُسَوِّدَةٌ ، ولما وجهى رونق^(٢)
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدتُ بماء جفنى أشرق^(٣)

وقال من قصيدة يصف حرباً :

أتوك يجرون الحديد كأنما سَرَوْا بجياد ما لهم قوائم^(٤)
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم^(٥)
خيس يشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم^(٦)

(١) ثوى الرجل : هلك .

(٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . ويريد برونق ماء الوجه : النضارة .

(٣) قال هذه القصيدة وهو شاب ، ولكنه يبكى الشباب حذراً من زواله .

(٤) أى لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .

(٥) البيض : السيوف أى إذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلول تميز السيوف منهم ، لأن ثيابهم من الحديد أيضاً ، ولأن عمائمهم من الحديد أيضاً : يريد بالثياب الدروع ، والعمائم الخوذ والبيضات .

(٦) الخيس : الجيش . والجوزاء : برج فى السماء . الزمازم : الأصوات المختلفة التى لا تفهم أى أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته إلى السماء .

- تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَّةٍ (١) فَمَا تَفْهَمُ الْخُدَّاثُ إِلَّا التَّرَاجِمُ (١)
 فَلِلَّهِ وَقْتُ ذَوْبِ الْغَشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمٌ (٢)
 تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعُ وَالْقَنَا وَفَرٌّ مِنَ الْفُرْسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ (٣)
 وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ (٤)
 تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلُّمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتُفَرِّكُ بِاسْمٍ (٥)
 تَجَاوَزْتَ مَقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ : أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ (٦)
 ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً تَمُوتُ الْخَوَافِيُّ تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
 بِضَرْبِ أَنْيَالِهَا ، وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ ، وَالنَّصْرُ قَادِمٌ (٧)
 حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرَّمْحِ شَاتِمٌ (٨)

- (١) اللسان : اللغة . والحدث : الجماعة يتحدثون . أى أنه مؤلف من أم مختلفة
 الألسن : كالروم ، والصقلب ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .
 (٢) يريد بالغش : الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة ففلت وكسرت ، وأما
 الرجال فهلكوا أو فروا ، فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .
 (٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .
 (٤) أى كأن الردى : وهو الموت . مطبق عليك من جميع النواحي انطباق الجفن على
 العين ، بما لا يجعل للمرء مجالاً للشك فى أن الموت واقع لا محالة ، فكان ينبغى لمن هذه حاله
 أن يفر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .
 (٥) كللى : مجروحة مهزومة ، فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان
 وجهك وضاحاً وتفرّك باسماء تقابل الموت مستبشراً أنفة بنفسك وشجاعة فى جبلتك .
 (٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .
 (٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة إلى
 اللبة ، وهى موضع القلادة من الصدر ، فقبل الضرب كان النصر غائباً ، وبعده
 جاء النصر .
 (٨) الردينيات : الرماح . ومن قاتل بها كان بينه وبين عدوه بعد ، والضرب بالسيف
 شرف . فالشجيمان تقاتل بالسيوف ، لأنها لا تنبأ بمقاربة الأعداء

ومن طلب الفتح الجليل فائما مفتاحه البيض الخفاف الصوارم
 نثرهم فوق الأحيدب^(١) نثرة كما نثرت فوق العروس الداهم
 وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربته للروم ، وبناءه مرعشاً^(٢) :
 فدينك من ربع ، وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
 وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبنا
 نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة لمن بان عنه أن نلّم به ركباً^(٣)
 نذم السحاب الفرّ في فعلها به ونعرض عنها كلما طلعت عتياً^(٤)
 ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت وكيف التذاذي بالأصائل والضحا
 ذكرت به وصلاً كان لم أفز به إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هباً^(٥)
 وفتانة العينين قتالة الهوى وعيشاً كأني كنت أقطعهُ وثباً
 لها بشر الدرّ الذي قلدت به إذا نفت شيوخاً روائحها شباً
 فيا شوق ما أبقي ويالى من التوى ولم أر بذراً قبلها قلد الشهباً^(٦)
 لقد لعب البين المشتت بها وبى ويادمع ما أجرى ! ويا قلب ما أصبى
 ومن تكن الأسد الضواري جدوده وزودنى في السير ما زود الضباً^(٧)
 يكن ليله صبحاً ومطعمه غضباً

(١) الأحيدب : جبل بجهة بلدة الحدث .

(٢) بلدة بالشام قرب أنطاكية .

(٣) الأكوار : جماعة الإبل .

(٤) أى نذم السحاب لأنها عفت آثاره .

(٥) أى الذى هب قديماً أيام كنا نسكنه مع الحبيب .

(٦) البشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد .

(٧) ما زود الضب : أى زودنى العدم ، لأن الضب يعيش فى البادية بلا ماء أو زودنى

الحيرة ، لأنه إذا خرج ضل .

ولست أبالي بعد إدراكى العُلا أكان رَأَا ما تناولت أم كسبا
 فَرُبَّ غلامٍ علم المجد نفسه كتعلم سيف الدولة الدولة الضربا
 إذا الدولة استكفت به فى مُلّة كفاهافكان السيف والكف والقلبا
 تُهابُ سيوفُ الهند ، وهى حدائد فكيف إذا كانت نزارية عُرُبا؟^(١)
 ويُرهب نابُ الليث ، والليث وحده فكيف إذا كان الليوث له صحبا؟
 ويُنشى عُبَابُ البحر ، والبحرُ ساكنٌ فكيف بمن يغشى البلاد إذا عبأ؟^(٢)
 عليمٌ بأسرار الديانات واللغى له خطراتٌ تفضح الناس والكتيبا^(٣)
 فبوركت من غيثٍ كان جلودنا به تُنبتُ الدّيباج والوشى والعصبا^(٤)
 ومن واهب جزلاً ، ومن زاجرٍ : هلا ، ومن هاتك درعا ، ومن نائر قُصبا^(٥)
 هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهمُ وأنك حزب الله صرت لهمُ حزبا^(٦)
 وأنك رُعت الدهر فيها وريبه فإن شكّ فليُحدثُ باحتها خطبا^(٧)

-
- (١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل له ، فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزارية كسيف الدولة .
- (٢) عب : ماج وتحرك .
- (٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات ، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم ، لأنهم لم يبلغوا مقداره فى العلم .
- (٤) العصب . ضرب من البرود . أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .
- (٥) هلا : لفظ تزجر به الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل ، وبزجر الخيل للقتال ، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ، ويشق البطون فينثر أمعاءها
- (٦) هنيئاً حال من فعل محذوف ، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .
- (٧) ريب الدهر : صروفه وأحداثه . وضجير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام ، والكلام متحد للدهر .

فيوماً بخيلٍ تطرُدُ الرومَ عنهم
سراياك تَتَرى والدُّمُستَقُ هارب
أتى مرعشاً يستقربُ البُعْدَ مُقْبِلاً
كذا يَتَرِكُ الأعداءَ من يكرهُ القنا
وهل ردَّ عنه باللقان وقوفه
مضى بعدَ ما التفَّ الرِّماحان ساعة
ولكنه وَلَّى وللطَّغْنِ سورة
وخلى العذارى والبطاريق والقرى
أرى كُلَّنا يَبْغِي الحياةَ لنفسه
حُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أوردَه البَقَا
ويختلفُ الرِّزقان ، والفعلُ واحدٌ ،
فأُضْحِتْ كَأَنَّ الشُّورَ من فوقِ بدنه
تَصُدُّ الرِّياحُ الهُوجُ عنها مخافة
وتردى الجيادُ الحردُ فوقَ جبالها

ويوماً بجُودٍ تطرُدُ الفقَرَ والجُدبا
وأصحابه قَتَلُوا وأمواله نُهِبَ (١)
وأذبرَ إذ أقبلت يستبعد القرباً
ويَقْفُلُ من كانت غنيمته رُعباً (٢)
صدر العوالى والمطهمة القبا (٣)
كما يَتَلَقَّى الهدبُ في الرقدة الهدبا (٤)
إذا ذكرتها نفْسُهُ لَمَسَ الجُنبا
وشعث النصارى والقرايين والصلبا (٥)
حريصاً عليها مُسْتَهَاماً بها صَباً
وحُبُّ الشجاع النفسَ أوردَه الحربا
إلى أن ترى إحسانَ هذا لذاً ذنباً
إلى الأرض قد شقَّ السكواكب والتربا (٦)
وتفزع فيها الطيرُ أن تَلْقُطُ الحبَّ (٧)
وقد نَدَفَ الصَّنْبَرُ في طُرُقها العُطبا (٨)

- (١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهبي : منهوبة .
(٢) يقفل : يرجع :
(٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .
(٤) الرماحان : أى رماح هؤلاء ورماح هؤلاء . يريد : الجيشين .
(٥) البطاريق قواد الروم . وأراد بالشعث : الرهبان . والصلب بضم اللام ، جمع صليب وأسكن اللام لضرورة الوزن .
(٦) أى من أعلاه إلى أدناه فقد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .
(٧) تصد : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلتقط الحب فيها لصعوبة ارتقاها .
(٨) وتردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصنبر : السحاب البارد .
والعطب : القطن .

كفى حجباً أن يعجب الناس أنه بنى مرعشاً ؛ تباً لأرائهم تباً (١)
وما الفرق ما بين الأنام وبينه إذا حذر الحذور وأستصعب الصعبا
لأمر أعدته الخلافة للعدا وسمته دون العالم الصارم العضبا
ولم تفترق عنه الأسنة رحمة ولم تترك الشام الأعادي له حبا
ولكن نفاها عنه غير كريمة كريم النشا ما سب قط ولا سباً (٢)
وجيش يثنى كل طود كأنه خريق رياح واجهت غصنا رطباً (٣)
كان نجوم الليل خافت مغاره فددت عليها من عجاظته حجباً (٤)
فمن كان يرضى اللؤم والكفر ملكه فهذا الذي يرضى المكارم والرياً

وقال يذكر قيام شبيب العقيلي : وكان خارجاً على كافور فأت فجأة وهو
يحاصر دمشق . وقيل : دس عليه كافور من سمه . وقيل : إنه ألقى عليه رحي
من السور ، وهذه القصيدة من المدح المراد به الدم :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران
ولله سر في علاك ؛ وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان
أتلتمس الأعداء بعد الذي رأته قيام دليل أو وضوح بيان ؟
رأت كل من ينوي لك الغدر يبتلى بغدر حياة أو بغدر زمان
برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان (٥)

- (١) أي من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعشاً كأنهم لم يعرفوا قدرته .
(٢) النشا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سوء .
(٣) يثنى : يميل ، يريد : التغلب عليه . والحريق : الريح الشديدة .
(٤) مغاره : إغارته . والضمير في عجاظته عائد على الليل ، والعجاجة يريد بها الظلام .
(٥) العلات هنا : الأحوال . تقول : قبلت هذا الشيء على علته ، أي على ما فيه ، أو على كل حال .

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ : رَفِيقُكَ قَيْسٌ وَأَنْتَ يَمَانِي (١)
فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَايَا غَايَةُ الْحَيَوَانِ (٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تُشِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانٍ دُخَانٍ
فَنَالَتْ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يُشْهَى الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانٍ (٣)
كَفَى وَقَعَ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ بِرُوحِهِ وَلَمْ يَخْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالْذَّبَرَانِ (٤)
وَلَمْ يَدْرَ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحِ مُخْسِنِ الطَّيْرِ (٥)
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلَتْهُ بِأَضْعَفِ قَرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانٍ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعَيَانٍ
وَلَوْ سَلَكَتْ طَرِيقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَأَنْسَاعِ جَنَانٍ
تَقْصِدُهُ الْمَقْدَارُ بَيْنَ صَحَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ (٦)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشَ الْكَثِيرَ التَّفَافُهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوَّلُ . وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي
فَمَا لَكَ تَحْتَارُ الْقَيْسَ وَإِنَّمَا . عَنْ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانَ ؟ (٧)
وَمَا لَكَ تُغْنَى بِالْأَسْنَةِ وَالْقَنَا . وَجَدُّكَ طَعَانٌ بِغَيْرِ سِنَانٍ ؟ (٨)

- (١) لما بين قيس واليمن من العصبية في الشام . (٢) الحيوان : الحياة .
(٣) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكينة بلا سابق ألم ولا مرض .
(٤) أي أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ما حسب حسابا لرزايا
النحوس السماوية من الكواكب أمثال الذبران وهو كوكب نحس كما زعموا .
(٥) شواته : رأسه . (٦) المقدار القدر . (٧) الثقلان : الإنس والجن .
(٨) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والقنا : جمع قناة ، وهي الرمح .
والجد : الحظ .

وَلَمْ تَحْمَلِ السِّيفَ الطَّوِيلَ نِجَادَهُ وَأَنْتَ غَنَى غَنَاهُ بِالْحَدَثَانِ^(١)
أَرَدْتُ لِي جَمِيلًا جُدْتُ أَوْ لَمْ تَجْدِهِ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي
لَوْ أَلْفَكَ الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ !

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارًّا من كافور إلى الكوفة يهجوهم وقومه :

عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عَيْدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ^(٢)
أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْيَسَادُ دُونَهُمْ فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدُ^(٣)
لَوْلَا الْعُلَا لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا وَجَنَاءَ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءَ قَيْدُودُ^(٤)
وَكُنْ أَطِيبَ مَنْ سَيِّفِي مُضَاجَعَةٌ أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغَيْدُ الْأَمَالِيدُ^(٥)
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي شَيْئًا تُتَلَيَّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ
يَا سَاقِيٍّ آخِرُ فِي كُثُوسِكَمَا أَمْ فِي كُثُوسِكَا هُمُ وَتَسْهِيْدُ
أَصْخَرَةٌ أَنَا مَالِي لَا تُحَرِّكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ
إِذَا أَرَدْتُ كَمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا ، وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ^(٦)
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا أَنِي بِمَا أَنَا بِأَكْرَمِهِ مِنْهُ مُحْسُودُ !

(١) النجاد : حمائل السيف .

(٢) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٣) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالكوفة .

(٤) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الحلق الصلبة العضل ، والحرف من النوق : للضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلاء لم تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .

(٥) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسن الناعبات . وأشباه رونقه : أى اللواتى يشبهن السيف فى الرونق . ويروى : معانقة بدل مضاجعة .

(٦) يريد بكيمت اللون : الخمر .

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرَاظًا وَيَدًا أَنَا الْغَنِيُّ ، وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ ^(١)
 إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمْ عَنِ الْقَرْيِ وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ ^(٢)
 جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ ؛ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ !
 مَا يَقْبِضُ الْمَوْتَ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُدُ ^(٣)
 أَكَلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مَصْرٍ تَهْيِيدُ ؟
 صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحَرْثُ مُسْتَعْبِدٌ ، وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مَصْرِ عَنْ ثَعَالِبِهَا فَقَدْ لَشَمْنٌ ، وَمَا تَفَنَّى الْعِنَاقِيدُ ^(٤)
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحَرْثٍ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحَرْثِ مَوْلُودُ
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنْ الْعَبِيدَ لَا يُجَاسُّ مَنَاكِيدُ
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يُسَى بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودُ
 وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ قُتِدُوا وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ ^(٥)
 وَأَنْ ذَا الْأَسْوَدَ الْمُسْقُوبَ مِشْمَرُهُ تَطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ ^(٦)

-
- (١) أروح : من الراحة . وخازنا ويذا : منصوبان على التمييز . أى أصبحت غنيا ، ولكن يدي وخازني في راحة ، إذ كانت أموالى مواعيد كافور ، وهى وهمة .
- (٢) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام . ومحدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .
- (٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فى يده عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تقزرا من مس أبدانهم بيده .
- (٤) النواطير . حافظو السكروم بالطاء والطاء ، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل وبشمن : أكلن فوق الشبع .
- (٥) كناه بأبى البيضاء ، وهى كنية العبيد سخريه منه .
- (٦) العضاريط : جمع عضروط ، وهو اللثيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعايد : جمع رعديد وهو الجبان .

جوَّعَانِ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي لَكُنِي يُقَالُ : عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ
 إِنْ أَمْرًا أَمَّةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ لِمَسْتَضَامٍ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْثُودُ^(١)
 وَيَلْمُهَا خَطَةً ! وَيَلْمُ قَابِلَهَا ! لِمَثَلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ^(٢)
 وَعِنْدَهَا لَذَّةٌ طَعْمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ إِنْ الْمَنِيَّةُ عِنْدَ الدَّلِّ فَنَدِيدُ^(٣)
 مَنْ عَلمَ الْأَسْوَدَ الْخَصِيَّ مَكْرُمَةً ؟ أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ ؟
 أَمْ أُذُنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدْرُهُ ، وَهُوَ بِالْفَلَسِّينِ مَرْدُودُ
 أَوْلَى اللَّثَامِ كَوَيْفِيرٌ بِمَعْذَرَةٍ فِي كُلِّ لَوِّيمٍ ، وَبَعْضُ الْعَذْرِ تَفْنِيدُ^(٤)
 وَذَاكَ أَنْ الْفَحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الْجَمِيلِ ، فَكَيْفَ الْخَصِيَّةُ الشُّودُ ؟^(٥)

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر إلى مصر :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شِمٌّ وَمِنْ بَحْشَمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٦)
 مَالِي أَكْتَمْتُ حُبًّا قَد بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعَى حُبٌّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْأُمِّ

(١) مَفْثُودُ : مَصَابٍ فِي فُؤَادِهِ . أَيْ إِنْ مِنْ يَدْبِرُهُ وَيَسُوسُهُ أَمْثَلُ كَافُورِ الْخَصِي الْعَظِيمِ
 الْبَطْنِ الَّذِي يَشْبَهُ الْأُمَّةَ الْحُبْلَى لِسَخِينِ الْعَيْنِ فَاقِدِ الْعَقْلِ .

(٢) وَيَلْمُهَا : أَيْ وَيَلِّ لَأَمِّهَا ، فَخَذَفَتْ أَلْفَ أُمِّ تَوْسَعَا ، وَجَعَلَتْ مَعَ الْوَيْلِ كَأَنَّهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ
 وَلَامَ وَيْلَ : إِمَّا مَرْفُوعَةً أَوْ مَخْفُوضَةً بِنَقْلِ حَرَكَةِ هَمْزَةٍ أُمِّ الْمَخْدُوفَةِ إِلَيْهَا عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَكْسِرُ هَمْزَةً
 أُمِّ ، وَهِيَ سَبٌّ لِلْمَكْرُوهِ . وَالْخَطَةُ هُنَا : الشَّأْنُ وَالْحَالُ وَالْعَيْشَةُ . وَقَوْلُهُ : لِمَثَلِهَا الْحُ أَيُّ لِمَثَلِ
 الْخِلَاصِ مِنْهَا . وَالْمَهْرِيَّةُ : النُّوقُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَى بِلَادِ مَهْرَةَ ، وَهِيَ كَرِيمَةٌ سَرِيعَةُ السَّيْرِ . وَالْقُودُ :
 جَمْعُ قَوَادٍ ، وَهِيَ الطَّوِيلَةُ .

(٣) الْقَنْدِيدُ : الْعَسَلُ مِنْ قَصَبِ السَّكَّرِ .

(٤) كَوَيْفِيرٌ : تَصْغِيرُ كَافُورٍ . وَالتَّفْنِيدُ : اللُّومُ وَالْمُؤَاخَذَةُ .

(٥) جَمْعُ خَصِيٍّ ، وَيَجْمَعُ أَيْضًا إِلَى خَصِيَّانِ .

(٦) الْهَاءُ فِي قَلْبَاهُ : لِلْسَّكْتِ ، وَاتِّصَالِهَا هُنَا بِمَا قَبْلَهَا مَعَ أَنَّهَا مُوَصُولَةٌ بِمَا بَعْدَهَا ضَعِيفٌ
 أَوْ هُوَ مَذْهَبُ كُوفِيٍّ . وَالشِّمُّ : الْبَارِدُ . أَيْ مَا أَشَدَّ حَرَارَةِ قَلْبِي مِنْ حُبِّ الَّذِي يَرِدُ قَلْبَهُ .

إِن كَانَ يَجْمَعُنَا حُبُّ لِقَائِهِ
قَدْ زُرْتُهُ ، وَسَيُوفُ الْمُنْعَمَةِ
فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمْتَهُ ظَفَرُ
قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَنَعْتَ
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزَمُهَا
أَكَلَمَّا رُمْتَ جَيْشًا ؟ فَانْتَنَى هَرَبًا
عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ
أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُوءًا سِوَى ظَفَرِ
يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
أَعْيَذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي

فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ^(١)
وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، وَالسَّيُوفُ دَمُ^(٢)
وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّمِّ
فِي طَيْهِ أَسْفَ فِي طَيْهِ نَعِمُ^(٣)
لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ الْبُهْمُ^(٤)
أَلَا تُوَارِيهِمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمُ^(٥)
تَصَرَّفَتْ بِكَ فِي آثَارِهِ الْمَهْمُ ؟
وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا
تَصَاخَتْ فِيهِ بَيْضُ الْمُنْدِ وَاللَّحْمُ^(٦)
فِيكَ الْخِصَامُ ، وَأَنْتَ الْخُصْمُ وَالْحَكَمُ
أَنْ تَحْسَبَ الشَّجْمَ فَيَمَنْ شَحْمُهُ وَرَمَ
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ
وَأَسْمَعْتَ كَلَامِي مَنْ بِهِ صِمُّ^(٧)

(١) الغرة : الوجه . أى ليتنى يرى كلامنا بقدر حبنا إياه .

(٢) أى أن خدمته فى حالى السلم والحرب .

(٣) أى أن فؤاد العدو وفراره منك ظفر لك فى ضجته أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٤) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٥) العلم : الجبل . أى تريد ألا يستتر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم ، بل يكفى فرارهم ، والأبيات الآتية توضح المعنى .

(٦) اللحم : جمع لمة وهى الشعر المجاوز شحمة الأذنين ، يريد الرؤوس .

٨ ٩ ، يريد بكلماته أشعاره .

- أَنَامُ مَلءُ جُفُونٍ عَنْ سُورَدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ^(١)
 وَجَاهِلٍ مَدَّةُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ
 إِذَا رَأَيْتَ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظَنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
 وَمُهْجَةٍ مَهْجَتِي مَنْ هَمَّ صَاحِبُهَا أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادِ ظَهْرِهِ حَرَمُ^(٢)
 رَجُلَاهُ فِي الرِّكْضِ رَجُلٌ، وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفَعَلَهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ^(٣)
 وَمُرْهَفٍ سِرَّتُ بَيْنَ الْجَحْفَدَيْنِ بِهِ حَتَّى ضَرَبْتُ، وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
 فَالْخَلِيلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِيدَاءُ تَعْرِفَنِي وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
 صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعِجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكَمُ^(٤)
 يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ^(٥)
 مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتُكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ
 إِنْ كَانَ سِرُّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجْرَحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ
 وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةً إِنْ الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ
 كَمْ تَطْلُبُونَ أَنَا غَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ

- (١) شوارد الأشعار ، سوارثها وذائعاتها : أى أنه ينظمها وينام ، والناس يسهرون لأجلها بحثاً وتقداً واجتلاباً وحفظاً ورواية .
 (٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتي أنا من همه وقصده ، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن .
 (٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال : رجلاه رجل واحدة ، ويداه يد . يعنى أنه يرفع رجله معاً ويضعهما كذلك . وكذلك يده . وفعله فى الجرى يغنى عن الكف التى تحمل السوط وعن القدم التى يستحسها بها .
 (٤) القور : جمع قارة . وهى الأكمة فى الأرض الحرة (البركانية) .
 (٥) الوجدان : الوجود . أى لما فارقناكم كان كل شىء نجده فى حكم العدم .

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ؛ أنا الثريا ، وذان الشيب والهزم
 أيت الغمام الذي عندي صواعقه أزيلهن إلى من عنده الدائم
 أرى النوى يقتضيني كل مرحلة لا تستقل بها الوخادة الرسم^(١)
 لئن تركن ضميراً عن مياميننا ليخذهن لئن ودعتهن ندم^(٢)
 إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم
 شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما قنصته راحتي قنص
 بأى لفظ تقول الشعر زعنفة شهب البزاة سواء فيه والرخم^(٣)
 هذا عتابك إلا أنه مقة تجوز عندك لا عرب ولا عجم^(٤)
 وقال في الحكمة : قد ضمن الدّر إلا أنه كلم^(٥)

إذا غارت في شرف مرّوم فلا تقنع بما دون النجوم
 فطعم الموت في أمر جدير كطعم الموت في أمر عظيم
 ستبكي شجوها فرسى ومهرى صفائح دمعها ماء الجسوم^(٦)
 قربن النار ، ثم نشان فيها كما نشأ العذارى في النعيم
 وفارقت الصياقل مخلصات وأيديها كثيرات الكلوم^(٧)

(١) الإبل السريعة المشى القوية عليه .

(٢) ضمير : جبل يكون على يمين الناهب إلى مصر من حلب .

(٣) البزاة : جمع باز وهو ضرب من الصقور قوى . والرخم طائر من الجوارح .

(٤) الزعنفة : الطائفة ، وأصل الزعانف : أجنحة السمك ، يشبه به الأرذال

والأوشاب .

(٥) المقة : الحب والعشق .

(٦) يريد بالصفائح السيوف ، ثم أخذ في وصفها الخ .

(٧) الصياقل : جمع صيقل ، وهو الذى يشحن السيوف . والكلوم جمع كلم ، وهو

الجرح أى وأيدي الصياقل كثيرة الجراح من مضائها .

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللثيم
وكل شجاعة و المرء تُغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذُ الاذانُ منه على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا :

أودّ من الأيام مالا تودّه وأشكو إليها بديناً وهي جُنْدُه (١)
يباعدن حبّاً يجتمعن ووصله فكيف بحبٍ يجتمعن وصدّه (٢)
أبي خلقٍ لدنيا حبيباً تديمه فما طلبي منها حبيباً تردّه ؟
وأسرعُ مفعولٍ فعلت تغيراً تكلفُ شيء في طباعك ضدّه
رعى الله عيساً فارقتنا وفوقها مهياً كلها يولى بجفنيه خدّه (٣)
بوادٍ به ما بالقلوب كأنّه وقد رحلوا جيداً تنائرَ عقدّه (٤)
إذا سارت الأحداجُ فوق نباته تفاوح مسكُ الغانيات ورندّه (٥)

(١) أى أود منها ما لا توده من إنصافى وتنوئلى مرادى ، وأشكو إليها فراقنا ، وهي عون من الفراق .

(٢) وصله وصدّه : معطوفان على الضمير في يجتمعن بدون فاصل ، ضرورة . أى يبعدن منها الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الإبل البيض . والها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية تشبه بها المرأة في حسن العينين . ويولى : يمطر ، أى ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أى رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكى فيسيل دمعها على خدها .

(٤) أى فارقتنا بوادٍ به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزيناً بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو للنار . أى إذا سارت الإبل حاملة لهن في الأحداج تفاوح مسكهن ونبات الرند بالوادي .

وَحَالٍ كإِحْدَاهُنْ رُمْتُ بُلُوغَهَا
وَأَتَعَبُ خَلْقَ اللَّهِ مِنْ زَادَ هُمُهَا
فَلَا يَنْجَلِلُ فِي الْمَجْدِ مَا لَكَ كُلُّهُ
وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْجَدُّ كَفَّهُ
فَلَا تَجْدُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قُلٌّ مَالُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنَّتِي مَالُهُ
يَرَى جَسَمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ
يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ

وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ^(١)
وَقَصْرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجُدُهُ^(٢)
فَيَنْجَلِلُ تَجْدُّ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ ، وَالْمَالُ زَنْدُهُ^(٣)
وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قُلٌّ تَجْدُهُ
وَمُرْكُوبُهُ رَجْلَاهُ ، وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ
مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ
فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ^(٤)
عَلَيْكَ مَرَامِيهِ وَزَادِي رُبْدُهُ^(٥)

وقال في وصف الحياة والناس :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا
وَتَوَلَّوْا غِصَّةَ كُلِّهِمْ مِنْهُ
رُبَّمَا تَحْسَنُ الصَّنِيعَ لِأَيَّامِهِ
وَكُنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا رَيْبَ الدُّ
كُلَّمَا أُنْبَتَ الزَّمَانُ قَفَاةً
وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
هـ ، وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا
هـ ، وَلَكِنْ تَكَدَّرُ الْإِحْسَانَا
دَهْرٌ ؛ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا
رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ سَفَانَا^(٦)

(١) الغول : المشقة . أى : ورب حال كإحدى هذه النسوة في الصعوبة والامتناع
وتعذر الوصول إليهن .

(٢) الوجد : المال والمقدرة .

(٣) الزند : موصل الذراع في الكف ، ومن الزند يستمد الكف قوته .

(٤) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق . تربه : تنعمه وتنميته .

(٥) التهجير : السير في الهاجرة وهي نصف النهار . والمهمه المكان الففر . والربد :

جمع أربد يريد بها النعام . أى لا عليك له إلا مرعى البادية . ولا زاد إلا من صيد النعام .

(٦) القناة : الريح . والسنان : رأسه الذي يطعن . وهو النصل .

ومُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ تَتَعَادَى فِيهِ ، وَأَنْ تَتَفَانَى
غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُبْلِقِي الْمَنَافَا . كَالْحَات ، وَلَا يُبْلِقِي الْمَوَانَا
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْتَلِي لِحَيِّ لَعَدَدْنَا أَضْلَمْنَا الشُّجْعَانَا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ فَمَنْ الْعَجْزُ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا^(١)

٢ - أبو فراس^(٢)

قال في الشكوى والعتاب :

وَإِنِّي وَقَوْمِي فَرَّقْتُنَا مَذَاهِبُ وَإِنْ جَمَعْتُنَا فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ
فَأَقْصَاهُمْ أَقْصَاهُمْ مِنْ مَسَاءَتِي وَأَقْرَبُهُمْ مِمَّا كَرِهْتُ الْأَقَارِبُ
غَرِيبٌ وَأَهْلِي حَيْثُ مَا كَرَّ نَظَرِي وَحِيدٌ وَحَوْلِي مِنْ رَجَالِي عَصَائِبُ^(٣)
نَسِيبُكَ مِنْ نَاسَبَتِ الْوُدِّ قَلْبَهُ وَجَارُكَ مِنْ صَافِيَّتِهِ لَا الْمُصَاقِبُ^(٤)
وَأَعْظَمُ أَعْدَاءِ الرِّجَالِ ثِقَاتُهَا وَأَهْوَنُ مِنْ عَادِيَّتِهِ مِنْ تُحَارِبُ
وَمَا الذَّنْبُ إِلَّا الْعَجْزُ يَرْكَبُهُ الْفَتَى وَمَا ذَنْبُهُ إِلَّا حَارِبَتِهِ الْمَطَالِبُ
وَمَنْ كَانَ غَيْرُ السَّيْفِ كَافِلَ رِزْقِهِ فَلِلذِّلِّ مِنْهُ — لَا لِمَحَالَةٍ — جَانِبُ

-
- (١) أى أن كل شيء صعب لم تعصب به النفس يسهل على النفس أمره إذا أصيبت به .
(٢) هو أبو فراس الحارث بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة أمير حلب وممدوح المتنبي ، كان شاعراً أديباً فارساً . طالماً قاتل الروم بين يدي سيف الدولة أمير حلب ، وأسر في إحدى وقائعه معهم ، وطال أسره . وكان يكتب إلى سيف الدولة من السكتب والقصائد في إنقاذه ، وكان يعسر عليه المفاداة ، ثم فك أسره ، وسكن منبج مولياً عليها . ثم قتل في ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . ويغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .
(٣) عصائب : جماعات .
(٤) المصاقب : الذى داره بجانب دارك .

وقال في الحكم :

أنفق من الصبر الجميل ، فإنه لم يخش فقراً منفقاً من صبره
والمرء ليس ببائع في أرضه كالصقر ليس بصائد في وكره
وقال يشكو حاسديه ويذم فعلهم :
ومضطَّعن^(١) لم يحمل السرَّ قلبه
تردَّى رداء الذل لما لقيته
ومن شرفي ألا يزال يعينني
رمثي عيون الناس حتى أظنها
ولست أرى إلّا عدوّاً محارباً
فهم يُطفئون المجد ، والله واقد
وهل يدفع الإنسان ما هو واقع
وهل لقضاء الله في الناس غالب
على طلاب العز من مُستقرّه
إذا الله لم يحرزك مما تخافه
وأخر خير منه عندى المحارب^(٢)
وهم ينقصون الفضل ، والله واهب
وهل يعلم الإنسان ما هو كاسب
وهل من قضاء الله في الناس هارب
ولا ذنب لي إن حاربتني المطالب^(٣)
فلا الدرع مناع ولا السيف قاضب^(٤)

وقال في وصف كتاب ورد عليه من صدق له :

ووارِدٍ مُورِدٍ أنسا يؤكِّدهُ صدوره عن سليم الورد^(٥) والصدر^(٦)
شدّت سحائبه منه على نزه^(٧) تقسم الحسن بين السمع والبصر

(١) منطو على الضغن وهو الحقد .

(٢) يريد الحسود المنافق الذي يبطن له العداوة . (٣) الطلاب : الطلب .

(٤) لم يحرزك : لم يوقك . قاضب : قاطع .

(٥) ورد الماء والمكان : وصل إليه .

(٦) صدر عن المكان وعن الماء : رجع عنه إلى المكان الذي صار إليه .

(٧) جمع نزهة : الأرض المزينة بالنبات .

عُدُوبَةٌ صَدَرَتْ عَنْ مَنْطِقِ جَدِّدٍ^(١) كَلِمَاءٌ يَخْرُجُ يَنْبُوعًا مِنْ الْحِجْرِ
وَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْفِكْرِ دَجَّهَا^(٢) صَوْبٌ^(٣) الْقَرَائِحُ لَا صَوْبٌ مِنَ الْمَطَرِ
كَأَنَّمَا نَشَرْتَ أَيْدِي الرِّبْعِ بِهَا بُرْدًا^(٤) مِنَ الْوَشْيِ^(٥) أَوْ ثَوْبًا مِنَ الْحَبَرِ^(٦)

وقال من قصيدة ينوّه فيها بشجاعته ، وقد أسره الروم وهو يحارب في جيش
ابن عمه سيف الدولة :

أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ^(٧) لَدَى الْوَغَى وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبْهُ مُنْغَرٌ^(٨)
وَلَكِنْ إِذَا حُمِّ^(٩) الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ
وَقَالَ أَصِيحْبَانِي : الْفَرَارُ أَوْ الرَّدَى فَقُلْتُ : هُمَا أَمْرَانِ ، أَحْلَاهُمَا مَرُ
وَلَكِنِّي أَمْضَى لِمَا لَا يَعِينُنِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ ، خَيْرُهُمَا الْأَشْرُ
يُمْنُونَ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا عَلَى ثِيَابٍ مِنْ دِمَائِهِمْ حَرُ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوْسُطُ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
تَهْوُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالَى نُفُوسُنَا وَمَنْ يَخْطُبُ الْحُسْنَاءَ لَمْ يَغْلَهَا الْمَهْرُ

(١) سهل .

(٢) نقشها .

(٣) نزول المطر .

(٤) ثوب مخطط .

(٥) كثير الألوان .

(٦) برد يمان .

(٧) لا رماح معهم . مفردة : أعزل .

(٨) من لم يجرب الأمور .

(٩) نزل .

وكتب وهو في أسر الروم إلى سيف الدولة :

أبى غَرْبَ هذا الدَّهرُ إلا تسرُّعاً وسكنونُ هذا الحُبَّ إلا تَضوُّعاً
فلما استمرَّ الحُبُّ فى غُلُوِّه رَعَيْتُ مع المضياعة الغةَ تَارَعِي^(١)
فَحَزَنَى حُزْنَ الهائمين مُبرِّحاً وسرَّى سرَّ العاشقين مُضِيْعاً
خَلِيلِي : لم لا تَبْكِيَانِي صَبَابَةً أَبْدَلْنَا بالأحرع الفرد أجراً^(٢)
علىَّ لمن ضنَّتْ علىَّ جُفُوْنَهُ غَوَّارِبُ دمع بِشْمَلُ الحىَّ أَجْمَعاً^(٣)
وهبْتُ شَبَابِي ، والشبابُ مَضَّةٌ لا لِمَجٍّ من أبناءِ عَمَى أروعا^(٤)
أَبَيْتُ مُعْنَى من مخافة عَثْبِهِ وَأَصْبَحُ محزوناً ، وأُمسى مُرَوَّعاً
فلما مضى عصرُ الشبيبة كُلهُ وفارقتُ شرحُ الشباب فودَّعاً
نَطَلَّبتُ بين العَثْبِ والهَجَرِ فُرْجَةً فحاولتُ أمراً لا يُرامُ مُنْعَمَا
وصرتُ إذا ما رُمْتُ فى الخيرِ لَدَةً تتبعُنيها بين الهمومِ نَتَبِعا^(٥)
وهأنَا قد حلَّى الزمانُ مفرقِي وتَوَّحى بالشَّيبِ تاحاً مُرْصعاً
فلو أننى مُكَّنْتُ فيما أريدُه من العيش يوماً لم أجد فى موضعا
أما ليلةٌ تَمْضِي ولا بعضُ ليلةٍ أُسرُّ بها هذا الفؤادَ الموحما
أما صاحبُ فرْدٍ يدومُ وفوؤهُ فيُصْنِى لِمَنْ أَصْنَى ، وبرعى لِمَنْ رَعَى
أبى كلَّ دارٍ لى صديقٌ أودَّه إذا ما تَفَقَّنَا حَفَظْتُ وَضِيْعاً

(١) الغلواء : الغلو والمضياعة : الكثير الإضاءة والغر : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمتى ورعيت مع الحبيب الغفل ما يرعى واتبعته فيما يشاء
(٢) أى هل استبدلتما بالأحرع الفرد مكاناً غيره . يريد هل نسيتماني واتخذتما بدلى حبيباً آخر ؟

(٣) أى أنى أبكى على من لا يبكى على بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وى .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع النجدة .

(٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم .

(٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

إذا خفتُ من أخوالى الروم خُطَّةً تخوّفتُ من أعماهى العرب أربعا
وإن أوجعتنى من أعادى شيمَةً لقيتُ من الأحباب أدمى وأوجعا
ولو قد رجوت الله لا ربَّ غيره رجعتُ إلى أعلى ، وأملتُ أوسعا^(١)
لقد قنعوا بعدى من القطر بالندى ومن لم يجد إلا القنوع تقنعا^(٢)
وما مرَّ إنسانٌ فأخلف مثله ولكن يُرجى الناسُ أمرا موقعا^(٣)
تنكر سيفُ الدين لما عتبتُهُ وعرض بي تحت الكلام وقرعا
فقلّوا له ، يا صادق الودّ إننى جعلتك ممّا رابنى منك مفزعا
ولو أننى أكننتُهُ فى جوانحى لأورق ما بين الضلوع وفرعا^(٤)
فلا تغترّ بالناس ، ما كلُّ من ترى أخوك ، إذا أوضعت فى الأمر أوضعا^(٥)
ولا تتقلّد ما يروقُ جماله تقلّد إذا جرّبت ما كان أقطعا^(٦)
ولا تقبلنّ القول من كلِّ قائل سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمعا
ولله إحسانٌ على ونعمة والله صنّعٌ قد كفانى التصنعا
أرأنى طرق المسكرّات كما رأى علىّ وأسماي على كل من سعى^(٧)
فإن يكُ بطءٌ مرة فلطالما تعجّلُ بي نحو الجميل فأسرعا

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت إلى أعلى مراتبى وأملت أوسع مؤمل .

(٢ و ٣) أى أن أهلى ونسوتى قنعوا بغيرى بمن لا يغنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وإنما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عند غيبى .

(٤) أورق الشجر : ظهر ورقه ، أى أننى لو تركت عتابى لك فيما أخذته عليك ، وكتمت ذلك فى قلبى ، لجلب كتمانك الحقد والعداوة . فالمسارعة بإظهار المؤاخذه أنفى للشر ، وأدل على المودة والمحبة .

(٥) أوضع فى الأمر : أسرع فيه ، أو أجرى دابته إجراء سريعا .

(٦) ولا تتقلّد ما يروق الخ : أى لا تتقلّد سيفا جميل المنظر غير قاطع .

(٧) وصف الدولة وهو اسمه .

وإن يَجْفُ في بعض الأمور فإنني لأشكره النعمى التي كان أودعا
وإن يستجدّ النسّ بعدى فلم يزلْ بذاك البديل المُستجدّ مُمتعاً^(١)

وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسرى عاتبه على تباطئه في فكاهه :

وأبطأ عني والمنايا سريعة	وللموت ظفرٌ قد أطلّ ونابُ
فإن لم يكن وُدٌّ قريبٌ نعدُّه	ولا نسبٌ بين الرجال قراب ^(٢)
فأخوطُ للإسلام ألا يُضيعني	ولى عنه فيه حوطة ومناسب ^(٣)
ولكنني راضٍ على كلّ حالةٍ	لعلّ أيُّ الحالتين صواب ؟
وما زلتُ أرضى بالقليل محبةً	لديهِ ، وما دون الكثير حجاب
وأطلبُ إبقاءً على الودّ أرضه	وذكري منى في غيرها وطلاب ^(٤)
كذلك الودادُ المحض . لا يُرتجى له	ثوابٌ ، ولا يُخشى عليه عقاب
وقد كنتُ أخشى الهجر والشمل جامع	وفي كلّ يوم لُقيّةٌ وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملكٌ قيصرٍ	وللهجر حولى زخرةٌ وعُبابُ
أمنٌ بعد بذل النفس فيما تريده	أثابُ بمرّ العتب حين أثاب ؟
فليتك تملؤ ، والحياةُ سريرةً	وليتك ترضى والأنامُ غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ	وبيني وبين العالمين خراب
إذا صحّ منك الودّ فالكلُّ هينٌ	وكلُّ الذي فوق الثراب تراب

(١) أى وإن يستجد سيف الدولة قائداً ونصيراً آخر بعدى فإنى أدعو له بأن يظل ممتعاً

(٢) القرباب : المقارب .

(٣) أى إذا لم ينقذنى الود والنسب فلا أقل من أن يستنقذنى للإسلام فإنى أخوطه وأنوب عنه فى الدود عنه .

(٤) أى أنى أطلب أرضه إبقاءً على وده . وإلا فإن مجرد ذكرى فى أرض غيرها هو منية أهلها وطلبهم .

٣ - أبو العلاء المعري^(١)

قال في الفخر :

أرى العنقاء تكبرُ أن تُصادا فعانِدُ من تطيقُ له عِناداً^(٢)
وما نَهَنَتْ عن طلب ، ولكن هي الأيام لا تُعطى قياداً^(٣)
فلا تَلُمُ السَّوابق والمطايا إذا غرضُ من الأغراض حاداً^(٤)
لعلك أن تُشنَّ بها مُفاراً فتنبجح أو تُجشِّمها طراداً^(٥)
مُعارعةً أَحَبَّتْهَا العَوالي مُجَنَّبَةً نواظرها الرُّقاداً^(٦)
تلومُ على تملُّدها قلوبُ تُكابِدُ من مَعِيشَتها جهاداً
إذا ما النَّارُ لم تُطعم ضراماً فأوشكُ أن تُمَرَّ بها رَماداً
فظنَّ بسائر الإخوان شراً ولا تأمنُ على سرِّ فُؤاداً
فلو خبَرَتْهُمْ الجـوزاءُ خُبْرِي لما طلعت مخافةً أن تُكاداً
تجنَّبْتُ الأنامَ ؛ فلا أواخِي وزدتُ عن العدوِّ ؛ فلا أُعَادِي

(١) أبو العلاء : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعري الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبيّاً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار علماً في الاشتهار ، ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له بها العيش ، فرجع إلى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذي روح وما يخرج منه . وتشبث بأراء في الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيراً من الشبه في عقيدته وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعراً كثيراً ومؤلفات عدّة ورسائل مختلفة .
(٢) العنقاء : طائر يعرف باسمه ، ولكنه لا يوجد ولا يرى ، ولأوليين فيه مزاعم شتى .
(٣) نهنت : كفت .

(٤) المعنى لا تلم الخيل والإبل إن لم تدرك غرضك ، فلعلك تطلب بها غرضاً آخر وهو شن الغارة .

(٥) المغار : موضع الغارة وموضع الشن : تفرُّ به في الحمل على الأعداء ومطاردتهم من كل جهة .

(٦) الأحجة : جمع حجاج وهو العظم الذي فوق العين وعليه الحاجب . أى تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

ولما أن تجهمني مرادى جريت مع الزمان كما أرادا^(١)
وهوت الخطوب على حتى كاني صرت أمنيحها الودادا
أنكرها ومنبتها فوادى وكيف تنكر الأرض القتادا؟^(٢)
فأي الناس أجعله صديقا وأي الأرض أسلكه أرتيادا ؟
ولو أن النجوم لدى مال نفث كفاي أكثرها أنتقادا
كاني في لسان الدهر لفظ تضمن منه أغراضا بعادا
يكررن لي فهمني رجال كما كررت معني مستعادا
ولو أني حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد أنفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضي سحاب ليس تنتظم البلادا^(٣)
وكم من طالب أمدى سيلقي دوين مكاني السبع الشدادا^(٤)
يؤجج في شعاع الشمس نارا ويقدح في تلها زنادا^(٥)
ويطعن في علای ، وإن شئني ليأنف أن يكون له نجادا^(٦)

(١) تجهمه : تنكر له وعيس . والمراد هنا أنه لما استعصى عليه مراده ، ولم يستطع بلوغ ما يريد ، استسلم لما تريده الأيام .

(٢) القتاد : نوع من الشوك .

(٣) تنتظم : تجم .

(٤) دوين : تصغير دون . والسبع الشداد : السموات . أي : سيجد مسافات شاسعة قبل أن يجد منزلي .

(٥) أي أن من يسابقي ويباريني في المجد لا يدركني ، بل يكون مثله كمثل من يؤجج نارا يكيد بها الشمس .

(٦) شسع النعل : الزمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها . والنجاد : حمائل السيف .

ويُظهِرُ لِي مودَّتَهُ مَقَالًا وَيُبَغِّضُنِي ضَمِيرًا وَأَعْتَقَادًا
 فَلَا وَأَبِيكَ مَا أَخْشَى أَنْتَقَاصًا وَلَا وَأَبِيكَ مَا أَرْجُو أَرْزَادًا !
 لِي الشَّرْفُ الَّذِي يَطَّأُ الثُّرَيَّا مَعَ الْفَضْلِ الَّذِي بَهَّرَ الْعِبَادَا
 وَكَمْ عَيْنٌ تَوَهَّمُ أَنْ تَرَانِي وَتَفْقَدَ عِنْدَ رُؤْيِي السَّوَادَا^(١)
 وَلَوْ مَلَأَ الشَّهَاءُ عَيْنِيهِ مِنِّي أَبْرَّ عَلَى مَدَى زُحَلٍ وَزَادَا^(٢)
 أَفَلَّ نَوَائِبِ الْأَيَّامِ وَحَدَى إِذَا جَمَعَتْ كِتَابُهَا احْتِشَادَا^(٣)
 وَقَدْ أَثْبَتُ رَجُلِي فِي رِكَابِ جَعَلْتُ مِنَ الزَّمَاعِ لَهُ بَدَادَا^(٤)
 إِذَا أَوْطَأَتْهَا قَدَمِي سُهَيْلٍ فَلَا سَقَيْتُ خُنَاصِرَةَ الْعَهَادَا^(٥)
 كَأَنَّ ظِلْمَاءَهُنَّ بَنَاتُ نَعَشٍ يَرْدُنَ إِذَا وَرَدْنَ بَنَاتُ الثَّمَادَا^(٦)

(١) سواد العين : الحديقة منها ، وبها يكون الإبصار . أى أن الرائى تخفى عليه حين يراه حقيقة ، فكأنه ينظر إليه بعين غير مبصرة . وقد يكون المعنى أن الرائى حين يراه يحقد عليه لما يرى من عظمته ، فتجرك فيه نوازع البغض ، فيعرض عنه .

(٢) السها : نجوم خفية في بنات نعش الصغرى . وليس لها أثر في الحظ والتأثير عند المنجمين كما لزحل . وأبر : فاق وزاد .

(٣) أقل النوائب : أهرمها . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الحيل للحرب .

(٤) الزماع : الشجاعة . والبداد : ما على جانب السرج من اللبد المحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب .

(٥) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة : بلدة بالشام . والعهاد : المطر . يقول إذا توجهت مساء اليمن فلا أبالى ما يصيب الشام بعدى .

(٦) بنات نعش : كواكب متفرقة تشاهد جهة القطب الشمالى . والثمد : جمع ثمد ، وهى المياه القليلة تكون تحت الرمل يحفر عنها حفر صغيرة يقرب بعضها من بعض ، أى كأن ركائبي العطاش حين ترد هذه الثمد مثل الكواكب المسماة بنات نعش فى تفرقها .

سَتَمَجَّبُ مِنْ تَغَشُّمِهَا لِيَالٍ تُبَارِيفَا كَوَاكِبُهَا سُهَادَا^(١)
 كَأَنَّ فِجَاجَهَا فَقَدَتْ حَبِيبَا فَصَيَّرَتْ الظَّلَامَ لَهَا حَدَادَا
 وَقَدْ كَتَبَ الضَّرِيبُ بِهَا سُطُورَا فَخَلَّتْ الْأَرْضُ لَابِسَةً بِجَادَا^(٢)
 كَأَنَّ الزُّبْرَقَانَ بِهَا أُسِيرَا تُجَنَّبُ لَا يُفَكُّ وَلَا يُفَادَى^(٣)
 وَبَعْضُ الظَّاعِنِينَ كَقَرْنِ شَمْسٍ يَغِيبُ فَإِنْ أَضَاءَ الْفَجْرُ عَادَا
 وَلَكِنَّ الشَّابَّ إِذَا تَوَلَّى فَجْهَلُ أَنْ تَرَوَمَ لَهُ ارْتِدَادَا
 وَأَحْسَبُ أَنَّ قَلْبِي لَوْ عَصَانِي فَعَاوَدَ مَا وَجَدْتُ لَهُ افْتِقَادَا^(٤)

وقال بصف ديكا :

أَيَا « دِيكَ » عَدَّتْ مِنْ أَيْدِيكَ^(٥) صَيِّحَةً بَعَثَتْ بِهَا مَيِّتَ الْكَرَى وَهُوَ نَائِمٌ
 « تَكْتَفِ فَقَالَ النَّاسُ » أَوْسُ بْنُ مَغِيرَ^(٦) أَوْ ابْنُ « رَبَّاحٍ »^(٧) بِالْحَلَّةِ قَائِمٌ
 وَفِيكَ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّفْسُ^(٨) غَيْرَةً^(٩) تُصَانُ بِهَا الْمُسْتَضْحَبَاتُ الْكَرَامُ^(١٠)

(١) التَّغَشُّمُ : التَّعَسُّفُ .

(٢) الضَّرِيبُ : الصَّقِيعُ ، وَهُوَ النَّدَى يَسْقُطُ فَيَصْبِحُ أَيْضٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَالْبَجَادُ : الْكِسَاءُ الْمَخْطُوطُ .

(٣) الزُّبْرَقَانُ : الْقَمَرُ ، أَيْ كَأَنَّ الْقَمَرَ أُسْرِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ ، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ فَكَّاكَ ، فَتَطْلُعُ الشَّمْسُ .

(٤) افْتِقَادُ الشَّيْءِ : أَنْ تَطْلُبَهُ فِي غَيْبَتِهِ ، أَيْ لَمْ أَطْلُبْهُ حِينَ غَابَ ، فَأَسْرَ بِهِ حِينَ عَاوَدَ .

(٥) الْأَيْدَى النِّعَمُ .

(٦) كَانَ مُؤَذِّنًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ بَعْدَ الْفَتْحِ .

(٧) هُوَ بِلَالٌ الَّذِي كَانَ يُؤَذِّنُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَفَرًا وَحَضْرًا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْنَى فِي الْإِسْلَامِ .

(٨) الضَّعِيفُ الدُّنَى . (٩) الْغَيْرَةُ : الْحَمِيَّةُ وَالشَّجَاعَةُ .

(١٠) الْمُسْتَضْحَبَاتُ الْكَرَامُ ، يُرِيدُ : الدَّجَاجُ . وَالِدِيكَ يَدْفَعُ الْأَذَى عَمَّا حَوْلَهُ مِنْ إِنْثَاءِ الدَّجَاجِ .

يُزَانُ لَدَيْكَ الطَّعْنُ فِي حَوْمَةٍ ^(١) الْوَغَى ^(٢) إِذَا زُيِّدَتْ لِلْعَاجِزِينَ الْمِزَانُ
عَلَيْكَ ثِيَابُ خَاطِمِهَا اللَّهُ قَادِرٌ بِهَا رِئْصَتُكَ ^(٣) الْعَاطِفَاتُ الرِّوَامُ
وَتَاجُكَ مَعْقُودٌ، كَأَنَّكَ « هُرْمُزٌ » ^(٤) يُبَاهِي ^(٥) بِهِ أَمْلَاكَهُ ^(٦) وَيُوَاطِّئُ ^(٧)

وقال في وصف ليلة :

لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّانِجِ ^(٨) عَلَيْهَا قَلَانْدٌ مِنْ جُحَانٍ ^(٩)
هَرَبَ النَّوْمُ عَنْ جُفُونِي فِيهَا هَرَبَ الْأَمْنُ عَنْ فُؤَادِ الْجَبَانِ
وَكَانَ الْهِلَالُ يَهْوَى الثَّرِيًّا ^(١٠) فَهَمَّا لِلْوَدَاعِ مُعْتَمِقَانِ
وَسُهَيْلٌ كَوْجِنَةُ الْحُبِّ ^(١١) فِي اللَّوْنِ وَقَلْبُ الْمُحِبِّ فِي الْخَفَقَانِ
يَسْرَعُ اللَّحْمُ فِي أَحْرَارٍ كَمَا تُسْرَعُ فِي اللَّحْمِ مُقَلَّةُ الْغَضْبَانِ
ضَرْجَتُهُ ^(١٢) دِمَاسِيُوفُ الْأَعَادِي فَبَكَتْ رَحْمَةً لَهُ الشَّعْرِيَانِ ^(١٣)
ثُمَّ شَابَ الدُّجَى وَخَافَ مِنَ الْهَجْرِ فَعَطَى الْمَشِيبَ بِالزُّعْفَرَانِ
وَنَضَا ^(١٤) فَجَرَّهُ عَلَى نَسْرِهِ ^(١٥) الْوَا قَعٌ سَيِّفًا فَهَمَّ بِالطَّيْرَانِ

-
- | | | |
|--------------------------|--------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ميدان | (٢) الحرب | (٣) عطفت عليك |
| (٤) الكبير من ملوك العجم | (٥) يفاخر | (٦) ملوكه |
| (٧) يوافق | (٨) أي يماثل الملوك في لبسهم التيجان | |
| (٩) جبل من السودان | (١٠) نجم في السماء | (١١) سهيل : نجم . والحب . والحبيب . |
| (١٢) لطخته | (١٣) نجمان | (١٤) جرد |
| (١٥) أحد النجوم | | |

وقال من قصيدة يرثي بها فقيها حنفياً ، وهي في ديوانه « سقط الزند » :

غَيْرُ مُجَدِّ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي	نُوحُ بِإِكِّ ، وَلَا تَرْتَمُ شَادٍ ^(١)
وَشَبِيهٌ صَوْتُ النِّعَى إِذَا قِيدَ	سَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
أَبَكْتُ تِلْكَمُ الْحَمَامَةُ أَمْ غَنَّةٌ	تُ عَلَى قَرَعِ غُصْنِهَا الْمِيَادِ
صَاحُ : هَذِي قُبُورُنَا تَمَلَّا الرَّخْ	بَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ ؟
خَفَّفَ الْوُطْءَ مَا أَظُنُّ أَدَمَ أَلْ	أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ ^(٢)
وَقَبِيحٌ بَنَّا وَإِنْ قَدَّمَ الْعَهْدَ	لَهُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سَرَّ أَنْ اسْتَطَعْتُ فِي الْهَوَاءِ رُؤْيَا	لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لِحْدًا مَرَارًا	ضَاحِكٌ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفْنٍ عَلَى بَقَايَا دَفْنَيْنِ	فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
فَاسْأَلِ الْفَرَقْدَانِ عَمَّنْ أَحْسَا	مِنْ قَبِيلٍ وَأَنْسَا مِنْ بِلَادِ ^(٣)
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ	وَأَنَارَا لِمُدْجٍ فِي سَوَادِ ^(٤)

(١) أى صائح من الطيور .

(٢) أديم الأرض : ظهرها .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحيان في بنات نعلش الصغرى (الدب الأصغر) . القبيل : الجماعة وأنس الشيء أبصره .

(٤) المدج : السارى في الليل . والفرقدان ليس لهما طلوع وأقول ، فهما مضيئان ثابتان إنما يدوران حول القطب الشمالى وحده .

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةَ فَمَا أَعُ
إِنَّ حُزْنَاً فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا
خُلِقَ الْفَاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا
صَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـ
جَبُّ إِلَّا مَنْ رَاغِبٌ فِي ازْدِيَادِ
فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمُ لِلنَّفَادِ
لِ إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رِشَادِ
جَسْمٍ فِيهَا ، وَالْعِيشُ مِثْلُ الشَّهَادِ

وقال يفتخر :

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ ،
أَعْنَدِي ، وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ
أَقْلُ صُدُودِي أَنْتِي لَكَ مُبْغِضٌ
إِذَا هَبَّتِ النَّكْبَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ
كَأَنِّي إِذَا طَلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ ؛ فَمَنْ لَمْ
يُهَيِّمُ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ
عَقَافٌ ، وَإِقْدَامٌ ، وَحَزْمٌ ، وَنَائِلٌ
يُصَدِّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيِّبُ سَائِلٌ ؟
وَأَيْسَرُ هَجْرِي أَنْتِي عَنْكَ رَاحِلٌ^(١)
فَأَهْوَنُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ^(٢)
وَلَا ذَنْبٌ لِي إِلَّا الْعَمَلُ وَالْفَضَائِلُ
رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ^(٣)
بِإِخْفَاءِ شَمْسِ ضَوْؤِهَا مِتْكَامِلٌ ؟
وَيُثْقَلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلٌ^(٤)
لَأَتِ بِمَا لَمْ تَسَيِّطِعْهُ الْأَوَائِلُ

(١) يخاطب لأمته بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النكباء : الريح تهب بين مهج ريحين . أى إذا بعدت عنكم ، وأصبح بيني وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالي بقول العوازل .

(٣) طلت فقت وسموت . والطوائل : الترات ، أى كأن لهم ثأرا عندي يطلبونه .

(٤) رضوى : جبل بين المدينة وينبع ، يضرب الشعراء بعظمه المثل .

وَأَغْدُوْا وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ وَأُسْرِى ؛ وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ جَحَافِلٌ (١)
وَأِنِّى جَوَادٌ لَمْ يُحَلِّ لِحَامُهُ وَنِضُوْا يَمَانٍ أَغْفَلْتَهُ الصَّيَاقِلُ (٢)
وَإِنْ كَانَ فِى لُئْسٍ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ فَمَا السِّيفُ إِلَّا غَمْدُهُ وَالْحَمَائِلُ
وَلِى مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِى كُنْهَ مَنْزِلِى عَلَى أَنْفِى بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنِ نَازِلِ (٣)
لَدِى مَوْطِنٍ بِشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَقَانُلُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْنَ وَ النَّاسَ فَاشِيَا تَجَاهَلْتُ حَتَّى قِيلَ : إِنِّى جَاهِلٌ
فَوَاعْجِبَا ! كَمْ يَدَّعِى الْفَضْلَ نَقْصٌ وَوَأَسْفَا ! كَمْ يُظْهِرُ الْمَقْصَ فَاظِلُّ
وَكَيفَ تَنَامُ الطَّيْرُ فِى وَكُنَاتِهَا وَقَدْ نُصِبْتُ لِلْفَرَقْدَيْنِ الْحَبَائِلُ (٤)
يُنَافِسُ يَوْمِى فِى أَمْسِى تَشْرِفًا وَتَحْسُدُ أَشْحَارِى عَلَى الْأَصَائِلِ
وَطَالَ اعْتِرَافِى بِالزَّمَانِ وَصَرَفَهُ فَلَوْ بَانَ عَضْدِى مَا تَأَسَّفَ مَنِّكَبِى
إِذَا وَصَفَ الطَّائِىَّ بِالْبَخْلِ مَادَرُ فَلَسْتُ أَبَالِى مَنْ تَقُولُ الْغَوَائِلُ (٥)
وَقَالَ السَّهْلُ لِلشَّمْسِ : أَنْتِ خَفِيَّةٌ وَعَيَّرَ قُسًا بِالْفَهَامَةِ بَاقِلُ (٦)
وَقَالَ الدُّحَى : يَا صُبْحُ لَوْ لَكَ حَائِلُ (٧)

- (١) الصوارم : السيوف ، والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش العظيم وغدا : سار في الصباح وسرى : سار في الليل .
(٢) نضويمان : يريد سيف يمنى مهمل ، أنضاه الترك وأصدأه .
(٣) السماكان : الرامح والأعزل نجمان في السماء .
(٤) الوكينات : جمع وكنة ، وهى موضع نوم الطير . والحبائل : جمع حباله ، وهى الشبكة تنصب لصيد الطائر ، يقول : إذا كان مثلى فى فضله وعلوه الذى يشبهه بعلو النجوم فى السماء . يكيد له الناس ولا يتورعون عن سبه وتنقصه ، فكيف يسلم من المكائد من يقل عني ، وليس له منعى . ومق ناله الناس النجوم بالأدى لم يأمن الطير على نفسه .
(٥) بان : انفصل . والمنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والزند : موصل طرف الذراع فى الكف .
(٦) يريد بالطائى حاتما . ومادر : يضرب به المثل فى البخل ، وقس بن ساعدة : أحد خطباء الجاهلية وفصحائها ، وبقول يضرب به المثل فى العي .
(٧) السها : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى .

وطاوت الأرض السماء سفاهة وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زُر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل
إذا أنت أعطيت السعادة لم تبَل وإن نظرت شزراً إليك القبائل^(١)
فإن كنت تبغى العز فابغ توسطاً فعند التناهى يقصر المتناول
توقى البدور النقص وهى أهلة ويذكرها النقصان وهى كوامل

وقال فى ديوانه « لزوم ما يلزم » ؛ وهى قصيدة تتضمن كثيراً من
خاص آرائه :

غدوت مريض العقل والدين فالتقى لستمع أنباء الامور الصحاح
فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح^(٢)
وأبيض أمات أرادت صريحة لأطفالها دون الغواني الصرائح^(٣)
ولا تفجعن الطير وهى غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذى بكرت له كواسب من أزهار نبت فوائح^(٤)
فما أحرزته كى يكون لغيرها ولا جمعه للندى والمنائح^(٥)
مسحت يدي من كل هذا فليتنى أبهت لشانى قبل شيب المسائح^(٦)

(١) لم تبَل : أى لم تبال : وهذا الفعل قد يشذ عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة
الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره ، والنظر
الشزر ، نظر بمؤخر العين غضبا .

(٢) الغريض : الطرى من اللحم وغيره . أى لا تأكل السمك ونحوه ولا ذبائح الدواب .

(٣) الأبيض : اللبن . والأمات : لغة فى الأمهات ، أو : الأولى خاصة بالحيوان :
والأخرى للناس . والغواني الصرائح : الخالصات الحسن .

(٤) الضرب : العسل

(٥) الندى : الجود والكرم . والمنائح جمع منيحة ، وهى ما تعطى فضلاً وتكرماً .

(٦) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذرابة الشعر .

بَنِي زَمَنِي هَلْ تَعْلَمُونَ سِرَّائِي ؟ وَلَكِنِّي بِهَا غَيْرُ بَاطِحٍ
سَرَيْتُمْ عَلَى غَيٍّ ؛ فَهَلَا اهْتَدَيْتُمْ بِمَا خَبَّرَتْكُمْ صَافِيَاتُ الْقَرَائِحِ
وَصَاحَ بِكُمْ دَاعِيَ الضَّلَالِ ، فَالَكُمْ أَجَيْتُمْ عَلَى مَا خَيَّلَتْ كُلَّ صَاحِحٍ ؟^(١)

فَإِنْ تَرَشَّدُوا لَا تَخْضِبُوا السَّيْفَ مِنْ دَمٍ وَلَا تُلْزِمُوا الْأَمِيَالَ سَبْرَ الْجَرَاحِ^(٢)
وَيُعْجِبُنِي دَابُّ الَّذِينَ تَرَهَّبُوا سَوَى أَكْلِهِمْ كَذَّالِ الْفُؤَسِ الشَّحَاحِ
وَأُظْيِبُ مِنْهُمْ مَطْعَمًا فِي حَيَاتِهِ سُعَاةَ حِلَالٍ بَيْنَ غَادٍ وَرَاحٍ
فَمَا حَبَسَ النَّفْسَ الْمَسِيحُ تَعَبُدًا وَلَكِنْ مَشَى فِي الْأَرْضِ مَشْيَةً سَاحِحٍ
يُعْيِيْبُنِي فِي التُّرْبِ مَنْ هُوَ كَارَةٌ - إِذَا لَمْ يُغَيِّبْنِي - كَرِيهُهُ الرَّوَّاحِ^(٣)
وَمَنْ يَتَوَقَّى أَنْ يُجَاوِرَ أَعْظَمًا كَأَعْظَمِ تِلْكَ الْمَالِكَاتِ الطَّرَاحِ
وَمَنْ شَرُّ أَخْلَاقِ الْأُنَيْسِ وَفَعْلِهِمْ خَوَارُ النَّوَاعِي وَالتَّيْدَامُ النَّوَاعِ^(٤)
وَأَصْفَحُ عَنْ ذَنْبِ الصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ لِسَكْنَايَ بَيْتِ الْحَقِّ بَيْنَ الصَّفَاحِ^(٥)
وَأَزْهَدُ فِي مَدْحِ الْفَقِي عِنْدَ صَدَقَةٍ فَكَيْفَ قَبُولِي كَاذِبَاتِ الْمَدَاحِ

(١) على ما خيلت : أي كما اتفق دون إمعان فـ فكر وتدبر .

(٢) الأميال : جمع ميل ، وهو : المرود يقاس به عمق الجرح . وسبر الشيء : امتحانه واختباره . ينهى على الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح .

(٣) أي إذا لم أصب برائحة كريهة أو غيرها تخفقني فأموت ، فإنني لا بد ميت بانقضاء أجلي المحتوم ، ويومئذ يدفنني من هو كاره ذلك على الرغم منه .

(٤) النواعي : جمع ناعية . والتدَامُ النوايح : ضربهن صدورهن في النياحة . والأنيس يريد به الناس .

(٥) بيت الحق : القبر .

وما زالت النفسُ اللجوجُ مطيَّةً إلى أن غدتْ إحدى الرذايا الطلائح^(١)
وما ينفعُ الإنسانَ أنْ غمَّأتما نسُحٌ عليه تحت إحدى الضرائح^(٢)
ولو كان في قُربٍ من الماءِ رغبةٌ لنافَسَ ناسٌ في قُبورِ البطائح^(٣)

وقال في ديوانه « لزوم ما لا يلزم » يصف الحياة الدنيا :

أصاح : هي الدنيا تُشابهُ ميَّتةً ونحنُ حوالِها الكلابُ النوايحُ
فمن ظلَّ منها آكلاً فهو خاسِرٌ ومن عادَ عنها ساعِياً فهو راجٍ^(٤)
ومن لم تُبيَّتهُ الخطوبُ فإنَّه سيَصْبَحُه من حادثِ الدهرِ صابحٌ^(٥)

وقال في هذا المعنى :

دنياكَ دارٌ إنْ يكنْ شُهادها عقلاء لم يبكوا على غيَّابها
قد أظهرتْ نوباً تزيدُ على الحصى عدداً وكم في ضئبها وعيَّابها^(٦)
تفريهمُ بسـيوفها وتكبِّهمُ برماحها وتنالهمُ بصيَّابها^(٧)
ما الظافرون بعزها ويسارها إلا قريباو الحال من خيَّابها

-
- (١) الرذايا . جمع رذية ، وهى الضعيفة الهزيلة من الحيوان ، وكذلك معنى الطلائح .
(٢) ينكر على الناس دعاءهم الموتى بالسقيا .
(٣) البطائح جمع بطيحة ، وهى المسيل الواسع .
(٤) الساعب : الجائع .
(٥) بيته : فاجأه ليلاً ، أى : إذا تركته المصائب ليلاً لم تتركه نهارة ، فلا مفر منها .
(٦) الضبن : ما بين الكشح والإبط . والعياب : جمع عيبة ، وهى ما تجمع فيه الثياب يريد أن فى أحضانها وطواياها نواب تزيد على ما أظهرت .
(٧) تفريهم : تشقههم وتقطعهم ويريد بالصياب : السهام الصائبة .

وقال أيضاً :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على برآياها وأجناسها
وكلٌ حيٌّ فوقها ظالمٌ وما بها أظلم من ناسها

وقال في الحكمة :

نهاني عقلي عن أمورٍ كثيرةٍ وطبعي إليها بالفريزة جاذب
ومما أدام الرزء تكذيبُ صادقٍ على خبرةٍ منّا ، وتصديقُ كاذبٍ !

وقال أيضاً :

ضحكنا وكان الضحك مناسفاهةً وحقّ لسكان البرية أن يبتكوا
يُحطّمنا ريب الزمان كأننا زُجاجٌ ، ولكن لا يُعاد له سبك

وقال يصف التدين الكاذب :

سبّح ، وصلّ ، وطفّ بمكة زائراً سميعين لا سميعاً فلست بفاسك
جهل الديانة من إذا عرضت له أطاعه لم يُلف بالمتماسك^(١)

وقال في انطباع الناس على الشر :

لو يفهم الناس ، لو أبناؤهم جلبوا وبيع بالفلس ألف منهم كسدوا^(٢)
فويحهم بئس ما ربوا وما حضنوا فهي الخديعة والأضغان والحسد
وهكذا كان أهل الأرض مذفطروا فلا يظنّ جهول أنهم فسدوا

(١) أي : ليس كل العبادة أن تصلي وأن تحج ، فهذا جزء منها لا بد أن يتم بإمساك النفس من أن تطمح فيما هو غير حقها .

(٢) يتعنى لو علم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيداً يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

وقال في مرأى الناس ومخبرهم :

يَحْسُنُ مَرَأَى لِبَنَى آدَمَ وَكُلُّهُمْ فِي الذَّوْقِ لَا يَعْذِبُ
مَا فِيهِمْ بَرٌّ وَلَا نَاسِكٌ إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يُجْذِبُ
أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلُمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ

٤ - كشاجم^(١)

قال يشكو الحظ والزمن :

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَالَ النَّاسُ حَظَّهُمْ وَعَاقَنِي عَنْ طَلَابِهَا أُصَيْبِيَّةٌ
وَلِي قَوَادِمُ لَوْ أَنِّي حَذَفْتُ بِهَا وَمَا التَّمَجُّبُ لَوْ أَنِّي ظَفَرْتُ بِهَا
فَإِنْ يَكُنْ أَدَبٌ مِنْ رُبَّةٍ عَوْضًا
وَإِخْطَأْتَنِي مَعَ أَسْتَحْقَاقِهَا الرُّتَبُ
يَأْتِي فِرَاقَهُمُ الْإِشْفَاقُ وَالْحَدَبُ^(٢)
لَأَنْهَضَنِي ، وَلَكِنْ أَفْرُخِي رُغْبُ^(٣)
بَلْ فِي تَنْكِبِهَا الْأَوَاءُ ، يَا عَجَبُ !^(٤)
فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

وقال يهجو عواده :

حَاءَاتُ بَعُودٍ مِثْلَهَا نَاقِرٌ مُضْطَرِبُ الْأَوْتَارِ مَنْقُوضُهَا
يُودُ مِنْ يَسْمَعُ أَصْوَاتِهِ وَأَقْبَلْتُ تَضْرِبُ غَيْرَ الَّذِي
كَأَنَّمَا نَسَمَةٌ تَأْلِفُهَا
كَأَنَّهُ نَقْنَقَةٌ الضَّفْدَعُ
مُسْتَقْبِحُ الْمَدْفَعِ وَالْمَقْطَعِ^(٥)
لَوْ فَقَدَ السَّمْعَ ؛ فَلَمْ يَسْمَعْ
نَسْمَعُ ، وَالنَّعْمَةَ لَمْ تُتْبِعْ^(٦)
مِثْلَتْ مُخْتَلِفُ الْأَضْلَعِ^(٧)

- (١) هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وصافي الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ .
وكان من خدام سيف الدولة .
(٢) أصيبية : تصغير صبية ، جمع صبي .
(٣) الأفرخ : جمع فرخ ، وهو ولد الطائر . والزغب بسكون الغين : جمع أرغب ،
وحركها الشاعر لضرورة الوزن . والأزغب : الذي ظهر أول شعره أو ريشه ، يريد أبناءه
الصغار .
(٤) الأواء : الشدة .
(٥) أي الضرب في ابتدائه وفي انتهائه . (٦) أي تخلط نعمة بأخرى .
(٧) أي أن حركة يدها بنقل الأوتار لا تنتج ما تسمعه . وما تسمعه ليس من نعمة واحدة .

وقال يتغزل .

جَعَلْتُ إِلَيْكَ الْهَوَى شَفِيعًا ، فلم تَسْمَعِ
وَنَادَيْتُ مَسْتَطْعِفًا ، فلم تَسْمَعِ
أَتَارَكْتِي مُدْنَفًا أَخَا جَسَدٍ مُوْجِعٍ
وَمَغْرَرِي وَالْذَّمَّو عٌ قَدْ أَحْرَقَتْ مَدْمَعِي^(١)
أَحِينَ سَلَبْتَ الْفُؤَا دَ بِالنَّظَرِ الْمَطْمَعِ
جَفَوْتُ وَأَقْصَيْتَنِي فَهَلَّا وَقَلْبِي مَعِي ؟

٥ - أبو الفرج البليغاء^(٢)

قال يصف كَتِيبَةً وقائدها :

وَمَوْشِيَةٌ بِالْبَيْضِ وَالزَّغْفِ وَالْقَنَا مُحَيَّرَةٌ الْأَعْطَافِ بِالضُّمَرِ الْقَبِ^(٣)
بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْجُنَاحَيْنِ فِي الشَّرَى قَرِيبَةٌ مَا بَيْنَ الْكَمِيَيْنِ فِي الضَّرْبِ
مِنَ السَّالِبَاتِ الشَّمْسِ ثَوْبَ ضِيَائِهَا ثَوْبٌ تَوَلَّى نَسَجَهُ عَثِيرُ التُّرْبِ^(٤)
يُعَاتِبُ نَشْوَانَ أَلْتَقْنَا صَابِي الظُّبَا إِذَا التَّقْيَا فِيهَا ، عَلَى قِلَّةِ الشُّرْبِ^(٥)

(١) الدمع : مجرى الدمع من العين .

(٢) هو عبد الواحد بن نصر الخزومي المعروف بالبليغاء الشاعر المشهور والكاظم الجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساج في أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٣) الزغف : جمع زغفة ، وهي الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويقال درع زغف ودرع زغف أيضاً . شبه الكتبية وما في وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى مجر الحوافي . (٤) العشير : الغبار .

(٥) أي تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتهم .

أَعَادَتْ عَلَيْنَا اللَّيْلَ بِالنَّقْعِ وَالضُّحَى وَرَدَّتْ عَلَيْنَا الصُّبْحَ فِي اللَّيْلِ بِالشَّهْبِ
تَبَكَّجُ عَنْ شَمْسِي زَارٍ وَيَعْرُبُ وَتَفَرُّ عَنْ طَوْدِي عِلَا تَغْلِبُ الْغُلْبُ (١)
مُوقِرَةً يَقْتَادُ ثَنِي زِمَامَهَا بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ الْكَرِيهَةِ فِي الْحَرْبِ
أَصَحَّ اعْتِزَامًا مِنْ خَوْنٍ عَلَى قَلِي وَأَنْفَذَ حُكْمًا مِنْ غَرَامٍ عَلَى صَبِّ

٦ عَبْدُ الْمُحْسَنِ الصُّورِيُّ (٢)

قال يهجو بعض من ضافه (٣) :

وَأَخِ مَسَّهُ زُرُوقٌ بِقَرِيحٍ مَثَلًا مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ قَرَحُ
قِيلَ لِي : إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَالْفَقْرُ يَعْتَرِيهِ بِجُحْلٍ وَشُحٍّ
بِتُّ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَّمَ اللَّهُ رُ ، وَفِي حُكْمِهِ عَلَى الْحَرْبِ قُبْحُ
قَالَ لِي إِذْ نَزَلْتُ ، وَهُوَ مِنَ السَّكْرِ رَاةً وَالْهَمُّ طَافِحٌ لَيْسَ بِصَحْوِ :
لَمْ تَغْرَبْتُ ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ه ، وَالْقَوْلُ مِنْهُ نُصْحٌ وَنُجْحُ
سَافِرُوا تَغْنَمُوا . فَقَالَ : وَقَدْ قَالَا لَ تَمَامُ الْحَدِيثِ : صُومُوا تَصَحُّوا ؟

وقال في وصف جميل يسبح في ماء :

رَأَيْتُ مَا لَمْ يَرَهُ رَاءُ مَاءٌ غَدَاً يَسْبَحُ فِي مَاءِ
أَوْمَاتٌ تَالِلِحْظُ إِلَى جِسْمِهِ فَكَادَ أَنْ يُذَيِّبَهُ بِمَائِي

-
- (١) أي اجتمع فيها الزاريون والقحطانيون من العرب ، وتغلب وهي قبيلة سيف الدولة وتسمى تغلب الغلباء لشجاعتها ، ويجمع الغلباء على الغلب .
(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام ، شاعر مجيد وصاف متغزل مات سنة ٤١٩ هـ .
(٣) ضافه : نزل عليه .

٧ - تميم بن المعز الفاطمي العبدي^(١)

قال يصف قوارة في بستان :

وقاذفة بالماء في وسط بركة
إذا أنبقت بالماء سلقته منضلاً
قد ألحقت ظلاً من الأيك سجسجا^(٢)
وعاد عليها ذلك النصل هو دجا^(٣)
تُحاول إدراك النجوم بقذفها
كان لها قلباً على الجو مخرجاً

وقال أيضاً في الفخر :

أتى الكمي فلا أخاف لقاءه
وأكره في صدر الخميس معانقاً
ويزيدني كل الخطوب تعظماً
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق
وكما يمل الدهر من إعطائه
وكما يمر لمعشر بسعادة
فإذا رماك بشدة فأصبر لها
وسل الليالي عن نفاذ عزيمة
تخبرك عني أنني لم ألقها
أصبحت لا أشتاق إلا للندي
وإذا السيوف قطعن كل ضريبة
ويقل إقدامي شباً الحدتان^(٤)
لموت حين يفر كل جبان^(٥)
وتسلط الأيام عز مكان
ذرعاً بأيامي وغدر زمان
فكذا ملأته من الحرمان
فكذا يكر لمعشر هوان
فلسوف يأتي بعدها بليان^(٦)
وسل الحوادث عن ثبات جناني
بين العزائم واهن الأركان
أبدأ ولا أهوى سوى الإحسان
قطع السيوف القاطعات لسان^(٧)

(١) هو أبو علي الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمي باني القاهرة لم يكن ولي عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان في الفاطميين كابن المعتز في بني العباس توفي سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) السجسج : الذي لا حرق فيه ولا برد .

(٣) المنصل : السيف كالنصل . الهودج : محل له قبة كانت النساء تركب فيه .

(٤) الكمي : الشجاع المقاتل . والشبا جمع شبابة : وهي : الحد .

(٥) الخميس : الجيش .

(٦) البليان : اللين والرخاء .

(٧) الضريبة : المضروب .

وقال في الغزل :

شبهتها بالبدر فاستضحكتُ وقابلتُ قَوْلِي بالفُكْر
وسمَّهتُ قَوْلِي ؛ وقالت : متى سَمَّجْتُ ؟ حتى صرتُ كالبدرا
والبدرُ لا يرنو بعين كما أرنو ، ولا ينسمُ عن ثغر
ولا يُميطُ المرط عن ناهدٍ ولا يشدُّ العقدَ في نحر^(١)
من قاس بالبدر صفاتي فلا زال أسيراً في يدى هجرى !

٨ — أبو الحسن التهامي^(٢)

قال يرثى ابناً له مات صغيراً :

حُكْمُ المَنِيَّةِ فِي البَرِيَّةِ جَار ما هذه الدنيا بدار قرار
بَيْنَا يُرَى الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِراً حتى يرى خبراً من الأخبار
طُبِعَتْ عَلَى كَدْرٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صُنُوءاً مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ
وَمَكْلَفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
فَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرِّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارِ^(٣)

(١) المرط : كساء من صوف ونحوه يتخذ إزاراً .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد التهامي . أصله من بلاد العرب من تهامة . جاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء في الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوساً إلى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليخ الشعر بدويه ، وذاعت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهاه .

(٣) الشفير : حافة الشيء وطرفه . وهار : منهار ، أي فإنما تبني الرجاء على حافة كئيب منهار ، فلا يستقر بناء ، أي لا يتحقق رجاء .

فالعيشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ والمرءُ بينهما خيالٌ سار
والنفسُ إن رضيتُ بذلكِ أو أبتِ مُنْقَادَةٌ بِأَرْقَمَةِ الْمَقْدَارِ^(١)
فانقضُّوا مآزِبَكُمْ عَجَالاً إِنَّمَا أعمارُكم سَفَرَةٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
وتراكمضوا خيلَ الشَّبابِ ، وحاذروا أن تستردَّ فإنَّهنَّ عِوَارُ^(٢)
فالدهرُ يَخْدَعُ بِالْمُنَى ، ويغصُّ إن هَنَى ، ويهدم ما بَنَى بِيوَارِ^(٣)
ليس الزمانُ وإن حَرَصْتَ مُسَالِماً خَلَقَ الزَّمانُ عداوةً الْأَحْزَارِ

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذلك عمرُ كواكبِ الْأَسْحَارِ^(٤)
وهلال أيام مَضَى لم يستدرْ بدرأً ، ولم يُنْمَلْ لوقتِ سِرارِ^(٥)
عجل الخسوفُ عليه قبل أوانه فحماه قبل مظنة الإبدارِ
واستلَّ من أترابه وَلِداتِهِ كالملقاة استلَّتْ مِنَ الْأَشْفَارِ^(٦)
فكان قلبى قَبْرُهُ ، وكأنه فى طَيْهِ سرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ
إن يُحْتَقَرُ صِغَرًا قَرُبَ مُفْخَمٍ يبدؤ ضئيل الشخص للنظارِ
إنَّ الْكَوَاكِبَ فى عُلُوِّ مَحَلِّهَا لَتُرَى صَغَاراً وهى غيرُ صَغَارِ

(١) المقدار : ما يقدره الله من شأن .

(٢) وتراكمضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فإنه عارية .

(٣) أغصه : أذاقه الغصة ، وهى الهوان والحزن .

(٤) الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة
وكعطارد كذلك قصيرة مدّة الظهور ، لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فينسحبها ضوءها .

(٥) استدارة البدر : فى وسط الشهر ، وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة
من الشهر . هى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .

(٦) الأتراب واللدات : من يولدن فى زمن واحد .

وَلَدُ الْمُعَزَّى بَعْضُهُ ؛ فَإِذَا انْقَضَى بَعْضُ النَفَى فَالْكُلُ فِي الْآثَارِ
أَبْكِيهِ ، ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِراً لَهُ : وَفَقَّتْ حِينَ تَرَكْتَ الْأُمَ دار
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي ، وَجَاوَرَ رَبِّي شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي
أَشْكُو بِعَادِكَ لِي ، وَأَنْتَ بِمَوْضِعٍ لَوْلَا الرَّدَى لَسَمِعْتَ فِيهِ سِرَارِي (١)
وَالشَّرْقُ نَحْوَ الْغَرْبِ أَقْرَبُ شُقَّةً مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْخُمْسَةِ الْأَشْبَارِ (٢)
هِيَهَاتَ قَدْ عَلِقَتْكَ أَشْرَاكُ الرَّدَى وَاعْتَاقَ عَمْرُكَ عَائِقُ الْأَعْمَارِ
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِنَايَةِ فَبَلَفَتْهَا وَأَبُوكَ فِي الْمَضَامِرِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي
أُخْفِي مِنَ الْبُرْهَاءِ نَاراً مِثْلَمَا يُخْفِي مِنَ النَّارِ الزَّنَادُ الْوَارِي (٣)
وَأُخْفِضُ الزَّفَرَاتِ ، وَهِيَ صَوَاعِدُ وَأُكْفِكُ الْعَبْرَاتِ ، وَهِيَ جَوَارِ
وَشَهَابُ زَنْدِ الْحُزْنِ إِنْ طَاوَعْتَهُ وَارٍ ، وَإِنْ عَاصَيْتَهُ مَتَوَارِ (٤)
وَأَكْفُ نِيرَانَ الْأَسَى ، وَلَرْبَمَا غُلِبَ التَّصَبُّرُ ، فَارْتَمَتْ بِشَرَارِ
ثُوبُ الرِّيَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا التَّحَفْتُ بِهِ فَإِلَيْكَ عَارِ

(١) السمرار : المسارة ، أى الكلام بهمس . والمعنى أنه لولا الموت لسمع ولده صوته وهو يتكلم خافتاً ، فهو في قبره قريب منه ، ولكن الموت يجعل هذه المسافة القريبة شقة شاسعة ومكاناً نائياً .

(٢) الخمسة الأشبار : مسافة بعد اللحد عن ظاهر الأرض .

(٣) البرحاء : الحزن المبرح . والوارى : المتقد بالنار .

(٤) الزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار . وورى الزند : خرجت ناره ، فهو وار .

٩ — علي بن النعمان^(١)

قال في وصف صديق :

صديقٌ لي لَهُ أدبٌ صداقةٌ مثله نَسْبُ
رعى لي فوق ما يُرعى وأوجب فوق ما يَجِبُ
فلَوْ نُقِدتْ خِلائقُهُ كَبُهِرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

١٠ — أبو الحسن علي بن عبد الرحمن^(٢)

قال في الهجاء :

وذى حَرْصٍ تَرَاهُ يَلُمُّ وَفَرًّا لَوَارِثِهِ ، وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ^(٣)
ككَلْبِ الصَّيْدِ : يُمَسِّكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ^(٤)

١١ — الحسن بن الزبير الأسواني^(٥)

قال يشناق إلى نهر بردى بالشام :

بِاللَّهِ يَا رِيحَ الشَّامِ لِي إِذَا اشْتَمَلْتَ الرُّوحَ مُبْرِدًا^(٦)
وَحَمَلْتَ مِنْ نَشْرِ الْخَزَا حَيًّا فَأَغْتَدِي لِلنَّدَى نِدَا^(٧)
وَنَسَجْتَ مَا بَيْنَ الْعُصُوفِ نَ ، إِذَا اعْتَنَقْنَ هَوَى وَوُدًّا

(١) هو القاضي أبو الحسن علي بن النعمان ، قاضي العزيز الفاطمي ، توفي سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) هو الشهير بابن يونس المنجم المصري من فلكيي المصريين زمن الفاطميين ، توفي

سنة ٣٩٩ هـ .

(٣) الوفير : المال الكثير . (٤) طاو : جوعان .

(٥) هو القاضي المذهب الحسن بن الزبير من كبار الأدباء والشعراء في دولة الفواطم

المصريين ، توفي سنة ٥٦١ هـ . (٦) الروح : النسيم .

(٧) الخزامى : نبت عبق الزهر . والنشر : الشذا . والندي : نبت طيب الرائحة .

وهزنتِ عند الصُّبحِ من أجيادها للزَّهرِ عقدا
فلأتِ صفحةً وجهه حتى أكتسى آسا ووردا
فكأنما ألفت فيه هـ منها صدغاً وخدا :
مرى على بردى ، عسا هـ يزيد في مسراكِ بُرداً (١)
نهرٌ كَنَصَلِ السَّيفِ تَكُ سو مِثْنُهُ الأزهارُ غمدا
صقلته أنفاسُ النسـ يم بمرهنّ ، فليس يصدأ (٢)
أحبابنا ما بالكم فينا من الأعداء أعدى
وحياة حُبِّكم ، بترُّ بة وصلِكم ما خنت عهداً (٣)

١٢ — ابن الفارض (٤)

قال من قصيدة :

أبق لي مقلّةً لعلّ يوماً قبل موتي أرى بها من رآكا
أين منى مارمتُ؟ هيهات! بل أي ن لعيني باللا حظ لثم ثراكا
وبشيري لوجاء منك بعطف ووُجودي في قبضتي قلت هاكا

(١) البرد بضم الراء : جمع بريد ، وهى مسافة كل منزلة لحيل البريد ، وسكن الراء للشعر .

(٢) يصدأ : يصدأ . وخفف الهمزة لضرورة القافية .

(٣) أقسم أولاً بحياة حبه لمعشوقه ، ثم أقسم بتربة مواصلة المعشوق له ، أى أنه لما لم يواصله صار حكم الوصل كالميت المدفون في قبر ، فهو يخلف به إجلالا .

(٤) هو أبو حفص عمر بن علي بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم بالجناس وأنواع البديع . ولد ومات بالقاهرة ، وله ديوان شعر مشروح . وأصل آبائه من حماة . توفى سنة ٦٣٢ هـ .

قد كفى ما جرى دماً من جفونٍ لى قرحى ! فهل جرى ما كفاكا
فأجر من قلاك فيك معنى قبل أن يُعرف الهوى يهواكا
بانكسارى بذاتى بخضوعى بافتقارى بفاقتى لغناكا
لا تكلنى إلى قوى جلدٍ خا ن ؛ فإنى أصبحت من ضُعفاكا
كنت تجفو ، وكان لى بعض صبر أحسن الله فى اصطبارى عنراكا
كم صُدودٍ عساك ترحمُ شكوا ي ، ولو باستماع قولى : عساكا
شنع المر جفون عنك بهجرى وأشاعوا أنى سلوتُ هواكا
ما بأحشاؤهم عشقتُ ، فأسلو عنك يوماً . دغ بهجروا ! حاشاكا (١)
كيف أسلو ؟ ومقلتى كلما لا ح بريقٌ تلقّتُ للقاكا
كلٌ من فى حماك يهواك لكن أنا وحدى بكل من فى حماكا

١٣ — عمارة اليمنى (٢)

قال من قصيدة يصف فيها داراً :

أنشأت فيها للعيون بدائماً دقت فأذهل حسنها من أبصرا
فمن الرخام : مُسَيِّراً ومُسَهِّماً ومُنَمِّناً ومُدْرَهْماً ومُدْزِراً (٣)

(١) يهجروا : يقولوا باطلاً وقيحاً من الكلام .

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة الحكى ، من أهل اليمن ، دخل مصر مؤدباً رسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفائز الفاطمى ، فأعجبته مصر فأقام بها ، وأكرمه ملوكها ، فلما أباد صلاح الدين الأيوبي ملك الفاطميين فى مصر دبر عمارة مع شيعة الفاطميين المكاييد لإعادة دولتهم ، وعلم بهم صلاح الدين فصلبهم وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ .

(٣) المسير : المخطط . والمنعم : المزخرف . والسهم والدرهم والمدز : ما فيه صور السهم والدراهم والدنانير .

وسقيت من ذؤب النضار سُقُوفها حتى يَكادُ نُضارُها أن يَقْطُرَا^(١)
 لم يَبْقَ نوعٌ صامتٌ أو ناطق إلا غداً فيها الجميعُ مُصَوِّرا
 فيها حدائقٌ لم تَجْدُها ديمة : كلا ولا نبئت على وجه الثرى^(٢)
 لم يَبْدُ فيها الرُّوضُ إلا مُزْهِراً والنخلُ والرُّمَّانُ إلا مُثْمِرا
 والطيرُ مذْ وقعت على أغصانها وثمارها لم تستطع أن تنقرا
 وبها من الحيوان كلُّ مُشَبَّهٍ ليسَ الحريرُ العبقريُّ مُصَوِّرا
 لا تعدم الأبصارُ بَيْنَ مَرُوجِها ليشاً ولا ظُفياً بوجرة أعفرا^(٣)
 أنستْ نوافرُ وحشها لسباعها فظباؤها لا تنقى أسد الشرى^(٤)
 وكان صولتك الخيفة أمنت أسرابها ألا تخاف فتدعرا
 وبها زرافاتٌ كأن رقابها في الطول ألوية تؤم العسكرا
 نوبيةُ المنشأ تُريك من المها رؤُفاً ، ومن بزل المهاري مشفرا^(٥)
 جُبِلَتْ على الإقماء من أعجازها فتخالها في التَّيه تمشي القهقري

(١) النضار : خالص الذهب .

(٢) الديمة : المطر يدوم

(٣) وجرة : اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من

الظباء وغيرها .

(٤) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٥) الروق : القرن والمهاري : جمع مهيبة وهي الناقة المنسوبة إلى بلاد مهرة شرقي

حضر موت أي أنها أشبهت بقر الوحش في القرون ، وأشبهت الإبل في المشافر .

١٤ — القاضي الفاضل (١)

قال من قصيدة خيرية وصف فيها بلاغيته وتلاعب فيها بالمعاني مفتخراً :
 قضى نَحْبَهُ الصَّوْمُ بعد المطال وأطلق من قَيْدِ فِئْرِ الهِلَالِ (٢)
 وروّض كاتب جنبي اليمين وأنعب كاتب جنبي الشَّمالِ (٣)
 فدغ ضيقة مثل شدِّ الإِسارِ إلى فُرْجَةٍ مثل حلِّ العقالِ
 وقمّ هاتِها مثل ذَوْبِ النُّضارِ وموج البحار وطعم الزُّلالِ (٤)
 جزى الله عني عروس الدَّوالِ ولا أخطأَتْها كُثُوسُ العِزَالِ (٥)
 بما أطعمت من لَذِيذِ الثَّمارِ وما ألْبست من نَسِيجِ الظَّلالِ
 وما سَأست من مُذَابِ الشُّرورِ وما خَفَضت من جِراحِ التَّغَالِ (٦)
 فكم زَخرفت جَنَّةً للعَذابِ وكم رفعت قَبَساً للضَّلالِ (٧)

(١) هو عبد الرحيم بن علي البيهقي اللخمي . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث أتم بالعربية والأدب ثم كتب في الاسكندرية في دواوينها ثم ظهر فضله فنقل إلى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له ووزير بعده لابنه العزيز وتوفي سنة ٥٩٦ هـ .

(٢) قضى نَحْبَهُ : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيداً بإهلال هلال شوال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتي عن يميني ، وأنعب الملك الموكل بكتابة سيئاتي عن يساري لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسيئات شوال وما يليه ستكون في العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أي هات الحجر في لون الذهب مزبدة كهوج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدَّوالِ : عنب أسود غير حالك ، يدعو لسكرمة هذا العنب . والعِزَالِ : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة ونحوها . يريد بها عزالي السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظللهم بعرائشها الخ .

(٦) التَّغَالِ : المغالة .

(٧) يشير إلى آثار الخمر في عقل شاربها وما يصوره له من أفانين التخيلات .

أَغَالِطُ بِالسَّكَاسِ حُكْمَ الزَّمَانِ فَيَوْمٌ عَلَى وَيَوْمٌ بِمَا لِي (١)
 فَجَاءَتْ بِمَا فِي عُيُونِ النِّسَاءِ وَمَرَّتْ بِمَا فِي رُءُوسِ الرِّجَالِ (٢)
 وَأَسْأَلُو الْغَزَالَ بِهَا إِذْ أَرَى بِكَاسَاتِهَا دَمَ ذَلِكَ الْغَزَالِ
 وَسُكْرَانٍ كَرَّرَ مِنْ سُكْرِهِ زَمَانٌ عَلَى كُلِّ عَقْلٍ مُمَالٍ
 فَسُكْرُ الشَّبَابِ وَسُكْرُ الشَّرَابِ وَسُكْرُ الصَّدُودِ وَسُكْرُ الْوَصَالِ
 فَلَا تَذَكِّرَنَّ عُهُودَ الْوَصَالِ فَمَهْدِي بِهَا وَاللَّيَالِي لِيَالِي
 وَلَمْ أَبْكْ عَهْدًا رَجَاءَ الرُّجُوعِ وَلَكِنْ أَجَدَدُهُ بِالصِّقَالِ (٣)
 بَعَثَنَ اللَّيَالِي بِبَاسٍ جَدِيدٍ عَلَى قَدِيمَا فَجَاسَتْ خِلَالِي (٤)
 فَمَا جَاءَ عَنْ مَنْطِقِي ذِمُّ جَانٍ وَلَا جَاءَ عَنْ جَوْهَرِي ذِمُّ حَالِي (٥)
 وَلَمْ أَسْتَعِثْ تَحْتَ ظِلِّ الْخَطُوءِ بِجَرِّ جَرَّةِ الْبَزْلِ تَحْتَ الرَّحَالِ (٦)
 خَشَنْتُ لِحَالِ كَشُوكِ الْقِتَادِ وَلِئِنْ لَأُخْرَى كَشُوكِ السِّيَالِ (٧)
 وَلَسْتُ لِسَانًا لَذُلِّ السُّؤَالِ وَمَا زِلْتُ صَدْرًا لَعَزِّ السُّؤَالِ (٨)
 حَدِيثٌ يُنَاجِي فُرُوعَ السَّحَابِ وَأَصْلٌ يُنَاجِي أَصُولَ الْجِبَالِ

(١) أَيُّ وَيَوْمٌ يَأْتِي بِمَا هُوَ لِي أَيُّ بِفائدة لِي .

(٢) فَجَاءَتْ السَّكَاسُ بِمَا فِي عُيُونِ النِّسَاءِ مِنَ التَّكْسِرِ وَالْفَتُورِ ، وَمَرَّتْ الْحُ . أَيُّ وَذَهَبَتْ بِمَا فِي رُءُوسِ الرِّجَالِ مِنَ الْعَقْلِ .

(٣) أَيُّ وَلَمْ أَبْكْ عَهْدًا مِنْ هَذِهِ الْعُهُودِ رَجَاءً أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَ وَلَكِنْ أَصْقَلَهُ بَعْدَ مَا قَدَّمَ بِوَصْفِي لَهُ وَبَكَائِي عَلَيْهِ .

(٤) إِمَّا أَنْ يَعُودَ ضَمِيرُ بَعَثَنَ عَلَى الْعُهُودِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَإِمَّا عَلَى رَأْيِي مِنْ يَلْحَقُ عَلَامَةَ الْجَمْعِ بِالْفِعْلِ عِنْدَ إِسْنَادِهِ لِلْجَمْعِ الظَّاهِرِ .

(٥) أَيُّ أَنِّي لَا أَذِمُّ أَحَدًا جَانِيًا كَانَ أَوْ حَالِيًا بِالْفَضِيلَةِ .

(٦) الْبَزْلُ : الْجَمَالُ الْمُسْنَدُ ، أَيُّ لَا أَصِيحُّ كَجَرِّ جَرَّةِ الْبَزْلِ .

(٧) السِّيَالُ : جَمْعُ سِيَالَةٍ ، وَهُوَ نَبَاتٌ لَهُ شَوْكٌ أَيْبُضٌ طَوِيلٌ ، إِذَا نَزَعَ خَرَجَ مِنْهُ سَائِلٌ مِثْلُ اللَّبَنِ ، وَهُوَ يَلِينُ لِنَازَعِهِ عَلَى الْعَكْسِ مِنَ الْقِتَادِ ، وَهُوَ شَجَرٌ صَلْبٌ لَهُ شَوْكٌ كَالْإِبْرِ وَلَا يَسْتَطَاعُ نَزْعُ شَوْكِهِ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ وَاحْتِمَالٍ أَذَى .

(٨) أَيُّ أَنِّي لَا أَسْأَلُ النَّاسَ وَلَكِنْهُمْ يَسْأَلُونَنِي .

١٥ - ابن قلاقس (١)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافر إذا ما شئت قدرا سار الهلالُ فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى طيباً ، ويخبث ما استقرأ
وبنقل الدُر القـ يمة بُدلت بالبحر تحراً
وصلاً إذا امتلأت يدا ك فإن هما خلتما فهجرا (٢)
فالبدر أنفق نوره لما بدا ثم استسرا (٣)
حركات عيسك ما أردت مهاد عيشك أن تقرا (٤)
فالهد أسكن للصبي ببحرٍ جاء به ومرا
إما تريني صاحب الـ وجنات قد ألبست طمرا (٥)

(١) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمي الإسكندري الملقب بالقاضي الأعز . كان شاعراً مجيداً رحالاً مداحاً دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءها كما مدح أعيان دولة الفاطميين ثم ذهب إلى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيناب ، وكان مرسى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم ، الأحمر ، إلى الحجاز ، سنة ٤٨٦ هـ .

(٢) وصلا : أى صل وصلا ؛ والمعنى أبقى في بلدك .

(٣) أنفق نوره : أى لقي محبة وإعجاباً . وهو من أنفق القوم ، إذا راجت تجارتهم .

(٤) حركات عيسك . أى اعمل حركة لعيسك إذا أردت قراراً لعيشك ، أى أن الغنى

بالسعي دائماً ، فسكن الصبي في مهده إذا اهتز وجاء به إلى ناحية ومر إلى أخرى .

(٥) الطمر : الثوب البالى .

فوقائع الأيَّام تحـ رجُ أهلها شُعْثًا وغُـبرا
 مدَّت إلى الأربعـو ن يداً ، وقد قهرتُ عَشـرا
 واستحدثتُ في لمتى نُقْطًا ، فهـلا كُنَّ حِـبْرا (١)
 ما قلتُ : أُمَّ ! فإنـها شرُّ بَأْفٍ يعود جـبرا
 وكفاك أنى إن نظر ت لها نظرتُ النجم ظهـرا (٢)
 كان الشبابُ الغضُّ لـ لا فاستنار الشيبُ فجـرا
 ولئن تقلب بي الزما نُ كما انتهى بطنا وظهـرا
 فما قتلتُ صروفه وقتلته جلدًا وخـبرا
 غاض الوفاء ، وفاض ما الغدر أنهاراً وغـدرا
 فانظر بعينك هل ترى عُرفا وليس تراه نُكـرا ؟
 خلقُ جرى من آدم في نسـله ، وهـلمَّ جرّا
 ومروعى بالبحر يحـ سبُّ أننى أرتاعُ بحـرا
 أو ما درى أنى يتـس هـيل المصاعب منه أدرى ؟

وقال مرتجلا وقد خر السقف عليه من أثر مطر هائل :
 ولَمَّا بدا ركبُ السحاب تسوقه حداةُ الرياح الهوج وهى تُزجـر (٣)
 ركنْتُ لبَيْتٍ أستجنُّ من الحـيَا به ، وإذا غيْثٌ من السقف يقـطـر (٤)
 فلا فرق ما بين السحاب وبينه سوى أن ذا صافٍ ، وذاك مكـدّر

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن .

(٢) أى إن نظرت إلى الشعرات البيض فى لمتى اسودت الدنيا فى عيني وكأنى أنظر

النجوم فى الظهر ، مأخوذ من المثل العامى « يريه النجوم فى الظهر » .

(٣) الهوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها بل تتناوح .

(٤) استجن : استتر . والحيا : المطر .

وقال يصف فوّارة :

وسهم فوّارة إذا انبعثت عاودت الجوّ يجتدى أرضه
كانها خيّمة مكلّلة عمودها من سبائك الفضة

وقال يصف الشمس وهي غاربة في النيل :

أنظر إلى الشمس فوق النيل غاربةً واعجب لما بعدها من حُجرة الشفق
غابت ، وأبدت شعاعاً منه يخلفها ؛ كأنها احترقت بالماء في الفرق !
وللهلال ، فهل وافى لينقذها في إثرها زورقاً قد صيغ من ورق ؟ (١)

١٦ — ابن النبية المصري (٢)

قال يصف الحياة والموت :

الناسُ للموت كخيلٍ الطراد فالسابقُ السابقُ منها الجواد
واللهُ لا يدعو إلى داره إلا مَنْ استصلحَ من ذى العباد
والموتُ نقادٌ على كفه جواهر يختارُ منها الجياد
والمرء كالظل ؛ ولا بدّ أن يزولَ ذاك الظلُّ بعد امتداد
لا تصلحُ الأرواحُ إلا إذا سرى إلى الأجساد هذا الفساد
أرغمتَ يا موتُ أنوفَ القنا ودُستَ أعناقَ السيوفِ الحداد (٣)

(١) الورق : الفضة .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد الشهير بابن النبية المصري صاحب الشعر الرقيق والغزل البديع . كان من خدام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ . عن نحو ٦٠ سنة .

(٣) القنّاة : جمع قنّاة وهي الرمح .

وقال يتغزل من قصيدة :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيَّعاً مَلَكَ القُوَادِ فمَاعِسى أَنْ أَصْنَعَا ؟
 من لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الحَبِيبِ كَظَلَمِهِ حُلُوءاً فَقَدْ جَهَلَ الحُبَّةَ وَادَّعى (١)
 يَأْيِهَا الوجهُ الجَمِيلُ تَدَارِكُ الصُّمَّ بَرَّ الجَمِيلَ فَقَدْ عَفَا وَتَضَعَضَعَا
 هل فِي قُوَادِكَ رَحْمَةٌ لِمَتَيْمٍ ضَمَّتْ جَوَانِحُهُ قُوَاداً مُوجَّعَا ؟
 هل من سَبِيلٍ أَنْ أُبْثِّ صَبَابَتِي أَوْ أَشْتَكِي بَلَوَايَ أَوْ أُتَوَّجَّعَا ؟
 إِنِّي لِأَسْتَحْيِي كَمَا عَوَّدَتَنِي بِسَوَى رِضَاكَ إِلَيْكَ أَنْ أَنْشَفَعَا

١٧ — ابن مطروح (٢)

قال بصف حسناء تسير بليل :

وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ المَلِيحَةَ إِذْ بَدَتْ دُجِّي فَأَضَاءَ الأفقُ من كُلِّ مَوْضِعٍ
 فَخَدَّتْ نَفْسِي أَنَّهَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ وَأَنِي قَدْ أُوتِيتُ آيَةً يُوشَعُ (٣)

وقال يتغزل :

يَا مَنْ لَبِسْتُ عَلَيْهِ أَثَوَابَ الضَّنَى صُفْرًا مَوْشَعَةً بِجُمُرِ الأَدْمُعِ (٤)
 أَذْرُكَ بَقِيَّةَ مُهْجَةٍ لَوْ لَمْ تَذُبْ أَسْفًا عَلَيْكَ نَفِيتُهَا عَنْ أَضْلَعِي

(١) الظلم بالفتح : بريق ثغر الأسنان وحسنه

(٢) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهل صعيد مصر . ولد بأسبوط ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة ، وكان زميلاً للهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٣) يوشع هو صاحب موسى عليه السلام ، وقد وقفت له الشمس في قصة معروفة .

(٤) ثوب موشع : فيه خطوط وطرائق .

وقال أيضاً :

مَلَكُ السَّالَاحِ تَرَى الْعِيُونَ عَلَيْهِ دَائِرَةً يَطَّقُ (١)
وَنَحْنُ بَيْنَ الضُّلُوعِ وَفِي الْفَوَادِ لَهُ سَبَقُ (٢)

١٨ — البهاء زهير (٣)

قال في الشكوى :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ زَمَانِي بَعْدَ ذَا الْبُخْلِ يَجُودُ ؟
مَا أَرَى الشَّدَّةَ إِلَّا كُلَّمَا مَرَّتْ تَزِيدُ
يَنْقَضِي يَوْمٌ فَيَوْمٌ فِي حَدِيثٍ لَا يُفِيدُ
فَتَى الْيَوْمُ الَّذِي أَبَدَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا أُرِيدُ ؟

وقال في عتاب الحبيب والتشوق إليه :

يَعَاهِدُنِي : لَا خَانَتِي لَمْ يَنْكُثُ وَأَحْلَفُ لَا كَلِمَتُهُ لَمْ تُخَفُثُ
وَذَلِكَ دَأْبِي لَا يَزَالُ وَدَأْبُهُ فِيمَا مَعَشَرَ النَّاسِ اسْتَمَعُوا وَتَحَدَّثُوا
أَقُولُ لَهُ : صَلِّنِي أَيْقُولُ : نَعَمْ ، غَدَا
وَمَا ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ لَوْ كَانَ زَارِنِي
أُمُولَايَ ؛ إِنِّي فِي هَوَاكَ مَعْذَبٌ
لَخَذَ مَرَّةً رُوحِي رُحْنِي ؛ وَلَمْ أَكُنْ
وَأَحْلَفُ لَا كَلِمَتُهُ لَمْ تُخَفُثُ
فِيمَا مَعَشَرَ النَّاسِ اسْتَمَعُوا وَتَحَدَّثُوا
وَيَكْسِرُ جَفَنًا هَازِنًا بِي وَيَعْبَثُ
وَكُنَّا خَلُونَا سَاعَةً تَتَحَدَّثُ
وَحَتَامَ أَبْقَى فِي الْعَذَابِ وَأَمْكُثُ
أَمُوتُ مَرَارًا فِي النَّهَارِ وَأُبْعَثُ (٤)

(١) اليطق : كلمة تركية ، ومعناها : جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه .

(٢) السبق : خيمة الملك .

(٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد اللهلي الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، ونشأ

بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدم ذكره فكان عنده رئيس ديوان الإنشاء
(بمنزلة وزير) . وتوفي سنة ٥٦ هـ .

(٤) يقال : أخذ الشيء مرة ، أى دفعة واحدة .

وإني لهذا الضيم منك لحاملٌ ومنتظر لطفاً من الله يحدث !
أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا خلائقك الحسنى أرقُّ وأدمتُ (١)
تردد ظنُّ الناس فينا وأكثروا أقاويلَ : منها ما يطيبُ ؛ ويخبث
وقد كرمتُ في الحب منى شمائلي ويسأل عني من أراد ويبحث !

وقال في التغزل ؛ وتلاعب بالتورية والطباق ، ومراعاة النظير :

غيرى على الشُّلوان قادرٌ وسوَى في العشاق غادر
لى في الغرام سريرةٌ والله أعلم بالسرائر
ومُسَبِّه بالغُصْن قد بي لا يزال عليه طائر
حلُو الحديث ؛ وإنَّها لحلاوة شقت مرائر (٢)
أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر ؟
لا تُنكروا خفقان قد بي ، والحبيب لدى حاضر
ما القلب إلا داره ضربت له فيها البشائر
يا تاركى في حُبِّه مثلاً من الأمثال سائر
أبدأ حديثي ليس بأُ منسوخ إلا في الدفاتر
يا ليل ما لك آخره يُرجى ولا للشوق آخر
يا ليل طُل يا شوق دُم ؛ إني على الحالين صابر
لى فيك أجرٌ مجاهد إن صحَّ أن الليلَ كافر (٣)
طرفى وطرفُ النجم فيه لك كلاهما ساه وساهر

(١) المكان الدمث : اللين السهل . ودمانة الأخلاق : رقتها .

(٢) المرائر : جمع مرارة ، وهى هنة شبه كليس لازقة بالكبد .

(٣) فى كافتورورة من الكفر ، أى أن له أجر المجاهد الذى يقتل كافراً ، لأن الشاعر

يقطع الليل كله ساهراً . أو من قولهم : الليل كافر ، أى سائر .

يَهْنِيكَ بِدْرُكَ حَاضِرٌ يَالَيْتَ بِدْرِي كَانَ حَاضِرٌ^(١)
 حَتَّى يَبِينَ لِنَاضِرِي مِنْ مَنَّهُمَا زَاهٍ وَزَاهِرٌ
 بِدْرِي أَرْقُ مُحَاسِنَا وَالْفَرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرٌ^(٢)

وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر العزيزة :

سَقَى وَادِيًا بَيْنَ الْعَرِيشِ وَبَرْقَةٍ مِنْ الْغَيْثِ هَطَّالُ الشَّائِبِ هَيَّانُ^(٣)
 وَحَيًّا النَّسِيمُ الرُّطْبُ عِنَّا إِذَا سَرَى هُنَالِكَ أَوْطَانًا إِذَا قِيلَ أَوْطَانُ
 بِلَادٍ مَتَى مَا جِئْتَهَا جِئْتَ جَنَّةً لَعِينِكَ مَنَّا كُلُّ مَا شِئْتَ رِضْوَانُ^(٤)
 تَمَثَّلْ لِي الْأَشْوَاقُ أَنْ تَرَاهَا وَحَصْبَاءُهَا مَسْكٌ يَفُوحُ وَعِقْيَانُ^(٥)
 فَيَا سَاكِنِي مِصْرَ تَرَاكُمُ عَالَمُنُمُ بَأْنَى مَالِي عَنْكُمْ الدَّهْرُ سُلُوفُ ؟
 وَمَا فِي فَوَادِي مَوْضِعٍ لِسِوَاكُمْ وَمَنْ أَيْنَ فِيهِ ؟ وَهَوَّ بِالشَّوْقِ مَا لَانَ
 عَسَى اللَّهُ يَطْوِي شُقَّةَ الْبُعْدِ بَيْنَنَا قَتَهْدًا أَحْشَاءُ وَتَرْقًا أَجْفَانُ
 عَلَى لَذَاكَ الْيَوْمِ صَوْمٌ نَذَرْتُهُ وَعِنْدِي عَلَى رَأْيِ التَّصَوُّفِ شُكْرَانُ

-
- (١) بدر العشوق : هو الكوكب المضيء بالليل . وبدر الشاعر : هو المعشوق .
 (٢) في الفرق تورية : فرق الشعر ، و فرق ما بين الأمرين .
 (٣) الشَّائِب : جمع شؤبوب ، وهى الدفعة من المطر . الهتان : المنصب المتتابع .
 (٤) الرضوان : الرضا .
 (٥) العقيان . الذهب الخالص .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — أبو الفرج البیضاء

من كتاب يهنئ فيه بولاية عمل :

« سيدى — أيدى الله — أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأعظم نبلاً ، وأشهر فضلاً ، من أن تهنئه بولاية ، وإن جل خطرها ، وعظم قدرها ، لأن الواجب تهنئة الأعمال بفائض عدله ، والرعية بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار سياسته ، والولايات بسنات كياسته . فعرفه الله بمن يتولاه ، ورعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانیه ، والتسديد فيما يبرمه ويمضيه . . . » .

ومن كتاب له فى تهنئة بعيد :

« . . . عرفك الله يُمن هذا العيد وبركته ؛ وضاعف لك إقباله وسعاده ، وأحياك لأمثاله فى أسبغ النعم وأكملها ، وأفسح المدد وأطولها ، وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأيقعها . وحرس منحتك من المحذور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور . . . » .

وله من كتاب فى التهنة بمولودة :

« . . . ومولانا — أيدى الله ، مع كمال فضله ، وتناهى عقله ، وحدة فطنته وثاقب معرفته — أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو أن يتسخط مواهبه الصادرة إليه ، فيرمقها بنواظر الفكر ، ويسلك بها غير

مذاهب الشكر ، وقد اتصل بالملوك خبر المولودة — كرم الله غرتها ، وأطال مدتها وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أمله فيها — وما كان من تغيره عند انضاح الخبر ، وإنكار ما اختاره له سابق القدر . فعجب المملوك من ذلك واستنكره من مولانا وأنكره ، اضيق العذر في مثله عليه . وقد علم مولانا أنهم أقرب إلى القلوب . وأن الله تعالى بدأ بهم في الترتيب . فقال جل من قائل : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ أَلْدُكُورَ » . وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى . وَلَكُمْ نَسَبٌ أَفْذَنُ ، وشرف استحدثن ، من طرق الإصهار ، والانصال بالأخيار . والملمس من الذكر نجابته ، لا صورته وولادته . وَلَكُمْ ذَكَرُ الْأُنْثَى أَكْرَمَ مِنْهُ طَبْعًا ، وأظهر منه نفعًا . فمولانا يصور الحال بصورتها ؛ ويجدد الشكر على ما وهب الله منها ؛ ويستأنف الاعتراف له تعالى بما هُوَ الأشبه ببصيرته والأولى بمثله إن شاء الله تعالى .

٢ — علي بن خلف^(١)

كتب في الدعوة إلى ولية :

« رَقَعِي — أطال الله بقاء سيدي — ومجلسي بمن حله من خدمه ، وتركه من صانع كرمه ؛ فَلَاكُ مَزَيْنٌ بِأَنْجُمِهِ . فَإِنْ رَأَى أَنْ يُطْلَعَ فِيهِ بَدْرًا يَطْلُوعُهُ ؛ وَيَنْتَقِلَ قَدَمُهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَيُكَمِّلَ نَقَصَهُمْ بِتَمَامِهِ ، وَيُضَيِّفُ ذَلِكَ إِلَى تَلِيدِ إِنْعَامِهِ — فعل ، إن شاء الله تعالى . »

(١) من كتاب الإنشاء في الدولة الفاطمية ، وله في مصطلح الإنشاء كتاب « مواد البيان » وكثيراً ما ينقل عنه صاحب صبيح الأعشى .

٣ - القاضى الفاضل

وقال القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى رحمه الله يصف مدينة آمَدَ (١) من رسالة جاء فيها :

وَأَمْدُ ذِكْرُهَا بَيْنَ الْعَالَمِ ، مُتَعَالَمٌ (٢) ، وَطُلُمَا صَادَمَ جَانِبَهَا عَنْ تَقَادَمِ (٣) ، فَارْجَعَ عَنْهَا مَقْدُوعاً (٤) أَنْفُهُ وَإِنْ كَانَ فَحْلاً ؛ وَفَرَّ عَنْهَا فَرِيداً بِهِمَّةً وَإِنْ اسْتَصْحَبَ خَيْلاً وَرَجُلًا (٥) . وَرَأَى حَجَرَهَا فَقَدَّرَ أَنَّه لَا يَفُكُّ لَهُ حَجَرٌ (٦) ؛ وَسَوَادُهَا (٧) فَظَنَّ أَنَّه لَا يَنْسَخُهُ فَجْرٌ ؛ وَحَمِيَّةَ أَنْفِ أَنْفَتِهَا ، فَأَعْتَقَدَ أَنَّه لَا يَسْتَجِيبُ لَزَجَرٍ : مِنْ مُلُوكٍ كُلِّهِمْ قَدْ طَوَى صَدْرُهُ عَلَى الْغَلِيلِ (٨) إِلَى مُوَرِّدِهَا ؛ وَوَقَفَ وَقْفَةً الْحُبِّ السَّائِلِ فَلَمْ يَفْزَ بِمَا أَمَّلَ مِنْ سُؤْالٍ مَعَهَا .

(١) وهى بلدة قديمة مبنية على مرتفع من الأرض حصينة تعد من أكبر مدن ديار بكر. وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر ، والهضبة : القى بنيت عليها سوداء ولذلك يسميها الترك « قره آمد » أى آمد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أى من تقادم من الفاتحين .

(٤) قذع أنف الفحل : ضرب أنفه ليكفه عن النوق إذا كان غير كريم خشية أن تلد

منه غير نجائب .

(٥) الخيل هنا : الفرسان . والرجل : الرحالة « البيادة » .

(٦) الحجر : الحبس والحصار .

(٧) وسوادها : أى سواد هضبتها المبنية هى عليها .

(٨) الغليل : العطش ، يريد الرغبة فى فتحها .

٤ - ابن الصيرفي^(١)

ومن الكتابة السلطانية فصل له من كتاب بشارة بالسلامة في ركوب الخليفة
الفاطمي إلى مصلى العيد :

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد الفجر سنة كذا وكذا ؛ وهو
يوم أظهر الله فيه قوة الدولة واقتدارها ، وأوجب فيه - رغبة ورهبة - مسارعة
النفوس المتخالفة إلى الطاعة وابتدارها ؛ وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجهت
إلى قصوره الزاهرة عند انفجار الفجر ، وحافظت على ماتحززه من كريم الثواب
وجزيل الأجر واستنزلت الرحمة بروية إمام الأمة وعدت الإخلاص في خدمته
من أوفى الحرمات وأقوى الأذمة^(٢) ، وأقامت إلى أن برز أمير المؤمنين والأنوار
الساطعة طوائعه ، ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه ، وقصد
المصلى في كتاب جلبة^(٣) ومواكب للتعظيم مستوجبة ، وعزة تتبين في الشمايل
والصفحات ، وقوة يشهد بطيب وصفها أرج النفعات ، قد غدت عددها محكمة
وخيوها مطهمة^(٤) ، وذوابلها^(٥) إذا ظمئت^(٦) كانت مقومة ، وإذا رويت^(٧)
عادت محطمة . تتقلد صفائح متى انتضيت أنصفت من الجائر الخائف ، ومتى
اقتضبت^(٨) عملا كان اقتضاها مبيضا للصحائف . وفي ظلها معاقل لللائذين ،

(١) هو أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي كان من
شيوخ الكتاب في دواوين الدولة الفاطمية ، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل
طبع بمصر . وينقل عنه صاحب صبح الأعشى كثيراً من الكتب الديوانية . مات سنة ٥٤٢ هـ

(٢) الأذمة جمع ذمام ، وهي الحق والحزمة .

(٣) الكتيبة : الجيش ، ولجة : كثير الجلبة والأصوات لكثرة عددها .

(٤) المطهم : التام البارع الجمال من كل شيء .

(٥) الذوابل : الرماح الذابلة القنا ، أي الجافة القصب .

(٦) ظمئت هنا : جفت وصلبت .

(٧) وإذا رويت ، أي من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ما طعن بها .

(٨) في اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع ، أو بمعنى الخروج من غرض إلى

آخر في الشعر أو الكتابة .

وبحدها مصارع المنابذين . وهى للدماء هوارق ، وللهامات فوالق ، ولستغاق البلاد
مفتاح ، ولستفتحها مغالق . ولما انتهى إلى المصلى قضى الصلاة أحسن قضاء ، وأداها
أفضل تأدية ، واستنزل رحمة لم تزل بصلاته متمادية ، وانتهى إلى المنبر فرقيبه ، وخطب
خطبة من استخلفه الله فكان مراقبه ومتقيه ، ووعظ أبلغ وعظ ، وأبان عما للعامل
في نصحه في الدنيا والآخرة من فائدة وحظ ، وعطف على الأضاحى المعدة له ، فنحرتها
جاريا في الطاعات على فعلها المتمادى ، وأضحت تتوقع التكميل وإنجاز وعده في الأعادى ،
فالله يقضى بتصديقه ويمنّ بتخيله وتحقيقه . وعاد إلى قصوره المكرمة مشكوراً سعيه ،
مضموناً نفعه ، مرضياً فعله ، مشمولاً عبيده منه بما هو أهله . أعلمك أمير المؤمنين ذلك ،
فاعلم هذا واعمل به وكتب في اليوم المذكور .

هـ - ابن قادوس^(١)

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل في الدولة الفاطمية :
« النعم وإن كانت شاملة للأمم فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاها بشكرٍ تنشرُ
في الآفاق أعلامه ، واعتداد نُحُكَمُ بإدراك الغايات أحكامه ، نعمة يشترك في النفع
بها العباد ، وتبدو بركتها على الناطق والصامت والجماد ، وتلك النعمة : النيل
المصرى^(٢) الذى تبرز به الأرض الجرز^(٣) فى أحسن الملابس وتظهر حلل الرياض
على القيعان والبسابس^(٤) ، وترى الكنوز ظاهرة للعيان ، متبرجة بالجواهر واللجين
والعقيان فسبحان من جعله سبباً لإنشار الموات ووفر به مواد الأرزاق والأقوات » .

(١) هو القاضى كافى الكفاة محمود بن أسعد قادوس من رؤساء باب الإنشاء فى
الدولة الفاطمية .

(٢) تمييز عن نيل الفرات ، وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ، ولم يصبها مطر ، فلم تنبت ثانية . أوهى الأرض

التى لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الخالية .

ثانياً — النثر العلمى التأليفى

١ — المعرى

من النثر العلمى التأليفى قول أبى العلاء فى مقدمة اللزوميات :

« . . . وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : « إني رفضت الشعر رفض السَّقَب غرسه (١) ، والرأل تريكته (٢) ، والغرض ما استجيز فيه الكذب ، واسقير على نظامه بالشبهات ، فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً للمتوسن (٣) ، وأمرأ بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغش والمكر فهو — إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضعف ما ينطبق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقة ، وبطلب الكلمة البرة . ولذلك ضعف كثير من شعر أمية بن أبى الصلت الثقفى ومن أخذ بضريه (٤) من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعى كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضعف . وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القباح ، وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الحجر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف (٥) الفكر — وهم أهل مقام وخفض — فى معنى ما يدعون أنهم يعانون : من حيث الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس (٦) الشقاء .

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته ، والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ . وقد قال هذه الجملة فى مقدمة ديوانه : سفظ الزند .

(٣) المتوسن : النائم . (٤) أى بطريقته ومذهبه .

(٥) الأخلاف : جمع خلف بكسر الخاء ، وهى حلة ضرع الناقة .

(٦) المراس : الممارسة والمعاناة .

وهذا حين أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلاً ، لكل حرف أربعة فصول ، وهى على حسب حالات الروى من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة ، وربما جئت فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ، لتكون قضاء حقِّ التأليف . وبالله التوفيق .

٢ - ابن شداد^(١)

فصل من كتابه « النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية » :

« كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو ، فيسرقون من الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلاً رضيعاً له ثلاثة أشهر ، وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان ، وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ، ويعطيهم ما أخذوه .

« ولما فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور طول الليل ، حتى وصل خبرها إلى ملوكهم ، فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذن لك بالخروج ، فأخرجى وأطلبه منه ، فإنه يردّه عليك . فخرجت تستغيث إلى اليك ، فأخبرتهم بواقعها فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقيته وهو راكب ، وأنا فى خدمته ، وفى خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاء شديداً ، ومرّغت وجهها فى التراب . فسأل عن قصتها ، فأخبروه ، فرق لها ودمعت عينه ، وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع

(١) هو القاضى بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٣ هـ . وكان من خاصة صلاح الدين ابن أيوب ، وملازمى ركابه .

فى السوق ، فارتده ، وأمر بدفع ثمنه إلى المشتري ، وأخذه منه ، ولم يزل واقفاً
حتى أحضر الطفل وسلم إليها ، فأخذته وبكت بكاء شديداً . وضمته إلى صدرها
والناس ينظرون إليها ويبكون ، وأنا واقف فى جملتهم ، فأرضعته ساعة .
ثم أمر لها ، فحملت على فرس ، وألحقت بعسكرهم مع طفلها . فانظر إلى
هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر » .

عصر الماليك والعتانين

(١) الشعر

١ — شمس الدين محمود الكوفي

قال في رثاء بغداد :

إن لم تفرِّحْ أدمعي أجفاني من بعدِ بعدِكمْ — فاجفاني (١)
إنسانُ عيني مذ تناءتْ دارُكمْ ما راقهُ نظرٌ إلى إنسان (٢)
ياليتني قد ميتٌ قبلَ فراقكمْ ولساعةٍ التوديع لا أحياني
ما لي وللأيام شتتَ خطبها شملي ؟ وخلاي بلا خلان
ما للمنازل أصبحت لا أهلها أهلي ، ولا جيرانها جيران
وحياتكم ما حلها من بعدكمْ غيرُ البلى والهدم والنيران
ولقد قصدتُ الدارَ بعد رحيلكمْ ووقفتُ فيها وقفةَ الحيران
وسألتها لكن بغير تكلم فتكلمتْ لكن بغير لسان
ناديتها يا دارُ ؛ ما صنع الألى كانوا هم الأوطار في الأوطان ؟ (٣)
أين الذين عهدتهم ولعزمهم ذلاً تخرُّ معاقِدُ التيجان ؟
كانوا نجومَ من اقتدى فعليهم يبكي الهدى وشعائر الإيمان

(١) أجفني ، أفعل تفضيل من جفا الرجل يحفو ، أي : غلظ وثقل .

(٢) إنسان العين : سوادها .

(٣) الأوطار . جمع وطر ، وهو البقية والغرض .

قالت : غدوا لما تبدد شملهم وتبدلوا من عزم بهوان
كدم أنفصا دبراقُ أرذل موضع أبداً ويخرجُ من أعزّ مكانٍ
أفتنهمُ غيرُ الحوادثِ مثلما أفتت قديماً صاحب الإيوان (١)
لما رأيتُ الدار بعد فراقهم أضحت مُعطّلةً من السكان
مازلتُ أبكيهم وألثمُ وخشةً لجلهم مُتهدّم الأركان
حتى رنّ لي كلُّ من : ما وجدّه وجدى ، ولا أشجانهُ أشجاني
أترى تعود الدارُ نجمةً كما كنا بكلّ مسرّةٍ ونهاني ؟
إذ نحن نفقنمُ الزمان ونجتني بيد الأمان قُطوفَ كلِّ أمان (٢)

٢ - بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (٣)

قال في الصبابة والتحزن :

وتنبهتُ ذاتُ الجناح بسُخرة بالواديّين فنبهت أشواق (٤)
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن يعقوب والألحان عن إسحاق (٥)
قامت تطارحني الغرام جهالة من دون صحبي بالحمى ورفاق
أنى تُباريني جوّى وصبابة وكآبةً وأسى وفيض مآق
وأنا الذى أُملى الجوى من خاطرى وهى التى تُملئ من الأوراق (٦)

- (١) صاحب الإيوان : كسرى ، والإيوان قصره المشهور .
(٢) الأمان (الأولى) : الأمن والدعة . والأمانى (الثانية) : جمع أمنية .
(٣) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبة يستخدم المحسنات البديعية مات سنة ٦٨٠ .

- (٤) ذات الجناح : الحمامة . والسخرة : قبيل الفجر .
(٥) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة في القرآن الكريم عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلى وهو المراد .
(٦) الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة تورية واضحة .

وقال في الروض :

الروض أحسن ما رأيْتُ ستُ إذا تكاثرت المومُ
تحنُّو على غصُونه ويرقُّ لى فيه النسيمُ

٣ — الشاب الظريف^(١)

قال من قصيدة له في الشكوى والحكمة :

أبت رِقَّتِي إِلَّا الذى يقتضى الهوى وعزى إِلَّا ما أقتضى الرأى والعقلُ
فوا عجباً ألى خَفِيتُ ، ولم أبنِ وقد راح مملوءاً بى الحزنُ والسَّهْلُ ؟
طريدٌ ولى مأوى ، مُباحٌ ولى حمى وحيدٌ ولى صَحبٌ ، غريبٌ ولى أهلُ
سأجهدُ : إمَّا للمنايا ، أو الثمَنِ قصاراي : إمَّا النَّصرُ ، أو ماجنى النَّصْلُ^(٢)
فإن لم تصانِي هَمَّتِي بمطالبي ولم يُنْذِج للشَّيبِ فى إمَّتِي غزلُ
فلا نظرت عيني ، ولا فاه مقولى ولا بطشت كفى ، ولا سعت الرِّجلُ
ومن عرف الأمر الذى أنا عارفُ رأى كُلَّ صعبٍ كُلُّ إدراكه سهلُ
خذ العِزَّ من أىِّ الوجوه رأيتَه فلا خير فى عيش يكونُ به الذُّلُّ
والمرء من داعى الطبيعة قائدُ إذا لم يذُدْهُ دونه الحلمُ والنُّبلُ
من التُّرب هذا الطبع ، والنفس من غُلا فالمرء أن يذنو والمرء أن يعلو

وقال فى التغزل :

يا ساكناً قلبى المَعْنَى وليس فيه سِوَاكَ ثانى
لأىِّ معنى كسرت قلبى وما التقي فيه ساكنان^(٣)

(١) هو محمد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ . والمتوفى ٦٩٥ هـ .
ويمتاز شعره بالركة وجمال الصياغة .

(٢) قصاراي : أى غايى ، وبين النصر والنصل جناس غير تام . ويريد بما يجنيه
للتصل الموت .

(٣) فى قوله كسرت قلبى تورية ، والمقصود : إيذاء القلب بالهجر ، ويورى لذلك
بالكسرة المعروفة للتخلص فى التقاء الساكنين : وكذلك فى قوله : ساكنان : يريد محبوبين .

وقال في زيارة الحبيب :

ولقد أتيتُ إلى جنابك قاصياً بالآثم للعتبات بعض الواجب (١)
وأُتيتُ أقصد زورةً أحياء بها فرُددت — يا عيني — هناك بمحاجب (٢)

وقال في الغزل :

بدا وجهه من فوق أشمر قدّه وقد لاح من سُودِ الدوائب في جنح
فقلت عجيب ! كيف لم يذهب الدُجى وقد طلت شمس النهار على رمح ؟ (٣)

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع :

لا تُخفِ ما فعلت بك الأشواق واشرح هواك فكلنا عُشاق
فمسي يُعينُك من شكوت له الهوى في حمله ، فالعاشقون رفاق
لا تجزعن ، فليست أول مُغرم فتسكت به الوجفات والأحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما عاد الوصالُ وللهوى أخلاق (٤)
كم ليلة أسهرت أحداق بها وجداً وللأفكار بي إحداق (٥)
يا ربّ قد بعدَ الذين أحبهم عني وقد ألف الفراق فراق
واسودّ حظي عندهم لما سرى فيه بنار صباقتي إحراق
عُربُ رأيتُ أصبحَ ميثاق لهم ألا يصحّ لديهم ميثاق

(١) الجناب : الناحية والكتف .

(٢) كذلك التورية هنا في كلمة حاجب .

(٣) يقصد بالدجى : الشعر الأسود الدوائب . وشمس النهار : الوجه ، والرمح : القدر :

(٤) أى من أخلاق كل معشوق أن يهجر دلالاً وتجنياً ، ثم يصل بعد ذلك .

(٥) أحداق به : أحاط . أى أن الأفكار كانت تحيط بي وتساورنى .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

- ومعشر لم تزل للحرب بيضهم
 حمر الخدود وما من شأنها الخجل (١)
 إذا انتضوها برؤوقاً صيرت سحبا
 يسيل من جانبيها عارض هطل (٢)
 يثنى حديث الوغى أعطافهم طرباً
 كأن ذكر المنايا بينهم غزل (٣)
 كم نار حرب بهم شبت وهم سحب
 وأرض قوم بهم فاضت ، وهم شعل (٤)
 ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما
 ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدؤل
 أغر ما أبدت السحب الحيا يسوى
 تقصيرها عن مداه حين ينهل (٥)
 أوحى إلى كل قرطاس بلاغته
 سحر البيان ، ومن أقلامه الرسل
 سمر ترؤوك رأى العين عارية
 ومن بديع معانيه لها حلل
 من كل معتدل كالميل إن رمدت
 عين المعالي ففيها نفسه كحل (٦)
 فللعدة لديه كل ما حذروا ؛
 وللعفاة عليه كل ما سألوا
 أضحت يدها لعقد الجود واسطة ،
 فليس يدري لجود بعدها عطل (٧)

وقال في الغزل ، وسلك مسلك الرسائل السلطانية في الافتتاح بدعاء خاص :

أعز الله أنصار العيون وخلد ملك هاتيك الجفون
 وضاعف بالفتور لها اقتداراً ، وإن تك أضعفت عقلي وديني

- (١) البيض : السيوف وجعلها حمر الخدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء .
 (٢) أنتضى السيف : أسله من غمده . والعارض : السحاب ، ويقصد به إلى كثرة ما يسيل من دماء أعدائهم .

- (٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .
 (٤) وهم سحب أى فى السكرم ، وهم شعل ، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .
 (٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء ، فى البيت تورية وحسن تعليل .
 (٦) الميل : حديدة أو نحوها يكتحل بها . والنفس : المداد . والكحل : مصدر كل .
 (٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها ، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

وَأَبْقَى دَوْلَةَ الْأَعْطَافِ فِينَا ، وَإِنْ جَارَتْ عَلَى قَلْبِي الطَّعِينِ
وَأَسْبَغَ ظِلًّا ذَاكَ الشَّمْعُ مِنْهُ عَلَى قَدِّ بِهِ هَيْفُ الْغُصُونِ
وَصَانَ حِجَابَ هَاتِيكَ الثَّنَايَا وَإِنْ ثَنَيْتُ الْفَوَادِ إِلَى الشَّجُونِ
حَمَلْتُ نَسْهَدِي وَالشَّيْبَ : هَذَا عَلَى رَأْسِي . وَذَاكَ عَلَى عِيُونِي

٤ - سراج الدين الوراق المصرى الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ

قال فى شكر الله على نعمائه :

إِلَهَى لَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَشُكْرًا لِنِعْمِكَ الَّتِي لَيْسَ تُكْفَرُ !
وَعُمِّرْتُ فِي الْإِسْلَامِ فَازِدْتُ بِهِجَةً وَنُورًا لَذَا قَالُوا ، السَّرَاجُ الْمُعَمَّرُ (١)
وَعَمَّ نُورُ الشَّيْبِ رَأْسِي فَسَرَّنِي وَمَا سَاءَ لِي أَنْ السَّرَاجُ مُنُورٌ

وقال فى لوم النفس على المعصية :

يَا خَجَلْتِي وَصَحَائِفِي سَوْدَ غَدَتِ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمُؤْنِحِ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَالَ لِي : أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ ؟ (٢)

وقال فى الترفع :

أَصُونُ أَدِيمَ وَجْهِى عَنْ أَنْاسٍ لِقَاءَ الْمَوْتِ عِنْدَهُمُ الْأَدِيبُ (٣)
وَرَبُّ الشَّعْرِ عِنْدَهُمْ بَغِيضٌ وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمْ حَبِيبُ (٤)

(١) البهجة : الحسن .

(٢) الوراق : موزق الكتب . وهنا تورية ظاهرة .

(٣) الأديم : البشرة .

(٤) حبيب : اسم أبى تمام الشاعر المشهور ، والحبيب : المحبوب ، ففي الكلمة تورية .

وقال في الحنين إلى الأحباب :

وَقَفْتُ بِأَطْلَالِ الْأَحَبَّةِ سَائِلًا ودمعى يسقى ثم عهداً ومعهدا (١)
وَمِنْ نَجْبٍ أَنِّي أُرَوِّى دِيَارَهُمْ وحظي منها حين أسألها الصدى (٢)

هـ - نصر الدين الجامى المصرى المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رَأَيْتُ شَخْصًا آكِلًا كَرِشَةً وهو أخو ذوقٍ ، وفيه فطن (٣)
وَقَالَ : مَا زِلْتُ مُحِبًّا لَهَا ، قلتُ : مِنَ الْإِيمَانِ حُبُّ الْوَطَنِ !
وَقَالَ فِي ذِمِّ دَارِهِ :

وَدَارٍ خَرَابٍ بِهَا قَدْ نَزَلْتُ ولكن نزلتُ إلى السابعة (٤)
طَرِيقٌ مِنَ الطَّرِيقِ مَسْلُوكَةٌ حَجَّتْهَا لِلْوَرَى شَاسِمَةٌ (٥)
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ أَنِّي أَكُونُ بها ، أَوْ أَكُونُ عَلَى الْقَارَعِ (٦)
تَسَاوَرُهَا هَفَوَاتُ النَّسِيمِ فَتُصْنِى بِهَا أُذُنٌ سَامِعَةٌ (٧)
وَأَخْشَى بِهَا أَنْ أَقِيمَ الصَّلَاةَ فَتَسْجُدُ حَيْطَانُهَا الرَّآكِمَ
إِذَا مَا قَرَأْتُ : « إِذَا زَلَزَلْتُ » خَشِيتُ بِأَنْ تَقْرَأَ : « الْوَاقِعَةُ »

-
- (١) العهد والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه .
(٢) الصدى : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها ، والصدى أيضا : العطش .
(٣) الفطن : الفطنة .
(٤) نزلت (الأولى) : حلت . ونزلت (الثانية) : هويت وسقطت ، والسابعة ، أى الأرض السابعة .

- (٥) المحجة : جادة الطريق . شامعة : بعيدة .
(٦) قارعة الطريق : أعلاه . وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .
(٧) تساورها : توافيها .

٦ — عمر بن الوردى^(١)

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أُقْتَلُ بين جدِّك والمُزاح	بِذِيْل جَفْوَنِكَ المَرْضَى الصَّحاح ^(٢)
يَكْدُرُنِي نَوَاك ، وَأَنْتَ صَافٍ	وَيُسْكِرُنِي هَوَاك ، وَأَنْتَ صَاحِي
وَأَبْكِي لِلْغَرَام ، وَأَنْتَ لَاهٍ	وَأُعْذِرُنِي الْأَوَام ، وَأَنْتَ لَاحِي ^(٣)
فَمَا لِإِسْرَاحِ دَمْعِي مِنْ إِسَارٍ	وَمَا لِإِسَارِ وَجْدِي مِنْ سِرَاحِ ^(٤)
وَمَا لِصَبَاحِ وَجْهِكَ مِنْ مَسَاءٍ	وَمَا لِمَسَاءِ شَعْرِكَ مِنْ صَبَاحٍ
رِضَاكَ إِلَى رِضَايِكَ لِي دَلِيلٌ	أَلَيْسَ كِلَاهُمَا رُوحِي وَرَاحِي؟ ^(٥)
وَلِي لِحْظٌ بِطَيْرٍ إِلَيْكَ شَوْقًا	فَمَا قَدْ طَارَ مَبْلُولُ الْجَنَاحِ !
وَوَجْهِكَ فَوْقَ قَدِّكَ عَرَفَانِي	بِإِثْمَارِ الْبُذُورِ مِنَ الرَّمَاحِ ^(٦)
لَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ سِرِّي وَدَمْعِي	لَقَى بَيْنَ اسْتِقَارٍ وَأَفْتِضَاحِ ^(٧)
يَحِقُّ لِمَنْ لَحَانِي فِيكَ ذِمِّي	وَحَقٌّ لِكَاتِبِ السَّرِّ أَمْتِدَاحِي ^(٨)
وَلَسْتُ سِوَى ابْنِ فَضْلِ اللَّهِ أَعْنِي	شَهَابُ الدِّينِ ذِي الْغُرْرِ الْمَلَّاحِ

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ . وكان شاعرا نحويا فقيها مؤرخا قاضيا .

(٢) المَرْضَى : الفواتر الناعسات والصحاح الجملات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق

(٣) الْأَوَام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أَيْ فَمَا لِدَمْعِي مَا يَوْقِفُ سَيْلَهُ ، وَلَيْسَ مَا يَخْلُصُنِي مِنَ الْوَجْدِ .

(٥) الرِّضَاب : الرِّيق . وَالرَّاحِ الْخَر .

(٦) الرَّمَاح : الْقُدُود .

(٧) اللَّقَى : الْمَطْرُوحُ مِنَ الشَّيْءِ .

(٨) لِحَانِي : عَابَتِي وَلاَمَنِي .

له قلمٌ بفضلِ الله يحيا لنا يحيى به بعد أنتزاح
فما أدري انقشاً فوق طرس يُطرزُ أم مساءً في صباح ؟
أشدُّ من القضاء مضاءً أمر وأجرى في الخطوب من الرياح
فخذها بنت ليلتها عروساً تزف إليك كالتخود الرِّداح^(١)
وما أنا شاعرةٌ حاشا علوى ولست أرى التكب بامتداح
فلى من أنعم الرحمن مالٌ يصون عن احتياج وأجتياح
ولم أقصد بمدحك غير رد أروضُ به الزمان عن الجراح

وكتب إلى القاضي جمال الدين معاتباً له على قصد الرحلة :

علام أردت تهجرني علاماً وتوقظُ بالنوى إبلاً نياماً ؟
لعلك يا جليد القلب تبغى رحيلاً يُورثُ الدمع أنسجاماً^(٢)
فهل لا قيتَ في حلب هُموماً فتزُمعُ عن نواحيها أهتماً ؟
فلا تأخذ دمشقَ لها بديلاً أغيطاً ذاك منك أم أنتقاماً ؟
وإن تلكُ بالفرق لا تبالي فهذا يمنعُ العين ألمنا
وإن ترحلْ لنيل غنى فسهلٌ غناك هنا إذا أمسكت عاماً
وإن ترحلْ تريدُ تمام جاءٍ فه ؛ إني أحذرك التَّما
وإن ترحلْ رجاء لاشتهار فكم من شهرة تُوهي العظاما
أقم في الأهل في رغد وطيب بأمرى ، واغتم ذاك اغتناما

(١) الرِّداح : البدينة . والخود : الفتاة الغضة .

(٢) القلب الجليد ، الغليظ الشديد : وانسجام الدمع : انصبابه .

٧ - صفي الدين الحلي^(١)

من مآجحه :

إنما الحيزبون والدردبيس^(٢) والطخا والنقاخ والعلطبيس^(٣)
لغة تنفر المسمع منها حين تروى وتشمئذ النفوس^(٤)
وقبيح أن يذكر النافر الوحد^(٥) شيء منها ويترك المأنوس^(٦)
أين قولي : هذا كتيب قديم ومقال عتقل قدموس^(٧)
خل الأضمي جوب الفيا في نشاف تخف فيه الردوس^(٨)
إنما هذه القلوب حديد ولذيد الألفاظ مغناطيس

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خلع الربيع على غصون البان حلاً فواضها على الكئيبان^(٩)
ونمت فروع الدوح حتى صاحت كفل الكئيب ذوائب الأغصان^(١٠)

(١) هو عبد العزيز بن علي شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية . وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون . وتوفي ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التي لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية . والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافي . العلطبيس : الأملس البراق .

(٣) الوحشي من الألفاظ : الغريب غير المسألوف .

(٤) العتقل : الكتيب المتراكم . قدموس : قديم .

(٥) الفيا في : مفردا فيفاء ، وهي المفازة لاء فيها . جوب الفيا في : قطعها . ونشاف جمع نشفة مثلثة النون ، وهي حجارة الحرة . وهي سود كأنها محترقة .

(٦) الكئيبان : جمع كئيب ، وهو التل من الرمل .

(٧) الكفل بفتحين : العجز .

وتتوَجَّتْ هَامُ الغُصُونِ ، وضَرَجَتْ خَدَّ الرِّياضِ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ
وتنَوَّعَتْ بُسْطُ الرِّياضِ ، فزَهَرُهَا مَتَبَّانُ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ :
من أبيض يَبْقَى ، وأصْفَر فَاقِعٌ ، أو أَزْرَقُ صَافٍ ، وأَحْمَرٌ قَانِي
وَالظِّلُّ يَسْرِقُ فِي الْجُمَائِلِ خَطْوَهُ وَالغُصْنُ يَخْطُرُ خَطَرَةَ النُّشْوَانِ (١)
وَكَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ سَوْقُ رَوَاقِصٍ قَدْ قَيَّدَتْ بِسَلْسِلِ الرِّيحَانِ (٢)
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ فُرُوعِهَا نَحْوَ الْحَدَائِقِ نِظْرَةَ الْغَيْرَانِ (٣)
وَالطَّلَعُ فِي خَلَلِ السِّكِّامِ كَأَنَّهُ حُلُلٌ تَفْتَقُ عَنْ نُحُورِ غَوَافِي (٤)
وَالْأَرْضُ تُعْجَبُ كَيْفَ تَضْحَكُ وَالْحَيَا يَبْكِي بِدَمْعٍ دَائِمٍ الْهَمَلَانَ (٥)
فَأَصْرَفَ هُمُومَكَ بِالرِّبْعِ وَفَضْلِهِ ؛ إِنْ الرِّبْعُ هُوَ الشَّبَابُ الثَّانِي
أَيُّ ؟ وَقَدْ صَفَّتِ الْمِيَاهُ وَزَخَرِفَتْ جَنَاتُ مِصْرَ ، وَأَشْرَقَ الْهَرَمَانُ ،
وَأَخْضَرَ وَادِيَهَا ، وَحَدَّقَ زَهْرُهُ وَالنَّيْلُ فِيهِ كَكَوْثَرِ بَجْنَانِ
وَبِهِ الْجَوَارِي الْمُنْشَاتُ ، كَأَنَّهَا عِنْدَ الْمَسِيرِ تَهْمُّ بِالطَّيْرَانِ
وَالْمَاءُ يُسْرِعُ فِي التَّدْفُقِ كُلَّمَا عَجَلَتْ عَلَيْهِ يَدُ النَّسِيمِ الْوَافِي (٦)

-
- (١) الجُمَائِلُ : جمع حميلة ، وهي رملة تنبت الشجر . يَخْطُرُ : يتأيل . النُّشْوَانُ : السكران .
(٢) سَوْقُ رَوَاقِصٍ ، مفرد السَّوْقِ : ساق ، وهي : ما بين الركبة والقدم .
(٣) الْغَيْرَانِ : شديد الغيرة .
(٤) الطَّلَعُ : طلع النخلة . وَالْخِلَالُ بفتح الحاء : الفرجة بين الشيئين والجمع خلال ،
وَالسِّكِّامُ : وعاء الطلع . الْغَوَافِي : جمع غافية ، وهي التي غنيت بحسنها عن الحلى .
(٥) الْحَيَا : المطر . وَالْهَمَلَانُ : الجريان .
(٦) الْوَافِي : الضعيف .

حتى إذا كُسِرَ الخليجُ وقُسمتْ أمواهُ لُجَّتِه على الخُلجانِ
ساوى البلادُ كما تُساوى فى الندى بين الأنامِ مَوَاهِبُ السلطانِ
ملكٌ إذا اكتحلَ للملوكُ بنُوره خَرُّوا لهيبته إلى الأذقانِ (١)
قد عَزَّ دينُ محمدٍ بِسَمِيهِ وسَمَّا بِمُصْرَتِهِ على الأذيانِ
شاهدتهُ فشَهدتُ لقمانَ الحجا ونظرتُ كسرى العذلُ فى الإيوانِ (٢)
ورأيتُ منه سَمَاحَةً وفَصَاحَةً أعَدَى بغيرِهما يَدَى ولسانى (٣)
وقال يهنى المؤيدُ بالقُدومِ من الصيد :

مرحباً بالحَيَا لكلِّ جديب لا عَدْمُنَا نواله وظِلَالَه (٤)
ملكُ الجودِ والثنا والمعالى والسجياتِ كلها والأصالة
رُقَّتْ حُلَّةُ الرياضِ فُخِّلْنَا أنْ رَوْضاً قد أَسْتَعَارَ خِلَالَه
وَأَبْتَغَى الأفقَ للعَلا فحَسْبُنَا أنه يُنْعَلُ الجِوَادَ هلالَه (٥)
جاء من صيده السعيد كبدراً ما رَأَى الطَّرْفُ فى السَّناء مثالَه (٦)
كم غزالٍ رَمَى ؛ فلوْ أَمَّنَ الشَّمَّ سَ من الخوفِ ما تَسَمَّتْ غَزَالَه (٧)

(١) الأذقان : مفردة ذقن ، وهى فى الإنسان مجمع لحية .

(٢) الحجا : العقل ، يريد لقمان الحكيم .

(٣) أعدى : من العدوى ، يريد أ كسب يده سَمَاحَةً ولسانه فصاحة مثل سَمَاحَةِ الملك المدوح وفصاحته .

(٤) الحيا : المطر . النوال : العطاء .

(٥) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلاً للجواد .

(٦) السناء : الرفعة .

(٧) الغزالة : اسم من أسماء الشمس ، والمعنى أن الملك كلف صيد الغزلان ، فلو أراد

ألا يجعل الشمس مما يصطاد ، لما كان من أسمائها : الغزالة .

ولعمري لو استجار به ألوح شُئَنَ — بعدما استقلت — نباله (١)
 أيد الله ملكه ووقاه وحمى سرّبه وصان جلاله (٢)
 وقال يحرض الأمير نور الدين على ملثقي المغول وحرّ بهم عند ما أغاروا على ماردين :
 أَمِنْ حَجَرٍ فَوَادُكَ أَمْ حَدِيدُ قَفِيهِ عَلَى الْوَغَى بَأْسٌ شَدِيدُ (٣)
 وَأَطْوَادُ حُلُومِكَ أَمْ جِبَالُ تَمِيدُ الرَّاسِيَاتُ ، وَلَا تَمِيدُ (٤)
 لَأَنَّكَ كَلَّمَا حَاوَلْتَ أَمْرًا يُصَوِّبُ فَعَلَّكَ الرَّأْيُ السَّدِيدُ
 طَلَعْتَ عَلَى الْعُدَاةِ ، وَأَنْتَ شَمْسُ فَذَابَ بِحَرِّ مَوْقِعِهَا الْجَلِيدُ
 أَغْرَتَ عَلَى حِمَاهُمْ غَيْرَ عَادٍ وَلَا قَوَا مِنْكَ مَا لَاقَتْ ثَمُودُ (٥)
 بِجَيْشٍ تَرْجُفُ الرَّايَاتُ فِيهِ وَتَحْقِيقُ دُونَ مَقْدَمِهِ الْبَنُودُ
 وَتَهْتَزُّ الدَّوَابِلُ فِيهِ عُجْبًا كَمَا اهْتَزَّتْ مِنَ الْمَرْحِ الْقُدُودُ (٦)
 عَجِلْتَ إِلَى قَرَاءِهِمْ بِعِزِّهِ يَذْنُوكَ الْأَمَدُ الْبَعِيدُ
 وَكَمْ وَانٍ يَعُدُّ الْعَجَزَ حَلَمًا فَيَنْدَمُ ؛ وَالنَّدَامَةُ لَا تُفِيدُ (٧)
 وَمَنْ يَرَى مَا يُرِيدُ وَكَفَّ جُبْنًا رَأَى مِنْ بَعْدِهِ مَا لَا يُرِيدُ

(١) ثنى : أرجع . واستقلت : يريد فارقت القوس .

(٢) حمى الله سرّبه : حفظ نفسه .

(٣) الوغى : الحرب . والبأس : القوة .

(٤) الطود : الجبل . حلوم : مفردة حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تميد الراسيات : تضطرب الجبال الشاخنة الثابتة .

(٥) عاد : معتد ظالم . وفي السكلمة إشارة إلى (عاد) المذكورين في القرآن الكريم وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمرود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

(٦) الدوابل : الرماح الرقيقة . المرح : شدة الفرح مع الإعجاب بالنفس

(٧) وان : ضعيف . حلما : أناة وعقلا .

وقال في فرسٍ أَدَمَ مُحَجَّل :

ولقد أروحُ إلى القنيصِ وأعتدى
رامَ الصباحِ من الدجى استنقادهُ
فكأنه صَنِغُ الشَّيْبَةِ هَابَهُ
وخطُ المَشِيبِ ، فجاءهُ من أسفلِ
وقال في وصفِ عُودٍ طَرَبَ :

وعُودُ به عادَ السرورُ لأنه
حَوَى اللّهُو قَدِماً وهو رَيَّانُ ناعمُ
يَعْرَبُ في تَشْرِيدِهِ فكأنه
يُعِيدُ لنا ما لَقْنَتْهُ الحَمَامُ

٨ — جمال الدين بن نباتة المصري^(٢)

قال يرثى ولداً له مات صغيراً :

اللهُ جارُك إنَّ دَمْعِي جارِي
يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوطارِ^(٣)
لما سكنتَ من الترابِ حديقةً
فاضتُ عليك العينُ بالأنهارِ
شَتَّانَ ما حالى وحالُك : أنتَ في
غُرَفِ الجنانِ ، ومُهَجَّتِي في النارِ
خَفَّ النَّجَا بك يا بُنَى إلى الشَّرَى
فسبقتني ، وثقلتُ بالأوزارِ^(٤)

(١) رام الصباح من الدجى استنقاده : أى طلب الصباح أن ينقذه فلم يفز بغير الأرجل ، وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض ، في حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

(٢) هو جمال الدين أبو بكر ولد بمصر وتوفي بها سنة ٧٦٨ هـ . ويظهر في شعره ذوق سليم ورقة ممتازة . وهو في هذه القصيدة يعارض أبا الحسن التهامي في قصيدته التي رثى بها ولدا له مات صغيراً كذلك وهى من البحر والقافية ، وقد تقدمت لك في هذا الجزء

(٣) الأوطار : جمع وطر ، الحاجة تهتم لها وتعنى بها .

(٤) النجا : مقصور النجاء ، وهو السرعة .

ليت الردى إذ لم يدعك أهاب بي ؛ حتى ندوم معاً على مضمار^(١)
 ليت القضا الخاوي تهمل ورده حتى حسبت عواقب الإضدار
 ما كنت إلا مثل لحفة بارق وأغرى الجفن بالإمطار
 أبكيك ما بكت الحمام هديلها وأحن ما حنت إلى الأوكار^(٢)
 أبكى بمحمر الدموع ؛ وإنما تبكي العيون نظيرها بنضار
 قالوا : صغير ! قلت إن ! وربما كانت به الحسرات غير صغار^(٣)
 وأحق بالأحزان ماض لم يسىء بيد ولا لسن ولا إضمار^(٤)
 نأى اللقا ، وجماء أقرب مطرحاً يا بعد مجتمع وقرب مزار
 كهفي لغصن راقى بنباته لو أمهله الترب للأنمار
 لهفى لجوهر خفت ، فكأننى حجبتها من أدمى ببحار
 لهفى لساير حار فيه تجلدى واحيرتى بالكوكب السيار
 سكن الثرى ؛ فكأنه سكن الحشا من قرط ما شغلت به أفكار
 أعزز على بأن ضيف مسامعى لم يحظ من ذاك اللسان بقارى !^(٥)
 أعزز على بأن رحلت ولم تخض أقدام فكيرك أنجر الأشعار
 أعزز على بأن نثرت على الثرى وعليك من دمعى كدر نثار^(٦)

(١) أهاب بي : دعانى .

(٢) الهديل هنا : أب للحمام زعموا أنه هلك فى القدم فهى تكيه .

(٣) إن : أى نعم .

(٤) اللسن بكسر اللام : اللسان .

(٥) أعزز على : أى ما أعز ذلك وما أصعبه . وقارى : من القرى وهو ما يقدم للضيف

الطعام ، أو من القراءة فى الكلمة تورية .

(٦) نثار : أى منشور .

أُبْنَى ، إِنَّ تُكْسَ التُّرَابَ فَإِنَّهُ غَايَاتُ أَجْمَعَنَا ، وَلَيْسَ بَعَار
 مَا فِي زَمَانِكَ مَا يَسُرُّ مُؤَمِّلًا فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْخِيَالُ السَّارِ
 لَوْ أَنَّ أَخْبَارِي لَدَيْكَ تَوَصَّلْتُ لَبَكَيْتَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ أَخْبَارِي
 أَحْزَانُ مَدَّ كِرٍ ، وَسَلْوَةٌ مُفْرَدٍ ، وَمُقَامُ مَضْيَعَةٍ ، وَذُلُّ جَوَارِ
 أُبْنَى ، إِنِّي قَدْ كَنَزْتُكَ فِي الثَّرَى فَانْفَعْ أَبَاكَ بِسَاعَةِ الْإِقْتَارِ (١)
 أُبْنَى ، قَدْ وَقَفْتُ عَلَى حَوَادِثُ فَوْقَنَ مِنْ طَلَلٍ عَلَى آثَارِ
 وَمَضَى الْبَيَاضُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا لَكِنِّهَا أَبَقَتْهُ فَوْقَ عِذَارِي (٢)
 نَمَّ وَادِعًا ، فَلَقْدَ تَقَرَّحَ نَاطِرِي سَهْرًا ، وَنَامَتْ أَعْيُنُ الشُّمَارِ
 أَرَعَى الدُّجَى وَكَأَنَّ ذَيْلَ ظَلَامِهِ مُتَشَبِّثٌ بِالنَّجْمِ فِي مِسْمَارِ
 خَلَعَ الصَّبَاحُ عَلَى الْمَجَرَّةِ سَجْفَهُ أَمْ قُسِّمَتْ شَمْسُ النَّهَارِ دَرَارِي (٣)
 تَبًّا لِعَادِيَةِ الزَّمَانِ عَلَى الْفَقَى ؛ فَلَقْدَ حِذَرْتُ وَمَا أَفَادَ حِذَارِي
 وَحَوَيْتَ دِينَارًا بِوَجْهِكَ فَانْتَحَى صَرَفُ الزَّمَانِ ، فَرَاغَ بِالْدِينَارِ (٤)

وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه في والده المؤيد :

هَذَا مَحَا ذَاكَ الْعَزَاءُ الْمَقْدَمَا فَمَا عَبَسَ الْحَزُونُ حَتَّى تَبَسَمَا
 ثُغُورُ ابْتِسَامٍ فِي ثُغُورِ مَدَامِجِ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهُمَا

(١) لعله يريد بساعة الإقترار يوم الحساب ، أى الإقترار من الحسنات ، وأن طفله سيكون له في ذلك اليوم ذخراً .

(٢) يشير إلى مشييه . والعذار : الشعر المحاذى للأذن .

(٣) المجرة : منطقة في السماء ذات نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، فترى كرقعة بيضاء . والسجف : الستر . والدراى : النجوم . والمعنى : هل خلع الصباح بياضه على المجرة ، فهو ما تراه من بياضها ، ولا صباح بعد ذلك ، أم أن الشمس تنأثرت بنجومها ، هى التى أراها ، وعلى ذلك لا تطلع الشمس ؟

(٤) يشبه وجه ابنه بالدینار بهجة وصفاء .

تفيضُ مجارى الدمع والبشرُ واضحُ
سقى الغيثُ عنا تربةَ الملكِ الذى
مليكان : هذا قد هوى لضريحه
ودوحه ملك شاذوى تكافأت
فقدنا لأعناق البرية مالكا
إذا الأفضل الملكُ اعتبرتَ مقامه
أعاد معانى البيتِ حتى حسبتُه
وناداهُ ملكٌ قد تقادمَ إرثُه
تقابلِ منه مقلةَ الدهرِ سوءَ ددا
ويقسمُ فينا كل سهم من الندى
كأنَّ ديارَ الملكِ غابَ إذا انقضى
كأنَّ عماد البيتِ غيرُ مقوَّض
نهضتَ فما قلنا : سيادةً معشرِ
أما والذى أعطاك ما أنتَ أهلهُ
وقد أنشَرَ الإسلامَ بالخلفِ الذى
فإن يكُ منْ أيوبِ بحمٍّ قد انقضى
وإن تكُ أوقاتُ المؤيدِ قد خلت
عليه سلامُ الله ما ذرَّ شارق

كوابل غيثٍ فى صُحَا الشمسِ قد هوى
تَدَانَتْ له الدُّنيا وعزَّ به الحمى
برغمى ، وهذا للأسرَّةِ قد سما
فغنصنُ ذوى منها ، وآخرُ قد نما^(١)
وشمنا لأنواع الجيـلِ مُتمِّمًا
وجدتَ زمانَ الملكِ قد عاد مثلما
بوزن الثنا والحمد بيتًا منظما^(٢)
فقام كما ترضى العُلا وتقدِّما
صميًا ، وتنضو الرأى غضبًا مُصمِّمًا
ويبعث للأعداء فى الروح أسهما^(٣)
به ضيغم أنشا به الدهر ضيغما^(٤)
وقد قت يا أركى الأنام وأحزما
تداعى ، ولا بُدَّيان قوم تهذِّما
لقد شاد من عليك ركناً مُعظِّما
تمكَّن فى عليائه ونحكما
فقد أطلعت أوصافك الغرَّ أنجما
فقد جدَّت عليك وقفاً وموسماً
(ورحمته ما شاء أن يترجما)^(٥)

(١) شاذوى : نسبة إلى يوسف بن أيوب بن شاذى ، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبي .

(٢) البيت : أى بيت الملك .

(٣) سهم من الندى : أى نصيب .

(٤) الضيغم : الأسد .

(٥) ذر : طلع ، والشارق الشمس .

وقال في الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابنا دَارُكُمْ والعيشُ نَعْمَانُ والسَّفْحُ دَمْعِي ، ودارُ القلبِ حَرَّانُ (١)
أشكو أشتياقًا ، وما بالوصل من قَدَمٍ كَأَنَّ وَصْلِي لَفَرَطِ الحُبِّ هَجْرَانُ
وَرُبَّمَا رُمْتُ أَنْ أَشْكُو الشَّهَادَ إِلَى عَدْلِ المَنَامِ ، وَقُلْتُ : النَوْمُ سُلْطَانُ
يَأْيِهَا النَّاصِرُ السُّلْطَانُ لَا غَمَضْتُ عَيْنٌ لَهَا عَنْ سَنَى مُرَّآكَ سُلْوَانُ (٢)
كَمْ فِي مَلُوكِ الْوَرَى فَضْلٌ وَمَعْرِفَةٌ كَانُوا ، وَمِثْلَكَ فِي ذَا النَحْوِ مَا كَانُوا
إِنْ يَمُضُ كَشْرَى فِكَمْ إِيوَانٌ مَعْدَلَةٌ لَدَيْكَ قَدْ زَاهِ يُمْنٌ وَإِيْمَانُ
أَمَرْتُ شِعْرِي يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَلَى أَشْعَارِ قَوْمٍ ، فَبَلَى أَمْرٌ وَدِيَوَانُ

٩ — محي الدين بن قرناص الحموى

قال بصف روضا :

سَقِيَا لَهُ رَوْضًا قُدُودُ غُصُونِهِ تَحْتَالُ فِي الْأَبْرَادِ مِنْ أَوْرَاقِهَا (٣)
جُنْتُ بِهِ وَرُقُ الحِمَامِ صَبَابَةً أَوْ مَا تَرَى الْأَغْلَالَ فِي أَعْمَاقِهَا ؟ (٤)

(١) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضا : صفة مشبهة من الفعل نعم ينعم أى سار ناعما لينا . حران : بلد شمالي الشام .

(٢) السنى : ضوء البرق .

(٣) قدود غصونه : قامات فروعها : تحتال : تعجب بنفسها مرحاً ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٤) ورق الحمام : جمع أوراق وورقاء . والحمامة الورقاء : التي لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الأغلال : مفردة غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق لأن الجنون كان يوضع في أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال أيضاً :

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ لَمَّا تَجَلَّتْ وَتَحَلَّتْ مِنْ النَّدى يُحْمَانُ^(١)
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا سَقَطَتْ مِنْ أُنَامِلِ الْأَغْصَانِ

وقال يصف نهرا :

وَرَبَّ نَهْرٍ لَهُ عَيُونٌ تَحَارُّ فِي وَصْفِهِ الْعَيُونُ
لَمَّا غَدَا الرِّيقُ مِنْهُ عَذْبًا مَالَتْ إِلَى رَشْفِهِ الْغُصُونُ^(٢)

١٠ - علي بن محمود المبارك^(٣)

قال يذم دار سكناه :

دار سكنتُ بها أَقْلُ صفاتها أن تَكْثُرَ الحشراتُ في جَنَبَاتِهَا
الخير عنها نازِحٌ متباعدٌ والشرُّ دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوضُ عدمته كم أعدمَ الأجفانَ طيبُ سباتها
وتبيتُ تُسَعِّدها براغيثٌ متى غنت لها رَقَصَتْ على نغماتها^(٤)
رقص بتغريض ولكن قافه قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذبابٌ كالضَّبَابِ يسدُّ عِيَّ نَ الشَّمْسِ ما طَرَبَى سَوَى غُنَّاتِهَا
أين الصَّوَارِمُ والقَنَا من فَتَسْكُهَا فينا وأين الأسدُ من وثباتِها ؟

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة الآلىء.

(٢) الرشف : المص .

(٣) هو علي بن محمود المبارك كمال الدين بن الأعمى الشاعر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٤) تسعدها : تعاونها .

وبها خفافيش تطيرُ نهارَها مع ليلها ليست على عاداتها
شوكاتها فاقت على سُمرِ القنَا فاعجب لِشِدَّةِ فتكها وثباتها
وبها من الجُرْذَانِ ما قد قصَّرت عنه العِتاقُ الجُرْدُ في حَمَلاتها^(١)
ولها زنابير تُظنُّ عقارباً لا براءَ للمسموم من لدغاتها
ولها عقاربٌ كالأقارب رُتِعَ فينا حمانا الله لدغ حَمَلاتها^(٢)

١١ - ابن سعيد المغربي^(٣)

قال بصف الجيزة :

إن للجيزة في قلبي هوى لم يكن عندي للوجه الجميل
يرقصُ الماءُ بها من طربٍ ويميل العنن للظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها فلذا تصفر في وقت الأصيل

١٢ - محمد بن سليم المصري^(٤)

كتب إلى السراج الوراق في حمار له سقط في بُر فمات :

يفديك جَحْشُكَ إذ مضى مُتَرَدِّياً وبقالٍ يُفدى الأديبُ وطارف
عدم الشعير فلم يجدده ولا رأى تبنا وراح من الظما كالتالف
ورأى البؤيرة غير خافٍ ماؤها فرمى حشاشة نفسه للخواوف
قوم يموت حمارهم عطشاً لقد أزرؤا بحاتم في الزمان السالف

(١) العتاق : الحيل . والجرد : جمع أجرد وهو السباق منها .

(٢) الحَمَات : جمع حمة ، وهى إبرة العقرب التى تضرب بها .

(٣) توفى سنة ٦٧٣ هـ .

(٤) هو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري المتوفى سنة ٧٠٧ هـ .

١٣ — ابن الجنان^(١)

قال يصف روضاً على نهر :

ودوِّج بدت معجزاتُ له تبينُ عليه وتدعو إليه
جری النهرُ حتى سقى غصنَه فمال يقبِّلُ شكراً يدَّيه
وكفُّ الصَّبَا صنعت حَلِيَه فأضحى الحمامُ ينادي عليه
كساه الأصيلُ ثيابَ الضَّنى فحلَّ طيبُ الدِّياجي لديه
وجاء النسيمُ له عائداً فقام له لا ثمناً معطفيه

١٤ — محمد بن الحسين^(٢)

قال في نوح الحمام :

ولقد رأيت الأراك حمامةً تبكى فتُسعِدُنِي على أحزاني^(٣)
تبكى على غُصْنٍ وأندُبُ قامةً فجميعنا يبكى على الأغصان
صرَّعَ الزمانُ وحيدَها فتعلَّلتُ من بعده بالنوح والأحزان
تخشى من الأوتارِ وهي مُروعةٌ فلِمَ غَنَّتْ على العيدان ؟

(١) توفي سنة ٦٧٥ هـ .

(٢) هو الشاعر النديم ، صاحب الموصل ، توفي سنة ٦٥٨ هـ .

(٣) الأراك : شجر يستاك به .

١٥ - محمد بن الحسن الصائغ العروضي^(١)

قال يتشوق - وهو بمصر - إلى دمشق :

لى نحو ربك دائماً يا جلقُ شوقٌ أكادُ به جوّى أتمزقُ
وهولُ دمع من جوّى بأضالعِ ذا مُغرقٌ عيني وهذا محرقُ^(٢)
أشفاقُ منك منازلٍ لم أنسها أنى !؟ وقلبي في ربوعك موثقُ

١٦ - ابن دقيق العيد^(٣)

قال يتمنى الجمع بين الشباب والشيب :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى وقربَ منى في صباى مزاره
فأخذ من عصرِ الشَّبَابِ نشاطه وأخذ من عصرِ المشيبِ وقاره

وقال في الشكوى :

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدةً وقعتُ بها في حيرةٍ وشَتَاتِ
فإن بُحْتُ بالشكوى هتكتُ مروءةً وإن لم أبح بالصبر خفتُ مَمَاتِي
وأعظمُ به من نازلٍ بمِلَّةٍ يزِيلُ حياي أو يزِيلُ حياي

وقال في بعض الوزراء :

مقبِلٌ مدبرٌ بعيدٌ قريبٌ محسنٌ مذنبٌ عدوٌّ حبيبٌ
عجبٌ من عجائب البرِّ والبحرِ ونوع فرْدٌ وشكلٌ غريبٌ

(١) توفي سنة ٧٢٢ هـ . (٢) الجوى : شدة الوجد .

(٣) هو محمد بن علي بن وهب الإمام أبو الفتح بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ .

١٧ — مجير الدين بن تميم

قال يصف روضاً :

بعث النسيمُ رسالةً بقدومه للروض فهو بقربه قرحانُ
ولطيب ما قرأ الهزارُ بشدوه مضمونها مالت له الأغصانُ^(١)

وقال في وكيل بدار القاضى بدمشق :

لا تقرب الشرع إذا لم تكن تحبّه فهو دقيقٌ جميل^(٢)
ووكّل العزّ الذى وجهه على جناح الأمر أقوى دليل
ولا تمل عنه إلى غيره وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال في روضة :

أرضٌ كساها القطرُ حلةً سندسٍ رُقمت لها طُرّاً من الغُدران^(٣)
وفدّ النسيم أضاع نشرَ رياضها فالورقُ تَشُدّه بكلّ مكانٍ^(٤)

وكتب إلى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق :

كَلّ الدين يامولاي يا مَنْ يعزُّ البحرَ فى بَذل النوال^(٥)
أتيت الحاجة ؛ فاغنم ثنائى عليك بها وشكّرى وابتهالى

(١) الهزار بفتح الهاء : طائر . (٢) تحبّه : تعلمه . دقيق : أمر غامض .

(٣) القطر : المطر . والمعنى أن القطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات ، رسمت لهذه الحلة طرّاً ، أى جوانب من الغدران ، أى المياه التى غادرها المطر .

(٤) أضاع : إما ضيعه أو أفقده ، وإما بثه فى الجو ، وضاع الطيب : انتشرت رائحته . والنشر : الريح الطيبة . والورق : جمع ورقاء وهى الحمامة .

(٥) يعزه : يفوقه ويزيد عليه .

ولا نجعل سواك لها ؛ فإنّي عليك بنُجُجها وَقَعَ اتِّسَالِي
أَجْمَلُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ : إِنِّي أَتَيْتُ كَلْجَةً لَمْ تَقْضِهَا لِي ؟
وَأُضْمِحُ بَيْنَهُمْ مَثَلًا لِأَنِّي أَنَا نِ الْقَصُّ مِنْ جِهَةِ الْكَمَالِ

وقال في رثاء صديق له اسمه قطب الدين :

نَأَيْتُمْ فَلَا قَلْبِي عَنِ الْحُزْنِ مُقْصِرٌ عَلَيْكُمْ وَلَا جَفْنِي بِحِفْ لَهْ غَرْبُ (١)
وَأَفْلَاكُ لَدَائِي تَعَطَّلَ سَيْرُهَا وَهَلْ فَلَكَ يَسْرَى إِذَا عَدَمَ الْقُطْبُ (٢)

وقال في التشوق :

لَا تَبْعَثُوا غَيْرَ الصَّبَا بِتَحِيَّةٍ مِنْ أَرْضِكُمْ ! فَلَهَا عَلَى جَمِيلٍ : (٣)
خَاضَتْ دُمُوعَ الْعَاشِقِينَ وَعَرَّجَتْ عَنْهُمْ إِلَى وَتُوبِهَا مِنْ بَلُولٍ

وقال في الغزل :

وَعِيرَنِي بِالشَّيْبِ قَوْمٌ أَحْبَبُهُمْ فَقُلْتُ وَشَأْنُ الْعَاشِقِينَ التَّجَمُّلُ :
بَعَثْتُ إِلَى رَأْسِي الْمَشِيبَ بِهَجْرِكُمْ وَمَهْمَا أَتَى مِنْكُمْ عَلَى الرَّأْسِ يُحْمَلُ
وَقَالَ فِي لَيْلَةِ سَكْرٍ :

وَلَيْلَةٌ بَتِ أَسْقَى فِي غِيَاهِبِهَا رَاحًا تَسْلُ شَبَابِي مِنْ يَدِ الْهَرَمِ (٤)
مَا زِلْتُ أَشْرِبُهَا حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى غَزَالَةِ الصُّبْحِ تَرَعَى نَرْجَسَ الظُّلَمِ (٥)

(١) مقصر : مقلع وكاف عن الحزن عليكم . والجفن : يريد العين . الغرب : انهلال الدمع من العين .

(٢) الأفلاك : واحد أفلاك النجوم . والقطب : كوكب بين الجدي والفرقدين يدور عليه الأفلاك .

(٣) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس . وهى ندية بليلة .

(٤) الغياهب ، الظلمات . الراج : الخمر .

(٥) غزالة الصبح : الشمس . ونرجس الظلم : النجوم .

وقال يهجو :

لَمَّا جَسَسْتُكَ بِالْمَدِيحِ وَلَمْ أَكُنْ أَدْرَى بِأَنْكَ خَامِلٌ فِي النَّاسِ ^(١)
نَادَيْتُ لَمَّا أَنْ جَسَسْتُكَ بِالْهَجَا : أَكَلِيْبُ خَذَهَا مِنْ يَدَيِ جَسَّاسٍ !

وقال يمدح النرجس :

مُذْ لَا حَظَّ الْمَنْشُورُ طَرْفَ النَّرْجِسِ أَلْ مَزُورٌ قَالَ ، وَقَوْلُهُ لَا يُدْفَعُ : ^(٢)
فَتَّحْ عُيُونَكَ فِي سِوَايَ ؛ فَإِنِّي عِنْدِي قُبَالَةٌ كُلِّ عَيْنٍ إِصْبَعُ

وقال في روضة :

أَيَا حُسْنَهَا مِنْ رَوْضَةٍ ضَاعَ نَشْرُهَا فَنَادَتْ عَلَيْهِ فِي الرِّيَاضِ طَيُورٌ ^(٣)
وَدُولَابُهَا كَانَتْ تَعُدُّ ضُلُوعَهُ لَكثْرَةِ مَا يَبْكِي لَهَا وَيَدُورُ

وقال أيضاً :

لِمَ لَا أَمِيلُ إِلَى الرِّيَاضِ وَحُسْنِهَا وَأَعِيشُ مِنْهَا تَحْتَ ظِلِّ صَافِي ^(٤)
وَالزَّهْرُ يَلْقَانِي بِشَفَرٍ بِاسِمٍ وَالْمَاءُ يَلْقَانِي بِقَلْبٍ صَافِي

(١) الجسس بالشيء : المس به ، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جساس ابن مرة . سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضاً صيغة مبالغة من جس ففي كل من كليب وجساس تورية .

(٢) المنشور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزور : المنحرف . لا يدفع : لا يرد ، قبالة الشيء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعني انتشرت راعحتها الطيبة . الدولاب . المنجنون التي تديره الدابة :

(٤) الظل الصافي : المتسع .

١٨ — الشهاب الخفاجي^(١)

قال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبي^(٢) :

حَتَّامٌ يَغْزُونِي صُدُودُهُ	والصبرُ قد كثُرَتْ جنودُهُ ^(٣)
لم أدر : فَاتَرُ جَفْنِيهِ	وَالْخَصْرُ أُسْقَمُ أَمْ عُهُودُهُ ^(٤)
نَشْوَانُ يَعْثُ بِي كَمَا	عَبَثَ بِأَمَالِي وَعُودُهُ ^(٥)
لَوْلَا مِيَاهُ الْحُسْنِ جَا	لَتَ فِيهِ لَا حَتَرْتُ خُدُودُهُ
كَالْصَّبِّ لَوْلَا دَمْعُهُ	يَهْمِي لِأَحْرَقَهُ وَقُودُهُ ^(٦)
يُخْفِي الْهَوَى وَعَيْوَنُهُ	بِغَرَامِهِ الْمُضْنِي شُهُودُهُ
فَسَقَى رِيَاضَ الْحُسْنِ مِنْ	دَمْعِي حَيًّا يَهْمِي مَدِيدُهُ ^(٧)
زَمَنٌ بِحَبِيدِ اللَّهِوْ قَدْ	نُظِمَتْ عَلَى نَسْقٍ عَقُودُهُ ^(٨)
إِذْ دَوْحٌ أَنْسَى يَانَعُ	بِكُثُوسِنَا انْفَقَحَتْ وَرُودُهُ ^(٩)
وَالْكَأْسُ نَجْمٌ لَاحَ فِي	فَلَكَ الْمَسْرَّةُ لِي سَعُودُهُ

(١) ولد في سرياقوس وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فالأستانة ، وكان من رجال اللغة والأدب توفي سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) أجابه محمد علي هذه القصيدة بقصيدة تأتي في ص ١٣٩ .

(٣) حَتَّامٌ أصلها : حتى ما . فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزوني : يسير إلى قتالي وانهبني . والصدود : الإعراض .

(٤) جفن فاتر : غير حاد النظر . والخصر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٥) النشوان : السكران . ويعث بي : يلعب بي .

(٦) الصب : المشتاق الذي يكابد حرارة الشوق . يهمني : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله

(٧) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٨) نسق : نظام واحد .

(٩) الدوح : الأشجار العظيمة . الورود : جمع ورد .

يَصِفُو فَيُحْلِي ذَكَرَ مَنْ قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابنُ قاسمٍ الَّذِي ما زال في تعب حُسُودِه

١٩ - السيد عبد الرحيم العباسي

قال يصف ضعفه :

أرْعَشَنِي الدَّهْرُ أَيَّ رَعَشٍ وكنتُ ذا قوة وبَطْشٍ
قد كنتُ أمشي واستُ أَعْيَا فصرتُ أَعْيَا ولستُ أمشي

وقال يشكو من الأصدقاء :

مالي أرى أحبابنا في الناس صاروا كمثل حَبَابِنَا في الكاس^(١)
بيننا يَرُوقُكَ عند أولِ نَظْرَةٍ كاللُّؤلُؤِ المتناسِقِ الأجناسِ
فإذا أعدتَ الطرفَ فيهم لم تجد شيئًا ؛ وصار رَجَاؤُهُم كالِيَاسِ

وقال يصف الصداقة الحق :

لست عن ودِّ صديقي سائلًا غيرَ قلبي فهو يَدْرِي ودَّه
فكما أعلم ما عندي له فكذا أعلم مالي عنده

وقال في لثيم ابتداء بالتحية :

رأيتُ لثيمَ قومٍ في مَمَرٍ وبين يَدَيْهِ أشخاصُ لثامٍ
فسلمَ منُ جهالٍ ابتداءً فقلتُ له : متى كَسَدَ السَّلامُ ؟^(٢)

(١) الحباب : ما يرى على الماء من الفقاقيع ولا يلبث أن يفنى .

(٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج ، يريد : متى امتنع ؟

وقال في الحكمة :

حالُ المَقْلِّ ناطقٌ عَمَّا خَفَى مِنْ عَيْبِهِ
فَإِنْ رَأَيْتَ عَارِيًّا فَلَا تَسْلُ عَنْ ثَوْبِهِ

٢٠ - محمد بن القاسم الحلبي

قال يجيب الشهاب الخفاجي على قصيدته التي تقدمت (١) :

للظبي لفتته وجيده والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذي في ثغره منه نصيده (٢)
وبوجهه شرك العقول ؛ فأى عقل لا يصيده !؟ (٣)
في كل يوم للهوى من حسنه معنى يزیده
يستوقف الأبصار حتى لا يسوغ لها وروده
ملك تحكم في الجبال فنال منه ما يريد
ما زال يسطو في الوري من فعل مقلته جنوده
حتى ظننا أنه بالأجر آثره شهيد
يبدي الصدود وكلما صانعه عنه يعيده (٤)
أتراه يجحد ما لقيت به وهل يغني ججوده
وهو النهار إذا بدا من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا « شهاب » الفضل إذ طلعت سعوده
ما زال يسمو في سماء الجحد زينها وجوده ؟

(٢) النصيد : المتسق المرصع .

(١) انظر ص ١٣٧ .

(٣) الشرك : الصيد .

(٤) صانعه عنه : أي حاولت أن أردده عنه ، وأغريه بالوصل .

حتى تقطعت المطا مِيع عنه واستعفى حسوده
وقاد فكر ؛ أى خط ب ليس يُطفئه وقوده^(١)
كرمت له هم إلى غير الملا ليست تقوده
يزهو على جيد الزما ن بما ينمقه فريده^(٢)
من كل سجع من مزا يا الحسن قد نظمت عقوده
وإذا ذكرت الشعر فهو كما سمعت به لبيده^(٣)
قد كنت أجهد في ابتغا ء لقاء أيام تفيده
حتى وفّت لي بالدى قد كان فى أملى وعوده
فلقيته البحر الخضم يفيض للعافين جوده
متدفقا بالفضل تخشى أن يفرقها وفوده
مولاي ؛ غذراً إنها من خاطر قد جفّ عوده
بعدت بقول الشعر فى عهد الصبا حيناً عهوده
لبي دُعاك ؛ وأى مو لى لا تلبيه عبيده ؟
ما ضرّه عيدٌ نأى مادام من لقياك عيده

٢١ - أحمد بن على العلقمى

قال يتمدح :

يا بصارنا وجهك المذهب يكاد سنى برقه يذهب
وأشواقنا فيك لا تنقضى وشمسُ جمالك لا تغرب

(١) وقوده : اتقاده .

(٢) الفريد : صغار الأولؤ تفصل بين العقد المنظوم والذهب ، ويريد الشاعر أن ما يكتبه
للمدوح من نثر وشعر يكون كالعقد المفصل فى جيد الزمن .
(٣) لبيد : شاعر جاهلى وأحد أصحاب المعلقات .

وحبك في الماء مستودع وأشربه كل من يشرب
وفي كل عين وقلب به مشيراً لك المنزل الأرحب
وذاذك جنة أهل النهى ونفسك عنصرها أطيب
فمن غير نطقك لا نشفى ومن غير ذاك لا نظرب
وكم لك من رتب في العلا تعالى العلا إذ لها ينسب^(١)

٢٢ - عبد الرحمن بن عماد الدين

قال في الموت وطلب الرحمة :

قد شاب فودي حين شاب فؤادي فكأنما كنا عل ميعاد^(٢)
حسن الخواتم أرتجى من محسن قد منّ لي قدماً بحسن مبادي
وعمادي التوحيد فهو وسيلتي في نيل ما أرجوه عند معادي^(٣)
إن قيل : أي سفينة تجرى بلا ماء وليس لأهلها من زاد
قل : رحمة الرحمن من أنا عبده تسع العباد ، فمن هو ابن عماد

٢٣ - الأمير محمد بن منجك

قال متغزلاً :

تناهى عنه الأمل وقصر دونه العذل^(٤)
رشاً يفتر عن برّد تكاد تذيبه القبل^(٥)

(١) أي أن العلا يشرف ويسمو إذا حصلت على رتبة عالية .

(٢) الفود : الشعر على جانب الرأس مما يلي الأذن .

(٣) المعاد : الحياة الأخرى .

(٤) تناهى : انتهى ، والعذل : اللوم والعتاب .

(٥) رشا : إصله رشا فسهلت همزته وهو الظبي إذا قوى ومشى مع أمه ، يفتر : يضحك

ضحكاً حسناً . البرد : حب الغمام يشبه به الأسنان ، القبل : جمع قبلة .

يَخَامِرُ عَظْمَهُ ثَمَلٌ يَمِيلُ بِهِ وَيَعْتَدِلُ^(١)
يُمَثِّلُ مَا يَرُوقُ لَنَا بِصَفْحَةٍ خَذَهُ الْخَجَلُ
فَلَيْتَ بِهِ كَمَا انَّصَلَتْ حَشَايَ الطَّرْفِ يَتَصَلُ^(٢)
إِذَا مَا الْخِذْرُ أَبْرَزَهُ تَنَاهَبُ حُسْنُهُ الْمُقَلُ^(٣)
لَقَدْ أَغْرَاهُ فِي تَلْفِي شَبَابٍ نَاضِرٍ خَضِلُ^(٤)
وَقَدْ حَشَوَهُ هَيْفٌ وَطَرَفَ مَلُوهُ كَجَلِ^(٥)

٢٤ — إبراهيم بن المبلط

قال من قصيدة طويلة في الغزل :

حَدَّثْتُ بَانَةَ الْحِمَى عَنْ صَبَاها عَنْ ثَنِيَّاتٍ مَكَّةَ عَنْ صَفَاها^(٦)
أَنَّ عَصَرَ اللَّقَاءِ آنَ وَوَافَى ، وَزَمَانَ النَّوَى انْقَضَى وَتَنَاهَى^(٧)
وَنَسِيمَ الصَّبَا يُؤَدِّي الْأَمَانَا تِ إِلَى أَهْلِهَا كَمَا قَدْ رَوَاهَا
كَمْ نَسِيمٍ سَرَى فَسَرَّ قُلُوبَا شَفَّهَا الْبُعْدُ وَالنَّوَى فَشَفَّاهَا^(٨)

-
- (١) يَخَامِرُ : يخالط . وَالْعَظْفُ : الْجَانِبُ . وَالثَّمَلُ : السَّكْرُ .
(٢) أَى فَلَيْتَ عَيْنِي تَرَاهُ وَتَتَصَلُّ بِهِ ، كَمَا انَّصَلُ بِهِ قَلْبِي عَشْقًا وَمَحَبَّةً .
(٣) الْخِذْرُ : سِتْرٌ يَمُدُّ لِلْمَرْأَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ . وَتَنَاهَبُ أَصْلُهَا ، تَتَنَاهَبُ ، حَذَفَتْ إِحْدَى التَّأْمِينَ تَخْفِيفًا ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِعْلًا مَاضِيًا . أَى نَهَيْتُ .
(٤) الْخَضِلُ ، الْغُذَى الْمَبْتَلُ ، يَرِيدُ النُّعُومَةَ وَاللَّيْنُ .
(٥) الْقَدُ : الْقَامَةُ . الْهَيْفُ : ضَمُورُ الْبَطْنِ وَالْخَصْرِ .
(٦) الْبَانَةُ : وَاحِدَةُ الْبَنَاتِ ، شَجَرٌ مَعْرُوفٌ . الْحِمَى : مَا يَحْمِي وَيُحْفَظُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
الْعَصَا : رِيحٌ . ثَنِيَّاتُ مَكَّةَ : جِبَالُهَا . وَالصَّفَا مِنْ مَشَاعِرِ مَكَّةَ فِي جَنُوبِ الْمَسْجِدِ .
(٧) آنَ : حَانَ وَقَرُبَ . وَوَافَى : أَتَى . تَنَاهَى : انْتَهَى .
(٨) شَفَّاهَا الْبُعْدُ : هَزَلُهَا .

تَعْرِفُ الْعَاشِقِينَ مِنْهَا نَسِيًّا تٌ ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهَا بِشَدَّاهَا^(١)
 إِنَّ أَيْدِيَ الْفِرَاقِ جَارَتْ عَلَيْنَا فِي قَضَاءٍ فَحَسَبُهَا وَكَفَاهَا
 آهَ وَأَوْخَشَتْ لِأَخْشَاءِ قَلْبِي وَقَلِيلٌ قَوْلِي عَلَى الْبُعْدِ : آهَا

٢٥ - نور الدين العسيلي

قال يصف دولاباً^(٢) :

وَدَوْلَابٍ مَرَرْتُ بِهِ سُحَيْرًا يَنْ كَأَنَّهُ الصَّبُّ الْمَرُوعُ^(٣)
 غَدَتِ أَضْلَاعُهُ تَنْهَدُ سُقْمًا وَيَفْنَى جِسْمُهُ صَبُّ الدُّمُوعِ^(٤)
 بِدَوْرٍ كَمَنْ أَضَلَّ الْإِلْفَ مِنْهُ وَذَاقَ تَشْتَتِ الشَّمْلِ الْجَمِيعِ^(٥)
 فَقُلْتُ لَهُ : فَذِيَّتُكَ مِنْ كَثِيبِ كَسَاهُ الهمُّ أَثْوَابَ الْخُشُوعِ
 عَلَامُ أَرَاكَ تَبْكِي كُلَّ وَقْتٍ وَتَهْتَفُ فِي الْمَنَازِلِ وَالرُّبُوعِ^(٦)
 فَقَدْ قَرَّبْتَ لِي حُزْنَاً بَعِيداً وَنَحْنَانِي نُوَاحُكَ عَنْ هُجُوعِ^(٧)
 فَقَالَ : أَمَا عَلِمْتَ بَأَنَّ مِثْلِي خَلِيقٌ بِالصَّبَابَةِ وَالْوَلُوعِ ؟^(٨)
 فَإِنِّي كُنْتُ فِي رَوْضٍ رَفِيهَا أَيْتُ مِنَ الْأَزَاهِرِ فِي جُجُوعِ^(٩)

-
- (١) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .
 (٢) الدولاب بضم الدال وفتحها : الساقية ، وهي كلمة دخيلة عربها العرب .
 (٣) سحيرا : تصغير سحر ، وهو قبيل الصبح . والمروع من راعه الهم وأفزعه .
 (٤) صب الدموع : انسكابها .
 (٥) أضل الإلف : فقدته . تشتت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .
 (٦) تهتف : تصيح . والربوع : جمع ربع وهو الدار .
 (٧) نحاني : أبعدني . الهجوع : النوم ليلا .
 (٨) الصبابة : رقة الشوق وحرارته .
 (٩) الرفيه : المستريح المتنعم .

- ولى فى المُنْتَمَى أغراقُ صِدْقِ أَصُولُ أُنْجِبَتْ أَرْكَى فَرْوَعِ^(١)
 إِذَا مَا الْوَرْدُ قَابِلْنِي وَحَيًّا تَضَرَّجُ وَجَنْتَاهُ بِالنَّجِيعِ^(٢)
 وَيَضْفَرُ الْبَهَارُ لَدَى خَوْفًا كَهْمَرَةٍ عَاشِقٍ صَبَّ مَرْوَعِ^(٣)
 وَإِنْ قَصَدَتْ بَنُو الْآدَابِ رَبْعِي أَجُودُ مِنَ النَّشَارِ عَلَى الْجَمِيعِ^(٤)
 فَقَبِّضْنِي الشَّقَاءُ إِلَى غَيِّ شَدِيدِ الْبَطْشِ جَبَّارِ قَطُوعِ^(٥)
 فَأَقْمَانِي عَلَى رَأْسِي صَرِيهًا وَأَنْتَ مُشَاهِدُ حَالِ الصَّرِيعِ
 وَقَطَّعَ لُطْفَ أَوْصَالِي بَعْثُفٍ وَصَارَ يَدُوقُ عَظْمِي فِي ضُلُوعِي^(٦)
 فَصُرْتُ أَرَى الَّذِي قَدْ كَانَ دُونِي أَنْفَ ، وَصَارَ ذَا شَاوٍ رَفِيعِ^(٧)
 عَلَى قَلْبِي أَدُورُ عَنِّي وَأُنْكِى عَلَيْهِ أَسَى كَمَقْلَاقِ هَلُوعِ^(٨)
 فَكَيْفَ أَلَامٌ إِنْ أَدْمَنْتُ نُوحِي وَجُدْتُ بِمَدْمَعِ الطَّرْفِ الْهَمُوعِ^(٩)
 وَحَالِي نَاصِحٌ أَبْنَاءَ جِنْسِي ؛ فَلَا تَعْتَدُ بِالْجُدْعِ الْمَنِيعِ^(١٠)
 فَإِنَّ الدَّهْرَ كَالصِّيَادِ كَيْدًا وَأَسَبَبُ الْقَضَا شَرَكُ الْوُقُوعِ^(١١)

- (١) المنتمى : النسب والأصل .
 (٢) النجيع : الدم الضارب إلى السواد .
 (٣) البهار : نوع من النباتات يسمى العرار .
 (٤) ربعى : دارى . النشار : المثور ، يريد نثار الأزهار .
 (٥) ققبضنى فجاء بى .
 (٦) لطف أوصالى : دقة مفاصلى .
 (٧) أناف : ارتفع . الشأو : الغاية . والرفيع : العالى .
 (٨) العنا : أى العناء ، وهو هنا الخضوع والدلة . والمقلاة : ناقة تلد واحدا ، ثم لا تحمل بعده ، وامرأة لا يعيش لها ولد ، الهلوع كثير الجزع .
 (٩) أدمنت نوحى : أدمته . الطرف الهموع . العين الكثيرة سيل الدموع .
 (١٠) الجدع : ساق النخلة . والنيع . القوى الحصين الذى يمتنع على من رام اقتلاعه .
 (١١) الشرك : حباثل العوائد ، الواحد شركة .

٢٦ - الأستاذ الإمام أبو المواهب البكرى

قال يصف يوم مرح وأنس :

يا يَوْمَ بُولَاقٍ وَأُنْسِي بِهِ حَكَكَ مِنْ شَوَّالٍ يَوْمُ الْهَلَالِ
وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ جَنُوبًا ، وَمَا مِنْ عَارِضٍ إِلَّا نَسِيمُ الشَّمَالِ^(١)
يَا عَارِضًا أَوْجَبَ لِلنَّيْلِ مَا سَأَسْأَلُهُ ، وَهُوَ طَلِيقُ الْمَجَالِ^(٢)
وَقَهْوَةٌ تَنْضَحُ مَسْكًَا ، وَلَا بَدْعَ ، فِي الْفَنْجَانِ شَكْلُ الْغَزَالِ^(٣)
حَبَابُهَا مِنْ فَوْقِهَا مَانِعٌ نِفَارُهُ ؛ فَهُوَ شَبَّابُ الْأَلَالِ^(٤)
تُدِيرُهَا هَيْفَاءُ مَمْشُوقَةٌ خَوْدٌ تَثْنَتْ فِي بُرُودِ الدَّلَالِ^(٥)
كَأَدَّ حِجَابًا مَنْ أَقْبَلَتْ نَحْوَهُ يَذْهَبُ مِنْ رَنَاتِ تِلْكَ الْحِجَالِ^(٦)
بَغْرَةٌ أَوْ طَرَّةٌ وَزَعَتْ أَفْكَارَنَا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ^(٧)
تَقُولُ لِلشَّمْسِ ، وَقَدْ أَقْبَلْتُ : تَلْتَمِئُ مَا أَنْتَ إِلَّا خَيَالٌ

(١) عارض : مانع يمنع من المضي .

(٢) سلسله : أجراءه في حدود . طليق المجال : غير مقيد في جولاته وسيره .

(٣) القهوة : من أسماء الحجر . لا بدع : معناه لا عجب . والمسك : من دم دابة كالظبي يقال لها غزال المسك . والمعنى : أن هذه الحجر يفوح منها طيب كالمسك ، ولا عجب ، فإن صورة غزاله على الفنجان الذي فيه الحجر .

(٤) الحباب : نفاخات الماء التي تعلوه . واللال : اللالي .

(٥) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الحصر . ممشوقة : حسنة القوام . الخود : الحسنة الخلق الشابة . تثنت : تمايلت . البرود : الثياب . الدلال : هو جرأة المرأة في تكسر ؛ كأنها مخالفة ليس بها خلاف

(٦) الحجال : الخلاخيل .

(٧) الغرة : الوجه . والطرة : الناصية

٢٧ — الشيخ عبد الله الشبراوى^(١)

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الرومية ؛ وبعد
أن بات ليلة وجد مذبحاً :

أيها القوم وَكُم ! قد هدَمْتُمُ	بنيَّةَ الله ، واتَّهَمْتُمُ عِبَادَهُ ^(٢)
وَذَبَحْتُمُ هذا المَهْذَبَ غَدْرًا	وَقَطَعْتُمُ بَغْلَظَةً أَوْرَادَهُ ^(٣)
ثم نُحِثُّ عليه زُورًا : ولكن	ذاك أمر قَضَى الإله نَفَادَهُ ^(٤)
أيها النائحون مهلاً ! فَمَنْ ذَا	نالَ من دهره الخُمُونُ مُرَادَهُ
لا تُطِيلُوا على النقيبِ نَحِيبًا	فهو بالدَّيْخِ نالَ أعلى سَعَادَهُ ^(٥)
كم نبيٍّ وصالحٍ وولى	ماتَ قتلاً ، ونالَ أَجَرَ الشَّهادَةِ
هذه سُنَّةُ الأماجِدِ قَدَمًا	كحُسَيْنٍ وسَعْدِ بْنِ عُبَادَةِ
حازَ هذا الشريفُ لطفًا من الله	وَسَاوَى فى حَوْزِهِ أَجْدَادَهُ
لوفورِ الاجورِ والرتبةِ العُلَى	يا وحُسْنَى من رَبَّنَا وَزِيَادَهُ
يا خليلي لا تأسفنَّ وأرَّخْ	قَدَّرَ الله قَتْلَهُ وأَرَادَهُ

(١) توفى سنة ١١٧٣ هـ .

(٢) بنيَّة الله : ما بناه الله .

(٣) الغدر : ترك الوفاء ، الوريدان : عرقان فى العنق والجمع : أوردة وورود لا أوراد

كما جمع الشاعر .

(٤) نفاذه : فناءه ، يريد وقوعه .

(٥) أى أنه مات مقتولا مظلوما . فكان جزاؤه الجنة . ونال سعادة الدار الأخرى .

وهى الباقية الخالدة .

وقال في بعض أسفاره متشوقاً إلى مصر :

أَعِذْ ذِكْرَ مِصْرٍ ؛ إِنَّ قَلْبِي مُولِعٌ بِمِصْرَ ، وَمَنْ لِي أَنْ تَرَى مُقْلَتِي مِصْرًا ؟^(١)
وكرر على سمعي أحاديثَ نِيلِهَا ؛ فَقَدْ رَدَّتِ الْأَمْوَاجُ سَائِلَهُ نَهْرًا
بِلَادُهَا مَدَّ السِّمَاحُ جَنَاحَهُ وَأَظْهَرَ فِيهَا الْمَجْدُ آيَتَهُ الْكُبْرَى^(٢)
رُويْدًا إِذَا حَدَّثَنِي عَنْ رُبُوعِهَا فَتَطْوِيلُ أَخْبَارِ الْهَوَى لَذَّةٌ أُخْرَى
إِذَا صَاحَ شُحْرُورٌ عَلَى غُصْنٍ بَانَةٍ تَذَكَّرْتُ فِيهَا اللَّحْظَ وَالصَّعْدَةَ السَّمْرَا^(٣)
عَسَى نَحْوَهَا يَلْوِي الزَّمَانُ مَطِيَّتِي وَأَشْهَدُ بَعْدَ الْكُسْرِ مِنْ نِيلِهَا جَبْرًا
لَقَدْ كَانَ لِي فِيهَا مَعَاهِدُ لَذَّةٍ تَقْضَتْ وَأَبْقَتْ بَعْدَهَا أَنْفُسًا حَسْرَى

(١) مولع : مغرم . اللقطة : شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها .

(٢) السباح : الجود والكرم كالسباحة .

(٣) الشحرور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قدّ القناة .

(ب) النثر

أولا - النثر الفني

١ - الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي^(١)

قال يصف بستانا :

« فوصلنا إلى بستان قد أخذ زخرفه وتزين ، وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلون ، تنساب جداول جوانبه كالأرقام^(٢) ، ويصفق النهر لرقص الغصون على غناء الحمام ، ويهب النسيم فينقطها من الزهر بدنانير ودرهم ، قد تطاول فيه من ألبان كل قذ مخطوف ، وخجل فيه من الورد كل خذ موصوف ، فأجلسنا الرجس على عينية وأحداقه ، وظللنا الغصن بستائر أوراقه ، وحيث منشوره الأبيض والأزرق بالأصابع ، وفتح كفوفه الصففر وهو منا غيران فاقع^(٣) ، وجرى النهر بين أيدينا متواضعا بسجوده ، وشب الشحرور بمنقاره لما تغنى الهزار على عوده ، قد رق نسيمه وراق ، وجذب الحمام إلى الغناء بالأطواق :

أظن نسيم الروض للزهر قد روى حديثا فطابت من شذاه المسالك

وقال :

إذا مادنا فصل الربيع ؛ فكله ثغور لما قال النسيم ضواحك

(١) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلقى العلم بدمشق عن ابن نباتة وعن أبي حيان اللغوي وغيرها ، وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب ، وهو كاتب شاعر مؤرخ . توفي سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) الأرقام : جمع أرقم ، وهو الحية .

(٣) غيران : من الغيرة والتحسر . وفاقع الصفرة شديدها .

قد شاب ذلك الزهر قبل شبابه ، وغناه الطير فتساقط من طربه وإعجابه ،
ومر عليه النسيم بذيله البليل ، فشب حتى عجبنا من حصول الشفاء من العليل .
فيالها روضة صدحت أطيارها فأطربت الأشجار وألبستنا ثوب الخلاء عند
خلع العذار :

انظر إلى الروض النضير كأنما نشرت عليه ملائة خضراء
أنى سرحت بلحظ عينك لا ترى إلا غديراً جال فيه الماء
وترى بنفسك عزّة في دوحه إذ فوق رأسك حيث سرت لواء^(١)

والماء قد رق وراق ، وتسلسل وهو في الإطلاق ، وجرى فتكسر ، وصفا
ولم يتغير ، وصاحب الذمات وحالفها ، وقاطع الأغصان وخالفها ؛ وأنته الرياح
للزيارة من شعابها وهضابها ، وسرق حلى الأغصان فضتها في صدره وجرى بها ،
والعيون ترمقه في جريه ومسيره ، وهو لا يفتّر عن تصفيقه وخريه ؛ حتى خشنا
عليه التكسير من التمداد ، ورجونا من ماء عينيه رى كل صادى^(٢) .

يا حسنه من جدول متدفق يلهو بروق حسنه من أبصرا
مازلت أُنذره عيوناً حوله خوفاً عليه أن يصاب فيعثرأ
فأبى وزاد تمادياً في جريه حتى هوى من شاهق فتكسراً^(٣)

ولم يزل الطير يسمى بين النهر والغصن في الاتفاق ، ويكرّر الخانه ويراسل
في الأوراق ، ويجتهد في الصلح ويدعو إليه ، ويحرص على الوفاء ويحرص عليه .

(١) أى تشعر كأنك قائد جيش ، لما يظلك من شجر عظيم كالألوية في مقدمة الجيش .

(٢) الصادى : العطشان .

(٣) الشاهق : المكان العالى .

وقام الشحرور بينهما واعظا وخطيبا ؛ فأجدت مواعظه وكان قلبُ النهر صافيا
وقريبا . وقامَ النَّسْرَيْنِ^(١) من السرور على ساق ، وجذب كلَّ صدوح للغناء
بالأطواق ، وتبسمت من الأقحوان^(٢) الثغور ، ونسمت نفحاتُ المسك والكافور
واعتلَّ النسيمُ غيرةً وتغيرَ ، فتولَّى وهو بذيله يتعثّر ، وجعل يجرُّ من الحياء ذيو لا
على الأغصان فتمعنق اعتناق الموصل الغضبان :

في روضةٍ علمَ أغصانها أهلَ الهوى العذرى كيفَ العناقُ
هبتَ بها ريحُ الصَّبَا سُخْرَةً فالتفت الأغصان ساقا يساق
وبكى النهرُ على مُواصلَةِ الغُصُونِ ، وخرَّ لديها وفاضتُ منه العيون ، ومثلها في قلبه
شغفاً وحباً ، وصار بها من دون الصَّبَا صَبّاً :

والنهر قد عَشِقَ الغُصُونِ فلم يزل أبداً يمثِّل شخصها في قلبه
حتى إذا فطَنَ النسيمُ فجاء من غيرة فأزالها من قرْبهِ
وغدا عليه مُهَيَّنِمًا بعتابه سرًّا فجعد وجهه من عَتْبِهِ^(٣)

فلم يَزْجُرْ النهرَ عن حُبِّ الغُصُونِ زاجرٌ ولا عاذل ، ولم يُجِبِ العذل إلا بدمعه
السائل — وصار يردُّ برْدَ الهَوَى بِحَرِّ هَوَاهُ العُذْرَى ، وغدا ساعياً بسعادة الأغصان
يَجْرِي ، ففنع منها بأدنى وصال ، وربما اقتصر منها في الحب على الخيال :

(١) النسرين : بكسر النون وقيل بفتحها : ورد أبيض طيب الرائحة .

(٢) الأقحوان : نبات أوراق زهرة الفلجة صغيرة ، تشبه بها الأسنان .

(٣) الهينمة : الصوت الخفى .

ونَهَزَ بِحَبِّ الدُّوْحِ أَصْبَحَ مُغْرَمًا رُوحُ وَيَغْدُو دَائِمًا بِوَصَالِهَا
إِذَا أَبْعَدَتْ عَنْهُ شَكَا بِخَيْرِهِ جَفَاها ، وَأَضْحَى قَانَعًا بِخِيَالِهَا

٢ - القلقشندي^(١)

من رسالة للقلقشندي عن الملك الناصر فرج بن برقوق إلى صاحب قاس
في ذكر وقعة تيمورلنك :

وتحركنا من الديار المصرية في جيوش لا يأخذها حصر ؛ ولا يلحقها هصر^(٢)
ولا يظن بها على كثرة الأعداد كسر ، ولم نزل نبحث السير ، وتسرع الحركة للقاء
العدو إسراع الطير ، حتى وافينا دمشق المحروسة فنزلنا بظاهرها^(٣) ، مستمطرين
النصرة في أوائل حركتنا وأواخرها ، وانضم من عساكر الشام وعربانها ، وتركائنها
الزائد على العدد وعشرانها ، ما لا ينقطع له مدد ، ولا يدخل تحت حصر ولا عدد ،
وأقبل القوم في لفي^(٤) كالجراد المنتشر ، وأمواج البحر التي لا تنحصر : من
أجناس مختلفة ، وجموع على تباين الأنواع مؤتلفة . وتراءى الجمعان ، في أفسح
مكان ، ورأى كل قبيل الآخر رأى العين وليس الخبر كالعيان . واعتد الفريقان

(١) هو أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، صاحب كتاب « صبح الأعشى في
كتابة الإنشا » ولد في قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ . من بيت
عربي ، وقد تأدب في القاهرة وألف مؤلفات عدة أشهرها ما ذكرنا ، وعاش فاضلا مبعجلا
حتى توفي سنة ٨٢١ هـ .

(٢) المهر : الكسر . أي لا تلحقها هزيمة ولا انكسار .

(٣) ظاهرها : ضواحيها .

(٤) اللفي : أي جماعة في جيش .

للنزال ، واحتفروا خنادق للاحتراس ، وتبوأنا مقاعد للقتال ، ولم يبق إلا المبارزة والنقاء الصفوف والمناجزة^(١) إذ ورد ورد من جهةهم يطلب الصلح والمواعدة ؛ والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة ، وأجبناهم بالإجابة ، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأي إصابة ؛ وكتبنا إليهم في ضمن الجواب :

لما أتانا منكم قاصد يسأل في الصلح وكف القتال
قلنا له : نعم الذى قلته والصلح خير ، وأجبنا السؤال

٣ — القاضي محي الدين بن عبد الظاهر^(٢)

من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرا
بفتح صافيتا :

فمن ذلك حصن الأكراد الذى تاه بعطفه على الممالك والحصون ، وشمخ
بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون^(٣) ، وغدا جاذبا بضبع^(٤) الشام ،
وآخذا بمخائق بلاد الإسلام ؛ وشللا فى يد البلاد ، وشجأ فى صدى العباد ، تنقض ؛
من عشه صقور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ،
وتربض بأرضه^(٥) آساد تحمى تلك الآجام^(٦) وتُفوق من قسيه^(٧) سهام تصمى
مفوقات السهام ، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام

(١) المناجزة : المدافعة .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الحذامى المصرى أحد المتعصبين لطريقة
القاضى الفاضل فى اتباع البديع ، وخاصة التورية فى الشعر والنثر ، وكان من رؤساء ديوان
الإنشاء فى دولة المماليك البحرية . توفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٣) الحرب الزبون : التى يدفع المتحاربون فيها بعضهم بعضاً من الكثرة .

(٤) الضبع : العضد .

(٥) الأرباض : جمع ربض ، وهو المأوى ، والمراد هنا بالأرباض : النواحي والجهات .

(٦) الآجام : جمع أجمة ، وهى بيت الأسد .

(٧) القسى ، جمع قوس . وتفوق : أى تصيب وتسدد .

أموالهم وهم صابرون لا مُصابرون . كم شكّت منه حماة^(١) قلة الإنصاف ، ومخافته مَعْرَةٌ وما من مَعْرَةٍ خاف . ما زالت أيدي الممالك تمتدُّ إلى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جواره تلك الحصون والصياصي^(٢) ، وتبكي بمدمع نهرها^(٣) من تأثير آثاره مع عصياتها وناهيك بمدمع العاصي ؛ حتى تبه الله الحظ سيف الإسلام من جفونها ، ووفى النُصرة ما وجب من دُيُونها . وذاك بأننا قصدنا فسيح ربه ، ونزلنا ونازلنا محي صُنْعِهِ^(٤) ، وخيمنا بنصالنا على قلبه وسمعه ، وله مدن حوله خمس هو كالراحة وهي كالأنامل ، وتكاد بُرُوجه تُرى كالمطايا المَقَطَرَةِ^(٥) وهي منها بمنزلة الزوامل^(٦) ؛ ما خيمنا به حتى استبحنا محي تلك المدائن المكني عنها بالأرباض ، وأسحنا بساحتها بحراً من الحديد ما اندفع حتى فاض ؛ وأخذنا الثقوب في أسوار لا تُنْقَضُ ولا يَنْقَضُ بُنيانها المرصوص ، ولا تقرأ المعاول ما إخواتم أبراجها من نقوش الفصوص ؛ ونصبتنا عليها عدّة مجانيق^(٧) تحملت في شواقي الجبال ، على رؤوس الأبطال فتغيّظت السّمهرية^(٨) أن الذي تقوم به هذه تلك به لا تقوم ، وأن ما منها إلا له من الأيدي والرؤوس مقام معلوم ؛ وصار يرُمى بها كل كمي مختلس وأزوع منتَهِس^(٩) ، وكلُّ ليث غابة يحميها وتحميه ؛ فشكراً للأسود

(١) حماة اسم بلد ، وكذلك المعرة .

(٢) الصياصي : الحصون الرفيعة .

(٣) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماة .

(٤) الصقع : الناحية والجهة .

(٥) المقطرة : المصفوفة واحدا خلفه واحد . فهي قطار .

(٦) جمع زاملة وهي الدابة التي يحمل عليها من الإبل وغيرها .

(٧) المنجنيق : آلة كانت تستعمل في الحروب ترمى بها الحجارة .

(٨) السّمهرية : الرماح وهي صفة لها .

(٩) النهي : النهش ، والنهي مشتق منه . المختلس : اليقظ المتحين للفرصة ليتفكك من القتل

حتى غاباتها تفترس ؛ إلى أن جَثَّتْ أسوارها على الركب وكانت سهامُ مجانيقها
تميلُ من العجب^(١) فصارت تميد من العجب^(٢) ، وكانت تطلبُ فصارت تهرب
من الطلب الخ .

٤ — الإمام ابن حبيب الحلبي^(٣)

قطعة من كتابه نسيم الصبا ، الفصل السادس في البحر والنهر :

هزنتي رياح الأمل البسيط^(٤) ، إلى امتطاء ثَبَج^(٥) البحر المحيط ، فأتيتُ سفينة
يطيب للسفر مثواها ، وركبت فيها بسم الله مجراها ومرساها ، موقنا بأن المقدور
صائر ، معرضا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخشى علىَّ منه المعاطب^(٦)

طين أنا ، وهو ماء ، والطين في الماء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دُسر^(٧) وألواح ، تجري مع الرياح
وتطير بغير جناح ، وتعتاض عن الحادي^(٨) بالملاح ، تخوض وتلعب ؛ وتردُّ
ولا تشرب ، لها قلاع كالقلاع^(٩) وشراع يحجب الشعاع ، وسكينة وسُكَّان^(١٠) .
ومكانة وإمكان ، وجوؤجو^(١١) وفقار ، وأضلاع محكمة بالقار^(١٢) ، وجسم عار

(١) تمهل من العجب : تهتز من الزهو والخيلاء .

(٢) تميد من العجب : تضطرب وتترززل من الدهشة والتعير .

(٣) المتوفى سنة ٧٧٩ هـ . (٤) البسيط : المبسوط الفسيح .

(٥) الثَبَج : وسط الشيء ومعظمه .

(٦) المعاطب : جمع معطب وهو موضع العطب والهلاك .

(٧) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة .

(٨) من يسوق الإبل ويعنى لها .

(٩) جمع قلعة . (١٠) سكان السفينة : دفتها .

(١١) الجؤجؤ : الصدر . (١٢) القار : الزفت .

عن الفؤاد ، وهو في عين الماء بمنزلة السواد ؛ بعيدة ما بين السحر^(١) والنحر ،
من أحسن الجوارى المنشآت في البحر ، معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تملُّ^٢
من سير النهار ولا من سُرَى الليل .

مارأى الناس من قصور الماء ، سواها يسير سير القداح^(٣)

كأنها وعِلُّ^(٤) ينحط من شاقق ، أو عرباض^(٥) سابق يحثه سائق ، أو عقرب^٦
شائلة^(٧) ، أو عُقاب صائلة ، أو غراب أعصم ، أو تمساح أو أرقم ؛ أو ظليم^(٨)
نفر في الظلام ، أو جواد فرّ مستنكفاً من محبة الأنام . حاكمها عادل في حكمه ،
عارف بنقض أمرها وبرمه ؛ يهتدى بالنجوم ، ويبتدى^٩ باسم الحى القيوم^(١٠) ،
يبرز من نواتيها^(١١) في جنود ، ويشمل إحسانهم أهلها أيقاظاً وهم رقود ، يتأنقون
فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون :

يُكثرون الصياح حتى كأن الشَّـنَّ تجري من خوف ذاك الصياح

(١) السحر : الرئة .

(٢) جمع قدح وهو السهم ، أى تنطلق مسرعة .

(٣) الوعل : تيس الجبل .

(٤) العرباض : الغليظ من الإبل .

(٥) شائلة : أى رافعة إبرتها التى تلمس بها

(٦) الظليم : ذكر النعام .

(٧) القيوم : من أسمائه تعالى ، ومعناه : الذى لا ندله ، أو القائم بذاته .

(٨) جمع نوتى : وهو الملاح في البحر .

٥ - شهاب الدين محمود الخفاجي^(١)

« المقامة الساسانية »

حدثنا مالك بن دينار ، عن مُسافر بن يسار ، قال : كنت والشباب غرابهُ
لا يطار ؛ وثمراته الجنيَّة تُجَنَّى من رياض الأخبار ، أهوى السياحة والناسُ ناس
والديار ديار ؛ والدهر غرُّ لم يَفْطُنْ لتلوّن الليل والنهار :

ولم أر يوماً في ظلام مَمارق شهاب مشيب لاح في الإثر منقَضاً

فَسِرْتُ في الأرض لأنظر آثار رحمته ، وأرى مآثر الطراز الأول في أعلام
حلتة ؛ فإن من جدّ وجد ؛ ومن توانى فقد فقد ؛ رافعاً عصا التسيار ؛ على كاهل
الاعتبار ؛ رافضاً الاستراحة في مهد الدعة ؛ مشيعاً قلباً فارق حبيباً ودَّعه ، فاطماً
أملا عن درّ أنس ارتضعه . أضرب كرة الأرض بصـولجان الهمة ؛ لأعياً بقامة
غير قائمة وهمة همة^(٢) أتدرع بُرد الليل ؛ لأنه أخفى للويل ، وأشق أديم النهار للسير
ولم أقل ليس للعصا سير ، كهشيم ترفعه أعاصير ربح تدور ، وورق جف فآلوت به^(٣)

(١) ولد في سرياقوس ، وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فلاستانة وكان من رجال
اللغة والأدب ، وله نوايف معروفة ، وهو ممن كتبوا المقامات . توفي سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) الهم والهمة بالكسر : الشبيخ الفاني . أي همة ضعيفة .

(٣) آلوت به : أي طارت به . والصبا والذبور : ريحان .

الصَّبَا والدَّبُور . كَانِي عَلَى غُصْنٍ بَانَةٍ خَضَلٌ^(١) تَنْثِيهِ رِيحُ الصَّبَا هُنَا وَهُنَا أَوْ قَدَى
فِي عَيُونِ الْبِلَادِ ؛ أَوْ عَيْرٌ شَرُودٌ تَرْمِيهِ الرَّوَابِي لِلْوَهَادِ^(٢) :

كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي مَتْنٍ مُوَجَّةٍ رَمْتَنِي بِحَارٍ مَا لَهْنٌ سَوَاحِلُ^(٣)
حَتَّى أَتَيْتُ كُورَةَ خِرَاسَانَ^(٤) ، فَإِذَا بِهَا قَيْلٌ^(٥) نَصَبَ عَرْضَهُ لِسَهَامِ الْهَوَانِ ،
مَقْلَدًا فِي تَرْجِيحِ الْبَخْلِ مَذْهَبَ سَهْلِ بْنِ مَارُونَ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى (وَمَنْ
يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) فَطَوَيْتُ حَدِيثَهُ عَلَى عَرِّهِ^(٦) ، وَأَتَيْتُهُ لِأَقْفِ
عَلَى جَلِيَّةٍ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا جُسْتُ خِلَالَ إِيوَانِهِ ، قَرَأْتُ عُنوانَ حَالِهِ عَلَى وَجْهِهِ غِلْمَانِهِ
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَنْ أَمْتَرَى أَخْلَافَ دَرَّتِهِ^(٧) ، وَشَبَّعَ مِنْ خُلَّتِهِ وَخَضَصَهُ^(٨) بِرُؤْيَا
جَرَّتِهِ : يَا هَذَا صِنَاعَتُنَا وَاحِدَةٌ ، لَوْ لَمْ تَدْرُجْ مِنْ عُشَّكَ كَانَتْ الرَّاحَةُ فَائِدَةً !

ثُمَّ قَالَ لِي : أَيُّ الْبِلَادِ تُهْدِي سَلَامَهَا ، وَأَيُّ زَهْرَةٍ تُحْيِي فَتَحَتْ لَكَ النِّسَمَاتُ
أَكْمَامَهَا ؟ قُلْتُ : الْكِنَانَةُ الْمُعْزِيَّةُ ، وَالْخَطَّةُ الَّتِي هِيَ فِي حَضَانَةِ نِيَامِهَا مَحْمِيَّةٌ ، رِيَاضُهَا
تَحْيَا بِأَنْهَارِهِ ، وَأَصَابِعُهُ^(٩) تُشِيرُ لِسَكَنُوزِ خَضْبٍ تُسْتَنْخَرُجُ مِنْ مَعَادِنِ أَقْطَارِهِ ، إِلَّا
أَنْ أَصَابِعِ النَّاسِ فِي الرَّاحَةِ^(١٠) وَالْأَيْدَى ، وَفِي أَصَابِعِهِ أَيْادُ^(١١) وَرَاحَةُ لِكُلِّ

(١) الخَضَلُ : النَّدى الْمُبْتَل .

(٢) الْعَيْرُ : الْحِمَارُ . وَالرَّوَابِي : الْأَمْكَةُ الْعَالِيَةُ . وَالْوَهَادُ : الْأَمْكَةُ الْوِطَاطِيَّةُ .

(٣) الْوَجْنَاءُ : النَّاقَةُ الشَّدِيدَةُ .

(٤) الْكُورَةُ : النَّاحِيَّةُ ، وَتَطْلُقُ عَلَى الْمَدِينَةِ .

(٥) الْقَيْلُ : الْأَمِيرُ الْمُتَوَلَّى أُمُورَ الْكُورَةِ .

(٦) الْعَرُّ : الْعَيْبُ وَالشَّرُّ .

(٧) أَمْتَرَى : جَذَبَ الضَّرْعَ لِلْجَلْبِ . وَالْأَخْلَافُ : جَمْعُ خَلْفٍ ، وَهُوَ حُلْمَةٌ ضَرَبُ النَّاقَةِ
وَالدَّرَّةُ : اللَّبَنُ أَوْ سِيلَانُهُ وَكَثْرَتُهُ .

(٨) الْحَلَّةُ : مَا فِيهِ حَلَاوَةٌ مِنَ النَّبَاتِ ، وَالْحَمْضُ مَا فِيهِ مَلُوحَةٌ .

(٩) فِي الْأَصَابِعِ تَوْرِيَّةٌ ، لِأَنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى الْأَصَابِعِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَعَلَى أَجْزَاءِ يَقَاسِ بِهَا النَّيْلُ .

(١٠) الرَّاحَةُ : السَّكْفُ . (١١) الْأَيْدَى هُنَا : النِّعَمُ وَالْآلَاءُ .

حاضر وباد . فإن سألت عن حال فقوادي بها فواد أم موسى فارغ من آملي .
وما حال ورده فارقت نسمات القبول^(١) ؟ فحداها السّموم وقادها الذبول :

فتأمل كيف يَغشى مُقلّة المجدِ نَعاسُ ؟

فأما حال سكّانها ومن ألقى جرانه بأعطائها^(٢) ، فقد ذهب أرباب الهمم العالية
ولم يبق إلا من يفتخر بالرّمم البالية ، رُوحُ الشوم ، ونتيجة اللوم ، وخليفة اليوم ،
وبعّين الله ما يصنع الليل والنهار — ويستُر الثوب والجدار ، وما يستتر في ضمائر
البيوت ، وإن طال التحمّل والسكوت . فكم بكت السماء أرضاً فقدت حبيباً ،
وساعدتها سحب أبتحبت بها نحيباً :

ولطّمت الحدودَ بها بروقٌ وشقّقت الرعودُ بها جُيوباً

فقل لمن أفتخر بالعِظام ، ما وراءك يا عصام ؟

ولنعطف على هذا النسق ، لبيان من بقي منهم طبقاً على طبق^(٣) ، من أصناف
لا تُعدّ ، وأجناس لا تُرسم ولا تُحدّد : من كل سائل بالإلحاح التّحف ، أو دار
بمزمار ودّف ، أو تغنى بأنكر الأصوات ، فتهق إذ رأى شيطاناً يدّعي الكرامات
يقيم بها المعتزليّ دليل إنكار الكرامة ؛ ويقول : هل علىّ بعد هذا ملامة ؟ أو حامل
راية وعلم ، جعل القناعة علماً لسقوط الهمم . ومنهم من كبر وتكسّرت قواريره^(٤)
وخبا نوره حين هبت أعاصيره ، وهو أعظمهم جرماً ، وأقلهم ديناً وحزماً ، حُرّ

(١) القبول : ريح العسا ، وهي تهب في بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

(٤) يقال للشيخ الكبير : كبرت وتكسّرت قواريره ، وهو من ألقظ أهل بغداد ،

كأنهم يصون لرفعة الظهر .

مُسْتَنْفَرَةٌ ، يقرءون القرآن في بقاع مُسْتَقْدَرَةٍ ، بين رَهْطٍ لا يتدبرون ولا يستمعون ولا يمتثلون قول الله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » . وَتُجَارُ رَأْسُ مَا لَمْ يَفْلَسْ ، يضربون الأخماس للأسداس^(١) ، يُزَكُّونَ كَذِبَهُم بِالْإِيمَانِ الْفَاجِرَةِ ، فيربحون خَسَارَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إن خَاشَتِ أَحَدَهُمْ فِي تَقَاضِيهِ ، بَادِرَ بِالْخَلِيفِ عَلَى دَيْنِهِ فَيَقْضِيهِ .

يقول : أَسْتَمِعُ خَلْفَتِي كَاذِبًا إِذَا مَا اضْطَرَرْتُ ، وفي الحال ضَيْقُ وَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى مُسْلِمٍ يَدْفَعُ بِاللَّهِ مَا لَا يَطِيقُ^(٢) .
وقد فَقَدَ الْعِلْمُ لَوْلَا نَفْحَةُ أَنْسٍ مِنْ نَفَرٍ بَقَايَا ، ففتح الله بهم خَزَائِنَ كَنُوزِ هِيَ خَبَايَا فِي الزُّوَايَا : مِنْ كُلِّ نَقِيٍّ الْعَرِضِ أَبْيَضِ السَّجَايَا ، إِذَا تَدَانَسَتْ الْأَعْرَاضُ فَأَعْرَاضُهُمْ مِنَ الْعَارِ عَرَايَا :

أَبَدْتُ مَا نَزَّهْتُمْ نَقْصَ الزَّمَانِ فِي خَدِّ الرَّبِيعِ طُلُوعُ الْوَرْدِ مِنْ خَجَلٍ
سَحَتْ شَوْكَتُهُمْ رِيَاضًا فِي رُبَا الدِّينِ الْعَوَالِي ، وَأَحْيَا اللَّهُ بِأَنْفَاسِهِمُ الْعِيسَوِيَّةَ
مَوَاتِ الْعَالِي : وَلَمَّا شَرَحَ اللَّهُ بِهِمْ صَدْرَ الدِّينِ ، وَفَتَحَ بَبْصَارِهِمْ عَيْنَ الْيَقِينِ ،
أَيْدَهُمْ بِأَبْنَاءِ الْأَعْيَانِ مِنْ أُمَرَائِهَا فَقَالَتْ^(٣) الْخِلَافَةُ تَحْتَ أَفْيَاءِ لَوَائِهَا ، حَتَّى حَوَّاهُمْ
مِنْ نَوَائِبِ الْخُتُوفِ ، وَزَهَتْ جَنَّةُ مَثْوَاهُمْ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ؛ فَصَارَتْ بِهِمْ
الْأَطْرَافُ ، مِنْ مَنَازِلِهِ مَنَازِلُ الْأَشْرَافِ . وَلِهَذَا يُشِيرُ الْبَدِيعُ^(٤) ، بِقَوْلِهِ فِي مَعْنَى بَدِيعٍ :
قِيلَ لِي : لِمَ حَلَسْتَ فِي طَرَفِ الْقَوَائِمِ ، وَأَنْتَ الْبَدِيعُ رَبُّ الْقَوَائِمِ

(١) يضرب أخماساً لأسداس : أي يسعى في المكر والخديعة ، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .

(٢) البيهقيان لابن الرومي ، ورويان ببعض اختلاف في اللفظ .

(٣) قال يقليل : نام وقت القائلة ؟ الظاهر .

(٤) هو البدیع الحمدانی .

قلتُ : آثرتهُ ، لأنَّ المفادِـلَ لَ يَـرى طَـرُـزُها على الأَطـرافِ
وكفاني من المفاخر أُنـى نازلٌ في منازلِ الأشرافِ
فأَوُوا من ذلك الظل لركن مُعْتَمِدٍ ، ونزلوا فيه بين العلياء والسند . متّعنا
الله بهذه الدولة وجعلها أطولَ الدولِ عُمرًا ، وأرفعها مَنارًا وأعظمها قدرًا ، سماء
مجدهم مُكَلِّلةٌ بنجوم تهتدى بها الأمانى ، ويستقر رجاء كل قلب عانى^(١) ،
والدهر لسعدهم من الخدم ، وفيضُ أياديهم يُغْنِي عن الدِّيمِ^(٢) ، وسُحْبِهِم مُغْدِقَةٌ
على الراجين بالكرم :

قلتُ للبرق إذ تآلق فيها : يا زنادَ السماء من أوراكا
إن تشبَّهتَ بالكِرام وما قد كان من جودهم فليستَ هناكا
ومذ كَلَّتْ دُهُمُ^(٣) الأَقلام من المشى فى الكتابة شَكَرتُ مشيها على الرؤوس ،
وقلتُ لا عِطَرَ بعد عروس ، فقد جف القلم ، وكل شيء بلغ الحدَّ أنتهى وتم .

(١) العانى . الذى تغلبت عليه الهموم فصار أسيرها .

(٢) الدِّيم : جمع ديمة ، وهى المطر يتتابع .

(٣) جمع أدهم ، وهو الفرس الأسود ، وقد حسن تشبيه القلم بالأدهم ، لأن الكتابة

غالبًا تكون بالمداد الأسود .

ثانيا - النشر العلى

١ - الشيخ كمال الدين الدميرى^(١)

قطعة من كتابه « حياة الحيوان » :

(الْحَمَامُ^(٢)) قال الجوهري هو عند العرب ذوات الأطواق ، نحو الفواخت^(٣) والقُمَارَى^(٤) وساق حُرٍّ والقَطَا والوَرَّاشِينَ^(٥) وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ، لأن الماء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للأنثى ، وعند العامة أنها الدواجن فقط ، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامةً دعت ساق حُرٍّ بُرْهةً فترنما

والحمامة هنا : القُمَرِيَّة . وقال الأصمعي في قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شرع وارد التمد^(٦)
قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
نحسبوه فالتقوه كما زعمت : تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

(١) توفي سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) جمع فاختة . وهى الحمامة ذات الطوق

(٣) جمع قمرية بضم القاف .

(٤) ذكر القمارى .

(٥) مفردة ورشان بالتحريك ، وهو طائر من نوع الحمام .

(٦) التمد الماء القليل .

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد في مضيق الجبل ، فقالت : ياليت
هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا ، فيكمل لنا مائة قطاة ؛ فأتبعت
وعُدَّت على الماء فإذا هي ست وستون ، قال أبو عبيدة : رأته عن مسيرة ثلاثة
أيام ، وأرادت بالحمام القطا ، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأموي : الدواجن التي
تستفرخ في البيوت تسمى حماماً أيضاً . وأنشد للعجاج :

إني وربّ البلد المحرم والقاطنات البيت عند زمزم

* قواطنا مكة من ورق اللحم *

يريد الحمام : جمع الحمامة حمام وحمامات . وربما قالوا حمام المفرد .

قال جرّان العود :

وذكرني الصبأ بعد ألتناني حمامة أيكّة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير الكبير : إن اليمام هو الحمام البرّي ،
الواحدة يمامة ؛ وهو ضروب . والفروق بين الحمام الذي عندنا واليمام أن أسفل ذنب
الحمامة مما يلي ظهرها فيه بياض ، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه ، انتهى . ونقل
النوّوي في التحرير عن الأصمعي : أن كل ذات طوق فهي حمام . والمراد بالطوق
الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة في طوقها . وكان الكسائي يقول :
الحمام هو البرّي ، واليمام الذي يألف البيوت ؛ والصواب ما قاله الأصمعي . ونقل
الأزهري عن الشافعي : كل ما عبّ وهدر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام ، والعبّ
بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفّس ؛ قال ابن سيده : يقال في الطائر :
عبّ ، ولا يقال : شرب ، والهدير : ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له ؛

قال الرافعي : والأشبه أن ما عب هدر ، قال : فلو اقتصروا في تفسير الحمام على اللب لكفاهم ؛ ويدل عليه أن الإمام الشافعي قال في عيون المسائل : وما عب من الماء عباً فهو حمام ، وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام .

٢ — ابن خلدون^(١)

فصل من مقدمته في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته :

اعلم أن تلقين العلوم المتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً ، وقليلًا قليلًا ، يُلقَى^(٢) عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، ويُقَرَّبُ له في شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي إلى آخر الفن . وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايته أنها هيئات لفهم الفن ، وتحصيل مسأله . ثم يرجعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر ما هنالك من الخلاف ووجهه ، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن ؛ فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا^(٣) ، فلا يترك عويصاً ولا مُبْهِمًا ولا مُغْلَقًا إلا وضحه ، وفتح له مُغْلَقَه فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد ، وهو — كما رأيت — إنما يحصل في ثلاث تكرارات ،

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه وبمقدمته التي نقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ . وتعلم هناك وترقى في مناصب عدة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) أي المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتي : وعليه أي على المتعلم .

(٣) شدا : أخذ طرفاً من الأدب .

وقد يحصل البعض في أقل من ذلك بحسب ما يُخلق له ويتيسر عليه . وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذى أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويُحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقلقة من العلم ، وبطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفونه وعى ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها ، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجياً ؛ ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة^(١) مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ؛ والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذى فوقه ، حتى تتم الملكة في الاستعداد ، ثم في التحصيل ؛ ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا أُلقيت عليه الغايات في البدايات ، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى ، وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه ، وانحرف عن قبوله ، وتمادى في هجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

٣ — المقرئى^(٢)

من خطبة كتابه : « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » :

وبعد ، فإن علم التاريخ من أجلّ العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً ، لما يحويه من المواعظ والإنذار ، بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار ،

(١) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

(٢) هو تقي الدين المقرئى المولود سنة ٧٦٦ هـ . وكان شاعراً كاتباً مؤرخاً توفى

والاطلاع على مكارم الأخلاق لِيَقْتَدِيَ بِهَا ، واستعلام مَذَامِّ الفِعال لِيَرْغَبَ عَنْهَا
أَوَّلُ السَّيِّئِ . لَا جَرَمَ أَنَّ كَانَتْ الْأَنْفُسُ الْفَاضِلَةُ بِهِ وَامِقَةً ^(١) ، وَالْهَمُّ الْعَالِيَةُ إِلَيْهِ
مَائِلَةٌ وَلَهُ عَاشِقَةٌ . وَقَدْ صَنَّفَ الْأُئِمَّةُ فِيهِ كَثِيرًا وَضَمَّنَ الْأَجَلَةُ كَتَبَهُمْ مِنْهُ شَيْئًا كَبِيرًا .

وَكَانَتْ مِصْرُ هِيَ مَسْقُطُ رَأْسِي ، وَمَلْعَبُ أَتْرَابِي ، وَجَمْعُ نَاسِي ، وَمَغْنَى عَشِيرَتِي
وَحَامَتِي ^(٢) ، وَمَوْطَنَ خَاصَّتِي ، وَعَامَّتِي ، وَجَوِّيَ الَّذِي رَأَى جَنَاحِي فِي وَكْرِهِ ، وَعَشَّ
مَا رَبِّي فَلَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ غَيْرَ ذِكْرِهِ ، لَا زَلْتُ مَذْشُدُوتُ الْعِلْمِ ، وَأَتَانِي رَبِّي الْفُطَانَةُ
وَالْفَهْمُ ، أَرْغَبُ فِي مَعْرِفَةِ أَخْبَارِهَا ، وَأَحِبُّ الْإِشْرَافَ عَلَى السَّكِينِ مِنْ آثَارِهَا ،
وَأَهْوَى مَسَآلَةَ الرِّكْبَانِ عَنْ سَكَنِ دِيَارِهَا ؛ فَفَيَّدْتُ بِخَطِّي فِي الْأَعْوَامِ السَّكِينَةَ
مِنْ ذَلِكَ فَوَائِدَ قَلَمًا يَجْمَعُهَا كِتَابٌ ، أَوْ يَحْوِيهَا لِعِزَّتِهَا وَغَرَابَتِهَا إِهَابٌ ؛ إِلَّا أَنَّهَا
لَيْسَتْ بِمُرْتَبَةِ عَلَى مَنَوَالٍ ، وَلَا مُهَذَّبَةً بِطَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِثَالٍ . فَأَرَدْتُ أَنْ أُلْخِصَ
مِنْهَا أَنْبَاءَ مَا بَدِيَارَ مِصْرَ مِنَ الْآثَارِ الْبَاقِيَةِ ، عَنْ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ؛
وَمَا بَقِيَ بِفُسْطَاطِ مِصْرَ مِنْ مَعَاهِدَ غَيْرِهَا — أَوْ كَادَ — الْبَلَى وَالْقَدَمُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ
يَمْحُورَ سَمُهَا الْفَنَاءُ وَالْعَدَمُ ؛ وَأَذْكَرَ مَا بِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ مِنْ آثَارِ الْعَصُورِ الزَّاهِرَةِ ، وَمَا اشْتَمَلَتْ
عَلَيْهِ مِنَ الْخَطِّ وَالْأَصْقَاعِ ، وَحَوْتِهِ مِنَ الْمَبَانِي الْبَدِيعَةِ وَالْأَوْضَاعِ ؛ مَعَ التَّعْرِيفِ
بِحَالِ مَنْ أَسَّسَ ذَلِكَ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَانِلِ ، وَالتَّنْوِيهِ بِذِكْرِ الَّذِي شَادَهَا مِنْ سِرَاةِ
الْأَعَاظِمِ الْأَفَاضِلِ ؛ وَأَثَرُ خِلَالِ ذَلِكَ نُكْتًا لَطِيفَةً ، وَحِكْمًا بَدِيعَةً شَرِيفَةً ، مِنْ غَيْرِ
إِطَالَةٍ وَلَا إِكْثَارٍ ، وَلَا إِحْجَافٍ يُخْلُ بِالْغَرَضِ وَلَا اخْتِقَارٍ ، بَلْ وَسَطٌ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ،
وَطَرِيقٌ بَيْنَ بَيْنٍ . . . الخ .

(١) وَامِقَةٌ : مَحْبِيَّةٌ .

(٢) الْحَامَةُ . خَاصَّةُ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ .

٤ — شمس الدين محمد النواجي^(١)

قطعة من كتابه « حلبة الكميت » في أنواع الرياح وخصائصها :

والنسيم هي الريح الطيبة ، ونسيم الريح أولها حين تُقبل بلين قبل اشتدادها ، وفي الحديث : « بُعِثَتْ في نسيم الساعة » أي حين ابتدأت وأقبلت ، وما أحسن قول بعضهم : نسيم الريح نَسِيبُ الرُّوح ، والرياح المعروفة أربع ، الصبا وتسمى القبول وهي تنفّس عن المكروب ، والجنوب وهي تجمع السحاب ، والشّمال وهي تفرّقه ، والدّبور وهي تهّدم البُنيان ، وتقلع الشجر ، وهي القاصف والصّرصر . وكل ما في القرآن من لفظ الريح ، فالمراد به الدّبور ، ولازمها العقوبة ، وكل ما فيه من لفظ الرياح فهي راجعة إلى الثلاثة الأولى ، ويراد بها الرحمة . ومن الحديث : « نُصِرْتُ بالصّبا وأُهْلِكْتُ عاد بالدّبور » . وقيل الرياح ثمانية : أربع في الجهات الأربع ، وأربع تسمى النّكباء ليلها ونكبتها عن الجهات الأربع ، والشّمال من ناحية الشام ، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق ، فهبوبها من تحت بنات نعش ، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر ، تشد الأعضاء ، وتسدّ المسام ، وتحصر الحرارة في الباطن ، فينهضم الغذاء وتصفو بها كدورة الروح الحيواني ، الذي في القلب من الأبخرة الدخانية وتديم الصحة ، وتقوى حواس الدماغ ، وذلك إذا وصلت إلى الجسم باعتدال ، وهي قليلة الهبوب ليلا ، وكان الصاحب بن عباد يترنم بقول أبي فراس :

هَبَّتْ لَنَا رِيحٌ شَمَالِيَّةٌ مَتَتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابِ

(١) ينسب إلى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع في الأدب

والشعر وله عدة مؤلفات وتوفي سنة ٨٥٩ هـ .

أدت رسائل الهوى بيننا عرفت من بين أصحابي

قلت : والله إن صاحب بن عبّاد لمعذور ، فإن هذا مما يريح الجواد ،
وتجمع الشمال على شمائل ، ولذلك يحسن فيه التورية . ومنه قول الشيخ تقي الدين
ابن حجة :

جاد النسيمُ على الرُّبا بِنْدَى يديه وقال لى :
أنا ما أقصّر عن نَدَى وكما علمت شمائل

والصَّبَا تَهَبُّ من مَطْلَعِ الشمس وتُسمى القبول ، ويقابلها الدَّبور وهي معتدلة
ولا سيما إن هَبَّت قبل طلوع الشمس في زمن الربيع ، وهي لطيفة صافية ، تذكى
الأذهان ، وتنفع الأبدان ، وتبسُّط الأخلاق ، لا سيما إن مرت بمَرْوَج الأزهار
فإنها تحمل قواها إلى القلب والدماغ . . الخ .

هـ - ابن خلكان^(١)

قطعة من كتابه « وفيات الأعيان » :

كتب يترجم لأبي طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي قاسم بن زيادة
الشَّيبَانِي البَغْدَادِي المتوفى سنة ٥٨٣ هـ :

كان من الأعيان الأمثال^(٢) ، والصدور الأفاضل ، أنتهت إليه المعرفة بأمور

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين الأربلى ولد سنة ٦٠٨ هـ . ثم تنقل في البلاد حتى
نزل دمشق سنة ٦٣٣ هـ . وتولى قضاء الشام ودرس في عدة مدارس . وتوفى سنة ٦٨١ هـ .
اشتهر بكتابه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » وهو كتاب مفيد في تاريخ الأشخاص .
(٢) الأمثال : جمع أمثل أى أفضل .

الكتابة والإنشاء والحساب ، مع مشاركته في النقش وعلم الكلام^(١) والأصول وغير ذلك . وله النظم الجيد . جالسَ أبا منصور بن الجوالقي ، وقرأ عليه وعلى من بعده ، وسمع الحديث من جماعة . وخدم الديوان — من صباه إلى أن توفّي عدّة خدمات . وكان مليح العبارة في الإنشاء ، جيد الفكرة حلّو التصنيع ، لطيف الإشارة . وكان الغالب في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب السجع . وله رسائل بليغة ، وشعر رائق ، وفضله أكثر من أن يذكر . وتولى النظرَ بديوان البصرة وواسط والحلة ، ولم يزل على ذلك إلى المحرم سنة ٥٧٥ هـ . ورُتّبَ حاجباً بباب المتولى ، وقُدِّدَ النظرَ في المظالم ثم عُزل عن ذلك .

٦ — الديار بكرى^(٢)

وصف استيلاء التتار على بغداد ، من كتابه : « الخميس ، في أحوال أنفس نفيس » .

وفي سنة أربع وخمسين وستائة خرج الطاغية العنيد مبيد الأمم هولاكو ، فأخذ قلعة الموت من الإسماعيلية ، وقتلهم وأخرب نواحي الري ، وبذلت السيوف على عوائدهم ، فتوجه الكامل محمد ، صاحب ميّافارقين ، إلى خدمة هولاكو : فأعطاه الفرمان ، ثم نزل هولاكو بأذربيجان وأخذها .

وفي أول سنة خمس وخمسين وستائة ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنية

(١) علم الكلام : علم التوحيد .

(٢) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، نسبة إلى ديار بكر ، تولى قضاء مكة ،

وتوفى بها سنة ٩٨٢ هـ .

والرافضة أدت إلى نهبٍ عظيمٍ وخرابٍ ، وقتل عِدَّةٍ من الرافضة ، فغضب لها وتنمر ابن العلقمى الوزير ، وجسَّرت التتارَ على العراق ليشتفى من السنيَّة .

وفى أول سنة ست وخمسين وستمائة وصل الطاغية هولاكو ، ابن تولى ابن جنكيزخان المغولى ، بغدادَ بجيوشه وبالكَرَج وبمسكر الموصل ، فخرج الدويدار بالعسكر ، فالتقى بطلائع هولاكو وعليهم ياجنوس ، فانكسر المسلمون لقلَّتْهم ، ثم أقبل ياجنوس فنزل على بغداد من غربيها ، ونزل هولاكو من شرقيها . فقال الوزير ابن العلقمى خليفة المستعصم بالله : إني أخرج إلى القاءان الأعظم فى تقرير الصلح . فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال : إن القاءان قد رغب فى أن يزوج بنته بابنك . وأن تكون الطاعة له كالمملك السلجوقية ويرحل عنك ، فخرج المستعصم فى أعيان دولته وأكابر الوقت ليمحضروا العقد ، فضربت رقاب الجميع وقتلوا الخليفة : ورفسوه حتى مات . ودخلت التتار بغداد واقتسموها ، وأخذ كل ناحية وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوماً ، وقلَّ من سلم ، فبلغت القتلى ألف ألفٍ وثمانمائة ألفٍ وزيادة . فعند ذلك نادوا بالأمان ، ثم أمر هولاكو بضرب عنق ياجنوس ، لكونه كاتب الخليفة ، وأرسل إلى صاحب الشام يهدده إن لم يخرج أسوار بلاده .

أكذا فى « دول الإسلام » .

وفى تاريخ الجالى يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لما ولى الخلافة لم يتوثق أمره ؛ لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازل المهمة ، مهملاً للأمر المهمة ، محباً لجمع المال . أهل أمر هولاكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمى ، حتى كان فى ذلك هلاكه وهلاك الرعية ، فإن وزيره ابن العلقمى الرافضى كان

كتب كتاباً إلى هولاكو ملك التتار في الدشت : إنك تحضر إلى بغداد وأنا
أسلمها لك ، وكان قد داخل قلب اللعين الكفر . فكتب هولاكو : إن عساكر
بغداد كثيرة ، فإن كنت صادقاً فيما قلته ، وداخلاً في طاعتنا ، فرق عساكر
بغداد ونحن نحضر ، فلما وصل كتابه إلى الوزير ، دخل إلى المستعصم وقال :
إن جندك كثيرة وعليك كلفة كبيرة ، والعدو قد رجع من بلاد العجم ، والصواب
أنك تعطى دستوراً لخمس عشرة ألفاً من عسكرك ، وتوفر معلومهم ، فأجابه
المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ، ثم نفاهم
من بغداد ومنعهم من الإقامة بها . ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم
عشرين ألفاً من الديوان ، ثم كتب إلى هولاكو بما فعل . وكان قصد الوزير
بمجيء التتار أشياء منها : أنه كان رافضياً خبيثاً ، وأراد أن ينقل الخلافة من
بنى العباس إلى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم ،
فأفكر أن هولاكو إذا قدم يقتل المستعصم وأتباعه ثم يعود إلى حال سبيله ،
وقد زالت شوكة بنى العباس ، وقد بقي هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر
وتدبير المملوكة ، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانع لضعف
العساكر ولقوته ، ثم يضع السيف في أهل السنة .

فهذا كان قصده لعنه الله .

ولما بلغ هولاكو ما فعل الوزير ببغداد ركب وقصدها إلى أن نزل عليها ،
وصار المستعصم يستدعى العساكر ويتجهز لحرب هولاكو ، وقد اجتمع أهل
بغداد وتحالفوا على قتال هولاكو ، وخرجوا إلى ظاهر بغداد ، ومشى عليهم
هولاكو بعساكره فقاتلوه قتالاً شديداً ، وصبر كل من الطائفتين صبراً عظيماً ،
وكثرت الجرحى والقلى في الفريقين ، إلى أن نصر الله تعالى عساكر بغداد وانكسر

هولاكو أقبح كسرة ، وانساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة ، وعادوا بالأسرى ورءوس القتلى إلى ظاهر بغداد ، ونزلوا بخيامهم مطمئنين بهروب العدو ، فأرسل الوزير ابن العلقمي في تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا شطر الدجلة . فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون ، ففرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم ، وصار السعيد منهم من لقي فرساً يركبها . وكان الوزير قد أرسل إلى هولاكو بعرفه بما فعل ، وأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعت عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من يردم ، فلما أصبحوا استولوا على بغداد ، وبذلوا فيها السيف ووقع منهم ما يطول شرحه .

والمقصود أن هولاكو استولى على بغداد وأخذ المستعصم أسيراً ، ثم بذل السيف في المسلمين ، فلم يرحم شيخاً كبيراً لكبره ولا صغيراً لصغره .

ولما أخذ الخليفة أسيراً هو وولده أحضر بين يديه ، وأمر به هولاكو ، فأخرج من بغداد وأنزله بمخيم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم في عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده في عدلين^(١) وأمر التتار برفسهما إلى أن ماتا في الحرم سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ما قل ولا ما جل . ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها ، حتى قيل إن عدة من قتل في نوبة هولاكو يزيد على ألف ألف وثلاثين ألف إنسان . وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا ، وبقيت الدنيا بلا خلافة سنين إلى أن أقام الملك الظاهر بيبرس البندقداري بعض بني العباس في الخلافة حسبا يأتي ذكره على سبيل الاختصار .

(١) العدل بكسر العين : الجولق : الشوال .

وكانت خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وتقدير عمره سبع وأربعون سنة . وزالت الخلافة من بغداد .

قال الشاعر :

خلت المنابر والأمرة منهم فعليهم حتى المات سلام

أما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف في أهل السنة ، فجاءوا بخلاف ما أراد ، وبذلوا السيف في أهل السنة والرافضة كلهم وهو في منصبه مع الذل والهوان ، وهو يظهر قوة النفس والفرح وأنه بلغ مراده فلم يلبث أن أمسكه هولاء بعد قتل المستعصم بأيام ووبخه بالفاظ شنيعة معناها : أنه لم يكن له خير في مخدمته ولا في دينه ، فكيف يكون له خير في هولاء كوا ؟ ثم إنه قتله شر قتلة ، في أوائل سنة سبع وخمسين وستائة . إلى سقر ، لا دنيا ولا آخرة !

٧ — الشيخ شهاب الدين الأبهسي^(١)

قطعة من كتابه « المستطرف ، من كل فن مستظرف » في علو الهمة

وشرف النفس :

أما علو الهمة فهو أصل الرياسة ، فمن علت همته ، وشرفت نفسه تحمارة بن حمزة قيل إنه دخل يوما على المنصور وقعد في مجلسه ، فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : حمارة بن حمزة غصبني ضيعتي ! فقال المنصور : يا حمارة قم فاقعد مع خصمك ، فقال : ما هو لي بخصم ، إن كانت

(١) من أدباء النصف الأول من القرن التاسع .

الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ورفعني ، وأقعد أدنى منه ، لأجل ضيعة !

وتحدث السفاحُ هو وأم سامة يوما في نزاهة نفس عمارة وكبره ، فقالت له : ادع به وأنا أهَبُ له سُبْحَتِي هذه ، فإن ثَمها خمسون ألف دينار ، فإن هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس . فوجه إليه الدعوة فحضر فحادثته ساعة ثم رمت إليه بالسبحة وقالت هي من الطرف ، وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ، ثم قام وتركها فقالت : لعله نسيها . فبعثت بها إليه مع خادم ، فقال للخادم : هي لك . فرجع الخادم ، فقال : قد وهبها لي ، فأعطت أم سامة للخادم ألف دينار ، واستعادتها منه .

وأهدى عُبيد الله بن السري إلى عبد الله بن طاهر لما ولي مصر مائة وصيف ، مع كل وصيف ألف دينار ، ووجه إليه بذلك ليلا ، فرده وكتب إليه : لو قبلتَ هديتك ليلا لقبلتها نهارا ، فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرُ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ مَهْدِيَّتُكُمْ تَفْرَحُونَ .

(وكان) سببُ فتح المعتصم عُمُورِيَّةً أن امرأةً من الثَّغَرِ سَبَيْتَ فنادت : واحمداه ! وامعتصماه ! فبلغه الخبرُ . فركب لوقته ، وتبعه الجيش . فلما فتحها قال : لبيك أيتها المنادية !

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة^(١) وهمة ، قيل له في مرضه : إن المريض يستريح إلى الأنين ، وإلى شرح ما به إلى الطبيب . فقال : أما الأنين فهو جزع وعار ، والله لا يسمع الله مني أنينا ، فأكون عنده حزُوعا . وأما وصف ما بي إلى الطبيب فوالله لا يحكم غيرُ الله في نفسي ، إن شاء أمسكها ، وإن شاء قبضها .

(١) النخوة : الافتخار والتعظم ، يريد هنا : شجاعة النفس .

ومن كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة ، فكان يأكل الحنظل حتى قتله ، ولم يخبر أحداً بحاجته .

ومن الشرف والرياسة : حفظ الجوار وحمى الدمار^(١) . وكانت العرب ترى ذلك ديناً تدعو إليه ، وحقا واجبا تحافظ عليه . وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا إنك اخترتني حارا ، واخترت داري دارا ، فغناية يدك علىّ دونك ، وإن جئت عليك يدٌ فاحتكم حكم الصبي على أهله^(٢) .

وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة ، فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بني جعفر بن كلاب ، خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر أن يُسميها وينسبها ، فعادت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال : عجزتُ تصلي الخمس عادتُ بغالب فلا والذي عادت به لا أضيرها وقال صروان بن أبي حفصة :
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَمَّا لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاءِ كَيْنِ^(٣) مَنْزِلُ

(١) الدمار : كل ما يلزمك حمايته من أهل الوطن .

(٢) أى اقض بما شئت ، فحين نازلون على حكمك .

(٣) السماء كان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماء الرامح والآخر السماء الأعزل .

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الثالث

للسنة الثالثة الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي الميناوي

(١) النثر :

أولا - النشر الفني

	تغزية لابن المقفع
	وله من الأدب الصغير
٢	أحمد بن يوسف
٣	كتب يهنيء بملود
٣	وكتب أيضاً تهنية بظفر
٤	وكتب في الذم
٥	ومن توقيعاته ما وجهه إلى عالم ظالم
٥	الحسن بن سهل
٥	ما كتبه إلى محمد بن سماعة القاضي
٦	محمد بن عبد الرحمن الهاشمي
٩	الصولي
٩	من رسائله في تغزية على لسان المنتصر بالله
١٠	ومن رسائله القصار على لسان المتوكل لأهل حمص الخارجين عليه
١١	وكتب إلى ابن الزيات يستعطفه

ثانياً - النشر العلمي ١٢

١٢	أبو يوسف
١٢	قال في كتاب الخراج
١٣	من كتاب التاج المنسوب للإجاحظ
١٤	من كتاب الكامل للمبرد
١٦	من تاريخ الأمم والملوك للطبري (خلافة الأمين)
١٧	من كتاب ألف ليلة وليلة (حكاية خالد بن عبد الله القسري مع الشاب السارق)

(ب) الشعر :

٢٢
٢٢ قال يهجو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقد استمنحه فلم يمنحه ...
٢٣ وقال يتغزل وقد نهاه الخليفة المهدي عن الغزل
٢٤ قال يورث ولداً له
٢٤ ومن قوله يصف جيشاً من قصيدة يمدح بها عمر بن هبيرة حين وفد عليه بالعراق ...

٢٦
٢٦	الأمير لبني العباس
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣٠	باس
٣٢	ة لابنه الهادي
٣٣
٣٣	برشيد إلى خراسان وطال مقامه بها
٣٥	أبو نواس
٣٥	قال يصف الخمر
٣٦	وقال أيضاً في الخمر
٣٧	قال يمدح الخليفة محمد الأمين
٣٩	قال يصف ناقة
٤٠	وقال في الطرد ينعت كلب صيد
٤١	وقال يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور
٤٥	أبان اللاحق
٤٥	من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بني العباس على حقهم في الخلافة
٤٦	ما بعث به إلى الفضل بن يحيى
٤٧	مسلم بن الوليد
٤٨	قال يهجو دعبل بن علي الخزاعي الشاعر
٤٨	من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلب
٥٠	وقال من وزن مولد
٥٧	أبو العتاهية
٥٩	ما قاله لما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة
٦٠	وقال في الغزل
٦١	جملة من أمثاله
٦٢	أبو تمام
٦٢	وقال يمدح المعتصم بالله ويذكر فتح عمورية
٦٩	وقال يمدح عبد الله بن طاهر بن الحسين
٧٠	وقال يمدح أحمد بن المعتصم
٧١	وقال يمدح الحسن بن رجاء
٧٢	وقال في وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات
٧٣	وقال يرثي محمد بن حميد الطوسي

٧٧ دعبيل ...
٧٧	من قوله يرثي ابن عم له من خزاعة ...
٧٧	وقال وقد سافر مرة فطال عليه السفر ...
٧٨	ما كتبه إلى مسلم بن الوليد في جفوة بينهما ...
٧٩	ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته ...
٨٠	وقال في آل بيت الرسول ...
٨٢	علي بن الجهم ...
٨٢	قال في الفراق ...
٨٤	وكتب من حبسه إلى الخليفة المتوكّل يستغيث به ويسأله العفو ...
٨٥	وقال يذم مغنياً ...
٨٦	الحسين بن الضحّاك ...
٨٧	قال وقد غضب عليه المعتصم وحجّجه ..
٨٨	ابن الرومي ...
٨٨	قال يهجُو خالد القحطي ...
٩٠	وقال يرثي ابنه محمداً ...
٩٢	وقال يعاتب أبا القاسم التوزيّ الشطرنجي ويمدحه ...
٩٣	وقال يصف الغيب الرازي ...
٩٨	البحتري ...
٩٨	قال يصف خروج المتوكّل لصلاة عيد الفطر ...
٩٩	ومن قوله يصف الربيع ...
١٠٠	وقال يمدح محمد بن علي بن عيسى القمي ...
١٠٤	وقال يمدح المتوكّل ...
١٠٥	وقال يصف اقترب حين لقيه ...
١٠٩	وقال يمدح أبا نهشل ...
١١١	وقال يرثي المتوكّل على الله ...
١١٥	وقال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويرثي دولة الفرس ...
١٢٠	ابن المعتمر ...
١٢٠	قال يصف الروض ...
١٢٠	وقال في خسرة من رأى بعد تهديمها ...
١٢١	وقال يصف هلال شوال ...
١٢١	وقال يصف سجابة ...
١٢٢	وقال يصف سيفه ...
١٢٢	وقال يصف غديراً ...
١٢٢	وقال يحذر الطالبين من طلب الخلافة ويتوعدهم ...
١٢٣	وقال في الطرد ...

صفحة

١٤٥	ابن وهبون
١٤٦	قال يصف النيلوفر
١٤٦	ابن خفاجة الأندلسي
١٤٦	قال في الاعتبار ويصف ليلاً وجيلاً
١٤٩	وقال في طول الليل
١٤٩	ابن سهل الأندلسي
١٤٩	من قصيدة
١٥٠	وقال في توشيح له
١٥٢	معارضة أبي عبد الله الخطيب توشيح ابن سهل

المغرب وممالك البربر

النثر :

١٥٤	(أ) النثر الفني
١٥٤	التلمساني
١٥٤	قال في الفراق
١٥٦	(ب) النثر العلمي
١٥٦	ابن شرف القيرواني
١٥٦	فصل من كتابه أعلام الكلام
										(ح) الشعر :

١٥٨	علي بن محمد الأيادي
١٥٨	قال يصف أسطول القائم الفاطمي
١٦٠	إبراهيم الرقيق بن القاسم القيرواني
١٦٠	قال يتشوق إلى مصر ومعاودة بها
١٦١	أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز
١٦١	قال يتغزل
١٦٢	إبراهيم بن علي الحصري
١٦٢	ابن رشيق القيرواني
١٦٤	ابن شرف القيرواني
١٦٤	قوله في العود
١٦٥	عبد الجبار بن حمديس
١٦٥	قال يصف بركة يجري إليها الماء
١٦١	قال يصف داراً بناها المعتمد بن عباد

(١) النثر

أولاً - النثر الفنى

(١) تَعْرِيزَةُ لابنِ المَقْفَعِ^(١) :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمْرَ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا بِيَدِ اللَّهِ ، هُوَ يُدَبِّرُهُمَا وَيَقْضِي فِيهِمَا مَا يَشَاءُ ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلَا مُعَقِّبَ^(٢) لِحُكْمِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ بَعْدَ الْحَيَاةِ لِئَلَّا يَطْمَعَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي خُلْدِ الدُّنْيَا ، وَوَقَّتَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِيقَاتَ أَجَلٍ ، لَا يَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَيَقِّنٌ بِالْمَوْتِ ، لَا يَرْجُو أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ ، نَسَأَلَ اللَّهُ خَيْرَ الْمُنْقَلَبِ^(٣) ، وَبَلَغَنِي وَفَاةٌ فَلَانَ فَكَانَتْ وَفَاتُهُ مِنَ الْمَصَائِبِ الْعِظَامِ الَّتِي يُحْتَسَبُ^(٤) ثَوَابُهَا مِنْ رَبَّنَا الَّذِي إِلَيْهِ مُنْقَلِبُنَا وَمَعَادُنَا ، وَعَلَيْهِ ثَوَابُنَا . فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ لِأَهْلِ الصَّبْرِ صَلَوَاتٍ^(٥) مِنْهُ وَرَحْمَةً وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ .

(١) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب ولد سنة ١٠٦ هـ . ونشأ بالبصرة . وكان أبوه مجوسياً يجمع خراج بلاد فارس للحجاج بن يوسف الثقفى . وبقي ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية ثم أسلم فى آخر عمره وتعلم صناعة الكتابة وبرع فى ذلك وكتب لكثير من الأمراء . وكان غاية فى الذكاء واشتهر ابن المقفع ببلاغته ورشاقته عبارته وأسلوبه السهل المتنع وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين وقد اشتهر بكتابه (كلىة ودمنة) ومات مقتولاً سنة ١٤٢ هـ .

(٢) عقب الحاكم على حكم سلفه حكم بعده بغير حكمه . يريد هنا أن حكم الله لا ينقض .

(٣) المنقلب : المرجع ، يقال : كل امرئ يصير الى منقلبه .

(٤) احتسب أجره عند الله : قدمه .

(٥) المراد بالصلاة هنا الرحمة . يشير الى قوله تعالى . «وبشر الصابرين» الآية .

وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ الصَّغِيرِ :

مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِ الْإِنْسَانِ خَفَاءُ عِيُوبِهِ عَلَيْهِ . فَإِنْ مِنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ
خَفِيَتْ عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ ، فَلَنْ يُقْلَعَ (١) عَنْ عَيْبِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ وَلَنْ يَنَالَ
مَحَاسِنَ غَيْرِهِ .

لَا يُؤْمِنَنَّكَ شَرُّ الْجَاهِلِ قَرَابَةٌ وَلَا جَوَارٌ وَلَا إِلْفٌ (٢) فَإِنْ أَخُوفَ مَا يَكُونُ
الْإِنْسَانُ لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا (٣) . وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ إِنْ جَاوَرَكَ
أَنْصَبَكَ (٤) ، وَإِنْ نَاسَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ . وَإِنْ أَلْفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَا لَا تُطِيقُ ،
وَإِنْ عَاشَرَكَ آذَاكَ وَأَخَافَكَ . مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الْجُوعِ سَبْعٌ ضَارٍ (٥) ، وَعِنْدَ
الشَّبَعِ مَلِكٌ فَظٌ ، وَعِنْدَ الْمُوَافَقَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ إِلَى جَهَنَّمَ . فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ
مِنْهُ أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ (٦) وَالْحَرِيقِ الْمَخُوفِ وَالِدِّينِ الْفَادِحِ (٧)
وَالدَّاءِ الْعِيَاءِ (٨) . . .

(١) أقلع عن عيبه : كفا عنه وتركه .

(٢) الالف بكسر الهمزة وسكون اللام . والالفة : بضم الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء : الصداقة

(٣) أى يشتد خوف الانسان من النار حين يشتد قربه منها فكذلك الجاهل تخافه اذا كان ذاصلة

قوية بك . وهذا تمثيل .

(٤) أنصبه : أتمبه وأعياه .

(٥) الضارى من الحيوانات كالأسد والنمر : ما تعود أكل الصيد وأولع به .

(٦) الاساود : مفردة أسود ، وهو الحية العظيمة السوداء .

(٧) فدحه الحمل أو الدين : أثقله وبهظه . والفادح : الصعب المثلث . يقال نزل به أمر فادح ،

وركبه دين فادح .

(٨) داء عياء بفتح العين : لا يبرأ منه المريض .

(٢) أحمد بن يوسف^(١)

كتب يهنى بمولود :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَيْسَ مِنْ أَمْرِ يَجْعَلُ اللَّهُ لَكَ فِيهِ سُرُورًا إِلَّا كُنْتُ بِهِ بِهِجًا
أَعْتَدُ^(٢) فِيهِ بِالنَّعْمَةِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ ؛ وَعَرَّفَنِي مِنْ جَمِيلِ
رَأْيِكَ . فَزَادَكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَأَدَامَ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ . وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ
لَكَ غُلَامًا سَرِيًّا^(٣) أَجْمَلَ صُورَتَهُ ، وَأَتَمَّ خَلْقَهُ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ الْبَلَاءَ^(٤) عِنْدَكَ
فَاشْتَدَّ سُرُورِي بِذَلِكَ . وَأَكْثَرْتُ حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ . فَبَارَكَ اللَّهُ فِيهِ وَجَعَلَهُ
بَارًا^(٥) تَقِيًّا يَشُدُّ^(٦) عَضُدَكَ ، وَيُكْثِرُ عَدَدَكَ ، وَيُقِرُّ^(٧) عَيْنَكَ .

وكتب أيضاً تهنئة بظفر :

بَلَغَنِي — فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ — خُرُوجُ ابْنِ السَّرِيِّ إِلَيْكَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاصِرِ
لِدِينِهِ ، الْمُعِزِّ لَوْلِيهِ وَخَلِيفَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، الْمُدِلِّ لِمَنْ صَدَّ^(٨) عَنْ حَقِّهِ وَرَغِبَ^(٩)

(١) هو أحمد بن يوسف كاتب دولة بنى العباس ويقولون : أن أصل آبائه من قبط مصر وكانوا
كتاباً لبنى العباس فنشأ أحمد بن يوسف في بيت علم وأدب وشب على الكتابة . وكان من أبلغ
الكتاب والشعراء واشتهر في زمن المأمون فله كتب بليغة وكثير من الرسائل الديوانية والاخوانية .
وكانت طريقته في الكتابة تميل الى التوسع في المعاني والأساليب والعبارات وجزالة الالفاظ وتطويل
الرسائل السلطانية ، وكان يتولى ديوان الرسائل لمأمون حتى غضب عليه غضبة مات منها .
سنة ٢١٣ هـ .

(٢) أي أعد ذلك نعمة من الله .

(٣) السرى : الظريف .

(٤) البلاء هنا : الاختبار .

(٥) باراً : صالحاً مطيعاً .

(٦) العشد : بفتح العين وضم الضاد ما بين المرفق الى الكتف يريد بذلك أن يكون قوة له .

(٧) قرت عينه : بردت سرورها . وجف دمعها : يريد بذلك أن يكون من وسائل السعادة والسرور له .

(٨) صدّه عن كذا : صرفه ومنعه . يريد أن الله يدل من وقف في سبيل الحق .

(٩) رغب عنه : أعرض عنه وتركه .

عَنْ طَاعَتِهِ وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُظَاهِرَ^(١) النَّعَمَ ، وَيَفْتَحَ بُلْدَانَ الشَّرِّ^(٢) بِكَ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَاوَّالَاكَ^(٣) مُنْذُ ظَعَنْتَ^(٤) لَوَجْهِكَ ، فَإِنَّا نَمْدَاكَ سِيرَتَكَ
فِي حَرْبِكَ وَسِلْمِكَ ، وَنُكْثِرُ التَّعَجُّبَ لِمَا وُفِّقْتَ لَهُ مِنْ وَضْعِ الشَّدَةِ وَاللَّيَانِ^(٥)
بِمَوْضِعِهِمَا ، وَلَا نَعْلَمُ^(٦) سَائِرَ جُنْدٍ وَلَا رَعِيَّةٍ عُدِلَ بَيْنَهُمْ عَدْلُكَ وَلَا مَنْ عَفَا
بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَمَّنْ آسَفَهُ^(٧) وَأَضْغَنَهُ^(٨) عَفْوُكَ .

وكتب في الذم :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَا أَعْلَمُ لِلْمَعْرُوفِ^(٩) طَرِيقًا أَحْزَنَ^(١٠) وَلَا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ
إِلَيْكَ ، وَلَا مُسْتَوْدَعًا^(١١) أَقْلَ زَكَاءٍ^(١٢) ، وَلَا أَبْعَدَ ثَمَرَةً خَيْرٍ مِنْ مَكَانِهِ عِنْدَكَ ؛
لَأَنَّهُ يُحْصِلُ مِنْكَ فِي حَسَبِ دَيْ^(١٣) ، وَلِسَانِ بَدْيٍ^(١٤) ، وَنَسَبِ قِصَى^(١٥) ،
وَجَهْلٍ^(١٦) قَدْ مَلَكَ طِبَاعَكَ ؛ فَاْلْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ ،
وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ أَنْ تُحْرِزَهُ ، وَفِي وَلِيَّةٍ أَنْ تَكْفُرَ^(١٧) بِهِ .

(١) ظاهره مظاهره : عاونه . يسأل الله أن يكثر من النعم على يديه .

(٢) يريد بلدان الأعداء .

(٣) وإلى الشيء : تابعه يريد على ما أعطاه من النصر المتتابع المتوالى .

(٤) الظن : الرحيل . ويريد بقوله لوجهك لغرضك .

(٥) الليان : بفتح اللام المشددة مصدر لأن يلين وهو ضد الشدة . والليان : بالكسر الاسم من لان .

(٦) سائر الشيء : باقيه يريد أنه لا يوجد قوم يسود فيهم عدل مثل عدلك في قومك .

(٧) آسفه آيسافا : أغضبه وأحزنه .

(٨) أضغنه : حملة على الضفينة . ويريد أنه لم ير أحدا مثله عفا بعد القدرة على الانتقام عن

قوم أساءوا إليه وحملوه على أن يحقق عليهم .

(٩) المعروف هنا : الخير والاحسان . (١٠) الطريق الحزن : ضد السهل .

(١١) المستودع : المكان يحفظ فيه الشيء . (١٢) الزكاء : النمو والزيادة .

(١٣) الدنى مخفف الهمزة هنا : الخسيس الدليل .

(١٤) البدى بتخفيف الهمزة أيضا : المحتقر السفیه .

(١٥) القصى : البعيد . (١٦) الجهل : الحمق .

(١٧) كفر بالنعمة : جحدتها وتناساها وكفر بالمنعم جحد فضله .

ومن توقيعاته ما وجهه إلى عامل ظالم :

« الحق طريق واضح لمن طلبه ، تهذبه محبته ^(١) ، ولا تخاف عثرته ^(٢) ،
وتؤمن في السر مغيبته ^(٣) فلا تقلن ^(٤) منه ، ولا تعدلن عنه ، فقد بلغت
في مناصحتك ، فلا تخرجني إلى معاودتك ^(٥) ، فليس بعد التقدم ^(٦) إليك
إلا سطوة الإنكار عليك » .

(٣) الحسن بن سهل ^(٧)

كتب إلى محمد بن سماعه ^(٨) القاضي يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض مهامه :
أما بعد ، فإني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ،
ذی عفة ونزاهة طعمة ^(٩) ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، ليس
بظنين ^(١٠) في رأيه ، ولا بمطعون في حسبه . إن أوتيتني على الأسرار قام بها ،
وإن قلدتهما من الأمور أجزأ ^(١١) فيه ، له سن ^(١٢) مع أدب ولسان ،
تقده الرزاة ويسكنه الحلم ، قد فر ^(١٣) عن ذكاء وفطنة ، وعرض

-
- (١) المحجة : جادة الطريق . (٢) العثرة : السقطة والزلة .
(٣) المغبة : عاقبة الشيء . (٤) أقل الشيء : أتى بالقليل منه .
(٥) عاود الرجل : رجع إلى الأمر الأول يقال عاوده بالمسألة أي سألته مرة بعد أخرى وعاودته الحمى رجعت إليه .
(٦) التقدم مصدر قدم الشيء تقدمه . يريد أن ليس له عنده بعد أن قدم له النصيحة إلا أن يعاقبه
(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) توفي سنة ٣٣٦ هـ .
(٨) محمد بن سماعه القاضي : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . توفي سنة ٢٢٣ هـ
(٩) الطعمة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب ، يريد أنه لا يبتغى المال من طريق الحرام ولا من خسيس السبل .
(١٠) الظنين بفتح الظاء : المتهم : يريد أنه لا يصدر الرأي عن الميل والهوى .
(١١) أجزأ في الأمر كان له كفتا وقام به على خير وجوهه .
(١٢) السن هنا : التقدم في العمر .
(١٣) يقال : فر الدابة يفرها (من باب نصر) . كشف عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين : يريد أن الاختبار والتجربة كشفت عما فيه من الذكاء .

على قَارِحَةٍ^(١) من الكَمَالِ . تَكْفِيهِ اللَّحْظَةُ ، وَتُرْشِدُهُ السَّكْتَةُ . قَدْ أَبْصَرَ
خِدْمَةَ الْمُلُوكِ وَأَحْكَمَهَا ، وَقَامَ فِي أُمُورِهِمْ فَحْمِدَ فِيهَا . لَهُ أُنَاةٌ^(٢) الْوُزَرَاءِ ،
وَصَوْلَةٌ^(٣) الْأَمْرَاءِ ، وَتَوَاضَعُ الْعُلَمَاءُ ، وَفَهَمُ الْفُقَهَاءِ ، وَجَوَابُ الْحُكَمَاءِ . لَا يَبِيعُ
نَصِيبَ يَوْمِهِ بِحِرْمَانِ غَدِهِ . يَكَادُ يَسْتَرِيقُ^(٤) قُلُوبَ الرِّجَالِ بِحَلَاوَةِ لِسَانِهِ ،
وَحُسْنِ بَيَانِهِ . دَلَالَةُ الْفَضْلِ عَلَيْهِ لَاحِظَةٌ^(٥) ؛ وَأَمَارَاتُ الْعِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ ،
مُضْطَلَعًا^(٦) بِمَا اسْتَنْهَضَ^(٧) ، مُسْتَقِلًّا^(٨) بِمَا حُمِّلَ ، وَقَدْ آثَرَتْكَ^(٩) بِطَلَبِهِ ،
وَحَبَوَتْكَ بِارْتِيَادِهِ^(١٠) ، ثَقَّةٌ بِفَضْلِ اخْتِيَارِكَ ، وَمَعْرِفَةٌ بِحُسْنِ تَأْتِيكِ .

(٤) محمد بن عبد الرحمن الهاشمي

قال : كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى تَزُورُ أُمِّي . وَكَانَتْ لَبِيبَةً مِنَ النِّسَاءِ ، حَازِمَةً
فَصِيحَةً بَرَزَةً^(١١) . يُعْجِبُنِي أَنْ أَجِدَهَا عِنْدَ أُمِّي فَأَسْتَكْرِ مِنْ حَدِيثِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا
يَوْمًا : يَا أُمَّ جَعْفَرٍ : إِنْ بَعْضَ النَّاسِ يُفْضِلُ جَعْفَرًا عَلَى الْفَضْلِ ، وَبَعْضُهُمْ
يُفْضِلُ الْفَضْلَ عَلَى جَعْفَرٍ ، فَأَخْبِرْنِي . فَقَالَتْ : مَا زِلْنَا نَعْرِفُ الْفَضْلَ

-
- (١) قرح الفرس فهو قارح : خرج نابيه ، ولا يكون له ذلك الا اذا استكمل السن والقوة ،
يريد بالجملة انه استوفى أسباب الكمال .
- (٢) الأناة : الوقار والحلم والتمهل .
- (٣) الصولة : القدرة والسطوة .
- (٤) استريق القلوب : استعبدها .
- (٥) لائحة : بادية ظاهرة .
- (٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به نهض به وقوى عليه .
- (٧) استنهض بالبناء للمجهول طلب منه النهوض .
- (٨) استقل بالشئ : حله ورفع ، فهو مستقل به .
- (٩) آثره بالشئ : اختصه به وفضله على غيره .
- (١٠) ارتاد الشئ ارتيادا طلبه وبحث عنه .
- (١١) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهي عفيفة .

لِلْفَضْلِ . فَقُلْتُ : إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى خِلَافٍ هَذَا . فَقَالَتْ : هَآؤُنَا أُحَدِّثُكَ
 وَاقْضِ أَنْتَ . وَذَلِكَ الَّذِي أُرَدْتُ مِنْهَا . فَقَالَتْ : كَانَا يَوْمًا يَلْعَبَانِ فِي دَارِي ،
 فَدَخَلَ أَبُوهُمَا فَدَعَا بِالْغَدَاءِ وَأَحْضَرَهُمَا ، فَطَعِمَا مَعَهُ ثُمَّ آتَاهُمَا بِحَدِيثِهِ ، ثُمَّ قَالَ
 لَهُمَا : أَتَلْعَبَانِ بِالشَّطْرَنْجِ ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ ، وَكَانَ أَجْرُهُمَا : نَعَمْ ! قَالَ : فَهَلْ
 لَا عِبْتَ أَخَاكَ بِهَا ؟ قَالَ جَعْفَرٌ : لَا ! قَالَ : فَالْعَبَا بِهَا بَيْنَ يَدَيَّ لِأَرَى لِمَنِ الْغَلَبُ .
 فَقَالَ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ! وَكَانَ الْفَضْلُ أَبْصَرَ مِنْهُ بِهَا . فَخَيَّرَهُ بِالْشَّطْرَنْجِ فَصُفْتُ
 بَيْنَهُمَا ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا جَعْفَرٌ وَأَعْرَضَ عَنْهَا الْفَضْلُ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَا لَكَ
 لَا تُلَاعِبُ أَخَاكَ ؟ فَقَالَ : لَا أَحِبُّ ذَلِكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّهُ يَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَا
 مِنِّي فَيَأْتِيَنِي مِنْ مُلَاعِبَتِي ، وَأَنَا أَلَا عِيبُهُ مُخَاطَرَةٌ^(١) . فَقَالَ الْفَضْلُ : لَا أَفْعَلُ .
 فَقَالَ أَبُوهُ : لَا عِيبُهُ وَأَنَا مَعَكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : رَضِيتُ . وَأَبَى الْفَضْلُ وَاسْتَعْفَى^(٢)
 أَبَاهُ فَأَعْفَاهُ . ثُمَّ قَالَتْ لِي : قَدْ حَدَّثْتُكَ فَاقْضِ . فَقُلْتُ : قَدْ قَضَيْتُ بِالْفَضْلِ
 لِلْفَضْلِ عَلَى أَخِيهِ . فَقَالَتْ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ الْقَضَاءَ لَمَا حَكَمْتُكَ .
 أَفَلَا تَرَى أَنَّ جَعْفَرَ قَدْ سَقَطَ أَرْبَعُ سَقَطَاتٍ تَنْزَعُ الْفَضْلُ عَنْهُنَّ : فَسَقَطَ
 حِينَ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَلْعَبُ بِالشَّطْرَنْجِ ، وَكَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ جِدٍّ^(٣) .
 وَسَقَطَ فِي التَّرَامِ مُلَاعِبَةَ أَخِيهِ ، وَإِظْهَارِ الشَّهْوَةِ لِغَلْبِهِ ، وَالتَّعَرُّضِ لِغَضَبِهِ .
 وَسَقَطَ فِي طَلَبِ الْقَامَرَةِ وَإِظْهَارِ الْحِرْصِ عَلَى مَالِ أَخِيهِ . وَالرَّابِعَةُ قَاصِمَةُ
 الظَّهْرِ حِينَ قَالَ أَبُوهُ لِأَخِيهِ : لَا عِيبُهُ وَأَنَا مَعَكَ . فَقَالَ أَخُوهُ لَا ، وَقَالَ هُوَ نَعَمْ ،

(١) المخاطرة المراهنة ، يقال : لاعبه على خطر بفتحتين أى على رهان .

(٢) استعفاه من كذا : طلب منه ألا يكلفه به .

(٣) الجدد بكسر الميم : ضد الهزل .

فَنَاصَبَ (١) صَفًّا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ . فَقُلْتُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! وَإِنَّكَ
لَأَقْضَى مِنَ الشَّعْبِيِّ (٢) ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ (٣) عَلَيْكَ أَخْبِرْنِي :
هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هَذَا عَلَى جَعْفَرٍ وَقَدْ فَطَنَ لَهُ أَخُوهُ ؟ فَقَالَتْ : لَوْلَا
الْعَزْمَةُ لَمَّا أَخْبَرْتُكَ ، إِنَّ أَيَّاهُمَا لَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لِلْفَضْلِ خَالِيَةً بِهِ :
مَا مَنَعَكَ مِنْ إِدْخَالِ الشُّرُورِ عَلَى أَيْبِكَ بِمُلَاعَبَةِ أَخِيكَ ؟ قَالَ :
أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ أَنِّي لَاعَبْتُهُ لَغَلَبْتُهُ فَأَخْجَلْتُهُ ، وَالثَّانِي قَوْلُ أَبِي
لَاعِبِهِ وَأَنَا مَعَكَ ، فَمَا يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ أَبِي مَعِيَ عَلَى أَخِي . ثُمَّ خَلَوْتُ
بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَسْأَلُ أَبُوكَ عَنِ اللَّعِبِ يَالشُّطْرَنْجَ فَيَصُفُّمْتُ أَخُوكَ
وَتَعْتَرِفُ ، وَأَبُوكَ صَاحِبُ جَدٍّ . فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَعَمْ
لَهُوَ الْبَالُ الْكَدُودُ (٤) . وَقَدْ عَلِمَ مَا نَلَقَاهُ مِنْ كَدِّ التَّعَلُّمِ وَالتَّأْدِبِ ؛
وَلَمْ أَمْنِ أَنْ يَكُونَ بَلَّغَهُ أَنَا نَلْعَبُ بِهَا ، وَلَا أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكَرَ ؛
فَبَادَرْتُ بِالْإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وَعَايِهِ ، وَقُلْتُ : إِنْ كَانَ تَوْبِيخُ
فَدَيْتِهِ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا بُنَيَّ : فَلِمَ تَقُولُ أَلَاعِبُهُ
مُخَاطَرَةً ؟ كَأَنَّكَ تُقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ . فَقَالَ : كَلَّا وَلَكِنَّهُ
يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاءَ الَّتِي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ فَأَبَى قَبُولَهَا ،
وَطَمِعْتُ أَنْ يُلَاعِبَنِي فَأَخَاطِرُهُ عَلَيْهَا وَهُوَ يَغْلِبُنِي فَتَطْيِبُ نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا . فَقُلْتُ
لَهَا : يَا أُمَّاهُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّوَاءُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ جَعْفَرًا دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاءً مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ مُحَلَّلَةً بِالْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ وَالْأَصْفَرِ فَرَأَاهُ يَنْظُرُ

(١) ناصبه : عاداه وقاومه . وناصبه العداوة : أظهرها له .

(٢) الشعبي بفتح الشين وسكون العين أحد رجال الحديث والقضاء .

(٣) عزم عليه : أقسم عليه . والاسم منه العزيمة والعزيمة بفتح العين فيهما .

(٤) كده الشيء فهو مكدود : اتعبه واجهده .

إِلَيْهَا فَوَهَبَهَا لَهُ . فَقُلْتُ إِيَّاهُ . فَقَالَتْ : ثُمَّ قُلْتُ لَجَعْفَرٍ هَبْكَ^(١) اعْتَذَرْتُ بِمَا
سَمِعْتُ فَمَا عُذْرُكَ . مِنَ الرِّضَا بِمُنَاصَبَةِ أَبِيكَ حِينَ قَالَ لَا عِبَهُ وَأَنَا مَعَكَ ؟ فَقُلْتُ
أَنْتَ : نَعَمْ ، وَقَالَ هُوَ : لَا . فَقَالَ : عَرَفْتُ أَنَّهُ غَالِي ، وَلَوْ فَتَرَ لَعِبَهُ لَتَغَالَبْتُ^(٢)
لَهُ ، مَعَ مَالِهِ مِنَ الشَّرَفِ وَالشَّرُورِ بِتَحْيِزِ أَبِيهِ إِلَيْهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فَقُلْتُ : بَخِ بَخِ^(٣) ، هَذِهِ وَاللَّهِ السِّيَادَةُ . ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ : أَوَكَانَ مِنْهُمَا
مَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ ؟ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ : أَأَنْ يَذْهَبُ بِكَ ؟ أَخْبِرُكَ عَنْ صَبِيَّائِنِ يَلْعَبَانِ
فَتَقُولُ : أَوَكَانَ مِنْهُمَا مَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ ، لَقَدْ كُنَّا نَنْهَى الصَّبِيَّ إِذَا بَلَغَ الْعَشْرَ
وَحَضَرَ مَنْ يُسْتَحَى مِنْهُ أَنْ يَبْتَسِمَ .

(٥) الصُّوْلَى^(٤)

من رسائله في تعزية على لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبد الله مولى
أمير المؤمنين :

أَمَّا بَعْدُ ، تَوَلَّى اللَّهُ تَوْفِيقَكَ وَحَيَاطَتَكَ ، وَمَا يَرْتَضِيهِ مِنْكَ وَيَرْضَاهُ عَنْكَ !
إِنَّ أَفْضَلَ النِّعَمِ نِعْمَةٌ تُلْقَى^(٥) بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الشُّكْرِ وَأَوْفَرَ حَادِثَةٍ ثَوَابًا حَادِثَةٍ

(١) يقال : هَبْكَ صَنَعْتَ كَذَا أَيْ افْرَضْ أَنْكَ صَنَعْتَ . وَهِيَ كَلِمَةٌ مَلَاظِمَةٌ لِلْأَمْرِ لَا تَنْصَرِفُ لغيره
من الأفعال . (٢) فَتَرَ يَفْتَرُ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَمِنْ بَابِ ضَرَبَ : ضَعَفَ .
(٣) بَخِ بَفْعَ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْخَاءِ : اسْمُ فِعْلٍ لِلْمَدْحِ وَاطِّهَارِ السُّرُورِ بِالشَّيْءِ . وَيَكْرُرُ لِلْمُبَالَغَةِ
فَيُقَالُ : بَخِ بَخِ بِالْكَسْرِ وَالتَّنْوِينِ .
(٤) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُسْعِدَةَ . نَشَأَ بِبَغْدَادَ وَأَخَذَ
الْعِلْمَ عَنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ وَاشْتَغَلَ بِالشُّعْرِ وَنَبِغَ فِيهِ وَمَدَحَ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَتَوَلَّى فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ
دِيَوَانَ النِّفَقَاتِ . وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْكُتَّابِ . وَمِنْ أَفْذَاهِمُ الْمَعْرُوفِينَ فِي زَمَانِهِ حَتَّى لُقِبَ بِكَاتِبِ الْعِرَاقِ
وَلَهُ رِسَالٌ كَثِيرَةٌ أَشْهَرُهَا مَا كَتَبَهُ فِي التَّعَاذِي . تَوَفَّى بِبَسْرَ مِنْ رَأَيْ سَنَةِ ٢٤٢ هـ .
(٥) تَلَقَّى الشَّيْءَ : بِمَعْنَى لَقِيَ .

أَدَّى حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا مِنَ الرِّضَا وَالنَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ ، وَمِثْلَكَ مِنْ قَدَمٍ مَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِي زِمْمَةٍ فَشَكَرَهَا ، وَفِي مُصِيبَةٍ فَاطَاعَهُ فِيهَا . وَقَدْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) قِضَاءَهُ السَّابِقَ وَالْمَوْقَعَ ^(١) . وَفِي ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ) وَتَقْدِيمَ مَا يُقَدَّمُ مِثْلَهُ أَهْلُ الْحِجَا ^(٢) وَالْفَهْمِ مَا اعْتَاظَهُ ^(٣) مُعْتَاظٌ وَقَدَّمَهُ مَوْفَقٌ . فَلْيَكُنْ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَمَا أَطَعْتَهُ بِهِ وَقَدَّمْتَ حَقَّهُ فِيهِ أَوْلَى بِكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فِي الْمَكْرُوهِ بِطَاعَتِهِ . يُحَسِّنُ وَلَايَتَكَ فِي تَوْفِيقِكَ لَشُكْرِ نِعَمِهِ عِنْدَكَ .

وَمِنْ رِسَائِلِهِ الْقِصَارِ عَلَى لِسَانِ الْمُتَوَكِّلِ لِأَهْلِ حِمصِ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ ، وَهِيَ مِنَ الرِّسَائِلِ الَّتِي أَغْنَتْ عَنِ الْجِيُوشِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ مِمَّا قَوْمٌ بِهِ مِنْ أَوْدٍ ^(٤) ، وَعَدَلٍ بِهِ مِنْ زَيْغٍ ^(٥) ، وَلَمْ بِهِ مِنْ مُنْتَشِرٍ ، اسْتِعْمَالِ ثَلَاثٍ يُقَدَّمُ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ : أَوَّلَاهُنَّ مَا يَتَقَدَّمُ بِهِ مِنْ تَنْبِيهِ وَتَوْقِيفٍ ^(٦) ، ثُمَّ مَا يَسْتَظْهَرُ ^(٧) بِهِ مِنْ تَحْذِيرٍ وَتَخْوِيفٍ ، ثُمَّ الَّتِي لَا يَقَعُ بِحَسَمِ الدَّاءِ غَيْرُهَا :

(١) الموضع : المقدّر . (٢) الحجّا : العقل .

(٣) اعتاض منه : أخذ العوض واعتاض واستعاض فلانا سأله العوض .

(٤) الأود هنا : الإعوجاج .

(٥) الزيغ : الميل عن الحق .

(٦) وقفه على الشيء : أفهمه .

(٧) استظهر به : استعاذ .

(٨) حسمه : قطعه مستأصلا إياه .

أَنَاة^(١) ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا وَعَيْدًا ، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

وكتب إلى ابن الزيات^(٢) يستعطفه :

كُتِبَتْ وَقَدْ بَلَغَتْ الْمُدِيَّةُ^(٣) الْحَزَّ^(٤) ، وَعَدَّتِ^(٥) الْأَيَّامُ بِكَ عَلَى بَعْدِ
عَدَوَايَ^(٦) بِكَ عَلَيْهَا وَكَانَ أَسْوَأَ الظَّنِّ وَأَكْثَرَ خَوْفِي أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا
وَتَكْفُ عِنْدَ أَذَاتِهَا^(٧) ، فَصِرْتَ أَضَرَّ عَلَى مِنْهَا ؛ فَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنْ نُصْرَتِي^(٨)
خَوْفًا مِنْكَ ، وَبَادَرَ^(٩) إِلَى الْعَدُوِّ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ :

وَكُتِبَ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخُ بَيْتِي وَيَيْنَ الدَّهْرِ — بِرِ صَاحِبِ أَيْنَا غَلْبًا^(١٠)

(١) الأناة : الحلم والانتظار والتمهل .

(٢) ابن الزيات : أحد الوزراء والكتاب .

(٣) المدية مثلثة الميم : السكين .

(٤) الحز بفتح الميم : موضع الحز أى القطع . يقال : قطع فأصاب الحز . والحز بكسر الميم : آلة الحز . يريد أن الأمر وصل إلى غايته من الشدة .

(٥) عدت الأيام : اعتدت .

(٦) العدوى هنا : اسم مصدر أعدى فلانا على فلاح : نصره وأعانه . يريد بعد أن استعنت بك على الأيام .

(٧) الأداة : الأذى . يريد من قوله (وكان أسوأ الظن الخ . .) أنه كان يظن أن أسوأ ظنه في ابن الزيات إلا يعين الأيام عليه إذا أصابته بأذى فإذا هو أضر عليه منها وأشدى أذى له .

(٨) النصرة : النصر وحسن المعونة .

(٩) بادر إلى الشيء : أسرع .

(١٠) يصف الصديق الذى أشار إليه بأن يكون معه حينما يكون الزمان معه ويكون عليه حينما يخونه الدهر .

صَدِيقِي مَا اسْتَقَامَ وَإِنْ نَبَا دَهْرٌ عَلَى نَبَا (١)
وَتَبْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِهِ فَمَادَ بِهِ وَقَدْ وَثَبَا (٢)
وَأَرَوْا عَادَ الزَّمَانُ لَنَا لَعَادَ بِهِ أَخَا حَدِيبًا (٣)

ثانياً - النثر العلمى

(١) أبو يوسف (٤)

قال فى كتاب « الخراج » :

وَأَنَا أَرَى أَنْ تَبِمَتْ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْعِفَافِ مِمَّنْ يُوثِقُ بِيَدَيْنِهِ وَأَمَانَتِهِ
يَسْأَلُونَ عَنْ سِيرَةِ الْعُمَالِ وَمَا عَمِلُوا بِهِ فِي الْبِلَادِ ، وَكَيْفَ جَبَّوْا الْخَرَاجَ عَلَى مَا أُمِرُوا
بِهِ ، وَعَلَى مَا وُظِّفَ عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ وَاسْتَقَرَّ ؛ فَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَصَحَّ ، أَخَذُوا
بِمَا اسْتَفْضَلُوا مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْأَخْذِ حَتَّى يُؤَدُّوهُ بَعْدَ الْعُقُوبَةِ الْمَوْجِبَةِ وَالنَّكَالِ ،
حَتَّى لَا يَتَعَدَّوْا مَا أُمِرُوا بِهِ ، وَمَا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ فِيهِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَا عَمِلَ بِهِ وَالِى الْخَرَاجِ
مِنَ الظُّلْمِ وَالْمَسْفِ فَإِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أُمِرَ بِهِ ، وَقَدْ أُمِرَ بِغَيْرِهِ ، وَإِنْ أَخْلَتَ
بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ الْعُقُوبَةَ الْمَوْجِبَةَ أَنْتَهَى غَيْرُهُ وَاتَّقَى وَخَافَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا بِهِمْ تَعَدَّوْا
عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ وَاجْتَرَأُوا عَلَى ظُلْمِهِمْ وَتَعَسَّفِهِمْ وَأَخَذَهُمْ بِمَا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ . وَإِذَا
صَحَّ عِنْدَكَ مِنَ الْعَامِلِ وَالْوَالِى تَعَدَّى بِظُلْمٍ وَعُسْفٍ وَخِيَانَةٍ لَكَ فِي رَعِيَّتِكَ وَاحْتِجَانِ

(١) نبا بصره : تجافى وتباعد . ونبا عليه الدهر : جفاه وتباعد عنه . وهذا توضيح لمعنى البيت الأول .

(٢) وثب : قفز ونهض . يقول هجمت على الزمان به فرجع عن معاونتى وهجم على مع الزمان

(٣) حذب عليه : تعطف . وأخ حذب بفتح الحاء وكسر الدال : شفيق . يريد أنه إذا صادقه

الزمان عاد ذلك النابى عليه صديقا له .

(٤) أبو يوسف هو القاضى يعقوب بن ابراهيم الأنصارى الكوفى أخذ الفقه عن الامام أبى حنيفة

وكان نابها مقدما وضع كتاب (الخراج) للرشيده .

شئ من النىء ، أو خُبث طُعْمَتِهِ أَوْ سُوءِ سِيرَتِهِ فحرامٌ عليك استعماله والاستعانةُ به ، وَأَنْ تُقَلِّدَهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ رَعِيَّتِكَ أَوْ تُشْرِكَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ ، بَلْ عَاقِبُهُ عَلَى ذَلِكَ عَقُوبَةً تَرُدُّهُ غَيْرَهُ مِنْ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِمِثْلِ مَا تَعَرَّضَ لَهُ . وإياك ودعوة المظلومِ فَإِنَّ دَعْوَتَهُ مُجَابَةٌ .

(٢) من كتاب التاج المنسوب للجاحظ^(١)

كَانَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ أَوَّلَ مَنْ رَتَّبَ النُّدَمَاءَ^(٢) وَأَخَذَ بِزِمَامِ سِيَاسَتِهِمْ ، فَجَعَلَهُمْ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ :

فَكَانَتِ الْأَسَاوِرَةُ^(٣) وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ فِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى ، وَكَانَ مَجْلِسُ هَذِهِ الطَّبَقَةِ مِنْ الْمَلِكِ عَلَى عَشْرَةِ أَذْرُعٍ مِنَ السُّتَارَةِ .

ثُمَّ الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ كَانَ مَجْلِسُهَا مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ عَلَى عَشْرَةِ أَذْرُعٍ (وَهُمْ بِطَانَةُ الْمَلِكِ وَنَدَمَاؤُهُ وَمَحْدُّوهُ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ وَالْعِلْمِ) .

ثُمَّ الطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ كَانَ مَجْلِسُهَا عَلَى عَشْرَةِ أَذْرُعٍ مِنَ الثَّانِيَةِ وَهُمْ الْمُضْحِكُونَ وَأَهْلُ الْهَزْلِ وَالْبَطَالَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ خَسِيسُ الْأَصْلِ

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى . ولد بمدينة البصرة وتربى بها ودرس هناك كل ما كان ذائعاً من العلوم والفنون في أيامه ولازم إبراهيم بن سيار النظام المتكلم المعتزلى وأخذ عنه حتى صار زعيم فرقة تنسب إليه وعرف كثيراً من كبار الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم وقرأ كل ما ترجم في زمانه ووقع عليه نظره فكان من كبار العلماء والكتاب ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) نادمه على الشراب منادمة : جالسه عليه . والنديم : المنادم على الشراب . والنديم أيضاً الرفيق والإصاحب .

(٣) أساور الفرس : هم الفرسان .

ولا وَضِيعُهُ ، ولا نَاقِصُ الجَوَارِحِ ^(١) ، ولا فَاحِشُ الطُّولِ والقِصَرِ ،
ولا مَوْوُفٌ ^(٢) ، ولا مَرْمِيٌّ بِأُبْنَةٍ ، ولا مَجْهُولُ الأَبْوَيْنِ ، ولا ابْنُ صِنَاعَةٍ
دَنِيئَةٌ كَأَبْنِ حَائِكٍ أو حَجَّامٍ ولو كان يَعْلَمُ الغَيْبَ مثلاً .

وكان أَرْدَشِيرُ يقول : « ماشىءُ أَسْرَعَ في انْتِقَالِ الدُّوَلِ وَخَرَابِ المَمْلَكَةِ
من انْتِقَالِ هَذِهِ الطبقاتِ عن مَرَاتِبِهَا ، حتى يُرْفَعَ الوَضِيعُ إلى مَرْتَبَةِ الشَّرِيفِ ،
ويُحِطَّ الشَّرِيفُ إلى مَرْتَبَةِ الوَضِيعِ . وكان الذى يقابل الطبقة الأولى من
الأساورة وأبناء الملوك أهلُ الحَذَاقَةِ بالمُوسِيقِيَّاتِ والأَغَانِي . فكانوا بإِزاءِ
هُؤُلَاءِ نُصِبَ خَطُ الاستِواءِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطبقةَ الثانيةَ من نُدَمَاءِ الملكِ
وِبِطَانَتِهِ الطبقةُ الثانيةُ من أَصْحَابِ المُوسِيقِيَّاتِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطبقةَ
الثَّالِثَةَ من أَصْحَابِ الفُكَاكِهَاتِ والمُضْحِكِينَ أَصْحَابُ الوَنَجِ ^(٣) والمعَارِفِ
والطَّنَابِيرِ ^(٤) ، وكان لا يَزِمُّ الحَازِقُ من الزَّامِرِينَ إلا على الحَازِقِ من المَغْنِيِّينَ .
وإن أَمَرَ الملكُ بِذلك رَاجِعَهُ واحتِجَّ عليه » .

(٣) من كتاب الكامل المبرد ^(٥)

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ مِنْ أَمْثَالِ العَرَبِ : « لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ » يَقُولُ :
إِذَا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ شَيْءٌ فَحَذَّرَكَ أَنْ يَحْمَلَ بِكَ مِثْلُهُ فَتَأْدِيبُهُ إِيَّاكَ عِوَضٌ مِنْ ذَهَابِهِ .

(١) الجوارح جمع جارحة وهى العضو من الانسان .

(٢) أى مصاب بأفة . الابنة : العيب .

(٣) كلمة فارسية معربة والعرب تقول الون بتشديد النون وهى الصنج آلة من آلات الطرب .

(٤) الطنبور والطنبار : من الآلات الموسيقية التى أخذها العرب عن الفرس .

(٥) المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي . ولد فى البصرة وانتقل الى بغداد وكان قوى
الذاكرة سريع الحفظ يعد من شيوخ النحو والأدب له جملة مصنفات منها كتاب الكامل الذى
يمزج الأدب باللغة والتاريخ ويعد من أمهات الكتب الادبية . وقد مات المبرد سنة ٢٨٦ هـ .

ومن أمثالهم : « رُبَّ عَجَلَةٍ تَهْبُ رَيْثًا » وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَلَا يُحْكِمُهُ لِلإِسْتِعْجَالِ بِهِ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعُودَ فَيَنْقُضَهُ ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ . وَالرَّيْثُ : الإِبْطَاءُ ، وَرِاثَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ : إِذَا تَأَخَّرَ . ومن أمثال العرب : « عَشَّ وَلَا تَعْتَرَّ » وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ يَمُرَّ صَاحِبُ الْإِبِلِ بِالْأَرْضِ الْمُسْكِنَةِ ^(١) فَيَقُولُ : أَدْعُ أَنْ أَعْشَى إِلَى مِنْهَا حَتَّى أُرِدَ عَلَى أُخْرَى ، وَلَا يَذَرِي مَا الَّذِي يَرِدُ عَلَيْهِ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : « أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءٍ ^(٢) أَكْيَسُ » وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِالْمَاءِ فَلَا يَحْمِلُ مِنْهُ اتِّسَاكًا عَلَى مَاءٍ آخَرَ يَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ فَيُقَالُ لَهُ : أَنْ تَحْمِلَ مَعَكَ مَاءً أَحْزَمَ لَكَ ، فَإِنْ أَصَبْتَ مَاءً آخَرَ لَمْ يَضُرَّكَ ، فَإِنْ لَمْ تَحْمِلْ نَخَفْتُ مِنَ الْمَاءِ عَطِبْتُ ^(٣) . وَمِنْ أُمَثَالِهِمْ : « قَدْ أَحْزَمُ لَوْ أُعْزِمُ » يَقُولُ : أَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ فَإِنْ عَزَمْتُ فَأَمْضَيْتُ الرَّأْيَ فَأَنَا حَازِمٌ ، وَإِنْ تَرَكْتُ الصَّوَابَ وَأَنَا أَرَاهُ وَضِيعَتُ الْعَزْمِ لَمْ يَنْفَعْنِي حَزْمِي . وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِي :

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنْنَى أَمْرُو إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

وَقَالَ أَعْرَابِي يَمْدَحُ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ :

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيًا ^(٤)

فَالَّذِي يُحَمَّدُ إِمْضَاءَ مَا تَبَيَّنَ رُشْدُهُ ، فَأَمَّا الْإِقْدَامُ عَلَى ^(٥) الْغَرَرِ ، وَرُكُوبِ الْأَمْرِ عَلَى الْخَطَرِ ، فَلَيْسَ بِمَحْمُودٍ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ .

(١) أَكَلَاتِ الْأَرْضِ : كُلُّهَا الْكَلَا : الْعُشْبُ رَطْبًا وَيَابَسًا .

(٢) بِمَاءٍ أَيْ مَعَ مَاءٍ . وَالْكِياسَةُ : الْفُطَانَةُ . وَرَجُلٌ كَيْسٌ : فَطِنٌ . وَالْأَكْيَسُ : اسْمُ تَفْضِيلٍ مِنْهُ .

(٣) عَطِبْتُ : هَلَكْتُ .

(٤) أَوْقَفَ اسْمُ تَفْضِيلٍ مِنَ (الْوُقُوفِ) وَوَضَحَ الْأَمْرَ (يُضَحُّ) : انْكَشَفَ وَبَانَ . مَضَى عَلَى الْأَمْرِ : أَتَمَّهُ . يَقُولُ أَنَّهُ أَشَدُّ تَحَرُّجًا مِنَ الْمَضَاءِ فِي الْأَمْرِ إِذَا مَا يَتَبَيَّنُ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ فِيهِ ؛ عَلَى أَنْ لَهُ مِنَ الْفُطْنَةِ وَالْأَلْمِيَةِ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى الْمَضَاءِ رَاشِدًا فِي خَيْرٍ بِمَضَى غَيْرِهِ .

(٥) الْغَرَرُ بَفَتْحِ الْغَيْنِ وَالرَّاءِ : التَّعْرِيزُ لِلْهَلَاكِ .

(٤) من تاريخ الأمم والملوك للطبرى^(١)

« خلافة الأمين »

وفي هذه السنة (١٩٣ هـ) بُويعَ لِحَمْدِ الْأَمِينِ بْنِ هَارُونَ بِالْخِلَافَةِ
فِي عَسْكَرِ الرَّشِيدِ ، وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ هَارُونَ الْمَأْمُونُ يَوْمَئِذٍ بِمَرْوَ ، وَكَانَ فِيهَا
ذِكْرٌ قَدْ كَتَبَ خَمَوَيْهِ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ صَاحِبُ الْبَرِيدِ بِطُوسٍ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ سَلَامَ
مَوْلَاهُ وَخَلِيفَتِهِ بِبَغْدَادٍ عَلَى الْبَرِيدِ وَالْأَخْبَارِ يُعْلِمُهُ وَفَاةَ الرَّشِيدِ . فَدَخَلَ
عَلَى مُحَمَّدٍ فَعَزَّاهُ وَهَنَّاهُ بِالْخِلَافَةِ . وَكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ فَعَلَ ذَلِكَ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ
رَجَاءُ الْخَادِمِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ :
كَانَ صَالِحُ بْنُ الرَّشِيدِ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ بِالْخَبَرِ بِذَلِكَ ، وَقِيلَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ
لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَأَظْهَرَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَسَرَّ خَبَرَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ
وَلَيْلَتَهُ ، وَخَاضَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمَّا قَدِمَ كَتَابُ صَالِحٍ عَلَى مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ
مَعَ رَجَاءِ الْخَادِمِ بِوَفَاةِ الرَّشِيدِ . وَكَانَ نَازِلًا فِي قَصْرِهِ بِالْخُلْدِ ، تَحَوَّلَ
إِلَى قَصْرِ أَبِي جَعْفَرٍ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْحُضُورِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ فَحَضَرُوا
وَصَلَّى بِهِمْ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ صَعِدَ الْمَنبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَنَعَى
الرَّشِيدَ إِلَى النَّاسِ وَعَزَّى نَفْسَهُ وَالنَّاسَ ، وَوَعَدُهُمْ خَيْرًا وَبَسَطَ الْأَمَالَ ، وَأَمَّنَ
الْأَسْوَدَ وَالْأَبْيَضَ ، وَبَايَعَهُ جَلَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَاصَّتُهُ وَمَوَالِيهِ وَقَوَّادِهِ ،
ثُمَّ دَخَلَ وَوَكَّلَ بَيْعَتِهِ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَمَّ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ فَبَايَعَهُمْ

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . ولد في طبرستان ، ورحل الى بغداد وغيرها في طلب العلم حتى صار من علماء الدين وأئمة البلاغة . له مؤلفات أشهرها تفسير القرآن وكتاب التاريخ الذي اقتبسنا منه هذه العبدة . وقد توفي سنة ٣٢٠ هـ .

وأمر السُّنْدِيَّ بمِائَةِ جَمِيعِ النَّاسِ مِنَ الْقَوَادِ وَسَائِرِ الْجُنْدِ ، وَأَمَرَ لِلْجُنْدِ مِمَّنْ
بِمَدِينَةِ السَّلَامِ بِرِزْقِ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا ، وَبِحَوَاصِ مَنْ كَانَتْ لَهُ خَاصَّةٌ
لِهَذِهِ الشُّهُورِ .

(٥) من كتاب ألف ليلة وليلة

وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها

له أصل فارسي يعد نواة له يسمى (هزار افسانه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسري مع الشاب السارق

ومما يُحكى أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ كَانَ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ . فَجَاءَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مُتَعَلِّقُونَ
بِشَابِ ذِي جَمَالٍ بَاهِرٍ ، وَأَدَبٍ ظَاهِرٍ ، وَعَقْلٍ وَافِرٍ ، وَهُوَ حَسَنُ الصُّورَةِ وَلَيْبِ
الرَّائِحَةِ ، وَعَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ ، فَقَدَّمُوهُ إِلَى خَالِدٍ فَسَأَلَهُمْ عَنْ قِصَّتِهِ ، فَقَالُوا هَذَا لِصِّ
أَصْبَنَاهُ^(١) الْبَارِحَةَ فِي مَنْزِلِنَا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ خَالِدٌ فَأَعْجَبَهُ حَسَنُ هَيْئَتِهِ وَنِظَافَتِهِ . فَقَالَ :
خَلُّوا عَنْهُ^(٢) . ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَقَالَ : إِنَّ الْقَوْمَ صَادِقُونَ فِيمَا قَالُوهُ
وَالْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرُوا . فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنْتَ فِي هَيْئَةٍ جَمِيلَةٍ وَصُورَةٍ
حَسَنَةٍ ؟ قَالَ : حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ الطَّمَعُ فِي الدُّنْيَا وَقِضَاءُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . فَقَالَ لَهُ
خَالِدٌ : تَكَلَّمْتَكَ أُمُّكَ^(٣) ! أَمَا كَانَ لَكَ فِي جَمَالٍ وَجْهٌ وَكَمَالٍ عَقْلٌ وَحَسَنُ أَدَبٍ
زَاجِرٌ يَزْجُرُكَ عَنِ السَّرْقَةِ . قَالَ : دَعَّ عَنْكَ هَذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! وَامْضِ^(٤) إِلَى مَا أَمَرَ
اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَذَلِكَ بِمَا كَسَبْتُ يَدَايَ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . فَسَكَتَ خَالِدٌ سَاعَةً

(١) أصبناه : أدركناه .

(٢) خلى عن الأمر بتشديد اللام المفتوحة : تركه .

(٣) تكلمت المرأة ابنها : فقدته ، وهى تكلمت كلمة للدعاء على الإنسان ، وقد تستعمل للعجاب

بالرجل . . .

(٤) أى نفذه .

يفكر في أمر الفتى ، ثم أدناه منه وقال له : إن اعترافك على رءوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقاً ، ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرني بها . قال أيها الأمير : لا يقع في نفسك شيء سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة أشرحها إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقْتُ ما أمكنني ، فأدر كوني ، وأخذوه مني وحملوني إليك . فأمر خالد بحبسه ، وأمر منادياً ينادى بالبصرة : ألا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغداة إلى المحلّ الفلاني . فلما استقر الفتى في الحبس ووضعوا في رجليه الحديد تنفس^(١) الصعداء وأفاض العبرات . وأنشد هذه الأبيات :

هَدَدَنِي خَالِدٌ بِقَطْعِ يَدَيَّ إِذْ لَمْ أُبَيِّحْ عِنْدَهُ بِقِصَّتِهَا
فَقُلْتُ هَيْهَاتَ أَنْ أَبُوحَ بِمَا تَضْمَنَ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّتِهَا !
قَطْعُ يَدَيَّ بِالَّذِي اعْتَرَفْتُ بِهِ أَهْوَنُ لِلْقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فَسَمِعَ ذَلِكَ الْمُؤَكَّلُونَ بِهِ ، فَأَتَوْا خَالِدًا وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ مِنْهُ . فَلَمَّا جَنَّ^(٢) الليلُ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ اسْتَنْطَقَهُ فَرَّاهُ عَاقِلًا أَدِيبًا فَطَنًا ظَرِيفًا^(٣) لَبِيبًا . فَأَمَرَ لَهُ بِطَعَامٍ ، فَأَكَلَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ خَالِدٌ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَكَ قِصَّةَ غَيْرِ السَّرْقَةِ فَإِذَا كَانَ الصَّبَاحُ وَحَضَرَ النَّاسُ وَحَضَرَ الْقَاضِي وَسَأَلَكَ عَنِ السَّرْقَةِ فَأَنْكَرَهَا ، وَإِذَا كُرِّمَ مَا يَدْرَأُ^(٤) عَنْكَ حَدَّ الْقَطْعِ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) جن الليل : أظلم .

(٣) فطن للأمر : أدركه وحقق فيه فهو فطن : الظرف : الكياسة والحدق والبراعة . ورجل

(ظريف) : بارع كيس .

(٤) يدرأ عنك : يدفع عنك .

صلى الله عليه وسلم : « اذَرُّوا الحُدُودَ بالشُّبُهَاتِ » ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ .
(وَأَذْرَكَ ثُمَّ زَادَ الصَّبَاحُ فَسَكَتَتْ عَنِ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ) .

(وَفِي لَيْلَةٍ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ) قَالَتْ : بَلَّغْنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ أَنَّ خَالِدًا بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثَ مَعَ الشَّابِّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ فَمَكَثَ فِيهِ لَيْلَتَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ حَضَرَ النَّاسُ يُنْظَرُونَ قَطَعَ يَدِ الشَّابِّ ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي الْبَصْرَةِ . ثُمَّ اسْتَدْعَى بِالْقَضَاةِ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْفَتَى ، فَأَقْبَلَ يَحْجِلُ^(١) فِي قُبُودِهِ وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بَكَى عَلَيْهِ ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ النِّسَاءِ بِالنَّحِيبِ ، فَأَمَرَ الْقَاضِي بِتَسْكِيَتِ النِّسَاءِ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ دَخَلْتَ دَارَهُمْ وَسَرَقْتَ مَالَهُمْ فَلَعَلَّكَ سَرَقْتَ دُونَ النَّصَابِ^(٢) ؟ قَالَ : بَلْ سَرَقْتُ نِصَابًا كَامِلًا . قَالَ : لَعَلَّكَ شَرِيكُ الْقَوْمِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ؟ قَالَ : بَلْ هُوَ جَمِيعُهُ لَهُمْ لَاحِقٌ لِي فِيهِ . فَغَضِبَ خَالِدٌ ؛ وَقَامَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وَضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ بِالسَّوْطِ وَقَالَ مُتَمَثِّلًا بِهَذَا الْبَيْتِ :

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا يُرِيدُ

ثُمَّ دَعَا بِالْجُزَّارِ لِيَقْطَعَ يَدَهُ فَحَضَرَ وَأَخْرَجَ السَّكِينَ وَمَدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ عَلَيْهَا السَّكِينَ ، فَبَادَرَتْ جَارِيَةٌ مِنْ وَسْطِ النِّسَاءِ عَلَيْهَا أَطْمَارًا^(٣) وَسِخَةً فَصَرَخَتْ وَرَمَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَسْفَرَتْ عَنْ وَجْهِ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ ، وَارْتَفَعَ

(١) حجل (يحجل): رفع رجلا ومشى متريثا على الأخرى .

(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .

(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالى والجمع اطمار .

في الناس ضجةٌ عظيمةٌ ، وكاد أن يقع بسبب ذلك فتنةٌ طائفةُ الشرِّ ،
ثم نادَتْ تلك الجاريةُ بأعلى صوتِها ناشدتك^(١) الله أيها الأميرُ ! لا تعجل
بالقطعِ حتى تقرأ هذه الرُّقعةَ^(٢) ، ثمَّ دفعت إليه رُقعةً ففتحها خالدٌ
وقراها فإذا مكتوبٌ فيها هذه الأبياتُ :

أخالدُ هذا مُستَهامٌ^(٣) مُتَمِّمٌ رَمْتُهُ إِحَاظِي عَنْ قِسِيٍّ الْحَمَالِقِ^(٤)
فَأَصْمَاهُ^(٥) سَهْمُ اللَّحْظِ مِنْي لِأَنَّهُ حَلِيفُ جَوَى^(٦) مِنْ دَائِهِ غَيْرُ فَائِقِ
أَقْرَبَ بَمَا لَمْ يَقْتَرِفْهُ كَأَنَّهُ رَأَى ذَاكَ خَيْرًا مِنْ هَتِيكَةٍ^(٧) عَاشِقِ
فَمَهْلًا عَنْ الصَّبِّ الْكَثِيبِ ؛ فَإِنَّهُ كَرِيمُ السَّجَايَا فِي الْوَرَى غَيْرُ سَارِقِ

فلما قرأ خالدُ الأبيات تنحَّى ، وأنفردَ عن الناسِ ، وأحضرَ المرأةَ
ثمَّ سألها عن القِصَّةِ فأخبرتهُ بأنَّ هذا الفتى عاشقٌ لها ؛
وهي عاشقةٌ له . وإنما أراد زيارتها فتوجهَ إلى دارِ أهلها ورَمَى حَجَرًا
في الدارِ ليُعلمها بمجيئه فسمعَ أبوها وإخوتُها صوتَ الحجرِ
فصعدوا إليه . فلما أحسَّ بهم جمَعَ قُمَاشٌ^(٨) البيتِ كلهُ وأراهم أنَّه سارقٌ

(١) ناشده الله : استحلَّفه وأقسم عليه بالله .

(٢) الرُقعة هنا : القطعة من الورق التي يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حملاق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحلاقها بكسر الحاء باطن أجفانها ، والجمع حمالق
وحماليق والراد نفس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : الملازم . يقال فلان حليف جود آي
ملازم للجود .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : أمتعته .

سَتْرًا عَلَى مَعْشُوقَتِهِ . فلما رَأَوْهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ أَخَذُوهُ . وَقَالُوا : هَذَا سَارِقٌ .
وَأَتَوْا بِهِ إِلَيْكَ فَاعْتَرَفَ بِالسَّرْقَةِ وَأَصْرًا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَفْضَحَنِي ، وَقَدْ ارْتَكَبَ
هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْ رَمَى نَفْسِهِ بِالسَّرْقَةِ لِفِرَاطِ مُرُوءَتِهِ ، وَكَرَمِ نَفْسِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ :
إِنَّهُ لَخَلِيقٌ بَأَنُ يُسَمَفَ بِمُرَادِهِ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى الْفَتَى إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ،
وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي الْجَارِيَةِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ ، إِنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إِنْفَازِ
الْحُكْمِ فِي هَذَا الْفَتَى بِالْقَطْعِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ .
وَقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِبَدْلِهِ يَدُهُ حِفْظًا لِعَرْضِكَ وَعِرْضِ بَنَتِكَ
وَصِيَانَتِكُمَا مِنَ الْعَارِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَا بَنَتِكَ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ حَيْثُ أَخْبَرْتَنِي
بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فِي تَزْوِيجِهَا مِنْهُ ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ ! فَحَمِدَ اللَّهُ خَالِدًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَخَطَبَ
خُطْبَةً حَسَنَةً ، (وَأَذْرَكَ شَهْرَ زَادَ الصَّبَاحُ فَسَكَتَتْ عَنْ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ) .

(ب) الشعر

(١) بشار بن برد^(١)

قال بشار بن برد يهجو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وقد
استمنحه فلم يمنحه :

ظِلُّ اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً بالبخل مَمْعُود^(٢)
إِنَّ الكريمَ ليخفي عنك عُسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود^(٣)
وَللبخيل على أمواله عِلٌّ زُرُقُ العيون عليها أوجهٌ سود^(٤)

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد ، أصل آتائه من بلاد الفرس ، وقع عليهم سبى قال ملك
أبى بشار لبني عقيل وفيهم ولد بشار . ولما كبر صار يختلف الى أعراب البصرة حتى أخذ منهم
العربية وتعلم الشعر ونبغ فيه ، وقد ولد أعمى ثم أصابه الجدرى فصار قبيح المنظر ، ولكنه
كان شديد الذكاء واسع الخيال ذا ملكة في الشعر قوية ، يعد من أكبر شعراء عصره وفي مقدمة
المحدثين وأهل الافتنان ، ومن أصحاب المعاني المخترعة في الشعر العربي ، وكان كثير الهجاء للناس
ماجناً ، متهماً في دينه بالزندقة ، لايبالي ما يقول ولا ما يفعل ، ولا ما يرتكب من التهتك والكلام
في أعراض الناس . وقد تصرف بشار في فنون الشعر ومعانيه ، وذاع شعره في زمانه ، وصار
اماماً بين الشعراء ، وكان لأسلوبه قوة معروفة وجمال ممتاز ، وقد مات مقتولاً سنة ١٦٧ هـ .

(٢) اليسار : الفى . مَمْعُود بالبخل : مجتمع عليه ملازم له .

(٣) العسرة : الفقر . المجهود : المتعب من قلة المال .

(٤) عِلٌّ جمع علة بالكسر أى حجة وعذر يمنعه الكرم . ويريد بالشرط الثانى أنها حجج
بغیضة كريهة .

إذا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعْطَى الْقَلِيلَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ (١)
أَوْ رِقَ بَخِيرٍ تُرْجَى لِلنَّوَالِ ؛ فَمَا تُرْجَى الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورَقِ الْعُودُ (٢)
بُثَّ النَّوَالُ ، وَلَا تَمْنَعُكَ قَلَّتُهُ ؛ فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ

وقال يتغزل وقد نهى الخليفة المهدي عن الغزل :

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
بَعَثْتُ إِلَى تَسْوَمُنِي ثَوْبَ الشَّبَابِ ، وَقَدْ طَوَيْتُهُ (٣)
وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ ، وَلَا نَوَيْتُهُ (٤)
أَمْسَكْتُ عَنْكَ ، وَرَبِّمَا عَرَضَ الْبَلَاءُ ، وَمَا ابْتَغَيْتُهُ
إِنْ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبَى شَيْئًا أَبَيْتُهُ
وَمُخَضَّبٍ رَخِصَ الْبَنَاءُ بَكَى عَلَيَّ ؛ وَمَا بَكَيْتُهُ (٥)
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَبِيبِ إِذَا اذْكُرْتُ ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ (٦)
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ ؛ فَصَبَرْتُ عَنْهُ ، وَمَا قَلَيْتُهُ (٧)
وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْهَمِيَا مُ عَنْ النِّسَاءِ ، وَمَا عَصَيْتُهُ (٨)

(١) تَكَرَّهْتَ الشَّيْءَ : تَسَخَّطَهُ وَفَعَلْتَهُ عَلَى كَرِهٍ . السَّعَةُ هُنَا : الْعَطَاءُ الْكَثِيرُ ، أَيْ إِذَا تَأَخَّرْتَ عَنْ بَذْلِ الْقَلِيلِ ، وَلَسْتَ قَادِرًا عَلَى بَذْلِ الْكَثِيرِ فَلَا يَظْهَرُ لَكَ عَطَاءٌ .

(٢) أَوْ رِقَ الشَّجَرُ : ظَهَرَ وَرَقُهُ . النَّوَالُ : الْعَطَاءُ ، يُسْأَلُهُ أَظْهَارُ الْعَطَاءِ وَلَوْ قَلِيلًا ، فَانْهَ إِذَا لَمْ يُعْطَ الْقَلِيلُ لَا يَرْجَى مِنْهُ الْكَثِيرُ .

(٣) تَسْوَمُنِي ثَوْبَ الشَّبَابِ : تُرْغِبُ أَنْ أَغَازِلَهَا .

(٤) نَوَيْتُهُ : أَيْ الْغَدْرَ .

(٥) الْمُخَضَّبُ : الْمُلَوَّنُ بِالْخَضَابِ . رَخِصَ : لِينٌ نَاعِمٌ . الْبَنَاءُ : أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ ، جَمْعُ بَنَانَةٍ .

(٦) يَشُوقُنِي : يَهْجُنِي : اذْكُرْتُ : تَذَكَّرْتُ .

(٧) قَلَيْتُهُ : أَبْغَضْتُهُ .

(٨) الْهَمِيَا : الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الْهَمَةُ .

لا بل وفيت ، فلم أضع عهداً ، ولا رَأياً رأيتُهُ^(١)
وأنا المَطْلُ على العِدا . وإذا غَلَا الحمدُ اشتريتُهُ^(٢)
أصفى الخليل إذا دنا . وإذا نأى عنى نأيتُهُ^(٣)
وأميلُ في أنسِ النديم من الحياء ، وما اشتيتُهُ^(٤)
قال يرثى ولدأ له :

جَارَتَنَا لَا تَجْزَعِي وَأَنْبِي أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمَطْلُ نَصِينِي^(٥)
بُنَى عَلَى رَغْمِي وَسُخْطِي رُزْتُهُ وَبُدِّلَ أَحْجَاراً وَجَالَ قَلِيبِ^(٦)
وكان كريحانِ النُصُونِ تخاله ذوى بعد إشراقِ يسر وطيبِ^(٧)
أَصِيبَ بُنَى حِينَ أَوْرَقَ غُصْنُهُ وَأَلْقَى عَلَى الْهَمِّ كُلُّ قَرِيبِ
مَجَبَّتْ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَّةِ نَحْوَهُ وَمَا كَانَ لَوْ مُلِيتُهُ بِعَجِيبِ^(٨)
ومن قوله يصف جيشاً من قصيدة بها يمدح عمر بن هُبيرة حين
وفد عليه بالعراق :

جَيْشٌ كَجَنْحِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بِالْخَصَى وَبِالشَّوْكِ وَالْخَطَى مُحَرَّةٌ ثَعَالِبُهُ^(٩)

(١) التأى : البعد .

(٢) المَطْلُ على العدا : المستمر في ايدائهم . الحمد : الثناء . يقول : اننى مع خضوعى لامر
الخليفة لازلت قويا على العدو كريما أشتري الثناء ببذل المال .

(٣) أصفى الخليل : أخلص له الود . دنا : قرب . نأيت : بعدت عنه .

(٤) يميل في أنس النديم : يقوم بمؤانسته . النديم : الرفيق والمصاحب . وهو أيضا المشاركون
في الشراب . اشتيت : رغبت فيه ؛ يصف نفسه بكرم الخلق وحسن المجاملة .

(٥) أنبى : أرجى الى هداية . المَطْلُ : المؤذى . يقول لجارته لتكن في مصيبتى أسوة لك وعزاء

(٦) رزنته : فقدته : الجال : الجانب . القليب : البئر . والمراد هنا القبر .

(٧) ذوى الفصن : يبس . الاشراق هنا : النضارة .

(٨) مليته : نعمت بقائه .

(٩) جنح الليل : قسم منه . الخطى : الرمح نسبة الى الخط مكان تباع فيه الرماح . ثعالب :

جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان . وهى حر من دماء الاعداء .

غَدُونَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدرِ أُمِّهَا تَطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَاتُ بَيْتِهِ (١)
 بَضْرَبَ يَذوقُ الموتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارَ مُثَالِبُهُ (٢)
 كَأَنَّ مُشَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأُسَيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (٣)
 بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ ، إِنَّا بَنُو الْمَوْتِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ (٤)
 فَرَّاحُوا فَرِيقٌ فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَازٍ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ (٥)
 إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارَ صَعَرَ خَدَّهُ مَسِينًا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نَعَاتِبُهُ (٦)

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ (٧)
 فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ (٨)
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَذَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ (٩)

-
- (١) غدونا : خرجنا أول النهار . الخدر الستر أو المنزل . تطالعنا : تطلع علينا حين شروقها . والطل هنا : الندى .
- (٢) بضرب متعلق بغدونا في البيت قبله . مثالب جمع مثلبة : العيب وهي فاعل تدرك . ونجى نجاه بحذف العائد يقول : ان عدونا بين رجلين ميت من ضربنا ، وفار لحقه العار والمسبة .
- (٣) النقع : الغبار تثيره الحروب . تهاوى : تتساقط . يشبه حركات السيوف وسط الغبار بالليل تتساقط نجومه وهو تشبيه جيد .
- (٤) الفجاءة : البغطة . السبائب : جمع سبيبة وهي الشقة الرقيقة من الكتان . والمراد هنا أعلام الجيش المحارب ، كناية عن أنهم رجال حرب شجعان .
- (٥) الأسار : الأسر . يريد أن جيش العدو توزع بين الأسر والقتل والهرب .
- (٦) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس كبرا عليهم وزراية بهم . نعاتبه بالسيوف : نقاتله .
- (٧) اذا حاسبت الناس على جميع هفواتهم فانك لن تستصفي في الناس صديقا اذ لا يسلم أحد من الهفوات .
- (٨) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .
- (٩) القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبين ونحوه . أى اذا لم تتحمل الحياة على ما بها من نقص تعبت وليس في الدنيا انسان كامل الخلال .

(٢) قال السَّيِّدُ الحُمَيْرِيُّ^(١) يخاطب أبا عبد الله السفّاح

لما استقام الأمر لبني العباس

دُونَكُمْوْهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَجَدِّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِسَا^(٢)

دُونَكُمْوْهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَابِسَا^(٣)

لَوْ خَيْرَ الْمَنْبَرِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسَا^(٤)

قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةٌ لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا^(٥)

وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلَى مَهِيْطِ عِيسَى فَيَكُمُ آيسَا^(٦)

(١) هو اسماعيل بن محمد اليمنى ، علوى المذهب مخلص له ، غالى فيه ، ظل حياته يمدح عليا وآله ، ويسبب الصحابة حتى توفى سنة ١٧٠ هـ .

(٢) درس : بلى وانمحي .

(٣) البيت : دعاء لبني العباس بدوام الخلافة فيهم .

(٤) فرسان المنبر : من يعتلونه من الخلفاء .

(٥) ساس الأمور يسوسها : تولاها وتدبرها ، فهو سائس والجمع ساسة . ولم يتركوا رطبا ولا يابسا ، أى أنهم تركوا البلاد خرابا بسوء سياستهم وقبح رأيهم ، وهو يريد بنى أمية .

(٦) آيس فهو (آيس) : قنط وقطع الرجاء ، يريد أنه ليس يائسا من بقاء الخلافة فيهم الى

أن يهبط عيسى عليه السلام في آخر الزمان .

وقال :

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى الْقَلْبِ مِنِّي فِيكَ إِلَّا اسْتَرْتُ عَنْ أَصْحَابِي
مِنْ دُمُوعٍ تَجْرِي فَإِنْ كُنْتُ وَجْدِي خَالِيًا ، أَسْعَدْتُ دُمُوعِي انْتِحَابِي ^(١)
إِنَّ حُبِّي إِيَّاكَ قَدْ سَلَّ جِسْمِي وَرَمَانِي بِالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبَابِ ^(٢)
لَوْ مَنَحْتَ اللِّقَاءَ ! كَفَى بِكَ صَبًّا هَائِمَ الْقَلْبِ قَدْ ثَوَى فِي التُّرَابِ ^(٣)

وقال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

سَائِلُ قُرَيْشًا إِذَا مَا كُنْتُ ذَا عَمَةٍ مَنْ كَانَ أَثْبَتَهَا فِي الدِّينِ أَوْ تَادَا ^(٤)
مَنْ كَانَ أَعْلَمَهَا عِلْمًا وَأَحْلَمَهَا حِلْمًا وَأَصْدَقَهَا قَوْلًا وَمِيعَادَا
إِنْ يَصْدُقُوكَ فَلَنْ يَمْدُوا أَبَا حَسَنِ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلَقَ لِلْأَبْرَارِ حُسَّادَا ^(٥)

(١) أَسْعَدَهُ عَلَى الْأَمْرِ : عَاوَنَهُ . وَالْإِنْتِحَابُ : الْبُكَاءُ الشَّدِيدُ .

(٢) سَلَّهُ : أَهْزَلَهُ وَأَضْعَفَهُ .

(٣) الصَّبُّ : الْعَاشِقُ ذُو الْوَلَعِ الشَّدِيدِ ، وَثَوَى بِالْمَكَانِ يَثْوِي بِكَسْرِ أَوَاوِ وَثَوَاءٍ : أَقَامَ . وَالثَّوَى

فِي التُّرَابِ : الْمَيِّتُ ؛ يَرِيدُ بِالصَّبِّ الْهَائِمَ الْمَيِّتَ نَفْسَهُ مِبَالِغَةً فِيمَا أَضْنَاهُ مِنَ الْحُبِّ .

(٤) الْعَمَةُ ، بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَالْمِيمِ : عَمَى الْبَصِيرَةَ ، وَالْأَوْتَادُ : جَمْعُ وَتَدٍ وَهُوَ مَادِقٌ فِي الْحَائِطِ أَوِ الْأَرْضِ

مِنْ خَشَبٍ وَنَحْوِهِ لِيَرْبُطَ بِهِ غَيْرَهُ وَهُوَ أَيْضًا الْجَبَلُ .

(٥) يَصْدُقُوكَ بضم الدال : يَقُولُونَ لَكَ الصَّدَقَ . وَيَمْدُوا يَتَجَاوَزُوا . هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ

أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . الْأَبْرَارُ : جَمْعُ بَرٍّ بَفَتْحِ الْبَاءِ : الصَّالِحِ وَنَحْوِهِ .

وكتب إلى يزيد بن مذعور مولى أبي بجير أمير الأهواز :

قِفْ بالديارِ وَحَيْثُهَا يَا مَرْبُعُ وَاسْأَلْ وَكَيْفَ يُجِيبُ مَنْ لَا يَسْمَعُ^(١)
 إِنَّ الدِّيَّارَ خَلَتْ وَلَيْسَ بِجَوْهَا إِلَّا الضَّوَابِحُ وَالْحَمَامُ الْوُقَعُ^(٢)
 وَلَقَدْ تَكُونُ بِهَا أَوَانِسُ كَالْدُمَى جُمْلٌ وَعَزَّةٌ وَالرَّبَابُ وَبَوَزَعُ^(٣)
 حُورٌ نَوَاعِمُ لَا تَرَى فِي مِثْلِهَا أَمْثَالَهُنَّ مِنْ الصَّيَّانَةِ أَرْبَعُ^(٤)

فَأَسْلَمَ فَإِنَّكَ قَدْ نَزَلْتَ بِمَنْزِلٍ عِنْدَ الْأَمِيرِ تَضُرُّ فِيهِ وَتَنْفَعُ^(٥)
 تُؤْتَى هَوَاكَ إِذَا نَطَقْتَ بِحَاجَةٍ فِيهِ وَتَشْفَعُ عِنْدَهُ فَتُشَفَّعُ^(٦)

(١) مربع : اسم شخص . بعد أن سأل صاحبه الوقوف بالديار ، وتحيتها ، وسؤالها عن أهلها السابقين . عاد فأكرر ذلك السؤال إذ لا سبيل إلى اجابة الديار التي ليس من شأنها السمع .

(٢) ضبحت الأرانب والثعالب : صوت . الضوايح : المصوتة . الوقع : بضم الواو وتشديد القاف المفتوحة الساقطة على الشجر أو الأرض . يريد أن الديار خلت إلا من الحيوان المصوت والحمام النازل بالأرض .

(٣) أوانس : جمع آنسة وهى الفتاة الطيبة النفس أو التى تؤنس صاحبها . والدمى : جمع دمية بضم الدال وسكون الميم وهى التمثال . والعرب يسهون المرأة الجميلة بالدمية . وجمل بضم الجيم وما بعدها أسماء أعلام .

(٤) حور : جمع حوراء ، وهى لشديدة بياض العين والشديدة سوادها . ونواعم : جمع ناعمة ، يريد أن أربعتهن ليس لهن شبيهه فى عفتن .

(٥) المراد بالمنزل المكان . فاسلم : جملة دعائية يرجو للمدوح السلامة من الشر .

(٦) هواك : سؤالك ومطلبك . تشفع بضم التاء : تقبل شفاعتك .

قُلْ الْأَمِيرُ إِذَا ظَفِرَتْ بِخَلْوَةٍ مِنْهُ وَلَمْ يَكُ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمَعُ
هَبْ لِي الَّذِي أَحْبَبْتُهُ فِي أَحْمَدَ وَبَنِيهِ إِنَّكَ حَاصِدٌ مَا تَزْرَعُ^(١)
يَخْتَصُ آلُ مُحَمَّدٍ بِمَحَبَّةٍ فِي الْقَلْبِ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْهَا الْأَضْلَعُ

جلس المهدي يوما يعطى قريشاً صلوات لهم وهو ولي عهد ، فبدأ ببني هاشم
ثم بسائر قريش ، فجاء السيد الحميري فرفع إلى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة
للامير فأوصلها فإذا فيها .

قُلْ لَا بَنَ عَبَّاسٍ سَمِيَّ مُحَمَّدٍ لَا تُعْطِينَ بَنِي عَدِيٍّ دِرْهَمًا^(٢)
أَحْرِمُ بَنِي تَيْمٍ بَنِ مُرَّةٍ إِنْهُمْ سَرُّ الْبَلِيَّةِ آخِرًا وَمُقَدَّمًا
إِنْ تُعْطِيَهُمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً وَيُكَافِئُوكَ بِأَنْ تُذَمَّ وَتُسَمَّا
وَإِنْ أَتَمَنْتَهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ خَانُوكَ وَأَتَّخَذُوا خَرَاجَكَ مَغْنَمًا^(٣)
وَلَنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَّوْكُمْ بِالْمَنَعِ إِذْ مَلَكُوا وَكَانُوا أَظْلَمًا
مَنْعُوا تَرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ وَبَنِيهِ وَابْنَتَهُ عَدِيلَةَ مَرِيَمًا^(٤)
وَتَأَمَّرُوا مِنْ ذِيرٍ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هُنَالِكَ مَأْثَمًا^(٥)
لَمْ يَشْكُرُوا لِحُمْدٍ إِنْعَامَهُ أَفِيَشْكُرُونَ لِغَيْرِهِ إِنْ أَنْعَمَا

(١) هب لي فلانا : أي أطلقه .

(٢) يريد بابن عباس الخليفة المهدي .

(٣) استعملهم : اتخذهم عمالا ، أي ولاهم المناصب . والخراج : الضريبة على الأرض والجزية .

(٤) التراث : ما يخلفه الميت لورثته . وعديلة مريم نظيرتها .

(٥) تأمروا : تسلطوا وتحكموا . ويستخلفوا : أي يكونوا خلفاء .

والله مَنْ عَلَيْهِمْ بِمُحَمَّدٍ وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمَا (١)
ثُمَّ انْبَرَوْا لِوَصِيَّهِ وَوَلِيِّهِ بِالْمُنْكَرَاتِ فَجَرَعُوهُ الْعَلْقَمَا (٢)

(٣) مروان بن أبي حفصة (٣)

قال يمدح المهدي ويحتج لبني العباس :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ خَفِيَّ خَيَالِهَا بِيضَاءِ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالِهَا (٤)
قَادَتْ فَوَادِكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلُهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالِهَا (٥)
فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِنَفْحَةٍ رَوْضَةٍ سَحَّتْ بِهَا دَيْمُ الرِّيعِ طِلَالِهَا (٦)
بَاتَتْ تَسَائِلُ فِي الْمَنَامِ مُعَرِّسًا بِالْبَيْدِ أَشْعَثَ لَا يَمَلُّ سُؤَالِهَا (٧)
فِي فَتْيَةٍ هَجَعُوا غِرَارًا بَعْدَمَا سَمُّوْا مُرَاعِشَةَ الشَّرَى وَمَطَالِهَا (٨)

(١) كسا الجنوب : أى كساهم من اطلاق الجزء واردة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، ويريد بوصيه ووليه على بن أبى طالب . جرعه العلقم : سقوه المر .
(٣) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة . كان جده فارسيا ومولى لعثمان بن عفان
ثم وهبه عثمان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبى حفصة فى آخر دولة بنى أمية ولكنه لم
يشتهر الا فى دولة بنى العباس بمدحه المهدي ومعن بن زائدة الشيباني وهارون الرشيد . وقد
برع مروان فى المدح براعة عظيمة ويحسبونه فى ذلك من طبقة بشار ويعدونه من فحول الشعراء
وقد توفى سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا .

(٥) استقاد : انقاد . والصبا بكسر الصاد : الشوق .

(٦) سح الغمام المطر : صبه صبا متتابعاً غزيراً . والديم جمع ديمة : وهى المطر الذى يدوم
بلا رعد . ولعل المراد هنا بديم الربيع سحبه . والطلال : جمع ظل وهو المطر الضعيف . يريد أنها
عند زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل ما يفوح من الروضة رواها المطر فى الربيع .

(٧) المعرس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة . يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة
والبيد جمع بيداء وهى الفلاة . والأشعث : المغبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام غرارا أى نوما قليلا . والسرى : السير فى الليل . ويقال للناقة التى تنهتز
فى السير لرعشها : رعشاء ومطالها : مظلها وتسويقها فى الوصول الى المقصد لطول الطريق . يقول
انهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

- فَكَانَ حَشَوَ ثِيَابِهِمْ هنديةً نَجَلَتْ وَأَغْفَلَتْ الْقُمُونَ صِقَالَهَا (١)
 طَلَبَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلَتْ بَعْدَ السَّرَى بَعْدُ وَهَا آصَالَهَا (٢)
 نَزَعَتْ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفَتْ تَطْوَى الْفَلَاةَ : حُزُونَهَا وَرِمَالَهَا (٣)
 أَحْيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ سُنَنَ النَّبِيِّ حَرَامَهَا وَحَلَالَهَا (٤)
 مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبْعَةً مِنْ هَاشِمٍ مَدَّ إِلَهُ عَلَى الْأَنَامِ ظِلَالَهَا (٥)
 ثَبَّتْ عَلَى زَلَلِ الْحَوَادِثِ رَاكِبٌ مِنْ صَرْفِهِنَّ لِكُلِّ حَالٍ حَالَهَا (٦)
 كَلَّمَا يَدَيْكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالِهَا لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْعَدُوِّ وَبَالَهَا (٧)
 هَلْ تَطْمَسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكْفِّكُمْ أَمْ تَحْجُبُونَ هِلَالَهَا (٨)

- (١) الهندية : السيوف المصنوعة في الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونجلت من باب علم : هزلت ورقته . والقيون : جمع قين وهو الحداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلاه وكشف صداه يريد أنهم أمسوا من شدة التعب وطول السفر ناحلين مهزولين حتى كانوا في رقة أجسامهم واغبرارها كالسيوف الهندية التي لم تجل ولم يكشف عنها صدوها .
 (٢) طلبته : قصدت إليه . والغدو أول النهار . والآصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول انها بعد سير الليل كانت تسير النهار بطوله .
 (٣) الصوادي : الشديدة الظمأ . يقال : صدى يصدى من باب علم أى عطش عطشا شديدا والحزون : جمع حزن بفتح الحاء ، والحزن ضد السهل .
 (٤) يريد باحيائه خلال السنن وحرامها إبانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .
 (٥) النبعة : واحدة شجر النبع . ويقال : هو من نبعة كريمة أى من أصل كريم . وتفرع فلان القوم : علاهم .
 (٦) الثبت بفتح الثاء وسكون الباء : هنا الثابت . وزلل الحوادث . انحرافها وصرف الدهر : نوازله . يقول : انه مهما تضطرب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل ، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله : (وراكب لكل حال حالها) .
 (٧) النوال : العظام . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .
 (٨) التفت في هذا البيت الى خطاب العلويين ليبطل دمواهم استحقاق الخلافة دون بنى العباس .

أَمْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةَ عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيُّ فَقَالَهَا (١)
 شَهِدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرُ آيَةٍ بَتَرَأْسِهِمْ فَأَرَدْتُمُوهَا إِبْطَالَهَا (٢)
 وقال يمدح المهدي — عندما عقد البيعة لابنه الهادي — ويحتج للعباسيين
 على الطالبين :

يَا بَنَ الَّذِي وَرِثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا . دُونَ الْأَقَارِبِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ (٣)
 الْوَحْيُ بَيْنَ بَنِي الْبَنَاتِ وَبَيْنَكُمْ قَطَعَ الْخِصَامَ فَلَاتَ حِينَ خِصَامِ (٤)
 مَا لِلنِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فَرِيضَةٌ نَزَلَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْأَنْعَامِ (٥)
 خَلُّوا الطَّرِيقَ لِمَعَشَرِ عَادَاتِهِمْ حَطَمُ الْمَنَاقِبِ كُلِّ يَوْمٍ زَحَامِ (٦)
 إِرْضَوْا بِمَا قَسَمَ إِلَهُ لَكُمْ بِهِ وَدَعُوا وَرَاثَةَ كُلِّ أَصِيدٍ حَامِ (٧)
 أَنِّي يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ لَبَنَى الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ (٨)

-
- (١) تجحدون ، الجحود : الإنكار مع العلم .
 (٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويعني بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » .
 (٣) الأرحام : جمع رحم : القرابة . ويريد وراثة أمر المسلمين .
 (٤) الوحي : القرآن أو جبريل . وبنو البنات : أولاد علي بن أبي طالب من نسل فاطمة بنت الرسول عليه السلام وهم العلويون .
 (٥) الفريضة : القسم في الميراث .
 (٦) حطم المناكب : كسرهما . ويوم زحام : يوم تنافس في مجد ، ويريد بالمعشر العباسيين .
 (٧) الأصميد : الملك أو السيد . والحامي من يحمي ذويه ومن يلوذ به .
 (٨) بنو البنات : هم أولاد علي من فاطمة رضي الله عنهما . والأعمام : العباسيون لأن أباهم العباس عم الرسول ، والعم أولى بوراثة ابن أخيه ، وذلك حكم فقهي في الميراث .

أَلْفَى سِهَامَهُمُ الْكِتَابَ فَحَاوَلُوا أَنْ يَشْرَعُوا فِيهَا بِغَيْرِ سِهَامٍ^(١)
ظَفِرَتْ بَنُو سَاقِي الْحَجِيجِ بِحَقِّهِمْ وَغُرِثُكُمْ بِتَوَهُّمِ الْأَخْلَامِ^(٢)
عُقِدَتْ لِمُوسَى بِالرُّصَافَةِ بَيْعَةٌ شَدَّ الْإِلَهُ بِهَا عُرَا الْإِسْلَامِ^(٣)
مُوسَى الَّذِي عَرَفَتْ قُرَيْشٌ فَضْلَهُ وَلَهَا فَضِيلَتُهَا عَلَى الْأَقْوَامِ

(٤) العباسُ بنُ الأحنفِ^(٤)

قال :

عَدَلْتُ مِنْ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأُضْحَكَهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلْتُ كُلُّ مَا صَنَعَا
الْيَوْمَ أَبْكِي عَلَى قَلْبِي وَأُنْذِبُهُ قَلْبُ الْحَّ عَلَيْهِ الْحُبُّ فَاَنْصَدَعَا^(٥)

وقال : وقد اصطحبه الرشيد إلى خراسان و طال مقامه بها ثم خرج إلى أرمينية :

قَالُوا . خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا^(٦)

(١) يشرعوا فيها : ينالوا منها ، بغير سهام : بغير حق .

(٢) ساقى الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كانت عليه سقاية الحاج حين يردون مكة ، وذلك في الجاهلية .

(٣) الرصافة : محلة ببغداد ، شدت بها الخ : قوى بها شأن الدين .

(٤) كان العباس بن الأحنف شاعرا ظريفا . نشأ في بغداد في حال يسر ورخاء ، لم يصطنع المدح والتكسب بالشعر ، بل توفّر على الغزل في محبوبته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيدا موفقا حتى مات سنة ١٩٢ هـ .

ويمتاز شعره بالسهولة ، وحسن التصرف ، وجمال المعاني ، فهو من شعراء الغزل العذريين وأن لم يحكمهم تماما .

(٥) ألح في السؤال : واطب عليه . والالحاح هنا : بمعنى الاسراف . وانصدع : انشق .

(٦) القفول : الرجوع . يقول أنهم قالوا ان أقصى رحلتنا خراسان ثم الرجوع وها نحن أولاء قد بلغناها فلماذا لا نعود .

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ سُكَّانَ دِجْلَةَ مِنْ سُكَّانَ جِيحَانَا (١)
يَا لَيْتَ مَنْ نَتَمَنَّى عِنْدَ خَلَوَتِنَا إِذَا خَلَا خُلُوءٌ يَوْمًا تَمَنَّا (٢)

وقال :

سَلَبْتَنِي مِنَ السُّرُورِ ثِيَابًا وَكَسْتَنِي مِنَ الِهْمُومِ ثِيَابًا
كَلَّمَا أَغْلَقْتَ مِنَ الْوَصْلِ بَابًا فَتَحْتَ لِي إِلَى الْمَنِيِّ بَابًا
عَذَّبْنِي بِكُلِّ شَيْءٍ سِوَى الصَّ دٌ فَا ذُقْتُ كَالصَّدُودِ عَذَابًا (٣)

وقال :

إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سِيلَ لَمْ يَبْذُلْ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبَ (٤)
صَبٌّ بَعْضِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ (٥)
إِلَيْكَ أَشْكُو رَبِّ مَا حَلَّ بِي مِنْ صَدٍّ هَذَا الْمَذْنِبِ الْمُغْضَبِ

وقال :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّ بِي دَاعٍ يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتَرَّاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي (٦)

(١) الشحط : البعد . ويريد بسكان دجلة : سكان بغداد . ودجلة : نهر تقع عليه هذه المدينة وجيحان نهر بين الشام وبلاد الروم .

(٢) نتمنى : نتمناه .

(٣) الصد والصدود : الاعراض .

(٤) سِيل : سئل . يعتب بضم الياء وكسر التاء : يرضى ، يقال استعتبت فلانا فأعتبني استرضينه فرضي .

(٥) صب : مغرم . وسكان جزيرة العرب شديداً الولع بشرب الماء البارد لشدة الحر في بلادهم ومثل هذا قول الشاعر :

غضبي ولا والله يا أهلكا لا أشرب البارد أو ترضى !

(٦) عدوه الذي بين أضلاعه : قلبه . لأنه هو الذي يفرم بها فيكثر من أوجاعه وأسقامه .

وقال :

قالت ظلومٌ سميّةُ الظلمِ مالى رأيتُكَ ناحِلَ الجِسمِ^(١)
يا مَنْ رَمَى قَلْبِي فأَقْصَدَهُ أَنْتَ العَليمُ بمَوْضِعِ السَّهمِ^(٢)

(٥) أبو نُوَاس

قال يصف الخمر :

دعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِأَلَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ^(٤)
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانَ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ^(٥)

(١) ظلوم : اسم من يتغزل فيها ، والجسم الناحل الهزيل .

(٢) وأقصده السهم : لم يخطئه .

(٣) أبو نواس واسمه الحسن بن هانئ. نشأ نشأته الأولى في البصرة ، وكان يكلف بمن يجيدون قرض الشعر . ثم تحول الى الكوفة ليأخذ على والبة بن الحباب وكان والبة شاعرا ماجنا مشتهرا بالشراب وصافا للخمر ثم انتقل الى بغداد .

وبرع أبو نواس في الشعر حتى بد أهل عصره ، ولم يجد شاعر قبله ولا بعده وصف الخمر كما أجادها ، وكان ماجنا مستهترا . توفر عمله على تحصيل اللذائذ ما يبالي في ذلك شيئا . وقرض الشعر في أبواب المجون ، غير متأثم ولا متحرج .

ولقد أجاد في كل فنون الشعر ، وأوفى على الغاية . واتصل بمحمد الأمين الخليفة العباسي ، ومدحه بأجل القصيد ، وثبت على الولاء له — حتى بعد أن قتل — ودالت الدولة لأخيه المأمون . وأبو نواس يعظم افتانه ، وقوة تصرفه في الشعر ، ومثانة أسلوبه ؛ وجزالة لفظه ، وسلامة نظمه ، لا يعد من أعظم الشعراء العباسيين فحسب ، بل يعد من أعظم شعراء العربية على الإطلاق . وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ .

(٤) دع : اترك ويقال (أغراه بالشئ يغريه اغراء) حظه عليه . يقول الشاعر لصاحبه : لاتلمنى فان لومك يحضنى على طلب ما تنهانى عنه ويريد (بالتى كانت هي الداء) الخمر .

(٥) يريد بالصفراء الخمر . والساحة : الناحية . يريد أن الأحزان والهموم لا تحل بشرابها ، وترقى في هذا المعنى الى المبالغة الشديدة فزعم أن الحجر الأصم لو أصاب منها لدخل عليه السرور !

رَقَّتْ عَنْ الْمَاءِ حَتَّى مَا يُلَاثِمُهَا لَطَافَةً ، وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا الْمَاءُ (١)

فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا لِمَزَجَهَا حَتَّى تَوَلَّدَ أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءُ (٢)

دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا (٣)

لِتِلْكَ أَبْكِي وَلَا أَبْكِي لِمَنْزِلَةٍ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا هِنْدٌ وَأَسْمَاءُ (٤)

وَقَالَ أَيْضًا فِي الْخَمْرِ :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلَوْهَا ، وَأَدْلَجُوا بِهَا أَرْثَمَهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسٌ (٥)

مَسَاحِبٌ مِنْ جَرِّ الزُّقَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَاثُ رِيحَانٍ جَنَى وَيَابَسٌ (٦)

(١) يلاثمها : يوافقها . وجفا هنا : بمعنى قلق ولم يطمئن . يريد أن تلك الخمر بلغت من اللطف والركة ما لم يبلغ الماء .

(٢) تولد بحذف احدى التائين : أى تتولد أى أن النور هو الذى يصلح لمزاجها ولو كان ذلك لتولدت منها أنوار وأضواء .

(٣) دان : ذل وأطاع . التفت الشاعر فى هذا البيت الى أصحابه الذين يشاربهم ، فوصفهم بالعزة وارتفاع الأقدار الى حد أن الزمان يذل لهم ؛ فهو لا يستطيع أن يصيبهم بشيء الا ما يريدونه هم وما يبتغونه ! .

(٤) المنزلة هنا هى الدار . يريد أن شوقه انما هو الى الخمر ، فهو اذا بكى بكى لها ، لاللمنازل التى كانت تسكنها العشوقات . كما يصنع غيره من الشعراء .

(٥) الندامى : جمع ندمان ، وندامى الرجل من يجالسونه على الشراب . عطلوها : أخلوها . أدلج القوم ادلاجا : ساروا الليل كله أو فى آخره . والدارس : البالى . يذكر الشاعر فى هذا البيت دارا كان يجتمع فيها الصحب ويتعاقرون الخمر . فهجروها ومضوا ، وتركوا فيها آثارا لهم جديدة ، وأخرى قديمة بالية .

(٦) الزقاق جمع زق ، وهو وعاء من الجلد يحمل فيه الماء ونحوه . الثرى التراب الندى ، ويريد هنا الأرض ، والأضغاث جمع ضغث وهو القبضة من العشب الفض . وجنى أى جنى لساعته بين الشاعر فى هذا البيت ذلك الأثر الذى أشار اليه فى البيت السابق . فاذا هو ما خط على الأرض بسحب زقاق الخمر وما تركوا هناك من أضغاث الريحان ، بين قديم مقطوف لوقته ويابس لطول العهد على قطانه .

حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي وَجَدَدْتُ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أُمُثَالِ تِلْكَ لَحَابِسٌ^(١)
 تَدُورُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسٌ^(٢)
 قَرَارَتَهَا كِسْرَى ، وَفِي جَنَابَتِهَا مَهْمًا تَدْرِيبُهَا بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسُ^(٣)
 فَلِلْخَمْرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهُمْ وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ^(٤)

وقال يمدح الخليفة محمدا الأمين :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ^(٥)
 قَرَّبْنَاكَ مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ^(٦)
 رَفَعَ الْحِجَابُ لَنَا فَلَاخَ لِنَاظِرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ^(٧)

(١) يريد أنه ألزم صحبه هذه الدار حيث توفروا على لهوهم وشرابهم وأعادوا العهد على مثل هذا العيث . اذ هو نفسه شديد الاهتمام بذلك .

(٢) الراح : الخمر . والعسجدية : نسبة الى المسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأسا مذهبة لا من ذهب وجباه بكذا يجبوه : أعطاه ومنحه . وفارس : الأمة المعروفة .

(٣) قرارتها : أسفلها ، وهى هنا : ظرف مكان . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل فى حسن العيون . ادرى الصيد : ختله وادرى غفلته بمعنى تحينها . والقسى : جمع قوس . والفوارس والفرسان : جمع فارس وهو راكب الفرس . يريد أن الكأس محللة من أسفلها بصورة كسرى ، وهو لقب لملك الفرس . أما جوانبها فمحلاة بصور فرسان يتحنون غفلة لها ليرموها بسهام أقواسهم .

(٤) الجيب : وجمعه جيوب ، طوق الثوب . والقلائس : جمع قلنسوة ، وهى أشبه (بالبرنيطة) التى يلبسها الفرنجة وكانت من لباس الفرس . يقول : انهم كانوا يصبون الخمر فى تلك الكأس حتى تحاذى أطواق صور الفوارس ثم يمزجونها بالماء حتى تحاذى رءوسهم .

(٥) المطى : جمع مطية ، وهى الدابة التى تركب . وهنا يراد بها البوق ، لأنها كانت مراكب القوم وخاصة فى أسفارهم الطويلة ، يريد أن المطايا التى تحملهم حتى تبلغهم أمير المؤمنين ينبغى ألا يركبها أحد اكراما لها بما فعلت وتشريفا .

(٦) الحرمة والذمام بمعنى واحد ، وهو ما يجب القيام به وعدم التفريط فيه .

(٧) يريد بالقمر وجه ممدوحه الأمين . وتقطع بحذف احدى التاءين . يقول الشاعر انه حين بدا الأمين . فاذا هو قمر لا تستطع الأوهام أن تقدر مبلغ حسنه وبها عطلته .

- مَلِكٌ إِذَا عَلِقَتْ يَدَاكَ بِحَبْلِهِ لَا يَغْتَرِيكَ الْبُؤْسُ وَالْإِعْدَامُ^(١)
 فَالْبَهْوُ مُشْتَمِلٌ بِيَدُورٍ خِلَافَةٍ لَبِيسَ الشَّبَابِ بِنُورِهِ الْإِسْلَامُ^(٢)
 سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ فَرَعَ الْجَمَاجِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ^(٣)
 ابْنِ الذِي يُرْضَى إِلَهُ بِهِدْيِهِ مَلِكٌ تَرْدَى الْمَلِكَ وَهُوَ غُلَامٌ^(٤)
 مَلِكٌ إِذَا اغْتَسَرَ الْأُمُورُ مَضَى بِهِ رَأْيٌ يُفْلُ السَّيْفَ وَهُوَ حُسَامٌ^(٥)
 دَاوَى بِهِ اللَّهُ الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى حَتَّى أَفْقَنَ وَمَا بِهِنَّ سَقَامٌ^(٦)
 أَصْبَحَتْ يَا بِنَ زُبَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ أَمَلًا لِعَقْدٍ حَبَالِهِ اسْتِحْكَامُ^(٧)
 فَسَلِمْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي تُرْجَى لَهُ وَتَقَاعَسْتَ عَنْ يَوْمِكَ الْأَيَّامُ^(٨)

(١) هلقت : تعلقت واتصلت . والِبؤس : الفقر والاعدام كذلك . يصف كرم المدحوح بأن من يلوذ به لا تناله شدة ولا يلحقه فقر .

(٢) يريد بالبهو هنا البيت . ومشتمل : مزدان . ومعنى الشطر الثاني أنه أعاد للدين سلطانه .

(٣) السبط : السهل الذي لا خشونة فيه . والبنان : أطراف الأصابع . واحتدتها بنانة . وسبط البنان : الكريم . والنجاد : حائل السيف التي يتعلق بها . احتبى بنجاده : لبسه . وفرع الجماجم : علاها . سباط القوم : صفهم .

(٤) تردى : لبس الرداء . والمراد أنه ولى الخلافة فتى .

(٥) اعتسرت الأمور : اشتدت والتوت . يفل السيف : يثلمه . والحسام : السيف القاطع . يريد أن الأمور اذا صعب حلها كان له فيها رأى نافذ شديد .

(٦) عمى القلوب : زيفها وضلالتها . السقام بفتح السين : المرض .

(٧) وزبيدة أم الأمين جاءت به آمن هارون الرشيد ، وهى بنت جعفر بن المنصور . الأمل هنا المقصود والمأمول . استحكام : قوة . يقول صرت أملا يعلق الناس حاجتهم بك فلا يخيب رجاءهم . وقوله (لعقد) الى آخر الجملة صفة لقوله (أملا) .

(٨) تقاعس : تأخر . يقول : ان أيامك خير الأيام .

وقال يصف ناقة :

ولقد تجوبُ بى الفلاة إذا صام النهارُ وقالت العُفرُ^(١)
 شدنيةٌ رعت الحمى فأتت ملء الحبال كأنها قصرُ^(٢)
 تثنى على الحاذين ذا خصلٍ تعماله الشّرّان والخطرُ^(٣)
 أمّا إذا رفعتهُ شامدةً فتقول رنق فوقها نسرُ^(٤)
 أمّا إذا وضعتهُ عارضةً فتقول أرخى فوقها سترُ^(٥)
 وتسفُ أحيانا فتَحسبها مترسماً يقتاده أثرُ^(٦)
 فإذا قصرت لها الزّمامَ ممّا فوق المقاديرِ ملطمُ حرُ^(٧)

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . وتجوبها : تقطعها . ويقال : صام النهار إذا توسطت الشمس السماء والعفر : نوع من الظباء واحدها أعفر . والقائلة : نصف النهار ، ويقال : «قال الرجل يقيل» إذا نام وقت القائلة . يصف ناقته بالقوة والصبر حتى أنها لتجوب به الصحراء في الوقت الذى ينتصف فيه النهار ، وتقبل الظباء فرارا من شدة الحر ، وهى من بنات الصحراء .

(٢) شدنية : فاعل تجوب فى البيت السابق . والناقة الشدنية : القوية . ورعت الماشية الكلا أكلته . وحى الرجل المكان الذى لا يقرب و(ملء الحبال) كناية عن الضخامة والبدونة . يريد أن ناقته كانت مرفهة مدللة تصيب من الرعى ما يمنع على غيرها : فتقويت وسمنت حتى أصبحت كالقصر .

(٣) الخلدان : وأحدهما حاد ، هما موقعا الذنب من الفخلدين . والخصال : جمع خصلة . وخصل الشعر ، وخصل الشجر ما تدلى من أطرافه . والشاعر يعنى بذى الخصل ذنب الناقة . تعماله : عمله . والمراد بالشّرّان تحريك الذنب يمينا ويسارا . وخطر الجمل بذنبه خطرا وخطرا نا رفعة مرة بعد مرة وضرب به فخلديه .

(٤) شامدة : شائلة بذنبها الى أعلى . رنق النسر : خفق بجناحيه ورفرف .

(٥) عارضة : سائرة بنشاط .

(٦) تسف : تمر على وجه الأرض برأسها . مترسم : متتبع آثارا يتبينها .

(٧) ساء : علا . المقادم : الأعالي الأمامية . الملطم : الخد . حر : أصيل .

وقال :

أُنْزِلْ عَلَى الْحَمْرِ بِأَلْسِنِهَا وَسَمِّهَا أَحْسَنَ أَسْمَائِهَا (١)
 لَا تَجْعَلِ الْمَاءَ لَهَا قَاهِرًا وَلَا تَسْلُطْهَا عَلَى مَائِهَا (٢)
 كَرَحِيَّةٍ قَدْ عُنْتُتْ حَقَبَةً حَتَّى مَضَى أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا (٣)
 فَلَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ خَمَّارُهَا مِنْهَا سِوَى آخِرِ حَوْبَائِهَا (٤)
 دَارَتْ فَأَحْيَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ نَفُوسَ حَرَّاهَا وَأَنْضَائِهَا (٥)
 وَانْخَرُ قَدْ يَشْرِبُهَا مَعَشَرُ لَيْسُوا إِذَا عُدُّوا بِأَكْفَائِهَا

وقال في الطرد ينعت كلب الصيد :

لَا تَبْدَى الصَّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطَلْعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ (٦)
 وَانْعَدَلِ اللَّيْلُ إِلَى مَائِهِ كَالْحَبَشِيِّ افْتَرَّ عَنْ أُنْيَابِهِ (٧)
 هِجْنَا بِكَلْبٍ طَالَمَا هِجْنَا بِهِ يَنْتَسِفُ الْمَقُودَ مِنْ كَلَابِهِ (٨)

(١) الآلاء : النعم والمحاسن .

(٢) أى لا تمزجها بل هاتها صرفة .

(٣) كرخية : نسبة الى الكرخ : محله ببغداد وغيرها . وعنتت : تركت مدة (حقبة) لتقدم وتحسن ، ومعنى الشطر الثانى أنها لطفت جدا كأنها لا مادة فيها .

(٤) الحوباء : النفس ، فكأنها من لطفها فنيت الا ومقا أدركه الخمار .

(٥) حراها : النفوس المعطى اليها . والانضاء : جمع نضو : وهو المهزول المتعب ، أى المهزولون لبعدهم عهدهم بها .

(٦) الأشمط : من يخالط سواد رأسه بياض . والجلباب : الثوب الواسع أو القميص (وهو الأسود هنا) .

(٧) أفتتر : كشف وأظهر ، يشبه انكشاف الليل عن الصباح بانكشاف شففى الحبشى (الأسود) عن أسنانه . مبتسما مثلا .

(٨) ينتسف : يقتلع ويحتذب . والكلاب : صاحب الكلب .

كَأَنَّ مَتْنِيهِ لَدَى انْسِلَابِهِ مَتَنَا شُجَاعٍ لَجَّ فِي انْسِيَابِهِ^(١)
كَأَنَّمَا الْأَظْفُورُ فِي قِنَابِهِ مُوسَى صَنَاعٍ رُدَّ فِي نِصَابِهِ^(٢)
تَرَاهُ فِي الْحَضَرِ إِذَا هَاهُنَا بِهِ يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ^(٣)

وقال يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور :

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عُفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلٍ وَلَا سَمَرِهِ^(٤)
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِهِ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ^(٥)
قَدْ لَبِسْتُ الدَّهْرَ لِبَسَ فَتَى أَخَذَ الْآدَابَ عَنْ غَيْرِهِ^(٦)
فَاتَّصِلْ إِنْ كُنْتَ مُتَّصِلًا بِقُوى مَنْ أَنْتَ مِنْ وَطَرِهِ^(٧)
خَفْتُ مَأْثُورَ الْحَدِيثِ غَدًا وَغَدًا أَدْنَى لِمُنْتَظَرِهِ^(٨)

(١) انسلابه : اسرعه الشديد . والشجاع : ضرب من الحيات ، يشبه الكلب في مروقه بالحية المنسابة سرعة وتلويًا .

(٢) القناب : المخلب . والصناع : الماهر . والنصاب : مقبض موسى (اليد) ؛ فالظفر في أصل المخلب ، كحديدة موسى في النصاب .

(٣) هاهي به : زجره . والاهاب : الجلد ، أى يكاد الكلب لسرعته الشديدة ، يخرج من جلده ليثب الى الغابة في أقرب فرصة .

(٤) المنتاب لك : القاصدك المتردد عليك ، والعفر بضم فسكون وبضميتين : طول العهد ، ولست من ليلي الخ : لست من سمارى ليلا .

(٥) لا أدفع عن نالنى شره .

(٦) أى صاحبت الدهر حتى تعلمت من حوادثه التبصر والسداد فلست أغتر .

(٧) الوطر : الحاجة . والقوى : الأسباب (الحبال) والصلات ، أى اتصلى بمن يحب الاتصال

بك دونى .

(٨) مأثور الحديث : السمعة السيئة هنا .

- خَابَ مِنْ أُسْرَى إِلَى بَلَدٍ غَيْرِ مَعْلُومٍ مَدَى سَفَرِهِ (١)
 وَسَدَّتْهُ ثَنَى سَاعِدِهِ سِنَّةٌ حَلَّتْ إِلَى شُفْرِهِ (٢)
 فَاَمْضُ لَا تَمْنُنْ عَلَى يَدَا ، مَنْكَ المَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهِ (٣)
 رَبِّ فِتْيَانٍ رَبَّائِهِمْ مَسْقَطَ الْعِيُوقِ مِنْ سَحَرِهِ (٤)
 فَاتَّقُوا بِي مَا يَرْيَبُهُمْ . إِنَّ تَقْوَى الشَّرِّ مِنْ حَذَرِهِ (٥)
 وَابْنَ عَمٍّ لَا يُكَاشِفُنَا قَدْ لَبَسْنَاهُ عَلَى غَمَرِهِ (٦)
 كَمَنَّ الشَّنَانُ فِيهِ لَنَا كَمُونِ النَّارِ فِي حَجَرِهِ (٧)
 وَرُضَابٍ بَتُّ أَرْشُفُهُ يَنْقَعُ الظَّمَانُ مِنْ خَصَرِهِ (٨)
 عَلَيْهِ خُوطٌ أَسْحَلَةٌ لَانَ مَتْنَاهُ لِمُهْتَصِرِهِ (٩)

(١) أي خاب من لم ينظر في العواقب .

(٢) الشفر : منبت الشعر من الجفن . والسنة : النوم الخفيف ، وهذا تكميل لما قبله ، يصف المسافر حين يحمله النوم على اتخاذ ساعده وسادة له .

(٣) خطاب لصاحبه ، ومعنى الشطر الثاني أن المن يفسد الصنيعة .

(٤) ربائهم : حرسهم فكنت لهم ربيثة مخافة النوازل . ومسقط : ظرف زمان . والعيوق : نجم أحمر مضىء يتلو الشريا ، يظهر سحرا ، يقول : ربائهم في الشدائد ، وهنا أخذ الشاعر يتحدث عن نفسه .

(٥) يريبههم : يفزعهم .

(٦) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، لبسناه على غمره : عاشرناه على ما به من حقد .

(٧) الشنان : البفض . وكن : استتر ، فالبفض كامن في نفسه مثل كمن النار في الحجر الذي يوريه ويقدمه .

(٨) الرضاب : الريق . ينقع : يبرد ويسقى . والخصر : البرد والضمير للرضاب .

(٩) علنية : سقانية مرات ، والخطوط : الغصن الناعم تشبه به المرأة . والاسحلة مفرد أسحل : شجر عظيم ينبت بأعالي نجد . والمهتصر : الذي يجذب الغصن (مثلا) ويميله .

ذَا ، وَمُفَبَّرٌ مَخَارِمُهُ تَحْسِرُ الْأَبْصَارُ عَنْ قُطْرِهِ ^(١)
 لَا تَرَى عَيْنُ الْبَصِيرِ بِهِ مَا خَلَا الْأَجَالَ مِنْ بَقَرِهِ ^(٢)
 خَاضَ بِي لُجِيِّهِ ذُو جَرَزٍ مُقْفِرُ الصُّقْلَيْنِ مِنْ ضَمَرِهِ ^(٣)
 يَكْتَسِي عُثْنُونُهُ زَبْدًا فَنَصِيلَاهُ إِلَى نُخْرِهِ ^(٤)
 ثُمَّ يَعْتَمُ الْحِجَاجُ بِهِ كَاعْتِمَامِ الْفُوفِ فِي عُسْرِهِ ^(٥)
 ثُمَّ تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ كَمَا طَارَ قُطْنُ النَّدْفِ عَنْ وَتْرِهِ ^(٦)
 ذُلَّلَتْ تِلْكَ الْفَجَاجُ لَهُ فَهُوَ مُجْتَازٌ عَلَى بَصَرِهِ ^(٧)
 كُلُّ حَاجَاتِي تَنَاوَلَهَا وَهُوَ لَمْ تُنْقَضْ قُوَى أَشْرِهِ ^(٨)
 ثُمَّ أَدْنَانِي إِلَى مَلِكٍ يَأْمَنُ الْجَانِي إِلَى حُجْرِهِ ^(٩)

(١) ذَا ، أى فعلت هذا الذى ذكر ، ثم أخذ يصف الطريق . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق فى جبل أو رمل . تحصر الأبصار : تضعف العيون . وعن قطره : عن رؤية نواحيه .

(٢) البصير به : من يعرفه . والآجال : جمع أجل بكسر فسكون وهو : القطيع من بقر الوحش أو الظباء .

(٣) ذو الجرز : الحصان القوى . الصقلان : الجنبان فالفرس قليل اللحم ضامر .

(٤) العثنون : شعرات تحت حنك الفرس . والزبد : لغام أبيض تتلطح به مشافر الفرس . ونصيلان : مثنى نصيل : حجر مستطيل يندق به يشبه لحي الفرس ، والنخر جمع نخرة : خرق الأنف أى أن الزبد يغطى لحيه ويحيط بخرقى أنفه .

(٥) اعتم : لبس العمامة . والحجاج : عظم الحاجب ، والفوف هنا : الزهر . والعشر : شجر ذو نور ، فالزبد فوق الحجاج يشبه زهر العشر لونا وشكلا وهو أبيض .

(٦) تذرؤه الرياح : تذهب به وتفرقه .

(٧) الفجاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين . ومجتاز على بصره : سائر يهذى بصيرته .

(٨) الأشر : النشاط والمرح ، أى سار فنون السير التى أرجوها منه مع بقاء قوته تامة . والقوى : طاقات الجبل . وتنقضها : فكها .

(٩) أى ملك يحمى اللاجئ إليه . والحجر : حضن الانسان .

تَأْخُذُ الْأَيْدِي مَظَالِمَهَا ثُمَّ تَسْتَدْرِي إِلَى عَصَرِهِ ^(١)
 كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ ^(٢)
 فَاسْلُ عَنْ نَوَاءٍ تُؤْمَلُهُ حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطَرِهِ ^(٣)
 مَلِكٌ قَلَّ الشَّبِيهُ لَهُ لَمْ تَقْعُ عَيْنٌ عَلَى خَطَرِهِ ^(٤)
 لَا تَغْطِي عَنْهُ مَكْرُمَةٌ بَرُّبًا وَإِدٍ وَلَا تَحْمَرُهُ ^(٥)
 سَبَقَ التَّفْرِيطَ رَائِدُهُ وَكَفَاهُ الْعَيْنُ مِنْ أَثَرِهِ ^(٦)
 وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عُلْقًا وَتَرَاءَى الْمَوْتُ فِي صُورِهِ ^(٧)
 رَاحَ فِي ثُنْيِي مُفَاضَتِهِ أَسَدٌ يَدْعَى شَبَابًا ظُفْرُهُ ^(٨)

- (١) تستدري : تلتجئ . والعصر : الملجأ ، تأخذ الأيدي مظالمها الخ : يحمل الناس مظالمهم ويقصدون اليه شاكين فيخلصهم لعدله وانصافه .
- (٢) النفر : الجماعة ، وكان الأنسب أن يقول : من هو من نفر رسول الله ، فيضاف الملك الى الرسول تشريفا لا العكس كما هنا .
- (٣) النواء : النجم يमطر الناس ابان ظهوره وهو كناية عن المطر ذاته .
- (٤) خطره : مثله ، يقال : هذا خطر لهذا وخطر له أى مثله وقل هنا : فقد وعدم .
- (٥) لا تغطي : لا تخفى . والربا جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . والخمر : ما يشترك من شجر وغيره أى لا يترك مكرمة الا فعلها .
- (٦) التفريط : مصدر فرط رسوله قدمه وارسله . والرائد : الرجل يرسله أهله يلتمس لهم منزلا خصبا ، يقول : ان العباس (رائده أى الرائد منه) يسبق الرسل ويعرف ببصيرته المستور ومعنى الشطر الثانى أنه لقوة بصيرته يعرف الأمور بذاتها فلا يحتاج الى آثارها التى تعينه فى المعرفة .
- (٧) مج : لفظ ورمى . والقنا الرماح المفرد : قنات . والعلق : الدم ، وتراءى الموت الخ : أى ظهر الموت فى أشكاله المتباينة ، فطعن بالرمح ومضروب بالسيف . وصريح .
- (٨) الثنيان : مثني ثنى بكسر فسكون وهو : ماكف فى طرف الثوب . والمفاضة : الدرع الواسعة والشبا : جمع شبابة ، وهى حبل السيف أو السنان فى طرفه ، يقول : انه يعود من الحرب مدرعا كالأسيد وقد احريت شبابه من دماء الأعداء .

- تَتَأَبَّى الطَّيْرُ غَدَوَتَهُ ثِقَةً بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ (١)
وَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً لَسْكِلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرِهِ (٢)
وَكَرِيمِ الْخَالِ مِنْ يَمَنِ وَكَرِيمِ الْعَمِّ مِنْ مُضَرِّهِ (٣)
فَهُمْ شَتَّى ظُنُونُهُمْ حَذَرِ الْمَكْنُونِ مِنْ فِكْرِهِ (٤)

(٦) أَبَانُ الْلاحِقِ (٥)

من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بنى العباس على حقهم في الخلافة دون بنى علي رضي الله عنهما .

- نَشَدْتُ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا أَعْمُ بِمَا قَدْ قُلْتُهُ الْعُجَمَ وَالْعَرَبَ (٦)
أَعْمُ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً لَدَيْهِ أُمُّ ابْنِ الْعَمِّ فِي رُتْبَةِ النَّسَبِ (٧)

(١) تتأبى : تعتمد وتنتظر . والجزر : قطع اللحم .

(٢) سليل : وليد ، والمعنى المولود من أمه التي هي كالشمس عن أبيه الذي هو كالقمر ، وضمير قمره للمدوح أو لوالده .

(٣) المدوح خاله يمنى وعمه مضرى .

(٤) شتى : متفرقة متنوعة يقول : أن السادات متنوعو الأفكار عما يضمرة هو بالنسبة لهم وما يقضى في شئونهم مخافة منه واجلالا له .

(٥) أبان ابن عبد الحميد اللاحق من الشعراء السياسيين الموالي المنتصر للفرس على العرب في مدرارة . وكان عابثا محبا للمال ، هجاء مغرورا ملحدا . تردد بين البرامكة والخلفاء ولا سيما الرشيد يمدحهم ويؤاخم على بابهم أبا نواس ومروان بن أبي حفصة وسواهما توفي سنة ٢٠٠ هـ . ويمتاز شعره بالسهولة وإن لم يكن ممتازا الفن والروعة ، وله شعر تعليمي ينظم فيه الحكم ومسائل الدين وسواها كنظمه كتاب كليلة ودمنة .

(٦) نشدت الله فلانا : استحلقت به .

(٧) الزلفة بضم الزاى : القرية . يستخلف كل مسلم عربيا كان أو أعجميا أعم الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب إليه في درجة النسب أم ابن عمه . ويريد بالعم العباس . وبابن العم على بن أبي طالب رضي الله عنهما .

وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وَبِعَهْدِهِ وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبَ^(١)
فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقُّ بِتِلْكَكُمْ وَكَانَ عَلَى بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى سَبَبٍ
فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمْ يَرِثُونَهُ كَمَا الْعَمُّ لِابْنِ الْعَمِّ فِي الْإِرْثِ قَدْ حَجَبَ^(٢)

وبعث بهذه الأبيات للفضل بن يحيى :

يَا عَزِيزَ النَّدَى وَيَا جَوْهَرَ الْجَوْ هَرٍ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِالْبَطَاحِ^(٣)
إِنَّ ظَنِّي ، وَلَيْسَ يُخْلَفُ ظَنِّي ، بِكَ فِي حَاجَتِي سَبِيلُ النَّجَاحِ
إِنَّ مِنْ دُونِهَا لَمْصُمَتَ بَابِ أَنْتَ مِنْ دُونِ قُفْلِهِ مِفْتَاحِي^(٤)
تَأَقَّتْ النَّفْسُ يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ نَحْوَ بَحْرِ النَّدَى مُجَارِي الرِّيَّاحِ^(٥)
تَمَّ فَكَرْتُ كَيْفَ لِي وَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ لَهُ عِنْدَ الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ^(٦)
وَأَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ بِشَعْرِ مُشَهَّرِ الْأَوْضَاحِ^(٧)

(١) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويريد به هـا الحق في الخلافة .

(٢) يقول في البيتين : انه اذا كان العباس أحق بالارث باعتباره العم ، وعلى مؤخر عنه في الرتبة لأنه ابن العم ، فالواجب أن ينتقل ماورثه العباس الى ابنائه ، والعم يحجب ابن العم ، أى يمنه من الارث .

(٣) عزيز هنا : بمعنى أنه منقطع النظر . والسدى : العطاء . والبطاح : جمع بطحاء . وهى مسيل واسع فيه الرمل ودقاق الحصى ولake بطحاء .

(٤) المصمت : المغلق . والضمير فى دونها يعود على حاجتى فى البيت السابق . يريد أن حاجته عسيرة ولكن قضاءها على المدوح يسير .

(٥) تأقت : اشتاقت . والسماح : الجود . ويقال فلان فى الكرم يجاهى الريح أى أنه سريع الى العطاء .

(٦) كيف لى : أى ما ذا أصنع .

(٧) مشهر ذائع : الأوضاح : جمع وضع اسم للفرقة أو الحلى من الفضة . والمراد شعر رائع .

فلما قرأها قال له هات مديحك فقال :

أَنَا مِنْ بُغْيَةِ الْأَمِيرِ وَكَزْهٍ مِنْ كُنُوزِ الْأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحٍ^(١)
كَاتِبٌ حَاسِبٌ خَطِيبٌ أَدِيبٌ نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النَّصَاحِ
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخْفٌ مِنَ الرَّيْدِ شَيْءٌ أَوْ مَا يَكُونُ تَحْتَ الْجَنَاحِ^(٢)

إِنْ دَعَانِي الْأَمِيرُ عَيْنَ مِنِيَّ شَمَرِيًّا كَالْبُلْبُلِ الصَّيَّاحِ^(٣)

(٧) مسلم ابن الوليد^(٤)

قال :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْذُلْ مِنَ الْوُدِّ مِثْلَ مَا بَذَلْتُ لَهُ فَاعْلَمْ بِأَنِّي مُفَارِقُهُ
فَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَكَارِهِ عَلَيْكَ، وَلَا فِي صَاحِبٍ لَا تَوَافِقُهُ

وقال :

دَلَّتْ عَلَى نَفْسِهَا الدُّنْيَا ، وَصَدَّقَهَا مَا اسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أُعْطَانِي^(٥)
مَا كُنْتُ أَدْخِرُ الشُّكُوى لِحَادِثَةٍ حَتَّى ابْتَلَى الدَّهْرُ أَسْرَارِي فَأَشْكَانِي^(٦)

(١) من بغيته : من مطالبه . يريد أن الأمير لو اصطغفه واصطفاه لرأى فيه خيرا كثيرا . وقد عدد مزايَا نفسه في البيتين بعده .

(٢) الشاعر المفلق : المبدع . وأخف الريش وأدقه ما يكون عند الجناح . ويريد بالخفة خفة الروح .

(٣) الشمري بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة وكسر الراء : المجد الماضي في الأمور . والبلبل طائر صغير الجسم حسن الصوت يشبه طلق اللسان .

(٤) نشأ صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري في الكوفة وفيها درس وتادب وعالج الشعر منذ صباه يمدح به الأمراء ويثرى من ذلك ولكنه سخي متلاف . وكان مسلم من أكبر شعراء عصره ومن تكلفوا البديع في شعرهم حتى رمى بافساده . ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين القديم والحديث مع رقة واضحة وقد مات بجرجان سنة ٣٠٨ هـ .

(٥) يقول : قد ظهر غدر الحياة بدليل شبابي الذي استرجعته مني الأيام .

(٦) ما اعتدت الشكوى من الحوادث فلما هجم الدهر على شبابي شكوت . والأسرار هنا :

ما يضمن به ويريد بها الشباب وأشكاه بعثه على الشكوى .

وقال يهجو دُعَيْلَ بْنَ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيَّ الشَّاعِرَ :

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمدحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ^(١)
فَازْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ^(٢)

وقال من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلبى :

لَا تَدْعُ بِي الشُّوقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ نهى النهى عن هَوَى الْبَيْضِ الرَّعَادِيدِ^(٣)

مَوْحَدُ الرَّأْيِ تَنْشَقُّ الظُّنُونُ لَهُ عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودِ^(٤)
كَالْثِيْتِ بِلِمْثِهِ الْثِيْتُ الْمَصُورُ إِذَا غَنَى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ^(٥)
يَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِي أَمْثَالِ عُدَّتْهَا كَالسَّيْلِ يَقْذِفُ جُلُودًا بِجُلُودِ^(٦)
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدُ إِذْ عَلِقْتُ أَيْدِي الرَّدَى بِنَوَاصِي الضَّمْرِ الْقُودِ^(٧)
يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

(١) دق : صغر فلا تحتل مدحا ولا هجاء لصغرك عن الهجاء وحقارتك عن المدح .

(٢) طليق عرضك : أى صبانك عرضك الخثير عن الهجو وبذلك كنت كالعزيز الذى لا يصح هجوه والواقع أنه ذليل .

(٣) لاتدع بى الشوق : لا تنسبني اليه . المعمود : من هذه العشيق . النهى : جمع نهيۃ بضم النون وهى العقل . الرعاديد : جمع رعديدة المرأة الرخصة الناعمة .

(٤) موحّد الرأى لا يتردد فيه . لأن ظنه كاف لادراك العميات والدقائق .

(٥) الثيْت الهصور : الأسد الذى يكسر فريسته كسرا . غناء الحديد : صوت السلاح فى الحرب التغريد للطائر : رفع الصوت بلغناء .

(٦) المنية : الموت . فى أمثال عدتها أى بجيوش وعدد تدافع الموت وتغالبه . الجلمود : الصخر يشبه الممدوح بالسيل يرمى الموت بمثله كالسيل فى تدفقه يضرب الصخرة بالصخرة .

(٧) علقت : تعلق . الردى : الموت . الضمر : جمع ضامر : الفرس الخفيف اللحم . القود جمع أقود : وهو الطويل الظهر . يظهر اعجابه بالممدوح والموت معقود بنواصى الخيل وقت القتال حتى قال له أفديك بنفسى .

وقال :

- وما ابقتِ الأيامُ مني ولا الصببا
سوى كبدٍ حرّى، وقلبٍ مُقتلٍ (١)
ويومٍ من اللذاتِ خالستُ عيشه
رقيقاً على اللذاتِ غيرِ مُغفلٍ (٢)
فكنتُ نديمَ الكأسِ حتى إذا انقضت
تعوّضتُ منها ريقَ حوراءٍ عيطلٍ (٣)
نهاني عنها جهاً أنْ أريها
بسوءٍ ؛ فلم أفتكْ ولم أبتلٍ (٤)
سقتني بعينها الهوى وسقيتها ،
فدبّ ديبُ الراحِ في كلِّ مفصلٍ (٥)
فلما استمرتُ من دُجى الليلِ دولةً
وكادَ عمودُ الصبحِ بالصبحِ ينجلي (٦)
ترأى الهوى بالشوقِ ، فاستحدثتُ البكا
وقالَ للذاتِ اللّقاءُ : ترحلى (٧)
فلم ترَ إلا عبرةً بعدَ عبرةٍ
مرقرةً أو نظرةً بتأملٍ (٨)

وقال :

- ياربِّ خدنٍ قد قرعتُ جبينه
بالطاسِ والإبريقِ حتّى مالا (٩)
أنهضته من بعدِ ما أسكرته
فشئى كأنَّ برجيله عُقالا (١٠)

- (١) الكبدى الحرى : هى التى ألهبها العشق . الصبا : ملاهى الشباب . مقتل . قتله العشق
(٢) خالست الرقيب : تحينت غفلته . ويريد بالرقيب غير المغفل هموم الدهر وأكداره .
(٣) الحوراء : المرأة ذات العين بياضها وسوادها شديداً . العيطل : الطويلة العنق فى حسن
(٤) أفتك : أتبتل . أمتنع متحرجاً . يقول : ان حبى لها أكرم موضعها عندى فلم
أسرف ولم أتحرج وانما كان لهو معتدل .
(٥) يصف سحر عيونها . الراح : الخمر .
(٦) الدولة هنا : الجانب . عمود الصبح : ضوءه .
(٧) ترأى الهوى بالشوق : ظهرت حرارة الحب .
(٨) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض . مرقرة : تدور فى باطن العين .
(٩) الخدن : الحبيب . الطاس : الاناء يشرب فيه . يريد ساقيته الخمر .
(١٠) العقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها . أى لا يستطيع المشى لشدة السكر .

فإذا نظرت رأيت قوماً سادةً ونجاةً ومهابةً وجمالا
 ولديهم كرخية شمسية^(١) قد خلّيت في دهرها أحوالا^(٢)
 حتى إذا بلغت وحنّ خطابها ساومت صاحبها البياع فغالا^(٣)
 وكأنما الساقى لدى إريقه بدر أنار ضياؤه فتلالا^(٤)
 يسقيك بالعينين كأس صباية^(٥) ويعيندها من كف جرّيالا^(٦)
 أصبحت كالثوب اللبس قد اخلقت جداته منه فعاد مذالا^(٧)
 وبقيت كالرجل المدله عقله أشكو الزمان وأضرب الأمثالا^(٨)
 سألت عذالي فأبوا بالرّضا منى، وكنت أحارب العذالا^(٩)
 ولقد علمت بأنه ما من فتى إلا سيبدل بعد حال حالا

وقال من وزن مؤلّد :

يأيها المعمود قد شفك الصدود^(٨)
 فأنت مستهم^(٩) حالفك الشهود^(٩)

-
- (١) كرخية : خمر منسوبة الى الكرخ وهى محلة ببغداد شمسية . خمر الدن : وعاء كبير تخزن فيه الخمر . يريد أنها خمر معتقة . الأحوال : جمع حول . وهو العام .
- (٢) خطابها من الخطبة بكسر الخاء : وهى دعوة المرأة للزواج . ساوم المشتري السلعة : طلب بيعها . غالى : تشدد فى المثل وزاد .
- (٣) تلالا : تلالا وأضاء
- (٤) الصباية : الشوق . الجريال : الخمر . يسقيك كأسين احدهما من العين (سحرها) والثانية من اليد .
- (٥) اللبس : الذى اخلقته كثرة اللبس . جدة الثوب : كونه جديدا . مذالا : مهينا مبتذلا .
- (٦) المدله : الداهب عقله من العشق وذلك شأن الرجل اذا أسن وخرف .
- (٧) العذال : اللائمون . أبوا : رجعوا
- (٨) المعمود : الشديد الوجد أو الحزن . وشفك : أوهنك وأنحك . والصدود هنا : اعراض الحبيب ، يتحدث الشاعر عن نفسه .
- (٩) المستهم : الداهب الفؤاد من الحب . والسهود جمع سهد : الأرق .

تَبَيَّتْ سَاهِرًا قَدْ وَدَّعَكَ الْمَجُودُ^(١)
 وَفِي الْفُؤَادِ نَارٌ لَيْسَ لَهَا مُخَوِّدُ
 تَشَبَّهًا نِيرَانُ مِنْ الْهَوَى وَقُودُ^(٢)
 إِذَا أَقْبَلَ يَوْمًا قَدْ أُطِفَّتْ تَزِيدُ
 يَا عَاذِلِي كُفَّا فَإِنِّي مَعْمُودُ
 أَكْرَمُهَا تَفْنِيدِي لَوْ يَنْفَعُ التَّفْنِيدُ^(٣)
 قَدْ أَقْصَدْتُ فُؤَادِي خَمَصَانَةً خَرِيدُ^(٤)
 هَجَرَانَهَا قَرِيبُ وَوَصَلَهَا بَعِيدُ

مَنْ لَامَ فِي هَوَاهَا فَتَضَحَّ مُرْدُودُ
 يَا سِحْرُ وَاصِلِيْنِي فَإِنِّي عَمِيدُ^(٥)
 إِنِّي لِمَا أَلَاقِي مِنْ حُبِّكُمْ مَجْهُودُ
 جُودِي لِمُسْتَهَامٍ عَذَابُهُ التَّسْهِيدُ
 نَسَهَرُ مِنْ هَوَاكُمُ وَأَنْتُمْ رُقُودُ
 حَتَّى مَتَى مُنَايَ لَا يُنْجِزُ الْمَوْعُودُ
 صَارَ الْهَوَى بَقْلِي يُبْدِي كَمَا يُعِيدُ

(١) الهجود : النوم .

(٢) تشبها : توقدها وتزيدها . وقود : توقد لها .

(٣) التفنيد : اللوم .

(٤) أقصدت فؤادي : طمنت . خمصانة : ضامرة الحشا . الخريد : البكر والحبيبة .

(٥) العميد كالمعمود : الشديد الوجد أو الحزن .

وَسَادَةٌ سَرَاةٍ مَا فِيهِمْ مَسُودٌ^(١)
 كُلُّهُمْ جَلِيدٌ مَا فِيهِمْ حَرِيدٌ^(٢)
 بَانَ السَّفَاهُ عَنْهُمْ فَرَأَيْتُمْ سَدِيدٌ^(٣)
 يُسْقَوْنَ صَفْوَ رَاحٍ لَذِيذُهَا مَوْجُودٌ
 كَانَتْ بِعَهْدِ نُوحٍ وَهُمْ لَهَا جُنُودٌ^(٤)
 حَتَّى إِذَا أُبِيدُوا أَوْرَثَهَا ثَمُودٌ^(٥)
 شَمْسِيَّةٌ شَمُولٌ شَيْطَانُهَا مَرِيدٌ^(٦)
 مُدَامَةٌ لَهَا فِي خُدُودِنَا تَوْرِيدٌ
 كَأَنَّ شَارِبِيهَا فِي سُوقِهِمْ قِيُودٌ^(٧)
 حَتَّى انْتَنَتْ عِيُونٌ وَاحْمَرَّتْ أَخْدُودٌ
 فِي مَجْلِسٍ نَضِيرٍ يَزِينُهُ الشُّهُودُ^(٨)

(١) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الجليد : الجلد القوى الصلب . والحريد : المنفرد الضعيف .

(٣) السفاه : السفه وذهاب الحكمة والسداد .

(٤) أى هى عتيقة قديمة ، وهم : القدامى .

(٥) أى فلما هلك قوم نوح ورثها قوم ثمود فتنقلت فى الاحقاب حتى وصلت الينا .

(٦) شمسية : من صنع الشمس وحرارة الطبيعة ولم تطبخ . شمول : خمرًا وباردها . المرید : المتمرد الخبيث ، أى خمر قوية الأثر .

(٧) السوق : جمع ساق : ما بين الركبة والقدم ، يقول : ان شاربها أقعدهم السكر فكأنهم

مقيدون لا يستطيعون حراكا .

(٨) النضير : الحسن . والشهود : الحضور .

غَطَارِفٌ كَرَامٌ بَيْضُ الْوُجُوهِ صَيْدٌ^(١)
 مِنْ فَوْقِهِمْ أَطْيَارٌ صِيَا حَهَا تَغْرِيدُ
 وَتَحْتَهُمْ حِنَانٌ نَبَاتُهَا نَضِيدٌ^(٢)
 وَعِنْدَهُمْ دِفَافٌ وَزَامِرٌ وَعُودٌ^(٣)
 خَاضُوا بِحَرِّ قَصْفٍ تَجْرِي لَهُ مُدُودٌ^(٤)
 حَتَّى أَتَشُّوا وَقَامُوا مَجْلِسُهُمْ مَحْمُودٌ
 مَنْ نَالَ مِثْلَ هَذَا فَإِنَّهُ سَعِيدٌ
 هَذَا الْخُلُودَ عِنْدِي لَوْ دَامَ لِي الْخُلُودُ

وقال :

أَدِرِّي عَلَى الرَّاحِ سَاقِيَةَ الْخَمْرِ وَلَا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي الْكَأْسَ عَنْ أَمْرِي^(٥)
 كَأَنَّكَ بِي قَدْ أَظْهَرْتَ مُضْمَرَ الْحَشَا لَكَ الْكَأْسُ حَتَّى أَطْلَعْتَكَ عَلَى سِرِّي^(٦)
 وَقَدْ كُنْتُ أَقْلَى الرَّاحِ أَنْ يَسْتَفْزِنِي فَتَنْطِقَ كَأْسٌ عَنْ لِسَانِي وَلَا أَدْرِي^(٧)

(١) غطارف : جمع غطرف وهو السيد أو الكريم أو الشاب الظريف . والصيد : جمع أصيد وهو الملك أو الشريف العزيز .

(٢) نضيد : منضد أى منسق .

(٣) دفاف جمع دف : من آلات الطرب .

(٤) القصف : الإقامة فى الأكل والشراب واللهو . والمدود : الزيادات .

(٥) الراح : الخمر . يقول : الكأس تكشف لك أمرى إذا سكرت منها كما يوضحه البيت التالى .

(٦) أى كأنك تريننى وقد أطلعتك الكأس على سرى الذى أضمره فى نفسى . والحشا هنا : القلب

أو الصدر مما هو مكان السر ، والسكران لا يعى شيئاً فلا جرم أن ييوح بما فى نفسه .

(٧) أقلى : أبغض . يستفزنى : يستخفى لذهاب وعي ، أى كنت أكره الخمر خوف ذهاب عقلى

فيظهر سرى دون أن أشعر .

وَلَكِنِّي أُعْطِيتُ مِقْوَدِي الصَّبَا فَقَادَ بَنَاتِ اللّٰهُوَ مَخْلُوعَةَ الْعُذْرِ (١)
 إِذَا شِئْتُ غَادَانِي صَبُوحٌ مِنَ الْهُوَى وَإِنْ شِئْتُ مَاسَانِي غَبُوقٌ مِنَ الْخَمْرِ (٢)
 ذَهَبْتُ وَلَمْ أَحْدِدْ بَعِيْنِي نَظْرَةً وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الْعَيْنَ هَاتِكَةً سِثْرِي (٣)
 جَعَلْنَا عِلَامَاتِ الْمُوَدَّةِ بَيْنَنَا مَصَايِدَ لِحَظٍ ، هُنَّ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ (٤)
 فَأَعْرِفُ مِنْهَا الْوَصَلَ فِي لَيْنِ طَرْفِهَا وَأَعْرِفُ مِنْهَا الْمَجَرَ بِالنَّظَرِ الشَّرُّ (٥)
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَشْيَةٌ مِنْ صُدُودِهَا أَيْتُ عَلَى ذَنْبٍ ، وَأَعْدُو عَلَى عُذْرِ (٦)
 وَمُلْتَطِمِ الْأَمْوَاجِ يَرَى عُبَابَهُ بِجَرَجَرَةٍ الْآذِيِّ لِلْعَبْرِ فَالْعَبْرِ (٧)
 مُطْعَمَةٍ حَيْثَانُهُ مَا يُغِيْبُهَا مَا كُلُّ زَادٍ مِنْ غَرِيقٍ وَمِنْ كَسْرِ (٨)

(١) العذر : جمع عذار : الحياء ، وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك في الغى . يقول : ولكنني عدلت عن بغض الراح ، واتبعت دواعي الصبا ، فقادني مخلوع العذار الى اللذات . وأوقع الفعل على بنات اللهو وهو واقع عليه هو فهو المقود بيد الصبا .

(٢) الصبوح : الشرب صباحا ، وضده الغبوق . وغاداني : باكرني . وصبوح من الهوى : اتصال بالغرام ومراسلة النساء ، فهو بين الهوى والخمر .

(٣) أحدى : أنظر بحدة . اليها : الى المحبوبة ، وذلك خوف ظهور شأنى .

(٤) مصايد لحظ : غمزات العين ، وهن أخفى من السحر لأنه لا يفتن لها أحد .

(٥) النظر الشرر : يكون بجانب العين اعراضا .

(٦) أبيت على ذنب : أى ترمينى بذنب لم أفعله . وأعدو على عذر : أسرع بالاعتذار اليها .

(٧) وهنا انتقل الشاعر الى وصف نهر الفرات والسفينة التى ركبها الى ممدوحه . وملتطم الأمواج : ورب بحر الخ . والمتلاطم : المتناطح . وعباب البحر أو النهر : موجه . وجرجرة الآذى : صوت الموج . والعبر : حافة النهر .

(٨) مطعمة : شبعة . ما يغيبها : ما ينقطع عنها . وكسر : كسر سعيينة ، فحيتان النهر موفورة الطعام من كثرة ما تصيب من الفرقى والامتعة ، يصف النهر بالهول .

إِذَا اعْتَنَقَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ تَكَفَّاتُ جَوَارِيهِ أَوْ قَامَتْ مَعَ الرِّيحِ لَا تَجْرِي (١)
 كَأَنَّ مَدَبَّ الْمَوْجِ فِي جَنَبَاتِهَا مَدَبُّ الصَّبَا يَبْنِ الْوَعَاثِ مِنَ الْعُفْرِ (٢)
 كَشَفَتْ أَهَاوِيلَ الدُّجَى عَنْ مَهُولِهِ بِجَارِيَةِ مَحْمُولَةٍ حَامِلٍ بَكْرٍ (٣)
 لَطَمَتْ بِخَدَّيْهَا الْحَبَابَ فَأَصْبَحَتْ مُوقَفَةً الدَّايَاتِ مَرْتُومَةً النَّحْرِ (٤)
 إِذَا أَقْبَلَتْ رَاعَتْ بُقْنَةً قَرْهَبٍ وَإِنْ أَدْبَرَتْ رَاقَتْ بِقَادِمَتَيْ نَسْرِ (٥)
 تَجَافَى بِهَا النُّوتَى حَتَّى كَأَنَّمَا يَسِيرُ مِنَ الْإِشْفَاقِ فِي جَبَلٍ وَعُرٍ (٦)
 تَخَلَّجَ عَنْ وَجْهِ الْحَبَابِ كَمَا انْتَلَتْ مُخْبَأَةً مِنْ كِسْرِ سِتْرِ إِلَى سِتْرِ (٧)
 أَطَلَّتْ بِمَجْدَافَيْنِ يَعْتَوِرَانِهَا وَقَوْمَهَا كَبَّحَ اللَّجَامِ مِنَ الدُّبْرِ (٨)

(١) اعتنقت : اضطربت واستدارت . والجنوب : ربح تهب من الناحية الجنوبية . تكفأت : انقلبت . والجواري : السفن مع تلك الريح تنكفأ أو تقف لا تسير لهول الحال .

(٢) جنباتها : جنبات السفينة . والصبأ : ربح شرقية . الوعاث : الرمال اللينة . والعفر : جمع أعفر وهو الكثيب الأحمر ، يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة ، بتحريك الريح بين الرمال فتحمل أجزائها متنقلة .

(٣) عاد إلى النهر يصفه . أهاويل : أهوال ، ومهوله . هول النهر . محمولة يحملها الماء . حامل : تحمل الناس . بكر : لم تتركب قبل هذه المرة . يقول : قطعت النهر المهول ، والليل المخوف بتلك السفينة .

(٤) الحباب : الموج ، موقفه لابسة الوقف : سوار من عاج . الدايات : أضلاع الكنف أو غضايف الصدر . مرتومة : بها صبغ من حمرة أو بياض في مقدمها أو ودع أبيض . يقول : قد أحدث الموج في جانبي السفينة خطوطا خضرا أو حرا . وهي مرتومة المقدم مصبوغته أو به ودع أبيض .

(٥) راعت : أفزعت . قنة قرهب : رأس ثور وحشي مسن ، شبه به مقعد النوتى في صدر المركب . راق : أعجبت . بقادمتى نسر : بمجدافين كأنهما جناحا نسر .

(٦) تجافى : تنحى عن الحشف وهو حجارة تحت الماء تقرب من أعلاه . والاشفاق : الخوف يقول : ان النوتى تحاشى موطن الخطر فكأنه يسير في جبل وعر .

(٧) تخلج : تنحى . الحباب : الموج ، والمراد الأماكن التى تضطرب فيها الأمواج ، يشبه تنقل السفينة بين المواضع خشية الأخطار بالجارية تنتقل في نواحي البيت وأستاره مستترة .

- فَحَامَتْ قَلِيلًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ هَوَاءٍ عَلَى وَكْرٍ^(١)
- أَنَافَ بِهَادِيهَا وَمَدَّ زِمَامَهَا شَدِيدُ عِلَاجِ الْكَفِّ مُعْتَمِلُ الظَّهْرِ^(٢)
- إِذَا مَا عَصَتْ أَرْخَى الْجَرِيرَ لِرَأْسِهَا فَمَلَّكَهَا عَصِيَانَهَا وَهَى لَا تَدْرِي^(٣)
- كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَاجَهَتْ نَسِيمَ الصَّبَا مَشَى الْعُرُوسُ إِلَى الْخَدِرِ^(٤)
- يَمَمْنَا بِهَا لَيْلَ التَّمَامِ لِأَرْبَعِ لُجَاءَتُ لِسِتٍ قَدْ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ^(٥)
- فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى الطَّلَاحُ خَفِيرُهَا وَحَتَّى أَتَتْ لَوْنَ اللَّحَاءِ مِنَ الْقَشْرِ^(٦)
- وَحَتَّى عَلَاهَا الْمَوْجُ فِي جَنَابَاتِهَا بِأَرْدِيَةٍ مِنْ نَسَجِ طُحْلُبِهِ خُضِرُ^(٧)
- رَمَتْ بِالْكُرَى أَهْوَالَهَا عَنْ عُيُونِهِمْ فَبَاتَتْ أَهْوَالُ الشَّرَى بِهِمْ تُسْرَى^(٨)

(١) حامت : استدارت . والعقاب : طائر من الجوارح . والوكر : العش ، يشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب الى وكره .

(٢) أناف بهاديا : أشرف بعنق السفينة . والمعتمل : العامل . يقول : يعالج السفينة نوتى قوى .

(٣) الجرير : الحبل . عصيانها : تماديها فى الجرى . أى ترك لها العنان لتسير كما تهوى فكانه حملها على العصيان ، ... ولكنها لا تعقل ذلك .

(٤) يقول : حين تواجه الصبا سفينة تترقق فى مشيها فتشبه فى ذلك مشى العروس الى خدرها ، وهو ما تستتر به من بيت أو نحوه .

(٥) أى قصدت بها المدوخ لتمام الليلة الرابعة عشرة من الشهر فوصلت وقد بقى من الشهر ست ليال .

(٦) الطلاح : الكلال والاعياء وفساد الحال . أى فما بلغت الغاية حتى صار الطلاح كأنه هو الحافظ لها من الهلاك ، وذلك عجيب . وحتى أتت : حتى صارت . لون اللحاء : مثل لونه ، واللحاء : قشر الشجرة الرقيق الذى دون القشر الغليظ ، فالسفينة تغير لونها بما ذهب من قشرها .

(٧) الطحلب : طبقة نباتية خضراء تعلو الماء ، يذكر تعلق الطحلب بجوانب السفينة من تأثير الموج . وخضر : صفة اردية .

(٨) الكرى : النوم ، يقول : ان أهوال السفينة منعت ركابها النوم ، فباتوا يسيرهن فى أهوال ، والأهويل : جمع أهوال ، وهذه جمع هول .

تَوَّمُ مَحَلَّ الرَّاغِبِينَ وَحَيْثُ لَا تَذَادُ إِذَا حَلَّتْ بِهِ أَرْحُلُ السَّفَرِ^(١)
رَكَبْنَا إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مُؤَخَّرَاتِهِ فَأَوْفَتْ بِنَا مِنْ بَعْدِ بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ^(٢)

(٨) أَبُو الْعَتَاهِيَةِ^(٣)

قال :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجُمُوحُ^(٤)
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَاللَّهِ رَّ دُنُوٌّ وَنُزُوحُ^(٥)
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ^(٦)
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ^(٧)
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنَّ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمَسْتُورُ مِنَّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فَضُوحُ^(٨)

(١) تَوَّمُ : تقصد أى السفينة . تَذَادُ : تمنع . السفر : المسافرون ، والمعنى أن السفينة تقصد بنا منزلا يقصده الراغبون في الكرم حيث يرحب بهم .

(٢) في مؤخراته : أى في أواخر ركوبه . يقول ان السفينة انتقلت بنا من بحر (الفرات) الى من يشبه البحر كرما .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم يكنى أبا اسحق نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيا خليعا ثم الم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهدا . وكان بخيلا شديدا البخل : غلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هجرية ببغداد . ويمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى وتناول الخواطر العامة فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة ويكاد شعره من السهولة يكون نثرا

(٤) الطرف العين . الطموح : الطامع يجعلك تتعلق بأمر كثيرة . جموح : نافر لا يقنع .

(٥) نزوح : بعد . ودنو : قرب .

(٦) المطلوب بذنب : العاصي الآثم . نصوح : صادقة ، والاستفهام للنفى .

(٧) قروح : جمع قرح ، وهو الجرح (الآثم) .

(٨) فضوح : مفتضح . مكشوف المساوىء .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طَوَيْتَ عَنْهُ الْكُشُوحُ^(١)
 صَاحَ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَاحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ^(٢)
 سَيَصِيرُ المرءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 بَيْنَ عَيْنَيَّ كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ^(٣)
 كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْمَوْتُ يَغْدُو وَيَرُوحُ^(٤)
 نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْ كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمُّ رَتَ مَا مُعْمَّرَ نُوحُ^(٥)

ومن قوله :

أَلَمْ تَرَ رَبَّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلَمَّعُ^(٦)
 أَيَا بَابِ الدُّنْيَا لَغَيْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامَعَ الدُّنْيَا لَغَيْرِكَ تَجْمَعُ
 أَرَى المرءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا مَحَالَةَ مَصْرَعُ
 تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرُهُ مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ^(٧)
 وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطَلَّعُ

(١) الكشوح : جمع كشح . وهو ما بين السرة والظهر . طوى كشحه : أعرض . يقول كم من عزيز صار ذليلاً منبؤدا .

(٢) الصدوح : مرتفع الصوت . رحيل : موت . يقول : مات .

(٣) علم الموت : مظاهره وآثاره .

(٤) يغدو ويروح : أى يحصد النفوس دائماً يقظان .

(٥) سيدنا نوح عاش طويلاً .

(٦) ريب الدهر : نوائبه . العارض : السحاب . والمنية : الموت ، يشبهها بالبرق يكون في السحاب استعارة مكنية .

(٧) في الشطر الثاني استفهام تعجيبى من طمع الإنسان فيما ليس يملكه .

ولما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤمن قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عَنْ الرَّبِيعِ الْمُحِيلِ قَعُودِي إِلَى ذِي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وَجُنُودِ^(١)
وَرَايَ يُرَاعِي اللَّيْلَ فِي حِفْظِ أُمَّةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرُّ غَيْرَ رَقُودِ
بِأُلُويَةٍ ، جَبْرِيلُ يَقْدُمُ أَهْلَهَا وَرَايَاتِ نَصِيرِ حَوْلِهِ وَبُنُودِ^(٢)
تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيَقَنَ أَنَّهَا مَفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
وَشَدَّ عُرَا الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِفَتِيَةٍ ثَلَاثَةِ أَمْلَاقٍ وَلَاةٍ عَهُودِ
هُمْ خَيْرُ أَوْلَادٍ ، لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودِ
تُقَلِّبُ الْحَاطِظَ الْمَهَابَةَ بَيْنَهُمْ عَيُونُ ظُبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسْوَدِ^(٣)
خُدُودُهُمْ شَمْسٌ أَتَتْ فِي أَهْلَةٍ تَبَدَّتْ لِرَاءِ فِي نَجُومِ سَعُودِ^(٤)

وقال :

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبِي وَجَدٍّ وَنَسَبِ يُعْلِيكَ سُورَ الْمَجْدِ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا فِي التَّقَى وَالزُّهْدِ وَطَاعَةِ تُعْطِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ
لَا بَدَّ مِنْ وَرْدٍ لِأَهْلِ الْوَرْدِ إِمَّا إِلَى ضَحْلِ وَإِمَّا عِدٍّ^(٥)

(١) القعود : الجمل الفتى يقتعده الراعى فى كل جاجة ورحلته ركبته . المحيل : الدارس .
الزحوف جمع زحف : الجيش الكثير يزحف الى العدو . وذو الزحوف هنا : الرشيد .

(٢) يقدم أهلها : يتقدمهم . البنود جمع بند : العلم .

(٣) يقول ان لهم عيونا كعيون الأطباء جمالا ، وقلوبا كقلوب الأسد جرأة ، ولعيونهم الحافظ تبعث
الهيبة والروعة فى النفوس .

(٤) الأهلة : الوجوه مجازا . ونجوم السعود : أفراد البيت المالك ، ويجوز أن يراد بها أوقات

سعادة .

(٥) الضحل : الماء القليل لا عمق له . والعِد : الماء الذى له مدد لا ينقطع .

وقال :

أى عيش يكون أبلغ من عيش كفافٍ قوتٍ بقدر البلاغ^(١)
 صاحبُ البغى ليسَ يسلمُ منه وعلى نفسه بغى كلُّ باغى
 ربّ ذى نعمةٍ تعرّضَ ونها حائلٌ بينه وبين المساغ
 أبلغَ الدهرُ فى مَواعِظه ، بل زادَ فيهنَّ لى على الأبلاغ
 غبنتنى الأيام عَقْلِي ومالى وشبابى وصِحَّتِي وفراغى

وقال :

لِدُوا للموت وابنُوا للخرابِ فكلُّكم يصير إلى تباب^(٢)
 ألا يا موت لم أر منك بُدًّا أتيتَ وما تحيفُ وما تُحَابى
 كأنك قد هجمتَ على مَشِيبى كما هجمَ المشيبُ على شبابى

وقال فى الغزل :

قال لى أحمدٌ ولم يدْرِ ما بى أُحبُّ الغداة عُتْبَةَ حَقًّا ؟
 فتنفّستُ ثم قلتُ نعمَ حُبِّ لا جرى فى العروقِ عِرْقًا فِعْرًا
 لو تجسّينَ يا عُتْبَةُ قَلْبِي لوجدتِ الفؤاد قرحًا تفقًّا^(٣)
 قد لعمري ملّ الطَّبِيبُ وملّ الـ لأهلِ منى مما أقاسى وألقى
 كَيْتَنِي مِتُّ فَاسْتَرَحْتُ فَإِنِّي أبدأ ما حَيَّيتُ مِنْهُ مُلَقًى^(٤)

(١) قوت البلاغ : ما كان على قدر الكفاية .

(٢) التباب : الهلاك .

(٣) تفقًا الجرح : انفتح وسال .

(٤) ملقى : ملاق شره .

جملة من أمثاله :

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوَّةُ مَا أَكْثَرَ الْقُوَّةَ لِمَنْ يَمُوتُ

الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَةَ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا

هِيَ الْقَادِرُ فَلَمُنِي أَوْ فَذَرُ إِن كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ

مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حَسَنُ فِعْلِهِ

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ

مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذَى مَمْزُوجَةِ الصَّفْوَةِ بِالْوَانِ الْقَذَى

الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ

مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ يَحْبُتُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنْشِقُ الشَّحِيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءٌ رِيحَا

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُودَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدَا

(٩) أبو تمام^(١)

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، ويذكر

فتح عمورية :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنْ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ^(٢)
بَيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(٣)
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَا مِعةً بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ^(٤)
أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبٍ؟
تَخْرُصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرْبٍ^(٥)

(١) هو حبيب بن أوس الطائي نسبه الى قبيلة طيء . ولد في قرية جاسم من بلاد حوران بالشام ، ثم انحدر الى مصر صبيا فتروى الادب : واكثر من حفظ الشعر ، قصيده وأراجيزه ، وعالج القريض حتى أجاده وبرع فيه ثم صار الى بغداد فمدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع وأوفى على الغاية حتى تقدم على سائر شعراء عصره . ويمتاز في شعره بتخير اللفظ . وتجويد الصياغة وهو من أوائل من عنوا بتحرى فنون البديع ، وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هجرية .

(٢) الأنباء: جمع نباء ، وهو الخبر يقول : ان السيف اصدق مما تضمنته الكتب وقد حكوا أن المنجمين كانوا حذروا المعتصم فتحتها في هذا الأوان ، وقالوا انا نجد في الكتب أنها لا تفتح الا في وقت نضج التين والعنب ، فلم يسمع المعتصم لقولهم وسار بجيشه ففتحها .

(٣) الصفائح جمع صفيحة : السيف العريض . والصحائف جمع صحيفة : القرطاس المكتوب ، يقول : ان السيوف البيضاء هي التي تجلو الشك وتزيل الريب لا الصحائف المكتوبة .

(٤) شهب الرماح : أى الرماح التى هى كالشهب . والخميس : الجيش . والسبعة الشهب هى : الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وزهرة وعطارد ، يقول : ان العلم الحق انما هو فى السيوف وليس فى النجوم .

(٥) التخرص : الكذب . والتبع : شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال . والغرب : نبات رخو منهت على الأنهار ، أى أن أحاديث المنجمين كذب لا أصل له .

عَجَائِبًا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفَلَةً عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبٍ (١)
وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْبَاءِ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ
وَصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ (٢)
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكَ مِنْهَا وَفِي قُطْبٍ (٣)
لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْتَانِ وَالصُّلْبِ
فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ
فَتَحَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُسْبِ
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةٍ انْصَرَفَتْ عَنْكَ الْمُنَى حَفَلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ (٤)
أَبْقَيْتَ حَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدِ وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشُّرْكِ فِي صَبَبٍ (٥)
أُمَّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلُّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَبٍ (٦)
وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتَهَا كَسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرَبٍ (٧)

(١) يقول : أنهم اختلقوا عجائب فزعموا أن صفرا ورجبا شهرا شؤم لا يأتيان بخير .

(٢) كانوا يقسمون بروج السماء ثلاثة أقسام — أربعة منقلبة — وهى الحمل والسرطان والميزان والجدى ، وأربعة ثابتة ، وأربعة ذوات جسدین . ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع فان كان الحادث سيقع فى برج ثابت فعلوه وان كان فى منقلب لم يفعلوه .

(٣) يقول : ان النجوم نفسها غافلة عما يتحدثون به ويأفكون .

(٤) لمنى : ما يتمناه الانسان . وحفل : جمع حافل ، وهى الناقة التى امتلأ ضرعها . والحلب : الحلبة من اللبن ، ومعسولة : حلوة . يقول : ان امانينا عادت وهى حافلة بالسرور لتحقيق ما أملت

(٥) الصبيب : الانحدار .

(٦) يقول : ان عمورية كانت عزيزة عليهم كأهمهم ، وانها كانت ركنا عظيما من أركانهم .

(٧) البرزة : الحسنه الوجه : الفائقة فى الجمال . وكسرى : ملك فارس . وأبو كرب : ملك من

ملوك التبابعة باليمن . يقول : ان عمورية جميلة فائقة الجمال قد أعيا فتحها كسرى وأبا كرب .

مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبْ
 بِكُرٍّ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ الثُّوبِ
 حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا مَخْضُ الْبَخِيلَةِ كَانَتْ زُبْدَةُ الْحَقْبِ (١)
 أَتَتْهُمْ الْكَرْبَةُ السَّودَاءُ سَادِرَةً مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةُ الْكَرْبِ (٢)
 جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقَرَةِ إِذْ غَوْدِرَتْ وَخَشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحْبِ (٣)
 لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأُمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ (٤)
 كَمْ يَبِينُ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ قَانِي الدَّوَابِّ مِنْ آنِي دِمٍ سَرَبٍ (٥)
 بَسْنَةَ السَّيْفِ وَالْخَطَى مِنْ دِمِهِ لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبٍ (٦)
 لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ (٧)
 غَادَرَتْ فِيهَا بِهِمَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُضْحَى يَشْلُهُ وَسْطُهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ (٨)

(١) مخض اللبن . خلطه ماء ثم رجه ليستخرج زبدته . ومخض البخيلة أشد لأنها تريد أن تستوفي ما في اللبن من زبدة . يقول : إن الله حفظ عمورية وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة حتى استخلصها المعتصم فكانت زبدة الدهور .

(٢) الكربة السوداء : المصيبة العظمى . سادرة متحيرة والضمير في منها واسمها يرجع على عمورية : يقول : رأ الكارثة العظمى أصابتهم بفتحها وكانت عندهم فراجة الكرب لتعويلهم عليها في حروبهم .

(٣) كان المعتصم قد فتح أنقرة قبل فتح عمورية . يقول : لما فتحت أنقرة كان فتحها شؤماً على عمورية وأهلها فكان خراب أنقرة أعدى من الجرب إذ سقطت بعدها عمورية .

(٤) قاني الدواب : أحر الضفائر : والآنى الحار جداً . وسرب : سائل . يقول : كم بين حيطان عمورية وقلعتها من جنود خضبت بالدماء الحارة .

(٦) كان بعض المسلمين يرون من السنة أن يخضب الشعر بالحناء . فهو يقول : إن هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء وليس خضابهم — كالسنة — بالحناء .

(٧) يقول لقد تركت الصخر والخشب ذليلين لكثرة ما أعملت فيهما النار .

(٨) يشله : يطرده . يقول : إن الليل المظلم صار نهاراً باشتعال النيران التي كانت تطارد الظلام .

حَتَّى كَانَ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبْ
ضَوْءُ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ
تَصْرَحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى
بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبٍ (١)
مَا رُبِعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ
غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًّا مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ (٢)
وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أَدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ
أَشْهَى إِلَى نَظَرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرَبِ (٣)
سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّا الْعَيُونُ بِهَا
عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ (٤)
وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ
جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ عَنْ سُوءِ مُنْقَلَبٍ
لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَغْصُرٍ كُنْتُ
لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ (٥)
تَدِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ
عَنْ مُرْتَعِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٍ (٦)

(١) وجبت الشمس : غربت . يقول ، ان النار كانت قد ملأت القلعة حتى لتظن أن الشمس طالعة وهي لم تطلع ، وتظن من دخانها الكثيف المظلم أنها غربت ولم تغرب بدليل ما ترى من ضياء .

(٢) تصرح : تكشف . يقول : انكشف الدهر كما ينكشف الغمام عن يوم شديد وكان يوما طاهرا جنبا . ويعنى بطهره ماكان فيه من جهاد العدو . وهو مطلب ديني ، ويعنى بجنابته ماكان فيه من سبى وما اليه .

(٣) لم تطلع الشمس على متزوج من العدو لأنه قتل ، ولم تغرب على عزب من المسلمين لأنه قد ناله من السبايا ما بنى بها .

(٤) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور . ومية : محبوبته التي أكثر من التشبيب بها .

(٥) الخد الترب : المعفر في التراب .

(٦) يقول : ان منظر عمورية وما فيه من خراب وتهدم وسماجة اجمل في العيون من منظر جميل .

- وَمُطْعِمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ (١)
 لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ
 لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا
 رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبُوها وَاثْقَيْنَ بِهَا
 وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرَّتَعٌ صَدَدٌ
 أَمَانِيًا سَلَبْتَهُمْ نَجَحَ هَاجِسِهَا
 إِنَّ الْحَمَامَيْنِ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمرٍ
 لَبَيْتَ صَوْتًا زَبْطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
 عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ
 يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبٍ (١)
 إِلَّا تَقَدَّمَ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ (٢)
 مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجَبٍ
 وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ تُصِبِ
 وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ (٣)
 لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبِ (٤)
 ظَبْيِ السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ
 دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبِ (٥)
 كَأْسِ الْكَرَى وَرُضَابِ الْخُرْدِ الْعُرْبِ (٦)
 بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ (٧)

(١) يعنى بمطعم النصر الخليفة المعتصم : ومعنى مطعم النصر أن الله يطعمه النصر كما يطعمه الرزق . وكهت أسنته : كلت .

(٢) نهد الرجل : نهض .

(٣) أشبوها : حصنوها . والمعقل الأشب : الحصن المنيع .

(٤) ذو أمرهم : قائدهم ، أى قال قائدهم اثبتوا للعدو فأنتم بآمن اذ ليس مكان قريب تحل به جنود العدو ثم لا يمكن أن تنال من قرب .

(٥) الحمام : الموت . والبيض : السيوف . والسمر : القنا . يقول : ان السيوف والقنا وهما أسباب الموت هما كذلك أسباب الحياة من نيل الماء والعشب .

(٦) زبطريا : نسبة الى زبطرة : بلدة كان قد فتحها الروم فلما أرادوا أن يسبوا امرأة مسلمة فيها نادت وامعتصماه فبلغ ذلك المعتصم وكان فى يده كأس فلم يشربها وأمر بتجنيد الجيش وغزو عمورية . والرضاب : الريق . والخرد : الحسان . والعرب جمع عروب : وهى المرأة المتحبة لزوجها

(٧) عداك : صرفك . والثغور الأولى : البلاد المتاخمة للعدو . والثغور الثانية : أسنان الحسان . وسلسالها : ريقها . الحصب : العلب .

- أَجَبْتُهُ مُعَلِّنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا وَلَوْ أَجَبْتَ بَغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ^(١)
 حَتَّى تَرَكَتَ عَمُودَ الشَّرْكِ مُنْقَعِرًا وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ
 لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنِ تَوَفَّلِسُ^(٢) وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
 غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ جَرَّتِيهَا فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْحَدَبِ^(٣)
 هَيْهَاتَ زُعِزَعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ عَنْ غَزْوٍ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوٍ مَكْتَسِبِ
 لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرَبَّى لِكَثْرَتِهِ عَلَى الْخَصَى وَبِهِ فَقَرُّهُ إِلَى الذَّهَبِ^(٤)
 إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدُ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
 وَلَى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِئُ مَنَظِقَهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ^(٥)
 أَخَذَى قَرَابِينَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْمَرْبِ^(٦)
 مُوَكَّلًا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ^(٧)
 إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ أَوْسَعَتْ جَاوِحَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ^(٨)

(١) الضمير في أجبته يعود على الصوت الزبطرى . وهو صوت المرأة المستغيثة .

(٢) توفلس : ملك الروم : والحرب بالفتح : سلب الأموال .

(٣) يقول ان توفلس أخذ يرشى بالمال ليدفع عنه تيار الجيوش فغلبه البحر ذو التيار والحدب . ويعنى بالبحر الجيش العظيم وذو الحدب : ذو الموج المتلاطم .

(٤) الضمير في ينفق : يعود على المعتصم .

(٥) الضمير في ولى : يعود على توفلس . وألجم الخطى منطقه ، أى أخرسه السيف .

(٦) أخذى : أعطى . وقربينه : أى المقربين له . يقول : ان توفلس قدم المقربين اليه هدية لصروف الموت وفر هو على احسن مطاياها وانجباها .

(٧) اليفاع : الأرض المرتفعة . ويشرفه : يعلوه .

(٨) يقول : ان فر توفلس من حر النار فرار النعام فذلك لانك أضمرت نارا لا عهد له بها .

- تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
يَارُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتَثَّ دَابِرُهُمْ
وَمُغْضَبَ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقِ لَحْجٍ
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَى قَمَرٍ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْنَابِ الرُّقَابِ بِهَا
كَمْ أُحْرِزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً
بِيضٌ إِذَا انْتَضَيْتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ
خَلِيفَةَ اللَّهِ ! جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ
بَصَرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ
- جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ (١)
طَابَتْ وَلَوْ ضَمَّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطْبِ (٢)
حَى الرِّضَا مِنْ رَدَائِهِمْ مَيَّتَ الْغَضَبِ
تَجْتَنُّو الْكِمَاةُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ (٣)
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَنِبِ (٤)
إِلَى الْمَخْدَرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ (٥)
تَهْتَرُ ، مِنْ قُضْبِ تَهْتَرُ فِي كُثْبِ (٦)
أَحَقُّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنْ الْحُجْبِ (٧)
جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسْبِ
تَنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرِ مِنَ التَّعَبِ
مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرَ مُنْقَضِبِ (٨)

(١) يقول : ان جيش العدو كان تسعين ألفا حل أجلهم قبل ان ينضج التين والعنب ، وفي هذا تهكم بقول المنجمين الذي ذكر في أول القصيدة .

(٢) الحوباء : النفس ويعنى نفوس المسلمين وقد طابت بقطع دابر العدو بأكثر مما تطيب بالمسك .

(٣) المأزق : موضع الحرب . ولحج : ضيق . والكماة : الأبطال . وصغرا : أذلاء .

(٤) العارض الأول : السحاب . والثانى ما يعرض من الأسنان ، وشنب : رقيق لطيف .

(٥) يعنى بالمخدرة العذراء عمورية لأنها لم تفتح قبل . يقول : ان قطع الرقاب كان سببا في فتح عمورية والضمير في بها للحرب .

(٦) القضب : السيوف . ومصلته : مشهورة . والقضب الثانية : الفصون . أى كم أحرزت هذه السيوف قدودا كالأغصان .

(٧) انتضيت : سلت . والحجب : الأغمد . يقول : ان هذه السيوف أحق أن تغمد في صدور الأعداء الأبيض أبدانا من أن تغمد في جرابها .

(٨) الدمام : الحرمة . ومنقضب : منقطع .

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نَصَرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامٍ « بَدْرٍ » أَقْرَبُ النَّسَبِ
أَبْتَتْ بَنَى الْأَصْفَرَ الْمَمْرَاضِ كَأَسْمِهِمْ صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ (١)

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُوا غِيَاهِبُهُ (٢)
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ (٣)
عَلَى كُلِّ مَوَارٍ الْمِلَاطِ تَهَدَّمَتْ عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ وَأَنْضَمَّ حَالِبُهُ (٤)
رَعْتُهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءِ الرِّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ (٥)
إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الْمُلْكِ كَلَّمَا هَبْطْنَا مَلَّاصَتْ عَلَيْكَ سَبَاسِبُهُ (٦)
إِلَى سَالِبِ الْجَبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ وَأَمْلُهُ غَادَ عَلَيْهِ فَسَالِبُهُ (٧)

(١) بنو الأصفر : الروم . والممراض : الكثير المرض .

(٢) أطراف الأسنة : أسنة الرماح . عرسوا : نزلوا ليلاً . يقول : ان هؤلاء الركب ركبوا على مثل أسنة الرماح وهي كور الجمال التي تشبه الأسنة في الصلابة والمضاء . وغياهب الليل : ظلمته

(٣) لأمر : متعلق بعرسوا : أى أن هؤلاء الركب ركبوا لأمر وهو نيل العطاء من الممدوح ولكن عليهم أوله وهو السفر وتحمل التعب ليس عليهم تمامه وهو أن يفوزوا بمطلبهم .

(٤) على كل : متعلق بفعل محذوف وهو ساروا . والملاط : عضد البعير . والموار : المتحرك . والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن وهو كنية عن الضمور .

(٥) الفيافي : فلوات لاماء بها ، والواو للحال : أى أن هذه الأبل كانت ترعى الفيافي أيام نضارتها وهي الآن ترعاها الفيافي فتضعفها وتهزلها .

(٦) جزعنا الأرض : قطعناها عرضاً . ومغرب الملك : الشام . وكان أبو تمام بها وكان ممدوحه بخراسان . والملا : الصحراء . وصلت عليه : أنت عليه . والسباسب : جمع سباسب . الأرض المستوية .

(٧) بيضة الملك : حوزته وأصله . وأمله : طالب العطاء منه : يقول : أنا سهرنا الى من يسلب . الجبار ملكه ، وطالب العطاء منه يسلبه ماله ، فهو سالب ملك الجبار ومسلوب المال من الطالبين .

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الْأَرْضَ الْعِزَازَ كِتَابُهُ
 سَمًا لِلْعُلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ^(١)
 فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهُ
 وَأَيْنَ بَوَجْهِ الْحَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا مَرَأَى الْأُمُورِ الْمُشْكَلَاتِ تَجَارِبُهُ^(٢)
 أَرَى النَّاسَ مِنْهَا جِ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ مَهَا يِعُهُ الْمُثَلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُهُ^(٣)
 فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرِ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهِيَ مَوَاهِبُهُ^(٤)
 إِذَا مَا أَمْرُو الْقَى بِرَبْعِكَ رَحَلَهُ فَقَدْ طَالَبَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهُ^(٥)

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِيَتَصَرَّفَ الْأَخْرَاسُ^(٦)
 فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ^(٧)
 الْقَوْمُ ظِلُّ اللَّهِ أَسْكَنَ دِينَهُ فِيهِمْ وَهُمْ جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِي
 فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرْنْدٌ مُشْرِقٌ وَهُمْ الْفِرْنْدُ لَهُوْلَاءِ النَّاسِ^(٨)

(١) يريد بجانبى العلا الشجاعة في الحرب والكرم . والعباب : معظم الماء . وجاشت : زخرت . وغواربه : أعلى أمواجه .

(٢) أين بوجه الحزم : أى كيف يشكل عليه الحزم . وتجاربته مرآة للمشكلات . ومراى : جمع مرآة .

(٣) أرى الناس : بين لهم وأوضح . المهايح واللواحب : الطرق الواضحة . وعفت ومحت : درست .

(٤) لما علم الناس الكرم كانت هباتهم ليست منه وهى فى الحقيقة منه لأنه هو الذى علمهم .

(٥) أى من نزل عندك وألقى رحله بربعك ضمن نجح مطلبه .

(٦) الاحراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدأ ومعلوم مبتدأ ثان . وقرى خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر المبتدأ الأول ومعلوم السماء المطر . يقول ان الأرض قوتها المطر . وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم مارجوا .

(٨) الفرند : رونق الشيء .

هَدَأْتُ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هِمَّتِي وَأَطَافَ تَقْلِيدِي بِهِ وَرِقْيَاسِي^(١)
وَالْحَمْدُ بُرْدُ جَمَالِ أُخْتَاتِ بِهِ غَرَرُ الْفَعَالِ وَلَيْسَ بُرْدُ لِبَاسِ
أَبْلَيْتَ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ فِيهِ وَكَرَّمَ شَيْمَةَ وَنَحَاسِ^(٢)
إِقْدَامُ عَمْرُو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ^(٣)
لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ^(٤)
غَلَبَ الشُّرُورُ عَلَى مُهُومِي بِالَّذِي أَظْهَرْتَ مِنْ بَرِّي وَمِنْ إِيْنَاسِي
عَدَلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كِبَرَةٍ لَكِنَّهُ مِنْ يَاسِ^(٥)
أَثَرُ الْمَطَالِبِ فِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا أَثَرُ السِّنِّينَ وَوُسْمُهَا فِي الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجا :

لَمَّا وَرَدْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى عَنَّا تَعَجُّرُ دَوْلَةِ الْإِحْمَالِ^(٦)
أَحْيَا الرِّجَاءَ لَنَا بِرَغْمِ نَوَائِبِ كَثُرَتْ بَيْنَ مَصَارِعِ الْآمَالِ^(٧)

(١) يقول : ان همتي استقرت بعد أن أملت أحد بن المعتصم ، وتقليدي للناس في السعي اليه وتجاربي حققت آمالي .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها اليه . ونحاس : الشيمة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب ، وحاتم الطائي المشهور بالكرم ، وإياس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ، والأحنف بن قيس سيد بني تميم .

(٤) اشارة الى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : ان مشيبي تحول الى شباب ولم يكن مشيبي من كبر ولكنه من يأس ، فلما قصدتك زال همي ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الاحمال : الجذب .

(٧) مصارع : جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

أَغْلَى عَذَارَى الشُّعْرَ أَنْ مُهُورَهَا عِنْدَ الْكَرَامِ - وَإِنْ رَخُصْنَ - غَوَايِ (١)
 تَرْدُ الظُّنُونُ بِنَا عَلَى تَصْدِيقِهَا وَيَحْكُمُ الْأَمَالَ فِي الْأَمْوَالِ (٢)
 وَرَأَيْتَنِي فَسَأَلْتَ نَفْسَكَ سَيِّبَهَا لِي ثُمَّ جُدْتَ وَمَا انتَظَرْتَ سُؤَالِي (٣)
 كَالغَيْثِ لَيْسَ لَهُ - أُرِيدَ نَوَالُهُ أَوْ لَمْ يُرَدِّ - بُدُّهُ مِنَ التَّهْطَالِ (٤)

وقال في وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْمَفَاصِلِ (٥)
 لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلِ (٦)
 لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقْعَهَا بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ (٧)
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلِ (٨)

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة ، والمراد بدائع الشعر التي لم تبتذل .

(٢) يقول : ان ما نظننه ونخاله من الخيرات يدفعنا اليه فنجده حقا ، ثم يعطينا من امواله ما املنا فيه .

(٣) السيب : العطاء . يريد انك رايتني فاقتضيت نفسك اعطائي دون ان أسألك ذلك .

(٤) الغيث : المطر . التهطال : المطر المتتابع ، وهذا البيت دليل ما قبله ومثال له .

(٥) الشبابة : سن الرمح ، استعارها الشاعر لسن القلم وهو أسلته ، لأن الشبابة أشكل بالمعنى الذي أُراده . الكلى جمع كلية ، يريد أنه موفق الى الحكمة والاصابة حتى لا يقع رأيه في تدبير الأمور الا في الصميم .

(٦) الأرى : غسل النحل . واشتارته : استخرجته من شمعته . واللعباب : الريق . يريد أنه اذا غضب كان قوله كسم الأفاعى ، واذا رضى كان في حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه .

(٧) الريقة : الريق . والطلل المطر الخفيف . والوابل والوبل المطر الغزير ، يريد أنه وأن لم يصب من المداد الا يسيرا فان أثره في شرق الأرض وغربها جليل عظيم .

(٨) يريد به راكبا حين تحمله الأنامل للكتابة . وراجلا : حين يلقى . والراجل : ضد الراكب ، لأنه انما يعتمد على رجليه .

إذا مَا أَمْتَطَى الخمسَ اللطافَ وأفرِغتْ عليه شِعَابُ الفِكرِ وهى حَوافلُ^(١)
أطاعته أطرافُ القنا ، وتَقَوَّضَتْ لنجواه تقويضَ الحِيامِ الجحافلُ^(٢)
إذا استَغْزَرَ الذهنُ الجلىُّ وأقبلتْ أعالیه فی القِرطاسِ ، وهى أسافلُ^(٣)
وقد رَفَدَتْهُ الخِنْصِرَانِ ، وسَدَّدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَلَاثُ الأَنَامِلُ^(٤)
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنَى وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ^(٥)

وقال يرثى محمد بن محمد الطوسي :

كَذَا فليَجَلَّ الخطبُ ، وليَفْدَحِ الأمرُ فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ^(٦)
تُوَفِّيتُ الآمالُ بعدَ محمدٍ وأصبح في شُغْلٍ عن السفرِ السَّفَرُ^(٧)
وما كَانَ إِلَّا مالٌ من قَلِّ ماله وذُخْرًا لمن أَمسى ، وليس له ذُخْرُ^(٨)
وما كَانَ يَذْرى مُجْتَدِي جودٍ كَفَّهُ إذا ما اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ العُسرُ^(٩)

-
- (١) يريد بالخمس اللطاف الأنامل . واللطاف : الدقاق . والشعاب : جمع شعبة وهى هنا
مناحى التفكير . وحوافل : جمع حافلة أى ممتلئة زاخرة .
- (٢) القنا : جمع قناة وهى الرمح . وأطراف أسنانها . والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش
الكثير العدد .
- (٣) القِرطاس : ويجمع على قراطيس الورق .. ويريد بأعلى القلم أسلته (سنه) .
- (٤) رَفَدَهُ : أعانته وأمدته . ويريد بالخنصرين : الخنصر والبنصر من باب التغليب كما يطلق
العمران على أبى بكر وعمر ، والقمران على الشمس والقمر .
- (٥) المرهف : المرفق الحاد . الضنى المرض . الخطب الشأن والقدر . الناحل : النحيف .
- (٦) فدح الأمر يفدح صعب وثقل . والفوادح : النوازل .
- (٧) السفر : المسافر . يقول : انه بموته انقطعت الآمال لأن الناس لم يكونوا يؤملوه الا فيه .
وشغلت الناس الرزية فيه عن أسفارهم وقضاء حاجاتهم .
- (٨) الذخر والذخيرة : ما يحفظ لوقت الحاجة .
- (٩) اجتدى يجتدى : سأل العطية والمراد بـ (استهلت) كفه : حتى ان سألته ماكانوا يدرون
أن العسر قد خلق .

- أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عُطِّلَتْ لَهُ فَجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَانْتَفَرِ الثَّغَرُ^(١)
 فَتَى كُلِّ قَاضٍ عِيُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا - ضَحِكْتَ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ^(٢)
 فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوَبُهُ فَقِي بِأَسِهِ شَطْرٌ ، وَفِي جُودِهِ شَطْرُ^(٣)
 فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مِيتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذَا فَاتَهُ النَّصْرُ^(٤)
 وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مُضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ ، وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمَرُ^(٥)
 وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَافُ الْمُرُّ وَالْخَلْقُ الْوَعْرُ^(٦)
 وَنَفْسُهُ تَعَافُ الْعَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوْ دُونَهُ الْكَفَرُ^(٧)
 فَأُثْبِتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا : مَنْ تَحْتَ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ !^(٨)
 غَدَا غُدُوَّةً ، وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ^(٩)

(١) فجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والمراد بها هنا مجرد الطريق .
 وانتفر الثغر : أى اجتيزت الحدود .

(٢) يقول : انه مامن قبيلة دحرت فى الحرب حتى فاض الدم من عيونها الا ذكره الناس بالفخر
 لانه هازمها .

(٣) ينوبه : يلم به ويشغله . والبأس : الشجاعة والقوة .

(٤) يقول : انه قتل قتلة بطل شجاع حتى أضحت لكرمها وعزتها تعادل النصر حين فاته النصر

(٥) مضرب السيف : حده . واعتلت : اعتدلت وثاقلت . والقنا : جمع قناة وهى الرمح وتنتع
 بالسمره كما تنتع السيوف بالبياض . يقول : انه لم يقتل حتى تثلم حد سيفه من شدة ما ضرب
 به وحتى تقصفت الرماح فى يديه فلم تعد تغنى فى الطعان .

(٦) الحفاظ : الحمية والفضب عند حفظ الحرمة ، والوعر ضد السهل والمراد به هنا الشديد
 الانفة يقول : انه كان يستطيع أن يدفع الموت عن نفسه بالهرب ونحوه ، ولكنه آثر الموت أنفة
 من العار .

(٧) الروع هنا الحرب ، ويجوز أن يراد به الشدة بوجه عام .

(٨) جعل للموت مستنقعا كمستنقع الماء وهو مجتمع فى بطن الوادى . وأخمص القدم ما لا يصيب
 الأرض من بلاطنها . يريد أنه قد ثبت للموت فلا تتحول رجلاه الى أن يموت حتى كان الحشر
 من تحتها .

(٩) غدا : خرج فى أول النهار . يريد أنه عاش محمودا مشكورا ، ومات مشويا مأجورا .

- رَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ مُحْرَاً ، فَمَا دَجَا لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهَى مِنْ سُنْدُسٍ خَضِرُ^(١)
- كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ^(٢)
- يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعُلَا وَأَنْتَى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى^(٣)
- إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتَشْهَدَا هُوَ وَالصَّبْرُ^(٤) وَلَكِنَّ كِبَرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرُ^(٥)
- وَبَزَّتُهُ نَارُ الْحَرْبِ وَهُوَ لَهَا جَمْرُ^(٦) بَوَاتِرٌ ؛ فَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ^(٧)
- يَكُونُ لِأَثْوَابِ الْبَدَى أَبْدَا نَشْرُ^(٨) فَنِي أَيْ فَرَعٍ يُوجَدُ الْوَرَقُ النَّضْرُ ؟^(٩)
- لَنْ أَبْقِضَ الدَّهْرُ الْخُثُونَ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِي بِهِ مِمَّنْ يُحِبُّ لَهُ الدَّهْرُ^(١٠)

- (١) تَرَدَّى الثَّوْبُ : لَبِيسُهُ . وَدَجَا اللَّيْلُ : أَظْلَمَ . وَالسُّنْدُسُ : نَسِيجُ الْخَرِيرِ .
- (٢) بَنُو نَبْهَانَ : قَوْمُ الْمَرْبِيِّ . بَطْنٌ مِنْ طَيْمٍ .
- (٣) ثَاوٍ : ثَوَى بِالْمَكَانِ يَثْوِي فَهُوَ ثَاوٍ أَيْ مُقِيمٌ بِهِ . وَالْمَيْتُ ثَاوٍ لِأَنَّهُ مُقِيمٌ فِي قَبْرِهِ مَا يَبْرَحُهُ .
- (٤) اسْتَشْهَدَ الرَّجُلُ بِالْإِنِّاءِ لِلْمَجْهُولِ : مَاتَ شَهِيدًا يَقُولُ الشَّاعِرُ : كَيْفَ لِأَهْلِ الْقَتِيلِ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَقَدْ مَاتَ وَمَاتَتْ مَعَهُ غَرِيزَةُ الصَّبْرِ فِي قَوْمِهِ وَاللَّائِلِينَ بِهِ .
- (٥) الْغَضَاظَةُ هُنَا بِمَعْنَى الدَّلَّةِ . يَقُولُ : أَنَّهُ كَانَ كَرِيمَ النَّفْسِ لِنِ الْجَانِبِ لِأَمِنْ ذُلَّةٍ وَلَا اسْتِكَانَةَ بَلْ أَتَفَةُ مَنْ أَنْ يُقَالَ أَنَّ فِيهِ تَكْبَرًا .
- (٦) بَزَّتُهُ : يُقَالَ بَزَّهُ ثَوْبُهُ وَأَبْتَزَّهُ : سَلَبَهُ .
- (٧) الْمَأْتِيرُ : جَمْعُ مَأْتِيرٍ . وَالسَّيْفُ الْمَأْتِيرُ : الْقَدِيمُ الْمَتَوَارِثُ . وَالْوَفَى : الْحَرْبُ . وَبَوَاتِرُ : جَمْعُ بَاتِرٍ وَهُوَ الْقَاطِعُ . وَبُتْرٌ : جَمْعُ أَبْتَرٍ ؛ أَيْ مَقْطُوعَةٌ يَرِيدُ أَنْ السَّيُوفُ كَانَتْ فِي حَيَاتِهِ حَادَةً قَاطِعَةً فَلَمَّا مَاتَ تَثَلَّمَتْ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ حِينَ كَانَ يَحْمِلُ جَيْشَهُ السَّيُوفَ كَانَتْ تَبْلُغُ مِنَ الْأَعْدَاءِ كُلِّ مَبْلُغٍ وَلَمَّا مَاتَ لَمْ يَبْقَ لَهَا قُوَّةٌ عَلَى الْإِنْفِصَالِ .
- (٨) يُقَالُ : طَوَى الرَّدَى فَلَانَا يَطْوِيهِ طِيَاءٌ مَاتَ . وَالْبَدَى : الْجُودُ .
- (٩) جَلَّتْ : قَطَعَتْ ، وَالنَّضْرُ يُقَالُ : نَضَرَ الْوَجْهَ وَاللَّوْنَ وَالشَّجَرَ نَضَارَةً : فَهُوَ نَضَرَ أَيْ حَسَنَ وَنَعِمَ .
- (١٠) لَا يَرِيدُ أَنَّ الدَّهْرَ إِذَا كَرِهَ لَمُوتَهُ كَانَ يُحِبُّ لِأَجَلِهِ مِمَّا سَجَّلَ لَهُ مِنْ عِظَائِمٍ وَمُفَاخِرٍ فِي الْحَيَاةِ .

- لئن غدرت في الزرع أيامه به فما زالت الأيامُ شيمتها الغدر^(١)
 لئن ألبست فيه المصيبة طيًّا فما عريت منها تميم ولا بكر^(٢)
 كذلك ما ننفك نفقده هالكا يشاركنا في فقده البدو والحضر
 سقى الغيث غيثا وارت الأرض شخصه وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر
 وكيف أحمالي للغوث صنيعا بإسقامها قبرا ، وفي لحده البحر^(٣)
 مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتتت أنها قبر
 ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر^(٤)
 عليك سلام الله وقفا فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عمر^(٥)

(١٠) دَعْبِلُ^(٥)

قال :

- أين الشباب ؟ وأية سلكا ؟ لا ، أين يُطلب ؟ ضلّ ، بل هلكا^(٦)
 لا تعجبي بإسلم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكي^(٧)

(١) الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٢) يريد أن المصيبة فيه لم تقتصر على طيء وحدها بل لقد (عمت لجلالة محله) قميا وبكرا .

(٣) كيف احتمل للمطر جميلا هو سقيه هذا القبر مع أن فيه بحرا . ينكر الشاعر على نفسه دعوته للقبر بالسقيا . يعلل ذلك بأن فيه بحرا .

(٤) الثرى : التراب . والنائل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٥) دعبيل بن علي بن رزين يمني من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصبا لقومه على العدنانية ، هجاء خبيث اللسان ، لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء ؛ فعاش مكروها مرهوبا حتى توفي سنة ٢٤٦ هـ . وشعره من النوع المطبوع ذي الأسلوب القوى لتأثره بنزعته الجريئة في وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبيين ، وبميله الى الارهاب والتخويف ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

(٦) أية : أي سبيل .

(٧) ضحك المشيب : ظهر الشيب ، وبين ضحك وبكى طباق .

يأليت شعري كيف يومئذ يا صاحبي إذا دمي سُفِكَ
 لا تأخذنا بظلامتي أحداً ؛ قلبي وطرفي في دمي اشتراكاً^(١)
 ومن قوله يرثي ابن عم له من خزاعة :
 كانت خزاعة ملء الأرض ما اتَّسَعَتْ فقصَّ مرَّ الليالي من حواشيها^(٢)
 هذا أبو القاسم الثاوي ببَلْقَعَةٍ تسفَى الرياحُ عليه من سوافيها^(٣)
 هبتُ وقد عَلِمْتُ أن لا هُبُوبَ بهِ وقد تكونُ حَسيراً إذ يُبَارِها^(٤)
 اضحى قِرَى للمنايا إذ نزلن بهِ وكان في سالف الأيام يقريها^(٥)
 وقد سافر مرة فطال عليه السفر فقال :
 أَلَمْ يَأْنِ لِلسَّفَرِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا إلى وَطَنٍ قَبْلَ المَآتِ رُجُوعُ^(٦)
 فقلت ولم أملك سوابقَ عِبْرَةٍ نَطَقْنَ بما ضُمْتُ عليه ضُلُوعُ^(٧)

-
- (١) الظلامه بضم الظاء : ما احتملته من الظلم ، والمراد هنا موته عشقا من أثر النظر بعينه والحب بقلبه .
- (٢) الحواشي : الجوانب ، والمفرد حاشية .
- (٣) الثاوي : المقيم . والبَلْقَعَة : الأرض القفر جمعها بلاقع . وسفت الرياح التراب : حملته . يريد أنه مدفون بأرض مقفرة تسفى بها الرياح على قبره .
- (٤) الحسير : الضعيف الكليل . والمعنى : أن الرياح هبت لما علمت بموته ، ولكنها في حياته كانت تعجز عن مسايرته حين يسرع هو الى المكارم .
- (٥) القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والمعنى أنه أصبح طعمة الموت بعد ما كان وهو حى يقدم الى الموت ضحاياه من قتلاه في الحروب ، يصفه بالشجاعة .
- (٦) يأتى : يقرب ويحضر ، والسفر : المسافرون ورجوع فاعل (يَأْنِ) والى وطن متعلق بـرجوع ، والاستفهام للانكار .
- (٧) العبرة بفتح العين : الدمعة . وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق الى الوطن والاهل .

تَبَيَّنَ ! فكم دارٍ تَفَرَّقَ شملُها ! وشملٍ شَتَّيتٍ عادٍ وهوَ جميعٌ^(١)

كذلك الليالى صرْفهنَّ كما تَرى ؛ لكلِّ أناسٍ جَدْبَةٌ ورَبيعٌ^(٢)

وكانت مودَّةٌ بين دِعبِل ومسلم بن الوليد أعقبها جفوة ، فكتب إليه دعبِل :

أبا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدَى مَوَدَّةٍ هَوَانَا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا مَعًا^(٣)

أَحْوُطُكَ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حَاطِطِي وَأَجْزَعُ إِشْفَاقًا مِنْ أَنْ تَتَوَجَّعًا^(٤)

فصيرتَنِي بَعْدَ أَنْتِكَائِكَ مُتَّهِمًا لِنَفْسِي ، عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقِ أَجْمَعًا^(٥)

غَشَشْتُ الْهُوَى حَتَّى تَدَاعَتْ أُصُولُهُ بِنَا ، وَابْتَدَلْتَ الْوَصْلَ حَتَّى تَقَطَّعًا^(٦)

وَأُزِلْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا ذَخِيرَةً وَدِّ طَالِمًا قَدْ تَمَنَّمًا^(٧)

فَلَا تَلْحَظْنِي ؛ لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لَكَ مَرَقَعًا^(٨)

فَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَأْكَتْ فَقَطَعْتُهَا وَجَشَّمْتُ قَلْبِي صَبْرَةً فَتَشَجَّعًا^(٩)

(١) الشمل : ما اجتمع من الامر أو ماتفرق منه . والشتيت : المتفرق . والجميع : المجتمع .

(٢) صرف الليالى : أحداثها . ومعنى جدبة وربيع : حالنا خير وشر .

(٣) العقيد : المعاهد والمعاهد ، والمعنى أننا كنا متعاهدين على الود متحدى الرغبات لانتخالف .

(٤) أحوطك بالغيب الخ : أحفظ عهدك غائباً فأدفع عنك كما تدفع عنى كذلك ، واخشى أن

تتألم لشيء ما .

(٥) انتكائك : انصرافك عنى ، ومعنى متهم لنفسى الخ : أننى أتهمها لشدة الخوف عليها من الناس

جميعاً بعد ما خنتنى وكنت مظنة الوفاء التام .

(٦) تداعت : تساقطت . وابتدلت الوصل : امتننته .

(٧) الجوانح : الجوانب . والحشا : ما دون الحجاب من الكبد والطحال وغيرهما ، والمراد بما

بينهما (القلب) . ولمنع : كان قويا لا يهن .

(٨) لحاه يلحاه ويلحوه : سبه وعابه . والمرقع : مكان ترقيع الثوب ، أى لا أمل فى اصلاحك .

(٩) يمينى : يدي اليمنى . استأكلت : أصابتها الأكلة وهى داء فى العضو يأكل منه . ومعنى

الشرط الثانى : صبرت قلبى على قطعتك فصبر .

ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

- وَلَيْسَ حَيٌّ مِنَ الْأَحْيَاءِ نَعْلَمُهُ مِنْ ذِي يَمَانٍ ، وَمِنْ بَكْرٍ ، وَمِنْ مُضَرٍّ ^(١)
إِلَّا وَهُمْ شُرَكَاءُ فِي دِمَائِهِمْ كَمَا تَشَارَكَ الْأَيْسَارُ عَلَى جُزُرٍ ^(٢)
قَتْلٌ ، وَأَسْرٌ ، وَتَحْرِيقٌ ، وَمَنْهَبَةٌ فَعَلَ الْغَزَاةَ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْخَزَرِ ^(٣)
أَرَى أُمِّيَّةَ مَعْدُورِينَ إِنْ قَتَلُوا وَلَا أَرَى لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عُذْرِ ^(٤)
إِرْبَعٍ بِطُوسَ عَلَى قَبْرِ الزَّكِيِّ إِذَا مَا كُنْتَ تَرْبَعُ مِنْ دِينَ عَلَى وَطْرِ ^(٥)
قَبْرَانِ فِي طُوسَ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَقَبْرُ شَرِّهِمْ ؛ هَذَا مِنَ الْعَبْرِ
مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ وَلَا عَلَى الزَّكِيِّ بَقْرُ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرٍ ^(٦)
هِيَهَاتَ ! كُلُّ أَمْرٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبْتَ لَهُ يَدَاهُ ؛ نَخْذُ مَا شِئْتَ أَوْ فَذَرِ ^(٧)

(١) الأحياء : البطون والعشائر ، مفرداها : حى ، والشرط الثانى : بيان للأحياء .

(٢) الأيسار : المقامرون . المفرد يسر ، والجزر : النوق تذبح وتقسم أقساما للمقامرة عليها .

يقول اشترك الأحياء فى قتل آل البيت كاشتراك المقامرين فى نحر الجزر .

(٣) الخزر : جيل من الناس يسكن سواحل بحر الخزر (طبرستان) .

(٤) يقول : ان الأمويين معدورون فى قتل الشيعة من آل البيت لأن أمية ليسوا كالعباسيين

قرباة ، وهم بعد طلاب ملك يخافون عليه أصحابه .

(٥) طوس : عاصمة خراسان قديما ، بها قبر الرشيد وقبر على الرضا من آل على بن أبى طالب

الذى مات أيام المأمون . واربع : أقم . والوطر : الحاجة والبغية أى اذا كنت محتاجا الى أداء حق دينى فخرج على ذلك القبر (قبر على الرضا) .

(٦) الرجس : القبيح والقلدر .

(٧) هيهات : بعد وفاعله محذوف ، أى بعد جدا تأثر أحد بعد الموت بعمل الآخر . فكل امرئ

محاسب على ما عمل .

وقال في آل بيت الرسول :

- مدارس آياتٍ خلّت من تلاوةٍ ومنزلٍ وحىٍ مقفّرٍ العرصات^(١)
 لآلِ رسول الله بالخيف من منى وبالركن والتعريف والجرات^(٢)
 ديارٌ على والحسين وجعفرٍ وحمزة والسجاد ذى الثغفات^(٣)
 ديارٌ عفاها كلُّ جَوْنٍ مُبادِرٍ ولم تَعَفْ للأيام والسنوات^(٤)
 قفا نسأل الدار التي خفّ أهلها : متى عهدُها بالصوم والصلوات
 وأين الألى شطّت بهم غربة النوى أفانين في الآفاق مفترقات^(٥)
 وما الناس إلا حاسدٌ ومُكذّبٌ ومُضطغن ذو إحنة وترات^(٦)
 إذا ذكروا قتلى يندر وخيرٍ ويوم حنين أسبلوا العبرات^(٧)

(١) المقفّر : الخالى من الناس . والعرصات : ساحات الدار ، المفرد عرصة . يقول : خلّت ديار آل البيت وتشتت أهلها بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن ، ومهبط وحى الرسول عليه السلام

(٢) أسماء موضع بكّة لا تزال قائمة لأداء الشعائر الدينية .

(٣) على بن أبى طالب ، ومن بعده من نسله وشيعته الذين نالهم الحكم بالتشتيت والقتل . والثغنة : الركبة ومجتمع الساق والفخذ ، والسجاد ذو الثغفات : على بن الحسين ، لأن طول السجود أثر في ثغفاته .

(٤) عفاها : محايها . والجون المبادر : السحاب الماطر .

(٥) شطّت : بعدت وأفرطت . والنوى : البعد . والأفانين : الأنواع والأحوال ، جمع فنون ، مفردة فن . والمعنى أن النون ذهبت بهم مذاهب شتى .

(٦) مضطغن : حاقد والاحنة : العداوة والحقد . والتراث جمع ترة : الثار .

(٧) بدر وخير وحنين : أسماء مواقع كانت بين الرسول وأعدائه أبان الدعوة الى الاسلام . وأسبلوا العبرات : أذرفوا الدموع ، وذلك لمجدهم الضائع .

لَهُمْ كُلَّ حِينٍ نَوْمَةٌ بِمُضَاجِعٍ لَهُمْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفَاتٍ
 وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَهْلِهَا مُغَاوِرٌ يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ (١)
 مَلَا مَكَاتٍ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ أَحْبَبَائِي مَا عَاشُوا وَأَهْلِي ثِقَاتِي (٢)
 تَخَيَّرْتُهُمْ رُشْدًا لِأَمْرِي فَإِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرَةُ الْخَيْرَاتِ (٣)
 فَيَا رَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي
 بِنَفْسِي أَنْتُمْ مِنْ كُھُولٍ وَفِتْنَةٍ لَفَكَ عُنَاةٌ أَوْ لِحْمَلٍ دِيَاتٍ (٤)
 أَحَبُّ قِصِي الرَّحْمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ وَأَهْجُرُ فِيكُمْ أُسْرَتِي وَبَنَاتِي (٥)
 وَأَكْتُمُ حُبِّيكُمْ خَافَةَ كَاشِحٍ عَنِيدٌ ، لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرُ مُوَاتٍ (٦)
 لَقَدْ حُقَّتِ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي مِنْ ثَلَاثِينَ حَجَّةً أَرْوَحُ وَأَعْدُو دَائِمَ الْحِسَرَاتِ
 أَرَى فِيئْتَهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فِيئِهِمْ صَفَرَاتٍ (٧)

(١) المغاوير : جمع مغوار ، وهو كثير الغارات . والسروات : السادات ، المفرد : سرة .

(٢) ملاك : أى دُع لومك اياي ، فى أهل النبى اى فى مدحهم والتعصب لهم .

(٣) الخيرات : جمع خيرة وهى من الشئ أو القوم الأفضل .

(٤) ينفسى أنتم : أفديكم بنفسى . والعناة : جمع عان وهو الأسير . والدايات : جمع دية وهى ما يدفع من المال فى دم القتيل ، يريد أنهم يفكون الأسرى ويحملون الديات عن تلزمه .

(٥) الرحم بكسر الراء وسكون الحاء : القرابة كالرحم . والقصى : البعيد ، يقول : أحبكم وأن كانت صلتى بكم بعيدة فهو يمنى وهم مضرية .

(٦) الكاشح : من يضرر العداوة . المواتى : الموافق والمناصر .

(٧) الفئء : الخراج والغنيمة . وصفرات : خاليات ، يريد أن مال الخراج لا يصل اليهم مع أن لهم فيه حقا .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نَحَفَ جُسُومُهُمْ وَآلُ زِيَادٍ حُفِّلَ الْقَصَرَاتِ^(١)
 بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ^(٢)
 إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ أَكْفًا مِنَ الْأُوتَارِ مُنْقَبِضَاتِ^(٣)
 فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجَوْهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ لَقُطِعَ قَلْبِي إِثْرَهُمْ حَسَرَاتِ^(٤)
 (١١) عَلَى بْنِ الْجَهْمِ^(٥)

قال في الفراق :

يَا رَحِمَتَا لِلْغَرِيبِ بِالْبَلَدِ النَّالِ زِحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا^(٦)
 فَارَقَ أَحِبَّائِهِ فَمَا أُنتَفَعُوا بِالْعِيشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا أُتْنَفَعَا^(٧)

(١) حفل القصرات : ضخام الأعتاق ، كناية عن سمنهم .

(٢) الفلوات : الصحارى ، المفرد : فلاة .

(٣) وتروا : ظلموا . والوتر : الظلم والانتقام . والأوتار ، جمع وتر (كسبب) : معلق القوس ، أى لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم .

(٤) أى لولا ما أرجوه لهم من حسن الحال أو المثوبة لتمزق قلبى من الحسرة والحزن عليهم .

(٥) هو أبو الحسن على بن الجهم . ولد بخراسان ثم انتقل الى بغداد وأقام بها واختص بالخليفة المتوكل وكان من خاصته . وأحبه المتوكل ثم ظهر له شيء من سوء أخلاقه لأنه كان واشيا ناما فنفاه الى خراسان سنة ٢٣٢ هـ . وأسلمه الى عامله طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ليصلبه نهارا كاملا فصلبه . ولما أنزله قال قصيدة جيدة في ذلك . ولما اتهم في أخلاقه وكراهة آل على وجفاه الناس ذهب الى الشام فى قافلة فخرج عليها جماعة من الأعراب فتقاتلوا فأصابته طعنة مات بسببها سنة ٢٤٩ هـ .

وكان ابن الجهم شاعرا مشهورا جيد الشعر وصافا قوى الأسلوب رائع المعانى حسن التعليل .

(٦) يارحمتا : دعاء بالرحمة . والبلد النازح . البعيد النائي .

(٧) العيش : الحياة .

وقال :

نَطَقَ الْهَوَىٰ بِجَوَىٰ هُوَ الْحَقُّ وَمَلَكَتْنِي فَلَيْهِنِكَ الرَّقُّ^(١)
رِفْقًا رِقْلًا بِقَلْبِي يَا مُعَذِّبَهُ رِفْقًا وَلَيْسَ لَظَالِمٍ رِفْقُ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ لَا تُكَلِّمْنِي ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ^(٢)

وقال :

اعْلَمِي يَا أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّ أَنَّ شَوْقِي إِلَيْكَ قَاضٍ عَلَيَّ
إِنْ قَضَى اللَّهُ لِي رُجُوعًا إِلَيْكُمْ لَا ذَكْرَتُ الْفِرَاقَ مَا دُمْتُ حَيًّا
إِنْ حَرَّ الْفِرَاقِ أَنْحَلَ جِسْمِي وَكَوَى الْقَلْبَ مِنِّي الشَّوْقُ كَيًّا

وقال :

لَأَكْتُمَنَّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرْقٍ حَتَّى أَمُوتَ وَلَمْ يَمْلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يُقَالُ شَكَا مَنْ كَانَ يَعْشُقُهُ إِنَّ الشَّكَاءَ لِمَنْ تَهْوَى هِيَ الْيَاسُ^(٣)
وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ أَلْكَاسُ^(٤)

وقال :

النَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَى حَسَنِ وَالنَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَسْكُنْ إِلَى سَكَنِ^(٥)
كَأَنَّ نَفْسِي إِذَا مَا غَبْتَ غَائِبَةٌ حَتَّى إِذَا عُدْتَ لِي عَادَتْ إِلَى بَدَنِي^(٦)

(١) الجوى : شدة الحرقة من العشق . فليهنك : فليسرك . والرق : العبودية ، ومنه الرقيق وهو العبد . فالشاعر يهنيء معشوقه على أنه ملكه فأصبح هو له عبدا .

(٢) الأفق : ما يرى من جانب السماء ماسا الأرض .

(٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) الجلوس : جمع جالس . يقول : انه لا يابوح بمكنون سره وما صنع به الهوى لجلالته اذا شربوا الخمر بزعم أن الخمر تحل عقد اللسان ، وتستخرج دفين الامرار .

(٥) السكن بفتح السين والكاف البيت . والمراد أنها لا تستقر على حال .

(٦) البدن بفتح الباء والبدال : الجسم .

وكتب من حبسه إلى الخليفة المتوكل يستغيث به ويسأله العفو :

أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى (١)
وَيَعْذُوكَ بِالنَّعْمِ السَّابِقَا تِ وَلِيدًا وَذَا مِيعَةٍ أَمْرَدًا (٢)
وَتَجْرِي مَقَادِيرُهُ بِالذِي تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى (٣)
وَيُعْلِيكَ حَتَّى لَوْ أَنَّ السَّمَاءَ تَنَالَتْ لَجَاوَزَتْهَا مُصْعَدًا (٤)
فَشُكْرًا لِأَنْعَمِهِ إِنَّهُ إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَدًا (٥)
وَعَفْوِكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ قَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُقْعَدًا (٦)
إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى بِهِ إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقَدًا (٧)
عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً تَعُوذُ بِفَضْلِكَ أَنْ أُبْعَدًا (٨)

(١) أقاله : صفح عنه . والردى الهلاك .

(٢) غذا الرجل يغذوه بالطعام : أعطاه إياه . والمراد هنا يمدك . والسابقا ت : الواسعات .
وليدا : حديث عهد بالولادة . وميعة الشباب : أوله . والأمرد : الشاب الذي لم تنبت لحيته .
يريد أن الله تعالى أفاض عليه نعمه من يوم ولد إلى أن صار فتى .

(٣) المدى : الغاية . وفي هذا البيت يتم معنى البيت السابق فيقول : إن المقادير ما زالت
تجري بكل ما يحب حتى وصل إلى الغاية وهى الخلافة .

(٤) تنال بالبناء للمجهول يوصل إليها . ويقال أصد في الأرض فهو مصعد ذهب من أرض إلى
أعلى منها . والمراد هنا مجرد الارتفاع .

(٥) الأنعم : جمع نعمة بسكون العين . والشاعر في عجز البيت يلح إلى قول الله تعالى :
« لئن شكرتم لأزيدنكم » .

(٦) المقيم المقعد : الهم الذي يوجب القلق والاضطراب .

(٧) ادرع بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء : لبس ، والمراد بادراع الليل الدخول فيه .
وأفصى به أوصله وانتهى به . يريد أنه لم يذق النوم قط .

(٨) الحرمة : الذمة والحق . وعاذ به يعوذ عيادا ومعازا بفتح الميم : لجأ إليه .

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْ لَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا^(١)
 أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى^(٢)
 وَمُفْسِدًا أَمْرٍ تَلَافِيَتْهُ فَعَادَ فَأُصْلَحَ مَا أَفْسَدَا^(٣)
 فَلَا عُدْتَ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرْتُ حَتَّى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدًا^(٤)
 وَإِلَّا فَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى^(٥)

وقال يذم مغنياً :

كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ مُغْنِيٌّ ۖ قَوْمٌ كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشِّتَاءِ
 فَذَرَعْتُ الْبَسَاطَ مَنًى إِلَيْهِ قُلْتُ هَذَا الْمَقْدَارُ قَبْلَ الْغَنَاءِ^(٦)
 فَإِذَا مَا عَزَمْتَ أَنْ تَتَغَنَّى آذَنَ الْحَرْثُ كُلَّهُ بِانْقِضَاءِ^(٧)

(١) لم أعتد : لم أعتدده ، أى لم أقصده . واليد المعروف .

(٢) الطور : القدر والحد . وعدا طوره : تجاوز حده . والمولى : السيد ، وهو من الأضداد .

(٣) تلافى الأمر : تداركه .

(٤) الثرى : التراب . والملحد بضم الميم وفتح الحاء : الذى أدخل فى اللحد وهو القبر . يريد

أنه سيقوم على طاعته حتى الممات .

(٥) عاف الشيء يعافه : كرهه فتركه . يقول : انه بعد هذا العهد اذا خرج عن طاعة الخليفة

فقد عصى الله وخان الصديق وبرىء من الفضل .

(٦) ذرع البساط يذره من باب فتح يفتح : قاسه بالذراع . يريد بالشتاء نفس المغنى

لبرودة طبعه .

(٧) آذنه بالأمر : أعلمه . وآذنه بالحرب أنذره بها . يقول : انه اذا غنى فقد ولى الصيف

وحل الشتاء .

(١٢) الحسين بن الضحاك^(١)

قال :

أَيُّ دِيبَاجَةٍ حُسْنٍ هَيَّجَتْ لَوْعَةً حُزْنِي^(٢)
 إِذْ رَمَانِي الْقَمَرُ الزَّارِ هَرُّ عَنْ فِتْرَةٍ جَفْنِ^(٣)
 بِأَبَى شَمْسٍ نَهَارٍ بَرَزْتُ فِي يَوْمٍ دَجْنِ^(٤)
 قَرَّبْتَنِي بِالْمَنَى حَتَّى إِذَا مَا أَخْلَفْتَنِي^(٥)
 تَرَ كَتْنِي يَيْنَ مَيْعَا دِ وَخُلْفٍ وَتَجَنَّنِي^(٦)
 مَا أَرَى فِي مِنَ الصَّبِّ وَةٍ إِلَّا حُسْنٌ ظَنِّي^(٧)
 إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدِّ رِ لِمَا تَعْرِفُ مِنِّي^(٨)
 أَسْتَعِيدُّ اللَّهَ مِنْ إِيَّ رَاضٍ مَنْ أَعْرَضَ عَنِّي^(٩)

(١) نشأ بالبصرة خليعا ماجنا ظريفا ثم انتقل الى بغداد واتصل بالخلفاء اتصالا قويا ولا سيما الامين ، ثم عاد الى البصرة ايام المأمون لسخطه عليه ، ولكنه اتصل بالمعتصم وخلفائه بعده حتى توفي سنة ٢٥٠ هـ وقد استلزمت حياته الخاصة اعادة الخمریات والمديح في أسلوب موسيقى متين ينم عن خلق متين ووفاء جميل مع عبث وفكهة .

(٢) ديباجة الوجه : حسن بشرته . واللوعة : حرقة الوجد .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف ، وهى صفة تستحب في عيون الملاح . ويقال رمى عن القوس أى جعل القوس ترمى بالسهم . وقد شبه الجفن الفاتر بذلك . ويريد بالقمر الزاهر محبوبته .

(٤) يقال بأبى أنت : أى أفديك بأبى . والدجن بفتح الدال وسكون الجيم : الظلمة .

(٥) المنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون ، وهى هنا بمعنى ادخال الأمل على نفسه .

(٦) التجنى على المرء : اتهمه بما يفعله في دلال .

(٧) الصبوة : بفتح الصاد جهلة الشباب والنزوع الى اللهو . يريد أنه لم يبق من أسباب

المتاع في الشباب الا رجاء في حبيبته .

(٨) لما تعرف منى : أى من الفناء في هواها والثبات عليه كيفما صنعت .

(٩) يقال : استعاذ الله واستعاذ به وعاذ به : لجأ اليه ، واستجار به من المكروه .

ومن قوله :

وَصَفَّ الْبَدْرُ حُسْنَ وَجْهِكَ حَتَّى خَلْتُ أَنَّى ، وَمَا أَرَاكَ ، أَرَاكَ (١)
وَإِذَا مَا تَنَفَّسَ الرَّجْسُ الْفَدَضُ تَوَهَّيْتُهُ نَسِيمَ شَذَاكَ (٢)
خُدَعُ لِلْمُنَى تَعِلَّنِي فِيدِكَ بِإِشْرَاقٍ ذَا وَنَفْحَةٍ ذَاكَ (٣)
لَأُدُومَنَّ يَا حَبِيبِي عَلَى الْعَهْدِ بِهَذَا وَذَلِكَ إِذْ حَكِيَّاكَ (٤)

وقال :

إِذَا خُنْتُمُ بِالْغَيْبِ وَدَّى فَمَا لَكُمْ تُدِلُونِ إِدْلَالَ الْمُقِيمِ عَلَى الْعَهْدِ (٥)
وَلِي مِنْكَ بُدٌّ فَاجْتَنِبْنِي مُذَمَّمًا وَإِنْ خِلْتُ أَنَّى لَيْسَ لِي مِنْكَ مِنْ بُدٍّ (٦)

وقال وقد غضب عليه المعتصم وحجبه :

غَضَبُ الْإِمَامِ أَشَدُّ مِنْ أَدْبِهِ وَقَدْ اسْتَجَرْتُ وَعُدْتُ مِنْ غَضَبِهِ (٧)
أَصْبَحْتُ مُعْتَصِمًا بِمُعْتَصِمٍ أَتْنَى إِلَهُ عَلَيْهِ فِي كُتْبِهِ (٨)

(١) يقول : ان البدر ليشبهك حتى اننى اذ رأيته حسبت اننى رأيتك مع اننى لم أرك .

(٢) الغض : النضير . والشذا : قوة الرائحة .

(٣) الخدع بغيم الخاء وفتح الدال : جمع خدعة وهى ما يخدع به . والمنى : جمع منية بغيم الميم وسكون النون وهى ما يتمنى . وتعللنى : تصبرنى . وذا : اشارة الى البدر فى البيت الاول . وذاك اشارة الى النرجس فى البيت الثانى .

(٤) حكياءك : شابهاك .

(٥) بالغيب : من حيث لا أدرى . يقول : ان الثابت على العهد قد يكون له الحق فى أن يدل ويثبه . ولكن خائن العهد بغير سبب ليس له الحق فى ذلك .

(٦) لى منك بد : أى مخلص . والملمم : المدموم . يقول : اننى مستطيع أن اتخلص من حبك فاجتنبنى مدموماً وإن حسبت اننى لا أستطيع الخلاص من هواك .

(٧) أدبه : تأديبه . والامام : الخليفة . يقول : ان من غضب الخليفة أشد عليه ألماً من تأديبه ولو بالجلد أو السجن أو النفى أو غير هذا من ألوان التعذيب .

(٨) اعتصم من الشيء : امتنع والتجأ . يريد أنه لا يلجأ من غضب الخليفة الا اليه ولا يعوذ منه الا به . وفى هذا ما فيه من لطف الجناس . ولعل الشاعر يريد بثناء الله على الخليفة المعتصم فى كتبه المنزلة ثناءه على آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

لَا وَالَّذِي لَمْ يُبْقَ لِي سَبَبًا أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبَبِهِ^(١)
مَالِي شَفِيعٌ غَيْرُ حُرْمَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ أَشْفَى عَلَى عَطِيهِ^(٢)

(١٣) ابن الرومي^(٣)

قال يهجو خالدًا الذَّحْطَبِي :

أَخْلَدُ مَا أَغْرَاكَ بِي مِنْ عداوةٍ وَلَا تَرَةً لَوْلَا الشَّقَاءُ الْمُقَدَّرُ^(٤)
حَدَاكَ إِلَى الْحَيْنِ حَتَّى اسْتَمَرَّتَنِي عَلَيْكَ ، وَإِنِّي فِي عَرِينِي لَمُخْدِرُ^(٥)
فَدُونِكَ مَا حَاوَلْتَهُ فَبَلَغْتَهُ وَرَدَّتْ ، وَلَكِنْ لَا إِخَالُكَ تَصْدُرُ^(٦)
فَقَدْ كُنْتَ نَسِيًّا لَا تُمْسُّ وَلَا تُرَى زَمَنًا طَوِيلًا ، فَاصْبِرْ الْآنَ تُذَكَّرُ^(٧)

(١) يحلف بالله تعالى على أنه لا سبيل إلى النجاة من غضب الخليفة سوى عفو الخليفة نفسه .

(٢) الحرمة : ما وجب القيام به من الحقوق وأشفى : أشرف . ويقال أشفى المريض على الموت قاربه . والعطب : التلف . يحلف على أنه لا شفيع له عند الخليفة إلا حقه عليه بحكم الولاء له . وكذلك الشأن في كل من أشرف على مثل هذا الهلاك .

(٣) ولد أبو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد وعاش فيها متأثرا بمزاجه اليوناني وبالثقافة العربية كذلك فكان شعره صورة طريفة في الأدب العربي من حيث الابتكار والتيسيق المنطقي والاستقصاء في أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر ؛ وخاصة - الوصف والهجاء - مات سنة ٣٨٣ هـ .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) حداك : ساقك . والحين : المحنة أو الهلاك . العرين : مأوى الأسد . ومخدر : مقيم يشبه نفسه بالأسد .

(٦) لا إخالك : لا أظنك . تصدر : أى تخرج من هذا المأزق الذى وقعت فيه .

(٧) أى اصبر على مر الهجاء فسوف تذكر بهذا الشعر .

سَتَرِي رُؤَاةَ الشَّعْرِ فِيكَ قِصَائِدَا يُغَيِّبُهَا ، هَانُودِي : اللَّهُ أَكْبَرُ (١)
 سَدَاهَا مَخَازِيكَ الَّتِي قَدْ عَلِمَتْهَا وَلُحْمُهَا مِنِّي الْكَلَامُ الْمُحَبَّرُ (٢)
 وَإِنْ كُنْتُ لَا أَهْجُوكَ إِلَّا كَالْم يَرَى مَا يَرَاهُ النَّأْمُونُ فِيهِجْرُ (٣)
 وقال :

أَيَّامَ لَهْوَى هَلْ مَوَاضِيكَ عُودُ وَهَلْ لَشَبَابٍ ضَلَّ بِالْأَمْسِ مَنَشْدُ؟ (٤)
 أَقُولُ وَقَدْ شَابَتْ شَوَاتِي ، وَقُوسْتُ قَنَاتِي ، وَأَضَحْتُ كِدْنَتِي تَتَمَدَّدُ (٥)
 وَلَذَّتْ أَحَادِيثِي الرِّجَالِ ، وَأَعْرَضْتُ سُلَيْمِي وَرِيًّا عَنْ حَدِيثِي وَمَهْدُ (٦)
 وَبَدَّلَ إِعْجَابُ الْغَوَانِي تَعَجُّبًا ، فَهَنْ رَوَانٍ يَعْتَبِرُنَ وَصُدُّ (٧)
 لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُؤَلِّدُ (٨)
 وَإِلَّا فَمَا يُسْكِيهِ مِنْهَا ، وَإِنِّهَا لِأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَارِغْدُ؟ (٩)

(١) ما نودى الخ : أى دائما ما دام الناس .

(٢) السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : مانسج عرضا . الكلام المحبر : المحسن .

(٣) يقول : أنى لا أكاد أشعر بك فى الصحو الا كحالهم لا وجود لك . يهجر يهذى .

(٤) منشد : مكان أنشده فيه وأطلبه .

(٥) الشواة : جلدة الرأس ، والمراد شباب شعرها والقناة هنا صلبه . الكدنة : الشحم واللحم يريد أن سمته أضحت تهزل .

(٦) أى أصبحت أحاديثى تلذ الرجال بعد ما أعرض عنى الغوانى لشيبى وكان حديثى لذيذا لديهن .

(٧) الإعجاب بالشيء : السرور منه . والتعجب : الاستغراب والانكار . روان دائمات النظر بسكون الطرف . صدد معرضات . يقول : بعد ما كنت أسر الغانيات أصبحت منكرا لدينهن فهن ينظرن الى متعجبات .

(٨) يعلل بكاء الطفل ساعة الولادة بما تعلمه به الدنيا من مصائبها .

(٩) أرغد : أطيّب .

إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه بما سوف يلقى من أذاها يهدد^(١)
وللنفس أحوال تظلُّ كأنها تشهدُ فيها كلَّ غيب سيشهد^(٢)
وقال يرثي ابنه محمداً .

بُكاؤُ كما يشفى وإن كان لا يجدي فجوداً فقد أودى نظيرُ كما عندي^(٣)
ألا قاتلَ الله المنايا ورَميها من القومِ حباتِ القلوبِ على عمدٍ
توخَّى سَهامُ الموتِ أوْسطَ صِبيتي فله كيف اختارَ واسِطةَ العِقدِ^(٤)
على حينِ شِمتُ الخيرَ من لمحاتِهِ وآنستُ من أفعاله آيةَ الرُّشدِ^(٥)
طواه الردى عني فأضحى مزارُهُ بعيداً على قُربٍ قريباً على بُعدِ^(٦)
لقد أنجزتُ فيه المنايا وعيدها وأخلفتِ الآمالُ ما كان من وعدٍ
لقد قلَّ بينَ المهدِ واللحدِ لبثُهُ فلم ينسَ عهدُ المهدِ إذ ضمَّ في اللحدِ
ألحَّ عليه النَّزفُ حتى أحاله إلى صُفرةِ الجادى عن حُمرَةِ الوردِ^(٧)
وظلَّ على الأيدي تساقطُ نفسه ويدوى كما يدوى القضيْبُ من الرندِ^(٨)

(١) استهل الصبى : رفع صوته بالبكاء .

(٢) يورد هذا البيت تأكيداً لحسن تعليقه إذ يقول ان النفس قد تشعر بما سيحدث فذلك شأن الطفل . وتجذ ابن الرومى فى شعره كأنه يعرض أقيسة منطقية .

(٣) بكاؤكما : الخطاب لعينيه . ولا يجدى : لا ينفع . وأودى : هلك .

(٤) توخى : تحرى .

(٥) شمت الخير : توقعته .

(٦) يريد بالقرب قرب المكان . وبالبعد بعد اللقاء .

(٧) الجادى : الزعفران . وهو أصفر . يقول : ان النزيف أحاله من حمره الورد الى صفرة الزعفران .

(٨) الرند : الغار . وقد يسمى به الاس وهو نوع من الرياحان .

فَيَاكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا تَسَاقُطَ دُرٍّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عَقْدٍ
عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وَأَسْرَنِي أَنْ بَعْتُهُ بِشَوَابِهِ وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَلَا بَعْتُهُ طَوْعًا وَلَكِنْ غُصِبَتْهُ وَلَيْسَ عَلَى ظُلْمِ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعَدٍّ^(١)
وَإِنِّي وَإِنْ مُتَّعْتُ بِأَبْنَى بَعْدَهُ لَدَا كِرْهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي نَجْدٍ^(٢)
وَأَوَّلَا دُنَا مِثْلُ الْجَوَارِحِ أَيُّهَا فَقَدَنَاهُ كَانَ الْفَاجِعُ الْبَيْنَ الْفَقْدِ^(٣)
لِكُلِّ مَكَانٍ لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ مَكَانُ أَخِيهِ مِنْ جَزُوعٍ وَلَا جَلْدٍ
هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي
لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِي الْحَالُ بَعْدَهُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي
ثَكَلْتُ سُورِي كُلَّهُ إِذْ ثَكَلَتْهُ وَأَصْبَحْتُ فِي لَدَاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدٍ
أَرِيحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
سَأَسْقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ وَإِنْ كَانَتْ السُّقْيَا مِنَ الدَّمْعِ لَا تُجْدِي^(٤)
أَعْيَنِي جُودًا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى بَأَنْفَسٍ مِمَّا تُسْأَلَانِ مِنَ الرَّفْدِ^(٥)
كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَةٍ وَلَا شَمَةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدٍ
أَلَا لِمَا أَبْدَى عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى وَإِنِّي لَا أَخْفِي مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أَبْدَى
مُحَمَّدُ مَا شِئْتُ تَوْهَمَ سَلَوَةٍ لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ

(١) معد من أعدى بمعنى نصر وأغان . يقول ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المسنة .

(٣) الجوارح : أعضاء الانسان .

(٤) أسعدت العين بالبكاء : أعانت .

(٥) الرفد : العطاء والصلة .

أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كُلِيَهُمَا يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزَّندِ
 إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّةَا فَوَّادِي بَمَثَلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ
 فَمَا فِيهِمَا لِي سَلَوَةٌ ، بَلْ حَزَازَةٌ يَهِيْجَانِيهَا ، وَنِي وَأَشَقَى بِهَا وَحْدِي
 وَأَنْتَ وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارٍ وَحْشَةٍ فَإِنِّي بَدَارِ الْإِنْسِ فِي وَحْشَةِ الْفَرْدِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنِّي تَحِيَّةً وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّندِ

قال ياتب أبا القاسم التَّوَزِي الشُّطْرَنْجِي وَيَمْدَحُهُ :

يَا أَخِي أَيْنَ عَهْدُ ذَاكَ الْإِخَاءِ أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءٍ ؟
 كَشَفْتَ مِنْكَ حَاجَتِي هَنَوَاتٍ غُطِّيتُ بُرْهَةً بِحُسْنِ اللَّقَاءِ (١)
 تَرَكَتْنِي وَلَمْ أَكُنْ سَيِّئَ الظَّنِّ أَسِيءُ الظُّنُونِ بِالْأَصْدِقَاءِ
 يَا أَخِي هَبْكَ لَمْ تَهَبْ لِي مِنْ سَعَةٍ يِيكَ حَظًّا كَسَائِرِ الْبُخْلَاءِ
 أَمَلًا كَانَ مِنْكَ رَدٌّ جَمِيلٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ رَاحَةٌ مِنْ عَنَاءِ
 أَجْزَاءِ الصَّدِيقِ إِيطَاؤُهُ الْعُشَّةَ وَهَ حَتَّى يَظَلَّ كَالْعَشْوَاءِ (٢)
 تَارِكًا سَعْيَهُ أَتَّكَلًّا عَلَى سَعَةٍ يِيكَ دُونَ الصَّحَابِ وَالشُّفَعَاءِ
 كَالَّذِي غَرَّهُ السَّرَابُ بِمَا خِيَلُ لَ حَتَّى هَرَّاقَ مَا فِي السَّقَاءِ
 يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو هُ لِدَهْرِي قَطَعْتَ مَتْنِ الرَّجَاءِ
 لَا أَجَازِيكَ عَنْ غُرُورِكَ إِيَّايَا نِي غُرُورًا وَقَيْتَ سُوءَ الْجَزَاءِ

(١) الهنوات : جمع هنة ، وهي من الشيء الصغير . يقول ان طلبى منك أشياء صغيرة كشف لى
 عن حقيقتك التى كنت تغطيها بحسن لقاك اياى .

(٢) العشوة : النار . وأوطاه العشوة : كناية عن انه أضله ولم يهده . والعشواء : الناقة
 لا تبصر أمامها .

بَلْ أَرَىٰ صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَاذَا
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَنْتَ مِنَ الْأَمَّةِ
بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْأَخْلَاءِ سَمَحًا
فَعَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْنِ
لَيْسَ يَرْضَى الصَّدِيقُ مِنْكَ بِيَشْرٍ
كَ لُبْخُلٍ عَلَيْكَ بِالْإِعْضَاءِ
غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَقْدَاءِ
رِ يَحُلُّ الْفَتَى ذُرَا الْعُلَيَاءِ
وَأَبَى مَعَدَا ذَاكَ بَذَلَ الْعَطَاءِ
نِ وَيَأْبَى الْإِثْمَارَ كُلَّ الْإِبَاءِ (١)
تَحْتَ مَخْبُورِهِ دَفِينُ جَفَاءِ

رُبَّمَا هَالَنِي وَحَيَّرَ عَقْلِي
وَرِضَاهُمْ هُنَاكَ بِالنِّصْفِ وَالرُّبِّ
وَاحْتِرَاسُ الدُّهَاءِ مِنْكَ وَإِعْصَا
عَنْ تَدَايِيرِكَ اللَّطَافِ اللَّوَاتِي
بَلْ مِنْ السَّرِّ فِي ضَمِيرٍ مُحِبِّ
فَإِخَالُ الَّذِي تُدِيرُ عَلَى أَقْوَى
وَأُظُنُّ افْتِرَاسَكَ الْقِرْنَ وَلَقِرْ
وَأَرَى أَنْ رُقْعَةَ الْأَدَمِ الْأَخْ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبُ بِالشُّطِّ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِي الْقَوْمِ أَخْفَى
أَخْذُكَ اللَّاعِبِينَ بِالْبِئْسَاءِ (٢)
عِ وَأَذْنِي رِضَاكَ فِي الْإِرْبَاءِ
فُكَّ بِالْأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ
هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسَرِّ الْهَبَاءِ
أَدَبَتْهُ عُقُوبَةُ الْإِفْشَاءِ
مِ حُرُوبًا دَوَائِرَ الْأَرْحَاءِ
نِ مَنَآيَا وَشِيكَةَ الْإِرْدَاءِ
مَرِ أَرْضًا عَلَلَّتْهَا بِدِمَاءِ
رَنْجٍ لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللَّعْبَاءِ
مِنْ دَرِيْبِ الْغِنَاءِ فِي الْأَعْضَاءِ

(١) الخلاف : شجر من الصفصاف يحسن مراهى ولا يثر شئنا يؤكل .

(٢) انتقل الى وصف أبي القاسم في اعادة لعب الشطرنج وقد قيل انه كان يجيد اللعب ويفلب
ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر الى تحريك القطع كما سيذكره في القصيدة .

أَوْ مَسِيرِ الْقَضَاءِ فِي ظِلِّمِ الْغَيْبِ ب إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِالتَّوَّاءِ (١)
تَقْتُلُ الشَّاهَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الرُّقْدِ مَ طِبًّا بِالْقِتْلَةِ النَّكْرَاءِ (٢)
غَيْرَ مَا نَاطِرٍ بِعَيْنَيْكَ فِي الدَّسِّ ت وَلَا مُقْبِلٍ عَلَى الرُّسْلَاءِ (٣)
بَلْ تَرَاهَا وَأَنْتَ مُسْتَدِيرُ الظُّهْرِ ر بِقَلْبٍ مُصَوَّرٍ مِنْ ذَكَاءِ
مَا رَأَيْنَا سِوَاكَ قِرْنًا يُولَى وَهُوَ يُرْدِي فَوَارِسَ الْهَيْجَاءِ
وَالْفُؤَادُ الذَّكِيُّ لِلْمُطْرِقِ الْمُمْرِ رِضٍ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
تَقْرَأُ الدَّسْتَ ظَاهِرًا فَتُودِي هِ جَمِيعًا كَأَحْفَظِ الْقُرَاءِ
وَتَلْقَى الصَّوَابَ فِيهَا سِوَى ذَا كَ إِذَا جَارَ جَائِرُ الْآرَاءِ (٤)
فَتَرَى أَنْ بُلْغَةً مَعَهَا الرَّاءُ حَةُ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةٍ فِي شَقَاءِ
وَقَدِيمًا رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَصْحُوبٍ بٍ مِنْ الْمُتَرَفِّينَ وَالْأُمَرَاءِ
وَرَفَضْتَ التَّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرَّبِّ حِ وَمَا فِي مِرَاسِهَا مِنْ جَدَاءِ (٥)
لَمْ تَبِعْ طِيبَ عَيْشَةٍ بِنُضُولِ دُونَهُ خُبْتُ عَيْشَةٍ كَدْرَاءِ
تَعَبُ النَّفْسُ وَالْمَهَانَةُ وَالذَّلُّ هُ وَالْخَوْفُ وَاطِّرَاحُ الْحَيَاءِ (٦)

(١) التواء : الهلاك .

(٢) طبيا : علما .

(٣) الدست : رقعة الشطرنج . والرسلاء : جمع رسيلا ، وهو الموافق لك في النضال .

(٤) انتقل من الكلام على مهارته في لعب الشطرنج الى شرح صفاته العامة فهو يريد بها سوى

ذلك ما سوى اللعب .

(٥) مافي مراسها من جداء : أي مافي مزاولتها من غنى وثروة .

(٦) تعب النفس : بدل من خبت عيشة في البيت قبله .

بل أطعت النهى ففرت بحظٍّ قصرت عنه فطنة الأغنياء
 راحة النفس والصيانة والعفء والأمن في حياء رواء^(١)
 عالماً بالذي أخذت وأعطيت حكماً في الأخذ والإعطاء
 جهيد العقل لا يقوتك شيء مثله فات أعين البصراء
 قائلاً للمشير بالكدح مهلاً ما اجتهد اللبيب بعد اكتفاء
 قرب الحرص مركباً لشقى إنما الحرص مركب الأتقياء
 مرحباً بالكفاف يأتي هنيئاً وعلى المتعبات ذيل العفاء
 ضلة لا مرمى يثمر في الجم لعيش مثمر للفناء
 دائباً يكثر القناطير للوا رث والعمر دائب في انقضاء
 حبذا كثرة القناطير لو كا نت لرب الكنوز كنز بقاء
 يحسب الحظ كله في يديه وهو منه على مدى الجوزاء
 ليس في آجل النعم له ح وظ وما ذاق عاجل النعماء
 ذلك الخائب الشقى وإن كا ن يرى أنه من السعداء
 حسب ذى إربة ورأى جلى نظرت عينه بلا غلواء^(٢)
 صحة الدين والجوارح والعرو ض وإحراز مسكة الحوباء^(٣)
 تلك خير لعارف الخير مما يجمع الناس من فضول الثراء

(١) راحة النفس : بدل من حظ في البيت قبله . وحياء رواء أى جميل .

(٢) الإربة : العقل .

(٣) الحوباء : النفس ومسكة الحوباء ما يحفظ حياتها : وصحة الدين مبتدأ خبره حسب

في البيت قبله .

لَيْسَ لِلْمُكْثِرِ الْمُنْقَصَ عَيْشٌ إِنَّمَا عَيْشُ عَائِشٍ بِالْهَنَاءِ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةٍ عَوْجَاءِ
أَتَرَى كُلَّ مَا ذَكَرْتُ جَلِيًّا وَسِوَاهُ مِنْ غَامِضِ الْأَشْيَاءِ
ثُمَّ يَخْفَى عَلَيْكَ أَنِّي صَدِيقٌ رُبَّمَا عَزَّ مِثْلُهُ بِالْمَلَأِ
لَا لَعَمْرُ الْإِلَهِ لَكِنْ تَعَاشِي تَ بَصِيرًا فِي لَيْلَةٍ قَمَرَاءِ (١)
ظَالِمًا لِي مَعَ الزَّمَانِ الَّذِي ابْتَدَأَ زَرَ حُقُوقَ الْكِرَامِ لِلْوُمَاءِ
ثَقُلْتُ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَأَضَحْتُ وَهِيَ عِيبٌ مِنْ فَادِحِ الْأَعْبَاءِ
فَتَوَانَيْتَ وَالتَّوَانِي وَطِيءَ الظِّدَّ نَهْرٌ لَكِنَّهُ زَنِيمُ الْوِطَاءِ (٢)
كُنْتُ مِمَّنْ يَرَى التَّشْيِيعَ لَكِنْ مِلْتُ فِي حَاجَتِي إِلَى الْأَرْجَاءِ (٣)
ظُلِمْتُ حَاجَتِي فَلَاذَتْ بِحَقْوِي لَكَ فَأَسْلَمْتُهَا لِكَفِّ الْقَضَاءِ (٤)
وَقَضَاءِ الْإِلَهِ أَحْوَطُ لِلنَّارِ سِ مِنْ الْأَمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ
غَيْرَ أَنْ الْيَقِينَ أَضْحَى مَرِيضًا مَرَضًا بَاطِنًا شَدِيدَ الْخَفَاءِ
مَا وَجَدْتُ أَمْرًا يَرَى أَنَّهُ يُؤْ قِنُ إِلَّا وَفِيهِ شَوْبُ امْتِرَاءِ
لَوْ بَصَحُ الْيَقِينُ مَا رَغِبَ الرَّأْيُ غِبُّ إِلَّا إِلَى مَلِكِ السَّمَاءِ
وَعَسِيرٌ مُبْلُغٌ هَاتِيكَ جَدًّا تِلْكَ عُليَا مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ

(١) ادعيت عدم الابصار .

(٢) الزنيم : الدعى واللثيم . وزنيم الوطاء : لثيم الموطىء .

(٣) التشيع : مذهب ديني يرى تفضيل على على سائر الصحابة والارجاء مذهب آخر يرى الوقوف على الحياد بالنسبة للفرق المتقاتلة لا يحكمون على احد بشيء في الدنيا بل يرجئون الحكم الى يوم القيامة . فالشاعر يورى ويقول كنت متشيعا لى ثم طلبت منك مطلباً وقفت على الحياد وارجات الحكم على مطلبى .

(٤) الحقوا : الكشح . ولاذت بحقوقه : التجأت اليه .

وعزیزٌ علیک عَضُّکَ بِاللَّوِ م وَلَکِنَّ أَصَبْتَ صَدْرِي بِدَاءِ
أَنْتَ أَدْوَيْتَ صَدْرَ خَلِّكَ فَأَعْذِرْ هُ عَلَى النَّفْثِ إِنَّهُ كَالدَّوَاءِ
قَدْ قَضَيْنَا لُبَانَةً مِنْ عِتَابِ وَجَمِيلٌ تَعَابُ الْأَكْفَاءِ
وَالَّذِي أَطْلَقَ اللِّسَانَ فَمَاتَبَ تَكَ عَدِيكَ أَوَّلَ الْفُهْمَاءِ
وَأَنَا الْمَرْءُ لَا أَسُومُ عَتَابِي صَاحِبًا غَيْرَ صَفْوَةِ الْأَصْفِيَاءِ
ذَا الْحَجَا مِنْهُمْ وَذَا الْحِلْمِ وَالْعَدِ م وَجَهْلٌ مَلَامَةٌ الْجُهْلَاءِ
إِنَّ مَنْ لَمْ جَاهِلًا لَطِيبٌ يَتَعَاطَى عِلَاجَ دَاءِ عِيَاءِ
وقال يصف العنب الرازقي (١) :

وَرَازِقِي مُخْطَفِ الْخُصُورِ كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبَلُورِ (٢)
قَدْ ضُمْنَتْ مِسْكًَا إِلَى الشُّطُورِ وَفِي الْأَعَالِي مَاءٌ وَرِدٍ جُورِي (٣)
لَمْ يُبْقَ مِنْهُ وَهَجُ الْخُرُورِ إِلَّا ضِيَاءٌ فِي ظُرُوفِ نُورِ (٤)
لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الدُّهُورِ قَرَّطَ آذَانَ الْحَسَنِ الْخُورِ
لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ وَنَكْمَةُ الْمَسْكِ مَعَ الْكَافُورِ
بَاكَرَتُهُ وَالطَّيْرُ فِي الْوُكُورِ وَعَذَرُ اللَّذَاتِ فِي الْبُكُورِ (٥)
بِفِتْيَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ أُمْلَأَ لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُدُورِ

(١) العنب الرازقي : نوع من العنب أبيض طويل الحب .

(٢) مخطف الخصر : هزيله .

(٣) الجوري : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد ويعمل فيها ماؤه .

(٤) الخرور : حر الشمس .

(٥) أصل عذرة الفرس ناصيته وأراد بعذر اللذات بوادرها وأول ما يظهر منها .

حَتَّى أَتَيْنَا خِيَمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ أَرْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ^(١)
 ثُمَّ جَلَسْنَا بِمَجْلِسِ الْمَحْبُورِ عَلَى حِفَافِي جَدُولٍ مَسْجُورِ^(٢)
 أَيُّضَ مِثْلِ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ أَوْ مِثْلَ مَتْنِ الْمَنْصُلِ الْمَشْهُورِ^(٣)
 يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ بَيْنَ سِمَاطِي شَجَرٍ مَسْطُورِ^(٤)
 فَنَيْلَتِ الْأَوْطَارُ مِنْ سُرُورِ تَعِلَّةٍ عَنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
 وَمُتَعَةً مِنْ مُتَعِ الْغُرُورِ

(١٤) الْبُحْتَرَى^(٥)

قال يصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر من قصيدة :

بِالْبِرِّ صُمْتُ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ وَبِسَنَّةِ اللَّهِ الرُّضِيَّةِ تُفْطِرُ
 فَانْعَمَ يَوْمَ الْفِطْرِ عِيداً إِنَّهُ يَوْمٌ أَغْرَى مِنْ الزَّمَانِ مُشَهَّرُ
 أَظْهَرَ عِزِّ الْمَلِكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ لَجِبَ! يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ^(٦)

(١) الناطور : خارس العنبر . والذرور : مصدر ذرت الشمس طلعت .

(٢) حفافا النهر أو الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء .

(٣) المهرق : الصحيفة : والمنصل : السيف .

(٤) السماطان : مثنى سماط وهو الشيء المصطف . يقال علل نفسه بتعلة أى شغل نفسه بشيء .

(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ . وتنقل في قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربين في شواطئ الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان محترما حتى قتل ، وقد مات سنة ٢٨٤ هـ . ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال واجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح .

(٦) الجحفل : الجيش الكثير . لجب : ذو لجب أى صياح وجلبة .

خَلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرَ فِيهِ وَقَدْ غَدَتْ عُدَدًا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ
 فَالْحِيلَ تَصَهَّلُ ، وَالْفَوَارِسَ تَدْعِي ، وَالْبَيْضَ تَلْمَعُ ، وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ ^(١)
 وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا ، وَالْجَوَ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ ^(٢)
 وَالشَّمْسُ مَاتِعَةٌ تَوَقَّدُ بِالضُّحَا طَوْرًا ، وَيُطْفِئُهَا الْمَجَاجُ الْأَكْدَرُ ^(٣)
 حَتَّى طَلَعَتْ بِضَوْءِ وَجْهِكَ فَانْجَلَتْ تِلْكَ الدُّجَى وَأَنْجَابَ ذَاكَ الْعَثِيرِ ^(٤)
 وَافْتَنَّا فِيكَ النَّاظِرُونَ : فَأَصْبَحَ يُؤَمِّي إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
 يَجِدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا مِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
 ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيِّ ، فَهَلَّلُوا لَمَا طَلَعَتْ مِنَ الصَّفُوفِ ، وَكَبَّرُوا
 حَتَّى أُنْتَهَيْتَ إِلَى الْمَصَلَّى لَا بَسَا نُورَ الْهَدْيِ ، يَبْدُو عَلَيْكَ وَيَظْهَرُ
 وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعَةً مُتَوَاضِعَ لِلَّهِ لَا يُزْهَى ، وَلَا يَتَكَبَّرُ
 فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنِيرُ
 وَمِنْ قَوْلِهِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُوقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا مِنَ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
 وَقَدْ نَبَّهَ النِّيْرُورُ فِي غَسَقِ الدُّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا ^(٥)

(١) البَيْضُ : السِّيفُ . وَالْأَسِنَّةُ : جَمْعُ سِنَانٍ : نَصْلُ الرَّمْحِ . تَزْهَرُ : تَضِيءُ وَتَلْمَعُ .

(٢) تَمِيدُ : تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ . وَالْجَوُ مُعْتَكِرُ أَيٍّ مِنْ ضَخَامَةِ الْجَيْشِ أَوْ مِنْ غِبَارِهِ .

(٣) مَاتِعَةٌ : مَرْتَفَعَةٌ . وَالْمَجَاجُ : الْغُبَارُ . وَالْأَكْدَرُ : الشَّدِيدُ الْكَدْرَةِ وَهُوَ ضِدُّ الصَّفَاءِ .

(٤) الدُّجَى : جَمْعُ دُجِيَّةٍ : الظُّلْمَةُ . وَيَقْصِدُ ظُلْمَةَ الْعَثِيرِ الَّذِي هُوَ الْغُبَارُ .

(٥) النِّيْرُوزُ عِنْدَ الْفَرَسِ أَوَّلُ أَيَّامِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ . غَسَقُ الدُّجَى : ظُلْمَةُ اللَّيْلِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ
 مَقْدَمَ الرَّبِيعِ بِصُحْبِهِ تَفْتَحُ الْوَرْدَ .

يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَبْتُ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مُكْتَمًا^(١)
 فَمِنْ شَجَرِ رَدِّ الرِّبْعِ لِبَاسُهُ عَلَيْهِ كَمَا نَشَرْتَ وَشْيًا مُنَمَّمًا^(٢)
 أَحَلَّ فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً وَكَانَ قَدَى لِلْعَيْنِ إِذْ كَانَ مُحْرِمًا^(٣)
 وَرَقًا نَسِيمُ الرِّيحِ حَتَّى حَسْبَتْهُ يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحِبَّةِ نَعْمًا

وقال يمدح محمد بن علي بن عيسى القمي :

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ صَبَابَةٍ أَوْ مُطِيلًا^(٤)
 قِفْ مَشُوقًا ، أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَازِرًا ، أَوْ عَدُولًا^(٥)
 إِنَّ بَيْنَ الْكَثِيبِ فَالْجَزْعِ فَالْأَمِّ رَامٍ ، رَبْعًا لِيَالٍ هِنْدٍ مُحِيلًا^(٦)
 أَبْلَتْ الرِّيحُ وَالرَّوَايحُ وَالْأَيَّامُ مِنْهُ مَعَالِمًا وَطُلُولًا^(٧)
 وَخِلَافُ الْجَمِيلِ قَوْلُكَ لِلذَّاكِرِ عَهْدَ الْأَحْبَابِ : صَبْرًا جَمِيلًا

(١) يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوما فأذيع .

(٢) الوشى : نقش الثوب . منمم : محسن . يشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .

(٣) أحل هنا بمعنى لبس الثياب ، والاحرام التجرد من الخيط . والقذى : ما يقع في العين فيؤلمها ويسيل دمعها من تبين ونحوه .

(٤) وادى الأراك : واد قرب مكة وقيل موضع بعرفة . واحبس : قف راحلتك أو نفسك مثلاً . والصبابة : الشوق والولع الشديد ، يطلب إلى صاحبه الوقوف بديار الأحبة وفاء لأهلها الزاجلين عنها .

(٥) مشوقاً : مولعاً يقال شاقه الحب إذا هاجه . ومسعداً : معينا ، أى على حرارة الشوق ، ومعينا أى على الحزن . يقول له قف معى مهما يكن شأنك اذ لا مفر لى من ذلك .

(٦) الكثيب : قرية بالبحرين لبنى محارب . والجزع : موضع بنجد وآخر بأرض طيء وواد باليمامة . والآرام : دارة . والربع المحيل : الدار الخالية .

(٧) الروائح : جمع رائحة وهى من السحابة التى تجيء عشياً أو الماطرة . والمعالم : ما يستدل بها على الطريق أو هى المعاهد . المفرد : معلم . والطلول : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار .

لا تَلْمُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمِّ ع ، وَلُؤْمُ لَوْمِ الْخَلِيلِ الْخَلِيلَا
 عَلَى مَاءِ الدُّمُوعِ يُخَمِّدُ نَارًا مِنْ جَوَى الْحُبِّ أَوْ يُبِيلُ غَلِيلًا^(١)
 وَبَكَاءِ الدِّيَارِ مِمَّا يَرُدُّ الشَّوْقَ ذِكْرًا وَالْحُبَّ نِضْوًا ضَّئِيلًا^(٢)
 لَمْ يَكُنْ يَوْمُنَا طَوِيلًا بِنَعْمَا نَ ، وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا
 قَدْ وَجَدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ غَايَةَ الْمَجْدِ قَائِلًا وَفَعُولًا
 وَلَقَيْنَا شَمَائِلًا تَنْثُرُ الْمِسْكَ كَمَا لَقَيْنَا الشَّمُولَا^(٣)
 وَرَأَيْنَا سَيِّمًا نَدَى وَسَمَاحٍ لَمْ نُرِدْ بَعْدَهَا عَلَيْهِ دَلِيلًا
 أَشْعَرِيٍّ ، كِفَاهُ عِيسَى بْنِ مُوسَى شَرَفًا بَاتَ لِلسَّمَاءِ رَسِيلًا^(٤)
 خَلَفَ الْبُهِرَ لِلجَيَادِ ، وَأَلْقَى فِي مَدَى الْمَجْدِ ، غُرَّةً ، وَحُجُولًا^(٥)
 وَبَنُو الْأَشْعَرِ الَّذِي مَلَأَ الْأَرْضَ ضَ رِجَالًا ، وَنَجْدَةً ، وَخُيُولًا
 شَوْكَةً مَا أَصَابَتْ الدَّهْرَ إِلَّا تَرَكْتُ فِي الْفِرَارِ مِنْهُ فُلُولًا^(٦)

(١) الفليل : شدة العطش ، والمراد هنا حرقه الشوق .

(٢) يرد الشوق ذكرا : يجعله ذكريات للماضي فقط . والنضو : التليل . المسب : يريد أن بكاء الديار يشفى النفس من آلام الحب ويخفف ثوبته .

(٣) الشمول : الحمر أو البرودة منها والمراد الأخلاق الحميدة . والمسك السحيق : المسحوق ، يشبه به آثار الخلق الطيب .

(٤) أشعري : منسوب إلى الأشعر جده . والسماك : اسم لكل من كوكبين نيرين : أحدهما السماك الأعزل ، والغادي الراح . ورسيل : قرينا ، أى كفاه شرف آبائه السامي .

(٥) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . والجياذ : الخيل . والمدى : الغاية والمنتهى ، والغرة : بياض في جبهة الفرس ، ومن كل شيء أوله ومعظمه . وغرة القوم : سيدهم . والحجول : جمع حجل وهو البيض في رجل الفرس ، يريد أنه لا يكل ولكنه وصل إلى غاية المجد بكريم أفعاله التي تشبه غرة الخيل السابقة وحجولها .

(٦) الشوكة هنا : العزة والسلطان . وفرار السيف : حده . والفلول : جمع فل وهو الثلثة في حد السيف . يقول : ان صولتهم قوبة حتى على صروف الدهر .

بَلَغَ الْمَكْرَمَاتِ طُولًا وَعَرَضًا وَتَنَاهَتْ إِلَيْهِ عَرْضًا وَطُولًا^(١)
 رَادَّةُ الْحَمْدِ أَوَّلًا وَأَخِيرًا وَأَوَّلُو الْمَجْدِ وَاحِدًا وَقَبِيلًا^(٢)
 وَكَأَنَّ الْأَصُولَ كَانَتْ فُرُوعًا وَكَأَنَّ الْفُرُوعَ كَانَتْ أَصُولًا^(٣)
 وَنُجُومٌ إِذَا تَوَقَّدْنَ فِي الْخَطِّ ب تَوَهَّتَ فِي النُّجُومِ أَفُولًا^(٤)
 وَمُحِبُّونَ لِلنَّبِيِّ وَأَهْلِ الْبَيْتِ حُبًّا يُرْضُونَ فِيهِ الرِّسُولَ
 سَلَبُوا الْبَيْضَ بَزَّهَا وَأَقَامُوا بِطُبَاهَا التَّأْوِيلَ وَالتَّنْزِيلَ^(٥)
 تَحَسَّبُ الشَّيْبَ فِي الْوَقِيعَةِ شُبًّا نَا إِذَا صَافَحُوا الصَّفِيحَ الصَّقِيلَا
 فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيزًا وَإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّوا ذَلِيلًا^(٦)
 وَإِذَا عَزُّ مَعْشَرٍ زَالَ يَوْمًا مَنَعَ السَّيْفُ عِزَّهُمْ أَنْ يَزُولَا
 يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، لَقَدْ رَاحَ إِفْضَا لَكَ خَطْبًا عَلَى الْكِرَامِ جَلِيلًا^(٧)
 رَدَّ مَعْرُوفَكَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا وَأَرَى جُودَكَ الْجَوَادَ بَخِيلًا

(١) تناهت إليه : بلغت غايتها عنده .

(٢) رادة الحمد : سابقون إليه .

(٣) يقول : انهم متساوون في المجد لا تكاد تفرق بين طبقاتهم فيه ، فكان الأبناء هم بانوه وكان البانين من الآباء هم الأبناء .

(٤) نجوم الاولى : رجال كالنجوم سماوا ونفاذا ونباهاة . ونجوم الثانية : نجوم السماء . يقول : يظهرون في الشدائد فيخفون من عداهم حتى كان نجوم السماء غائبة أيضا .

(٥) البيض : السيوف . والبز : الثياب من الكتان أو القطن ، والمراد أغمادها أو بهاؤها ومضاؤها . والطبي : جمع ظبة : حد السيف أو السنان . والتأويل : التفسير (يريد تفسير مسائل الدين) . والتنزيل : القرآن الكريم ، والمراد انهم خدموا الدين بسيوفهم .

(٦) أي هم في الحروب ليوث وفي السلم يحمون الدليل ويكرمونه .

(٧) يقول : ان كرمك يضر الكرام لأن كرثة عطايالك العظيمة تزدى بما يعطون فلا يظهر لهم فضل .

لَا أَظُنُّ الْبُخَالَ يُؤْفُونَكَ الشُّكَّ رَ وَلَوْ كَانَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
 جَعَلْتَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ دَفَعْتُ مِنْكَ أَفَادَتُ حَمْدًا وَأَعْطَيْتُ جَزِيلًا^(١)
 كَمْ لَجَدُواكَ مِنْ مَقَامٍ ، لَعَمْرِي كَانَ مِنْ رَيْقِ السَّحَابِ بَدِيلًا !^(٢)
 عِنْدَ وَجْهِ طَلْقٍ إِذَا مَا تَبَدَّى لِحُزُونِ الْخُطُوبِ عَادَتْ سُهُولًا
 يَيْسَ الْحَاسِدُونَ مِنْكَ وَكَانُوا أَسْفًا يَنْظُرُونَ نَحْوَكَ حَوْلًا^(٣)
 وَرَأَوْا أَنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا تَدَّكَ الْمَسَاعِي بِالْفِكْرِ ذَابُوا نُحُولًا^(٤)
 فَتَنُوا عَنْكَ أَعْيُنًا وَقُلُوبًا لَمْ يَرُدُّوا إِلَّا حَسِيرًا كَلِيلًا^(٥)
 وَكَفَانِي عَلَى الَّذِي يُوْجَدُ الْفَضْلُ لِي لَدَيْهِ بِالْحَاسِدِينَ دَلِيلًا^(٦)

(١) أى أن عطايك جعلت البخال كغيرهم ممن كانوا يوصفون بالكرم ، لأنها نزلت بهؤلاء انى درجة البخلاء .

(٢) الجدوى : العطاء . وريق السحاب : افضله وأوله ، أى أن عطايك لها أثر في النعمة والخير كآثر السحاب الماطر .

(٣) حولا : ذوى عيون حواء . والحول : ميل إحدى الحدقتين الى الأنف والأخرى الى الصداع ، وهذه الحال تدل على الحسرة والأسف .

(٤) يقول : رأوا أنهم لا يستطيعون الوصول الى محامدك حتى بمجرد تفكيرهم فيها ولو حاولوا ذلك ذابت جسامهم ضعفا دون الغاية .

(٥) وكانت نتيجة ذلك أن انصرفوا عنك لا يمكنهم النظر الى محامدك السامية ولا التفكير في ادراكها لان أبصارهم ضعيفة ، وقلوبهم معيبة .

(٦) أى يكفيني الحاسدون في الدلالة على صاحب الفضل أين هو ، لكثرة حديثهم عنه وذلك قول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وقال يمدح المتوكل :

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ جِدًّا وَأَعَادَ الصَّدُودَ مِنْهُ وَأَبْدَى^(١)
 ذُو فُنُونٍ يُرِيكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خُلُقًا مِنْ جَفَائِهِ مُسْتَجِدًّا
 يَتَأَبَّى مِنْعًا ، وَيُنْعِمُ إِسْعًا فَأَ ، وَيَدْنُو وَصَلًا ، وَيَبْعُدُ صَدًّا^(٢)
 أَغْتَدَى رَاضِيًا وَقَدْ بَتَّ غَضْبَا نَ ، وَأُمْسَى مَوْلَى ، وَأَصْبَحُ عَبْدًا^(٣)
 وَبَنَفْسِي أَفْدَى عَلَى كُلِّ حَالٍ شَادِنًا ، لَوْ يُمَسُّ بِالْحُسْنِ أَعْدَى^(٤)
 مَرَّ بِي خَالِيًا فَاطْمَعَ فِي الْوَصِّ لَ وَعَرَّضْتُ بِالسَّلَامِ فَرْدًا
 وَنَنَى خَدَّهُ إِلَى عَلَى خَوِّ فِي فَقَبَّلْتُ جُلْنَارًا وَوَرْدًا^(٥)
 سَيِّدِي أَنْتَ ، مَا تَعَرَّضْتُ ظُلْمًا فَأَجَازَى بِهِ ، وَلَا خُنْتُ عَهْدًا
 رِقَّ لِي مِنْ مَدَامِعِ لَيْسَ تَرْقَا وَأُرِثَ لِي مِنْ جَوَانِحِ لَيْسَ تَهْدَا
 أَتَرَانِي مُسْتَبْدِلًا بِكَ مَا عِشْ تٌ بَدِيلًا ، أَوْ وَاجِدًا مِنْكَ نِدًّا^(٦)
 حَاشَ لِلَّهِ ؛ أَنْتَ أَقْتَنُ الْحَا ظًا وَأَحْلَى شَكْلًا ، وَأَحْسَنُ قَدًّا^(٧)
 خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قِيمَ الدُّنَى يَا سَدَادًا ، وَقِيمَ الدِّينِ رُشْدًا^(٨)

(١) لج في الهجر: تمادى فيه ولزمه .

(٢) يتأبى : يأبى ويمتنع . وينعم : يرفه . والاسعاف المساعدة ، أى يرفه عنى قليلا
 فى بعض الاحيان .

(٣) المولى : السيد أو صاحب ، يذكر تجنى المحبوب واختلاف أحواله معه .

(٤) الشادن : ولد الطيبة تشبه به الفتاة الطريفة ، ثم يقول: لو مسه أحد نالته منه عدوى الحسن

(٥) الجلنار : زهر الرمان يشبه به الخد فى الحمرة .

(٦) الند : المثل والنظير .

(٧) حاش لله : تنزه الله ، ويريد بها هنا نفى استبدال غير حبيبه به أو وجود نظيره .

(٨) القيم : المستقيم ، يريد أنه حسن الدنيا والأخرى لسدادته وهدايته .

أَكْرَمَ النَّاسِ شِيْمَةً وَأَتَمَّ النَّاسِ خُلُقًا ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ رِفْدًا (١)
 مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمَتُهُ الْمَادَّ : فَاضْتَحَتْ لَهُ مُغَاثًا وَرِدًّا (٢)
 أَظْهَرَ الْعَدْلَ ، فَاسْتَنَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَعَمَّ الْبِلَادَ غَوْرًا وَنَجْدًا (٣)
 وَحَكَمَى الْقَطَرَ بِلِ أَبْرٍ عَلَى الْقَطْرِ : تَنْدَى عَلَى الْبَرِيَّةِ تَنْدَى (٤)
 هُوَ بَحْرُ السَّمَحِ ، وَالْجُودِ : فَازْدَدَ مِنْهُ قُرْبًا تَزْدَدُ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدًا
 يَأْتِمَالُ الدُّنْيَا عَطَاءً وَبَذْلًا : وَجَمَالَ الدُّنْيَا ثَمَاءً وَبَحْدًا (٥)
 وَشَبَّهَ النَّبِيَّ خُلُقًا وَخُلُقًا : وَنَسِيبَ النَّبِيِّ جَدًّا فَجَدًّا
 بِكَ نَسْتَعْتِبُ اللَّيَالِي وَنَسْتَعْتَبُ : دِي عَلَى دَهْرِنَا الْمَسِيءِ فَنُعْدِي (٦)
 فَابْقَ عُمرَ الزَّمَانِ حَتَّى نُؤَدِّي : شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي

وَقَالَ يَصِفُ الذُّبَّ حِينَ لَقِيهِ :

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، لَا وِفَاءَ ، وَلَا عَهْدَ : أَمَّا لَكُمْ مِنْ هَجْرٍ أَحْبَابَكُمْ بُدُّ ؟
 الْأَحْبَابُنَا قَدْ أَنْجَزَ الْبَيْنُ وَعْدَهُ : وَشَيْكَا ، وَلَمْ يُنْجِزْ لَنَا مِنْكُمْ وَعْدًا (٧)

(١) أكرم : أفضل . الشيمة : الخلق والطبيعة . والرغد : العطاء .

(٢) مغاثا : ملجأ . وردا : عمادا .

(٣) الغور : ما انحدر وأطمأن من الأرض وضده النجد ، يريد أن عدله شمل جميع البلاد .

(٤) القطر : المطر ، أى يشبه بكرمه المطر . وأبر : زاد . تندى : تعطى كثيرا .

(٥) الشمال : الملجأ والمعتمد . وئمال القوم : الذى يقوم بأمرهم .

(٦) نستعتب الليالى : نطلب منها العتبي (الرضا) أو نعطيها العتبي ونسترضيها (ضد) والأول هو الظاهر هنا أى نطلب من الليالى أن تكون وفق آمالنا . ونستعدى على الدهر : نستعين بك عليه . فنعدى : فنعان ونغلب .

(٧) وشيكا : سريعا . وأنجز البين وعده : فرقنا البعد ووعدهم . هو القرب .

أَطْلَالَ دَارِ الْعَامِرِيَّةِ بِاللَّوَى سَقَتَ رَيْعَكَ الْأَنْوَاءُ! مَا فَعَلْتَ هِنْدُ؟^(١)
أَدَارَ اللَّوَى بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فَالْحِمَى أَمَّا لِلنَّوَى إِلَّا رَسِيسَ الْهُوَى قَصْدُ؟^(٢)
بِنَفْسِي مَنْ عَدَّيْتُ نَفْسِي بِحُبِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ وَصَالٌ وَلَا وَدٌّ
حَبِيبٌ، عَنِ الْأَحْبَابِ شَطَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَيُّ حَبِيبٍ مَا أَتَى دُونَهُ الْبُعْدُ؟
إِذَا جُزْتُ صَحْرَاءَ الْغَوِيرِ مُغْرِبًا وَجَازَتْكَ بِطَحَاءِ السَّوَاكِيرِ يَاسَعْدُ^(٣)
فَقُلْ لِبَنِي الضَّحَّاكِ مَهَلًا ؛ فَإِنِّي أَنَا الْأَفْعَوَانُ الصَّلُّ، وَالضَّيْغَمُ الْوَرْدُ^(٤)
بَنِي نَاهِلٍ مَهَلًا ؛ فَإِنَّ ابْنَ أَخْتِكُمُ لَهُ عَزَمَاتٌ هَزَلُ آرَائِهَا جِدُّ^(٥)
مَتَى هَجْتُمُوهُ لَا تَهَيِّجُوا سِوَى الرَّدَى وَإِنْ كَانَ خَرَقًا مَا يُحِلُّ لَهُ عَقْدُ^(٦)
مَهَيْبٌ كَنَصْلِ السِّيفِ لَوْ ضُرِبْتُ بِهِ ذُرَا أَجَلٍ ظَلَّتْ وَأَعْلَامُهَا وَهْدُ^(٧)
يَوَدُّ رِجَالٌ أَنَّنِي كُنْتُ بَعْضَ مَنْ طَوْتُهُ اللَّيَالِي لَا أَرْوَحُ وَلَا أَغْدُو^(٨)
وَلَوْلَا أُحْتَمَلِي ثِقْلَ كُلِّ مُلِمَّةٍ تَسُوهُ الْأَعَادَى ، لَمْ يَوَدُّوا الَّذِي وَدُّوا

(١) اللوى : ما التوى من الرمل أو مسترقه . والربع : الموضع . والأنواء : الأمطار .

(٢) الشقيقة والحمى : موضعان . ورسيس الهوى : حرقته وثباته .

(٣) الغوير : ماء لبني كلب .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى (الحية الخبيثة) . والصل : الداهية من الحيات . الضيغم : الأسد . والورد : الشجاع الجريء من الأسود .

(٥) أضعف هممه قوية نافذة .

(٦) الردى : الهلاك . الخرق : الكريم ، ما يحل الخ أى لا يرجع عما اعتزمه .

(٧) أجأ وسلمى : هما جبلان في الشهورين في الشمال من جزيرة العرب . وذواه : أعاليه وأعلامها . وهدة : منخفضة جمع وهدة .

(٨) طوته الليالي : هلك .

ذَرِينِي وَإِيَّاهُمْ فَحَسْبِي صَرَامَتِي إِذَا الْحَرْبُ لَمْ يَقْدَحْ لِمُحَمَّدٍهَا زَنْدُ^(١)
 وَلِي صَاحِبٌ عَضْبُ الْمَضَارِبِ صَارِمٌ طَوِيلٌ نِجَادٍ ، مَا يَفْلُ لَهُ حَدُّ^(٢)
 وَبَا كَيْتَةٍ تَشْكُو الْفِرَاقَ بِأَدْمَعٍ يُبَادِرُهَا سَحًّا كَمَا انْتَثَرَ الْعِقْدُ
 رَشَادُكَ ، لَا يُحْزِنُكَ بَيْنُ ابْنِ هَمَّةٍ يَتَوَقُّ إِلَى الْعَلْيَاءِ لَيْسَ لَهُ نِدُّ^(٣)
 فَمَنْ كَانَ حُرًّا فَهُوَ لِلْعَزَمِ وَالسَّرَى وَلَلَّيْلَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَالْكَرَى عَبْدُ^(٤)
 وَلَيْلٍ كَانَ الصَّبْحَ فِي أُخْرِيَاتِهِ حُشَاشَةٌ نَصْلٍ ضَمَّ إِفْرِنْدَهُ غَمْدُ^(٥)
 تَسَرَّرَبْلَتُهُ وَالذُّبُّ وَسَفْنَانُ هَاجِعٍ بَعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ ، مَا لَهُ بِالْكَرَى عَهْدُ^(٦)
 أَثِيرُ الْقَطَا الْكُدْرِيَّ عَنْ جَمَّاتِهِ وَتَأَلَّفَنِي فِيهِ الثَّعَالِبُ وَالرُّبْدُ^(٧)
 وَأَطْلَسَ مِلءَ الْعَيْنِ يَحْمِلُ زَوْرَهُ وَأَضْلَاعَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ شَوَى نَهْدُ^(٨)
 لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرِّشَاءِ يَجْرُهُ وَمَتْنٌ كَمَتْنِ الْقَوْسِ أَعْوَجُ مُنَادُ^(٩)

- (١) الصرامة : قوة العزيمة والمضاء ، ولم يقدح الخ ، أى لم ينجح أحد في اخمادها .
 (٢) الصاحب هو السيف ، عضب : قاطع . والنجاد : حائل السيف ، كناية عن طول قامته .
 (٣) رشادك قلت لها : الزمى رشادك . والنبد : المثل والنظير .
 (٤) عبد خبر فهو .
 (٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وافرنده : جوهره ووشيه . يشبه الصبح حين يبدو خطا رفيعا عند الأفق المظلم ببقية سيف أغمد الا نصلا .
 (٦) تسربلته : صاحبه وسرت فيه . ابن ليل : دائم السهر . والكرى : النوم الخفيف .
 (٧) الكدر : المائل الى السواد والغبرة . وجماته جمع جثمة كضربة ، أى أثير القطا عن مجاثمه . ومراقده بسيرى فيه . والربد : جمع أربد الاسد .
 (٨) وأطلس : ورب ذنب أطلس أى أغبر الى سواد . ملء العين : طويل مهيب . والزور : العزم . والشوى : الأطراف مفرد في لفظه جمع في معناه . ونهد : بارز .
 (٩) الرشاء : الحبل أو حبل الدلو خاصة . والمتن : الظهر . ومناد : معوج .

طَوَاهُ الطَّوَى حَتَّى اسْتَمَرَ مَرِيرُهُ فَمَا فِيهِ إِلَّا الْعَظْمُ وَالرُّوحُ وَالْجِلْدُ^(١)
يُقْضِضُ عُصْلًا فِي أَسْرِهَا الرَّدَى كَقَضْقَضَةِ الْقُرُورِ أُرْعَدَهُ الْبَرْدُ^(٢)
سَمَا لِي وَبَى مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَا بِهِ بَيْدَاءٌ لَمْ تُعْرِفْ بِهَا عَيْشَةُ رَغْدُ^(٣)
كَلَانًا بِهَا ذَنْبٌ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِصَاحِبِهِ ، وَالْجِدُّ يُتَعَسُّهُ الْجِدُّ
عَوَى ثُمَّ أَقْعَى فَارْتَجَزْتُ فَهَجْتُهُ فَأَقْبَلَ مِثْلَ الْبَرْقِ يَتَّبِعُهُ الرَّعْدُ^(٤)
فَأَوْجَرْتُهُ خَزَقَاءَ تَحْسَبُ رِيشَهَا عَلَى كَوْكَبٍ يَنْقُضُ وَاللَّيْلُ مُسَوْدُ^(٥)
فَمَا أَزْدَادَ إِلَّا جُرَاءَ وَصَرَامَةً وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْهُ هُوَ الْجِدُّ
فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصَلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ ، وَالرُّعْبُ ، وَالْحَقْدُ^(٦)
وَفَخَّرَ وَقَدْ أَوْرَدْتُهُ مِنْهَلِ الرَّدَى عَلَى ظَمَأٍ لَوْ أَنَّهُ عَذَبَ الْوَرْدُ
وَقُمْتُ فَجَمَعْتُ الْحَصَى فَاشْتَوَيْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلِلرَّمْضَاءِ مِنْ تَحْتِهِ وَقْدُ^(٧)
وَنِلْتُ خَسِيسًا مِنْهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ وَأَقْلْتُ عَنْهُ وَهُوَ مُنْعَفِرٌ فَرْدُ^(٨)

(١) الطوى : الجوع . واستمر مريره : استحكم عليه .

(٢) يقضض عَصْلًا : يصوت بأَسنان صلبة معوجة . وأسرتها : أوساطها . والردي : الهلاك .
والقُرور : من أصابه القراى البرد .

(٣) سَمَا لِي : ظهر لى وقصدنى . والبيداء : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب المتسع .

(٤) أقمى : جلس على مؤخره * ارتجزت : رفعت صوتى أو قلت رجزا .

(٥) أوجرته : طعنته ، والخزقاء : الرماة أو السنان . ثم شبهها بالكوكب المنقض إذ يقول :
تحسب ريشها على كوكب .

(٦) أضللت نصلها : أدخلته ، بحيث الخ ... أى فى القلب .

(٧) الرمضاء : الأرض الحامية ، وقد : نار .

(٨) منعفر : ممرغ فى التراب .

لَقَدْ حَكَمْتُ رَيْنَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَحُكْمُ بَنَاتِ الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ قَصْدٌ^(١)
 أَفَى الْعَدْلِ أَنْ يَشْقَى الْكَرِيمُ بِجَوْرِهَا وَيَأْخُذَ مِنْهَا صَفْوَهَا الْقَعْدُ الْوَعْدُ^(٢)
 ذَرَيْتِي مِنْ ضَرْبِ الْقِدَاحِ عَلَى السَّرَى فَعَزَمِي لَا يَثْنِيهِ نَحْسٌ وَلَا سَعْدُ^(٣)
 سَاحِلُ نَفْسِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ عَلَى مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ أَخْلَصَهُ الْهِنْدُ^(٤)
 لِيَعْلَمَ مِنْ هَابِ السَّرَى خَشْيَةَ الرَّدَى بِأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ رَدُّ
 فَإِنْ عِشْتُ مُحَمَّدًا فَمِثْلِي بَغَى الْغَنَى لِيَكْسِبَ مَا لَا أَوْ يَنْتَ لَهُ حَمْدُ^(٥)
 وَإِنْ مِتُّ لَمْ أَظْفَرُ، فَلَيْسَ عَلَى أَمْرِي غَدَا طَالِبًا إِلَّا تَقْصِيهِ وَالْجَهْدُ^(٦)

وَقَالَ يَمْدَحُ أَبَا نَهْشَلٍ :

هَاهُوَ الشَّيْبُ لَا نَمَّا فَأَفِيقِي وَاتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ^(٧)
 فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى وَتَلَاقَى مِنْ أَشْتِيَاقِ الشُّوقِ^(٨)
 عَذَلْتَنِي فِي عِشْقِهَا أَمْ عَمْرُو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْعُشُوقِ

(١) بنات الدهر : نوازله ، والقصد : الاعتدال .

(٢) القعد : الجبان أو اللئيم ، والوعد : الاحق الدنيء .

(٣) ضرب القداح على السرى : استخبار القداح أسير أم أقعد ، وكان للعرب قداح يجيلونها في كيس ثم يخرجون أحدها فان كان مكتوبا عليه صيغة الأمر مضى صاحبه فيما يعتزم ، وان كان النهى قعد ، فالشاعر يقول : لا يعنيني هذا لقوة عزمي الذي لا يبالي سعدا ولا نحسا .

(٤) أخلصه الهند : سيف أجادت الهند صنعه وطبعه ، يقول : ساحل نفسي على الشدائد اذا حزبت الأمور .

(٥) ينت : يذاع ويفشى .

(٦) التقصى : بلوغ الغاية في البحث ، ومعنى البيت أنى اذا لم أظفر بما أبغى من الغنى أو الحمد فلا لوم على مادمت قد سعيت الى الخير جهدى .

(٧) لاثما : يلوم العاشق على التماذى في العشق مع شبيهه . والمفيق : الصاحي من سكرة العشق ، والمراد نفسه هو .

(٨) كف : منع وخفف ، وفاعلته يعود على الشيب .

- وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَّ بِهَا الشَّيْبُ بُفْرِيَعَتٍ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقٍ^(١)
وَلَعَمْرَى لَوْلَا الْأَقَاحِيُّ لَا بُصْرَ تَأْنِيْقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَتْنِيْقٍ^(٢)
وَسَوَادُ الْعَيُونِ لَوْ لَمْ يُحَجَّرْ بِيِيَاِضٍ ، مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ^(٣)
وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أُمْلَى بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وَغَبُوقٍ^(٤)
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نَجُومٍ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَ بِغَيْرِ بُرُوقٍ^(٥)
وَقَفَّةٌ فِي الْعَقِيقِ أَطْرَحُ ثَقْلًا مِنْ دُمُوعِي بَوَقْفَةٍ فِي الْعَقِيقِ^(٦)
مَائِلٌ بَيْنَ أَرْبَعِ مَائِلَاتٍ يَنْزِعُ الشُّوقَ مِنْ فَوَادٍ عُلُوقٍ^(٧)
أَزْجَرُ الْعَيْنَ عَنْ بُكَاهُنَّ وَالْعِيدِ سُبُحًا إِلَى الْمُبْتَنَى بِكُلِّ طَرِيقٍ^(٨)
وَأَسْتَشَفَّتْ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ مَا سَحِيقٌ مِنَ الْغِنَى بِسَحِيقٍ^(٩)

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ريعت : فزعمت . ظلمة في شروق : سواد شعر الشباب في بياض المشيب .

(٢) الأقاحي : جمع أقحوان : نبات زهره أبيض ، أي لولا الأقحوان لذهبت بهجة الرياض وكذلك الشيب زينة الرأس .

(٣) يحجر : يحاط . والموموق : المحبوب .

(٤) الصهباء : الخمر . وأملى : أمتع . والصبوح : شراب الغداة وعكسه الغبوق ، فالشيب في الرأس كالماء للخمر .

(٥) كذلك يزدان الليل بالنجوم ، وتمطر السحب البارقة ، فالشيب بهاء الشباب ... كل تلك الصور لقصد تحسين المشيب .

(٦) العقيق : اسم لمواضع عدة في بلاد الحجاز ونجد وغيرها ، وقفة مفعول لفعل محذوف . تقديره أتمنى أوقف .

(٧) مائل : قائم . يعني نفسه . وأربع جمع ربع : الدار . وفواد علوق : شديد التعلق بأحبته .

(٨) العيس : النوق . والمبتنى : المقصود .

(٩) استشفته : نظرت ما وراءه أي قصدته ، ومعنى الشطر الثاني أن الغنى مهما يبعد مكانه فلا يعد بعيدا لحب السعى إليه .

سَابِقُ النِّفْعِ يَسْتَقِي جُهْدَ نَفْسٍ تُسْتَزَادُ أُسْتَزَادَةُ الْمُسْبُوقِ^(١)
 قَلْبَتُهُ الْأَيْدَى قَدِيمًا وَلِلْحَدِّ بَقَّةٌ تُنْضَى الْجِيَادُ بِالتَّعْرِيقِ^(٢)
 كُلَّمَا أُجْرَتْ الْخَلَائِقُ أَوْفَى رَادِعًا فِي خَلَائِقِ كَالْخُلُوقِ^(٣)
 صَافِيَاتٍ عَلَى قُلُوبِ الْمُصَافِي ن ، رِقَاقٍ فِي فَهْمِهِنَّ الرَّقِيقِ^(٤)
 لَوْ تَصَفَّحَتْهَا لِأَخْرَجَتْ مِنْهَا أَلْفَ مَعْنَى مِنْ حَاتِمٍ مَسْرُوقِ^(٥)
 لَيْسَ يَخْلُو مِنْ فِكْرَةٍ فِي جَلِيلٍ مِنْ أَفَاقِينَ مَجْدِهِ أَوْ دَقِيقِ^(٦)
 يَنْظِمُ الْمَجْدَ مِثْلَ مَا تَنْظِمُ الْعَقْفُ يَدُ الصَّانِعِ الصَّنَاعِ الرَّفِيقِ^(٧)

وقال يرثي المتوكل على الله عاشر خلفاء بني العباس وكان حاضراً مقتله :

مَحَلٌّ عَلَى الْقَاطُولِ أَخْلَقَ دَائِرُهُ وَعَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشًا تَغَاوَرُهُ^(٨)
 كَأَنَّ الصَّبَاتُ فِي نَذُورٍ إِذَا أُبْرَتْ تَرَاوَحُهُ أَذْيَالُهَا ، وَتَبَاكَرُهُ^(٩)

-
- (١) سابق النفع : يسبق الى المحامد ، وان رويت بالقاف كان المعنى سابقا الى الحروب ، ويستقى الخ أى يستخرج من جهد كلما أراد كانه مسبوق يضاعف جهده ليلحق بغيره أو يسبقه
 (٢) قلبته الأيدي : أحكمته التجارب كالسيف يقلب لمعرفة جودته . والحلبة : ميدان السباق ، تنضى الجياد : تتعب وتمرن . والتعريق : التضجير .
 (٣) أجزت : فوضت . الخلائق : المخلوقات والثانية بمعنى الطبائع . والخلق : ضرب من الطيب فيه زعفران . رادعا : مضمخا .
 (٤) المصافون : المخلصون . وصف لآخلاقه الحميدة .
 (٥) حاتم : هو حاتم الطائي المشهور بالكرم ، يصفه بالكرم المضاعف .
 (٦) الأفانين جمع فنون جمع فن : النوع ، يريد أنه دائما في عمل مجيد مهما تكن درجته .
 (٧) الصنائع : الماهر الحاذق .
 (٨) القاطول : موضع على دجلة حيث قصر جعفر المتوكل المسمى القصر الجعفرى . واخلق : بلى والدائر ، الماحى البالى . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .
 (٩) الصبا : ريح شرقية . تراوحه : تتنابه في الرواح (عشيا) . وتباكره : تهب عليه بكرة (صباحا) .
 أى كان ذلك نذر عليها لهذا القصر .

وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ ثُمَّ عَهْدُهُ تَرِقُ حَوَاشِيهِ ، وَيُورِقُ نَاضِرُهُ (١)
تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأَنَسُهُ وَقَوْضَ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ (٢)
تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةً فَعَادَتْ سَوَاءٌ دُورُهُ وَمَقَابِرُهُ (٣)
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدًا لَنَا الْأَسَى وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ (٤)
وَلَمْ أَنَسْ وَحْشَ الْقَصْرِ إِذْ رِيعَ سَرْبُهُ وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاذَرُهُ (٥)
وَإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَّكَتْ عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وَسَتَائِرُهُ
وَوَحْشَتَهُ حَتَّى كَانَ لَمْ يَقُمْ بِهِ أُنَيْسٌ ، وَلَمْ تَحْسُنْ لَعَيْنٌ مَنَاطِرُهُ
كَانَ لَمْ تَبَتْ فِيهِ الْخِلَافَةُ طَلَقَةً بِشَاشَتِهَا ، وَالْمَلِكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ (٦)
وَلَمْ تَجْمَعْ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بِهَاءَهَا وَبَهَجَتَهَا وَالْعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُهُ (٧)
فَأَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمَنَعَتْ بِهِيَّتَهَا أَبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُهُ (٨)

(١) زمان ناعم : ناعم أهله . حواشيه : جوانبه . وترق حواشيه : تسعد أوقاته . والناسر : الناضر : الحسن ، والمراد أنه عهد جميل .

(٢) الجعفرى : قصر المتوكل . وقوض : تهدم . وباديه : ظاهره . وحاضره : داخله .

٣ - سواء : متساوية في إفقارها وخلوها من الأحياء .

(٤) أجدلنا الأسى : جدد لنا الحزن .

(٥) وحش القصر : نساؤه الشبيهات بالبقر الوحشى فى جمال العيون . ريع : أفزع . والسرب : القطيع . والأطلاء : الطباء . المفرد طلا وطلو . والجاذر : أولاد البقرة الوحشية . المفرد جؤذر ، يشبه بها أبناء القصر لما فزعوا وشئتوا لمصرع الخليفة .

(٦) طلقة : بهية ضاحكة . والزاهر : الحسن والمشرق من الألوان أى تروع مظاهره .

(٧) مكاسره جمع مكسر : جذع الشجرة حيث تكسر الأغصان أو هو المخبر . يقال : فلان طيب المكسر أى محمود عند الخبرة .

(٨) المقاصر جمع مقصورة : الحجرة أو الدار الواسعة المحصنة .

وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ تَنُوبُ وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ^(١)
تَخَفَى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ وَأُولَى لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يُجَاهِرُهُ^(٢)
فَمَا قَاتَلَتْ عَنْهُ الْمَنَايَا جُنُودَهُ وَلَا دَافَعَتْ أَمْلَاكَه وَذَخَائِرُهُ
وَلَا نَصَرَ الْمُعْتَزَّ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى لَهُ ، وَعَزِيزُ الْقَوْمِ مَنْ عَزَّ نَاصِرُهُ^(٣)
تَعَرَّضَ نَصْلُ السَّيْفِ مِنْ دُونِ فَتْحِهِ وَغُيِبَ عَنْهُ فِي خُرَّاسَانَ طَاهِرُهُ^(٤)
وَلَوْ عَاشَ مَيِّتٌ أَوْ تَقَرَّبَ نَازِحٌ لِدَارَتْ مِنَ الْمَكْرُوهِ ثُمَّ دَوَائِرُهُ^(٥)
وَلَوْ لِعَبِيدِ اللَّهِ عَوْنٌ عَلَيْهِمْ لَصَاقَتْ عَلَى وَرَادٍ أَمْرٍ مَصَادِرُهُ^(٦)
حُلُومٌ أَضَلَّتْهَا الْأَمَانِي ، وَمُدَّةٌ تَنَاهَتْ ، وَخَفَتْ أَوْشَكْتُهُ مَقَادِرُهُ^(٧)
وَمُغْتَصَبٌ لِلْقَتْلِ لَمْ يُخْشَ رَهْطُهُ وَلَمْ تُحْتَشَمِ أَسْبَابُهُ وَأَوَاصِرُهُ^(٨)

(١) عميد الناس : سيدهم ، أى الخليفة . والنوبة : النازلة . وناهى الدهر الخ أى المتصرف
النافذ الحكم كأنه يملأ على الدهر إرادته .

(٢) مغتاله : قاتله غيلة ، وكان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم والد المتوكل ، والغرة : الغفلة .

(٣) المعتز : العزيز أو من يعد نفسه عزيزا بسواه فيكون معتزا به ، ومعنى عز ناصره : قوى
معينه .

(٤) فتحه : الفتح بن خاقان نديم المتوكل الذى قتل معه أيضا . وطاهره : عبيد الله بن طاهر
والى خراسان ذلك الحين .

(٥) أى لو عاش هذا النديم أو كان ذلك الغريب حاضرا لحدثت أمور عظيمة وانتقم للمقتول .

(٦) أى لو نعان على قتله لأخذهم فلا يفلتون من عقابه . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمر .
وضاقت مصادره عز الخلاص منه .

(٧) حلوم : عقول ، يشير الى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تأمروا على قتل
الخليفة رغبة من المنتصر فى الخلافة . والحنف : الموت . وأوشكته : قربته .

(٨) الرهط : القبيل والجماعة . وتحتشم : يستحى منها (الأسباب والأواصر) التى هى الصلات
بينه وبين قاتله .

صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ السَّيْفُ حُشَاشَةً (١) يَجُودُ بِهَا ، وَالْمَوْتُ مُهْرٌ أَظْفِرُهُ (١)
أَدَافِعُ عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَثْنِي الْأَعَادِي أَعَزَلَ اللَّيْلِ حَاسِرُهُ (٢)
وَلَوْ كَانَ سَيْفِي سَاعَةَ الْفَتْكِ فِي يَدِي دَرَى الْفَاتِكُ الْعَجْلَانُ كَيْفَ أَسَاوَرُهُ (٣)
حَرَامٌ عَلَيَّ الرَّاحُ بَعْدَكَ أَوْ أَرَى دَمًا بِدَمٍ يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَآثِرُهُ (٤)
وَهَلْ أُرْتَجَى أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ وَاتِرُهُ بَدَ الدَّهْرِ ، وَالْمَوْتُورُ بِالْدَّمِ وَاتِرُهُ (٥)
أَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ أَوْ ضَمَرَ غَدْرَهُ قِمْنٌ عَجَبَ أَنْ وَلِيَّ الْعَهْدِ غَادِرُهُ (٦)
فَلَا مُلَى الْبَاقِي تُرَاثَ الَّذِي مَضَى وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعَاءَ مَنَابِرُهُ (٧)
وَلَا وَأَلِ الشُّكُوكُ فِيهِ وَلَا نَجَا مِنْ السَّيْفِ نَاضِيَ السَّيْفِ غَدْرًا وَشَاهِرُهُ (٨)
لَنَعْمَ الدَّمُ الْمُسْفُوحُ لَيْلَةً جَعْفَرُ هَرَقْتُمْ وَجُنَحُ اللَّيْلِ سُودٌ دَيَا جَرُهُ (٩)

(١) تقاضاه السيف : تأخذ منه ، يقال : تقاضاه الدين إذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : البقية من الروح .

(٢) أعزل الليل : أعزل في الليل . والأعزل : من لا سلاح معه ، يعنى نفسه . وحاسرة : لادرع جمعه في هذه الليلة .

(٣) العجلان : المسرع ، وأساوره : أوائبه وأدافعه .

(٤) أو أرى : إلى أن أرى ، ومآثره جاريه ومار الدم على الأرض جرى فتردد عرضا واضطرب في جريانه .

(٥) الواتر : الظالم . والموتور : من قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه أحد . يقول : كيف أرتجى الثأر للخليفة . مع أن صاحب الثأر هو ابنه المنتصر الذي قتله فهو واطر وموتور معا ؟ استفهام للنفي .

(٦) ولي العهد : المنتصر الذي خاف أن يفوز أخوه المعتز بالخلافة دونه .

(٧) ملَى التراث : تمتع به طويلا ، يدعو على المنتصر ألا ينعم بميراث أبيه . ثم دعا عليه ألا ييخلفه ويدعى له على المنابر .

(٨) وال : نجا . ناضى السيف : استله من غمده .

(٩) الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام .

كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَنْ وَلِيُّهُ وَبَاغِيهِ تَحْتَ الْمَرْهَفَاتِ وَثَائِرِهِ ^(١)
وَأِنِّى لَأَرْجُو أَنْ تَرَدَّ أُمُورُكُمْ إِلَى خَلْفٍ مِنْ شَخْصِهِ لَا يُغَادِرُهُ ^(٢)
مُقَلَّبُ آرَاءٍ تَخَافُ أَنَّاتُهُ إِذَا الْأَخْرَقُ الْعَجَلَانَ خِيفَتْ بُوَادِرُهُ ^(٣)

وقال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويرثى دولة الفرس :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبِيسٍ ^(٤)
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِى الدَّهْرُ رُمُ التَّمَّاسَا مِنْهُ لَتَعْسَى وَنَكْسَى ^(٥)
بُلَّغَ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ ^(٦)
وَبَعِيدَ مَا بَيْنَ وَارِدِ رَفْعِهِ عِلَلِ شُرْبِهِ ، وَوَارِدِ خَمْسٍ ^(٧)
وَكَانَ الزَّمَانُ أَصْبَحَ مَحْمُومًا لَا هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسِ الْأَخْسِ ^(٨)

(١) وليه : صاحبه المطالب به . وباغيه : سافكه . والمرهفات : السيوف المرققة . وثائره : باعثه .

(٢) أى أرجو : أن يبقى الحكم فى خلفه لا يخرج منه .

(٣) مقلب آراء : ينظر فى وجوه المسائل ويتخير أحكمها . والأناة : التأنى . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى أناة . والأخرق : ضعيف الراى : خيفت بوادره : يخشى من عجلته التى تكون خطرا على الأمور .

(٤) الجدا : العطاء . والجبىس : الجبان اللئيم .

(٥) تماسكت : ثبت واعتصمت . زعزعنى : حركنى بعنف أى حين نللتى خطوبه . التماسا منه : طلبا منه ومحاوله . التمس : الهلاك أو الشر . والنكس : أن ينقلب الرجل على رأسه ، أى الهزيمة والسقوط .

(٦) بلغ : جمع بلغة وهى مايكفى من العيش ولا يفضل . والصبابة : البقية . طففتها : نقصتها . والبخس : الغبن والظلم .

(٧) الرفه من العيش : الطيب اللين . والعلل : الشرب تباعا . والخمس بالكسر من أظماء الإبل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، يمثل بها الشاعر حال عيشه البئيس القانع .

(٨) يقول : كان الزمان ينصف الاندال ، ويجور على الأخيار .

- وَاشْتَرَاَنِ الْعِرَاقَ خُطَّةً غَبْنٍ بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةً وَكُسْ (١)
- لَا تَرُزْنِي مُرَاوِلًا لِاخْتِبَارِي عِنْدَ هَذِي الْبُلُوَى فَتُنْكَرَ مَسِي (٢)
- وَقَدِيمًا عَهْدَتْنِي ذَاهَنَاتٍ آيَاتٍ عَلَى الدَّيَّيَاتِ شَمْسِ (٣)
- وَلَمَّذْ رَابِنِي نُبُوًّا ابْنِ عَمِّي بَعْدَ لَيْنٍ مِنْ جَانِبِيهِ وَأُنْسِ (٤)
- وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي (٥)
- حَضَرْتُ رَحْلِي الْهَمُومَ فَوَجَّهْتُ إِلَى أُبَيْضِ الْمَدَائِنِ عَنَسِي (٦)
- أَتَسَلَّى عَنِ الْحُطُوبِ وَآسَى لِحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرَسِ (٧)
- ذَكَرْتُنِهِمُ الْخُطُوبُ التَّوَالِي وَلَقَدْ تَذَكَّرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسِي (٨)

(١) اشتراثنى العراق : اقامتنى بها . وبيعى الشام : رحلتى عنها مع أنها موطنى الأصلى .

(٢) رازة : جربه وقدره . فتنكر مسى : تجدننى أيبا عنيفا منكرا الجانب .

(٣) الهنات : خصال (شر) . شمس : عنيدة لا تذلل ، وآبيات على الدنيات : لا ترضى بالخسيس الدون فتأنف منه .

(٤) رابنى : أوقعنى فى الريب (الشك) أو أرانى مأكرا . والنبؤ : النفور والجفوة . وابن عمه ، هو الخليفة المنتصر ، فالبحترى قطحانى والخليفة عدنانى كأنهما أخوان لأنهما أبوا شعبى العرب ، وهذا يدل على أن البحترى قال هذه القصيدة بعد مقتل المتوكل واعراض المنتصر عنه لهجائه إياه فى رثاء أبيه كما مضى .

(٥) حريا خليقا . يقول اذا جفيت تنقلت فلا أصبح فى مكان حتى أمسى فى سواه ، وهذا تمهيد لذكر رحلته إلى المدائن حيث القصر الأبيض (قصر الأكاسرة) .

(٦) حضرت رحلى الهموم : طرأت على الأحزان من هذه الحال السيئة . والعنس : الناقة القوية . (٧) آسى : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الإسلامى دولتهم زمن عمر ابن الخطاب . درس : دارس .

(٨) التوالى : المتتالية . ولعله يريد الخطوب التى ألت بالدولة العباسية فى خلفائها من تحكم العناصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتنكيل بهم .

وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ مُشْرِفٍ يُحَسِرُ الْعِیُونَ وَيُخْصِي^(١)
مُغْلَقٍ بَابُهُ عَلَى جَبَلٍ الْقَبْرِ قِ إِلَى دَارَتِي خِلَاطٍ وَمُكْسٍ^(٢)
حِلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالٍ سَعْدَى فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَابِيسِ مُلْسٍ^(٣)
وَمَسَاعٍ لَوْلَا الْحَابَابَةُ مِنِّي لَمْ تُطَقِّهَا مَسْعَاةٌ عَنَسٍ وَعَبَسٍ^(٤)
نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِدِّ قِ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسٍ^(٥)
فَكَأَنَّ الْجَرْمَازَ مِنْ عَدَمِ الْأَزْ سِ وَإِخْلَالِهِ بَنِيَّةٌ رَمَسٍ^(٦)
لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلَتْ فِيهِ مَاتَمًا بَعْدَ عُرْسٍ
وَهُوَ يُنْبِئُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ لَا يُشَابُّ الْبَيَانَ فِيهِمْ بِلْبَسٍ^(٧)
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَّةَ ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ^(٨)

(١) هم : آل ساسان ، خافضون : رغيدو العيش في ظل عال : في قصر مرتفع (القصر الأبيض) يحسر العيون : يضعفها اذا نظرت تتبين ارتفاعه . يخصى : يؤلم .

(٢) القبق : جبل هو المسمى الآن (جبال القوقاز) فيه أمم مختلفة ولغات متعددة . ويسمى أيضا جبل القبيج والقبيجان . وخلاط ومكس من مدن أرمينية الوسطى . يريد أن هذا القصر لاتساعه وكثرة ما فيه من الجوارى والخدام والأتباع المختلفى اللغات كأنه مغلق على جبال وبلاد اشتهرت بتعداد أممها .

(٣) هنا يذكر . فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة وهى المكان ينزل فيه الناس ويقيمون . والبسابيس : القفار . ملْس : خالية . يقول : آثار هى خير مما فى جزيرة العرب من الأطلال والقفار .

(٤) مساع : مكارم جمع مسعاة ، لم تطقها : لا تقدر عليها وتساميتها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة عنتره العيسى من مضر .

(٥) انضاء جمع نضو : المهزول من الحيوان أو الثوب البالى ، ولبس : استعمال ، أى أبلها الدهر بعد الجدة .

(٦) الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره . وكان عظيما بجوار القصر . والرمس : القبر .

(٧) البيان : المنطق الفصيح . واللبس : عدم الوضوح .

(٨) أنطاكية : بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت فى الايوان ، وارتعت : فزعت .

- وَالنَّايَا مَوَائِلُ وَأَنُو شَرُّ وَأَنْ يُزْجَى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفْسِ^(١)
 فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْ فَرَ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةٍ وَرْسِ^(٢)
 وَعِرَاكُ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضٍ جَرَسِ^(٣)
 مِنْ مُشِيحٍ يَهْوَى بِحَامِلٍ رُمَحٍ وَمُلِيحٍ مِنَ السَّنَانِ بَتَرَسِ^(٤)
 تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جَدُّ أَحْيَا ۖ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خَرَسِ^(٥)
 يَفْتَلِي فِيهِمْ أَرْتِيَابِي حَتَّى تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايَ بِلَامَسِ^(٦)

- كَأَنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنِّ عَةِ جَوْبٌ فِي جَنْبِ أَرَعْنَ جَلَسِ^(٧)
 يُتَظَنَّى مِنَ الْكَاتِبَةِ أَنْ يَبْدُو لِعَيْنَيَّ مُصْبِحٌ أَوْ مُمَسَّى^(٨)
 مُزْعَجًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ الْفِ عَزَّ ، أَوْ مُرْهَقًا بِتَطْلِقِ عَرَسِ

(١) موائل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . وأنو شروان : أحد الأكاسرة . يزجى يسوق . والدرفس : العلم الكبير .

(٢) الورس : نبات ذو صبغة حمراء .

(٣) خفوت : سكون صوت . والجرس : الصوت .

(٤) المشيح : الحذر . والمليح : الذى يخاف ويحذر أيضا . والترس المجن .

(٥) تصف العين : يخيّل اليها .

(٦) يفتلى الخ : يزيد ارتياحاً : شكى في حياتهم ؛ تتقراهم : تتبعهم : أى حتى ألسهم في الصورة بيدى لأتبين : أهم أحياء حقاً كما يخيّل الى .

(٧) الجوب : الخرق . والأرعن : الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل . المجلس : الجبل العالى ، فكان الإيوان بالنسبة الى القصر الأبيض العظيم الذى يشمل الإيوان وغيره من الغرف والمقاصير — خرق فى جانب جبل ارعن وجعل الجبل ارعن لما فيه من الأجنحة والطنف والأبيات الآتية توضح هذا التشبيه .

(٨) يتظنى : يظن . ومفعوله الثانى مصدر أن يبدو ، ومزعجاً حال من فاعل يبدو ، أى أن كاتبه تجعله يبدو للعين كأنه مزعج بفراقه أليفاً أو عروساً .

- عَكَسَتْ حَظَّهُ الْيَالِي وَبَابَ الْمَشْرِى تَرَى فِيهِ وَهُوَ كَوَكْبُ نَحْسٍ (١)
 فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّدًا وَعَلَيْهِ كَلْكَلٌ مِنْ كَلَاكِ الدَّهْرِ مُرْسِي (٢)
 لَمْ يَبْنِهِ أَنْ بَزَّ مِنْ بُسْطِ الدِّيدِ سَبَاحٍ وَاسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ (٣)
 مُشْمَخِرٌ تَعْلُو لَهُ شُرْفَابٌ رُفِعَتْ فِي رُءُوسِ رَضْوَى وَقَدْسِ (٤)
 لَا بِسَابٍّ مِنَ الْبَيَاضِ فَمَا تُبْ صِرُّ مِنْهَا إِلَّا غَلَائِلَ بَرَسِ (٥)
 لَيْسَ يُدْرَى أَصْنَعُ إِنْسٍ لَجِينٌ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جَنَّ لَا إِنْسٍ
 غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَارِنِهِ فِي الْمُلُوكِ بِنِكْسِ (٦)

- عُمِرَتْ لِلشُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَّعَزَّى رَبَاعُهُمْ وَالتَّاسِي
 فَلَهَا أَنْ أُعِينَهَا بِدُمُوعٍ مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ
 ذَاكَ عِنْدِي وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي بِاقْتِرَابٍ مِنْهَا ، وَلَا الْجَنَسُ جِنْسِي
 غَيْرَ نَعْمَى لِأَهْلِيهَا عِنْدَ أَهْلِي غَرَسُوا مِنْ زَكَايَهَا خَيْرَ غَرَسِ (٧)
 أَيْدُوا مُلْكَنَا ، وَشَدُّوا قَوَاهُ بِحُمَاةٍ تَحْتَ السَّنُورِ مُحْسِ (٨)

(١) المشتري : كوكب سعد ، ولكنه تحول نحسا في هذا القصر بتأثير القصر فيه .
 (٢) التجلد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر : أى نازلة .
 (٣) بز : سلب . واستل : أخرج وانتزع . والديباح : الثوب سداه ولحمته حريير . والدمقس :
 الحرير الأبيض .
 (٤) مشمخر : عال . شرفات القصر : ما أشرف من بنائه . وروضى : جبل . وقَدْس : جبل
 عظيم بنجد ، يشبه القصر في ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين .
 (٥) الغلائل جمع غلالة : وهى شمار يلبس تحت الثوب . والبرس : القطن أو ما يشبهه .
 (٦) النكس : الضعيف الدنى .
 (٧) زكاتها : نمائها .
 (٨) السنور : كل سلاح من حديد . وحس : شجعان . يشير الى بلاد فارس .

وَأَعَانُوا عَلَى كِتَابِ أَبِي طَاطِنٍ عَلَى النُّحُورِ وَدَعَسَ (١)

وَأَرَانِي مِنْ بَعْدِ أَكْلِ الْبَلْشِ رَافِطُ الرِّمْلِ كُلِّ سِنَخٍ وَجَنَسٍ (٢)

(١٥) ابن المعتز (٣)

قال يصفُ الروض :

وَعَلَى الْأَرْضِ أَصْفَرَارٌ وَأَخْضَرَارٌ وَأَحْمَرَارٌ

فَكَانَ الرَّوْضَ وَشَى بِالْغَتِّ فِيهِ التَّجَارُ (٤)

نَقْشُهُ آسٌ وَنَسْرِيٌّ وَوَرْدٌ وَبَهَارٌ (٥)

وقال في سرٍّ من رأى بعد تهدهدها :

قَدْ أَقْفَرْتُ سُرٍّ مِنْ رَأَى فَمَا لَشَى دَوَامٌ (٦)

فَالنَّقْضُ يُحْمَلُ مِنْهَا كَأَنَّهَا الْأَجَامُ (٧)

(١) أرباط . قائد حبشى فتح اليمن قديما ، ثم خلفه القائد أبرهة صاحب الفيل وأبناؤه ، ثم طرد سيف بن زى بزى الإحباش بمعرفة الفرس . والدعس . الذود والطنن .

(٢) أكلف بالاشراف . أولع بهم . والسرخ . الأصل والمنبت .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ولد سنة ٢٤٩ هـ . وقد نشأ وتربى تربية الخلفاء وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره وأولع بالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويج عبد الله هذا بالخلافة . ولكن جند المقتدر الأتراك حملوا على دار ابن المعتز وقتلوا أصحابه حتى هزموهم وقبضوا على هذا الخليفة الجديد وقتلوه أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وقد برع في الشعر ولا سيما الأوصاف . ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة الأسلوب مع تكلف للبديع فهو ثالث أبى تمام ومسلم بن الوليد في ذلك .

(٤) الوشى : الثوب المحسن بالألوان . التجار : جمع تاجر .

(٥) أسماء أزهار مختلفة الألوان .

(٦) سر من رأى : مدينة قديمة كانت تسمى سامرا جدها المعتصم وأقام بها . أقفرت : تخربت وخلت من مظاهر الحياة .

(٧) النقض : البناء المهدم . الأجام جمع أجمة : الشجر الكثير الملتف . يريد أن الناس يحملون أنقضها كما يحتطبون فروع الشجر من الغابات .

مَاتَتْ كَمَا مَاتَ فِيلٌ تُسَلُّ مِنْهُ الْعِظَامُ^(١)

وقال يصف هلال شوال :

أَهْلًا بِفَطْرٍ قَدْ أَنْفَ هِلَالُهُ فَلَا نَ فَاغْدُ عَلَى الْمُدَامِ وَبَكْرٍ^(٢)
وَانْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ^(٣)

وقال يصف سحابة :

وَسَارِيَةٍ لَا تَمَلُّ الْبُكَاءَ جَرَى دَمْعُهَا فِي خُدُودِ الثَّرَى^(٤)
سَرَتْ تَقْدَحُ الصُّبْحَ فِي لَيْلِهَا بِبَرْقٍ كِهْنَدِيَّةٍ تُنْتَضَى^(٥)
فَلَمَّا دَنَتْ جَلَجَلَتْ فِي السَّمَاءِ رَعْدًا أَجَشَّ كَجَرَسِ الرَّحَا^(٦)
ضَمَانٌ عَلَيْهَا ارْتِدَاعُ الْيَفَاعِ بِأَنْوَارِهَا وَاعْتِجَارُ الرَّبَا^(٧)
فَمَا زَالَ مَدْمَعُهَا بَاكِيًا عَلَى التُّرْبِ حَتَّى اكْتَسَى مَا اكْتَسَى^(٨)
فَأُضْحَتْ سَوَاءً وَجْوهُ الْبِلَادِ وَجُنَّ النَّبَاتُ بِهَا وَالتَّقَى^(٩)

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للانتفاع بها .

(٢) أناف : أطل وأشرف . غدا بكر . المدام : الخمر . يدعو الى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الظلمة بزورق فضى حولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . ويريد بالبكاء الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول اخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة الى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنتضى : تستل . يقول ان برقها يلمع في الليل كأنه صباح ، والبرق يشبه السيوف المصلطة شكلا وبريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع ربوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون . الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض بالأزهار .

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى رداء جميلا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : زكا وطال .

وقال يصف سيفه :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ الْمَنَاءُ كَوَامِنٌ^(١) مَا يُنْتَضَى إِلَّا لِسْفِكِ دِمَاءِ^(٢)
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنَدَ كَأَنَّهُ^(٣) بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ^(٤)

وقال يصف غديرا :

غَدِيرٌ تَرْجَرُجُ أَمْوَاجُهُ هُبُوبُ الرِّيحِ وَمَرُّ الصَّبَا^(٥)
إِذَا الشَّمْسُ مِنْ فَوْقِهِ أَشْرَقَتْ^(٦) تَوَهَّمَتْهُ جَوْشَنًا مَذْهَبًا^(٧)
وقال يحذر الطالبين من طلب الخلافة ويتوعدهم .

أَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا تَرَوْنَ فَمَا لَكُمْ^(٨) عِتَابٌ عَلَى الْأَقْدَارِ يَا آلَ طَالِبٍ^(٩)
تَرْكَنَّاكُمْ حِينًا فَهَلَّا أَخَذْتُمْ^(١٠) تَرَاثَ النَّبِيِّ بِالْقَنَاءِ وَالْقَوَاضِبِ^(١١)
زَمَانَ بَنُو حَرْبٍ وَمُرَوَّانَ مُمْسِكُو^(١٢) أَعْنَةِ مُلْكٍ جَائِرِ الْحُكْمِ غَاصِبِ^(١٣)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ كَسَوْكُمْ عَمَائِمًا^(١٤) مِنَ الضَّرْبِ فِي الْهَامَاتِ مُحَرِّ الذَّوَائِبِ^(١٥)
فَلَمَّا أَرَاقُوا بِالسُّيُوفِ دِمَاءَكُمْ^(١٦) أَبَيْنَا وَلَمْ نَمْلِكْ حَنِينَ الْأَقَارِبِ^(١٧)
فَإِنْ أَخَذْنَا ثَارَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ^(١٨) قَعَدْتُمْ لَنَا تَوَرُّونَ نَارِ الْحُبَابِ^(١٩)

(١) الصارم : السيف القاطع ، المناء جمع منية : الموت ، كوامن : ساكنة .

(٢) فرند السيف : وشيه وجوهره . دون : أسفل . فالفرند للسيف : كالغيم للسماء .

(٣) الصبا : ربح شرقية .

(٤) الجوشن : الدرع . مذهب : مموه بالذهب . فأشعة الشمس فوق صفحة الماء كماء الذهب فوق الدرع .

(٥) يريد أن الله أبى عليكم أن يوليكم أمر المسلمين ويجعل الخلافة فيكم .

(٦) التراث : الميراث . والقنا : الرماح . والقواضب : السيوف .

(٧) زمان : مضاف إلى الجملة الاسمية بعده . ويريد بنى حرب ومروان دولة بنى أمية .

(٨) الهامات : الرعوس . والذوائب : ضفائر الشعر . يقول : ان بنى أمية كانوا يضربون رءوسكم بالسيوف فتحمر من دمائكم .

(٩) الحباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة ونحوها ، وأورى نار الحباب كناية عن الفتن التي لا تغيد شيئا .

وحزننا التي أعيتكم قد علمتم
عظيمة ملك قد حباناً بفصله
وليس يريد الناس أن تملكوهم
وإياكم إياكم وحذار من
إلا إنها الحرب التي قد علمتم
فما ذنبنا؟ هل قاتل مثل سالب؟
وقدره رب جزيل المواهب
فلا تثبوا فيهم وثوب الجنادب^(١)
ضراغمة في الغاب حمر الخالب^(٢)
وجربتم والعلم عند التجارب

وقال في الطرد: (٣)

لما تعرى الأفق بالضياء
وشمطت ذوائب الظلماء
قدنا لعين الوحش والطباء
شائلة كالعقرب السمراء
كمدة من قلم سوداء
تحميلها أجنحة الهواء
مثل ابتسام الشفة اللمياء^(٤)
وهم نجم الليل بالإغفاء^(٥)
داهية مخدورة اللقاء^(٦)
مرهفة مطلقاة الأخشاء^(٧)
أو هذبة من طرف الرداء^(٨)
تستلب الخطو بلا إبطاء

(١) الجنادب : جمع جندب : حيوان كالجراد كثير القفز .

(٢) الضراغمة : الأسود . والغاب مأوى الأسد . والمخالب : الأظفار . ويريد بالضراغمة العباسيين وجنودهم .

(٣) الطرد بفتحين : مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من الشعراء كأبي نواس وابن الرومي وابن المعتز .

(٤) تعرى : تكشف . يريد لما استهل الصباح ، والشفة اللمياء المشربة سمرة في حسن .

(٥) شمطت : اختلط سوادها ببياضها .

(٦) العين : جمع أعين وهو ثور بقر الوحش ، ويريد بالداهية كلبة الصيد يقول : لما أصبح الصباح خرجنا للصيد ومعنا كلبة تخشى الحيوانات لقاءها .

(٧) شائلة : مرتفعة الذنب . مرهفة : مدببة .

(٨) المدة : الخط الممتد والهدبة الطرف .

وَمُخْطَفًا مُوْتَقَّ الْأَعْضَاءِ خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بَيْضَاءِ^(١)
كَأَثَرِ الشَّهَابِ فِي السَّمَاءِ وَيَعْرِفُ الزَّجَرَ مِنَ الدُّعَاءِ
بُأَذْنِ سَاقِطَةِ الْأَرْجَاءِ كَوَرْدَةِ السَّوْسَنَةِ الشَّهْلَاءِ^(٢)
ذَا بُرْثَنِ كَثِثَبِ الْحَذَاءِ وَمُقْلَةٍ قَلِيلَةٍ الْأَقْدَاءِ^(٣)
صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءٍ يَنْسَابُ بَيْنَ أَكْمِ الصَّخْرَاءِ
مِثْلَ أَنْسِيَابِ حَيَّةٍ رَقَطَاءِ آنَسَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالْفَضَاءِ^(٤)
سِرْبَ ظِبَاءٍ رُتَّعِ الْأَطْلَاءِ فِي عَازِبٍ مُنَوَّرٍ خَلَاءِ^(٥)
أَحْوَى كَبْطُنِ الْحَيَّةِ الْخَضْرَاءِ فِيهِ كَنْقَشُ الْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ^(٦)
كَأَنَّهُ ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ يَصْطَادُ قَبْلَ الْأَيْنِ وَالْعَنَاءِ^(٧)

* تَحْسِينٌ لَا تَنْقُصُ فِي الْإِحْصَاءِ *

(١) المخطف : الضامر ، وهو عطف على داهية السابقة : يريد أنه خرج الى الصيد بكلبة وصفها وكلب شرع يصفه فقال : انه موثق الأعضاء أى شديدها محكمها ، وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كآثر الشهاب في السماء .

(٢) الأرجاء : الانحاء . والسوسن : الزنبق .

(٣) البرثن : الناب . والحذاء : الاسكاف .

(٤) السفح : عرض الجبل . وأنس : أبصر . والفاعل : ضمير يعود على المخطف . وسرب ظباء في البيت بعده مفعوله : أى أن هذا الكلب أبصر سرب غزلان . ترتع أطلاؤها : أى أولادها في عازب : أى مرعى خصيب مزهر .

(٦) الأحوى : شديد الخضرة في سواد وهو وصف للعازب قبله .

(٧) الأين : التعب . يقول : ان هذا الكلب يصيد مالا يقل عن خمسين قبل أن يدركه التعب .

الأندلس

(١) النثر

النثر الفنى

١ — نبذة من الرسالة الجديدة لابن زيدون^(١)

وهى التى كتبها لأبى الحزم بن جمهور أمير قرطبة

وهو فى سجنه يستعطفه

« يا مولاي وسيدي الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدائى به وامتمادى
منه ، ومن أبقاه الله تعالى ماضى حدّ العزم ، وأرى زند الأمل ، ثابت عهد
النعمة . إن سلبتنى — أعزك الله — لباس إنعامك ، وعظمتنى من حلى إيناسك ،
وأظمأتنى إلى برود^(٢) إسعافك ، ونفضت بى كفّ حياطتك ؟ وغضضت عني
طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائى عليك ،
وأحسن الجهاد باستحداى لك ، فلا غرو قد يغص^(٣) بالماء شاربى ، ويقتل الدواء
المستشفى به ، ويؤت الحذر من مأمينه ، وتكون منية التمنى فى أمنيته
والحين^(٤) قد يسبق جهد الحريص :

كل المصائب قد تمرّ على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

(١) هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون القرطبى وزير آل جمهور بقرطبة

ثم آل عباد بأشبيلية وصاحب الرسالتين الجديدة والهزلية توفى سنة ٤٦٣ هـ .

(٢) البرود : الماء البارد ، أى إسعافك الذى هو كالماء البارد فى أروائه للغليل .

(٣) يغص : يشرق .

(٤) الحين : الهلاك .

وَإِنِّي لَا تَجَلَّدُ ، وَأَرَى الشَّامِتِينَ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمُّعُ ؛ فَأَقُولُ : هَلْ
أَنَا إِلَّا يَدٌ أَدَمَّاها سِوَارُهَا ، وَجَبِينَ عَضَّ بِهِ إِكْلِيلُهُ ، وَمَشْرِفِي^(١) الصَّقَّةَ بِالْأَرْضِ
صَاقِلُهُ ، وَسَمْهَرِي^(٢) عَرَضَهُ عَلَى النَّارِ مُثَقِّفُهُ ، وَعَبْدُهُ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبُ
الَّذِي يَقُولُ :

فَقَسَا لِيَرْدَجِرُوا ؛ وَمَنْ يَكْ حَازِمًا فليَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

هَذَا الْعُتْبُ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ ، وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ^(٣) غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي ، وَهَذِهِ النَّكْبَةُ
سَحَابَةٌ صَيْفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ^(٤) وَلَنْ يَرِيَنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ أَبْطَأَ سَيِّمُهُ^(٥) ، أَوْ تَأْخِرَ
غَيْرَ ضُنَيْنٍ غَنَاؤُهُ ، فَأَبْطَأُ الدَّلَاءَ فَيَضًا أَمْلُؤُهَا ، وَأَثْقُلُ السَّحَابَ مَشْيَا أَحْفَلُهَا ،
وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَدَفَ جَدُّبًا ، وَأَلَذُّ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَلِيلًا . وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ
وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . لَهُ الْحَمْدُ عَلَى أُهْتِبَالِهِ^(٦) ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ .

فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ أَلُوفَ

(١) المشرق : السيف ينسب الى مشارف الشام .

(٢) السمهري : الرمح ينسب الى سمهر وهو صانع للرمح وزوجه ردينة كانت تعمل معه السلاح

واليهما تنسب الرماح .

(٣) النبوة : الجفوة .

(٤) تقشع : تتكشف وتزول .

(٥) السيب : العطاء .

(٦) الاهتبال : الاغتنام ، أى اغتنام معروفة .

وأعودُ فأقول : ما هذا الذنبُ الذي لم يَسْعُهُ عَفْوُكَ ، والجهلُ الذي لم يَأْتِ
من ورائهِ حِلْمُكَ ؟ والتطاولُ الذي لم يستغْرِقْهُ تَطَوُّلُكَ^(١) ، والتحامِلُ الذي لم
يَفْ به احتمالُكَ ؟ ولا أَخْلُو من أن أكونَ بَرِيئًا ، فأين العدلُ ؟ أو مسيئًا ،
فأينَ الفضلُ ؟

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ

ومنها :

وهل لبسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بَرْدًا طَرَزَتْهُ بِفَضَائِلِكَ^(٢) ؟ وَتَقَلَّدَتْ الْجُوزَاءُ إِلَّا
عَقْدًا فَصَّلَتْهُ بِمَآثِرِكَ ؟ وَاسْتَمَلَى الرَّبِيعُ إِلَّا ثَنَاءً مَلَأَتْهُ بِمَحَاسِنِكَ ؟ وَبَثَّ الْمَسْكُ
إِلَّا حَدِيثًا أَذْعَتْهُ فِي مَحَامِدِكَ ؟ مَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ^(٣) بِسِرِّ ! وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُشْكُ
سَلِيمًا ، وَلَا خَلِيَّتِكَ عَطَلًا ، وَسَمْتِكَ غَفَلًا ، بَلْ وَجَدْتَ آجِرًا وَجِصًا فَبَنَيْتَ ، وَمَكَانَ
الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتَ .

(٢) الفتح بن خاقان

قال في كتابه قلائد العقيان في ترجمة أبي الفضل بن حسداى^(٤) :
ولما أعرسَ المستعينُ بالله بنتَ الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز احتفل
أبوه المؤمن بالله في ذلك احتفالاً شهَرَهُ ، وأبدع فيه إبداعاً راقٍ من حضره وبهره ،

(١) التطول : التكرم .

(٢) يبالغ في أن بياض الصبح مستعار من مشهور ثنائه عليه وكذلك العبارات الآتية .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر المتعالم المشهور . وحليمة هذه : هي بنت الحارس بن أبي شمر
الفسانى وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء فضمختهم بالطيب جميعا فقل : ما يوم . الخ

(٤) ابن حسداى : كان وزيرا للمؤمن والمستعين من ملوك الطوائف . وكان يهوديا واسلم وله
كتابة بليغة موجزة تظهر عليها مسحة الفلسفة .

فإنه أحضر فيه من الآلات المبتدعة ، والأدوات المخترعة ، ما بهر الألبات ، وقطع
دون معرفتها الأسباب ، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس من داني وقاص ،
ومطيع وعاص ، فأتوه مسرعين ، ولبؤه متبرعين ، وكان مدير تلك الإراغة^(١)
ومدبرها ، ومنشئ مخاطباتها ومخبرها الوزير الكاتب أبو الفضل ، وصدرت
عنه في ذلك الوقت كتب ظهر إعجازها ، وبهر اقتضاها وإيجازها . فمن ذلك :
ماخطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر :

« محمّلك أعزّك الله في طيّ الجوانح ثابت وإن نزحت الدار ، وعيانتك
في أحناء الضلوع بادٍ وإن شحط المزار ، فالنفس فائزة منك بتمثيل الخاطر بأوفر
الحظ ، والعين نازعة إلى أن تتمتع من لقائك بظفر اللحظ ، فلا عائدة أسبع
برداً ، ولا موهبة أسوغ ورداً ، من تفضلك باللحوق إلى مانس ييم بمشاهدتك
التمامه ، ويتصل بمحاضرتك انتظامه . ولك فضل الإجمال ، بالإمتاع عن ذلك
بأعظم الآمال . وأنا (أعزّك الله) على شرف سُوديك حاكم ، وعلى مشرع سنائك
حائم . وحسبي ما تتحقّقه من نزاعى وتشوّقى ، وتتيقّنه من تطلعى وتثوّقى .
وقد تمكّن الأرتياح باستحكام الثقة ، وأعرض الاقتراح ، بارتقاب الصلة .
وأنت وصل الله سعدك بسماحة شيمك ، وبارع كرمك ، تنشئ للمؤانسة عهداً ،
وتورى بالكارمة زندا ، وتقتضى بالمشاركة شكراً حافلاً وحمداً . لازلت مهنأً
بالسعود المقبلة ، مسوَّغاً اجتلاء غرر الأمانى التهلّة بمنه .

(٣) الوزير الكاتب أبو عمرو الباجي^(١)

كتب رحمه الله تعالى يصف مطرا نزل بعد قحط قال :

إن لله تعالى قضايا واقعة بالعدل ، وعطايا جامعة للفضل ، ومنحاً يبسطها
إذا شاء ترفيها وإنعاما ، ويقبضها إذا أراد تنبيها وإلهاما ، ويجعلها صلاحاً وخيراً ،
وعلى آخرين فساداً وضيئاً : (وهو الذي يُنزلُ الغيثَ من بعد ما قنطوا وينشرُ
رحمته وهو الوليُّ الحميد) . وإنه بعد ما كان من امتسالك الحيا^(٢) ، وتوقف السقيا
الذي ريع^(٣) به الآمن ، واستطير له الساكن ، ورجفت الأكبَادُ فزعاً ، وزهلت
الألبابُ جزعاً وأذكت ذكاء^(٤) حرَّها ، ومنعت السماء دَرَّها ، واكتست الأرضُ
غُبْرَةً بعد خُضرة ، ولبست شُجوباً بعد نُضرة ، وكادت بُرود^(٥) الأرض تُطوى ،
ومُدود^(٦) نِعَمِ الله تُزوى^(٧) — نشرَ الله تعالى رحمته ، وبسطَ نعمته ، وأتاح^(٨)
مِنته ، وأزاحِ محنته ، فبعثَ الرياحَ لواقِحَ ، وأرسلَ الغمامَ سَوافِحَ ، بماء دَفَقَ ،
ورَواءَ غَدَقَ^(٩) مِنْ سماء طَبَقَ^(١٠) ، استهلَّ جفئها فدمع ، وسحَّ دمعها فهمع ،

(١) هو أحد كتاب الأندلس البلغاء ، خدم بالكتابة في عدة دول من ملوك الطوائف وأخصهم
المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) ريع : خوف .

(٤) ذكاء : اسم للشمس .

(٥) البرود : الثياب ، يريد بها ما يكسو الأرض من الخضرة .

(٦) المدود : جمع مدد بمعنى المعونة .

(٧) تزوى : تمنع وتطوى .

(٨) أتاح : هيا وقدر .

(٩) الرواء : المطر الذي يروى . وغدق : كثير شامل .

(١٠) السماء هنا : المطر . والطبق : المطر العام .

وصابَ وبلها فنقَعَ ، فاستوفت الأرض رِيًّا ، واستكملت من نباتها أثاثا ورثيا^(١) ،
فزينة الأرض مشهورة ، وحلة الروض منشورة ، ومنة الرب موفورة ، والقلوب
ناعمة بعد بوسها ، والوجوه ضاحكة بعد عبوسها ، وآثارُ الجزع ممحوّة ،
وسورُ الحمد متلوّة ، ونحن نستزیدُ الواهبَ نعمة التوفيق ، ونستهديه في قضاء
الحقوق إلى سواء الطريق ، ونستعیدُ به من المنّة أن تصیرَ فتنة ، ومن المنحة أن
تعودَ محنة . وهو حسبنا ونعم الوكيل !

(٤) ابن خفاجة^(٢)

فصل من رسالة في وصف رياض غب مطر :

ولما أكبَّ الغمام إكبابا ، لم أجِدْ منه إغبابا^(٣) ، وأتصلَ المطرُ اتصالا ،
لم أَلْفِ منه انفصالا ، أَذِنَ اللهُ تعالى للصَّخْو أن يُطْلِعَ صَفْحَتَهُ ، وَيَنْشُرَ حَقِيفَتَهُ ،
فَقَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ ، كما طَوَى السَّجِلُ الْكِتَابَ ، وَطَافَتِ السَّمَاءُ تَخْلَعُ
جِلْبَابَهَا ، وَالشَّمْسُ تُمِيطُ نِقَابَهَا ، وَطَلَعَتِ الدُّنْيَا تَبْتَهِجُ كَأَنَّهَا عَرُوسٌ تَجَلَّتْ ،
وَقَدْ تَحَلَّتْ ، فَذَهَبَتْ فِي لَمَّةٍ مِنَ الْإِخْوَانِ نَسْتَبِقُ إِلَى الرَّاحَةِ رَكْضًا ، وَنَطْوَى
لِلتَّفَرُّجِ أَرْضًا ؛ فَلَا أُنْدَفِعُ إِلَّا إِلَى غَدِيرِ تَمِيرٍ ، قَدْ أُسْدَرَتْ مِنْهُ فِي كُلِّ قَرَارَةٍ مَاءٌ ،
سَحَابَةٌ غَمَاءٌ^(٤) ، وَأُنْسَابٌ ، فِي تَلْعَتِهِ حَبَابٌ . فَتَرَدَّدْنَا بِتِلْكَ الْأَبَاطِحِ نَهَادَى
نَهَادَى أَغْصَانَهَا ، وَنَتَضَاكُ تَضَاكُ أَقْحَوَانِهَا ، وَلِلنَّسِيمِ ، أَثْنَاءَ ذَلِكَ

(١) الرئي : الثوب ، جمال المنظر .

(٢) هو أبو اسحق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة شاعر شرقى الاندلس وأشهر وصافي الطبيعة بالاندلس ، وكان قليل التكسب بشعره ، توفي سنة ٥٣٣ هـ .

(٣) الإغباب : أن يجيء المرء القوم يوما ويفيب يوما . والمعنى أن الغمام لم يغيب يوما بل بقي هاطلا .

(٤) الغماء : السحابة لافرجة فيها أى اشبهت الأرض السماء فقرارات الغدران أشبهت سحابة السماء الملتئمة .

الْمَنْظَرِ الْوَسِيمِ تَرَسَّلُ^(١) مَشَى ، عَلَى بَسَاطِ وَشَى ؛ فَإِذَا مَرَّ بِغَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرْعًا ،
وَأَحْكَمَهُ صُنْعًا^(٢) ، وَإِنْ عَثَرَ بِجَدُولٍ شَطَبَ^(٣) مِنْهُ نَصْلًا ، وَأَخْلَصَهُ صَقْلًا ؛
فَلَا تَرَى إِلَّا بَطَاحًا ، مَمْلُوءَةً سِلَاحًا ؛ كَأَنَّمَا أُنْهَزِمَتْ هُنَاكَ كِتَابُ ، فَأَلْقَتْ بِمَا لَبَسَتْهُ
مِنْ دِرْعٍ مَصْقُولٍ وَسَيْفٍ مَسْلُولٍ .

(٥) وَهَذَا فَصْلُ الْأَدِيبِ أَبِي عَامِرِ بْنِ عَقَالٍ^(٤)

كُتِبَ بِهِ عَنِ الْأَمِيرِ إِبْرَاهِيمَ يَصِفُ اجْتِيَازَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْبَحْرَ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ
وخمسمائة ، وَفِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ كَانَ جَوَازُهُ (أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى) مِنْ مَرَسِي
جَزِيرَةِ طَرِيفٍ عَلَى بَحْرِ سَاكِنٍ قَدْ ذَلَّ بَعْدَ اسْتِصْعَابِهِ ، وَسَهْلَ بَعْدَ أَنْ رَأَى الشَّامِخَ
مِنْ هِضَابِهِ ، وَصَارَ حَيْثُ مَيِّتًا ، وَهَدَّرُهُ صَمْتًا ، وَجِبَالُهُ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ،
وَضَعْفَ تَعَاطِيهِ ، وَعَقْدَ السَّلْمِ بَيْنَ مَوْجِهِ وَشَاطِئِهِ ، فَعَبَّرَ آمِنًا مِنْ سَطَوَاتِهِ ،
مُتَمَلِّكًا لَصَهْوَاتِهِ ، عَلَى جَوَادٍ يَقْطَعُ الْجُرُوفَ لَمَحًا وَيَكَادُ يَسْبِقُ الرِّيحَ سَبْحًا ،
لَمْ يَحْمِلْ لِحَامًا وَلَا سَرَجًا ، وَلَا عَهْدَ غَيْرِ اللَّجَّةِ الْخَضِرَاءِ مَرَجًا ، عِنَانُهُ فِي رِجْلِهِ^(٥) .
وَهُدْبُ الْعَيْنِ يَحْكِي بَعْضَ شَكْلِهِ ، فَلَهُ دَرُّهُ مِنْ جَوَادٍ ، لَهُ جِسْمٌ وَلَيْسَ لَهُ فُؤَادٌ ،
يَخْرِقُ الْهَوَاءَ وَلَا يَرْهَبُهُ ، وَيَرَى كَبُّ الْمَاءِ وَلَا يَشْرَبُهُ .

(١) الترسل : المشى على مهل وهوادة .

(٢) أى نأ النسيم يجعله صفحة الماء فيجعلها كنسيج حلق الدرع المجلوة .

(٣) شطب الحداد السيف : جعل فيه حزوزا غائرة على طوله . وفيه تشبيه الجدول في صفائه وانحنائه بالسيف العربى .

(٤) كان أديبا شاعرا كاتبا من كتاب بنى قاسم من ملوك الطوائف . ثم لما ملك المرابطون الأندلس وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين . فكان كاتب انشائه .

(٥) رجل السفينة : سكانها (دفتها) أى لأن لمجاديف متراصة متقاربة من الجانبين كأنها الأهداب .

(ب) النثر العلمي

باب ما يهمز فيكون له معنى ، فإذا لم يهمز كان له معنى آخر

من كتاب « المخصص »

يقال : قد رَوَّأت في الأمر . وقد رَوَّيتُ رأسِي بالدهن . وقد تَمَلَّأت من الطعام
والشراب ، وقد تَمَلَّيتُ العيش : إذا عشتُ ملياً أى طويلاً . وتقول : قد تَخَطَّأتُ
له في هذه المسألة ، وقد تَخَطَّيتُ القَدَمَ ؛ لأنه من الخطوة . وقد قرأتُ القرآنَ
وما قرأتِ الناقةُ سَلَّاقُطُ ، أى لم تُلق وَلَدًا أراد أنها لم تحمل . وقد قرَّيتُ الضيفَ ،
وقد سَوَّأتُ عليه ما صنع ، إذا قلتُ له : أسأتَ ، وقد سَوَّيتُ الشَّيءَ . والعرب
تقول : إن أصبتُ فَصَوَّبْتَنِي ، وإن أخطأتُ نَخَطَّطْنِي ، وإن أسأتُ فسَوَّيْتُ عَلَى .
وقد خَبَأَ الشَّيءُ يَخْبُوهُ خَبْئًا — وقد خَبَتِ النارُ خُبُونًا — إذا ذهبَ لَهَبُهَا ، وقد
برأتُ مِنَ المرضِ أَرَأُ بُرْءًا ، وقد بَرَّيتُ القَلَمَ . وقد بارأتُ شريكِي — إذا
فارقته — وقد بارأ الرجلُ امرأته ، وَباريتُ فلاناً إذا كنتَ تفعلُ ما يفعلُ ؛ وفلان
يُبَارِي الرِّيحَ سخاءً .

(١) ابن هانيء الأندلسي^(١)

قال من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويصف أسطوله وكان يومئذ أقوى أسطول
في البحر الأبيض المتوسط :

أَمَّا وَالْجَوَارِي الْمُنْشَاتِ الَّتِي سَرَتْ لَقَدْ ظَاهَرَتْهَا عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
قِبَابُ كَمَا تَرْجَى الْقِبَابُ عَلَى الْمَاهَا وَلَكِنَّ مَنْ مُضِمَّتْ عَلَيْهِ أُسُودُ^(٢)
وَلِلَّهِ — مِمَّا لَا يَرَوْنَ — كِتَابُ مُسَوِّمَةٌ تَحْدُو بِهَا وَجُنُودُ^(٣)
أَطَاعَ لَهَا أَنْ الْمَلَائِكَ خَلَفَهَا كَمَا وَقَفَتْ خَلْفَ الصُّفُوفِ رُدُودُ^(٤)
وَأَنْ الرِّيَّاحَ الذَّارِيَاتِ كِتَابُ وَأَنَّ النُّجُومَ الطَّالِمَاتِ سُعُودُ

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانيء الأندلسي الأزدي. ولد بأشبيلية بالأندلس ، ونشأ بها فقال الشعر وفاق كل أدباء المغرب في عصره . ولازم وهو شاب أمير أشبيلية ، فمدحه بمدائح تغالي فيها ، حتى اتهموه بالكفر ، فخرج الى عدوة المغرب . وهناك الدولة الفاطمية مستولية عليه ، فاتصل بالمعز ومدحه وأعجب به . ولما فتح القائد جوهر مصر وبنى القاهرة انتقل اليها المعز ، وبعد مدة لحق به شاعرنا ، فمات في الطريق ولم يبلغ الأربعين سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) أي على الحسان اللاني يشبهن الماه .

(٣) والله كتائب مسومة : أي من الملائكة تحدوها .

(٤) أطاع لها : أي دان لها وتهاى وانتقاد . وأن الملائك وما عطف عليه فاعل أطاع . والردود :

جمع رد بالكسر وهو ما يعتمد عليه ويرجع اليه .

وما راعَ ملكَ الرُّومِ إلا اطلّاعُها تَدَشَّرُ أَعْلَامُهَا وَبُنُودِ
 عليها غمامٌ مُكْفَهَرٌ صَبِيرُهُ له بَارَقَاتٌ جَمَّةٌ وَرُعودُ^(١)
 مواخِرُ في طامِي العُبابِ كأنها لِعِزِّمِكَ بَأْسٌ أَوْ لِكِفِّكَ جُودِ
 أنافتَ بها أعلامُها ، وسما لها بناءً على غيرِ العراءِ مَشِيدِ
 وليس بأعلى شاهقٍ ، وهو كوكبٌ ، وليس من الصُّفَّاحِ ، وهو صُلُودِ
 من الراسياتِ الشَّمَّ لولا اُنْتَقَالُها فمنها قِنَانٌ شَمَخَ وَرُيُودِ^(٢)
 من الطيرِ إلا أنهن جوارِحُ فليس لها إلا النفوسَ مَصِيدُ
 من القادحاتِ النارِ تُضْرَمُ لِلصَّلَى فليس لها يومَ اللقاءِ خُمُودِ
 إذا زَفَرَتْ غَيْظًا ترامتِ بِمَارِجِ كما شُبَّ من نارِ الجحيمِ وَقُودِ
 فافواهُنَّ الحامياتُ صَواعِقُ وأنفاسُهُنَّ الزافراتُ حَدِيدِ
 يُشَبُّ لالِ الجاثليقِ سَعِيرُها وما هي من آلِ الطريدِ بَعِيدِ
 لها شُعْلٌ فوقِ الغمارِ كأنها دماءٌ تَلَقَّتْها مَلاحِفُ سُودِ
 تُعَانِقُ مَوْجَ البحرِ حتى كأنه سَلِيطٌ لها فيه الدُّبَالُ عَتِيدِ
 ترى الماءَ فيها ، وهو قانٍ عُبَابُهُ كما باشرتْ رَدْعَ الخَلُوقِ جُلُودِ^(٣)
 فليس لها إلا الرِّيحَ أَعْنَةُ وليس لها إلا الحَبَابَ كَدِيدِ^(٤)

(١) الصبِيرُ : السحابة فوق أخرى ، أو السحاب المتراكم . يريد به دخان مقلوفاتها ونيرانها
 وأصواتها .

(٢) الريود : جمع ريد وهو القطعة من الجبل . والقنان : جمع قنة .

(٣) الردع : الزعفران أو أثر الطيب في الجسد . والخلوق : ضرب من الطيب .

(٤) الحباب : يراد به الموج . والكديد : الأرض الصلبة .

وغيرُ المذاكى نَجَرها غير أنها مُسَوِّمَةٌ تحت الفوارس قُودٌ^(١)
 ترى كُلَّ قوداءِ التَّلِيلِ إذا اُنْثَنَتْ سِوَالفُ غِيدٍ بالمها وَقُدُودٌ^(٢)
 رَحِيمةٌ مَدَّ الباع وهي نَضِيحةٌ بغيرِ شَوَى ، عذراءٌ وهي ولودٌ^(٣)
 تَكْبَرْنَ عَنْ نَقْعٍ يُثَارُ ، كأنها مَوَالٍ ، وَجُرْدُ الصَّافِنَاتِ عَبِيدُ
 لها من شُفُوفِ الْعَبْقَرَى مَلَابِسٌ مَفُوفَةٌ فيها النُّضَارُ جَسِيدٌ^(٤)
 كما اشتملتُ فوق الأرائكِ خُرْدٌ أَوْ أَلْتَفَعْتُ فوق المنابرِ صِيدٌ^(٥)
 لِيُوثَّ تَكْفُ المَوْجِ ، وهو غَطَامَطٌ وتَدْرَأُ بِأَسِّ اليمِّ ، وهو شديدٌ^(٦)
 فمنه دروعٌ فوقها وجواشِنٌ ومنه خَفَاتَيْنِ لها وَبُرُودٌ
 أَلَا في سَبِيلِ اللَّهِ تَبْدُلُ كُنْهَ مَا تَضِنُّ بِهِ الْأَنْوَاءُ وهي جَمُودٌ
 فَلَا غَرَوْا إِنْ أَعَزَّتْ دِينَ مُحَمَّدٍ فَأَنْتَ لَهُ دُونَ الْمُلُوكِ عَقِيدٌ

(١) المذاكى : الخيل . والنجر والنجار : واحد وهو الأصل . والقود : جمع أقواد أو قوداء وهو الذلول المنقاد : أى تنسب لغير الخيل مع أن ركبها فرسان .

(٢) قوداء التلِيل : طويلة العنق : أى إذا انثنت شعور سِوَالف الغيد الحسان الشبيهات بالمها على أعناقهن ، أو تمايلت قدودهن كانت السفينة من هذه السفن تشبها بانثناء عنقها على صدرها وكانوا يجعلون في مقدم السفينة صورة رأس ثور أو كبش أو نعامة .

(٣) يريد بالباع المجاديف ؛ فهي تمد باعها ، وليس لها شوى أى أطراف . وقوله وهي ولود أى أنه يتبعها أو يكون لها زوارق صغار .

(٤) أى لها من النقوش الجميلة الألوان ما يشبه الثياب العبقريّة المفوقة أى المخططة بالبياض المذهبة .

(٥) أى أنها تشتمل بهذه النقوش كما تشتمل الجوارى الخرد الثياب، وهن جالسات على الأرائك، أو يلتفع الخطباء الصيد وهم فوق المنابر .

(٦) بحر غطامط وموج غطامط : عظيم هائج .

وقال من قصيدة يمدح بها القائد جوهرًا ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان إلى مصر ويصف الجيش وخروجه للتشييع وكان الزحام قد أفاته مقابلة القائد جوهر حتى لحقه ليلاً :

رَأَيْتُ بَعَيْنِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ	وَقَدْ رَاعَنِي يَوْمٌ مِنَ الْحَشْرِ أَرْوَعُ
غَدَاةَ كَأَنَّ الْأَفْقَ سُدَّ بِمِثْلِهِ	فَمَادَّ غُرُوبَ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَطَلَّعُ
فَلَمْ أَدْرِ إِذْ سَلَّمْتُ كَيْفَ أَشِيعُ	وَلَمْ أَدْرِ إِذْ شِيعْتُ كَيْفَ أُوَدَّعُ
وَكَيْفَ أَخُوضُ الْجَيْشَ وَالْجَيْشُ لُجَّةٌ	وَإِنِّي بَيْنَ قَادِ الْجُيُوشِ لَمَوْلَعُ
وَأَيْنَ؟ وَمَالِي بَيْنَ ذَا الْجَمْعِ مَسَلَكُ	وَلَا لِجَوَادِي فِي الْبَسِيطَةِ مَوْضِعُ
أَلَا إِنَّ هَذَا حَشْدٌ مَنْ لَمْ يَذُقْ لَهُ	غَرَارَ الْكَرَى جَفَنٌ، وَلَا بَاتَ يَهْجَعُ
نَصِيحَتَهُ لِلْمَلِكِ سَدَّتْ مَذَاهِبِي	فَمَا بَيْنَ قَيْدِ الرَّمْحِ وَالرُّمَحِ إَصْبَعُ
فَقَدْ ضَرَعْتُ حَتَّى الرَّوَاسِي لِمَارَاتُ	فَكَيْفَ قُلُوبُ الْإِنْسِ؟ وَالْإِنْسُ أَضْرَعُ
فَلَا عَسْكَرٌ مِنْ قَبْلِ عَسْكَرِ جَوْهَرٍ	تَخُبُّ الْمَطَايَا فِيهِ عَشْرًا، وَتُوضَعُ ^(١)
تَسِيرُ الْجِبَالُ الْجَامِدَاتُ لَسِيرِهِ	وَتَسْجُدُ مَنْ أَدْنَى الْخَفِيفِ وَتَرْكَعُ
إِذَا حُلَّ فِي أَرْضٍ بَنَاهَا مَدَائِنَا	وَإِنْ سَارَ عَنْ أَرْضِ ثَوْتٍ وَهِيَ بَلْقَعُ ^(٢)
سَمَوْتُ لَهُ بَعْدَ الرِّحِيلِ، وَفَاتَنِي	فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا لَا يُبْلَائِمُ مَضْجَعُ
فَلَمَّا تَدَارَكْتُ الشَّرَادِقَ فِي الدُّجَى	عَشَوْتُ إِلَيْهِ، وَالْمَشَاعِلُ تَرْفَعُ

(١) الحُبب والايضاع : نوعان من السير . أى أن المطايا تسير في امتداده عشر ليال ، مبالغة في

طوله .

(٢) إذا حل أى جوهر ، أو نفس الجيش يحتاج الى بناء مدينة . وكذلك كانت القاهرة في أول

فَبِتُّ ؛ وَبَاتَ الْجَيْشُ جَمًّا سَمِيرُهُ يُورِّقُنِي ، وَالْجُنُّ فِي الْبَيْدِ مُجَّعُ
فَتَخْرِقُ جَيْبَ الْمُرْنِ وَالْمُرْنُ دَاخُ وَنُوقِدُ مَوْجَ الْيَمِّ ، وَالْيَمُّ أَصْقَعُ^(١)
وَهُمَّهَمَ رَعْدُهُ آخِرَ اللَّيْلِ قَاصِفُ وَلَا حَ مَعَ الْفَجْرِ الْبَوَارِقُ تَلْمَعُ
وَأَوْحَتْ إِلَيْنَا الْوَحْشُ : مَا اللَّهُ صَانِعُ بِنَاؤِكُمْ مِنْ هَوْلٍ مَا تَسْمَعُ ؟
وَلَمْ تَعْلَمْ الطَّيْرُ الْخَوَائِمُ فَوْقَنَا إِلَى أَيْنَ نَسْتَذِرِي وَلَا أَيْنَ تَفْزَعُ^(٢)
إِلَى أَنْ تَبْدَى سَيْفُ دَوْلَةِ هَاشِمٍ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مِنْ اللَّهِ يَسْطَعُ

وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي :

فَتَكَاتُ طَرْفُكَ ، أَمْ سَيْفُ أَبِيكَ وَكُثُوسُ خَمْرٍ ، أَمْ مَرَّاشُ فَيْكِ
أَجْلَادُ مُرْهَفَةٍ وَفَتْكَ مُحَاجِرٍ ؟ مَا أَنْتِ رَاحِمَةٌ وَلَا أَهْلُوكِ !
يَا بِنْتَ ذِي الْبُرْدِ الطَّوِيلِ نَجَادُهُ أَكْذَابُ يَجُوزُ الْحُكْمُ فِي نَادِيكَ ؟^(٣)
قَدْ كَانَ يَدْعُونِي خِيَالُكَ طَارِقًا حَتَّى دَعَانِي بِالْقَنَاءِ دَاعِيكَ
عَيْنَاكَ أَمْ مَغْنَاكَ مَوْعِدُنَا ؟ وَفِي وَادِي الْكَرَى أَلْقَاكَ أَمْ وَادِيكَ ؟
مَنْعُوكِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى ، وَسَرَوَا ؛ فَلَوْ عَثَرُوا بِطَيْفِ طَارِقِ ظَنُّوكِ
وَدَعُوكِ نَشْوَى ، مَا سَقُوكِ مُدَامَةً ! لَمَّا تَمَائِلَ عِطْفُكَ أَهْمُوكِ
حَسِبُوا التَّكَحُّلَ فِي جُفُونِكَ جَلِيَّةً تَالَهُ مَا بَأْ كَفِّهِمْ كَحَلُّوكِ !

(١) فتخرق أى المشاعل المتقدمة : أى ضوء المشاعل يخترق السحاب الدائح أى المتسع العظيم ويمتد إلى البحر فيجعله كأنه متقد مع أن البحر بارد . أصقع أى كأنه مغطى بالصقيع .

(٢) تستدري : تطلب ذرا تلتجىء إليه أى كنفا .

(٣) يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

وَجَلَوْتُ لِي إِذْ نَحْنُ غُصْنَا بَانَةً حَتَّى إِذَا احْتَفَلَ الْهَوَى حَجَبُوكَ !
 وَلَوَى مُقَبِّلِكَ اللَّثَامُ ، وَمَا دَرَوْا أَنَّ قَدْ لُثِمْتَ بِهِ ، وَقَبْلَ فُوكَ
 فَضَعِي الْقِنَاعَ فَقَبَّلَ خَدَّكَ مُجَرَّتْ رَايَاتُ يَحْيَى بِالْدِّمِ الْمُسْفُوكِ
 وقال يرثي والده يحيى وجعفر ابني علي :

إِنَّا ، وَفِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طُولٌ ، وَفِي أَعْمَارِنَا قِصَرٌ
 لَنَرَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعَنَا لَوْ كَانَتْ الْأَلْبَابُ تَعْتَبِرُ !
 مِمَّا دَهَانَا أَنْ حَاضِرَنَا أَجْفَانُنَا ، وَالْغَائِبُ الْفِكْرُ
 وَإِذَا تَدَبَّرْنَا جَوَارِحَنَا فَأَكَلَّهِنَّ الْعَيْنُ وَالنَّظَرُ
 لَوْ كَانَ لِلْأَلْبَابِ مُمْتَحِنٌ مَا عُدَّ مِنْهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ (١)
 أَيْ الْحَيَاةِ الَّتِي عِشْتَهَا مِنْ بَعْدِ عِلْمِي أَنَا بِشَرِّ ؟
 خَرِسْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ أَلَسْنَا لَمَّا تَكَلَّمْ فَوْقَنَا الْقَدَرُ

(٢) ابن بُرْدُ الْأَصْغَرُ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَنْدَالِيسِ

قال يصف السحب والبرق :

وَمَا زِلْتُ أَحْسَبُ فِيهِ السَّحَابَ وَنَارُ بَوَارِقِهَا تَلْهَبُ
 بِنَحَاتِي تَوْضِعُ فِي سَيْرِهَا وَقَدْ قُرِعَتْ بِسَيَاطِ الذَّهَبِ

(١) أي ماعد من الالباب : السمع والبصر ، لأن السمع يسمع المواعظ فلا يتعظ ، والبصر يبصر

(٣) أحمد بن عبد ربه الأندلسي^(١)

قال في الوصف ؛ يصف حماما :

ونأخِ في غُصُونِ الدَّوْحِ أَرْقَنِي وما عُنيْتُ بِشَيْءٍ ظِلَّ يَعْنِيهِ
مُطَوَّقٍ بِعُقُودٍ ما تُزَايِلُهُ حتى تُزَايِلَهُ إِحْدَى تَرَاقِيهِ^(٢)
قد بات يَبْكِي بِشَجْوٍ ما دَرَيْتُ بِهِ وبتُّ أَبْكِي بِشَجْوٍ لَيْسَ يَدْرِيهِ

وقال في المدح :

كَرِيمٌ عَلَى الْعِلَّاتِ جَزَلٌ عَطَاؤُهُ مُنِيلٌ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدَ لِنَوَالِ
وما الجودُ مَنْ يُعْطَى إِذَا ما سَأَلْتَهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُعْطَى بِغَيْرِ سُؤَالِ

وقال يصف سيفا :

وَذِي شُطْبٍ تَقْضِي الْمَنَايا بِحُكْمِهِ وَلَيْسَ لِمَا تَقْضِي الْمَنِيَّةُ دَافِعٌ^(٣)
فِرْنْدٌ إِذَا ما أُعْتِنَ لِلْعَيْنِ رَاكِدٌ وَبَرَقٌ إِذَا ما أَهْتَزَّ بِالْكَفِّ لَامِعٌ^(٤)
يُسَلِّلُ أَرْوَاحَ الْكُماةِ أَنْسِلَاهُ وَيَرْتَاعُ مِنْهُ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ رَائِعٌ
إِذَا ما أُلْتَقَتْ أَمْثَالُهُ فِي وَقِيعَةٍ هُنَالِكَ ظَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَاقِعٌ^(٥)

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر الوشاح المؤلف أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد

الذي يعد من أركان الأدب العربي توفي سنة ٣٢٨ هـ . .

(٢) يريد بالعقود ما يرى من الألوان في عنقه .

(٣) الشطب : الحزوز في جانبي السيف طولا .

(٤) اعتن : ظهر وبدا .

(٥) أى ماتظنه النفس من الهلاك واقع لا محالة .

وقال أيضاً :

بكلِّ مأثورٍ على مَتنه مثلُ مدب النمل في القاع^(١)
يرتدَّ طرفُ العين عن حدّه عن كوكبِ الموتِ لماعٍ

(٤) ابن زيدون^(٢)

قال :

أضحى التناي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقينا تجافينا
بنتم وبنّا ؛ فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ، ولا جفت مآقينا^(٣)
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الأسى لولا تأسينا^(٤)
حالت لفقدكم أيامنا ، فغدت سوداً ، وكانت بكم بيضاً ليالينا^(٥)
إذ جانب العيش طلق من تالفنا وموردُ اللهو صافٍ من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأنس دانيةً قطوفها ؛ فجئنا منه ماشينا^(٦)
ليسقَ عهدكم عهد السرور ؛ فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

(١) أى يلوح ويتراءى لمن ينظر اليه أمثال مداب النمل من انعكاس الضوء وانكساره على صفحته ، وذلك يبين في السلاح المجلو من الفولاذ الذكر .

(٢) مرت ترجمته عند نشره .

الجوانح : جمع جانحة : وهى الضلع . والمراد بالجوانح : ما تجنه من القلب والحشا الملتهب بالحب . وقوله : (ولا جفت مآقينا) أى ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم .

(٤) التأسى : التصبر .

(٥) حالت : استحالت من بيض الى سود .

(٦) هصرنا : أملنا الى ناحيتنا .

مَنْ مُبْلِغُ الْمَلْسِينَا بِاتِّزَاحِهِمْ حُزُنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى ، وَيُبْلِينَا^(١)
 إِنْ الزَّمَانَ الَّذِي مَا زَالَ يُضْحِكُنَا أَنْسَا بِقُرْبِكُمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا
 مَا حَقَّقْنَا أَنْ تَقْرُؤَا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ بِنَا ، وَلَا أَنْ تَسْرُؤَا كَاشِحًا فِينَا^(٢)
 غِيْظَ الْعَدَى مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعَوْا بِأَنْ نَعَصَّ ، فَقَالَ الدَّهْرُ : آمِينَا !
 فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا وَأُنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا
 وَقَدْ نَكُونُ ، وَمَا يُخَشَى تَفَرُّقُنَا فَالْيَوْمَ نَحْنُ ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا
 لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ رَأْيًا ، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
 لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَا يُغَيِّرُنَا إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا
 وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ ، وَلَا أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
 وَلَا اسْتَفْذَنَّا خَلِيلًا عَنْكَ يَشْغَلُنَا وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلًا مِنْكَ يُسْلِينَا
 يَأْسَارَى الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ فَاسَقِ بِهِ مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوُدِّ يَسْقِينَا
 وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتِنَا مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
 يَا رَوْضَةً طَالَمَا أُجْنَتْ لَوَاحِظُنَا وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًّا وَنِسْرِينَا^(٣)
 وَيَا حَيَاةَ تَمَلِّينَا بِزَهْرَتِهَا مُنَى ضُرُوبًا وَلَذَاتٍ أَفَانِينَا^(٤)

(١) الانتزاح : الافتراق .

(٢) أقر الله عينه بالسلامة : ضد أسخنتها بالوجع والمراد أن تسروا الحاسد . والكاشح : المضمحل للعداوة . والواشى : المبغض .

(٣) النسرين : نوع من الورود أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة .

(٤) تملينا : استمعنا ، والمنى جمع منية . والضروب هنا : الأنواع . والأفانين هنا جمع أفنون وهو النوع والضرب أى لذات مختلفة الشكول .

ويا نَعِيمًا خَطَرَنَا مِنْ غَضَارَتِهِ فِي وَشَى نُعْمَى سَحَبْنَا ذَيْلَهَا حِينَا^(١)
لَسْنَا نُسَمِّكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً وَقَدَرُكَ الْمُعْتَلَى عَنْ ذَاكَ يُغْنِينَا
إِذَا انْفَرَدْتَ وَمَا شُورِكَتِ فِي صِفَةٍ فحَسْبُنَا الوُصْفُ إِيضَاحًا وَتَبَيِّنَا
يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبَدِلْنَا بِسَلْسَلِهَا وَالْكَوْثِرِ الْعَذْبِ زَقُومًا وَغَسْلِينَا^(٢)
كَأَنَّنَا لَمْ نَبِ بِنَبِّ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا
سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يُفْشِينَا
إِنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِي الدُّنْيَا اللَّقَاءُ فَنِي مَوَاقِفِ الْحَشْرِ نَلْقَاكُمْ وَيَكْفِينَا
لَا غَرْوُ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ نَهَتْ عَنْهُ النَّهْيُ وَتَرَكْنَا الصَّبْرَ نَاسِينَا
إِنَّا فَرَأْنَا الْأَسَى يَوْمَ النُّوَى سُورًا مَكْتُوبَةً ، وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا
أَمَّا هَوَاكَ فَلَمْ نَعْدِلْ بِمَنْهَلِهِ شِرْبًا ، وَإِنْ كَانَ يُرْوِينَا فَيُظْمِينَا
لَمْ نَجْفِ أَفْقَ جَمَالٍ أَنْتِ كَوُكْبُهُ سَالِينَ عَنْهُ ، وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِينَا
وَلَا اخْتِيَارًا تَجَنَّبْنَاكَ عَنْ كَثَبِ لَكِنْ عَدَّتْنَا عَلَى كَرِهِ عَوَادِينَا^(٣)
نَاسَى عَلَيْكَ إِذَا حُتَّتْ مُشْعَشَعَةٌ فِينَا الشَّمُولُ وَغَنَّا مُغْنِينَا^(٤)
لَا أَكُوْسُ الرِّيحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا سِيمَا أُرْتِيَاحٍ ، وَلَا الْأَوْتَارُ تُلْهِينَا

(١) خطر الرجل في مشيته رفع يديه ووضعهما عجا وتيها . والفضارة : النعمة والسعة والخصب . والوشى نوع من الثياب الحريرية المنقوشة .

(٢) السلسل : الماء العذب المبرد . والكوثر : الكثير من كل شيء ، والنهر ، ونهر في الجنة . والزقوم المذكور في القرآن الكريم ، يراد به ضرب من العذاب في النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة تكون في أصل الجحيم هذا اسمها . والغسلين : ما ينغسل من الثياب ونحوها . وغسلين النار : ما ينغسل من جلود الكفار فيها .

(٣) عن كَثَب : عن قرب . وعدتتنا العوادي : صرفتنا الصوارف . وهى شواغل الدهر وصروفه .

(٤) الشمول : من أسماء الخمر والمشعشة المزوجة بالماء .

دُومِي عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا مُحَافِظَةً فَأُحَرِّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا
فَمَا أُبْتَغِينَا خَلِيلًا مِنْكَ يُحْبِسُنَا وَلَا اسْتَفْدَنَا حَبِيبًا عَنْكَ يُغْنِينَا
وَلَوْ صَبَا نَحْوَنَا مِنْ عُلوِّ مَطْلَعِهِ بَدْرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ - حَاشَاكَ - يُصْبِينَا
أَوَّلِي وَفَاءً ، وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً فَالذِّكْرُ يُقْنِعُنَا ، وَالطِّيفُ يَكْفِينَا
وَفِي الْجَوَابِ اقْتِنَاعٌ لَوْ شَفَعَتْ بِهِ بِيضَ الْأَيْدِي الَّتِي مَازَلْتَ تُولِينَا
عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ صِبَابَةٌ مِنْكَ تُخَفِّيهَا فَتَخْفِينَا
وَقَالَ فِي الذِّكْرِ مَتَوَجَعًا :

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُحِبًُّ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطَا إِذْ شَيَّعَكَ
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءً وَسَنَى حَفِظَ اللَّهُ زَمَانَا أَطْلَعَكَ
إِنْ يَطْلُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَيْتٌ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

(٥) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عِمَارٍ^(١)

قَالَ :

وَهَوَيْتُهُ يَسِقِي الْمَدَامَ كَأَنَّهُ قَرُّهُ يَطُوفُ بِكَوْكِبٍ فِي حِنْدِسٍ
مُتَارِّجَ الْحَرِّ كَاتٍ تَنْدَى رِيحُهُ كَالْفُصْنِ هَزَّتْهُ الصَّبَا بِنَفْسٍ
يَسْعَى بِكَأْسٍ فِي أَنْامِلِ سَوْسَنِ وَيُدِيرُ أُخْرَى فِي مُحَاجِرِ نَرْجِسٍ^(٢)

(١) هو أبو بكر محمد بن عمار وزير المعتضد بن عباد ملك أشبيلية ، ثم وزير ابنه المعتضد ، وبسبب
المعتضد قتل بعد خيانة له في الملك والسياسة سنة ٤٧٧ هـ . وكان شاعرا بليغا يتشبه بالمتنبي
في مقامه في الملك والدولة .

(٢) السوسن والنرجس : زهران أبيضان من الفصيلة البصلية .

ومن قوله في الاستعطاف :

سَجَايَاكَ إِن عَافَيْتَ أُنْدَى وَأَسْمَحُ وَعُذْرُكَ إِن عَاقَبْتَ أَجْلَى وَأَوْضَحُ
وإن كان بَيْنَ الْخُطَّيْنِ مَرْيَّةٌ فَأَنْتَ إِلَى الْأَدَى مِنَ اللَّهِ أَجْنَحُ
حَنَانِيكَ فِي أَخَذِي بِرَأْيِكَ لَا تُطْعُ عُدَاتِي ، وَإِن أَثْنَوْا عَلَيَّ وَأَفْصَحُوا
وماذا عَسَى الْأَعْدَاءُ أَنْ يَزِيدُوا سِوَى أَنْ ذَنْبِي وَاضِحٌ مُتَصَحِّحُ
نَعَمْ لِي ذَنْبٌ ! غَيْرَ أَنْ لِحْلِمِكُمْ صَفَاةٌ يَزِلُّ الذَّنْبُ عَنْهَا فَيَسْفَحُ (١)
وإنَّ رَجَائِي أَنْ عِنْدَكَ غَيْرَ مَا يَخُوضُ عِدْوِي الْيَوْمَ فِيهِ وَيَمْرَحُ
وَلَمْ لَا ؟ وَقَدْ أَسْلَفْتُ وُدًّا وَخِدْمَةً يَكْرَهُنَّ فِي لَيْلِ الْخَطَايَا فَيُصْبِحُ
وَهَبْنِي قَدْ أَعْقَبْتُ أَعْمَالَ مُفْسِدٍ أَمَا تَفْسُدُ الْأَعْمَالُ ثُمَّتَ تَصْلُحُ (٢)
أَقْلَنِي بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ رِضَاً لَهُ نَحْوَ رَوْحِ اللَّهِ بَابٌ مُفْتَحُ !
وَعَفٌّ عَلَى آثَارِ جُرْإِمْ جَنِيئِهِ بِهَبَّةِ رُحْمَى مِنْكَ تَمْحُو وَتَصْفَحُ
وَلَا تَلْتَفِتْ رَأْيَ الْوُشَاةِ وَقَوْلِهِمْ ؛ فَكُلْ إِنَاءَ بِالَّذِي فِيهِ يَرُشِحُ (٣)
سَيَاتِيكَ فِي أَمْرِي حَدِيثٌ ، وَقَدْ أَتَى بَزُورِ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ مُوَشِّحُ (٤)
مَا ذَاكَ إِلَّا مَا عَلِمْتَ ؛ فَإِنِّي إِذَا ثُبْتُ لَا أَنْفَكَ آسُو وَأُجْرَحُ (٥)

(١) أى أن حلمه كالصخرة الملساء يزل وينزل عنها الذنب .

(٢) ثمت : هى (ثم) العاطفة لحقتها تاء التانيث كما تلحق (رب) فيقال : (رَبَّتْ) . وأصلها أن تكون ساكنة ، ولكنها تفتح معهما كثيرا .

(٣) تلتفت مضمن معنى فعل متعد ، تقديره : (تعتبر أو تقبل) .

(٤) كانوا من موالى المنصور بن أبى عامر ، ورثوا أبنائه وأحفاده في شرقى الأندلس ، وكانت لهم به دويلة دامت ردحا من الزمان .

(٥) إذا ثبت : إذا رجعت الى ما كنت عليه من وزارتك . وآسو : من أسال الجرح أى دواه وعالجه . والمراد لا أنفك أنفع وأضر ؛ فينالهم منى شر .

نَخِيلَتُهُمْ ، لَا دَرَّ لِلَّهِ دَرُّهُمْ ؛ أَشَارُوا تَجَاهِيَ بِالشَّمَاتِ ، وَصَرَّحُوا^(١)
 وقالوا : سَيَجْزِيهِ فُلَانٌ بِفِعْلِهِ ! فَقُلْتُ : وَقَدْ يَعْفُو فُلَانٌ ، وَيَصْفَحُ !
 أَلَا إِنْ بَطْشًا لِلْمُؤَيَّدِ يَتَّقِ وَلَكِنْ حِلْمًا لِلْمُؤَيَّدِ أَرْجَحُ
 وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ تَمِيمَةٌ سَتَنْفَعُ لَوْ أَنَّ الْحِمَامَ مُجَلِّحٌ^(٢)
 سَلَامٌ عَلَيْهِ كَيْفَ دَارَ بِهِ الْهَوَى : إِلَى فَيْدَنُو ، أَوْ عَلَى فَيَنْزَحِ^(٣)
 وَيَهْنِيهِ إِنْ مِتُّ السُّلُو ؛ فَإِنِّي أَمُوتُ ، وَلِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مُبَرِّحٌ

(٦) ابن وهبون في الوصف

قال الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى الأندلسي من شعراء شرق
 الأندلس ، وكان خدام المعتمد بن عباد من ملوك الطوائف بعلمه وشعره يصف
 النيلوفر^(٤) :

وَبِرْكَهٍ تَرْهُو بَنِيْلُوفَرٍ نَسِيمُهُ يُشْبِهُ رَوْحَ الْحَبِيبِ
 حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقْتُهُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ لِعَيْنِ الْمَغِيبِ
 أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى الْإِفْهِ وَغَاصَ فِي الْمَاءِ حَذَارَ الرَّقِيبِ

(١) نخيلتهم : أى هذه نخيلتهم . والنخيلة : الطبيعة والنصيحة . وكلا المعنيين لائق . ودر
 هنا فعل ماضٍ من در اللبن : ودرهم فادله على نحو جد جده وجل جلاله . والجملة : دعاء عليهم ،
 أى لا كان درهم لله بمعنى لا وفقهم الله للخير .

(٢) التميمية : خروزة رقطاء كان الأعراب يطلقونها في أعناق أطفالهم لتقيهم شر العين والشياطين .
 والمجلح : الأكل . والمعنى في قلبه حب سينفعنى ويشفع عنده إذا أراد الموت أكلى .

(٣) ينزح : يبعد .

(٤) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة .

(٧) ابن خفاجة الأندلسي^(١)

قال في الاعتبار ويصف ليلا وجبلا :

بِعَيْشِكَ هَلْ تَدْرِي أَهْوَجُ الْجَنَائِبِ تَخُبُّ بِرَحْلِي أَمْ ظَهْوَرُ النَّجَائِبِ؟^(٢)
فَمَا لُحْتُ فِي أَوَّلِي الْمَشَارِقِ كَوَكْبًا فَاشْرَقْتُ حَتَّى جِئْتُ أُخْرَى الْمَغَارِبِ
وَحِيدًا تَهَادَانِي الْفِيَا فِي فَأَجْتَلِي وَجُوهَ الْمَنَايَا فِي قِنَاعِ الْغِيَاهِبِ
وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَمَّمٍ وَلَا دَارَ إِلَّا فِي قُتُودِ الرِّكَائِبِ^(٣)
وَلَا أَنْسَ إِلَّا أَنْ أَضَاحِكَ سَاعَةً تُغُورَ الْأُمَانِي فِي وَجُوهِ الْمَطَالِبِ
وَلَيْلٍ إِذَا مَا قُلْتُ : قَدْ بَادَ فَاَنْقَضَى ، تَكْشَفَ عَنْ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَاذِبِ
سَحَبْتُ الدِّيَاجِي فِيهِ سُودَ ذَوَائِبِ لِأَعْتَنِي الْأَمَالَ بِيضَ تَرَائِبِ
فَخَرَّقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْ شَخْصٍ أَطْلَسَ تَطَلَّعَ وَضَّاحَ الْمَضَاحِكِ قَاطِبِ^(٤)
رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ الْفَجْرِ أَغْبَشًا تَأَمَّلَ عَنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبِ^(٥)
وَأَرَعَنَ طَمَاحَ الذُّؤَابَةِ بِادِخِ يُطَاوِلُ أَعْنَافَ السَّمَاءِ بَغَارِبِ^(٦)

(١) مرت ترجمته عند نشره .

(٢) هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوجاء . والنجائب : جمع نجيبة : الناقة الكريمة .

(٣) القُتُود : أخشاب الرجال .

(٤) أطلس : أى شخص أفق أطلس ، والأطلس : الذى فى لونه غبرة الى سواد ، وهو وضاح المضاحك من جهة أنه تتراعى فى خلاله أشعة الفجر ، وقاطب من حيث أنه لا يزال عليه من غبش الليل بقية .

(٥) أى رأيت به قطعاً أغبش من الفجر لا يزال يبدو فيه نجم متوقد ثاقب ، وهو الزهرة أو عطارد لأنهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الأفق عند طلوع الفجر .

(٦) أرعن : ورب جبل أرعن طويل القمم يطاول السماء بكاهله .

يَسُدُّ مَهَبَ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَيَزَحَمُ لَيْلاً شَهْبَهُ بِالْمَذَاكِبِ
 وَقُورٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ طَوَالَ اللَّيَالِي مُفَكِّرٌ فِي الْعَوَاقِبِ
 يُلَوِّثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ سُودَ عَمَائِمٍ لَهَا مِنْ وَمِيضِ الْبَرْقِ مُحَرُّ ذَوَائِبِ (١)
 أَصَحَّتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ آخِرُ صَامِتٍ ! فُحْدَثْنِي لَيْلَ السَّرَى بِالْعَجَائِبِ
 وَقَالَ : إِلَى كَمْ كُنْتُ مَلْجَأً قَاتِلٍ وَمَوْطِنَ أَوَّاهٍ تَبَتَّلَ تَائِبِ (٢)
 وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ وَقَالَ بِظِلِّي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ
 وَلَا طَمَ مِنْ نُكْبِ الرِّيَّاحِ مَعَاطِفِي وَزَاخَمَ مِنْ خُضْرِ الْبَحَارِ غَوَارِبِي (٣)
 فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّسَهُمْ يَدُ الرَّدَى وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالنَّوَابِ
 فَمَا خَفَقُ أَيُّكِي غَيْرُ رُجْفَةٍ أَضْلَعُ وَلَا نَوْحَ وَرَقٍ غَيْرُ صَرْخَةٍ نَادِبِ (٤)
 وَمَا غِيَّضَ السَّلَوَانَ دَمْعِي ، وَإِنَّمَا نَزَفْتُ دَمْعِي فِي فِرَاقِ الصَّوَابِ
 فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى ؟ وَيَظُنُّ صَاحِبُ أَوْدَعُ مِنْهُ رَاحِلًا غَيْرَ آئِبِ
 وَحَتَّى مَتَى أَرَعَى الْكَوَاكِبَ سَاهِرًا ؟ فَمِنْ طَالَعِ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ
 فَرُحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ دَعْوَةَ ضَارِعِ يَمُدُّ إِلَى نَعْمَاكَ رَاحَةً رَاغِبِ !
 فَأَسْمَعْنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ يُتَرَجِّمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ

(١) يُلَوِّثُ : يُلَفِّ وَيَعْمَمُ عَلَى رَأْسِهِ مِنَ الْغَيْمِ عَمَائِمُ سُودَاءَ لَهَا بِرُوقِ حَمَرٍ .

(٢) يُرِيدُ بِالْأَوَّاهِ التَّائِبَ : الرَّاهِبَ الَّذِي يَبْنِي صَوْمَعَتَهُ فِي رَعُوسِ الْجِبَالِ .

(٣) النُّكْبُ : جَمْعُ نَكْبَاءٍ ، وَهِيَ الرِّيحُ تَهْبِ بَيْنَ مَهَبِي رِيحَيْنِ . وَمَعَاطِفِي وَغَوَارِبِي : يُرِيدُ بِهِمَا جَوَانِبِي وَأَظْهَرِي .

(٤) أَيْ خَفَقَ غُصُونُ أَيُّكِي . وَالْأَيُّكُ : اسْمُ جَمْعٍ لَأَيُّكَةٍ ، وَهِيَ الْأَشْجَارُ الْمُتَكَاثِفَةُ . وَالْوَرَقُ : جَمْعُ وَرَقَاءٍ وَهِيَ : الْحَمَامَةُ .

فسلّى بما أبكى وسرّى بما شجّا وكان على عهد السرى خير صاحب
وقلتُ ، وقد نكّبتُ عنه لطية : سلام ! فإنّا من مقيم وذاهب^(١)

وقال :

أحسُّ المدامة والنسيم عليلٌ والظلُّ خفاقُ الرواقِ ظليلٌ^(٢)
والنورُ طرفٌ قد تنبّه داعمٌ والماءُ مبتسمٌ يروقُ صقيلٌ
وتطلّعتُ من برقِ كل غمامةٍ في كل أفق رايةٌ ورعِيـلٌ^(٣)
حتى تهادى كلُّ خُوطةٍ أَيْكةٍ رِيّاً وغصّبُ تلعةٍ ومَسِيلٌ^(٤)
عطفَ الأراكةَ فأنثتُ شكراً لهُ طرباً ورجّعَ في الغصونِ هَدِيلٌ^(٥)
فالروضُ مُهتَزُّ المعاطِفِ نعمةً نشوانٌ يعطفُهُ الصَّبَا فيميلُ
ريّانُ فضّضه الندى ثم أنجلى عنه فذهبَ صفحتيه أصيلُ
وارتدَّ ينظرُ في نقابِ غمامةٍ طرفٌ يميّضُهُ النعاسُ كليلٌ^(٦)
ساجٍ كما يرنو إلى عواده شاكٍ ويلتمحُ العزيزُ ذليلُ

(١) نكبت عليه : ملت عنه وانصرفت. والطية : الحاجة والقصد ووجهة المسافر . ومن في (من مقيم) زائدة أو بيانية . أى فانا من بين مقيم ، وهو أنت ، وذاهب ، وهو نحن .

(٢) الرواق : مقدم البيت . وقد شبه الظل ببيت مضروب يخفق هواء رواقه .

(٣) الرعيل : الجماعة من الخيل ، شبه السحب بجماعات الخيل وكتائبها في الحرب وشبه البروق المنبعثة منها بالرايات المنشرة الحمر فوق رؤوسهم .

(٤) كل خوطة : أى كل غصن . والأَيْكة : الشجر الملتف . والتلعة : مجرى الماء من الجبل الى الوادى .

(٥) عطف : أى عطف النسيم العليل الأراكة . والهديل : ذكر الحمام .

(٦) طرف : أى طرف كل شارب منا أى أن الشرب الذين كانوا يشربون قضوا النهار وجاء الأصيل ثم دخل الليل فبعد أن كان طرف الناظر منهم ينظر الى أزهار الروض ارتد ينظر في غمامة كأنها النقاب ، وهذا الطرف كليل من السكر ، يغالبه النعاس ساج فاتر كأنه طرف المريض يرنو الى أعواده ، أو طرف الدليل يلوح العزيز .

وقال :

رُبَّمَا أُسْتَضْحَكَ الْجَبَابِحِيْبُ تَفَضَّتْ ثَوْبَهَا عَلَيْهِ الْمَدَامُ
كَلَّمَامَرَّ قَاصِرًا مِنْ خُطَاهُ يَتَهَادَى كَمَا يَمُرُّ الْغَمَامُ
سَلَّمَ الْغُضْنُ وَالْكَثِيبُ عَلَيْنَا فَعَلَى الْغُضْنِ وَالْكَثِيبِ السَّلَامُ

وقال في طول الليل :

بَالِيلَ وَجَدَ بِنَجْدٍ أَمَّا لِطَيْفِكَ مَسْرَى
وَمَا لِدَمْعِي طَلِيقًا وَأَنْجُمُ الْجَوِّ أُسْرَى
وَقَدْ طَمَى بِحَرِّ لَيْلٍ لَمْ يُعْقِبْ الْمَدَّ جَزْرًا
لَا يَعْبُرُ الطَّرْفُ فِيهِ غَيْرَ الْمَجَرَّةِ جَسْرًا

(٨) ابن سهل الأندلسي^(١)

قال :

سَلِّ فِي الظَّلَامِ أَخَاكَ الْبَدْرَ عَنْ سَهْرِي تَدْرِي النُّجُومُ كَمَا يَدْرِي الْوَرَى خَبْرِي
أَيُّتُ أَهْتِفُ بِالشَّكْوَى وَأَشْرَبُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْشَقُ رَيًّا ذَكَرَكَ الْعَطِيرُ
حَتَّى أُخَيِّلَ أَنِّي شَارِبٌ ثَمَلٍ بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتَرِ
مَنْ لِي بِهِ ؟ أَخْتَلَفْتُ فِيهِ الْمَلَاخَةُ إِذْ أَوْمَتْ إِلَى غَيْرِهِ إِيمَاءً مُخْتَضِرٍ^(٢)

(١) هو الشاعر الرقيق الوشاح ابراهيم بن سهل الأشبيلي الأندلسي وكان يلقب قبل اسلامه بالاسرائيلي . كان يهوديا واسلم ومات غرقا سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) أى تفاوتت فيه الملاحه عن نفسها عند الناس فهى فيه كاملة وفى غيره بمنزلة اشارة ضيعة كاشارة المحتضر عند الموت .

مَعَطَّلٌ فَارْحَلِي مِنْهُ مُحَلَّلَةٌ تَغْنَى الدَّرَارِي عَنِ التَّقْلِيدِ بِالْدَّرَرِ (١)
بِخَدِّهِ لِفَوَادِي نِسْبَةٍ عَجَبٌ كِلَاهُمَا أَبْدَأُ يَدِي مِنْ النَّظَرِ (٢)

وقال ابن سهل في توشيح له :

هَلْ دَرَى ظَنِّي الْجَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّاهُ عَنْ مَكْنَسِ
فَهُوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقَ مِثْلَمَا لَعِبْتُ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

يَا بَدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النَّوَى غُرُورًا تَسْلُكُ بِي نَهْجَ الْغَرَرِ (٣)
مَا لِنَفْسِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنْكُمْ الْحَسَنِ وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرِ
أَجْتَنَى اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الْجَوَى وَالتَّذَاذِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفِكْرِ (٤)

كَلَّمَا أَشْكُوهُ وَجَدِي بَسَمًا كَالرُّبَا بِالْعَارِضِ الْمُنْبَجِسِ (٥)
إِذْ يُقِيمُ الْقَطَرُ فِيهَا مَأْتَمًا وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسِ (٦)

(١) محلاة : ممنوعة .

(٢) أى أن فوادي يدمى من نظرات المحبوب الرامية بسهام التأثير ، وخده كان يدمى من حمرة الحجل عند نظري اليه .

(٣) الغرور : التفرير والخطر .

(٤) أى وانما التذاذى من حبيب بالتفكر فيه .

(٥) أى كابتناسم الربا المشرقة بالأزهار بعد أن سقاها العارض المنبجس : أى السحاب الهاطل .

(٦) أى أن نزول القطر الشبيه بقطرات الدمع يقيم في الربا مأتما ومناحة ببكائه على حين أن الربا في أعراس من بهجتها .

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ الذَّنْبُ
أَخَذْتُ شَمْسَ الضُّحَا مِنْ وَجْنَتَيْهِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبٌ^(١)
ذَهَبَ الدَّمْعُ بِأَشْوَاقِي إِلَيْهِ وَلَهُ خَدٌّ بِلَحْظِي مُذْهَبٌ^(٢)

يَنْبُتُ الْوَرْدُ بَغْرَسِي كُلَّمَا لَاحَظْتَهُ مُقَلَّتِي فِي الْخَلَسِ
لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ حَرَمًا ذَلِكَ الْوَرْدَ عَلَى الْمُغْتَرَسِ

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حَرَقِي غَادَرْتَنِي مُقْلَتَاهُ دَنِقَا
تَرَكْتُ الْحَاظُهُ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صُمِّ الصَّفَا^(٣)
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِيَ لَسْتُ أَلْهَاهُ عَلَى مَا أُتْلَفَا

فَهُوَ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نُطْقُهُ كَالْخَرَسِ
لَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حُكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي حَلَّ النَّفْسِ

مِنْهُ لِلنَّارِ بِأَحْشَائِي ضِرَامٌ تَتَلَطَّى كُلَّ حِينٍ مَا تَشَا
هِيَ فِي خَدَّيْهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ وَهِيَ حَرٌّ وَحَرِيقٌ فِي الْحِشَا
أَتَقَى مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ أَسَدًا وَرَدًا وَأَهْوَاهُ رَشَا

(١) أى أن حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الأفق وحمرة شفقها بعيد الغروب مستعارة من وجنتيه الحمراءين .

(٢) أى مذهب من الخجل . وهذا المعنى مكرر جره إليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) فى أول البيت و (مذهب) فى آخره .

(٣) أى أنرا ضعيفا لأن النمل لا يؤثر مشيه فى الصخرة المساء .

قلتُ — لما أن تبدى مُعلِّماً وهو من الحَاظِهِ في حَرَسِ
أَيِّهَا الآخِذُ قَلْبِي مَغَنَّا إِجْعَلِ الوَصْلَ مَكَانَ الخُمْسِ^(١)

(٩) وقد عارضه في هذا التوشيح الوزير^(٢)

أبو عبد الله بن الخطيب فقال :

جَادَكَ الغَيْثُ إِذَا الغَيْثُ هَمَّى يَا زَمَانَ الوَصْلَ بِالْأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلُمًا فِي الكَرَى أَوْ خِلْسَةِ المَخْتَلَسِ

إِذَا يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ المُنَى تَنْقُلُ الخَطُوءَ عَلَى مَا يَرَسُمُ
زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثْنَى مَثَلًا يَدْعُو الوُفُودَ المَوْسِمُ
وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرُّوضَ سَنَى فَتُغَوِّرُ الزَّهْرُ مِنْهُ تَبَسِّمُ

وَرَوَى النُّعْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّمَاءِ كَيْفَ يَرَوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسٍ^(٣)

(١) أى أن الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة بل يكون خمسها للدولة تنفقه في مصالح الناس وصدقاتهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيرا لأبى الحجاج يوسف من عظماء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم بالخيانة في السياسة وبالزندقة ، ففر إلى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ٦٩٠ هـ وكان شاعرا كاتباً مؤرخاً فقيهاً متفلسفاً . وله عدة كتب وشعر رقيق وكتابة يروى صاحب نفح الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيرا .

(٣) في النعمان وماء السماء تورية ؛ إذ النعمان أما شقائق النعمان لزهراً أحمر ، وهو المراد هنا ، وماء السماء هو هنا المطر ، وأما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخمين والثانى جد الأول ، وهما غير مرادين هنا . ومالك هو الامام مالك بن أنس امام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة ما بين مالك وأبيه أنس من أن الأول في كلا الجانبين ابن للثانى وناشئ عنه .

فكسَاهُ الحَسَنُ ثَوْبًا مُعَلَّمًا يَزِدْهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسٍ

فِي لَيَالٍ كَتَمْتُ سِرَّ الهَوَى بِالذُّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الْفُرَرِ
مَا لَ تَجَمُّ الْكَأْسُ فِيهَا وَهَوَى مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ
وَطَرْتُمْ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَحٍ الْبَصَرِ

حِينَ لَدَّ الْإِنْسُ شَيْئًا أَوْ كَمَا هَجَمَ الدَّبْحُ هُجُومَ الْحَاسِ
غَارَتِ الشُّهُبُ بَنَّا أَوْ رُبَّمَا أَثَرَتْ فِينَا عَيُونُ النَّزَّاجِسِ

المغرب وهما ليك البربر

النثر

(١) النثر الفنى

(١) التلمسانى^(١)

قال فى الفراق .

الدهرُ ذو غيرَ ، وَمَنْ ذا يحكمُ على القَدَرِ ؟ وما ضَرَّه لو غَفَلَ قليلا ، وشَفَى
بلقاء الأَحِبَّةِ غَلِيلا ، وَسَمَحَ لنا بساعةِ اجتماع ، ووصل ذلك الأمل القصيرَ بِياع ،
وزَوَى^(٢) ؛ مَسَافَةَ أيام ، كما طَوَى مَراحِلَ أعوام . يا مُؤَيَّسِي^(٣) ، أَفلا أَشَفَقْتَ
مِن عذابِي ، وَسَمَحْتَ ولو بِسلام أحبابِي ، أَسَلَمْتَنِي إلى ذَرْعِ^(٤) البَيدِ ،
وَمُحَالَفَةِ الذَّمِيلِ والوَخِيدِ^(٥) ، والتَنَقُّلِ فى المِشارِقِ والمِغارِبِ ، والتمطَّى فى

(١) هو أبو اسحق بن بكر الأنصارى العلامة الأديب الكاتب الشاعر الرحالة من أهل سبته .

دخل الأندلس وبلاد التكرور ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن . وتوفى سنة ٦٩٠ هـ بـ ستة
عن سن عالية .

(٢) زوى : طوى .

(٣) يخاطب الدهر .

(٤) مصدر ذرع : بمعنى قاس بالذراع .

(٥) ضربان : من سير الابل وغيرها .

الصَّهَوَاتِ^(١) والغوارب . يَسَائِقُ الْبَيْنَ دَعَّ مَحْمِلَةً ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجِسْمِ لَنْ يَحْمِلَهُ ،
ويا بناتِ جَدِيلٍ^(٢) ، مَا لَكُنَّ وَلِلذَّمِيلِ ؟ ثُمَّ مَا لِلزَّاجِرِ الْكَاذِبِ ، وَلِلغَرَابِ
النَّاعِبِ ؟ يَجْعَلُهُ نَذِيرَ الْجَلَا ، وَرَائِدَ الْخَلَا ، مَا أَبْعَدَ ابْنُ زَاجِرٍ^(٣) ، عَنْ دَارِ الزَّاجِرِ ؛
إِنَّمَا فَعَلَ مَا تَرَى ، ذَاتُ الْغَارِبِ وَالْقَرَا^(٤) ، الْمُخْتَالَةُ فِي الْأَزْمَةِ وَالْبَرَى^(٥) ،
وَالْمَرْدَدَّةَ بَيْنَ التَّأْوِيبِ وَالسَّرَى^(٦) ؛ طَالَمَا بَاكَرَتِ النَّوَى^(٧) ، وَصَدَعَتِ صَدْعَ
الْهَوَى ، وَتَرَكْتَ أُلْهَامَ بَيْنِ رَبْعٍ مُحِيلٍ^(٨) ، وَرَسَمٍ مُسْتَحِيلٍ^(٩) ، يَقْفُو الْأَثَرَ
بِجَدِهِ ، وَيَسْأَلُ الطَّلَلَ عَنْ عَهْدِهِ . وَإِنْ أَنْصَفْتَ فَمَا لِعَيْرٍ^(١٠) مَقُودَةً ، وَإِبِلَ مَطْرُودَةً ،
غَلَّتْ^(١١) عَنْ الْحَوْضِ وَالشَّوْطِ^(١٢) ، وَأُسْلِمَتْ إِلَى الْحَبْلِ وَالْعَصَا وَالسَّوْطِ .
وَلَوْ خَيْرُ الْبَازِي لِأَقَامَ ، وَلَوْ تَرِكَ الْقَطَا لَيَلًا لَنَامَ ؛ لَكِنَّ الدَّهْرَ أَبُو بَرَاقِشٍ^(١٣) ،
وَسَهْمٌ بَيْنَهُ بَيْنَ بَنِيهِ غَيْرُ طَائِشٍ ، فَهُوَ الَّذِي شَتَّتَ الشَّمْلَ وَصَدَعَهُ ، وَمَا رُفِعَ
سَقْفُ بَعِإَادِهِ إِلَّا وَضَعَهُ ، وَلَا بَلَّ غَلِيلًا أَحْرَقَهُ بَنَارُ وَجْدِهِ وَلَا نَقَعَهُ .

(١) الصهوة : ظهر الفرس . والغارب : كاهل الجمل .

(٢) بنات جدیل : النوق الكريمة تنسب الى أبيها جدیل وهو جل كريم كان للنعمان بن المنذر .

(٣) يريد بابن زاجر : الغراب .

(٤) القرا : الظهر . يريد الناقة .

(٥) البرى : جمع برة ، وهى حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير لربط الخطام أحيانا .

(٦) التأويب : السير جميع النهار . والسرى : السير بالليل .

(٧) النوى : الفراق .

(٨) مضى عليه حول .

(٩) متغير .

(١٠) ابل الميرة .

(١١) شربت ولم ترو .

(١٢) مجرى الماء بين جبليين .

(١٣) أبو براقش : طائر ذو ألوان .

(ب) النثر العلمى

لابن شرف القيروانى^(١) فى كتابه أعلام الكلام

قال أبو عبد الله بن شرف القيروانى :

هذه أحاديثُ صَغَتْهَا مَخْتَلِفَةُ الْأَنْوَاعِ ، مُؤْتَلَفَةٌ فِي الْأَسْمَاعِ ، عَرَبِيَّاتِ الْمَوَاشِمِ ،
عَرَبِيَّاتِ التَّرَاجِمِ ، وَاخْتَلَقَتْ فِيهَا أَخْبَاراً فَصِيحَاتِ الْكَلَامِ ، بَدِيعَاتِ النِّظَامِ ، لَهَا
مَقَاصِدُ ظُرَافٍ ، وَأَسَانِيدُ طُرَافٍ ، يَرُوقُ الصَّغِيرَ مَعْنَاهَا ، وَالْكَبِيرَ مَغْزَاهَا ،
وَعَزَّوَتْهَا إِلَى أَبِي دَيَّانِ الصَّلْتِ بْنِ السَّكَنِ مِنْ سَلَامَانَ^(٢) ، وَكَانَ شَيْخاً هَمَّاهُ^(٣)
فِي اللِّسَانِ ، وَبَدْرَاتِمَّا فِي الْبَيَانِ . قَدْ بَقِيَ أَحْقَابًا . وَلَقِيَ أَعْقَابًا ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ إِلَيْنَا مِنْ
بَادِيَةِ الْأَزْمَاتِ ، وَأُورِدَتْهُ عَلَيْنَا الْعَزَمَاتِ . فَاُمْتَحَنَّا^(٤) مِنْ عِلْمِهِ بِحِرَافَةٍ جَارِيَا ،
وَقَدَحْنَا مِنْ فَهْمِهِ زَنْدًا وَارِيَا ، وَأَدْرَنَّا مِنْ بَرِّهِ طُرْفًا ، وَاجْتَنَيْنَا مِنْ ثَمَرِهِ طُرْفًا .
وَنَحْنُ إِذْ ذَاكَ وَالشَّبَابُ مُقْتَبِلٌ . وَغَفْلَةُ الزَّمَانِ تَهْتَبِلُ^(٥) : وَاحْتَذَيْتُ فِيمَا ذَهَبْتُ
إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ تَعْرِيفِي عَلَيْهِ ، مِنْ بَثِّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَا رَأَيْتُ الْأَوَائِلَ قَدْ
وَضَعْتُهُ فِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ ، فَأَضَافُوا قَوْلَ الْحِكْمَةِ إِلَى الطَّيْرِ الْحَوَائِمِ ، وَنَطَقُوا
بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ لِتَتَعَلَّقَ بِهِ شَهَوَاتُ الْأَحْدَاثِ ، وَتُسْتَعَذَّبُ بِسَمَرِهِ

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد شرف الجدامى القيروانى .
كان قرين ابن رشيقي في خدمة المعز بن باديس ومناذمته . وكانت بينهما منافسة شديدة زالت
بعد موت المعز . فارتحل ابن شرف الى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها . وتوفي سنة ٤٦٠ هـ
وابن شرف شعر رقيق وهجاء موجه ومدح بليغ ووصف بديع ، ويشوب شعره مزاج من البديع
وخاصة الجناس .

(٢) سلامان : بطن من طيء وهم سلامان بن ثعل بن الغوث بن طيء .

(٣) الهم : الشيخ الكبير الفانى ، يريد كبيراً في فصاحة اللسان .

(٤) امتتح الماء : نزعه من بشر ونحوه .

(٥) تهتبيل : تفتنم .

ألفاظُ الحُدَّاثِ . وقد نحا هذا النحوَ سهلُ بنُ هارونَ الكاتبُ في تأليفه كتابَ النمرِ والثعلبِ ، وهو مشهورُ الحكاياتِ بديعُ المراسلاتِ ، مليحُ المكاتباتِ . وزوَرُ أيضاً بديعُ الزمانِ ، الحافظُ الهمداني . وهو الأستاذُ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ الحسينِ ، مقاماتُ كان يُنشئُها بديعاً في أواخرِ مجالسه ، وينسبُها إلى راوية رواها له يُسمِّيهِ عيسى ابنَ هشامٍ . وزعمُ أنه حدَّثَها بها عن بليغٍ يُسمِّيهِ أبا الفتحِ الاسكندري . وعددها فيما يزعمُ رُواتها أربعُمائةِ مَقامَةٍ ؛ إلا أنها لم تصلْ هذه العِدَّةُ إلينا . وهي متضمنةٌ معانيَ مختلفةً ، ومبنيّةٌ على مبانيَ شتى غيرِ مؤتلفةٍ ، لينتفعَ بها من الكتابِ والمحاضرينِ مَنْ صَرَفَها مِنْ هَزَلٍ إلى جدٍّ . وَمِنْ نِدٍّ إلى ضِدٍّ . فأقمتُ من هذا النحوِ عشرينَ حديثاً ، أرجو أن تُبينَ فضلَها ، ولا تقصرَ عما قبلَها . ولعمري ما أشكرُ مَنْ نفسى ولا أُثني على شيءٍ من حِسَى ، إلا ظفَرى بالأقلِّ مما حاولتُه ، على ما أضرمته نيرانُ الغربةِ من قلبي ، وثَلَمَتَه صَعَقَاتُ الفِتْنَةِ من لُبِّي . وقطعتُ أهوالَ البرِّ والبحرِ من خواطري ، وأضعفتُ الوحشةَ والوحدةَ من غرائزي وبصائري ، لكنَّ نيةَ القاصِدِ وسعةَ المقصودِ . أعانا ذا الوُدِّ على إتحافِ المودودِ . واللهُ أسألُ توفيقاً . ينهَجُ لنا إلى الرشدِ طريقاً .

(ج) الشعر

(١) على بن محمد الإيادي

من شعراء الفاطميين وهم بالمغرب يصف أسطول القائم الفاطمي قال :

اعْجَبَ لِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَعْرَبِ
لَبِستَ به الأمواجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ يَبْدُو لَعَيْنِ النَّازِلِ الْمُسْتَعْجِبِ
مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنَصِّبِ (١)
دهاءٌ قد لبستَ ثِيَابَ تَصْنَعُ تَسْبِيَّ الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرَهَّبِ (٢)
مِنْ كُلِّ أَبْيَضٍ فِي الْهَوَاءِ مُنَشَّرٍ مِنْهَا . وَأَسْحَمَ فِي الْخَلِيجِ مُغَيَّبِ (٣)
مَحْفُوفَةٌ بِمَجَادِفٍ مَصْفُوفَةٍ فِي الْجَانِبَيْنِ دُوَيْنَ صُلْبِ صُلْبِ (٤)
كَقَوَادِمِ النَّسْرِ الْمُرْفَرِفِ عُرِّيَتْ مِنْ كَاسِيَاتِ رِيَاشِهِ الْمُتَهَدَّبِ (٥)
وَتَحْمُهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَنَتْ بِمُصْعَدٍ مِنْهَا بُعِيدَ مُصَوَّبِ

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) ثياب تصنع : هي النقوش المصطنعة ، وثياب الترهيب هي طلاء القار الأسود عليها من أسفل .
لأن الرهبان يلبسون سود الثياب .

(٣) يريد بالأبيض المنشر : القلع .

(٤) الصلب : الظهر والتمن . والصلب بتشديد اللام كسكر : القوى الشديد .

(٥) شبه المجاديف المرسوفة بقوادم النسـر .

خَرَقَاهُ تَذْهَبُ إِنْ يَدُهُ لَمْ تَهْدِهَا فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرَّيَّاحِ وَمَذْهَبُ
جَوْفَاهُ تَحْمِلُ كَوَكْبًا فِي جَوْفِهَا يَوْمَ الرَّهَانِ ، وَتَسْتَقِلُّ بِمَوْكَبِ
وَلَهَا جَنَاحٌ يَسْتَعَارُ لَطِيرِهَا طَوَعَ الرِّيحَ وَرَاحَةَ التَّطَرَّبِ
يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الْعُبابِ مُطَارَةً فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلُولِ
تَسْمُو بِأَجْرَدٍ فِي الْهَوَاءِ مُتَوَجِّجَ عُرْيَانَ مَنَسُوجِ الذُّوَابَةِ شَوْذِبِ^(١)
يَتَرَكَّبُ الْمَلَّاحُ مِنْهُ ذُبَابَةً لَوْ رَامَ يَرْكَبُهَا الْقَطَا لَمْ يَرْكَبِ
فَكَأَنَّمَا رَامَ اسْتِرَاقَةً مَقْعِدِ لِلسَّمْعِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُشْهَبِ
وَكَأَنَّمَا جَنَّ ابْنُ دَاوُدَ هُمُ رَكِبُوا جَوَانِبَهَا بِأَعْنَفِ مَرْكَبِ
سَجَرُوا جَوَانِبَ نَارِهَا ، فَتَقَادَفُوا مِنْهَا بِاللُّسَنِ مَارِجٍ مُتَلَهَّبِ
مِنْ كُلِّ مَسْجُونٍ الْحَرِيقِ إِذَا أَنْزَرَى مِنْ سِجْنِهِ أَنْصَلَتْ أَنْصَلَاتُ الْكُوكَبِ^(٢)
عُرْيَانَ يَقْدُمُهُ الدُّخَانُ كَأَنَّهُ صُبْحٌ يَكُرُّ عَلَى الظَّلَامِ الْغَيْبِ
وَلَوَاحِقٍ مِثْلَ الْأَهْلَةِ جُنَحِ لَحَقَ الْمُطَالِبُ فَائِتَاتِ الْمَهْرَبِ
يَذْهَبْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةً وَيَجْنُ فِعْلَ الطَّائِرِ الْمُتَغَلَّبِ
كَمَضَائِضِ الْحَيَاتِ رُحْنٍ لَوَاعِبَا حَتَّى يَقَعْنَ بِبِرْكٍ مَاءِ الْمِيزَبِ
شَرَجُوا جَوَانِبَهَا مَجَادِفَ أُتْعَبَتِ شَاوُ الرِّيحَ لَهَا ، وَلَمَّا تَتَّعَبِ
تَنْصَاعُ مِنْ كَثَبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا طَوْرًا ، وَتَجْتَمِعُ اجْتِمَاعَ الرُّبْرِبِ

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق أو الصنع : يريد به الصارى والدقل فى أعلاه برج صغير

يجلس فيه ملاح يرقب البحر من أعلى المركب .

(٢) كانوا يرمون بقدرور وقناني من الزجاج والفخار بها سائل من نطف ومواد ملتهبة يقذفون بها

مراكب العدو وهى النار الاغريقية التى جهل الان تركيبها .

وَالْبَحْرُ يَجْمَعُ بَيْنَهَا فَكَأَنَّهُ لَيْلٌ يُقَرَّبُ عَقْرَبًا مِنْ عَقْرَبٍ
وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أَسْوَدُ خِلَافَةٍ تَحْتَالُ فِي عُودِ السِّلَاحِ الْمُرْهَبِ
فَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ اسْتَعَارَ بَزِيَّتَهُمْ ثَوْبَ الْجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ الْمَذْهَبِ

(٢) إبراهيم الرقيق بن القاسم القيرواني^(١)

قال يتشوق إلى مصر ومعا هذه بها . وكان رحل إليها بهدية من باديس بن زيري
إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي :

هَلِ الرِّيحُ إِنْ سَارَتْ مُشْرِقَةً تَسْرِي تُوَدِّي تَحِيَّاتٍ إِلَى سَاكِنِي مِصْرَ
فَمَا خَطَرْتُ إِلَّا بِكَتُّ صَبَابَةٍ وَحَمَلْتُهَا مَاضِقًا عَنْ حَمْلِهِ صَدْرِي
تَرَانِي إِذَا هَبَّتْ قَبُولًا بَشَرِهِمْ شَمِمْتُ نَسِيمَ الْمِسْكِ فِي ذَلِكَ النَّشْرِ
وَإِنْ أُنْسَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى الْعَهْدِ دُونَهُ فَلَيْسَ بِخَالٍ مِنْ ضَمِيرِي وَمِنْ فِكْرِي
لَيْسَ أَنْسَنَاهَا عَلَى غِرَّةِ الصَّبَا فَطَابَتْ لَنَا إِذْ وَافَقَتْ غِرَّةَ الدَّهْرِ
لَعَمْرِي لَنْ كَانَتْ قِصَارًا أَعْدُّهَا فَلَسْتُ بِمُعْتَدٍّ سِوَاهَا مِنْ الْعُمَرِ
أَخَادِعُ دَهْرِي أَنْ يُعَوِّدَ بِفُرْصَةٍ فَيَنْقِذَ رُوحَ الْوَصْلِ مِنْ رَاحَةِ الْهَجْرِ
وَتَرْجِعُ أَيَّامٌ خَلَتْ بِمَعَاهِدٍ مِنْ الْأَهْوَى لَا تَنْفَكُ مِنِّي عَلَى ذِكْرِ
فَكَمْ لِي بِالْأَهْرَامِ أَوْ دَيْرِ نَهْيَةٍ مَصَايِدُ غَزْلَانِ الْمَكَائِدِ وَالْقَفْرِ^(٢)

(١) هو إبراهيم بن القاسم الملقب بالرقيق شاعر رقيق الشعر أديب مؤرخ . وكان يتكسب بالكتابة في دواوين القيروان . وله كتب منها تاريخ إفريقية أثنى عليه ياقوت وتوفي سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) دير نهية كان على مقربة من بولاق التكرور ، وليس بها دير الآن . ويريد بغزلان المكايد الجوارى الحسان ، وغزلان القفر ما يصاد في بادية الهرم .

إلى الجيزة الدنيا وما قد تَضَمَّنَتْ جَزِيرَتُهَا ذاتُ النواعير والجسر
وبالْمَقْسِ والبُستَانِ للعَيْنِ مَنْظَرُهُ أُنِيقُ إِلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ إِلَى الْقَصْرِ^(١)
وفي سَرْدُوسٍ مُسْتَرَادٍّ وَمَلْعَبٍ إلى دَيْرٍ مَرَحَنًا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ^(٢)
وكمْ بَيْنَ بُسْتَانِ الْأَمِيرِ وَقَصْرِهِ إلى الْبِرْكَةِ الزَّهْرَاءِ مِنْ زَهْرٍ نَضْرٍ
تَرَاهَا كَمَا بَدَتْ فِي رَفَارِفِ مِنَ السُّنْدُسِ الْمَوْشَى يُنْشَرُ لِلتَّجْرِ

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني^(٣)

قال يتغزل :

أَمَا وَمَحَلٌّ حُبِّكَ مِنْ فُؤَادِي وَقَدَّرَ مَكَانَهُ فِيهِ الْمَكِينِ
لَوْ أَنْبَسَطْتُ لِي الْأَمَالُ حَتَّى تُصَيِّرَ مِنْ عِنَانِكَ فِي يَمِينِي
لَصُنْتُكَ فِي مَكَانٍ سَوَادٍ عَيْنِي وَخِطْتُ عَلَيْكَ مِنْ حَذَرٍ جُفُونِي
فَأَبْلُغُ مِنْكَ غَايَاتِ الْأَمَانِي وَأَمِنْ فِيكَ آفَاتِ الظُّنُونِ
فَلِي نَفْسٌ تَجَرَّعُ كُلَّ حِينٍ عَلَيْكَ بِهِنَّ كَاسَاتِ الْمُنُونِ^(٤)
إِذَا أُمِنْتُ قُلُوبَ النَّاسِ خَافَتْ عَلَيْكَ خَفِيََّ الْحَاظِ الْعُيُونِ

(١) المقس موضعه الآن : مسجد أولاد عنان . ويريد بالبستان : البستان الكافوري كان على الخليج غربى القاهرة . ويريد بالقصر القصر الكبير . وموضعه الآن المسجد الحسينى وخان الخليلى وخان جعفر وببيت القاضى الى جهة قصر الشوق .

(٢) سردوس : خليج من خلجان سبعة كانت فى الوجه البحرى . وكان يتفرع من النيل شمالى القاهرة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى امام العربية والادب بالقيروان وصاحب المعجم العظيم المسمى بالجامع فى اللغة . رتبته على حروف المعجم : وكان أدبياً كاتباً شاعراً رفيق الشعر . مات بالقيروان سنة ٤١٢ هـ . وقد قارب التسعين .

(٤) بهن أى بآفات الظنون .

وقال :

أَضْمِرُوا لِي وَدًّا وَلَا تَظْهَرُوهُ يُهْدِيهِ مِنْكُمْ إِلَى الضَّمِيرِ
مَا أَبَالِي إِذَا بَلَغْتُ رِضَاكُمْ فِي هَوَاكُمْ لَا يَّ حَالٍ أَصِيرُ

(٤) إبراهيم بن علي الحصري القيرواني^(١)

قال :

يَا هَلْ بَكَيتُ كَمَا بَكَتْ وَرُقُ الْحَائِمِ فِي الْغُصُونِ
هَتَفَتْ سَحَابًا وَالرَّبَا لِلْقَطْرِ رَافِعَةً الْجُفُونِ
فَكُنَّا صَاغَتِ عَلَى شَجْوَى شَجَا تِلْكَ اللَّحُونِ

وقال :

كَتَمْتُ هَوَاكَ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي وَأَدْنَيْتَنِي مُكَاتَمَتِي لِرَمْسِي
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِخْفَاءِ حَالِ يَحُولُ بِهَا الْأَسَى دُونَ النَّاسِي
وَحُبُّكَ مَالِكٌ لِحَظِّي وَلَفْظِي وَإِظْهَارِي وَإِضْمَارِي وَحِسِّي
فَإِنْ أَنْطَقَ فَفِيكَ جَمِيعُ نَطْقِي وَإِنْ أَسْكُتَ فَفِيكَ حَدِيثُ نَفْسِي

(٥) ابن رشيق القيرواني^(٢)

قال :

أَحِبُّ أَخِي وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَقَلَّ عَلَى مَسَامِعِهِ كَلَامِي
وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبُ رَاضٍ كَمَا قَطَّبَتْ فِي وَجْهِهِ الْمُدَامِ

(١) صاحب كتاب زهر الآداب وغيره المتوفى سنة ٤٥٣ هـ.

(٢) هو الحسن بن رشيق من موالى الأزد . كان أبوه مملوكا روميا صائغا ، فتعلم ابنه الأدب والكتابة والشعر وعلومه ، وألف فيه كتاب العمدة الذي لم يؤلف المتقدمون مثله في نقد الشعر وكان من كتاب المعز ابن باديس الصنهاجي خليفة الفاطميين على أفريقية ومن خيرة شعرائه وينافسه في كل صناعته ابن شرف . توفي ابن رشيق بجزيرة صقلية سنة ٤٥٥ هـ . بمدينة مازر آخر مدن المسلمين بها .

وَرُبَّ تَجْهَمٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ وَضِغْنٍ كَامِنٍ تَحْتَ ابْتِسَامٍ
وله أيضا :

مَنْ جَفَانِي فَإِنِّي غَيْرُ جَافٍ صَلَةٌ أَوْ قَطِيعَةٌ فِي عَفَافٍ
رُبَّمَا هَاجَرَ الْفَتَى مَنْ يُصَافِيهِ وَلَاقَى بِالْبَشْرِ مَنْ لَا يُصَافِيهِ
وقال :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ مِنْ الْعُمُرِ لَمْ تَتْرُكْ لَأَيَّامِهَا ذَنْبًا
خَلَوْنَا بِهَا نَنْفِي الْقَذَى عَنْ عُيُونِنَا بِلَوْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكَبًا^(١)
وله أيضا :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ إِلَّا إِذَا مُسَّ بِاضْرَارٍ
كَالْمُودِ لَا تَطْمَعُ فِي طَيِّبِهِ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَمْسَسْهُ بِالنَّارِ
وقال :

وَلَوْ غَيْرُكَ الْمَرْسُومُ عِنْدِي بِرِيَّةٍ لَا أُعْطِيَتْ فِيهِ مُدَعَى الْقَوْمِ مَا ادَّعَى
فَلَا تَتَخَالَجَكَ الظُّنُونُ فَإِنَّهَا مَا تَمُّ وَاتْرُكْ لِلصَّنَائِعِ مَوْضِعًا
فَوَاللَّهِ مَا طَوَّلْتُ بِاللَّوْمِ فِيكُمْ لِسَانًا وَلَا عَرَّضْتُ لِلذَّمِّ مَسْمَعًا
وَلَا مِلْتُ عَنْكُمْ بِالْوَدَادِ وَلَا انْطَوْتُ حِبَالِي وَلَا وَلَّى ثَنَائِي مُودِّعًا
بَلَى رُبَّمَا أَكْرَمْتُ نَفْسِي فَلَمْ تَهِنْ وَأَجَلَلْتُهَا عَنْ أَنْ تَذِلَّ وَتَخْضَعَا
فَبَايَنْتُ لَا أَنَّ الْعَدَاوَةَ بَايَنْتُ وَقَاطَعْتُ لَا أَنَّ الْوَفَاءَ تَقَطَّعَا

(١) بلؤلؤة الخ يريد بكأس مملوءة خمرًا .

(٦) ابن شرف القيرواني^(١)

من قوله :

إِنْ تَدْعُكَ الْغُرْبَةُ فِي مَعْتَرٍ قَدْ جَبَلَ الطَّبَعُ عَلَى بُغْضِهِمْ
فِدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ

وقوله :

احْذَرِ مُحَاسِنَ أَوْجُهُ فَقَدَتْ حَمَا سِنَّ أَنْفُسٍ، وَلَوْ أَنَّهَا أَقْمَارُ
سُرُجٌ تَلُوحُ إِذَا نَظَرْتَ فَإِنَّهَا نُورٌ يُضِيءُ وَإِنْ مَسَسْتَ فَنَارُ

وقوله في العود :

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا أَنْبَتَ عودَكَ الَّذِي زَكَتْ مِنْهُ أَغْصَانٌ، وَطَابَتْ مَغَارِسُ
تَغْنَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَالْعُودُ أَخْضَرُ وَغَنَّتْ عَلَيْهِ الْغَيْدُ، وَالْعُودُ يَابَسُ

وقوله :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْأَيَّامَ عَنْ خَيْرٍ هُمَا يَبْثَانِكَ الْأَخْبَارَ تَطْفِيلًا
وَلَا تُعَاتِبْ عَلَى نَقْصِ الطَّبَاعِ أَخَا فَإِنْ بَدَرَ السَّمَاءَ لَمْ يُعْطَ تَكْمِيلًا
لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ أَمْرٍ تَصْعَبُهُ فَاللَّهُ قَدْ يُعْقِبُ التَّصْعِيبَ تَسْهِيلًا
بِعَ مَنْ جَفَاكَ وَلَا تَبْخُلْ بِسَلْمَتِهِ وَاطْلُبْ بِهِ بَدَلًا إِنْ رَامَ تَبْدِيلًا
وَصِيرَ الْأَرْضَ دَارًا وَالْوَرَى رَجُلًا حَتَّى تَرَى مُقْبِلًا فِي النَّاسِ مَقْبُولًا

وقوله :

يا ثاويًا في مَعَشَرٍ قد أَصْطَلَى بِنَارِهِمْ
 إِنَّ تَبَكُّكَ مِنْ شَرِّهِمْ على يَدَيَّ شِرَارِهِمْ
 أَوْ تُرْمَ مِنْ أَحْجَارِهِمْ وَأَنْتَ فِي أَحْجَارِهِمْ
 فما بَقِيَتْ جَارُهُمْ ففِي هَوَاهُمْ جَارِهِمْ
 وَأَرْضِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ ودارِهِمْ فِي دارِهِمْ

(٧) عبد الجبار بن حمديس

قال يصف بركة يجري إليها الماء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود من صفر ، منها ما يقذف الماء صعدا ، ومنها ما يحدره إلى أسفل ، ومنها ما يقطعه كرات وبنادق :

وَالْمَاءُ مِنْهُ سَبَائِكٌ مِنْ فِضَّةٍ ذَابَتْ عَلَى دُولَابٍ شَاذِرَوَانٍ^(٢)
 فَكَأَنَّمَا سَيْفٌ هُنَاكَ مُشْطَبٌ^(٣) أُلْقَتْهُ يَوْمَ الرَّوْعِ كَفُّ جَبَانٍ^(٣)
 كَمْ شَاخِصٍ فِيهِ يُطِيلُ تَعَجُّبًا مِنْ دَوْحَةٍ نَدَّتْ مِنَ الْعِقْبَانِ^(٤)
 عَجَبًا لَهَا تَسْقَى هُنَاكَ يَنَائِمًا يَنْعَتُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْأَغْصَانِ^(٥)

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي أحدوصافي الطبيعة والمصانع البديعة . نشأ بمدينة سرقوسة من صقلية في أواخر دولة العرب بها ولما ملكها رجار النرماندي هاجر منها الى الأندلس وغيرها حتى مات بجزيرة ميورقة سنة ٢٥٧ هـ .

(٢) الشاذروان : كلمة معربة ومعناه كل ما خرج قليلا من جدار أو نصب عما فوقه من بقية البناء أو النصب أو ما كان كمصاطب الفوارات أو قصاعها كالرفرف وهو المراد هنا .

(٣) شبه الماء النازل من الثقوب منحنيا بالسيوف .

(٤) العقيان : الذهب .

(٥) الينائع : جمع ينيعة .

خُصَّتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى فَنَنِ لَهَا حُسْنَتْ فَأَفْرَدَ حَسَنَهَا مِنْ ثَنَانِ
قُسُّ الطُّيُورِ السَّاجِعَاتِ بِلَاغَةً وَفَصَاحَةٍ مِنْ مَنَاطِقِ وَبَيَانِ^(١)
فَإِذَا أُتِيحَ لَهَا الْكَلَامُ تَكَلَّمَتْ بِخَرِيرِ مَاءٍ دَائِمٍ الْهَمْلَانِ
وَكَأَنَّ صَانِعَهَا أُسْتَبَدَّ بِصُنْعِهِ فَخَرَّ الْجَمَادُ بِهَا عَلَى الْحَيَوَانِ
أَوْفَتْ عَلَى حَوْضٍ لَهَا فَكَأَنَّهَا مِنْهَا إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ رَوَانِي
وَكَأَنَّهَا ظَنَّتْ حَلَاوَةَ مَائِهَا شَهْدًا فَذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَانِ
وَزُرَافَةٍ فِي الْجَوِّ مِنْ أَنْبُوبِهَا مَاءٌ يُرِيكَ الْجَرَى فِي الطُّيَرَانِ
مَرَّ كَوْزَةٍ كَالرُّمَحِ حَيْثُ تَرَى لَهُ مِنْ طَعْنِهِ الْخَلْقَ انْعِطَافَ سِنَانِ^(٢)
وَكَأَنَّمَا تَرَى السَّمَاءَ يَبْدُقُ مُسْتَنْبِطٍ مِنْ لَوْلُؤٍ وَجْهَانِ
لَوْ عَادَ ذَلِكَ الْمَاءُ نَفْطًا أُحْرِقَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهُ قَمِيصَ كُلِّ عَنَانِ
فِي بَرَكَةٍ قَامَتْ عَلَى حَافَاتِهَا أَسَدٌ تَذِلُّ لِعِزَّةِ السُّلْطَانِ
نَزَعَتْ إِلَى ظُلْمِ النُّفُوسِ نَفُوسُهَا فَلِذَلِكَ انْزَعَتْ مِنَ الْأَبْدَانِ
وَكَأَنَّمَا الْحَيَّاتُ مِنْ أَفْوَاهِهَا يَطْرَحْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي غُدْرَانِ
وَكَأَنَّمَا الْحَيْتَانِ إِذْ لَمْ تَخْشِهَا أَخَذَتْ مِنَ الْمَنْصُورِ عَهْدَ أَمَانِ^(٣)

وقال يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

ويا حَبْدًا دَارَ قَضَى اللَّهُ أَنَّهَا يُجَدِّدُ فِيهَا كُلُّ عَزٍّ وَلَا يَبْلَى
وَمَا هِيَ إِلَّا خِطَّةُ الْمَلِكِ الَّتِي يَحُطُّ إِلَيْهَا كُلُّ ذِي أَمَلٍ رَحْلًا

(١) كان الماء إذا خرج من فيها ظهرت لها أصوات كهديل الحمام .

(٢) الخلق : الدروع .

(٣) الحيتان : سمك البركة .

إذا فُتِحَتْ أبوابُها خِلَتْ أنَّها تقول بترحيب لداخلها : أهلاً !
وقد نَقَلَتْ صُنَاعُها من صفاته إليها أفانيناً ، فأَحَسَّنتِ النُّقْلَ
فمن صَدْرِهِ رُحْباً ، ومن نوره سنى ومن صَيْتِهِ فرعاً ، ومن حلمه أصلاً
فأَعَلَّتْ به في رُتْبَةِ المُلْكِ نادياً وقلَّ له فوق السماكين أن يُعْلَى
نَسِيتُ به إيوانَ كسرى لأننى أراه له مَوْلى من الحسن لا مِثْلاً
ترى الشمس فيه لِيَقَّةً تستمدُّها أ كَفُّ أَقامت من تصاويرها شكلاً^(١)
لها حركاتٌ أودعت في سُكُونِها فما تَبِعَتْ من نقلهنَّ يَدُّ رَجُلَا
ولما عَشِينَا من توقدِّ نورها تَحِذُّنا سناه في نواظرنا كُحْلاً

(١) اللبقة : القطننة ونحوها توضع في الدواة •

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا الكتاب في ١٦ صفر سنة ١٣٧٣ هـ
(الموافق ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣) بمطابع دار الكتاب العربي بمصر
لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى

وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين بك علي الجارم بك
عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

الجزء الرابع

للسنة الرابعة الثانوية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٤

فهرس

العصر الجاهلى

الشعر

صفحة

امرؤ القيس :

- ١ ... من معلقته التى مطلعها : فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
٨ ... من قصيدته التى مطلعها : ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى
١١ ... من مأثور قوله

زهير بن أبى سلمى :

- ١٢ ... من معلقته التى مطلعها : أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

عمرو بن كلثوم :

- ١٧ ... من معلقته التى مطلعها : ألا هبى بصحنك فاصبحينا
٢١ ... ومنها يفتخر بقومه

عترة بن عمرو بن شداد العبسى :

- ٢٢ ... من معلقته التى مطلعها : هل غادر الشعراء من متردم

لبيد بن ربيعة :

- ٢٨ ... من معلقته التى مطلعها : عفت الديار محلها فقامها

النابغة الذبياني :

- ٣٤ ... من قصيدته التى مطلعها : كائى لهم يا أمية ناصب
٣٨ ... قال يمدح النعمان ويعتذر اليه

أعشى قيس :

- ٤١ ... قصيدته التى مطلعها : ودع هريرة إن الركب مرتحل

طرفة بن العبد :

- قصيدة التي مطلعها : نخولة أطلال بركة ثمجد ... ٤٨
ومن قصيدة يقول فيها : سائلوا عنا الذي يعرفنا ... ٥٥

الحارث بن حلزة :

- من معلقته التي مطلعها : آذنتنا بيننا أسماء ... ٥٨
وقال أيضا من قصيدة يفتخر ... ٦١

دريد بن الصمة :

- قال في رثاء أخيه : أرث جديد الحبل من أم معبد ... ٦٢

علقمة بن عبدة التيمي :

- من قصيدته التي مطلعها : طحا بك قلب في الحسان طروب ... ٦٦

سلامة بن جندل السعدي التيمي :

- قال : أودى الشباب حيدا ذوالتاجيب ... ٦٨

عبد يغوث الحارثي :

- من قصيدته : ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا ... ٧١

ذوالإصبع العدواني :

- من قصيدته : لي ابن عم على ما كان من خلق ... ٧٣

عبيد بن الأبرص :

- قال من بانيته المشهورة التي أولها : أقفر من أهله ملحوب ... ٧٥

الأفوه الأوسى ... ٧٦

عصر صدر الإسلام وبني أمية

- (١) آيات من القرآن الكريم ... ٧٧

- آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال ... ٨٦

(ب) الشعر :

كعب بن زهير :

٩١ ... قال من قصيدته : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

قتيلة بنت النضر :

٩٢ ... قالت تبكي أخاها : يارا كبا إن الأثيل مظنة

أمية بن أبي الصلت .

٩٣ ... قال يعتب على ابن له

كعب بن مالك :

٩٤ ... من قصيدته : عجيب لأمر الله والله قادر

مالك بن الريب التميمي :

٩٦ ... من قصيدة يذكر مرضه وغرته : ألا ليت شعري هل أبيت ليلة

أعشى بأهله :

١٠٠ ... رائيته التي يرثي بها أخاه

الخنساء :

١٠٤ ... قالت ترثي أخاها صحرا

حسان بن ثابت :

١٠٧ ... قال يذكر الحارث بن هشام وهزيمته يوم بدر

١٠٩ ... وقال يمدح عمر بن الحارث الغساني وقومه

١١١ ... وقال يوم فتح مكة

الخطيئة :

١١٣ ... قال : وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل

١١٥ ... وقال يمدح بغيض بن عامر

١١٧ ... وقال يهجو الزبرقان بن بدر

الأخطل :

١١٩ ... قال يمدح عبد الملك بن مروان : خف القطيعين

١٢٣ ... وقال يفضل الفرزدق على جرير

الفرزدق :

- قال يذكر تفضيل الأخطل إياه على الشعراء ويمدح بني تغلب ويهجو جريرا ... ١٢٦
وقال يمدح سعيد بن العاص ... ١٢٩
وقال يهجو جريرا : أن الذي سمك السماء بني لنا ... ١٣٢
وقال يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده ... ١٣٧

بحرير :

- قال يرثي زوجه خالدة بنت سعد ... ١٣٩
وقال يجيب الفرزدق عن قصيدته التي مطلعها : إن الذي سمك السماء ... ١٤١
وقال يمدح عبد الملك بن مروان : أتصحو أم قوادك غير صاح ... ١٤٥

عبيد الله بن قيس الرقيات :

- قال يمدح عبد العزيز بن مروان : لم يصح هذا الفؤاد من طربه ... ١٤٧
وقال من قصيدة يمدح مصعب بن الزبير : حبذا العيش حين قومي جميع ... ١٥٠
وقال يمدح عبد الملك بن مروان : عادله من كثيرة الطرب ... ١٥٢

قطري بن الفجاءة :

- قال في الحماسة : لا يركن أحد إلى الأجم ... ١٥٣
وقال من قصيدته : أقول لها وقد طارت شعاعا ... ١٥٤

عمران بن حطان (أحد شعراء الخوارج) :

- قال يخاطب روح بن زنباع لما دعاه لمقاتلة عبد الملك بن مروان ... ١٥٥
قال يخاطب زفر بن الحارث السكلابي ... ١٥٦
وقال يرثي أبا بلال مرداس بن أدية من الخوارج ... ١٥٧

الطرماح بن حكيم (من الخوارج) :

- قال من قصيدته : وإني لقتاد بجواذى وقاذف ... ١٥٨

الكيت :

- قال في بني هاشم : طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ... ١٥٩

جميل بن معمر :

- قال : ألا ليت أيام الصفاء جديد ... ١٦٢

عمر بن أبي ربيعة :

- قال من قصيدة : قال لي صاحبي ليعلم ما بني ١٦٥
وقال » : ألم تسأل الأطلال والمتربعا ١٦٦
وقال » : ليت هذا أنجزتنا ما تعد ١٦٩

كثير عزة :

- من قصيدته : خليل هذا ربع عزة فاعقلا ١٧١

(ج) النثر :

من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- كتب إلى هرقل ملك الروم ١٧٤
وكتب في صلح الحديبية بينه وبين قريش ١٧٤
خطبته يوم فتح مكة ١٧٥
ومن خطبته في حجة الوداع ١٧٦
ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام ١٧٨

نموذج من كلام أبي بكر الصديق :

- خطبته لما توفي الرسول عليه الصلاة والسلام واضطرب الناس ١٨١
خطبة له أخرى ١٨٢
خطبته يوم السقيفة ١٨٢
وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب ١٨٣
ما قاله في علته التي مات فيها ١٨٤

نبذة من كلام عائشة :

- قالت على قبر أبيها ١٨٥

من آثار عمر بن الخطاب :

- رسائله في القضاء إلى أبي موسى الأشعري ١٨٥
وكتب إلى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما إليه ١٨٧

عثمان بن عفان :

- من خطبة له ١٨٨
كتاباه إلى علي يستنجد به حين أحيط به ١٨٩

(ح)

صفحة

على بن أبي طالب :

- خطبته لما وردت خيل معاوية الانبار ... ١٨٩
خطبته في استنفار الناس إلى أهل الشام ... ١٩٢
وكتب إلى معاوية جوابا عن كتاب منه ... ١٩٣

معاوية :

- خطبته حين قدم المدينة عام الجماعة ... ١٩٤

زياد :

- خطبته البراء ... ١٩٥

عبد الله بن الزبير :

- خطبته بعد أن قتل أخوه مصعب ... ١٩٨

قطري بن الفجاءة :

- خطبة له ... ١٩٩

الحجاج :

- من خطبة له حين ولي العراق ... ٢٠١

عبد الحميد بن يحيى :

- من رسالته التي أوصى بها الكتاب ... ٢٠٣

(د) طائفة من أمثال العرب في جاهليتها وإسلامها ... ٢٠٦

أبيات تجرى مجرى الأمثال ... ٢٠٩

العصر الجاهلي

الشعر

(١) لامرئ القيس من معلقته : (١)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول (٢)

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليتلى (٣)

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكل كل : (٤)

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل (٥)

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي أشهر شعراء الجاهلية ، واحد الأربعة المقدمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الإسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع ، منه هذه القصيدة اللامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) قفا : فعل أمر للاثنيين ، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء في مخاطبة الاثنين ، ولو كان المراد واحدا . وسقط اللوى والدخول وحول مواضع بنجد وفي سقط اللوى كان منزل محبوبته — يقول (عند ما مر بالمنزل الذي كانت حبيبته نازلة به قديما) : يا صاحبي قفا معي هنا وأسعداني بالبكاء ، لتذكرى العيش الذي قضيته مع حبيب عزيز على كان ينزل في هذا المكان الذي بين الدخول وحول الخ .

(٣) السدول : الستور جمع سدل ، ويتلى : يختبر ، أى ورب ليل كموج البحر في كثافته وظلمته شملنى بأنواع الهموم ليختبرنى أأصبر أم أجزع .

(٤) تمطى بصلبه : تمدد بوسطه . والأعجاز : جمع عجز ، وهى الأطراف . ومعنى أردف أعجازا : باعد أطرافه عن صلبه فطال من آخره . والكلكل : الصدر . ومعنى ناء بكل كل : بعد بصدرة الى الأمام ، أى أن الليل طال عليه لفاقه وأرقه في جميع أجزائه : أوله ووسطه وآخره ؛ فلم ينعم في جزء منه .

(٥) أنجلي بصبح : أى انكشف عن صبح . والياء للشد مثل الألف في قوله تعالى ” سنقرئك فلا تنسى “ ثم راجع نفسه متحسرا فقال : وما الإصباح بأمثل منك ، أى وإذا جاء الصباح فليس بأفضل منك ، ولا يفرج من همومى ، فهومى دائماً ليلا ونهارا .

- (١) فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَتْ نُجُومُهُ . بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ يَدَايِلُ (١)
(٢) كَانَتْ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا . بِأَمْرَاسٍ تَكَّانٍ إِلَى صَمٍّ جَنَدَلٍ (٢)

*
* *

- (٣) وَقَدْ أَغْتَدَيْتَنِي ، وَالطَّيْرُ فِي وَكُكَاتِهَا . بِمُنْجَرِدٍ قَيْسِدِ الْأَوَايِدِ هَيْكَلِي (٣)
(٤) مَكْرَ مَفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا . بِكُلْمُودٍ صَخِرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِي (٤)

(١) ثم تعجب من طوله فقال (فيا لك من ليل) أى يا عجبا لك من ليل ، ومعنى قوله (بكل مغار الفتل) أى بكل جبل محكم الفتل متين . ويذيل جبل من جبال نجد . يعنى كأن نجوم هذا الليل لطوله ربطت بجبال مثينة بالجبل المسمى بيذيل ؛ فلا تخرج من مكانها .

(٢) الزيا : مجموع من كواكب صغيرة القدر متصفا بعضها إلى بعض ، كأنها كفف إنسان أو عقود عنب . والمصام : الموقف . والأمراس : الجبال . (المعنى) وكان الزيا من نجومك — أيها الليل — قد علقت أيضا بجبال تكان مثينة الى جنادل وصخور صماء ؛ فهي لا تنتقل أيضا من مكانها .

(٣) أغتدي : أبكر وأذهب غدوة ، أى قبل طلوع الشمس . والوككات : جمع وككة وهى الموضع الذى يبيض فيه الطائر أو يبيت فيه . والمنجرد : الأجرد الشعر أى القصير ، وذلك من محاسن الخيل . والأوايد : جمع أيد وهو الوحش النافر ، والهيكل : الطويل المرتفع (المعنى) يقول : وقد أخرج مبكرا قبل أن تنهض الطير من أوكارها راجعا فرسا أجرد ضحا كأنه فى سرعته قيد للوحوش لأنها لا تفلت ، لأنها واقفة مقيدة ، فيسهل على راحته صيدها . وهذا التشبيه من أحسن تشبيهات امرئ القيس وقد أخذ عنه شعراء كثيرون .

(٤) مكر مفر : صفتان لهذا الفرس ، وهما بمعنى مقبل ومدبر . وقوله (معا) أى أن هاتين الصفتين اجتماعا له معا ؛ فهو يصلح للإقبال كما يصلح للإدبار ، فعنده هذا وهذا ، لا أن الكر والفر يقعان منه فى وقت واحد ؛ لأن ذلك محال عقلا ؛ ثم أنه شبهه فى سرعته أيضا بجلمود من الصخر أسقطه السيل من مكان عال وفيه إشارة إلى صلابته .

- كَيْتَ يَزُلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَزَّلِ (١)
 عَلَى الذَّيْلِ جَبَّاشٍ ، كَأَن أَهْتَزَّاهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ غَلَى مِرْجَلِ (٢)
 مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثْرَنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرَكَّلِ (٣)
 يَزُلُّ الْغَلَامُ الْخُفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ (٤)
 دَرِيرٍ نَحْذُرُوفٍ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ تَبَاعُ كَفَيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ (٥)

(١) الكيت : الفرس الأحمر الذي تميل حرته إلى السواد . وحال منه : وسط ظهره . والصفواء : الصخرة الملساء . والمنزل بصيغة اسم الفاعل : السيل أو المطر الذي ينزل الصخور ويجريها إلى أسفل (المعنى) أنه فرس مكتمل اللحم أجلس الظهر ، ولملاسته يزل اللبد الذي يوضع على ظهره تحت السرج عن ظهره كما تزل الصخرة الملساء إذا أنزلها السيل .

(٢) الذبل : الضمور . والجباش : الذي يجيش في عدوه كما تجيش القدر في غلباتها . والاهتزام : شدة الصوت المنقطع ، يريد به صوت جوفه . وحمة : غلبه وارتفاع حرارته . والمرجل : القدر الكبيرة (المعنى) أن هذا الفرس على ضموره متوقد النشاط ؛ كأنه في استرسال عدوه ، وتردد صهيله في صدره ، قدر تغلى ويجيش .

(٣) المسح : الذي يسح العدو ممحا كالمطر . والسابحات : الخيل التي تسبح في عدوها وتبسط أذيها كالسباح في الماء . والوني : الفتور . والكديد : الأرض اليابسة . والمركل : الذي تركه الخيل بأرجلها (المعنى) أن هذا الفرس عند ما تفر الخيل السابحات ، ويبطؤ سعيها حتى تثير الغبار - لا يفتر هو ؛ بل يصب العدو صبا ، ولا يثير الغبار ؛ لأنه لنشاطه لا يلمس الأرض إلا بأطراف حوافره .

(٤) المعنى أن هذا الفرس إذا ركب الغلام الخفيف الجسم زل عن ظهره ، وإذا ركب العنيف الثقيل الجسم أطار ثيابه ؛ فلم يمالك أن يصلحها ؛ فلا يستطيع ركوبه إلا فارس ماهر لشدة قوته .

(٥) در الفرس : عدا عدوا شديدا سهلا فهو درير . والنذرورف : لعبة تلعب بها الصبيان ، وهي شطية من خشب ونحوه يثقب وسطها ، ويدخل فيه خيط ، فيجز الصبي الخيط بيديه فتدور الشطية دورانا شديدا يسمع له حفيف . وأمر الخيط : أحكم قتله . شبه الفرس في شدة عدوه بسرعة النذرورف في دورانه . ووصف الخيط بأنه موصل إشارة إلى أن اللاعب صبي كثير اللعب بالنذرورف حتى أن الخيط يتقطع فيصـله

- له أَيْطَلَا ظُبِي ، وساقا نَعَامَةً ، وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ ، وتَقْرِيبُ ثَنَظْلٍ (١)
 ضَايِعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بضَافٍ فَوَيْقِ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَّلٍ (٢)
 كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينَ مِنْهُ إِذَا أَتَى مَدَاكَ عُرُوسٍ ، أَوْ صَلَايَةَ حَنَظْلٍ (٣)
 كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ يَنْحَرُهُ عَصَارَةُ حَنَاءٍ يَسْبِي مُرَجَّلٌ (٤)
 فَعَنَ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ عَدَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذِيلٍ (٥)
 فَأَدْبَرْنَ كَالْجَزَعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مُعِمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخْوِلٍ (٦)

(١) أَيْطَلَا الظبي ونحوه : خاضعته ، وخص الظبي لضمور أَيْطَلِيهِ . والإِرْخَاءُ : الجري الذي فيه مهولة . والسرحان : الذئب . والتنفل : ولد الثعلب . وتقريب الفرس في العدو : رفع يديه معا ووضعهما معا (المعنى) أن هذا الفرس فيه عذة محاسن ، تخاضعته ضامرتان ، وساقاه طويلتان صليبتان . وهو في جريه الخفيف يشبه الذئب ، وفي الشديد يشبه الثعلب .

(٢) يقول إن هذا الفرس عظيم الصدر ، واسع الأضلاع ، سابغ الذئب بحيث إذا نظرت إليه من خلفه رأيت ذنبه يسد الانقراج الذي بين نخذه ، وذنبه فوق الأرض ليس بقصير ولا طويلا فاحشا فيطأه الفرس برجليه ، وليس هذا الذئب بمعوج إلى جانب .

(٣) المتن : الظهر — والمراد بالمتنين هنا جانباً ظهره — وانحى : وقف في ناحية من البيت . والمسدك : الحجر الذي يداك به الطبيب أى يسحق . والصلاية : الصخرة الملساء يدق بها لب الحنظل (المعنى) أن هذا الفرس إذا وقف بجانب البيت غير مخرج رأيت ظهره برافاً أملس كأنه مدالك العروس أو صلاية الحنظل ، وخص العروس لاهتمامها بأمر الطبيب .

(٤) الهاديات : جمع هادية . وهن الأوائل والمتقدمات في السير من سرب الوحش . والمرجل : المسرح . (المعنى) أن هذا الفرس ياحق أوائل الوحش به أو آخرها ، فعند ما يقطعها أو يضر بها راكبه يصيب رشاش دماؤها نحر هذا الفرس ، فيصبغه بالحمرة ؛ فكأن عصارة حناء صبغت منه شعرا شائبا مسرحا . ويفهم من هذا أن لبة هذا الفرس الكمية بيضاء .

(٥) عَنَ : ظهر . ودوار (بفتح الدال) : اسم صنم كان بالجاهلية . والملاء : جمع ملاءة . والمذيل الذي لون ذيله أسود (المعنى) ظهر لنا سرب من بقر الوحش كأن نعاجه بنات أبكار يطفن حول دوار لابسات ملاءات سود الذبول : وذلك لأن بقر الوحش يبيض الظهر وسود القوائم .

(٦) الجزع : خرز فيه بياض وسواد ، والبياض في الوسط ، وكذلك بقر الوحش فإن قرونها وقوائمها سود . والجيد : العنق . والمعم المخول : الصبي الذي له أعمام وأخوال كرام ؛ فهو عزيز على أهله =

- فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَات ، وَدُونَهُ جَوَّاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلَ (١)
 فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعِيجَةٍ دِرَاكًا ، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فُيْغَسَلِ (٢)
 فَظَلَّ طُهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ (٣)
 وَرَحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ ، مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْقِلِ (٤)
 فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَجَلَامُهُ وَبَاتَ بَعِينِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ (٥)

= يقدونه فلائذ الجزع (المعنى) أن هذا الفرس سبق سرب البقر ، فردّها على أعقابها ، فدارت حيرة ، وكانت أشبه بقلادة جزع مختلفة الألوان فوق بين رزاتها بخزرات أخرى ، وكانت هذه القلادة في عنق صبي كريم على أهله ؛ فبذلك تكون رزاتها أجود وأصفى .

(١) الجواهر : المتخلفات . والصرة : الجماعة . وتزيل : أصله تزيل ، أى لم تتفرق (المعنى) فالحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش ، وبقيت أواخرها لم تتفرق ، يصفه بشدة العدو .

(٢) عادى : والى . المعنى ثم لما تفرقت البقر بعد ذلك عادى هذا الفرس عداء متواصلا بين ثور ونعجة ، فأدركتهما في طلق واحد ولم يعرق عرقا يعم جسده ؛ حتى يصير كأنه غسل بماء . أى أنه دركهما وصادهما من غير مشقة .

(٣) الطهارة : جمع طاه وهو الطباخ . والصفيف من الشواء : ما صفف مرققا على الجمر . والقدير : ما طبخ في القدر (المعنى) فظل الطباخون يعالجون لحم الصيد ، فمنهم من يشوى ، ومنهم من يطبخ في القدر متعجلا . ومجر لفظ (قدير) على المجاورة أو على العطف على منضج ؛ أى من بين منضج صفيف شواء . أو منضج قدير بالإضافة . فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ؛ بفخر مثله .

(٤) الطرف : البصر . ورحنا : من الرواح أى الرجوع عشية . ويقصر : ينجح دون إدراك محاسنه . (المعنى) أننا بعد ما أدركنا العشى بقينا ننظر بأبصارنا الى محاسن هذا الفرس ؛ فلا يدرك البصر كل محاسنه جملة ؛ فبينما ينجمه النظر الى محاسن أعالي جسمه ، إذا بحاسن أسافله تجذب النظر إليها ؛ فلا يمكننا حصر النظر في شيء واحد من محاسنه .

(٥) المعنى فبت وقد بات عليه سرجه وجلامه ، وبات بمراى عيني قائما غير مطلق ؛ لأننا على سفر ، فنحن على استعداد لركوبه في أى وقت وعند أى خطر . يصفه بالنشاط وعدم التعب ووصول اليوم بالغد في احتمال الركوب والعدو .

- أصاح ترى برقاً أريك وميضه
كَلْعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلٍّ (١)
يُضِيءُ سَنَاهُ، أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ
أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِّ (٢)
فَعَدْتُ لَهُ، وَصَحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ
وَيَيْنَ الْعُذِيْبِ، بَعْدَ مَا مُتَمَلِّ (٣)
عَلَى قَطَنِ بِالشَّمِّ أَيْمَنُ صَوِيهِ،
وَأَيْسَرُهُ عَلَى السَّتَارِ قَيْذْبُلٍ (٤)
فَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ
يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحُ الْكَنْهَلِ (٥)
وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ تَفْيَانِهِ
فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَتَرٍ (٦)

(١) بعد أن فرغ من وصف الصيد والفرس أخذ في وصف الغيث وما يتعلق به فقال : (أصاح الخ) و(صاح) : ترخيم صاحبي ، والوميض : لمع البرق ونحوه . والحبي من السحاب : المتراكم بعضه على بعض كأنه يحبب لثقله . والمكل : الذي صار أعلاه كالإكليل وهو التاج . (المعنى) يا صاحبي أنت ترى البرق الذي أريك لمعه كلع اليدين وحركتهما السريعة . وهذا البرق يلمع في سحاب متراكم مكل .

(٢) المعنى كأن هذا البرق - حال كونه يضيء - لمع اليدين ، أو كأنه مصابيح راهب أمال السليط ، وهو الزيت بذبال المصابيح المفتل ، وهي الفتيلة ، وفي الكلام قلب . أي أمال الذبال بصب السليط . أو أن الباء بمعنى مع ، أي أمال السليط مع الفتيلة إلى جانب فتكون متغذية دائماً بالزيت ، فتكون أشد إضاءة .

(٣) صحبتي : أصحابي . وضارج والعذيب مكانان . (المعنى) قصدت لذلك البرق أنظر من أين يحيى بالمطر ، وبأبعد ما تأملت أي ما أبعد ، يتعجب من بعد نظره .

(٤) قطن الستار ويذبل : أسماء جبال ، والشيم : النظر . والصوب : المطر (المعنى) أن مطر هذا البرق امتد في جهات مترامية ، فكان يمينه على جبل قطن ، وكان يساره على جبل الستار فيذبل بحسب نظرنا وتقديرنا لأنه لا يرى هذه الجبال .

(٥) كتيفة : اسم أرض أو هضبة . والدوح : الشجر العظيم . والكنهل : شجر شائك (المعنى) فأضحى

المطر يسح الماء حول كتيفة ويقلب سبله الأشجار العظيمة فيجعل عاليها سافلها .

(٦) القنان : اسم جبل . والتفیان هنا : ما يتطاير من رشاش الماء والسيل أو ما يشذ عن معظمه (ومن)

هنا : بمعنى الباء كقوله تعالى (ينظرون إليك من طرف خفي) . والعصم : الوعول ، واحداً عصم ،

وهو ما كان في معصمه بياض يخالف لونه ، ومن شأن الوعول أنها تسكن الجبال ، ولا تكاد توجد في غيرها .

(المعنى) ومر هذا المطر على جبل القنان برشاشه فأكره الوعول على النزول منه من كل ناحية .

- وَتَيْمَاءُ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذَعَ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمًا إِلَّا مَشِيدًا يَجْنَدَلُ (١)
 كَانَ تَيْمِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلَدٍ كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ (٢)
 كَانَ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيْمِرِ غُدُوَّةٌ مِنَ السَّيْلِ وَالْفُتَاءِ - فَلَكَّةُ مِغْزَلُ (٣)
 وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَيْبِطِ بَعَاةً نُزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ (٤)
 كَانَتْ مُكَارِكِي الْجَوَاءِ غُدِيَّةً صُبْحَنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقِ مُفْلَقِلِ (٥)

(١) تيماء : كانت من مدن اليهود قديماً في الجاهلية . وهي بين مدائن صالح وتبوك من طريق الشام إلى المدينة . وكان بها نخل كثير وقصور حصينة منها الأبلق الفرد . وتسمى العرب القصر العالي والحصن المرفوع أطماً (المعنى) أما تيماء فلم يترك بها سبل هذا المطر جذع نخلة لأنه أسقطها جميعاً ولم يترك بها بناء قائماً إلا إذا كان مشيداً بالجنادل والصخور العظيمة .

(٢) تيمير : اسم جبل . والعرايين : جمع عرينين وهو : أول الشيء . ومقدمه . الوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد : الكساء المخطط . والتزميل : اللف في الثوب ، فالثوب مزمل به (المعنى) كأن هذا الجبل عند أوائل هذا المطر رجل كبير في بجاد مزمل به . وذلك أنه شسبه الجبل وقد غطاه الماء والغناء إلا رأسه الأسود بشيخ ملتف في كساء مخطط . وجرّ مزمل على المجاورة إذا كان صفة لكبير . أو هو مجرور على أنه صفة لبجاد على تقدير في بجاد مزمل به .

(٣) المجير : اسم جبل ، وذراه : أعلاه . والغناء : ما احتمله السيل من حطام النبات ونحوه ، وفلكة المنزل : الخشبة المستديرة في أعلاه كالقرص (المعنى) أن هذا المطر كشف ما على رأس المجير من التراب والنبات ، وأحاط سيله وغناؤه سيله بجوانبه على استدارة جعلت رأس المجير كأنه فلكة مغزل .

(٤) صحراء الغبيط : من صحارى بلاد العرب ، وأصل الغبيط : الأرض المنخفضة . والبعا : القتل والحمل . والمراد هنا السحاب المثلل بالماء . والعياب : جمع عيبة ، وهي : وعاء من جلد يحمل فيه الثياب ونحوها (المعنى) وألقى هذا المطر أثقاله بصحراء الغبيط فأنبئت نباتاً حسناً . مختلفاً ألوانه وأزهاره ، فكان نزوله بها كنزول التاجر اليماني إذا جاء محملاً بعياب ثياب مختلفة الألوان والأصباغ ، ونشرها أمام الناس ترغيباً لهم في شرائها .

(٥) المكّاكي : جمع مكاء كرمان ، وهو طائر كثير الصفير . والجواء : البطن الواسع من الأرض . وصبحن : من الصبوح ، وهو الشرب صباحاً . والسلاف : أول ما يعصر من الخمر . والرحيق : صفوة الخمر . والمفلقل : الذي يلذع لذع الفلفل أو الذي وضع فيه الفلفل (المعنى) أن هذا المطر بعد ما نزل في هذا الوادي جعله روضة من النبات والزهر ، وأصبحت تغرد فيه الطيور مبتهجة كأنها شربت صباحاً وحين سلاف مفلقل فسكرت وطربت ..

كَانَ السَّبَاعَ فِيهِ غَرْقٌ عَشِيَّةً بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوصَى أَنَايِشُ عُنْصَلٍ (١)

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

أَلَا أَنْعِمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَسَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي ؟ (٢)

*
* *

(١) السباع : جمع سبع ، وهو كل حيوان مفترس أسدا كان أو غيره . والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية . والعنصل : بصل يرى تخفى أصوله تحت الأرض فتنبش ، فهي بعد النباش أنايش ، جمع أنبوشة . أولا مفرد لها (المعنى) أن هذا المطر استحال في بعض الأودية سيلا عظيما أغرق السباع واحتملها طافية على وجه مائه بادية خراطم رءوسها وأطرافها ؛ كأنها أنايش عنصل .

(٢) عم صباحا ، وأنعم صباحا : تحية الصباح في الجاهلية ، كقولهم : عم ، وأنعم مساء : تحية المساء ، وعم ظلاما : تحية الليل . و (عم) : فعل أمر من وعم يعم كوزن يزن ، وأنعم صباحا : من النعمة والنعيم . وهو مني عم أيضا . والطلل : الشاخص من الأشياء على وجه الأرض . والمراد هنا آثار دار المحبوبة الشاخصة . والبالي : المدارس الذي كادت معالمه تخفى . والعصر : لغة في العصر . والخالي : الماضي . (المعنى) أنه متصباحا على دار كانت تنزلها محبوبته في العصر الماضي ، فشاهد طللتها المدارس فغياها بقوله : أنعم صباحا الخ . ثم راجع نفسه ، وقال : كيف أدعوا بالنعمة لشيء وجد منذ زمان طويل فقارقه أهله وبلى ، وفارقه النعمة بفراقهم .

وقد أغتدى ، والطير في وكثاتها لغيث من الوسمى رائده خال^(١)
تحمأه أطراف الرماح تحاميا وجاد عليه كل أشم هطال^(٢)
بِعَجْلَزَة قد أترز الجرى لحما كمت كأنها هراوة منوال^(٣)
ذعرت بها سربا تقيا جلوده ، وأكرعه وشى البرود من الخال^(٤)
كان الصوار إذ تجاهدن غدوة على جمزى - خيل تجول بأجلال^(٥)

(١) المراد بالغيث هنا : البقل والمرعى ، لأنه أثر الغيث ، وهو المطر . والوسمى : أول مطر الربيع .
والرائد : من يبعثه أهله في طلب المرعى . وخال : أى خال بنفسه . (المعنى) وقد أبكر (والطير لم تزل جائئة
في أوكارها) لطلب الصيد في مرعى لم يجسر أحد على رعيه ، فاذا راده رائد جرى . مثلى وجد نفسه منفردا
لا يزاوجه عليه مزاحم .

(٢) الأشم هنا : السحاب الأسود اللون المتراكم . والمطال : الكثير المطر . (المعنى) أن هذا
المرعى منبع تحمأه الرماح أى الفرسان الحاملوها ، لأنه بين حيين متعادين ؛ فيخشى رعيه كل منهما ؛
ولكنى بجراأتى قصده للصيد ، وهو خصب لتوالى الأمطار عليه .

(٣) العجلة : الفرس الصلبة العضل . وأترز الجرى لحما : أى أيبسه وضممه . والكميت : الجراء
الى سواد . والهراوة : العصا الغليظة . (المعنى) أنه يذهب الى الصيد في هذا الوادى بفرس مضمرة صلبة
كأنها الخشب الغليظة الصلبة التى تلف عليها شقة الثياب عند نسجها بالمنوال .

(٤) ذعرت : أخفت وأفزعت . والسرب : القطيع من بقر الوحش . والأكرع : جمع كراع وهى
أطراف القوائم . الخال : الثوب الناعم من ثياب اليمن . (المعنى) أفزعت وهجت بهذه الفرس قليباً من
الوحش يبيض الجلود مخططة الأكرع بالسواد ؛ فكأنها ثياب اليمن الموشاة .

(٥) الصوار : القطيع من بقر الوحش ، وتجاهدن : اجتهدن فى العدو ، وعلى : بمعنى مع . والجمزى :
نوع من العدو . والأجلال : جمع جل ، وهو ما يوضع على ظهر الفرس ساترا له . (المعنى) كأن قطع بقر
الوحش عند ما اجتهدن فى أن يجربن جرية الجمزى (وهو جرى سريع مع وثب) خيول تجرى عليها أطلال

بغال الصُّوار ، وَاَتَقَيْنَ قِرْهَبَ طویل القَرَا والرُّوقِ أَخْنَسَ ذِيَالٌ^(١)
 فَعَادَيْتُ مِنْهُ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ وَكَانَ عِدَائِي إِذْ رَكِبْتُ عَلَى بَالِي^(٢)
 كَأَنِّي يَفْتَحُ الْجَنَاحَيْنِ لِقْوَةَ عَلَى عَجَلٍ مِنْهَا - أَطَاطِي شِمَالٌ^(٣)
 تَحْطَفُ خِزَانُ الْإِنْعِيمِ بِالضُّحَى وَقَدْ بَحَرْتُ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالٍ^(٤)
 كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا - الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي^(٥)

(١) بغال : دار . والقرب : الكبير الضخم من الثيران ، والقرا : الظهر . والروق : القرن ، والأخنس : المنخفض قصبة الأنف ، وذلك من صفات البقر ، والذبال : الطويل الذيل . (المعنى) فدار هذا القطيع دورة . واتقينا الصائد بهذا القرب وقسرتن به ، وجعلته مما يلي الصائد ؛ لأنه أشد من . وهذا القرب طويل الظهر والقرن أخنس الأنف طويل الذنب .

(٢) فعاديت منه : أى به وعادى بين الصيدين عداء : وإلى العدو وتابعه فى طلق واحد . وكان عدائى الخ أى كان على تهم منى واشتغال به .

(٣) الفتح : لين وطول فى جناح الطائر . واللقوة : السريعة التى تحطف كل شئ . وطأطأ فرسه : ونزه بفخذه وحركه للعدو ، والشمال السريعة الخفيفة ؛ يريد فرسه . (المعنى) كأتى عند ما حثت فرسى وهجتها للعدو — أستحث عقابا طويلة الجناحين سريعة بحلة . أى أن فرسه تشبه العقاب .

(٤) الأنيم وأورال : موضعان . والخزان : جمع خرز «بضم ففتح» وهو ذكر الأرناب . وبجرت : اختفت فى أبحارها . (المعنى) أن هذه العقاب التى شبه بها فرسه تحطف أرناب الأنيم ، أما ثعالب أورال فتخبها تدخل أبحارها .

(٥) العناب : ثمر كالتين أحمر . والحشف : الردى . المتقبض من القرم (المعنى) كأن قلوب الطير الرطب منها واليابس فى وكر هذه العقاب عناب وحشف بال ، أى أنها تأتى بقلوب الطير تطعم فراخها بها لصغر حجمها . ولكثرة ما تصيد يبق الكثير منها فى وكرها ما بين حديث رطب وعتيق يابس .

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني (ولم أطلب) قليل من المال^(١)
ولكنما أسعى لمجد مؤنل وقد يدرك المجد المؤنل أمثالي^(٢)
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمديرك أطراف الخطوب ولا آلي^(٣)

ومن مأثور قوله :

وقد طوّفت في الآفاق حتى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٤)

ومنه قوله :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان^(٥)

(٢١) فاعل كفاني : لفظ قليل — ومفعول أطلب محذوف تقديره ولم أطلب الملك الذي أسعى لاسترجاعه ، وإنما يرضى بالقليل من يسعى لأدنى معيشة ، أي أطلب عيشة الملك والمجد المؤنل الأصيل فينا ولولم أسع له لكفاني القليل من المال .

(٣) الحشاشة : بقية النفس . والخطوب : الأمور العظيمة . وأطرافها : غاياتها . والآلي : المقصر .
(المعنى) أن الانسان مع سعيه في دوام حياته لا يدرك نهاية كل ما يريد ، ولولم يقصر في الطلب .

(٤) أي وقد أكرثت الطواف في الآفاق حتى أعياني الطواف ، وحتى رضيت أن أعود بدل الغنيمة الى أهل بنفسي . وكان أكثر خروجهم وأسفارهم لطلب الغنائم .

(٥) أي اذا عجز المرء عن ضبط الكلام الذي يخرج من لسانه فهو عن ضبط غيره أعجز .

(٢) لُزْهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ مِنْ مَعْلَقَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

أَوْنٌ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَأَلْمَتَلِّمْ^(٢)
سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةٍ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدِّمِّ^(٣)
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالُ بَنُوهُ : مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ^(٤)

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربعة بن رياح المزني ، أحد فحول شعراء الجاهلية الأربعة . وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ثم هو أعفهم قولاً وأكثرهم تهذيباً لشعره ، وآل أبي سلمى نشأوا في غطفان أحلافاً لهم ، وإن كان نسبهم في مزينة ، وتخرج زهير في الشعر على بشامة بن الغدير الشاعر خال أبيه ، وعلى زوج أمه أوس بن حجر شاعر مضر في زمانه ، ففاقهما في الشعر ، وله ديوان شعر كبير منه في مدح هرم بن سنان الذي ياتي المزني ، ومن مدائحه فيه هذه المعلقة ، مدحه بها الحسن بن سعيد وهو والشارح بن عوف في الصلح بين عيسى وذييان في حرب داحس والغبراء فبحملها ديات القتلى ، وقد بلغت ثلاثة آلاف بغير . ومات قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنة .

(٢) أم أوفى : امرأة زهير ، والدمنة : ما أسود من آثار الدار من الرماد ونحوه ، وحومانة : القطعة من الرمل ، الدراج والمنلج : موضعان بنجد (المعنى) أمن دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم عند وقوعنا عليها وسؤالنا لها : أين أصحابك ؟ أوقونا لها : ما كان أطيب أيامنا فيك !

(٣) غيظ بن مرة : حى من غطفان منه هذان الرجلان الساعيان في الصلح بين العشيرة ، يريد بهما هرم بن سنان والشارح بن عوف المدوحين ، وتبزل بالدم : تشقق به (المعنى) سعى هذان السباع في الصلح بعد ما كسفتى ما بين العشيرة من الألفة والمودة بالدم .

(٤) جرهم : قبيلة يمانية كانت تملك سدانة الكعبة قبل قريش .

- يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدُّمَا على كُلِّ حَالٍ : من سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ (١)
- تَدَارَكْتُمَا عَدَسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَ مَا تَفَانُوا ، وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ (٢)
- وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ نُدْرِكِ السَّلْمَ وَاسِعًا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ - نَسْلَمَ
- فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ (٣)
- عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا وَمَنْ يَسْتَبِيحَ كَثْرًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ (٤)
- فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمُ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ الْمُزْنَمِ (٥)
- تَعْنَى الْكُلُومِ بِالْمِثْنِ ، فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ (٦)
- فَمَنْ مُبْلِغُ الْأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةً وَذُبْيَانًا : هل أَقْسَمْتُ كُلَّ مُقَسِّمٍ (٧)
- فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيَخْفَى ، وَمَهُمَا يُكْتَمُ اللَّهُ يَعْلَمَ

- (١) السحيل : الخيط أو الحبل يقتل قتلا واحدا ، والمبرم : ما يقتل خيطين ثم يقتل ثانياً ويقتل خيطاً واحداً (المعنى) أقسم يمينا لنعم السيدان أنما في حال الرخاء وحال الشدة .
- (٢) « دقوا بينهم عطر منشم » : مثل يضرب في شدة التنازع وانتشار الشر بين القوم ، وأصله أن امرأة عطارة تعطر أقوام بعطرها وتخرجوا للحرب فهلكوا .
- (٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأتم : الإثم .
- (٤) معد بن عدنان أبو القبائل الزارية ومنها المدوحان .
- (٥) التلاد من الإبل : ما ولد عندك ، والإفال : جمع أفيل ، وهو الفصيل الصغير ، والمزمن : فل كريم من الإبل زمنوا أذنه ، أى ميزوه بعلامة . يقول : أصبح يجرى في أولياء المقتولين من نفاس أموالكم غنام شتى من إبل صغار معلبة .
- (٦) التعفية : المحو وإزالة الأثر . والكلوم : الجراح . وينجمها : يدفعها نجوماً أى أقساطا . (المعنى) أن الجراح يحى أثرها ببذل المئين من الإبل يغرمها على أقساط من لم يجن فيها جريمة ، وهما المدوحان .
- (٧) يريد بالأحلاف القبائل التي حالفت ذبيان على حرب عبس ، و « هل » هنا بمعنى « قد » مثل « هل أتى على الإنسان حين من الدهر » . (المعنى) أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم قد أقسمتم كل قسم عظيم على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه ؛ فإن الله يعلمه ، ويعاقبكم عليه في يوم الحساب ، أو يعجل عقابكم — ومن هذا يعرف أنه كان مؤمناً بالبعث .

- يُؤَخَّرُ ، فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ ، فَيُدْنَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُعَجَّلَ ، فَيُسْتَقَمَّ
- وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ (١)
- مَتَى تَبَعَثُوهَا تَبَعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا ، فَتَضُرُّمَ (٢)
- فَمَرْكُكُمْ عَرَكَ الرِّيحِ بِشِفَاهِهَا ، وَتَلْقَحُ كِشَافًا ، ثُمَّ تَحْمِلُ ، فَتُسْتَمَّ (٣)
- فَتُنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ، ثُمَّ تُرْضَعُ فَتَفْطِمُ (٤)
- فَتَغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغْلِلُ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ (٥)

(١) المرجم من الحديث المقول بطريق الظن ، لا عن تحقيق . أى : وما حديثي عن الحرب وتخويقكم ويلاتها بالحديث المفترى ، بل أنتم قد علمتم وبل الحرب وذقتموه ، فلا تقرّبوها .

(٢) الضرى والضراوة : شدة الحرص ، والتضرية : الحمل على الضراوة . وضربت النار تضرم : التبت . (المعنى) متى تهبجوا الحرب تهبجوها مذمومة ، ويشند حرها ، وتضطرم فارها .

(٣) العرك : الدلك ، والثفال : الجسد أو الخرقة توضع تحت الرجا ليقع عليها الطحين ، والبناء في « بنفأها » بمعنى « مع » أى الرجا في حال طحنها . و « تلقح كشافا » أى وتلقح لقاءها كشافا بأن تحمل في عامين متوالين ، وتتم أى تأتى في كل مرة من المراتين بتوأمين . (المعنى) إذا هجم الحوب طحتكم طحن الرجا ، وتدمر زما طويلا في شدة ، فتكون كالناقة التى تحمل حملين في عامين متتابعين ، ثم هى لا تلد إلا توأمين .

(٤) أشام : مصدر من الشؤم على وزن أفعّل أو صفة لمخدوف . وأحمر عاد لقب لعاقرة فاقة صالح نبى ثمود عليه السلام ، وصموه قدارا ، وكان عقره لهذه الناقة شؤما على قومه ، ويريد بعاد هنا ثمود : إما توها وخطأ ، وإما أن ثمودا من عاد . (المعنى) ان هذه الحرب يطول أمرها وتنتج لكم غلمان شؤم أو غلمان أب أشام شؤم قدرا عاقرة الناقة ، ثم تعيش هذه الغلمان ، فترضع وتنفطم . وكل ذلك كناية عن طول الحرب وشرورها .

(٥) أى قتل لكم غلة ليست كغلة قرى العراق من الحب الذى يكال بالقفيز ، أو من تمن الغلة وهى الدراهم . وإنما تغل لكم غلة هى الموت والحلاك .

- لَعَمْرِي لَنَعِمَ الْحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ
يَمَّا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بْنُ ضَمْضَمٍ (١)
وَكَانَ طَوًى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَةٍ
فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا ، وَلَمْ يَتَجَمَّعْ (٢)
وَقَالَ : سَأَقْضِي حَاجَتِي ، ثُمَّ أَتَقِي
عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ (٣)
فَشَدَّ ، وَلَمْ تَفْزَعْ بَيُوتٌ كَثِيرَةٌ
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ
جَرِيٍّ مَتَى يُظْلَمَ يُعَاقِبُ بِظُلْمِهِ
لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمٍ (٤)
لَهُ لَبَدٌ ، أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ (٥)
سَرِيعًا ، وَإِلَّا يُبَدِّ بِالظُّلْمِ يُظْلِمُ (٦)

(١) يؤاتيه : يوافقهم . (المعنى) نعم الحى الذين رضوا بالصلح بعد ما جر عليهم الحصين بن ضمضم من تلك الجريرة والحناية التى لا تجبهم يوافقون على الصلح ، ثم أخذ يقص قصة الحصين بقوله : «وكان طوى كشحا الخ» وملخص هذه القصة أن رجلا من بنى عبس قتل أخا للحصين بن ضمضم قبل الصلح ، فلما اصطلحت عبس وذبيان أضمر الحصين بن ضمضم الأخذ بالنار بقتل قاتل أخيه أو بقتل رجل من أهله الى أن لقي رجلا من عبس فشدد عليه وقتله ، واعتمد على أن يناصره ألف فارس من قومه اذا غضبت عبسى لتبليها ، فثارت عبس وتدارك الحارث بن عوف الشر ، فدفع لعبس مائة من الإبل دية القتيل . وتم الصلح بين عبس وذبيان .

(٢) مستكنة أى فعلة أو جريمة مستكنة مستورة فى نفسه ، فلا هو أظهرها حتى يؤخذ الخذر منه ولا هو تردد فى الإقدام عليها .

(٣) أى وقال فى نفسه : سأقضى حاجتى بقتل قاتل أخى ، وأدفع عن نفسى بألف فارس ملجم أى بألف فارس من قوى .

(٤) أم قشعم : كنية للنية ، ومعنى إلقاء رحلها فى مكان تحقق الموت فيه . (المعنى) فشدد الحصين على العبسى غدرا من غير أن تعلم بذلك بيوت كثيرة من عبس ، فكانت تفزع لصاحبها وتدفع عنه ، وإنما شد عليه عند موضع نزل فيه الموت المحقق الذى لا يدفع .

(٥) يصف جيش عبس الذى لم يعلم بالجريمة ولو علم بها لدافع عنها . ويقول : كان هذا عند رجل كالأسد الذى له لبد على عنقه ، ولم تقلم أظفاره ، وأنه شاكى السلاح يقذف به فى الحروب .

(٦) يصف هذا الجيش بأنه جري . إذا ظلم عاقب ظالما مريعا بظلمه ، وإن لم يبدأه الناس بالظلم بدأهم هو بظلمه لثقتة بنفسه .

رَعَوْا مَارِعُوا مِنْ ظَمْنِهِمْ ، ثُمَّ أَوْرَدُوا غَمَارًا تَسِيلَ بِالرَّاحِ وَبِالدَّمِ (١)
فَقَضَوْا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلَا مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمٍ (٢)
لَعَمْرُكَ مَا بَحَرْتُ عَلَيْهِمْ رِمَاحَهُمْ دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلَّمِ (٣)
وَلَا وَهَبٍ مِنْهُمْ ، وَلَا آبِنِ الْمُخْزَمِ وَلَا شَارَكُوا فِي الْقَوْمِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ ،
فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ عُلَّالَةَ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَتَّمٍ (٤)
تُسَاقُ إِلَى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ صَحِيحَاتٍ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمُخْرَمٍ
لِحَيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ إِذَا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمٍ (٥)

(١) يقال رعت الماشية الكلا ودعاها صاحبها الكلا أيضا ، والظم : ما بين الشربتين وجس الإبل من الماء الى غاية النوبة ، والغار : جمع غمر وهو الماء الكثير . ويريد بالظم هنا وبورود الغار الرجوع الى الحرب . (المعنى) تركوا الحرب وبقوا يتمتعون بنعيم السلم مدة ، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غمارا منها لا تسيل إلا بالراح والدم .

(٢) قضوا : أنفدوا . وأصدروا : أرجعوا ، والكلا المستوبل : هو ما تجده ويلا من العشب ، أى يجلب الوبال ، والمتوخم بمعناه . (المعنى) أنهم بمنزل رعى الكلا الويل . ثم أخبر عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين أعطوا ديات القتلى فقال : لعمرك الخ .

(٣) ابن نهيك ، والقتيل الذى قتل فى المكان المثلَّم ، ونوفل وهب وابن المخزم ، كل هؤلاء عقليهم هرم بن سنان والحارث بن عوف ، أى غرموا دياتهم لأولياء دمائهم مع أنهم لم يقتلهم برماحهم ، وإنما غرموا قبرعا وإيثارا للصلح بين القبيلتين .

(٤) العلالة : الشئ بعد الشئ . والمصتم : التام . والمخرم : الطريق فى أعلى الجبل . (المعنى) أرى هؤلاء الكرام يعقلون القتلى بألف تام العدد بعسدها ألف أخرى من الابل الصحيحات التى تساق الى أولياء القتلى طالعات فى أعلى الجبل لأجل الرعاية للقوم القتالين .

(٥) الحى الحلال : الكثير والعدد ، أو المتقاربون فى المنازل ، المعظم : الخطب العظيم . (المعنى) تساق هذه الابل ، لأجل المحافظة على ولاء حى يحفظون جيرانهم اذا نزلت بهم الخطوب العظيمة وهم =

يكرام، فلا ذو الوتر يُدرك وتره لديهم، ولا الجاني عليهم يُسلم

(٣) لعمر بن كلثوم من معلقته التي مطلعها : (١)

ألا هبي يصححك فأصبحينا ولا تُبقي نحمور الأندرينا (٢)



أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نُخبرك اليقيناً (٣)

إنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد رويناً (٤)

وأياهم لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن نديناً (٥)

وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يجمي المحجريناً (٦)

= كرام شجعان لا يدرك صاحب الوتر - أى الثأر - وتره منهم ، ولا الجاني عليهم . اجرعاهم من الجنايات في العشائر الأخرى بمسلم أى نخذول لا ينتصر له .

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فناء العرب وشعرائهم المشتهرين بقصيدة واحدة والمجيد للفخر . وأمه ليلي بنت مهلهل أنحى كليب . قال هذه المعلقة في ملاحاة وقعت بينه وبين الحارث بن حنظلة اليشكري في مجلس الملك عمرو بن هند يصف فيها حديثه مع ابن هند ، ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة — ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

(٢) الصحن : القدرح الواسع ، وأصبحنا أى أسقينا الصبوح وهو الشرب في الصباح ، والأندرين : قرية جنوبى حلب من بلاد الشام .

(٣) أنظرنا : أى أمهلنا .

(٤) أى أنا نورد راياتنا الحرب وهى ييض ، ونصدرها وهى حمراء ، وقدرويت من دماء أعدائنا .

(٥) أى ونخبرك بأيام حرب لنا مشهورة عصينا الملك فيها أن نخضع له ونذل .

(٦) المحجرون : اللاجئون الى من يحميهم ، مشتق من أجرة اذا ألباه الى المضيق . وخبر "سيد"

في البيت الذى بعده .

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا (١)
 وأنزلنا البيوت بذي طُلُوح إلى الشَّامَاتِ نَنفِي المُوْعِدِينَ (٢)
 وقد هَرَّتْ كِلَابُ الحَيِّ مِنَّا وَشَدَّيْنَا قَتَادَةَ من يَلِينَا (٣)
 متى تَنَقَّلْ إلى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُونُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
 يَكُونُ نِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلَهُوْتُهَا قُضَاعَةُ أَجْعِينَا (٤)
 نَزَلْتُمْ مَنَزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا الْقَرَى أَنْ تَسْتَيْمُونَا (٥)
 قَرِينَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَانَكُمْ قَبِيلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةَ طَحُونَا
 نَعْمُ أَنْأَسْنَا ، وَنَعَفَ عَنْهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا (٦)

(١) أى قتلناه وأسترحنا منه ونزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه وسلب أصحابه ، فبقيت خيولنا واقفة عليه صافئة . والشافن : القائم ، أو الذى يرفع إحدى قوائمه لعا .

(٢) ذو طُلُوح : مكان جنوبي نجد بين اليمامة ومكة ، والشامات : جمع شامة ، والشامة والشامات تسمى بهما بلاد الشام أحيانا ، وننفي الموعدين أى نزيل من بين هذين البلدين أعداءنا الذين يوعدوننا ، فنملك هذه الأرضين الواسعة ، وننزل بها بيوتنا .

(٣) هرت الكلاب : نجحت خوفا ، والتشذيب : قطع أغصان الشجرة أو شوكتها ، والقنادة : الشوكة ، أى أذهبنا شوكة من بلينا ويقرب منا من الأعداء .

(٤) الثفال : جلدة أو خرقعة تجعل تحت الرحا يسقط عليها الطحين ، واللهوة : القبضة من الحب تنق في الرحا (المعنى) أن كيدنا وحربنا تشبه الرحا ، وهذه الرحا تدور بالحرب في شرق نجد وتلتهم قضاة أجعين وهى قبيلة عظيمة .

(٥) القرى : الضيافة . يسخر بأعدائه ويقول : نزلتم علينا في إغارتكم كالأضياف ، فعجلنا قراكم بحرب طحون خشية شتمكم إيانا ، وجعلنا ضيافتكم قتالا طحنكم كطحن المرداة للحجارة . والمرداة الصخرة التى تكسرها الحجارة ويدق بها النوى .

(٦) أى نعم قومنا بخيرنا اذا أسرنا ، ونعف عن أموالهم اذا أعسرنا ، ونحمل عنهم ما حملونا من الديات والمغارم والدفاع .

نُطَاعِنُ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا (١)
يُسْمِرُ مِن قَنَا الْخَطَى لُدُنِ ذَوَابِلَ ، أَوْ بِيضِ يَعْتَلِينَا (٢)
نَشْقُ بِهَا رُءُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنُخْلِيهَا الرِّقَابَ ، فَتَخْتَلِينَا
كَأَنَّ بَحَايِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا (٣)
وَأَنَّ الضَّغْنَ بَعْدَ الضَّغْنِ يَبْدُو عَلَيْكَ ، وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا (٤)
وَرِثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدُّ نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا (٥)
وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ نَحَرَتْ عَلَى الْأَحْقَاضِ نَمْنَعُ مِنْ يَلِينَا (٦)
نَجْدُ رُءُوسَهُمْ فِي غَيْرِ رِ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا (٧)

(١) أى أننا نحسن استعمال السلاح ؛ فنطاعن أعداءنا بالرمح إذا لم يلاصقونا ودنت أشخاصهم منا ، فإذا لاصقونا ضاربناهم بالسيوف .

(٢) ثم وصف هذه الرماح التى يطاعن بها ، فقال : إنها سمر المضجها فى منابتها ، وانها من القنا الخطى أى منسوبة الى بلدة الخط على ساحل البحرين من خليج فارس تجلب منها الرماح ، واللدن جمع لدن (كسهم) وهو المرن فى صلابه . ووصف السيوف فقال إنها بيض تعتل الرؤوس فتشق هاماتها ، ونضرب بها الرقاب فتقطعها كما يقطع المحش الخلا وهو النبات الرطب ، أى تجعل الرقاب لها كالثلا ، فتختلها أى تحشها .

(٣) الأماعز : جمع أمعر ، وهى الأرض الصلبة الكثيرة الحصى ، والوسوق : جمع وسق ، وهو الحل . يقول كأن رؤوس الشجعان أحمال إبل تسقط فى الأراضى الصلبة .

(٤) الضغن : الحقد الذى يخفى .

(٥) معد بن عدنان أبو الشعب العظيم المقابل لشعب قحطان ، والشاعر من شعب معد — يقول : تعلم قبائل معد جميعهم أننا ورثنا المجد عن آبائنا فلم تفرط فيه بل دافعنا دونه حتى لا يزالنا ويخفى عنا .
(٦) العمد : جمع عمود ، ونحرت : سقطت ، والأحفاض : جمع حفص (كسبب) وهو مناع البيت . وسقوط الأعمدة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والطعن (المعنى) إذا حل غيرنا خيامهم للهرب ، فنحن لا يطمع فىنا طامع بل نحصى أنفسنا ، ونمنع جيراننا .

(٧) أى فقطع رؤوسهم فى غير بر منا ، ولا شفقة عليهم ، وتدهلهم ؛ فلا يدرون أى شئ يجابونه ، ويتعدون عنه من السلاح لأن سيوفنا تعجلهم عن الاتقاء .

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ تَحَارِيْقُ بِأَيْدِي لَاعِينَا (١)
كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضِبْنَ بِأَرْجَوَانٍ أَوْ طَلِينَا (٢)
إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَانِ حَيٌّ مِنَ الْهَوْلِ الْمَشْبِيهِ أَنْ يَكُونَا (٣)
نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتَ حَدٍّ مُحَافِظَةً، وَكُنَّا السَّابِقِينَ
نُسْبَانِ يَرَوْنَ الْقَتْلَ جَدًّا وَشَيْبَ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَ
حُدَيَّا النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا مُقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَنْ بَنِينَا (٤)
فَأَمَّا يَوْمَ خَشَيْنَا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصْبًا تُبِينَا (٥)
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ قُنَمِينَ غَارَةً مُتَلَبِّينَا (٦)

(١) لم يصف أعداءه بالجن وقلة الدفاع عن أنفسهم ، بل يقول : إننا انتصرنا على أقوام شجعان ماهرين في استعمال السيوف مثلنا ؛ فكانت سيوفنا وسيوفهم كخاريف بأيدي لاعين . والخاريف : جمع خرق ، وهو المتديل أو الخرقه تلف ويضرب بها ، وهي لعبة من لعب الصبيان (الطرو) .

(٢) الأرجوان : صبغ أحمر ، كأن ثيابنا وثيابهم صبغت بالمصبغ الأحمر من كثرة الدماء .

(٣) عى بالأمر : تخير فيه ولم يهتد لوجه الصواب فيه ، والإسنان التقدم بالليل إلى القتال (المعنى) إذا تخير قوم في الإقدام على القتال من شدة الهول الخشى أن يقع نصبنا نحن للقتال كنبية ضخمة مثل جبل (رهوة) ذات حد وشوكة محافظة على أحسابنا ؛ فكان غيرنا المرتدين ، وكنا نحن السابقين إلى القتال بشبان الخ .

(٤) الحديا : مصغر الحدي ، اسم من التحدي ، وهو المباراة ومنازعة الغلبة في الأمر العظيم (المعنى) نحن حديا الناس كلهم لا نخشى قوما منهم ، بل نخشى الجميع ، ونقول لهم اخرجوا إلى قتالنا : نفعل ذلك من أجل مقارعتنا (أي مضاربتنا وممانعتنا) بينهم عن بنينا .

(٥) العصب : الجماعات ، والنبون الجماعات من الخيل والناس في تفرقة ، جمع نبة (بالضم) .

(٦) أمعن في الأمر : أبعد فيه وتوغل ، وهو يتعدى بحرف الجر (في) واذن فتكون غارة منصوبة على أنها مفعول مطلق ، أو على الظرفية على تقدير وقت الغارة ، أو على نزع الخافض ، والتلب التحزم =

برأيس من بني جثم بن بكر
ندق به السهولة والحزونا (١)
ومنها يفتخر بقومه :

وقد علم القبائل من معد
إذا قبب بأبطحها بيننا
بأننا المطعمون إذا قدرنا
وأنا المهلكون إذا ابتلينا (٢)
وأنا المانعون لما أردنا
وأنا التاركون إذا سخطنا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا
وإشرب غيرنا كدرا وطينا (٣)
إذا ما الملك سام الناس خسفا
أبينا أن نُقرّر الذلّ فينا
لنا الدنيا ومن أُمسى عليها
ونبش حين نبش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا
ولكنا سبدا ظالمينا (٤)

= بالسلاح ، والتشمير في الأمر . (المعنى) أننا يوم خوفنا على أبنائنا من إغارة أعدائنا علينا نستعد للقتال
ميكرب وتنشر خيلنا في الأرض فرقا وجماعات للدفاع عنهم ، وفي يوم أمتنا عليهم نبادئ نحن غيرنا من
الأعداء بالإغارة عليه مبعدين فيها ، متشمرين لها ، مدججين بالأسلحة ، فالقتال دأبنا في الخوف والأمن .

(١) الرأس : الحى الذين لا يحتاجون إلى إغاثة أحد ، أو الرأس : رئيس القوم وسيدهم ،
وجشم بن بكر أحد أجداد الشاعر . (المعنى) أننا عند إمعاننا في الغارة نغير على أعدائنا بجى من بني جثم
ابن بكر لا يحتاجون إلى نجدة غيرهم ، فتدق بهم السهول والأوعار ، أى نهزم الضعاف والأشداء ، أو نغير
عليهم يقودنا فارس هذه صفته .

(٢) يعنى أننا إذا قدرنا على الناس لا نستندهم بل نطعمهم وزغد عيشهم ، وإذا ابتلانا عدونا
بحرب أهلنا .

(٣) يريد أننا نمنع ونحمى ما نريد من البلاد والناس ، فلا يستطيع أحد أخذه منا ولا معارضتنا
فلنا البلاد نزل أى مكان شئنا .

(٤) أى أننا أقوياء أحرار لا سيطرة لأحد علينا ، نترك الشئ ، ونأخذه كما نهوى .

(٥) أى لا يشرب الناس من المورد إلا بعد أن نشرب ، فيكون الماء قد تكدر بالطين .

(٦) كانت العرب تتباهى بالحرية والمنعة ويفخرون بأنه ليس فى استطاعة غيرهم أن يظلمهم لقوتهم ،

بل هم الذين يبدون غيرهم بالظلم لاعتقادهم أن (من لا يظلم الناس يظلم) .

مَلَأْنَا السَّبْرَ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَنَحْنُ الْبَحْرَ نَمْلَأُهُ سَفِينَا (١)
إِذَا بَلَغَ الرَضِيعُ لَنَا فِطَامَا تَحَيَّرُ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

(٤) عُمَرَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ شَدَّادِ الْعَبْسِيِّ (٢) :

من معلقته التي مطلعها :

هَلْ غَادَرَ الشَّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ (٣)

* *

أَتْنِي عَلَى بَمَا عَلِمْتَ ، فَإِنِّي نَسِيتُ مَخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أُظْلِمِ (٤)
فَإِذَا ظَلِمْتُ فَإِنَّ ظُلُمِي بَاسِلٌ مَرُّ مَذَاقَتِهِ كَطَعْمِ الْعَلَقِيمِ (٥)

(١) كانت تغلب تسكن شواطئ الفرات وربما امتدت ديارهم إلى ساحل الخليج الفارسي ؛ ولذلك

يقع في شعر تغلب وأختها بكر بن وائل ذكر السفن وأدواتها .

(٢) هو أحد فرسان العرب وأغربتها (سودانها) وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وأمه أمة حبشية يقال لها « زبيبة » على وزن كبيرة . وكان أبوه وأهله يعدونه في عداد العبيد على عاداتهم في أبنائهم المولدين من الإماء ، فكان يرضى إيلهم ويخيلهم ، ولكنه كره ذلك ، ومارس الفروسية ، وأقنذ قومه من المهالك في غارات أعدائهم عليهم ، فأعتقه أبوه ، وخاض مع قومه أكثر الوقائع ، ومنها حروب داحس والغبراء ، حتى صار فارس عيس الأوحده ، وضرب به المثل في الشجاعة . ومات قبيل الإسلام .

(٣) غادر بمعنى ترك و (من) زائدة . والمتردم : اسم مفعول من تردم ثوبه بمعنى أصلحه ورقعه .

و (أم) بمعنى بل للإضراب . والتوهم : التفرس . (المعنى) هل ترك الشعراء شيئاً من الشعر لم يصلحوه ويهذبوه أو معنى لم يسبقوا إليه حتى يتألم لي أن يأتي به . ثم خاطب نفسه وقال : بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرسك في آثارها .

(٤) المخالفة : المعاشرة بخلق حسن ، والخطاب لخيبيته .

(٥) الباسل هنا الكريه ، والبشع الطعم . والعلقم : الحنظل وكل شيء مر الطعم جداً .

- ولقد شربتُ من المُدَامَةِ بَعْدَ مَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ (١)
- بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَيْسَرَةٍ قُرِنتُ بِأَزْهَرِ فِي الشَّمَالِ مُقَدِّمِ (٢)
- فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعِرضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ (٣)
- وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي
- وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (٤)
- عَجِلْتُ يَدَايَ لَهُ بِمَارِقِ طَعْنَةٍ وَرَشَاشٍ نَافِذَةٍ كُلُّونِ الْعَنْدَمِ (٥)
- هَلَّا سَأَلْتُ الْقَوْمَ يَا بَنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

(١) الهواجر : جمع هاجرة ، وهى نصف النهار عند زوال الشمس أو من زوالها الى العصر . ومعنى ركود الهواجر سكونها ، أى سكون الناس فيها فى بيوتهم . والمشوف : المجلول . والمعلم : المنقوش . وأراد به القدح الذى شرب به الخمر ، أو الدينار ، أو الدرهم الذى اشتراها به ، والأقرب الأقول ؛ لأن البيت الآتى يوضحه .

(٢) الزجاجة الصفراء : يريد بها القدح ، وصفرتها آتية من صفرة الخمرة . والأسرة جمع سرار بالكسر ، وهو الخط فى بطن الكف أو الوجه والجهة ، والمراد بها الخروز والخطوط فى الكأس . والأزهر : الأبيض الحسن يريد به الأبريق . والمقدم : الذى عليه القدام ، وهى المصفاة تكون على فم الأبريق . (المعنى) ولقد شربت المدامة بزجاجة صفراء أى كأس صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركبت على فم مصفاة كان فى جهة الشمال من الكأس أو فى شمال الساقى .

(٣) وافرأى نام سليم لم يجرح بسبب أو طعن فيه .

(٤) الحليل : الزوج . ومجدلا : صريعا على الجدالة وهى الأرض . وتمكو : تصفرو وتصوت . الفريضة : العضلة التى ترعد من جسم الدابة أو الإنسان إذا خاف . والأعلم : المشقوق الشفة العليا . (المعنى) ورب زوج غانية حسناء قتلته ، وتركته صريعا على الأرض تصوت فريضة من شدة انفجار الدم منها بعد طعنة فيها كشدق الرجل الأعم .

(٥) مارق طعنة : أى بطعنة عاجلة . ورشاش نافذة : أى وبرشاش طعنة نافذة الى الجوف . ولون هذا الرشاش كلون الصبغ الأحمر المسمى العندم .

- إذ لا أزال على رحالة ساج (١)
 نهد تعاورة الكاة مكم (١)
 طوراً يعرض للطعان ، وتارة (٢)
 ياوى إلى حصيد القسى عرمم (٢)
 أغشى الوغى وأعف عند المغم (٣)
 أغشى الوغى وأعف عند المغم (٣)
 لا مغم هرباً ولا مستم (٤)
 لا مغم هرباً ولا مستم (٤)
 جادت يداى له يعاجل طعنة (٥)
 جادت يداى له يعاجل طعنة (٥)
 برحبة الفرغين يهذى جرسها (٥)
 برحبة الفرغين يهذى جرسها (٥)
 فشكت بالرح الطنويل ثيابه (٦)
 فشكت بالرح الطنويل ثيابه (٦)
 ليس الكريم على القنا محرم (٦)
 ليس الكريم على القنا محرم (٦)

- (١) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الغنم بأصوافها ؛ يتخذ للجرى الشديد ليس له قربوس ولا مؤخرة . والساج : الفرس الذى يسط يديه معا عند العدو . والنهد : القليظ الصدر ، وتعاوره الكاة أى تعاوره وتتناوبه الفرسان النائم السلاح بالطنن ، والكاة : جمع كى ، والمكلم المجرى .
- (٢) الحصد من القسى : المحكم قتل أوتاره وربطها . والنهى العرمم : الكثير . (المعنى) هذا الفرس يها مرة لمقابلة الطعان ، وتارة للقسى المتينة الكثيرة ؛ فهو مدرب على الحرب .
- (٣) يخبرك بمجزم فى جواب (هلا سألت) لأنه بمنزلة الأمر .
- (٤) المدجج بالسلاح : الذى ستره أى أنه تام السلاح مثل الكى و(هرباً) منصوب على أنه مفعول مطلق لأن آمن يتعدى بنى فكان حقه فى غير الشعر أن يكون لا مغم فى الحرب ، ولكن لما كان لفظ مغم يراد به معنى الهارب كان بمنزلة لا أدعه تركا (المعنى) ورب فارس تام السلاح تركه الأبطال النائم السلاح مثله نزاله ، وهو لا يهرب من الأعداء لفرط بأسه ، ولا يستسلم لهم فياً سروره ، فتهبطه عاجلة من ربح مثقف مقوم صدق القناة صلها مستويها .
- (٥) برحبة الفرغين : بيان لقوله (يعاجل طعنة) ، ورحبة : واسعة . والفرغ : مصب الماء من الدلو ، والدلو فرغان . والجرس : الصوت . والمعتس من السباع : الطالب الشئ ليل . والضرم : الجياح (المعنى) جادت يداى له بطعنة شقت من جسمه كالدلو الواسعة ، يهذى خريز الدماء منها جياح السباع الى قنيلها فتأتى لتأكله .
- (٦) قالوا إن الثياب هنا تكمية عن القلب لأن الرجل لا يقتل بشك الثياب وإنما المراد : أن الرمح شق ثيابه وخرق صدره وقلبه .

- فتركته جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنَهُ ما بين قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصِمِ (١)
وَمِشْكٌ سَابِغَةٌ هَتَكَتْ فُرُوجَهَا بالسيف عن حامى الحقيقة مُعَلِّمِ (٢)
رَبِذَ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا هَتَاكَ غَايَاتِ التَّجَارِ مُلَوِّمِ (٣)
بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحَذِي نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَمِ (٤)
لَمَّا رَأَى قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدَهُ أَبَدَى نَوَاجِذَهُ لَغَيْرِ تَبَسُّمِ (٥)
فَطَعْتُهُ بِالرَّحِ ، ثُمَّ عَاوَنَهُ يَمْنَهُ صَافِي الْحَدِيدَةِ مَخْذَمِ (٦)

(١) الجزر : جمع جزرة ، وهى الشاة تذبح أو الناقة . وينشئه : يعنى يتناولنه بالأكل من رأسه الى يده .

(٢) المشك : الدرع التى أحكم اتصال حلقها ومساميرها ، صفة جاءت على وزن مفعول كسعر . مشتقة من الشك بمعنى اللزوم واللصوق وشدة الاتصال . والسابغة : الدرع الطويلة . ومعنى (هتك فروعها) : شققت منافذها بالسيف . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه من الأهل والمال . والمعلم الذى أعلم نفسه فى الحرب بعلامة فلا يتنكر لجنبه (المعنى) ورب درع سابغة ملتصقة الحلقات ضيقة المنافذ شققها بضربة من سيفي ، فأنكشفت عن جسم فارس حام لأهله وقومه ، لا يتنكر فى الحرب بل يعلم نفسه بعلامة يعرف بها من فرط شجاعته .

(٣) الربذ : السريع الضرب بالقداح ، والغايات : الرايات ، والمراد بالتجار هنا تجار الخمر (المعنى) يصف هذا الفارس الذى هتك درعه بأنه كان كريما حاذقا يلعب القمار والميسر وخاصة فى الشتاء ؛ لأنه زمن الجذب فى بلاد العرب . فاذا نزل تجار الخمر بحيه ونصبوا راياتهم وعلاماتهم جاء فاشترى الخمر كلها لأصحابه ، فيقلعون راياتهم ، ويذهبون فياً كل الناس من الجزور التى كسبها أو خسرها ويشربون من الخمر فيكثر لوم أهله ونصحائه له على إتلافه ماله ، وهى صفات يفتخر بها أهل الفتوة من الأعراب .

(٤) السرحة : الشجرة الطويلة العظيمة غير الشائكة . والسبت بالكسر : جلود البقر أو كل نعال مدبوغة بالقرظ . والتوهم المولود مع غيره فى بطن واحد . يصف قتيله بالطول والضخامة والغنى وبأنه ليس من صعاليك الأعراب الذين يحتذون النعال غير المدبوغة وانه ليس بتوهم اذ التوهم يكون ضعيفا غالبا .

(٥) النواجد : جمع ناجذ ، وهو آخر الأضراس : أى فتح فمه من الفزع فبدت نواجذه .

(٦) أى علوته بسيف من صنع الهند قاطع .

عهدى به شدّ النهار كأنما
خُضِبَ البَنَانُ ورأسه بِالْعَظِيمِ (١)
إلى أن قال :

نُبِئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعَمِي
وَالْكُفْرَ مَحَبَّةً لِنَفْسِ الْمُنِيعِ (٢)
ولقد حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضَّحَى
إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَصَحِّ الْقِمِّ (٣)
في حَوْمَةِ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي
عَمْرَاتِهَا الْأَبْطَالَ غَيْرَ تَغْمُغِ (٤)
إِذْ يَتَّقُونَ بَنِي الْأَيْسَةِ لَمْ أَخِمِ
عنها، ولو أتى تضايِقُ مُقَدِّمِي (٥)
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
يَتَذَامِرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُدْمِغِ (٦)
يَدْعُونَ عَنَرًا وَالرَّمَاحُ كَأَنَّهَا
أَشْطَانُ يَرِي فِي لَبَانِ الْأَدْهِمِ (٧)

(١) شدّ النهار : أى عند شدّ النهار ، أى عند ارتفاعه ، وهو وقت الضحى . والعظم : نبات النبلج تصبغ الثياب بعصارته ، فيكون لونها أسود الى زرقة . أى أن دم هذا القنيل جف على رأسه أصابه فاسود فصار كصبغ النبلج (النيلة) .

(٢) كفر النعمة : جحودها و (محبة) مصدر ميمي من نخب ضد طاب . أى أن كفران النعمة شقرفنس المنعم عن الإنعام .

(٣) تقلص : تقصير وترتفع — أى حفظ وصية عمه بنباته وصبره عندما حاربوا أعداءهم وقت الضحى ، وقد انكشفت الشفتان من كل محارب عن بياض فمه ، أى عن أسنانه ، خوفا من القتل .

(٤) حومة كل شيء : معظمه ، أى فى ساحة الموت العظيمة . وفى حومة تتعلق بحفظت فى البيت السابق . والغمرات : الشدائد . والتغمغ : الصوت يسمع ولا يفهم .

(٥) لم أخم أى لم أجبن ، بل أقدم عليها ولو كان الموصى يذى أقدم عليه أمامى متضابقا من تراحم الأعداء بهجومهم على .

(٦) يتذامرون : أى يحض بعضهم بعضا على القتال ، فعندئذ عطفت عليهم غير مذموم على على بل مدوحا عليه .

(٧) عنتر : أى باعترة حذفت الناء للترخيم ، وروى المبرد أنه كان يسمى عنترا أيضا . والأشطان : جمع شطن ، وهى إنبال الطويلة الشديدة القتل . واللبان : الصدر . والأدهم : فرسه .

مازلت أرميهم بثغرة تحريه
 فازور من وقع القنا بلبانه
 لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
 والخيل تقنيم الخبار عوابسا
 ولقد شقى نفسى ، وأبرأ سقمها
 ذلل جمالى حيث شئت ، مشايعى
 إني عدانى أن أزورك فاعلى
 حالت رماح ابني بغيض دونكم
 ولبانه حتى تسربل بالدم^(١)
 وشكا إلى بعبرة وتحمم^(٢)
 ولكان لو علم الكلام مكلى
 من بين شيطرة وأجرد شيطم^(٣)
 قيل الفوارس : ويك عنتر أقدم^(٤)
 لبي ، وأحفره برأى مبرم^(٥)
 ماقد علمت ، وبعض ما لم تعلّم^(٦)
 وزوت جواني الحرب من لم يحرم^(٧)

(١) أى بثغرة نحره .

(٢) العبرة : تردد البكاء فى الصدر قبل أن تفيض الدمعة ، والتحمم : الصوت المتقطع دون الصهيل ،
 ويفعله إذا طلب العطف عليه والرفقة لحاله .

(٣) الخبار : الأرض البينة . والشيطم : الطويل . والأجرد : القصير الشعر ، وهما صفتا حسن
 القوس الكريم .

(٤) وبك مركبة من (وى) وكاف الخطاب ، ووى تعجب ، كأنهم قالوا : عجباً لك ! أقدم !
 أو هى مخففة من وبك ، أو ويحك .

(٥) الدلل : جمع ذلول ، وهو من الإبل وغيرها ضد الضعب الحرون . ومشايعى قلبى أى متابعى
 ومشجعى . وأحفره : أدفعه . والميرم : المحكم . (المعنى) يصف نفسه بأنه رجل أسفار ، وأن جماله
 لذلك مقلدة لتعودها السير لا يصعب أن يوجهها إلى أى أرض . ويصف نفسه أيضاً بأنه حاضر العقل
 لا يعزب عقله فى أى حال من الأحوال ، بل هو أيضاً يدفعه ويقويه برأى محكم .

(٦) المعنى : صرفنى عن زيارتك ما قد علمته من الأسباب ، وما لم تعلّم . ورحلة (فاعلى) معترضة .

(٧) بغيض بن ريث بن غطفان : أبو الحى الذى يجمع بين عبس وذبيان ، فكلاهما انا بغيض
 وزوايه ذبا وزوايا : نحاه ، وأبعده . والجوانى : جمع جانية من الجنابة . (المعنى) صرح بغيض
 الأسباب التى حالت دون زيارته محبوبته ، فقال : صرفنى عنك الحرب الناشئة بين عبس وذبيان ،
 وصرفنى عشائر القبيلتين بجناية بعض على بعض ، فاضطرت لظاهرة قومي فى حروهم مع أنى لست من
 جنسهما ، ولم يكن لى دخل فى الأسباب التى جرت بها .

ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تُدرْ للحربِ دائرةٌ على أبني ضَمَمِ (١)
الشاتمي عِرْضِي ، ولم أَشْتِهُمَا والناذرينِ إذا لم أَلْقَهُمَا نَمِي (٢)
إن يَفْعَلَا فلقد تركتُ أباهما جزراً بالخامعةِ ونَسِرَ قَشْعِ (٣)

(٥) لبيد بن ربيعة من معلقته التي مطلعها :^(٤)

عَفَّتِ الدِّيارُ : محلُّها فَمَقَامُها بَنِي ، تَأْبَدَ غَوْلُها فِرْجَامُها (٥)

- (١) ابننا ضَمَم : هما هرم وحصين ، وكان عذرة قتل أباهما ضَمَمًا فكانا يتوعدانه .
(٢) يقال نذرت دم فلان : إذا أبحته لكل من يقدر على قتله .
(٣) الخامعة : الضبع كأن في مشيها نجما أي عرجا ، والقشع : من النسور الكبير . (المعنى) إن ينذرا دمي فقد قتلت أباهما ضَمَمًا وتركته جزور الضباع والنسور القشاعم .
(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري أحد أشراف الشعراء والقواد والمعمرين الأجواد ، وهو من بني عامر بن صعصعة : إحدى القبائل المصرية ، وأمه عيسية ، وكانت في الجاهلية شجاعة فانتكا جوادا شاعرا ، شهد له النابغة ، وهو قلام ، بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته ، ولما ظهر الإسلام أسلم وتأسك وحفظ القرآن كله حتى لم يروله في الإسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولما فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات سنة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة ولبيد شاعر يجيد الفخر والراء في لفظ جزل ومعنى بارع وحكمة وموعظة .

(٥) عَفَّتِ الدِّيارُ : درست ، ومحلها : بدل أو عطف بيان من الديار ، فقامها معطوف على محلها ، والمقام : مكان الإقامة وهي الثبات والاستقرار في المكان طويلا بأن يصير دار إقامة . وتأيد : توحش ، وخلا من أهله . ومنى وغول ورجام : مواضع في وسط نجد . وليست منى هنا (منى مكة) . المعنى : درست مكان التزول ومكان الإقامة من ديار أحبنا بني منوحشا غولها ورجامها منهم

أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارُ بَأَنِّي وَصَّالُ عَقْدٍ حَبَائِلِ جَدَّامُهَا (١)
تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَتَلَقُ بَعْضَ النَفُوسِ جِمَامُهَا (٢)
بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ طَلَّقِي لِذِيذِ لَهْوِهَا وَنِدَامُهَا (٣)
قَدْ يَتُ سَامِرَهَا ، وَغَايَةِ تَاجِرٍ وَافِيَتْ إِذْ رُفِعَتْ ، وَعَزَّ مُدَامُهَا (٤)
أَغْلَى السَّبَاءِ بِكُلِّ أَدَّكَنْ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدَحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا (٥)
وَعْدَاةٍ رِيحٍ قَدْ وَزَعَتْ وَقِرَّةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا (٦)

(١) نوار : اسم امرأة ، والجذام : القطاع ، والحبال : جمع حباله : مصيدة الصائد وشركه .
المراد بها هنا العهد . وهذا البيت وما بعده من الأبيات يتحدث بها عن مفاسد نفسه ومآثر قومه .
المعنى (أَوْ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمِ نَوَارُ بَأَنِّي أَصْلٌ مِنْ يَسْتَحِقُّ الْمَوَاصِلَةَ وَأَقْطَعُ مِنْ يَسْتَحِقُّ الْقَطِيعَةَ .

(٢) اعتلق الشيء : تعلق به ، و (بعض النفوس) يريد به نفسه ، والحمام : الموت . والمعنى أَنِّي
تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا إِلَّا أَنْ أَمُوتَ

(٣) التفت في كلامه إلى نوار وقال : (بل أَنْتِ ... الْبَيْتِ) والليلة الطالق : التي لا حر ولا برد فيها
يؤذيان ، والندام : المنادمة .

(٤) السامر : من يتحدث بالليل (وغاية تاجر) الغاية هنا : الرأية ، والتاجر : الخمار يرفع رأيته عند
تروله على الخمر إعلانا للشراب . وغاية بالجر : معطوفة على لييلة في البيت السابق (المعنى) كم من لييلة طلق
يلذ فيها اللهو والمنادمة قد بت المسامر فيها ، وكم من رأية تاجر خمر وافيتها عند ما رفع التاجر رأيته واشترت
خدامتها عند ما عزت بارتفاع ثمنها لكثرة المشترين لها — يصف نفسه بأنه طيب الحديث ، يحب اللهو
والطرب ، ويبدل في ذلك تقيس المال .

(٥) السباء : شراء الخمر وجلبها ، ولا يستعمل لشراء غيرها . والأدكن : يريد به زق الخمر لأنه أغبر ،
والعائق : القديم . والجونة (بفتح الجيم) السوداء يريد بها الخلية ، وقدحت ونض ختامها : بمئني واحد

(٦) الغداة : البكرة والصباح ، والقرة : البرد ، ووزعت : كفت ، والشمال أبرد الرياح (المعنى)
درب صباح يوم بارد ذي رياح قد أصبح زمام برده بيد ريح الشمال ؛ فهي تصرفه وتمعن فيه كيف شاءت .
قد كفت عن الإخوان بشرب الخمر والتدفئة والسماع ، يتحدث بالفتوة والكرم .

- بَصْبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ بِمَوْتِ تَأْتَالِهِ لِإِيَامِهَا (١)
 بَاكَرَتْ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ لِأَعْلَ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا (٢)
 وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِيلُ شِكْنَى فُرُطٌ ، وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامِهَا (٣)
 فَعَلَيْتُ مَرْتَقِبًا عَلَى مَرَهُوبَةٍ حَرَجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قِيَامُهَا (٤)
 حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجْنَّ عَوْرَاتِ الشُّغُورِ ظَلَامُهَا (٥)
 أَسْهَلْتُ ، وَانْتَصَبْتُ بِكَذْخٍ مُنِيفَةٍ جَرْدَاءَ يَتَخَصَّرُ دُونَهَا جَرَامُهَا (٦)

(١) الصبوح : الشرب صباحا ، أى شرب نحر صافية ، والكرينة : المغنية الضاربة بالعود ، والوتر : العود لأنه ذو أوتار وتأتاله : تصلحه أى أنه يشرب الخمر ويتلهى بسباع مغنية عوادة .

(٢) حاجتها : أى حاجة الخمر : أى حاجته هو إليها ، وأضاف الحاجة إلى الخمر توسعا ، والدجاج : يريد بها الديكة ، والعلل : الشرب بعد شرب (المعنى) استبقت بشرها صباح الديكة لأكردها شربها حين استيقظ نواحيها أى سقاتها النائمون .

(٣) ثم أخذ يصف نفسه بالكفاية والغناء وحماية فومه وأصحابه فقال : (ولقد حميت الحي الخ) وشكنتى : جميع صلاحي ، يريد تحملى شاكى السلاح ، وفرط : أى فرس تقدم أصبح بلجامها وشاحا إلى . وتوشع الفارس بلجام فرسه : أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه لتفرغ يدها كأنها تعمل بالسلاح .

(٤) عليت وعلوت واحد ، وعلى مرهوبة أى على جبال عالية ، وخرج : مرتفع فى تكاثف وتواحيق والغمام : الغبار .

(٥) والضمير فى ألفت يعود على الشمس المفهومة من المقام . والكافر : الساتر ، وهو من أسماء الليل ، وأجن : ستر ، والنثر : موضع الخفاة ، أى علوت على الجبال التى بنعقد فى أعاليها الغبار المتصاعد والضباب الحامل للغبار أقرب حركات العدو حراسة لأصحابى طول النهار ؛ حتى إذا ألفت الشمس يدها فى الليل وبدأت تغيب فيه ، وستر الظلام مواضع الخوف من نواحي العدو ، ولم يعد لمراقبى فوق الجبل فائدة نزلت إلى السهل .

(٦) أسهلت : نزلت إلى السهل . (وبكذخ منيفة) : أى بكذخ نخلة مرتفعة ، وجرداء : خالصة من السعف ملساء ، ويختصر : يكل ويضجر ، وجرامها : قطاع ما تحمله النخلة عند فضجها (المعنى) عندما أسهلت مررت فرسى ونشطت وانتصبت كأنها جذع نخلة عالية ملساء يضجر ويتعب دون الوصول إلى رأسها من مجلد المنصف — ثم أخذ فى بقية وصف الفرس بالآيات الثلاثة الآتية .

رفعتها طرد النعام وشله	حتى اذا سخنت ، وخف عظامها (١)
قلقت رحالتها وأسبل نحرها	وابتل من زبد الحميم حزامها (٢)
ترقى ، وتطعن في العنان ، وتنحى	ورد الحمامة إذ أجد حمامها (٣)
وكثيرة غرباؤها مجهولة	ترجى نوافلها ويخشى ذامها (٤)
غلب ، تشذر بالذحول ، كأنها	جن البدي رواسيا أقدامها (٥)
أنكرت باطلها ، وبؤت بحقها	عندى ، ولم يفخر على كرامها (٦)

(١ و ٢) رفعتها : أى جعلتها تعدو العدو المسمى بالمرفوع ، وهو فوق العدو الموضوع ، وهما مصدران جاءا على وزن المفعول كاليسور والمعسور ، وطرد النعام : عدوه . والشل : الطرد ، وخف عظامها : أى خف قصب قوائمها بمعنى أسرعت ، والرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاة بصوفها لا قربوس له ولا مؤخرة يتخذ للجري الشديد ، وأسبل نحرها : أى سال بالعرق . والحميم : العرق (المعنى) . طردتها طرد النعام حتى اذا حيت واشتدت سرعتها اضطرب سرجها عن مكانه وسال نحرها بالعرق وابتل حزامها من زبده .

(٣) ترقى : ترفع راسها ، وتطعن أى تعتمد في العنان كما يعتمد الطاعن ، تنحى أى تقصد ، ويريد بالحمامة هنا القطاة (المعنى) أن هذه الفرس ترفع رأسها تارة وتخفضه في العنان أخرى ، تمر في سيرها من القطاة الى الماء . وقد سبقها اليه جماعة حمام مبرعة فهي تجد مبرعة في أثره .

(٤ و ٥ و ٦) هذه الأبيات الثلاثة يصف فيها نفسه بالشجاعة والانتصاف من الأعداء الأقوياء . قال (وكثيرة غرباؤها مجهولة) : أى ورب كتيبة كثيرة الغرباء ؛ لما يحضرها من ألوان الناس قد جهل بعضها بعضا ، ونوافلها : غنائمها ، وذامها : عيبها وعار هزيمتها ، وغلب : جمع أغلب وهو الغليظ العنق وهو تكاية عن قوة البدن ، وتشذر بالذحول : تهدد وتوعد بالأحقاد والثارات . والبدي هنا : واد لبني عامر يحسب أنه كان موحشا . وبؤت بحقها انصرفت به (المعنى) ورب كتيبة حرب كثيرة المقاتلة المختلفة لأنساب والألوان المجهول بعضهم لبعض لغربهم ترجى مغائرها ونفاها بالظفر فيها ويخشى عار الهزيمة منها ، ومقاتلتها غلاظ الأعناق تهدد وتوعد بأخذ الثار كأنها جن البدي راسخة الأقدام في القتال تلك الكتيبة التي صفاتها ما ذكرت قد انتصفت منها ؛ فأنكرت باطلها المزعوم عليها ، وفزت فيها بالحق بمحض قوى وحسن بلاى ولم يفخر على كرامها .

وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَفْهَها
أَدْعُو بَيْنَ لَعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ
فَالضَّيْفِ وَالْجَارِ الْجَنِيبِ كَأَنَّمَا
تَأْوِي إِلَى الْأَطْنَابِ كُلِّ رَذِيَّةٍ
وَيُكَلَّلُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ
بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا (١)
بِذَلَّتْ لِحَيْرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا (٢)
هَبْطًا تَبَالَةً مُخَصَّبًا أَهْضَامُهَا (٣)
مِنْ لِيلِ الْبَلِيَّةِ قَالِصٍ أَهْدَامُهَا (٤)
خُلُجًا ، ثُمَّ شَوَارِعًا أَيْتَامُهَا (٥)

(١ و ٢) يصف في الآيات الخمسة الآتية نفسه بأنه متلاف للسال يلعب الميسر بالجزور ويطعم لحومها الجيران والضيقات والأرامل والأيتام وكان ذلك عندهم من الكرم والفتوة — الجزور : الناقة تشتري للذبح ، والأيسار : جمع يسر وهو الذي يضرب بالقداح ، وهي أعواد تسوى وتوضع عليها علامات الكسب والخسارة في القمار ، والمغاليق من نموت قداح الميسر التي يكون لها الفوز ، (أدعوبين) أى بالمغاليق ، (لعاقرة أو مطفل) أى اللعب بها على جزور عاقر فتكون سمينة أو لجزور ذات طفل فتكون أغلى ثمنا ، ولحامها أى لحومها جمع لحم (المعنى) ورب جزور مقامر يدعوت من أجل نحرها سواء كانت عاقرة أم مطفلا بقداح متشابهة العلامات فائزة عند اللعب بها — تبذل لحومها لجيران الجميع .

(٣) تبالة : بلد بين اليمن والحجاز (في العسير) أهضامها ، أى وديانها وهي من أخصب بلاد العرب (المعنى) أى أن ضيفه وجاره الغريب يكونان من الخصب بمنزلة من تزل تبالة .

(٤) الأطناب : جمع طنب وهي حبال الخيام ، والرذية : المرأة الضعيفة جوعا أو الأرملة البائسة ، والبلية في الأصل : الناقة يموت صاحبها ، ويقولون إنه يموت عليها في القيامة ، وإنما يفعل ذلك من يعتقد منهم بحشر الأجساد ، وقالص : صفة لرذية . والأهدام : جمع هدم وهو التوب الخلق البالي . (المعنى) تأوى إلى أفنية خيامنا كل رذية بأسة نوشك أن تموت جوعا وهز الإاء قصيرة الثياب البالية ، فتطعم .

(٥) التكليل : فصد اللحم بعضه على بعض . الخلج : هنا الجفان الكبيرة ، وتمد أى يزداد فيها ، وشوارعا : تمت للخلج ، والشوارع النوق ترد الشريعة وهي منهل الماء ، ويريد بها هنا اليتامى من الناس . (المعنى) أنه يطعم المعوزين والأرامل واليتامى لحوما يكللون بها جفانهم عند تناوح الرياح أو اشتداد هبوبها من كل ناحية وذلك في الشتاء ، وهو زمن الجهد عندهم .

إنا إذا التقت المجامع لم يزل
ومقسم يعطى العشيرة حقها
فضلاً وذو كرم يعين على الندى
من معشر سنت لهم آباؤهم
لا يطبعون ولا يبور فعالمهم
فاقنع بما قسم المليك؛ فإنما
وإذا الأمانة قسمت في معشر
فبني لنا بيتاً رفيعاً شمسك
وهم السعاة إذا العشيرة أفضعت

منا لزاز عزيمة جسامها (١)
ومغذمر لحقوقها هضامها (٢)
سمح كسوب رغائب غنامها (٣)
ولكل قوم سنة وإمامها (٤)
إذ لا يميل مع الهوى أحلامها (٥)
قسم الخلاق بيننا علامها (٦)
أوفى بأوفر حظنا قسامها (٧)
فبما إليه كهلها وعلامها
وهم فوارسها، وهم حكامها (٨)

- (١) أخذ يمدح بقومه ، ويعتد ماثرهم ، فقال : (إنا إذا التقت المجامع ... الخ) ولزاز كل شئ .
الملازم له . والجشام : المتكلف القيام بالأمور الشاقة . المعنى : إذا اجتمع الناس لخطب عظيم لم يحل
المجامع من رجل منا يقيم الخصوم .
- (٢ و ٣) ومنا العادل الذى يقسم الغنائم فى العشيرة ؛ فيعطى كل ذى حق حقه ، ومنا الرئيس المستبد
الذى يحكم على قومه بما شاء ؛ فلا يرد حكمه لهيبته ، ولو هضم حق هذا وأعطاه ذاك ، وإنما يفعل ذلك
وغبة فى الفضل على غيره وزيادة التحكم فيه . ومنا الكريم السمع الأخلاق الكثير الكسب والغنى للنفاس .
- (٤) أى سنت لهم آباؤهم هذه السنة الكريمة ، والإمام : المثال الذى يحاكي فى كل شئ .
- (٥) الطبع : الدنس ، والبوار : الهلاك ، والفعال كسحاب : فعل الخير ، والأحلام : العقول .
(المعنى) لا يدنسون أعراضهم ؛ ولا يفنى عملهم للخير ، ولا تغلب أهواؤهم عقولهم .
- (٦) الخلاق : الطبايع ، وعلامها هو الله تعالى .
- (٧) أى أوفى قسام الحظوظ — وهو الله تعالى — بأوفر نصيب لنا من الأمانة .
- (٨) أى إذا حل بالعشيرة خطب فطبع معوا لنجدتها وإسعافها .

وهم ربيع للجوارير وفيهم والمرمات إذا تطاول عامها (١)
وهم العشرة أن يبطي حاسد أو أن يميل مع العدو لئامها (٢)

(٦) قال النابغة الذبياني (٣)

كليني لهم يا أمية ناصب وليل أفاسيه بطيء الكواكب (٤)
تطاول، حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآيب (٥)

(١) وهم ربيع أى بمنزلة الربيع فى الخصب لمن جاوهم ، وللمرات أى الأراذل إذا تطاول عامها وكانت الأرملة تبقى بلا زواج مدة . كان ذلك فى الجاهلية وأول الإسلام ، ثم جعلت تلك المدة أربعة أشهر وعشرا .

(٢) وهم العشرة أى هم متوافقون ، وأن يبطي حاسد : أى خشية أن يبطي حاسد (المعنى) أنهم متعاضدون خشية أن يبطي الحساد بعضهم عن نصر بعض ، أو أن يميل لئامهم إلى الاعداء .

(٣) هو أبو أمية زياد بن معاوية أحد أشرف قبيلة ذبيان من القبائل المضرية وأحد شيوخ الجاهلية : لقب بالنابغة لنبوغة فى الشعر بفاء وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ، ولكنه أتم مدح الملوك : ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأتريين النعمان بن المنذر ، قزبه إليه . ثم وشى به عنده ، وهم بقتله ، ففرز إلى ملوك الشام . فدحهم ، ولم يطلب مقامه بالشام ، فنادى مستطاف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا فى عفو عنه . وطال عمر النابغة ، ومات قبيل الإسلام . ويعد كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هي قصيدته التى أولها :

عرجوا فحوا لنعم دمة الدار ما ذا نحيون من نوى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التى نشرحها وهى التى مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان بالشام .

(٤) كليني لهم : أى دعيني وهى من وكله للشئ أى أسلمه له . وأمىة : أمم امرأة تصغير أم وناصب صفة لهم أى هم ذى نصب أى تعيب . ويطي الكواكب أى غروب كواكب . توهم أن ليله يبطي الكواكب وأنه طويل لكثرة ما يقاسيه فيه من الهموم .

(٥) وليس الذى يرعى النجوم بآيب . أى وحتى قيل : ليس الذى « البيت » والذى يرعى النجوم يريد النجم الذى يتقدمها فيكون بمنزلة الراعى لها ويؤيد ذلك رواية (وليس الذى يهدى النجوم) وإيا باب النجوم والشمس مغيها كأنها رجعت إلى مبدئها ومسقطها : أى وحتى قيل إن أول النجوم الطالعة فى هذا الليل لا يغيب مع أنه سابقها فكان حقه أن يكون أول غائب . وقيل إن الراعى هو الصبح . وكل ذلك دأية عن طول الليل .

- وَصَدْرٍ أَرَا حَ اللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ تضاعف فيه الحزن من كل جانب (١)
- عَلَى لَعْمَرٍ وَنِعْمَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ لوالده ليست بذات عقارب (٢)
- حَلَفْتُ يَمِينًا (غَيْرَ ذِي مَشْوِيَةٍ ولا علم إلا حسن ظن بصاحب (٣)
- لَيْتَنَ كَانَتْ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٌ يَجْلِقُ وقبر بصيّداء الذي عند حارب (٤)
- وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدٍ قَوْمِهِ ليلتمسن بالجيش دار الحارب
- وَوَقَّعْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ ككائب من غسان غير أشائب (٥)
- بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا، وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ أولئك قوم بأسمهم غير كاذب (٦)
- إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عصائب طير تهدي بعصائب (٧)

(١) و صدر : أى وكلبنى أيضا لصدر . وأراح الليل : من الرواح وعازب : غائب (المعنى) ودعيني أيضا وصدرى المتضاعف الحزن الذى أريج هذا الليل ما كان غائبا من همه . ثم انتضب الكلام انتضاها وشرع فى مدح عمرو بن الحارث فقال (على لعمرو) .

(٢) عقارب النعمة : تكديرها بالمن والأذى . (المعنى) على لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده لم يكرها من ولا أذى .

(٣) أى حلفت يميناً لم استثن فيها ولا علم لى بصحة هذه اليمين إلا ثقتى وحسن ظنى بصاحبى الذى أمدحه

(٤) أى لئن كانت المدوح عمرو منسوباً لصاحبى هذين القبرين وهو الواقع . وجلق : اسم لدمشق . وصيّداء ، من مدن ساحل الشام ، موضع قريب منها ، وحارب اسم رجل أو بلد وصاحباً القبرين : هما الأب ، والجد الأول ، والحارث الجفنى : هو الجد الثالث لأن المدوح هو عمرو ابن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شمر الجفنى لأنه سيد آل جفنة . (المعنى) لئن كان هذا المدوح ابن هؤلاء الملوك العظام (وهو يعلم أنه ابنهم وإنما بالغ فى المدح) ليلقن مبلنهم وليطلبن بجيشه أعداءه فيغزوهم فى عقر دارهم كما كان آبائهم وأجداده يفعلون .

- (٥) أشائب : جمع أشابة وهم الأخطا ، أى أن هذه الككائب كلها من صلب غسان .
- (٦) أى أن هذه القبائل هم بنو عمه الأذنون ، وبنو عمه الأبعدون فى القرابة وهم بنو عمرو بن عامر .
- (٧) أى إذا غزوا حلقت عليهم جماعات النصور والعقبان والرخم لنا كل ممن يقتلونهم .

- يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغَيِّرَ مُغَارَهُمْ من الضاريات بالدماء الدُّوَارِبَ (١)
- تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ نُحُزْرًا عِيُونُهَا جلوسَ الشيوخ في ثياب المَرَانِبِ (٢)
- جَوَانِحَ قَدْ أَبْقَى أَنْتَ قَبِيلَهُ إذا ما التقى الجمعانِ أَوَّلُ غَالِبِ (٣)
- لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفَتْهَا إذا عَرَّضَ الْخَطَى فَوْقَ الْكَوَائِبِ (٤)
- عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطَّعَانِ عَوَائِسَ بهنَ كَلُومٍ بَيْنَ دَائِمٍ وَجَالِبِ (٥)
- إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطُّعْنِ أَرْقَلُوا إلى الموتِ إِرْقَالَ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ (٦)
- فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ بأيديهمُ بَيْضَ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ (٧)

(١) أى تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير باغارتهم على الأعداء ضاريات متدربات على دماء القتلى .
(٢) نُحُزْرًا : جمع نُحُزْرَاءَ ، أى ضيقة العيون خلقة ، أو أنها تتحازر أى تقبض أجفانها لتعقد النظر . جلوس الشيوخ الخ . أى أنها عند اشتداد القتال تقع على أعالي الأرض والحضاب كأنها في ريثها ووقوفها وتحديد النظر ترقب القنبل جالسة جلوس الشيوخ إذا ألتفوا بأكسية المراتب يتحدثون النظر إلى شئ بعيد . والمراتب : جمع مرتباتى وهو الثوب المبطن بفراء الأرناب .

(٣) جَوَانِحَ : أى ما نلات للوقوع .

(٤) أى القنا الخطى المنسوب إلى الخط : بلد بالبحرين . والكواشب : جمع كائبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رحمه مستعرضا : أى اعتادت الطير أن الرماح إذا عرضت على الكواشب كان ذلك لرزق يساق إليها .

(٥) على عارفات : أى على خيول صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه . والكوم : الجراح . والدائى : الذى يسيل دما . والجالب : الجرح الذى يسى أعلاه .

(٦) أَرْقَلُوا : أسرعوا . والجمل المصعب : الفحل الصعب . (المعنى) إذا أنزل هؤلاء الأقوام عن هذه الخيول لضيق في المكان ، ووقع الالتحام — أسرعوا إلى الموت على أرجلهم كأنهم الجمال المصاعب .

(٧) يتساقون : أى يسق بعضهم بعضا .

- يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنِسٍ وَ يَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ فَرَأْسُ الْحَوَاجِبِ (١)
 وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ مِنْ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ (٢)
 تُورِثُ مَنْ أَزْمَانٍ يَوْمٍ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جَرَّبَنَ كُلَّ التَّجَارِبِ (٣)
 تَقْدُّ السَّلَوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوَقِّدُ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْحُبَابِ (٤)
 بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَاتِهِ وَطَعْنِ كَايَزَاغِ الْمَخَاضِ الضَّوَارِبِ (٥)
 لَهُمْ شِمَّةٌ لَمْ يَعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ مِنَ الْجُودِ، وَالْأَحْلَامِ غَيْرُ عَوَازِبِ (٦)

(١) الفضااض : ما انقض وتفرق . والقونس أعلى البيضة التي توضع على الرأس من الفولاذ . وفراش الحواجب أى فراش الجمجمة وهى العظام الرقاق التي تكون أسس الجمجمة فوق الحنك والخلق . والضمير فى يتبعها يعود على (كل قونس) لأنه فى معنى الجمع — كقوله تعالى : « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » — (المعنى) يطير بين هذه السيوف قوائس الفرسان فضااضا ، ويتبع هذه القوائس فى الطيران فراش . ما جم الفرسان .

(٢) الفلول : جمع فل ، وهو الثلمة فى حد السيف . والقراع : المضاربة بالسيف . وهذا الاستثناء سماه ابن المعتز تأكيده المدح بما يشبه الذم إذ أن انقلابها من قراع الكتائب نحر وفضل ؛ لأنه دليل على صبرهم وشجاعتهم وكثرة ضررهم للاعداء .

(٣) أى أن هذه السيوف ورثت عن الآباء الذين حضروا يوم حليلة ، وهو يوم انتصرت فيه الفساسنة على المناذرة . وحليمة هذه ابنة الحارث بن أبى شمر جد المدوح الثالث وكانت ضمنت عسكرا إليها عند رجوعهم منصورين بالطيب فقيل فى المثل (ما يوم حليلة بسر) .

(٤) السلوقى : أى الدرع السلوقى . والدرع مؤنثة ، وقد تذكر كما هنا ، وهو منسوب الى بلاد سلوقية من ساحل أنطاكية بالشام . والصفاح : المجارة العراض ، ونار الحباجب : شعاع يضىء بالليل من ذباب يسمى الحباجب (المعنى) أن هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة النسيج وإذا ضرب بها المجارة قد دحت شررا . يتطير كأنه نار الحباجب .

(٥) إلهام : جمع هامة وهى الرأس ، وسكاته : حيث يسكن ويستقر . والإيزاغ : دفع الباقية ببولها والمخاض : النوق الحوامل . والضوارب : التي تضرب بأرجلها (المعنى) إذا ضرب بها أزلت إلهام عن الأعناق وإذا طعن بها خرج الدم فى إثرها خروجا كاندفاع بول النوق الحوامل .

(٦) الأحلام : العقول . والعوازب : البعيدة أو الغائبة : أى أنهم أجواد حاضرو العقول .

- مَحَلَّتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ ، وَدِينُهُمْ قَوْمٌ ، فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ (١)
 رَفَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يَحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِ (٢)
 تُحْيِيهِمْ بَيْضُ الْوَلَانِدِ بَيْنَهُمْ وَأَكْبِيَةُ الْإِضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ (٣)
 يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ الْأَرْدَانِ خُضِرِ الْمَنَاكِبِ (٤)
 وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَا زَبْ (٥)
 حَبِوتُهَا غَسَانٌ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا بِقَوْمِي ، وَإِذْ أُعْيِتَ عَلَى مَذَاهِبِي (٦)

وَقَالَ يَمْدَحُ النَّعْمَانَ ، وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، مِنْ قَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا :

عَفَا ذَوْحًا مِنْ قَرَّتْنِي ، نَالِ الْفَوَارِعِ بَخْنِبَا أُرِيكَ ، فَالْتَّلَاعُ الدَّوَافِعُ (٧)

(١) يَرُوى مَحَلَّتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَمَحَلَّتُهُمْ فَعْنَى الْأَوَّلَى مَسْكَنُهُمْ دَارُ قَفْسِ الْإِلَهِ يَرِيدُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةَ . وَمَعْنَى الثَّانِيَةِ : كِتَابُ حِكْمَتِهِمْ وَمَقْرُوءُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ . أَيْ عِبَادَةُ الْإِلَهِ . وَالْعَوَاقِبُ : جَمْعُ عَاقِبَةٍ أَيْ عَاقِبَةُ أَعْمَالِهِمْ جَزَاءُ الْإِلَهِ لِمَنْ عَلَيْهِمْ . يَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ مُتَدِينُونَ .

(٢) رَفَاقُ النَّعَالِ : أَيْ أَنَّ نَعَالَهُمْ رَقِيقَةٌ لَا يَخْصِفُونَهَا طَبَاقًا ، وَذَلِكَ كِتَابَةٌ عَنْ قَلَّةِ مَشْيِهِمْ لِأَنَّهُمْ مُلُوكٌ لَا يَمْشُونَ بَلْ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ غَالِبًا . وَحِجْرَةُ الْأَزَارِ وَالسَّرَاوِيلِ : يَجْمَعُ شَدَّاهُمَا عَلَى الْوَسْطِ مِنَ الْجِسْمِ ، كِتَابَةٌ عَنْ عَفْتِهِمْ . وَالرَّيْحَانُ الزَّهْرُ الطَّيِّبُ الرَّائِحَةُ . وَالسَّبَاسُ : يَوْمُ الشَّعَائِنِ ، وَهُوَ يَوْمُ عِيدِ عِنْدَ النَّصَارَى وَكَانَ الْمَدْحُوحُ نَصْرَانِيًّا ، وَذَلِكَ كِتَابَةٌ عَنْ رِقَّةِ أَمْرِجَتِهِمْ وَحَسَنِ أَذْوَاقِهِمْ أَوْ مَحَافِظَتِهِمْ عَلَى التَّقَالِيدِ الْمَرْغُوبَةِ .

(٣) الْوَلَانِدُ : الْإِمَاءُ . وَالْإِضْرِيحُ : الْخَزْأَحْمَرُ اللَّوْنُ ، وَالْخَزْ : ثِيَابٌ تَنْسُجُ مِنَ الصُّوفِ الْمُخْلُوطِ بِالْحَرِيرِ ، وَالْمَشَاجِبُ : جَمْعُ مَشْجَبٍ ، وَهُوَ الْأَعْوَادُ تَنْشُرُ عَلَيْهَا الثِّيَابُ وَتَعْلَقُ . أَيْ أَنَّهُمْ مُلُوكٌ أَهْلُ نِعْمَةٍ خَدَمَهُمُ الْوَلَانِدُ الْبَيْضُ ، وَثِيَابُهُمْ نَمِيَّةٌ مَصُونَةٌ تَعْلَقُ عَلَى الْمَشَاجِبِ .

(٤) الْأَرْدَانُ : جَمْعُ رَدْنٍ ، وَهُوَ مُقَدَّمُ كَمِ الْقَمِيصِ (الْمَعْنَى) يَصُونُونَ أَجْسَادَهُمُ الْعَرَبِيَّةَ فِي التَّنَمِّ بِثِيَابِ بَيْضِ الْأَرْدَانِ خُضِرِ الْمَنَاكِبِ . وَكَانَ هَذَا الزِّيُّ مِنْ لِبْسِ الْمُلُوكِ .

(٥) اللَّازِبُ : الثَّابِتُ الْإِلَازِمُ (الْمَعْنَى) أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا تَصْرِفَ الزَّمَانِ وَتَقَلُّبَهُ ، فَإِذَا أَصَابَهُمْ خَيْرٌ لَمْ يَتَّقُوا بِدَوَامِهِ فَيَبْطَرُوا ، وَإِذَا أَصَابَهُمْ شَرٌّ لَمْ يَرْهَقْتَهُمْ ، وَأَيُّقِنُوا أَنَّهُ لَا يَدُومُ فَلَمْ يَقْنَطُوا ؛ فَوْصَفَهُمْ بِالْإِعْتِدَالِ .

(٦) أَيْ حَبِوتُ بَقِصَانْدَى غَسَانٌ عِنْدَ مَا كُنْتُ لَاحِقًا بِقَوْمِي غَيْرِ خَائِفٍ مِنْ أَحَدٍ وَعِنْدَ مَا كُنْتُ خَائِفًا هَارِبًا مِنَ النَّعْمَانِ ، وَضَاقَتْ عَلَى مَذَاهِبِي . أَيْ أَنَّهُمْ خَيْرٌ مِنْ يَمْدَحِهِمْ فِي حَالِي الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ .

(٧) عَفَا : دَرَسَ ، وَذَوْحًا وَالْفَوَارِعَ وَأُرِيكَ وَالتَّلَاعُ : أَسْمَاءُ مُوَاضِعَ ، وَفَرَّتْنِي أُمُّ امْرَأَةٍ . (الْمَعْنَى) عَفَا مِنْ مَنَازِلِ قَرَّتْنِي ذَوْحًا وَمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْفَوَارِعِ وَجَانِبِي أُرِيكَ فَتِلْكَ التَّلَاعُ الَّتِي تَدْفَعُ الْمَاءَ إِلَى الْوَادِي

ومنها :

- أَتَانِي — أَبَيْتَ اللَّعْنَ — أَنَّكَ لُمْتَنِي وتلك التي تَسْتَكُّ منها المِسامع (١)
- مَقَالَةٌ أَنَّ قَدْ قُلْتُ : سَوْفَ أَنَالَهُ ، وذلك من تَلَقَّاءٍ مِثْلِكَ رَائِعٌ (٢)
- لَعَمْرِي — وَمَا عَمْرِي عَلَى بَيِّنٍ — لَقَدْ نَطَقْتُ بُطْلًا عَلَى الْأَقَارِعِ (٣)
- أَقَارِعُ عَوِيفٍ ، لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجْوهُ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَن تَجَادِعُ (٤)
- أَتَاكَ أَمْرٌ مُسْتَبْطَنٌ لِي بَغْضَةٍ لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلِ ذَلِكَ شَافِعٌ (٥)
- أَتَاكَ يَقُولُ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبٍ وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ (٦)
- أَتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقُولَهُ وَلَوْ كُنْتُ فِي سَاعِدَيَّ الْجَوَامِعِ (٧)
- حَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِييَةً — وَهَلْ يَأْتُمُّنْ ذُو أَمَّةٍ ، وَهُوَ طَائِعٌ — (٨)
- بُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لِصَافٍ وَثْبَرَةٍ يُزْرَنَ إِلَّا لَا ، سَيَرُهُنَّ التَّدَافِعُ (٩)

(١) آيبت اللعن : كلمة يدعى بها للوك ، أي حفظت مما تلعن به . وتستك : تضيق (المعنى) أتتني عنك ملامة يضيق عنها السمع و يأبأها .

(٢) مقالة مرفوع على أنه بدل من فاعل أتاني في البيت السابق ، سوف أناله أي بأذى . أي وذلك خبر مفعول منك ومن مثلك من أهل القدرة والسلطان .

(٣) أراد بالأقارع بنى قريع بن عوف ، وكانوا وشوا به الى النعمان .

(٤) تجادع : ستائم .

(٥) أي أتاك أمرؤ منهم مستبطن لي بغضا له يشفعه آخر مثله من الأعداء بالوشاية .

(٦) هلهل بكعفر : صفة لقول ، أي أتاك بقول يخيف النسج كاذب ، ولم يأتك بالحق الواضح .

(٧) الجوامع : جمع جامعة وهي : الغل والقيد في اليد أو العنق ، وكملت أي ضيقت .

(٨) الأمة : الدين والاستقامة أي وهل آثم في يميني ، وأنا أدين لك وفي طاعتك .

(٩) لصف وثريرة ماء ان يستقي منهما الركبان على طريق مكة . وإلال جبيل عن يمين إمام الحج

حيث يقف بعرفة (المعنى) حلفت بنوق مصطحبات للحجاج يمتطونها من لصف وثريرة الى عرفة حيث يتجهين

الى إلال يزورنه ، ثم يقصدن مكة متدافعات في السير أي يدفع بعضهن بعضا من الازدحام . وحلف بهذه

النوق التي تزور عرفة ومكة تعظيها لها .

- سَمَامًا تُبَارِي الرِّيحَ خَوْصًا عِيُونُهَا لَهَبٌ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ (١)
 عَلَيْهِنَّ شُعْتُ عَامِدُونَ لِحَجَّتِهِمْ فَهِنَّ كَأَطْرَافِ الْحَقَى خَوَاضِعُ - (٢)
 لَكَلَفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ ، وَتَرَكْتَهُ كَذَى الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ (٣)
 فَإِنْ كُنْتَ لَازِدُ الضَّغْنِ عَنِّي مُكَذِّبٌ وَلَا حَلِيفِي عَلَى السِّبَاعَةِ نَافِعُ
 وَلَا أَنَا مَامُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرٍ - لَا مُحَالَةَ - وَاقِعُ (٤)
 فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ (٥)
 خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بِهَا أَيْدِيكَ نَوَازِعُ (٦)

(١) السمام : طائر أكبر من الخطاف «يربع الطيران» وتبارى الريح : تعارضها . وخوصا عيونها : أى ضيقات عيونها ، والرذايا : جمع رذية ، وهو المتروك المطروح من الإبل الهالك في أثناء الطريق . (المعنى) ترور هذه الإبل إلا لا حال كونهن سريعات السير كالسمام ضيقات العيون من الجهد واتقاء الغبار ، وقد سقط منها هوالك في الطريق مودعة به .

(٢) شعْتُ : جمع أشعث ، وهو المغبر الشعر من طول السفر المتفرقة ، والحقى : جمع حنية ، وهي القوس . (المعنى) على هذه النوق رجال شعْتُ قاصدون للحج ، وقد أصبحت هذه النوق من عناء السفر ضامرة كالأقواس المبرية خاضعة الأعناق لإعياء وتعبا .

(٣) لكلفتني : جواب القسم . والعُر : قروح مثل القوباء تخرج من الإبل متفسخة في مشاقرها وقوائمها ، فتكوى الصراح في هذه المواضع لئلا تعديها الأمراض . (المعنى) لقد أخذتني بذنب الجاني وتركته ، فأنا وهو كمثل التفصيل المعرور : يترك راتعا يأكل ما شاء في مرعاه ، ويكوى غيره وهو سليم .

(٤) وأنت بأمر لا محالة واقع ، أى وأنت في أمر لا يبدل واقع لا محالة .

(٥) فإنك كالليل الخ أى فإن عقابك ومؤاخذتك كالليل أى لا أنجو من عقابك مهما اتسعت أمامي مذاهب البعد منك والحرب عنك . وخص الليل دون النهار لأن الليل موحش يخشى شره كما يخشى عقاب الملك .

(٦) خطاطيف : خبر لمبتدأ محذوف أى لك بخطاطيف : جمع خطاف . أو مبتدأ متوغل الابتداء به الوصف وتمت خبره . وحجن : جمع أجن أى معوج . (المعنى) أن لك خطاطيف تمتد إلى بها أيدى تنزع بي إليك وتجذبني .

أَتُوْعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخْنُكْ أَمَانَةٌ وَيُتْرَكُ عَبْدٌ ظَالِمٌ وَهُوَ ضَالَعٌ ^(١)
 وَأَنْتَ رَبِيعٌ يُنْعِشُ النَّاسَ سَبِيهٌ وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَاطِعٌ ^(٢)
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا عَدْلُهُ وَوَفَاءُهُ فَلَا النُّكْرُ مَعْرُوفٌ ، وَلَا الْعُرْفُ ضَائِعٌ ^(٣)
 وَتُسْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ بِزُورَاءَ ، فِي حَانَاتِهَا الْمَسْكُ كَانِعٌ ^(٤)

(٧) قَالَ أَعْشَى قَيْسٌ : ^(٥)

وَدَّعَ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ ^(٦)

(١) الضالَع : الجائر المذنب . (٢) السيب : العطاء .

(٣) أى أن الله عادل : ليس النكر مقبولا عنده ، ولا المعروف ضائعا وهو جاعل النعمان بإرادته مائلا . وإذا أعدنا الضمير على النعمان فالمعنى ظاهر أيضا .

(٤) التصريد : الشرب دون الرى ، وزوراء : دار كانت بالحيرة للناذرة ، وكنع المسك بالشئ : تراكم ولزق . والبيت دعاء للنعمان .

(٥) هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسى البكرى ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهم ، ويتهى نسبه إلى بكر بن وائل ، وكان يسكن أرض اليمامة في قرية منها تسمى "منفوحة" ، قال الشعر وأجاده وذاع صيته ، ومدح الملوك والاجواد ، ومنهم المناذرة ، وملوك نجران ، حتى طمع في جوائز كسرى ، فرحل إليه ومدحه ، وله شعر غزير جيد ، وقصائد مطولة ، وهو أحد المكثرين في وصف النمر . عرب في شعره كثيرا من الالفاظ الفارسية بعد دخوله أرض فارس . ولشعره حلاوة ورنه في نفس سامعه حتى سمي صناجة العرب ، ومات في أوائل ظهور الإسلام ، وعنه كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته القصيدة اللامية التي مطلعها :

ما بكاء الكبير في الأطلال وسؤالى وما ترد مسؤالى

وقيل : معلقته هي القصيدة التي نحن بصدد شرحها .

(٦) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمر بن مرثد أهداها إلى قريب له ، فولدت خليدا الآتى ذكره في شعره . .

- غَرَاءُ فَرَاءٍ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشَى الْهُوَيْنَى كَمَا يَمْشَى الْوَجَى الْوَحْلُ (١)
- كَأَنَّ مَشْيَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارِيهَا مَرَّ السَّحَابَةِ ، لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ (٢)
- تَسْمَعُ لِلْحَلَى وَسَوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عَشْرِقُ زَجَلُ (٣)
- لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِيرَانُ طَلَعَتَهَا وَلَا تَرَاهَا لَسَرَ الْجَارِ تَحْتَلُّ (٤)
- يَكَادُ يَضَرَعُهَا (لَوْلَا تَسَدُّدُهَا) إِذَا تَقَوْمُ إِلَى جَارَاتِهَا — الْكَسَلُ (٥)
- إِذَا تَقَوْمُ يَضُوعُ الْمِسْكُ أَصُورَةً وَالزَّنْبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرَادْنَهَا شِمْلُ (٦)
- مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعَشِبَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَبْلُ (٧)

(١) الغراء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفراء : الطويلة الفرع أى الشعر ، والعوارض هنا : الرباعيات والأبيات من الأسمان ، يريد أنها تقيع الأسمان ، الوجى : الذى يشتكى حافره ولم يحف بعد ؛ فيكون شبه متاقلا ، فكيف اذا كان وحلا ؟ أى يمشى فى الوحل . يعنى : أن هذه الجارية لسمها وتدلها تمشى متمهلة متمايلة .

(٢) الرث : البطء .

(٣) الوسواس : صوت الحلى ، والعشوق : شجرة مقدار ذراع لها أكام فيها حب صفار إذا جفت قوت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس طيها بصوته اذا ضربته الريح .

(٤) تحتل : أى تسمعه استراقا .

(٥) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المترفات بالكسل وقلة العمل فى البيت لأنهن مخدومات

(٦) بضوع المسك : أى تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : يجمع صوار بالضم ، وهو نابغة المسك أوحقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسين ، وأجوده ما كان يميل الى حمرة ، ولذلك وصفه بالورد . (المعنى) اذا قامت هذه الجارية تضوع منها المسك شديدة رائحته كأنما تضوع من عدة حقائق ، وكذلك كانت رائحة زيت الياسين المنبعثة من أطراف أكامها شاملة عامة للكان الذى هى فيه .

(٧) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع بيلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض

وقيعان .

- يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِيقٌ مؤزَّرٌ بعميمِ النَّبتِ مكتهلٌ (١)
يَوْمًا بِأَطْيَبَ منها نَشْرَ رائحةِ ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأَصْلُ (٢)
صَدَّتْ هَريرةٌ عَنَّا ما تَكَلَّمْنَا جهلاً بأمِ خَليدٍ، حَبَلٌ مَنْ تَصِلُ؟ (٣)
أَنَّ رَأْبَ رَجُلًا أَعشى أَضْرِبُهُ رَبِيبُ المَنُونِ ودهرٌ مُقِنْدٌ خَيْلُ (٤)
قالت هَريرةٌ لما جئتُ زائرَها: وَيْلِي عَلَيْكَ! وَيْلِي مِنْكَ يا رَجُلُ! (٥)
إِما تَرَيْنَا حُفَاةً؟ لا نَعالَ لَنَا إِنَّا كَذلك ما تَحْفَى ونَتَعِيلُ (٦)
وَقَدْ أَقوَدُ الصِّبَا يَوْمًا، فَيَتَبَّعُنِي وَقَدْ يَصاحِبُنِي ذُو الشَّرَةِ الغَزَلُ (٧)

(١) كوكب كل شيء : معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر ، أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها ، أو يفتح ويشرق عند شروقها ، وهذا الزهر مؤزر أى يكفه نبات تام النور ملتف عليه كالنفثاف الإزار .

(٢) الأصل : جمع أصيل وهو من العصر الى الظلام ، وخص هذا الوقت لأن الجوى يبرد فيه فيهب النسيم حاملا رائحة الأزهار ، وبأطيب خبر قوله ما روضة السابقة ، يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة .

(٣) أم خَليد : كنية هريرة وقوله (حبل من تصل ؟) استفهام تعجبي ، يعنى : اذا هجرتنا ولم تكلنا فن تكلم إذن ؟ .

(٤) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، والمقند : الآتى بالفتد وهو السفه فى الرأى ، ومثله الخبال .

(٥) « ويلى عليك ويلى منك » أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك ، وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر إلى هلاكى . (المعنى) أمن أجل أن رأيتى هريرة رجلا أعشى قد أهلك الموت أهله وখানে دهر سفيه شخبول تقول لى لما زرتها « ويلى عليك الخ » .

(٦) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صَدَّتْ عنه من أجْلِها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شايًا غنيا طروبًا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمتع للقيان وينعم بهن فقال : « إما ترينا حفاة لا نعال لنا ... الخ » أى إن ترينا نَبْذِلُ مرة فنمشى حفاة فليس هذا دأبنا دائما فاننا نمشى أيضا متعلين فطورا فتتقر وطورا نغنى .

(٧) أقود الصبا الخ : أى أتصاحب ، وآتى بأفعال الفتيان ، ويصحبني منهم الغزل ذو الشره ، وهى

- وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعني شاورِ مَشَلَّ شَلُولُ شَلْشَلُ شُولُ (١)
- في فِتيّة كسيوفِ المنيدِ قد علموا أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَتَعَلَّ (٢)
- نازعُهم قُضْبَ الرِّيحانِ متيكتا وقهوةٌ مُزَّةٌ رَاوُوقُهَا خِضَلُ (٣)
- لا يستفيقون منها، وهي رَاهِنَةٌ إِلَّا بهَاتِ، وَإِنْ عَلَّوَا، وَإِنْ نَهَلُوا (٤)
- يسعى بها ذو زجاجاتٍ له نَظْفُ مَقْلَصُ أَسْفَلَ السَّرْبَالِ مَعْتَمَلُ (٥)
- ومستجيبٌ تَحَالُ الصَّنَجِ يُسْمِعُهُ إِذَا تُرْجِعَ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ (٦)

(١) الحانوت: بيت الخمار، والشاوي: الذي يشوي اللحم، والمشل: السواق الخفيف، والشلول

المشترى، فيحمله له ويرفعه. (المعنى) قد أ بكر إلى حانة الخمار يتبعني غلام طاه يشوي لي اللحم ويسوق دابتي سوقا حسنا، ويحمل لي ما أشتريه في نشاط وخفة روح، وذكر هذه الألفاظ المتقاربة الحروف والمعاني مبالغة، ولكنها عييت عليه.

(٢) أي كالسيوف في المضاء والصرامة وأن تخففة من الثقبلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وبجملته خبرها «هالك كل من... الخ» فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر. (المعنى) أي في فتيّة قد علموا أن جميع الناس هالكون فهم يتدرون اللذات خوف أن يفوتها الموت عليهم.

(٣) الريحان: كل زهر طيب الرائحة، ونازعهم قضب الريحان: أتناولها مرة ويتناولونها أخرى؛ والقهوة: الخمرة، والراوق: الوعاء الذي تروق فيه الخمر، وخضل: دائم الندى لا يجف لكثرة شربهم. (٤) راهنة: دأمة أمامهم أي لا يتنبهون إلا إذا أبطأ عليهم الساق فصاحوا به «هات» ولو شربوا حلا بعد نهل أي مرة بعد أخرى.

(٥) النظف: القرطة من اللؤلؤ، ومقلص: مشمر، والسربال: القميص، والمعتمل: النشيط. (المعنى) يسعى بالخمرة ساق يحمل زجاجاتها مقرط الأذن بلؤلؤ، مشمر ذيله معتمل نشيط.

(٦) ومستجيب: أي ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بحا كأنه، أي أن العود والصنج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر. والصنج: دوائر رفاق من نحا، يصفق بإحداها على الأخرى وهي التي نسميها في زماننا «الكاسات» وهو أيضا نوع من الآلات الوترية، وترجع: تردد النغم، والقينة: الأمة، وقيل: إذا كانت مغنية، والمرأة الفضل: التي تلبس ثوبا واحدا كأنها متبدلة.

والساحباتُ ذُيُولَ الرَّيْطِ آوِنَةٌ والرافلاتُ على أعجازها العِجَلِ (١)
من كل ذلك يومٌ قد لَهَوْتُ به وفي التجارب طولُ اللهي والغزل (٢)
* * *

أبلغ يزيدَ بنِ شيبانَ مَالِكَةَ: أبا بُيَيْتٍ أَمَا تَتَفَكُّ تَأْتِكِلِ (٣)
أَلَسْتَ مُنْتَهِيًّا عَنْ تَحْتِ أَنْتَلِنَا وَلَسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلِ (٤)
كَطَاحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا فَلَمْ يَضُرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
تُعْرِى بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتِهِ يَوْمَ اللَّقَاءِ، فَتُرْدِي، ثُمَّ تَعْزِلِ (٥)
لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدْتُ عِدَاوَتَنَا وَالتُّمَسَّ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضٌ مُحْتَمَلِ (٦)
نُلْحِمُ أَبْنَاءَ ذِي الْجَدِّينَ إِنْ غَضِبُوا أَرْمَاحَنَا، ثُمَّ تَلْقَاهُمْ، وَتَعْزِلِ (٧)
لَا تَقْعُدَنَّ، وَقَدْ أَكَلَتْهَا حَطَبًا تَعُودُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلِ (٨)

(١) والساحبات بالنصب على أنه مفعول لفعل مقدر : أى وترى الساحبات ، أو على أنه معطوف على الصنح ، أى وتخال الصنح يسمعه وتخال الساحبات كذلك ، أى يوافقن فى غنائهن نغم العود ، والريط : الملاءات ، وآوينة : جمع أوان . والرافلات : الجازات لثيابهن خلفهن ، والعجل : القرب الصغيرة شبه بها أعجازهن .

(٢) أى لهوت وتفزرت طويلا فى تجاربي .

(٣) المألكة : الرسالة ، وتأكل : يأكل بعضك بعضا من الغيظ .

(٤) أصل الأثلة الشجرة من الأثل ، والمراد بها هنا أصلنا ومجدنا المنزل ، وأطت الإبل : أنت تعبنا

وحيننا . (المعنى) لست بضارنا أبدا الدهر .

(٥) تعرى بنا رهط مسعود : أى تلصق العداوة بيننا وبينهم فهلك الناس باغرائك ثم تعزل القتال .

(٦) عوض : ظرف لمستقبل الزمان ضد فط التى هى للماضى ، تقول عوض لا أفارك . أى لا أفارك

أبدا ، وتحتمل بالبناء للجهول . من احتمل الرجل أغضب . أى لا أظنك إن احترم الشر بيننا والتمس منك المساعدة تغضب للتمس وتنصره .

(٧) أى تجعلهم لمة وطعاما لرماحنا وذو الجددين : قيس بن مسعود من أشرف العرب .

(٨) أكلتها : أجهتها ثم تعود بالله من شرها وتبتهل إليه فى اجتنبها .

- سائل بنى أسيد عنا، فقد علموا
واسأل قُشيراً وعبد الله كلهم
إنا نقاتلهم حتى نُقتلهم
قد كان في آل كهف إن هم احترَبوا
إني لعمر الذي خطت مناسمها
لئن قتلتم عميدا لم يكن صدداً
لئن مُنيت بنا عن غيب معركة
لا تنتهون . وإن ينهى ذوو شَطِيط
أن سوف يأتيك من أنبائنا شكل (١)
واسأل ربيعة عنا كيف نفعل (٢)
عند اللقاء، وإن جاروا، وإن جهلوا
والجاشرية من بسى ويتضل (٣)
تُحْدِي ، ويسيق اليه الباقر الغُبل (٤)
لنقتل منله منكم، فنمّثل (٥)
لا تُلفنا عن دماء القسوم تنقل (٦)
كالطعن يذهب فيه الزيت والقتل (٧)

(١) شكل : أزواج، أى خير ثم خير .

(٢) نفعل : نأتى بالامر العظيم المبتدع .

(٣) آل كهف والجاشرية : حياض من العرب ، أى لقد كان في هذين الحيين من بسى لأخذ ثاره ويتاضل لما دخولك أنت بينهم ولست منهم .

(٤) خدلت : سفت التراب بمناسمها ، والمناسم : جمع منسم كجلس ، طرف الخف من البعر وتُحْدِي : تدمع في السير مع اضطراب ، والباقر : البقر ، والغبل ككتب ، جمع غبول : الكثير من الإبل والبقر ونحوها (المعنى) إني أحلف بالله الذي ترحل إلى بيته إبل الحجيج سرعة تثير التراب بمناسمها ويساق إليه البقر الكثير ليضحي به هدياً يتقرب به إليه .

(٥) العميد : السيد ، وحدد الشيء : المقابل له أو القريب منه فنمّثل أى نخير الأمل فالأمثل (المعنى) لئن قتلتم منا سيداً لم يكن في روضة الشأن مقاربا للقائنا لنقتل به أفضل سيد فيكم .

(٦) منبت : أصيبت وأبليت بنا بعد معركة ، وتنقل : تلوى وتُصرف (المعنى) لئن أبليت بحربنا لا نجدنا نجحد دماء قومك ونشبرا منها بل نعرف بها ونستعد للقاءكم عند ما تريدون أخذ الثأر منا .

(٧) الشطط : الجور والظلم أى أنكم لا تنتهون عن أذانا ، ولا ينهاكم عن ظلمنا الا طعنة حائفة إذا عولجت بوضع الزيت والقتيل ذهب الزيت والقتيل فيها لغورها ، ولم يغن العلاج وبقي الجرح بلا برة .

- حتى يَظَلَّ عميدُ القومِ مرتَفِقًا يدفعُ بالراحِ عنه نِسوةٌ عَجَلُ (١)
- أصابه هِنْدُوَانِيٌّ، فَأَقْصَدَهُ أو ذابِلُ من رماحِ الخطِّ معْتَلُ (٢)
- كَلَّا ! زعمتمُ بأنا لا نقاتلُكم إنا لأمثالِكم يا قومنا قُتِلُ (٣)
- نحن الفوارسُ يومَ الحِنُوِ ضاحيةً جَنِي فُطَيْمَةَ لا مِيلَ ولا عُزْلُ (٤)
- قالوا : الطعانُ . فقلنا : تلكَ عادتنا ، أو تَنزِلُون ، فإننا مَعَشَرٌ نُزِلُ (٥)
- قد نخضبُ العيرَ في مَكَنُونٍ فائِلِهِ وقد يَشِيطُ على أرماحنا البَطَلُ (٦)

(١) العجل : جمع عجول : المرأة الثكلى ، أى لا تتهون عن غيكم حتى نصرع سيد قومكم ، فيظل معتمداً على مرفقه يهيم بالقيام فلا يستطيع ، وقد فرغه أنصاره أو قتلوا ، ولم يبق مدافع عنه إلا نسوة . ثكالى يدفعن عنه بأكفهن خشية أن تدوسه الأرجل .

(٢) الهندوانى : المنسوب الى الهند أى سيف هندوانى ، وأقصده : أصابه فلم يخطئه . أو ذابِل : أى رمح ذابِل من رماح الخط وهى بلد فى البحرين تجلب منها الرماح .

(٣) قتل : جمع قتول أى قتال .

(٤) الحنو : المعوج من جبل ورمل ومن كل شئ . : ويوم الحنو : من أيامهم ويسمى « حنو قراقر » وحنو ذى قار » . وفطيمة : اسم موضع بالبحرين انتصر فيه قومه على بنى شيبان . وقيل النى . ضاحية : أى علانية — والميل : جمع أميل وهو الذى لا يثبت فى القتال . والعزل : جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه وحركت الزاى بالضم (المعنى) نحن الفوارس المنتصرون علانية يوم الحنو بجانبى وادى فطيمة حيث لم تكن ثمة فارسين ولا عزلاً من السلاح .

(٥) أى أو تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح فانا مثلكم نازلون .

(٦) العير : المراد به هنا حمار الوحش الذى يصاد بالرماح ، والفائل : عرق يجرى من الجوف الى الفخذ . ومكنون فائله : الدم الذى ينفجر منه . ويشيط : يهلك (المعنى) انا بصراء بموضع الطعن فاذا كان الصيد والطرْد طعننا حمار الوحش فى فائله فخصبنا العير بدمائه التى تنزف منه ، واذا كان القتال طعننا الفارس فرعناه على رماحنا .

(٨) قال طرفة بن العبد (١) :

نَحْوَلَةُ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةٍ تَهْمِدُ تَلُوحُ بِكَافِيِ الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ (٢)
وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ (٣)
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءَ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ (٤)
عَدُولِيَّةٍ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا ، وَيَهْتَدِي (٥)

(١) هو طرفة بن العبد البكري أحد فحول شعراء الجاهلية ، مات أبوه وهو صغير وورثاه أعمامه ، ومال إلى البطالة وقول الشعر ، وتعرض به لهجاء الناس والملوك ، وكان من هجاءهم عمرو بن هند ، فجاء يوما يسترض لمعروفه ، فأحاله على عامل له بالبحرين بأن يأخذ جائزته منه ، وأعرض ابن هند إلى الوالي بقتله فقتله وهو شاب لم تزد سنه على ست وعشرين سنة . وهو من أوصف الناس للناقة ، يميل إلى الغريب من اللفظ والكناية حتى تكاد تخفى معانيه في بعض أبيات من شعره ، وله ديوان صغير أشهره معلقته التي نحن بصدد شرحها .

(٢) نحولة : اسم امرأة . والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها . والبرقة في الأصل : المكان الذي اختلط ترابه بحجارة أو حصى براق . وبرقة تهمد : اسم ديار محبوبته . الوشم : النقش على اليد بالنيلج أو بصيغ أسود بخرز الإبر في الجلد .

(٣) وقوفا : منصوب على أنه حال وهو جمع واقف ، وصحبي فاعل للفظ (وقوفا) لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله ومطيمهم مفعول لأنه بمعنى حبس المتعدى . (المعنى) لاحت لي هذه الأطلال ، وأصحابي حابسون مطيمهم من أجل في هذه البقعة ناصحين لي بالتجلد والصبر . يقولون : لا تهلك حزنا وتجلد .

(٤) الحدوج : جمع حدج وهو مركب يوضع على الجمال للنساء خاصة . والمالكية : أي المنسوبة إلى بني مالك بن سعد . والخلايا : جمع خلية ، وهي السفينة العظيمة . والنواصف : جمع ناصفة ، وهي الرحبة الواسعة في الوادي . ودد اسم مكان (المعنى) كأن هودج المالكية وهي تسير بالرحاب الواسعة من المكان المسمى ددا سفن عظيمة لكبرها وتمايلها ثم أخذ في وصف هذه السفن فقال عدولية الخ .

(٥) جدول : قرية بالبحرين كان أهلها يصنعون السفن العظيمة . وابن يامن ملاح أو تاجر من أهل هجر . ويميل بها الملاح : أي يجور بها عن طرق السفن المسلوكة طورا ويهتدى طورا على حسب تصاريف الرياح .

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيَرومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمَفَايِلَ بِالْيَدِ (١)
 وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرٌ سَمَطَى لُؤْلُؤَ وَزْزَجِدِ (٢)
 خَذُولٌ تُرَاعَى رَبِّبًا بِخَيْلَةٍ تَتَاوَلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدَى (٣)
 وَتَبْسُمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّرَا تَخْلَلُ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصُ لَهُ قَدِ (٤)

(١) الحباب : موج البحر المزبد . والحيزوم : الصدر . والمفايل : الذى يلعب لعبة الفيال أو المفايلة ، وهى لعبة لصبيان الأعراب ، وهى تراب يكتومونه ، ثم يخبثون فيه خيئنا ، ثم يشق المفايل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين ، ثم يقول : فى أى الجانبين خبأت ؟ فان أجاب المسئول بالصواب ظفر وإلا فمر وغلظ .
 (٢) وفى الحى : أى فى منازل القبيلة ظبي أحوى ، أى أسود العين ، يريد به محبوبته ، ثم ذكر بعض أوصاف الظبي وبعض أوصاف المحبوبة فقال : هذا الظبي ينفض المررد أى يأكل ثمر الأراك نقضا بضمه . شادن : أى صغير السن . وهذه المحبوبة تنقلد سمطين أحدهما فوق الآخر ، سمطا من اللؤلؤ ، وسمطا من الزبرجد . واللؤلؤ : خرز كريم يكون فى جوف نوع من الأصداغ . والزبرجد : جوهر كريم من جواهر البر أخضر اللون .

حشية أو الظبية اذا خذلت صواحبها وأقامت على ولدها وهى خاذل أيضا وصفها على التشبيه هنا بوصف المؤنث . وفى السابق بوصف المذكر بقوله (أحوى) من أجل أن هذه المرأة تشبه الغزال مرة وتشبه مرة البقرة الخذول وإن رعت مع صواحبها لا تزال تتأفت إلى ولدها والهة عليه ترنو الى ناحيته يحتو . وذلك ما يريد به فى وصف محبوبته عند تلقفها ونظرها بتدل لمن يراعيها . وتراعى بمعنى ترعى مع غيرها . والررب : القطيع من البقر والظباء . والخيلة : الأرض اللينة ذات الأشجار الكثيفة الغضة المتهدلة . والبرير : ثمر الأراك (المعنى) أن هذه الفتاة حسنة التأفت والنظرات كأنها مهابة مذعورة على ولدها ، فهى ان رعت مع صواحب لها خذلتها واجتنبتن ولا تزال متلفتة الى ناحية ولدها ، وهى متنعمة كالمهابة التى ترعى البرير وتدخل فى خلال أغصان الشجر فتكون كأنها مرتدية بها .

(٤) النغر الألى : الأسمر اللثة ، وهم يمدحون سميرتها لدالتها على اكتناز الدم فيها ، وهو أمانة الصحة . والمؤر : صفة لموصوف محذوف أى كان أخوانا متورا . وخبر كان محذوف تقديره (هو) وتخلل الشيء حل فى خلله . وحر الرمل خالصه . والدعص : الكتيب من الرمل (المعنى) أن الحبيبة تبسم عن ثمر كان فيه أخوانا منورا تخلل دعصه الندى الذى نبت فيه رملا خالصا نقيا . والأخوان الذى ينبت فى الرمل الندى النقى يكون أنقى بياضا .

مَسَقَّتُهُ إِيَّاءُ الشَّمْسِ إِلَّا لِإِيَّاهِ أَيْسَفُ ، وَلَمْ تَكْثُرْ عَلَيْهِ ، بِأَيْمُنِهِ (١)
وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا عَلَيْهِ نَقِيَّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَّخِذْ (٢)
وَأِنِّي لَأَمْضِي أَلْهَمَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي (٣)
إِلَى أَنْ قَالَ :

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي : أَلَا لَيْتَنِي أَفِيدِكَ مِنْهَا ، وَأَفْتَدِي (٤)
وَجَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفًا ، وَخَالَهُ مُصَابَا ، وَلَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرَصِدٍ (٥)
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ قَتَلَنِي ؟ خَلَّتْ أُنْتَى عُيْنِي ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ (٦)

(١) وصف النفر : باعتبار بياض أسنانه بأن سقته إياها الشمس أى ضوؤها بياضا وحسنا أى أشربه حسنا . واستثنى اللثة لأن بياضا عيب ودليل على ضعف الدم بل هى سمراء كأنما نقرها أسف بأئمه أى دز عليه الأئمة وهو السكهل فأسودت لثته وبقيت مرسله على الأسنان لم تنقلص الى أعلى لأنها مترفة فى الماء كل لا تكدم على نقرها بأكل الأشياء اليابسة الغليظة التى تكشف اللثة عن أصول الأسنان بل تأكل اعم اللبن .

(٢) ووجهه : ولها وجه أبيض كأن الشمس خلعت رداءها عليه فهو نقي اللون لم يتخذ أى يتكسر جلده ويتعفن فبطنى ذلك رونقه .

(٣) أمضى : أنفذ ، وألهم ما يهيم من الأمور ، واحتضاره : حضوره . والعوجاء : الضامرة المتصلبة البطن ، فتكون معوجة الأسفل . والمرقال : السريعة السير ، وتروح وتغتدى : أى تصل سير الرواح بسير القدو . أى إذا همنى أمر يستدعى السفر أمضيته من ساعة حضوره بركوب ناقة ضامرة سريعة تصل الرواح بالقدو .

(٤) على مثلها الخ : أى على مثل الناقة أسير فى القفلة الموحشة التى يقول صاحبى من خوفها : إنا هالكون ، فباليتنى أقدر على أن أفديك منها ، وأفندي نفسى — وصير فيها يعود على القفلة المفهومة من المقام كقوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » أى الشمس .

(٥) وجاشت إليه النفس خوفا : أى ارتفعت ، فلم تستقر : كما تجيش القدر إذا ارتفع غليانها . والمرصد : المكان الذى يرصد فيه اللصوص والأعداء من يترهبهم (المعنى) وذعرت نفسه ، وظن نفسه مصابا هالكا ، ولو لم يكن هناك من يرصده . ثم أخذ يفتخر بخصاله فقال « إذا القوم الخ ... » .

(٦) أى إذا قال القوم : من قتل لسلوك هذه القفلة وإمضاء هذه المهمة العظيمة ؟ علمت أنهم يعنونى ؟ فقامت بها غير كسل ولا متبلد .

- أَحَلَّتْ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ ، فَأَجْدَمْتُ وَقَدْ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمُتَوَقَّدِ (١)
 فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلَيْدَةُ مَجْلِسِ تُرَى رَبِّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ (٢)
 وَلَسْتُ بِجَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ (٣)
 فَان تَبَغْنِي فِي حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلَقَّنِي وَإِنْ تَلْتَمِسُنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ (٤)
 مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحُكَ كَأَمَّا رَوِيَّةٌ وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَا غِنًى فَاغْنِ وَازْدَدِ (٥)
 وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَى الْجَمِيعُ تَلَاقِنِي إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ الْمُصَمَّدِ (٦)
 نَدَامَايَ بَيْضُ كَالنَّجُومِ وَقَيْنَةٌ تَرُوحُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَجُحْدِ (٧)

(١) القطيع : السوط ، وأحلت على الناقة بالقطيع ضربتها به ضرباً في إثر ضرب . وأجذمت : أسرع ، ونخب : ارتفع . والآل : السراب ، أو هو سراب أول النهار خاصة . والأمعر والمعرز : المكان الغليظ الكثير الحصى ، والمتوقد : المتهب بالحر (المعنى) قت بسلك هذه المفازة فركبت فاقني ، وضربتها بالقطيع فأسرعت ، وقد اشتد الحر وارتفع السراب في الأماعر المتهبة من الحر .

(٢) فذالت أى ماست وتجنزت . والوليدة : الجارية المولدة في بلاد العرب . والسحل : الثوب الأبيض (المعنى) فتبخرت هذه الناقة كما تبخر جارية تعرض في مجلس سيدها تجر أذيال ثوبها الأبيض الضافي .

(٣) التلاع : جمع تلة ، وهى مجارى المياه من رموس الجبال إلى الأودية حيث تشق فيها شقا . واسترقد : طلب الرفد وهو المعونة والعطاء (المعنى) لست ممن يستتر في التلاع وشقوق الجبال مخافة الضيقان والمسترفدين ، ولكن متى يطلب القوم إعانتى أعاننى أعهم .

(٤) الحانوت : حافة الخمار يعنى إذا طلبت معونتي تجدني إما في حلقة القوم عند المشورة وإجابة الراى . وإما في حانات الخمارين ، أى أنى رجل جد إذا جد الأمر ، ورجل هو إذا فرغت .

(٥) يقول إذا جئتنى أصبحك بشرب كأس ترويك ، وإن كنت غانيا عنها بما عندك فاغن به وازدد بما عندنا .

(٦) ذروة كل شئ : أعلاه . والمصمد : الذى يصمد اليه فى الحوائج أى يقصد (المعنى) إن يجتمع الحى للفخرة بالأنساب تجدنى أتمى الى أعلى بيت شريف يقصد فى الحوائج .

(٧) الندامى : جمع نديم . والقينة : الأمة المغنية وقد تطلق على الأمة أيا كانت . تروح علينا أى تأتينا عشي . والمجسد : الثوب المصبوغ بالفساد ، وهو الزعفران أو الثوب الذى يلى الجسد وهو =

- إذا نحن قُلْنَا : أسمعينا ، أنبرت لنا
إذا رجعت في صوتها خلت صوتها
وما زال تشراي الخمر ولذتي
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها
رأيت بنى غبراء لا ينكروننى
ألا أيها ذا الزاجرى أحضر الوغى
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى
على رسلها مطروقة لم تسدد (١)
تجاوب أظار على ريع ردى (٢)
وبيعى وإنفاق ، طريفى ومُتَلدى (٣)
وأفردت أفراد البعير المعبد
ولا أهل هذاك الطرف الممدد (٤)
وأن أشهد اللذات ، هل أنت مُخلدى (٥)
قدعنى أبادرها بما ملكت يدي (٦)

= الشعار (المعنى) ندامى أحرار بيض ليسوا مولدين من إماء سود فهم مثل النجوم الوضاء ، ومن ندامى مغنية تحبى البنا عشية عليها برد تحته قبض أحر اللون ، أو تحته قبض واحد على جسدها .

(١) أى إذا قلنا لهذه المغنية : أسمعينا غناك اعترضت لنا وظهرت تغنى على رسلها هيئة فى رفق وتودة ، مطروقة العين (أى ساكنة الطرف) لم تبلغ فى صياحها .

(٢) رجعت فى صوتها : كدت النغم . والأظار : جمع ظئر ، وهى هنا الناقة الموضع . والريع : الفصيل الذى ولد فى الربيع . والردى : الهالك (المعنى) إذا رجعت هذه المغنية فى صوتها أشبه حنين صوتها حنين النياق التى فقدت فصلاتها .

(٣) تشراي : أى شربى . والطريف : المسال الذى يكتسبه المرء بنفسه . والتلبد والتلد : الذى يرثه عن آبائه ، والمعبد : البعير الأجرى المطلى بالقطران المبعد عن الإبل (المعنى) ما زال شربى للخمر ولذتي بها وبيعى وإنفاق هو كل ثروى الحديثة والقديمة حتى تحامتنى عشيرتى لإفراطى فى اللذات ، وأصبحت محتردا بلذاتى عنهم كالبعير الأجرى .

(٤) الغبراء : اسم للأرض . وبنو غبراء : الفقراء أو الأضياف . والطراف : القبة من الجسد يتخذها المياسير والأغنياء . والممدد الذى مد بالأطباء (المعنى) إن اعتزلونى لا أكن مجهولا ، فإن الفقراء يعرفوننى بمطاني لهم ، وكذلك الأغنياء بلذاتى وشرف نسبي .

(٥ و ٦) الوغى : الحرب (المعنى) يامن يزجرنى من أجل حضورى الحروب وانهما كى فى اللذات بأن كلا منهما يجر الى الموت هل أنت ضامن لى الخلود فى الدنيا ؟ فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى قدعنى أستبق إليها باتفاق ما ملكت يدي فى لذاتى .

- أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى في البطالة مُفسِد^(١)
 ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد^(٢)
 أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد^(٣)
 أرى العيش كترًا ناقصًا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد^(٤)
 لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخي وثنياء باليسد^(٥)
 متى ما يشأ يوما يقده لحنفهِ ومن يك في حبل الميتة ينقد^(٦)

*
* *

- (١) النحام : الكثير النجم ، وهو التنجح بخلا ، والمراد بالغوى هنا المسرف في ماله المبدد له باقائه في غير صالح .
- (٢) الجثوة : الكومة من التراب أو الحجارة ، والصفائح : جمع صفيحة وهي الحجر العريض كالبلاط . المنضد : المصفف المسوى بعضه الى بعض — أى أن البخيل والمسرف يتساوىان بعد موتهما ؛ فلكل منهما قبر عليه كومة من التراب وبعض حجارة مصففة .
- (٣) يعتام : يصطفى ويختار . وعقيلة كل شئ . : خيره وأنفسه عند أهله ؛ فهم يعقلونه أى يمنعونه الناس لذلك . والفاحش المتشدد : الشديد البخل .
- (٤) العيش هنا : العمر والحياة .
- (٥) ما أخطأ الفتى : أى مدّة إخطائه له بإبقائه حيا دهرًا طويلا . والطول : الحبل ، وثنياء : طرفاه المتنيان منه . (المعنى) أن الموت إذا أغفل بعض الناس ، فمال عمرهم لا يخرجون عن قدرته وسلطانه ؛ فثله كمثل من بيده طرفا حبل مربوط برأس فرس إذا شاء جذبه اليه فانقاد له . كذلك الإنسان لا محالة ميت ، وإن طال عمره .
- (٦) الحنف : الموت — يقول : إن زمام الإنسان بيد الموت متى أراد جره الى هلاكه . ولا مناص للزمن من الموت .

ومنها :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند (١)

* *

ومنها :

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيدا غدا، ما أقرب اليوم من غدا!

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود (٣)

ويأتيك بالأخبار من لم تبسغ له بقاتا، ولم تضرب له وقت موعد (٤)

* *

(١) أشد مضاضة : أى أشد حرقة وألم

(٢) الأعداد هنا : جمع عدد بكسر العين ، وهو الماء الدائم الذى لا تنقطع مادته مثل ماء العيون لا بارلا ماء القدران . (المعنى) أرى الموت موردا للأحيا . دائما لا يفنى ؛ فهم دائما واردوه .

(٣) أى ستظهر لك الأيام ما كان خافيا عليك ، ويأتيك بالأخبار من لم تسأله عنها وتتكلف مؤونة زاده ليسافر ويحلبها لك .

(٤) تبسغ : هنا بمعنى تشترى ، وهو من كلمات الأضداد فى اللغة . والبنات : الزاد والجهاز .

وقال أيضا :

- سائلوا عنا الذى يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللّهم (١)
يوم تبدي البيض عن أسوقها وتلف الخيل أعراج النّعم (٢)
أجدر الناس برأس صلدٍم حازم الأمر شجاع في الوغم (٣)
كامل يحمل آلاء الفتى نبي سيد سادات خضم (٤)
خير حى من معد علموا لكفى ولجار وابن عم (٥)
يخبر المحروب فينا ماله ببناء وسوام وخدم (٦)
نقل للشحم في مشتاتنا نحر للنبي طرادو القرم (٧)

(١) يوم تحلاق اللّهم : يوم انتصرت فيه بكر على تغلب من أيام البسوس ، وكان يقود بكرا الحارث ابن عباد البكرى ، وقد أمر بحلق شعورهم ليميزوا .

(٢) أى النساء البيض أى يوم يكشفن عن صوقهن ، تكمية عن هول ذلك اليوم ، والأعراج : جمع عرج بفتحين ، القطيع من الإبل من الثمانين فما فوق ، والنعم : الإبل ، والتلف : الجمع والقسم ضد للتعمر . أى وتحوز خيلنا أى فرسانها قطائع إبل تغلب .

(٣) الرأس الصلدم : القوى الصائب ، ويريد به هنا رأس القوم في الحرب ، أى رئيسهم ، والوغم : الحرب . (المعنى) نحن أجدر الناس بأن يقودنا رئيس قوى حازم شجاع في الحرب .

(٤) الآلاء : جمع ألا (كعصا) أو ألو (كدلو) ، ومن معانى الألو والآلاء : العطية والنعمة والجهد وكلها مناسبة هنا . والخضم : السيد الخمول المعطاء ، خاص بالرجال أى إن هذا الرئيس كامل يحمل نعم الفتى الكامل أى يتصف بحماسة ، أو يتحمل عطاء الفتى القاصد له ، أو يتحمل ضعفه وجهده باعائه وحمايته .

(٥) نحن خير حى من قبائل معد — وعليها بالبناء للعلوم أى عرفونا بذلك . والكفى : الكاسف اللون المتغيره بؤسا — أى نحن خير حى في معد عرفه الناس مرجحوا للكفى ولجار ولابن العم .

(٦) المحروب : المسلوب المال . والبناء : المسكن ، والسوام كسحاب : الإبل السائمة — أى أن المسلوب المال إذا أقام جبرنا ماله ، وأسكناه وأعطيناه إبلا سائمة وخدمنا .

(٧) نقله : أعطاه نقلا أى عطية ، والقرم : شدة اشتهاؤ اللحم بعد العهد بأكله . يعنى أننا نعطى من يقصدنا الشحم في الشتاء ، وهو زمن الجهد ونحر النوق النيب ، ونطرد عن مشهى اللحم قرمه بإطعامه إياه .

- تَزَعُ الجَاهِلُ فِي مَجْلِسِنَا قَرَى الْمَجْلِسَ فِينَا كَالْحَرَمِ (١)
وَتَفَرَّعْنَا مِنْ ابْنِي وَائِلٍ هَامَةُ الْمَجْدِ وَتُحَرِّطُومُ الْكَرَمِ (٢)
مِنْ بَنِي بَكَرٍ إِذَا مَا تُسَبُّوا وَبَنِي تَغْلَبَ ضَرَابِي الْبَهْمِ (٣)
حِينَ يَنْجِي النَّاسُ نَجْمِي سِرْبِنَا وَاصْخِي الْأَوْجِيهِ مَعْرِفِي الْكَرَمِ (٤)
بُحْسَامَاتٍ تَرَاهَا رُسَبًا فِي الضَّرِيبَاتِ مُتَرَاتِ الْعَصَمِ (٥)
وَفُيُولٍ هَيْكَلَاتٍ وَوُخْجُ أَعْوَجِيَّاتٍ عَلَى الشَّوْ أَرْزَمِ (٦)
وَقَنَا جُرْدٍ وَخِيلٍ هُمَمِرٍ شُرْبٍ مِنْ طُولِ تَعْلَاكِ الْجَمِّ (٧)

(١) تزع : مضارع وزع بمعنى كف وزجر . والحرم : ما يحارب عنسه الإنسان ويحبه ، أو أنه يريد حرم مكة — بمعنى أننا تكف الجاهل فلا يأتي في مجلسنا بسفاهة فكان مجلسنا حرم نحمه أو حرم يلحزم ديننا .
(٢) على صيغة الماضي يسكون العين والخرطوم الأنف — أي وقد تفرعنا ونسلنا من ابني وائل بكر وتغلب اللذين هما بمنزلة هامة للجد ، ويكونون بالأنف عن الأئمة والعز والشتم .
(٣) ثم فسر معنى ابني وائل بأنهما بكر وتغلب وضرايه البهيم : جمع بهيمة وهو الشجاع لا يعلم من أين يضرب .

(٤) والسرب بالكسر : النساء أو النفس .
(٥) جمع الحسام على حسامات نادر . ورصب : جمع راسب ، وهو السيف يغيب في القربة . وإذا قرئت وسبا ككتب كان جمع رسوب بمعنى الراسب أيضا . والوزن لا يمنع من ذلك والمترة القاطع ، والعصم : جمع عصام ، كل ما يعصم الشيء ويشده ويربطه من الخبال ونحوها وقيل : أراد بها المعاصم على المعنى لأنها تعصم البدن بالدفع عنه .
(٦) الفحل : الذكر من كل حيوان ، ويريد بالفحول هنا الخيل الذكور ، والهيكل : العظيم الجسم ، وجمعه على هيكلات نادر ، ووخج : جمع وقاح ، يريد الفرس الصلب الحافر ، وأعوجيات : جمع أعوجج ، وهو الفرس ينسب إلى أعوج : اسم فرس كريم عتيق ، وأزم : جمع أروم ، وهو الفرس يعض على فأس الجلام من شدة نشاطه . والشاو : السبق ، أي ونجى سربنا بخيول نحول صلبة الخوافر أعوجيات شديدة في السبق .

(٧) وقنا جرد : أي رماح مجزدة من الكعوب الغليظة ، وخيل ضمير : أي ضامرات ، وشرب : ضامرات صلاب ، وتعلاك إلجم وعلكها تحريمتها والعص عليها بالفم . والجيم : جمع جلام .

آدَت الصنعةُ في أمْنِهَا	فهي من تَحْتُ مُشِيحاتُ الحُزْمِ (١)
تَتَّقِي الأرضَ رُحَّ وَوُحْ	وَرُقٍ يَقْعَرْنَ أُنْبَاكَ الْأَتَمَّ (٢)
وَتَفَرِّي اللُّحْمُ من تعدائها	والتغالي ؛ فهي قُبُّ كَالْعَجَمِ (٣)
خُلِجَ الشَّدُّ مُلِجاتُ إذا	شالت الأيدي عليها بِالْحَذَمِ (٤)
قَدَمًا تَنْضَوِ إلى الدَّاعِي إذا	خَلَّلَ الدَّاعِي بدَعْوَى ، ثم عَمَّ (٥)
بِشَبَابٍ وَكُھُولٍ نَهْدٍ	كَلْيُوثٍ بَيْنَ عَيْرِيسِ الْأَجَمِ (٦)

(١) آدى : قوى . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه والعناية بعلفه وتسميته ، والأمن : جمع متن ، وهو الظهر . ومشيات الحزم : أى أن أحزمها متقدمة الى الأمام ، أو أنها مرتفعات الحزم لعظم صدرها ومنها — يعنى أن هذه الخيل قد قوى متونها وأعظمها حسن القيام على علفها حتى إنك لترى حزمها من تحتها مرتفعات جدا لعظم متنها وصدرها .

(٢) الأرح : الحافر العريض ، والجمع رح . ووَحْ : جمع وقاح ، وهو الحافر الصلب ، وورق : جمع أورق ، وهو الذى لونه الورقة ، وهى سواد فى بياض قليل كلون الرماد ، ويقعرن : يقتلن ، والأنباك : جمع نبك ، وهى الأرض المرتفعة أو الأكمة المحددة الرأس . أى تنق تأثير مشيها على الأرض بحوافر صلبة ورقاء تقتلع الآكام .

(٣) تفرى : تشقق ، وتفتت العين : انجست بالماء ، وكلا المعنيين مناسب ، والتعداء : العدو . والتغالى : شدة الارتفاع ، يريد صعود المرتفعات ، والقب : جمع أقب ، والقبب دقة الخصر وضهور البطن ، وهو من محاسن الخيل ، والعجم : نوى كل شئ . (المعنى) أن هذه الفرس يتشقق لحمها وينبجس بالقرق من شدة عدوها وصعودها الآكام فأصبحت لذلك ضامرة البطن دقيقة الخصر يابسة العضل ، كأنها النوى فى اليبوسة .

(٤) الخليج : جمع خلوج ، وهى السريعة الجرى ، والشد : العدو . والملحات : المنصبات فى الجرى من ألح السحاب : دام مطره ، وشالت الأيدي : ارتفعت . والجذم : جمع جذمة ، وهو السوط . (٥) قدما تنضو : أى تسبق وتسرع قدما أى تجرى أمام أمام بدون انحراف ، وخلل : خصص . والداعى : المستغيث — أى تسرع الى نجدة المستغيث قدما اذا خصص بادئ بدء . فصاح : يا فلان ! ثم اضطر بعد الى التعميم لاشتداد الكرب عليه فعمم الدعوى .

(٦) والنهد : جمع ناهد ، وهو الشجاع الذى يمشى على كل حال وهو أيضا الأسد ، والعريس : ماري الأسد . والأجم : الأجمات .

(٩) الحارث بن حلزة اليشكري^(١)

من معاقته التي مطلعها :

آذنتنا بينها أسماء ربّ نأويهمل منه الثّواء^(٢)

* * *

وأنا من الحوادث والأز بلاء خطب نعتى به ونساء^(٣)
أن إخواننا الأراقم يغلو ن علينا في قبيلهم إحقاء

(١) هو الحارث بن حلزة اليشكري أحد خول الشعراء المقلين ، وصاحب المعلقة الحمزية المشهورة . كان في بكر بن وائل بمنزلة عمرو بن كلثوم في تغلب شجاعة وحماسة وفصاحة وارتجالا . وكثير من الرواة يقولون : إنه ارتجل هذه القصيدة بحضرة الملك عمرو بن هند إثر ملاحاة وجدال بين أعيان بكر وتغلب عند الملك عمرو ، وكان يتعصب لتغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وارتجلها على طولها وكثرة غريبها ، يفخر بقومه وأيامهم في حروب البسوس مع تغلب ، وفي غيرها - وعمر الحارث طويلا .

(٢) آذنتنا : أعلبتنا ، وبيننا : بفراقها لنا ، وثاو : مقيم . أى كثيرا ما تركه إقامة المقيم بين قوم لثقل كافته أولشره ، وليست أسماء من هؤلاء ، ففراقها شاق علينا .

(٣) نعتى به : نقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبني بكر قبيلة الشاعر ، ويغلو علينا : يتجاوزون الحد في التقول علينا ، والقبيل : القول ، والإحقاء : شدة الإلحاح والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الأخبار خبر يقصد به إساءتنا ، وهو أن الأراقم من تغلب يغالون وينشدون في نسبة مالم تفعل الينا .

يَخْلُطُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْبِ	ب، ولا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ (١)
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْ	رَ مَوَالٍ لَنَا ، وَأَنَا الْوَلَاءُ (٢)
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا	أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ :
مِنْ مُنَادٍ ، وَمِنْ مُجِيبٍ ، وَمِنْ نَصٍّ	بِهَالٍ خَيْلٍ ، خِلَالِ ذَلِكَ رُغَاءُ (٣)
أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمَرْقُشُ عَنَّا	عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ (٤)
لَا تَحْتَلْنَا عَلَى غِرَاتِكَ ؛ إِنَّا	قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ (٥)
أَفْبَقِينَا عَلَى الشَّيْنَاءِ تَنَمِيدٍ	بِنَا حُصُونٍ ، وَعِزَّةُ قَعَسَاءِ (٦)
قَبْلَ مَا الْيَوْمَ بَيَّضَتْ بَعْيُونَ الدَّ	نَاسَ فِيهَا تَعَيُّطٌ وَإِبَاءُ (٧)

(١) الخلى هنا : الخالى من الذنب ، والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، أى لا تنفع البرى . عندهم براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم .

(٢) أى فهم يلزمونا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه ؛ فعندهم أن كل من ضرب همارا مثلا مذنب ، وأنه من موالينا وأنصارنا ، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره .

(٣) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ . قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للإرتحال وأصدق وأوضحه تصويرا للحقيقة .

(٤) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام .

(٥) لا تحلنا : أى لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لا تحسبنا جازعين لإغرائك الملك بنا ؛ فن قبلك وشى بنا الأعداء فلم يفعلوا .

(٦) الشنأة : البغض ، وتمينا : ترفعا . والقعساء : الثابتة ، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٧) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وببيضت بعيون الناس : ببيضتها أى أعمتها ، والباء زائدة ، والتعيط : الترفع والإباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عزتنا القعساء أبصار الناس ، فلا يتطلعون الى إذلالتنا ، وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن ننال بسوء .

وَكُنَّ الْمُنُونُ تَرْدَى بِنَا أُر
عَنْ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ (١)
مُكْفِهَرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرُ
تَوَهُ لِلدَّهْرِ مُؤَيِّدُ صَمَاءُ (٢)
أَيَّمَا خُطْبَةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُو
بِهَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأُمَلَاءُ (٣)
إِنْ تَبَشَّتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَا
قَبْ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ (٤)
أَوْ تَقَشَّتُمْ ، فَالْنَقْشُ يَجْشُمُهُ النَّاسُ ،
وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَالْإِبْرَاءُ (٥)
أَوْ سَكْتُمْ عَنَّا ، فَكَمَا كُنْ أَعْدَاءُ
مَحْضَ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا أَقْدَاءُ (٦)

(١) تردى : ترمى وترجم ، والباء في (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، أى لتلقين الأسد ، أى هو كالأسد . والأرعن هنا : الجبل الذى له حيود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الأسود ، وينجاب عنه : ينشق عنه ، والعما : السحاب الأبيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا إنما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب ، وذلك من منعنا وقوتنا .

(٢) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع ، ولا ترتوه : لا تنقصه وتناقصه ، والمؤيد : الداهية . وصماء : لا تسمع اعتذارات — أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لا تنال منه الدواهي الصم .

(٣) الخطة : الأمر يقع بين القوم ، أو الإقدام على الأمر . والأملاء : جمع ملاء ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها فى معاملتنا فابعثوها إلينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٤) ملحّة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدرکوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ .) للضرورة ، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك ، أو أن جواب الشرط الآتى جواب له ولهذا .

(٥) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء ، ويجشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا وبينكم فإن ذلك مع ما فيه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صلاح أمورنا وإبرائنا عن العار .

(٦) وإن سكتم عنا فانا نسكت ، ونفضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدَّ
ثَمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعَلَاءُ؟ (١)
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُتَهَبُّ النَّا
سُ غَوَارًا لِإِكْلِ حَيِّ عُوَاءِ (٢)
إِذْ رَكِبْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرِ
رَيْنَ سَيْرًا حَتَّى نَهَاها الْحِصَاءُ (٣)
ثُمَّ مَلْنَا عَلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَمَ
نَا، وَفِينَا بَنَاتٌ مُرَّ إِمَاءِ (٤)
لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْمِ
لَيْسَ يُنْجِي مُوَائِلًا مِنْ حِذَارِ
وَقَالَ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ يَفْتَخِرُ :
وَإِنْ سَأَلْتَ إِذَا الْكَتَبِيَّةُ أَجْمَعَتْ
وَحَسِبْتَ وَقَعَ سُيُوفُنَا بِرُءُوسِهِمْ
وَتَيَّنَّتْ رِعَّةُ الْجَبَانِ الْأَهْوَجِ (٧)
وَقَعَ السَّحَابُ عَلَى الطَّرَافِ الْمَشْرِجِ (٨)

- (١) وإن منعتم ما تسألون فيه من الصالح والتراضي فمن الذي أخبركم أن له العلو علينا حتى تطمعوا فينا .
(٢) غوارا : أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء : الصياح . (المعنى) إن كنتم لا تتمون عنا فقد علمتم فعالنا وحفظنا لأنفسنا ، بل بقلنا على غينا من قبائل تميم في تلك الأيام التى تعرفونها ، أيام كان الناس ينهب بعضهم بعضا ، ويغير بعضهم على بعض ، وفي كل حى منهم صياح .
(٣) يريد بالسعف النخل ، والحساء : جمع حمى ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا ، أى هل علمتم إذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .
(٤) فأحرمتنا : أى دخلنا فى الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا .
(٥ و ٦) النجاء : الإسراع والفرار ، والموائل : الذى يطلب موئلا أى ملجأ ، والطود : الجبل .
والحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء : الغليظة . (المعنى) أن الشدة كانت عامة فلم يقم العزيز فى البلد السهل لمسا فيه الناس من الخوف . ولم ينفع الدليل فراره ولو التجأ الى رأس جبل أو تحصن فى حرة غليظة .

(٧) الرعة : الخوف . والأهوج : الأحق الطائش الطويل .

(٨) السحاب هنا : المطر . والطراف : البيت أو القبة من آدم أى جلد . والمشرج : المخيط بعض قطعه فى بعض . وشبه وقع السيوف على الروس بوقع المطر على القبة من الجلد لبيان كثرة وقعها وتميز صوت وقعها ؛ لأنه حينئذ يكون كالطبل .

وَإِذَا اللَّفَّاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النِّعَامَ إِلَى كَنْيَفِ الْعَرِجِ (١)
أَلْفَيْتَنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمَدَجِ (٢)

(١٠) دريد بن الصمة (٣)

قال في رثاء أخيه :

أَرَثَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ بِعَاقِبَةٍ ، أُمُّ أَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ (٤)

(١) اللفاح : جمع لقحة وهي الناقة ذات اللبن . وتروحت : رجعت الى مباركها آخر التماس
والرتك : مقاربة الخطو ، والكنيف حظيرة من شجر للإبل . والعرج : شجر مريع الالتهاب . أى وإذا
راحت النوق ذوات اللبن الى كنفها المتخذ من شجر العرج مسرعة لإمراع النعام ألفتنا الخ .

(٢) ألفتنا : وجدتنا ، والعماره : هنا العشيرة والأهل . والمدج : قرح الميسر الذى يقارب به
أى ان لم يكن لبن عطفنا على القداح فضربناها ونحرنا النوق التى ربحنا للضيف .

(٣) هو دريد بن الصمة أحد فرسان العرب وسيد بنى جشم من قبائل هوازن . ويقال إنه أشعر
فرسان العرب وأكثرهم غزوا . وأدرك الإسلام ولم يسلم . وخرج مع قومه فى غزوة حنين ، ولا فضل
فيه للحرب ، وإنما أخرجوه تيمنا برأيه ، فقتل فى ذلك اليوم . وكان له إخوة ثلاثة ، قتلوا فى غارات مختلفة ،
منهم عبد الله قتل بنو غطفان ، لأن دريدا كان أغار عليهم وامتناع إبليس ، فنزل عبد الله
فى الطريق ليقتسم الغنيمة فنهاه دريد خوف لحاق غطفان بهم ، فأصر ، فلحق بهم عند منعرج اللوى
فقتلت بنو عيس منهم عبد الله ، وأراد دريد أن ينقذه فلم يقن ، وسقط هو أيضا ، فمات ، وظنته غطفان
قتيلا ، فنجوا ، وهزمت جشم قبيلة . وبنى حزيننا على أخيه يرثيه دهرنا ، فلامته امرأته أم معبد ، وصفرت
شأن أخيه ، فطلقتها ، وقال فيها وفى قصة مقتل أخيه هذه القصيدة .

(٤) رث الحبل : بلى ، والمراد عهد من أم معبد ، وبعاقة أى بآخرة : أى أخيرا ، والاستفهام
من باب تجاهل العارف ، اذ هو عارف بأنه رث .

- وبانت ، ولم أحمد إليك نوالها
 كأن حمول الحى إذ متع الضحى
 أو الأثاب العم المحرم سوقه
 فقلت لعارض وأصحاب عارض
 علانية : ظنوا بألفى مدحج
 وقلت لهم : إن الأحالف هذه
 لما رأيت الخيل قبلاً كأنها
 أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
 ولم ترج منا ردة اليوم أو غد (١)
 بناصية الشحناء ، عصبة مذود (٢)
 بكابة لم يخط ، ولم يتعضد (٣)
 ورهط بنى السوداء ، والقوم شهدى (٤)
 سرائهم فى الفارسي المسرد (٥)
 مطنة بين السائر وهمد (٦)
 جراد يبارى وجهة الريح معتدى (٧)
 فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد (٨)

(١) وبانت : بعدت ، ونوالها : خيرها ، والردة : الرجوع . (المعنى) بانت أم معبد غير حميدة الصلبة ، فلا ترجو منا ردة لطلائعها .

(٢) الحمول : جمع حمل بالكسر : ما يحمل على الإبل مثلاً ، ومتع الضحى : بلغ آخر غايته ، وهو الضحى الأكبر ، والعصبة بفتح فسكون الشجرة تعلق فى شئ . عال فتكون كالخيمة عليه كشجر اللباب ونحوه ، ومذود : اسم جبل (المعنى) كأن حمول الحى عند ترحلهم عصبة عاقت فى عرائن الجبل .

(٣) الأثاب : شجر . والعم : العظيم . والمحرم : المنوع قطع سوقه . وكابة : موضع . ولم يخط : أى لم تعصب فروعه وتخط بالعصى فيكسر ولم يتعضد أى يقطع .

(٤) عارض : أخ له حضر غزاتهم هذه ، ورهط بنى السوداء أصحاب أخيه عبد الله .

(٥) علانية : جهرة ، ظنوا أى أيقنوا أن سيلحقكم ألفا مدحج بالسلح ، والفارسي : الدرع . والمسرد : المتابع الخلق ، أى أنه ضيق النسج .

(٦) الأحالف : جمع أحلاف وهم المتحالفون على نصره بعضهم لبعض ، ومطنة : ضاربة الأظفار بين هذين المكانين .

(٧) قبلاً : أى عياناً ومقابلة ، يبارى : يسابق ، ومعتد : أى فى الغداة .

(٨) بمنعرج اللوى : المكان الذى نزل أخوه .

- فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ ، وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ أَنِّي بِهِمْ غَيْرُ مُهْتَدِي (١١)
 وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ ؟ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرُشِدْ غَزِيَّةٌ أَرُشِدِ (١٢)
 دَعَانِي أَخِي ، وَالْخَيْلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُدِ (١٣)
 أَخْ أَرْضَعْتَنِي أُمُّهُ مِنْ لِبَانِهَا يَشَدِّي صَفَاءٍ بَيْنَنَا لَمْ يُجِدِّ (١٤)
 يَحْتُتْ إِلَيْهِ ، وَالرَّمَاخُ تَنُوشُهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُحْدَدِ (١٥)
 وَكُنْتُ كَذَابِ الْبُورِ رِبْعَتْ فَأَقْبَلْتُ إِلَى قِطْعٍ مِنْ جِلْدِ بُوٍّ مَجْلَدٍ (١٦)
 فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْهَنْتُ وَحَتَّى عَلَانِي حَالُكَ اللَّوْنُ أَسْوَدُ (١٧)
 قِتَالِ أَمْرِي أَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْلَدٍ (١٨)
 تَتَادَوَا ، فَقَالُوا : أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارْسَا ! فَقُلْتُ : أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَ رَدِّي ؟ (١٩)
 فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ (٢٠)

- (١) كنت منهم أى كنت على رأيهم مع أنى أراهم غارين ضالين وأنى غير مهتد باتباعهم .
 (٢) غزوية : حى من جنم ، وهم رهط دريد الأدنون .
 (٣) القعدد : الجبان يقعد عن نصرة قومه ، أى أنى عطفت عليه لإتقاده .
 (٤) لم يجدد : لم يقطع رضاعها له حتى أتم مدة الرضاع .
 (٥) تنوشه : تتناوله بالظعن . والصياصى : جمع صيصة : شوكة يسرى بها الحائك نسجه .
 (٦) البو : ولد الناقة والبقرة ، يحشى جلده تبنا ، فتجد رائحته فيه ، فترأمه وتدر اللين له .
 (٧) تنهت : كفت أسود بالضم ، وفيه عيب الإقواء . وهو اختلاف حركة الروى أى الحرف الأخير فى الأعراب . وقيل انه على تقدير ياء نسب مخففة للوزن ، وأنه أسودى والياء للبالغة .
 (٨) قتال أمرى : أى فالتك عنه قتال أمرى فادى أخاه بنفسه .
 (٩) أردت : أهلكك ، والردى : الهالك .
 (١٠) وقافا : هيا با يقف عن القتال جبنا ، ولا طائش اليد . أى مخطئ اليد فى الضرب والرمى .

- ولا برماً إماً الرياحُ تناوحتْ يَرْطُبُ الْعِضَاهُ وَالضَّرِيعُ الْمُعْضِدُ (١)
وَتُخْرِجُ مِنْهُ صِرَّةُ الْقَرِّ جُرَّةً وَطُولُ السَّرَى دُرَى عَضْبٍ مُهْنِدٍ (٢)
كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الضَّرَاءِ طَلَّاعٌ أَنْجِدُ (٣)
قَلِيلٌ تَشْكِيهِ الْمَصِيبَاتِ ذَاكِرٌ مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ (٤)
إِذَا هَبَطَ الْأَرْضَ الْفَضَاءَ تَرَيْنَتْ لِرُؤْيَيْهِ كَالْمَاتَمِ الْمُتَنَدِّ (٥)
وَكَمْ غَارَةٌ بِاللَّيْلِ وَالْيَوْمِ قَبْلَهُ تَدَارَكُهَا مَنَى بِسَيْدِ عَمَرَدٍ (٦)
سَلِيمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا طَوِيلُ الْقَرَا نَهْدُ أُسَيْلُ الْمُقَلَّدِ (٧)
يُقَوِّتُ طَوِيلَ الْقَوْمِ عَقْدُ عِذَارِهِ مُنِيفٌ يَحْذَعُ النَّخْلَةَ الْمُتَجَرَّدَ (٨)

(١) البرم : من لا يدخل مع القوم في الميسر ضنا بالجزور ، وكانوا يطعمون لحومها الفقراء ، وإما الرياح : إن شريطة وما زائدة ، وتناوحت : هبت من كل ناحية ، وذلك زمن البرد والشتاء ، والعضاه : الشجر الشائك . والضريع : نبات لا تقربه الدواب لخبثه ، والمعصد : المقطع .

(٢) صرة القر : شدة البرد ، والسرى : السير بالليل — أى وتخرج منه شدة البرد وطول السرى وجلا ماضيا في الأمور كأنه السيف المهند اللامع .

(٣) كمش الإزار : إما أنت يكون كناية عن خفته وسرعته ، وإما أنه لا يطيل إزاره كالمترفين المشبهين بالنساء بل إن نشاطه يستدعى أن يقصرت ثوبه بحيث يظهر نصف ساقه . وطلّاع أنجد : كناية عن اقتحام الصعاب ، والأنجد : جمع نجد .

(٤) أى يحسب حساب العواقب ، فلا يقول اليوم ما يحاسب عليه غدا .

(٥) الماتم في الأصل مجتمع الرجال والنساء في الغم أو الفرح ، ثم خص به اجتماع النساء للوت ، والتنديد : رفع الصوت . والمعنى إذا نزل أرضا اجتمع الناس حوله وارتفعت أصواتهم في قضاء الخوائج ونحو ذلك .

(٦) أى تداركها عني بفرس يشبه ذئبا شرسا .

(٧) الشظى : العظم الملازق بالساعد أو الساق ، والعبل : الضخم . والشوى : الأطراف . والنسا : عصب يجرى في الفخذ والساق . والشنج : المتقبض ، وهو مدح في الفرس . والقرا : الظهر . والأسيل : الأملس المستوى . والمقلد : العنق .

(٨) وصف هذا الفرس بارتفاع رأسه ، فقال يقوت الخ . والعذار من اللجام : ما سال على خذ الفرس وعقده على رأسه خلف أذنه . يعنى أن أعلى رأسه أطول من قامته رجل طويل ، ومنيف : عال ، والمتجرد من النخيل : الذى زالت أصول كره به فصار أملس . ثم رجع الى رثاء أخيه فقال : وكنت الخ .

وكنْتُ كَأَنِّي وائِقٌ بِمَصْدَرٍ يَمْشِي بِأَكْثَافِ الْجَبِيلِ قَتْمَدٌ (١)
 لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا وَإِنْ يَلْقَى مَثْنَى الْقَوْمِ يَفْرَحُ وَيَزْدَدُ (٢)
 وَهَوْنٌ وَجِدِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ : كَذَبْتُ ، وَلَمْ أَبْجَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي (٣)

(١١) قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ التَّمِيمِ : (٤)

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ (٥)
 يُكَلِّفُنِي لَيْلًا ، وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا وَعَادَتْ عَوَادِي بَيْنَنَا وَخُطُوبُ (٦)

(١) المصدر : الأسد . والجبل وشمس : موضعان — أى وكنت عند تقى بأنى كانى وائق بأسد

يَمْشِي بِأَكْثَافِ الْجَبِيلِ قَتْمَدٌ .

(٢) أى له مقاتلة كل مفرد يلقاه من الناس فاذا لقي اثنين لم يجبن عنهما ، بل يفرح ويزداد فرحا

ويحمل عليهما .

(٣) أى طيب نفسى أنى لم أجفه ، ولم أبجل عليه بما ملكت يدي فلم ألتقى به بعد قتله بأنى لم أقم

بحقه ، وجعل لم أقل له كذبت كناية عن الجفاء .

(٤) هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناضرة التميمي ، شاعر جاهلي مجيد من أقران امرئ القيس . مات

قبل الإسلام بزمان طويل . وإنما قيل له « الفحل » من أجل أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته

أيضا يسمى علقمة الخصي بن سهل ، ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام ، وأسلم . وقيل معنى « الفحل »

لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ؛ لأنها فضلت علقمة عليه حين حكاها في شعرهما .

(٥) طحا به قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق

إلى الشيء . وبعيد : تصغير بعد — وحان المشيب : قرب ، أو أن أراه — أى أضلك قلبك الطروب

في حب الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب — والخطاب لنفسه . ثم اللهو وتكلم عن نفسه ،

فقال : يكلفني الخ .

(٦) وشط وليها : بعد عنك قريبها ودنوها ومواصلتها — وعادت : شغلت وصرفت ، مقلوب عداة

عن الأمر : صرفه ، والعوادي : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشيء . والخطوب : جمع خطب ،

وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر . (المعنى) أن قلبي هذا يكلفني حب ليلي مع أنها بعدت عنه ، وعن

عليه قريبها ، وحالت بينه وبينها حوائل وشواغل وحوادث صوارف عنها .

- مُنْعَمَةٌ ، مَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا
عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تُزَارَ رَقِيبٌ (١)
- إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تُفَشِّسْ سِرَّهُ
وَتُرِضَى إِيَّابَ الْبَعْلِ حِينَ يُؤُوبُ (٢)
- فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ
سَقَاكِ يَمَانٍ ذُو حَيٍّ وَعَارِضٍ (٣)
- وَمَا أَنْتَ ؟ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَبِيعَةٌ
تُرَوِّحُ بِهِ جُنْحَ الْعَيْشِ جَنْوَبُ (٤)
- فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي
يُخَطُّ لَهَا مِنْ ثَرَمَدَاءَ قَلِيبُ (٥)
- إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ
بَصِيرٍ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبُ (٦)
- يُرِدُّنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدَّهِنَّ نَصِيبُ (٧)
- وَشَرَّحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ (٧)

(١) منعمة : من النعم فهني محبة يعني بحراستها أهلها .

(٢) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هي ترضى إياه فلا يعجبها غيره ، وإذا قرئ وترضى

(بالضم) كان المعنى وتجعل إياه رضى حميدا بالألا يشك في صونها .

(٣) فلا تعدلي : أى فلا تسوى ، والمغمر من الرجال : المحقق الذى يستجهله الناس ، سقتك الخ :

يدعو لها بأن تسقى المزن الروية أى التى تروى حين تمطر - يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرض عليه . ثم عاد الى الدعاء لها فقال : سقاكِ الخ .

(٤) أى سقاكِ سحاب يمان أى يأتى من ناحية جنوبي نجد . أصله يمنى خففوا ياء النسب ،

وزادوا الألف عوضا عنها ، فعول المنسوب معاملة المنقوص ، الحى : السحاب المتراكم بعضه على بعض ،

فيكون سيره بطيئا ، كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ،

والجنوب : الريح الجنوبية . (المعنى) سقاكِ سحاب يمان مكروم . وسقاكِ سحاب عارض تسوقه فى الليل

ريح جنوبية . ثم عدل عن هذا ، وقال : وما أنت الخ .

(٥) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للإضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما الداعى

لذكرك ليلي ، وهى ربعة من ربعة وأنت تسمى ، وقد رحلت الى بلادها حيث خط لها فى ثرمدا قليب .

والقليب البئر وثرمداء موضع . ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطبائهن ، فقال : فإن تسألونى الخ .

(٦) الأدوية : جمع داء ، أى بطبائهن المعيبة التى بمنزلة الأمراض فيهن .

(٧) الثراء : الكثرة ، أى يحبين من يعلمن عنده مالا . وشرح الشباب قوله ، وعجيب : معجب .

فدعها ! وسلّ الهمّ عنك بجسرة^(١) كهّمك فيها بالرداف خبيب^(٢)
الى الحارث الوهاب أعملت ناقى^(٣) بكلّكها والقصريين وجيب^(٤)

(١٢) قال سلامة بن جندل السعدي التميمي :^(٥)

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب أودى ، وذلك شأؤ غير مطلوب^(٦)
ولّى حثيثاً ، وهذا الشيب يتبعه لو كان يُدركه ركض اليعاقب^(٧)
أودى الشباب الذي مجدّ عواقبه فيه نلّذ ، ولا لذات للشيب^(٨)

(١) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهّمك أى مثل همتك في المضاء والقوة ، والرداف : جمع رديف ، والرديف والردف : كل شيء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخبيب : السير السريع . (المعنى) أى فدع لى هذه ، وسلّ الهم عنها برحلة على ناقة قوية سريعة مثل همتك في المضاء والنفاذ ، وفي سيرها سرعة ولو حملت خلف الراكب لها عدة أثقال .

(٢) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني ، وكان أمير أخاه شاسا ، فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدروما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا ، والقصريان : ضلعان تلجان الترقوتين ، والوجيب : خفقان القلب . أى أنه لشدة إجهادها في السير اشتد نبض قلبها ، وبأن ذلك في كلكها وقصريها لقرب القلب منها .

(٣) شاعر جاهلي مجيد من فرسان تميم ، وشعره منين سلس صحيح الرواية ، وكان معاصراً لعمر بن هند والنعمان بن المنذر .

(٤) أودى : هلك وزال ، والتعاجيب : العجائب ، والشأور : الغاية . (المعنى) مضى الشباب ذو العجائب محمّذاً بما كان فيه من اللذات العجيبة ، مضى وأصبح الآن غاية لا تدرك .

(٥) حثيثاً : سريعاً ، واليعاقب : جمع يعقوب ، وله معان : منها أنه ذكر القطا والجلج ، وملكة النحل ، والعقاب ، والخيل المشبهة بيعاقب الجبل في الركض لسرعتها ، وكلها مناسبة هنا ، ولو هنا : للتمنى .

(٦) المجد : الكرم وشرف الفعال . (المعنى) زال الشباب الذي انتهى بفعال كلها شرف وكرم .

- يومان يوم مقامات وأنديّة ويوم سَيرٍ الى الأعداء تأويب^(١)
 هَمَّتْ مَعْدٌ بنا هَمًّا فَنَهْنَهَا عَنَّا طَعَانٌ فَضَرْبٌ غَيْرُ تَذِيبِ^(٢)
 بِالْمَشْرِفِ وَمَصْقُولِ أَسْتَهَا صَمَّ الْعَوَامِلَ صَدَقَاتِ الْأَنَابِيبِ^(٣)
 يَجْلُو أَسْتَهَا فَيَنُفَّ عَادِيَةً لَا مُقْرِفِينَ وَلَا سُودَ جَعَابِيبِ^(٤)
 سَوَى الثَّقَافِ قَنَاهَا ؛ فَهِيَ مُحْكَمَةٌ قَلِيلَةُ الزَّيْغِ مِنْ سَنٍّ وَتَرْكِيبِ^(٥)
 زُرْقًا أَسْتَهَا حُمْرًا مُثَقَّفَةً أَطْرَافُهُنَّ مَقِيلٌ لِلْيَعَاسِيبِ^(٦)
 كَانَتْهَا بِأَكْفِ الْقَوْمِ إِذْ لِحَقُوا مَوَاتِحُ الْبُثْرِ أَوْ أَشْطَانُ مَطْلُوبِ^(٧)

(١) يومان : أى لنا يومان ، والتأويب : السير السريع ، أى ان لنا يومين : يوما نجلس في المقامات والأنديّة للسمر أو للتشاور ، و يومنا نسير الى الأعداء سيرا سريعا .

(٢) مَعْدٌ : الشعب العظيم الذى يشمل ربعة ومضر ، ونهْنَهَا : كفها ، ويقال : طعان غير تَذِيبٍ : اذا بولغ فيه . وجعله هنا صفة للضرب أى همت قبائل معد بقتالنا مرة فكفها عنا طعاننا وضر بنا الشديدان .

(٣) بِالْمَشْرِفِ : بالسيف المنسوب الى مشارف الشام ، وهى القرى العربية التى على حدود الشام تجلب منها السيوف المشرفة ، ومصقُولِ أَسْتَهَا : أى وبرماح مصقُولِ أَسْتَهَا ، وعامل الرمح : صدره أى الجزء الذى على منه السنان ، والصدق : الصلب المستوى من الرماح . والأنايب : كعوب الرماح .

(٤) العادية : أول جماعة تحمل من الرجال أو الفرسان ، والمقرف : الذى تكون أمه عربية وأبوه أعجميا بعكس الهجين ، والجعابيب : جمع جعبوب وهو الضعيف النذل لا خير فيه ، أو القصير الدميم .

(٥) الثَّقَافُ : الآلة التى يسوى بها الثقاف الرماح أى يسويها ، وهى خشبة فى وسطها نقب ، الزيف : البيلل والعوج ، ولا يريد أن بها زيفا قليلا بل لا زيف فيها . والسن : تركيب السنان أى أن أَسْتَهَا وكتب فيها معتدلة غير معوجة .

(٦) والمقيل : القيلولة فى الظهر ، واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو عظيم النحل . (المعنى) سوى الثقاف القنا زرقا أَسْتَهَا حمرًا مثقفة فكانت أطرافهن مكانا لتعليق رءوس البادات من الأعداء .

المواتح : الحبال الطويلة التى يمتح بها البئر أى ينزح ماؤها ، والأشطان : الحبال الطويلة .
 مطلوب : اسم بئر بين المدينة والشام بعيدة القعر .

- يَكَلَّا الْفَرِيقَيْنِ : أَعْلَاهُمْ وَأَسْفَلَهُمْ
 إِنِّي وَجَدْتُ بَنِي سَعْدٍ يُفَضِّلُهُمْ
 إِلَى تَمِيمٍ حُمَاةَ الْعِزِّ نَسَبُهُمْ
 قَوْمٌ إِذَا صَرَحَتْ تَحْلُ بِوُجُوهِهِمْ
 يُجْهِمُ مِنْ دَوَاهِي الشَّرِّ إِنْ أَرَمَتْ
 كَمَا تَحُلُّ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ
 شَيْبُ الْمُبَارِكِ مَدْرُوسٌ مَدَافِعُهُ
 يَشَقُّ بِأَرْمَاحِنَا غَيْرَ التَّكَاذِيبِ^(١)
 كُلُّ شَهَابٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَشْبُوبٌ^(٢)
 وَكُلُّ ذِي حَسَبٍ فِي النَّاسِ مَنْسُوبٌ^(٣)
 عِزُّ الدَّلِيلِ ، وَمَأْوَى كُلِّ قُرْضُوبٍ^(٤)
 صَبْرٌ عَلَيْهَا ، وَقَبِصٌ غَيْرُ مُحْسُوبٍ^(٥)
 بِكُلِّ وَادٍ حَطِيبٍ الْجَوْفُ مَجْدُوبٌ^(٦)
 هَابِي الْمَرَاغِ قَلِيلُ الْوَدْقِ مَوْطُوبٌ^(٧)

(١) غير التكاذيب : أى غير ذوى التكاذيب ، جمع تكذيب وهو أنف يحمل الفارس على الأعداء ، ثم لا يصدق الجملة ؛ فيرتد عنهم جبنا . (المعنى) كلا الفريقين من الأعداء ، الأشراف منهم والوضعاء ، أصيبوا برماحنا إلا من فر منهم جبنا .

(٢) بنو سعد بطن من تميم قوم الشاعر . (المعنى) إني وجدت قومي يفضلهم على الناس أن كل شجاع فيهم بمنزلة الشهاب المتقد على الأعداء .

(٣) نسبة بنى سعد إلى تميم وإلى كل ذى حسب معروف النسب .

(٤) الكحل : السنة الشديدة الجذب ، والقرضوب : الفقير الذى لا يصيب شيئا إلا أكله .

(٥) أزميت : عضت . والقبيص : العدد الكثير لا يقدر على حربه من كثرة . ثم وصف صبرهم على الشدائد والجذب باليتين الآتين .

(٦) الريح الشامية : باردة وإذا هبت في الشتاء ، وهو زمن الجذب عندهم ، كانت أبرد . (المعنى) نصبر على الجذب ونحل الوديان المجذوبة التى ليس بها إلا الخطب .

(٧) شيب : يعنى أن مبارك إبلهم في الوادى المجذوب الذى نزله شيب أى يبض من الغبار والجذب لا خضرة فيها ، أو من الصقيع لأنهم ينزلونه زمن الشتاء . والمدروس : الباقي المنحو العالم . والمدافع : جمع مدفع ، وهو مجرى المياه ، وهابى المراع أى أن المكان الذى تتمرغ فيه إبلهم هاب لقلة المطر الذى يشبهه ، والموظوب : الذى قد وذب حتى أكل ما فيه . (المعنى) هذا الوادى الذى اضطرا إلى الإقامة فيه زمن الشتاء — مباركة يبض لا خضرة فيها أو أن الصقيع كساه باليباض ، ومجارى مياهه مدروسة لعدم المياه التى تجري فيها ، ومراع إبله هاب بالتراب والغبار ، وقد أكل كل ما فيه من العشب ، فلم يبق فيه شيء . يعنى . يصف قومه بالجهد والصبر على الشدائد .

كنا اذا ما اُتانا صارخٌ فزعُ كان الصراخُ له قَرَعُ الظنايبِ
(٣) وشَدَّ كُورٍ على وَجْناءِ ناجيةٍ وشَدَّ سَرَجٍ على جرداءِ سرحوبِ
(٤) يقالُ : مَحْبِسُها أدنى لمرْتَعِها وإن تعادى بَيْكٍ كُلُّ مُحْلُوبِ
حتى تُرْكنا، وما تُثْنى ظَعائُننا يأخذُنَ بين سوادِ الخَطِّ فاللُوبِ

(١٣) وَقَالَ عَبْدُ يَغُوثَ الْحَارِثِيُّ . (٥)

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللُّومَ مَا بَيَا فَمَا لَكُمَا فِي اللُّومِ خَيْرٌ وَلَا يَا
(٦) أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ وَمَا لُومِي أَنْحَى مِنْ شِمَالِيَا
(٧)

(١) ظنايب : جمع ظنوب ، وهو حرف عظم الساق من أمام . أي إذا استصرخ بنا واستنجد
مستغيث أسرعنا في نجاته . وهو مثل يضرب للتهيو للأمر بسرعة . وأصله من قرع ظنايب الإبل لتبركه
سريعاً فتركب . وفسر هذا التهيو بالبيت الآتي .

(٢) الكور : الرجل الذي يوضع على ظهر الناقة ليركب عليها ، والوجناء : الناقة الصلبة الجسم ،
والناجية : السريعة السير ، والجرءاء : الفرس القصيرة الشعر وذلك من محاسنها ، والسرحوب : الطويلة .

(٣) يقال محبسها الخ يعني يقال في وصفها : إن محبس هذه الإبل وهذه الخيل على الجذب ومقابلة
العدو على الثغر ومواضع المخافة — أدنى وأقرب وأولى من أن ترتع وتخصب فتضيع الثغر . وتعادى :
تبارى في العدو ، والبك : قلة اللبن في المحلوب . أي ولو جرت النوق التي تحلب يلين قليل لقلة رعيها .

ثنى : ترجع ويرد بعضها على بعض أي تمنع عن سيرها وتحال دونه . والظمية : المرأة المسافرة
في هودجها ، وسواد الخط : يريد بلاد الخط من ساحل البحرين ، واللوب : الحجارة السود ، وتكون
في الجبال الغربية من بلاد العرب . (المعنى) ما زلنا ندافع العدو حتى ترك لنا البلاد فأصبحت ظعائنا يسرن
ما بين سواحل البحرين الى حدود الحجاز ، لا يثنين العدو عن طريق

(٥) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي البجلي أسري يوم الكلاب وهو يوم بين تميم واليمن ، وقد أسرته
تيمم الرباب وهو شاعر فارس مقدم في قومه ينتمى الى بيت معرق في الشعر .

(٦) أي كفى اللوم ما أنا فيه : فلا تحتاجون الى لومي مع ما ترون من أسرى وجهدي .

(٧) يقول : ليس لومي أنحى من شمالي أي أخلاقي

- فباركنا بما عَرَضْتَ فبلغن ندامى من تجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأهمسين كليهما وقيسا بأعلى حضر موت اليمانيا (١)
جزى الله قومي بالكلاب ملامة صريحهم والآخريين المواليا (٢)
ولو شئت نجنتى من الخيل نهدة ترى خلفها الحو الجياد تواليا (٣)
ولكننى أحمى ذمار أبيكم وكان الرماح يخطفن المحاميا (٤)
أقول وقد شدوا لساني يذسعة : أمعشر تيسم أطلقوا عن لسانيا (٥)
أمعشر نيم قد ملكتم فأسبحوا فإن أخاكم لم يكن من بوائيا (٦)
فإن تقتلونى تقتلوا بى سيذا وإن تطلقونى تحرّبونى بماليا (٧)
أحقا عباد الله أن لست سامعا نسيده الرعاء المعزبين المتأليا (٨)
وتضحك منى شيخه عيشمة كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا (٩)

(١) أبو كرب والأهمان : من اليمن ، وقيس بن معد يكرب الكندي كذلك .

(٢) صريحهم : خالصهم ومحضهم . والموالى هنا : الخلفاء .

(٣) النهدة : الفرس المرتفعة الخلق ، والحو : الخيل التى تضرب الى خضرة ، وقوله تواليا أى تتلوها وتتبعها لأن فرسه خفيفة قد تقدّمت الخيل .

(٤) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه من منعه جاراً وطلبه ثارا — يخطفن : يذهبن به .

(٥) هذا مثل ، فاللسان لا يشد بذسة ، وإنما أراد أفعلا بى خيرا لينطق لسانى بشركم وانكم مالم تفعلوا فلسانى مشدود لا أستطيع مدحكم .

(٦) اسبحوا : مهلوا ويسروا أمرى ، والبواء : النضير . أى أنت صاحبكم ليس نظيرى فلا أقتل به ، يقال : يا فلان بؤ بفلان أى اذهب به ، يقال ذلك للقول بمن قتل .

(٧) أى وإن تطلقونى أدفع دية عظيمة لصاحبكم بحيث يهلك منها مالى .

(٨) المعزب : المنحى بإبله ، والمتألى التى قد نتج بعضها وبقى بعض ، والواحدة متلية .

(٩) عيشمة نسبة الى عبد شمس ، والأسير : المشدود .

وقد علمت عرسي مُليكة أني أنا الليث معدوا على وعاديا
 وقد كنت نَحَارَ الجُزور، ومُعمِلًا مَطِيًّا، وأمضي حيثُ لاحتُ ماضيا (١)
 وأنحُرُ للشرب الكريم مَطِيَّتِي وأصدعُ بين القينتين ردائيا
 وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَها القنَا لِيَقَا بتَصريفِ القنَا بَنَانِيا (٢)
 وَعَادِيَّةٍ سَوْمَ الجرادِ وَزَعَتْهَا بكفِّي وقد أَنَحُوا إلى العواليا (٣)
 كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا ولم أَقُلْ لِخَيْلِي : كُرِّي نَفْسِي عن رَجَالِيا
 ولم أَسْبِ الرِّزْقَ الرُّوِّيَّ ، ولم أَقُلْ لِأَيْسَارِ صِدْقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيا

(١٤) وقال ذو الإصبع العدواني : (٥)

لِي أَبْنُ عَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي بِمُخْتَلَفَانِ : فَأَقْلِيهِ ، وَيَقْلِينِي (٦)

(١) الشرب الشاربون ، المفرد شارب كصحب وصاحب . والمطية : البعير هنا — أصدع أشق
 والقينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والأزل هو المراد هنا يصف نفسه بالكرم والترف .

(٢) شَمَّصَ : ضرب ونخس ، والقنَا : الرماح ، والليق الحاذق .

(٣) العادية : القوم يعدون ، والخيل كذلك . سَوْمَ الجراد : انتشاره في طلب المرعى . وزعَتْهَا :
 كففتها ومنعتها — أَنَحُوا الرماح : أَمَالَوْهَا وقصدوا بها إلى ، والعوالي : الرماح . يقول : ورب
 جماعة من الفرسان تعدو على في كثرة الجراد وشيوعه قد كففتها عني ، وقد أَمَالُوا رماحهم نحو
 في القتال .

(٤) السبَا : اشتراء الخمر ، والأيسار الذين يضربون القداح في المقامرة ، يقول : كَأَنِّي لَمْ أَشْرَبِ الخمر ،
 ولم أَقُلْ للقامرين معي أَعْلَوْا ضَوْءَ النار للشواء أو لَأَكْرَامِ الضيفان الذين يقصدونها ، وكان ذلك من مفاتر العرب .

(٥) هُوَ حُرثَانُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ عَدَوَانٍ مِنْ مِزَرِ شَاعِرِ فَارِسٍ مِنْ قَدَمَاءِ الشُّعْرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقَدْ عَمِرَ طَوِيلًا

حَتَّى خَرَفَ وَأَهْتَرَمَاتٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

(٦) عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي أَيَّ مِنْ تَخَالُقٍ وَمَعَامَلَةٍ بَيْنَنَا ، يَرِيدُ أَنَّهُمَا مُخْتَلَفَانِ ، أَقْلِيهِ : أَبْغِضْهُ .

- أزرى بنا أننا شالت نعمتنا نخالني دونه ، وخطئه دوني^(١)
يا عمرو إلا تدع شتي ومنقصتي أضربك ، حتى تقول الهامة : اسقوني^(٢)
لاه ابن عمك ! لا أفضلت في حسب عني ، ولا أنت ديان فتخزوني^(٣)
ولا تقوت عيالي يوم مسغبة ، ولا ينفسك في العزاء تكفيني^(٤)
إني أعمرك ما بآبي بذى غلق عن الصديق ، ولا خيرى بممنون^(٥)
ولا لساني على الأدنى بمنطلق بالفاحشات ، ولا فتكى بمأمون
عف يؤوس ، إذا ما خفت من بلد هونا فليست يوقاف على الهون^(٦)
عني إليك ، فما أمي براعية ترعى الخاض ، وما رأيي بمغبون^(٧)
كل أمرئ راجع يوماً لشيئته وإن تتخلى أخلاقاً إلى حين^(٨)

(١) أزرى بنا : قصر بنا وعابنا ، وقوله شالت نعمتنا : معناه تفرق أمرنا واختلف ، فتأفروا
فصرت أراه أقل مني ويراني أقل منه .

(٢) الهامة : الرأس . وكان العرب يعتقدون أن الرجل إذا قتل فلم يدرك يثأره خرجت هامة
من نوع البوم من قبره فلا تزال تصيح : اسقوني ، حتى يثأره ، والمراد : أضربك حتى تقتل .

(٣) لاه ابن عمك : أصله لله ابن عمك فحذفت اللام الخافضة اكتفاء بالتي تليها ، والديان : القائم
بالأمر . يقول : لست القائم في أمرى فتخزوني أي تسوسني وتدبر أمرى .

(٤) مسغبة : المجاعة . والعزاء : الضيق والشدة .

(٥) أي لا أذتر عن صاحبي شيئاً ولا أمت عليه .

(٦) عف : أي تفيف عما ليس لي ، يؤوس : لست بذى طمع ، فأنا يأس عما في يد غيره ، والهون :
الهوان والذلة .

(٧) أي لست بآبن أمة ، وخص الخاض لأن رعيها عمل المهيمن .

الشيعة : الطابع ، يريد أن التخلق لا يدرم ولا بد أن يرجع الإنسان إلى طبعه .

- إِنِّي أَبِيَّ إِنِّي ذُو مُحَافَظَةٍ
وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مِائَةٍ
فَإِنْ عَلِمْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَانْطَلِقُوا
مَاذَا عَلَى وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي كَرَمٍ
لَوْ تَشْرَبُونَ دُمِي لَمْ يُرَوْ شَارِبَكُمْ
اللَّهُ يَعْلَمُنِي ، وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ
قَدْ كُنْتُ أُوتِيكُمْ نَصِيحِي ، وَأَمْنُكُمْ
لَا يُخْرِجُ الْكُرْهَ مِنِّي غَيْرَ مَائِيَّةٍ
- وَابْنُ أَبِيَّ أَبِيَّ مِنْ أَبِيَّيْنِ^(١)
فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ كُلًّا فَكِيدُونِي^(٢)
وَإِنْ جَهِلْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَأَتُونِي^(٣)
أَلَّا أَحْبَبَّكُمْ إِذْ لَمْ تَحْبُونِي
وَلَا دِمَائُكُمْ جَمْعًا تُرَوِّنِي
وَاللَّهُ يَخْزِيكُمْ عَنِّي ، وَيَخْزِينِي
وَدِّي عَلَى مُثَبَّتٍ فِي الصَّدْرِ مَكْنُونٌ^(٤)
وَلَا أَلَيْنَ لِمَنْ لَا يَتَّبِعُنِي لِيَنِي^(٥)

(١٥) عبيد بن الأبرص^(٦) :

قال من بآئته المشهورة التي أولها :

أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطِيبَاتُ فَالذَّنُوبُ^(٧)

* * *

(١) يصف نفسه وآبائه بالعز والمنعة .

(٢) زيد على مائة : زيادة عليها .

(٣) أي فإن عرفتم سبيل الرشد فاذهبوا لوجهكم ، وإن فرغتم إلي رأيي أحببكم ونصحت لكم .

(٤) مكنون : مستور .

(٥) يقول ، إذا أكرهت على الشيء لم يكن عندي إلا الإباء له فلا أعطى على القسر شيئاً .

(٦) هو عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية وقدمائهم ، وبآئته التي منها هذه الأبيات من مجزوء البسيط ، وأكثر أبياتها مضطربة الوزن ولكن أغراضها ومعانيها شريفة .

(٧) ملحوب والقطيبيات والذنوب : أسماء أماكن .

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُؤُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُؤُوبُ
أَعَاقِرُ مِثْلُ ذَاتِ وَلَدٍ أَوْ غَائِمٌ مِثْلُ مَنْ يَنْجِبُ
مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِيمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَنْجِبُ
سَاعِدُ بَارِضٍ إِنْ كُنْتَ فِيهَا وَلَا تَقُلْ : إِنِّي غَرِيبُ

(١٦) وَقَالَ الْأَفْوَةُ الْأَوْدِيُّ^(١) :

الْبَيْتُ لَا يُبْنَى إِلَّا لَهُ عَمَدٌ وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ^(٢)
فَإِنْ تَجَمَعَ أَوْتَادُ وَأَعْمِدَةٌ وَسَاكِنٌ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا^(٣)
لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سِرَاةَ لَهُمْ وَلَا سِرَاةَ إِذَا جُهِلَ لَهُمْ سَادُوا
تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَنَقَّدُ
إِذَا تَوَلَّى سِرَاةَ النَّاسِ أَمْرَهُمْ تَمَّا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ الْقَوْمِ فَازْدَادُوا

(١) هو صلالة بن عمرو الأودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها وسادتها وفرسانها .

(٢) هذا البيت والذي بعده تمثيل لمذهبه ورأيه في سياسة الناس وصلاح أمورهم إذا تولى حكمهم وقيادتهم سراهم وذووا الأحساب والرأى فيهم فإدام هؤلاء بأيديهم الحل والعقد صلحت أمورهم وعظمت شؤونهم وبلغوا ما أرادوا ، فإذا تغلب الجهال بقوتهم عم الفساد .

(٣) كادوا هنا بمعنى أرادوا .

عصر صدر الاسلام وبنى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . (٢) الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فُرُشًا (٣) وَالسَّمَاءَ بِنَاءً (٤) وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا
لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . (٥)
مَلِكٌ أُمَةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ . (٦)
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ (٧)

-
- (١) معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم
(٢) الجملة حال من الضمير في اعبدوا أى اعبدوا ربكم راجعين أن تخرطوا في سلك المتقين .
(٣) كالفرش المبسوط .
(٤) كالقبة المضروبة عليكم .
(٥) الأنداد : جمع ند بكسر النون : المثل .
(٦) أى والحال أنكم من أهل العقل والمعرفة الذين لا يصدّقون صحة الشرك .
(٧) الأمة : الجماعة . والمراد هنا الأنبياء الماضون وأتباعهم الذين ينتسب إليهم المجادلون من الكفار ،
خلت : مضت — المعنى أن هؤلاء قوم لهم أعمالهم لا تفيدكم شيئا كما أنكم لا تسألون عن سيئاتهم .
(٨) الاختلاف : التعاقب .
(٩) الفلك : السفينة للواحد والجمع .

بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ
 الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرْسِلُ
 اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ .

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

- (١) السماء : جهة العلو .
- (٢) البث : النشر والتفريق .
- (٣) تصريف الرياح : تدير مهابها وأحوالها .
- (٤) أشد حبا : لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف غيرهم المترددن بين الأصنام ، أو اللاتجيين الى الله .
 حين الشدة فقط .
- (٥) جواب لو محذوف أى لندموا إذ يرون العذاب يوم القيامة ، وأجرى مجرى الماضى لتحقق
 الوقوع كقوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » . ومعنى ظلموا أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم الأنداد .
- (٦) الأسباب : الصلات التى كانت بين التابع والمتبوع .
- (٧) كرة : أى عودة الى الحياة الدنيا .
- (٨) حسرات : ندامات ، المفرد حسرة .
- (٩) البر : كل فعل مرضى . والخطاب لأهل الكتاب الذين غاضوا فى أمر قبلة الصلاة حين حوّل
 من بيت المقدس الى الكعبة بمكة ويصح أن يكون الخطاب عاما .
- (١٠) أى أن البر الذى ينبغى أن يهتم به هو بر من آمن . (١١) المراد بالكتاب الكتب المنزلة .
- (١٢) أى مع حب المال . (١٣) يريد المحاويع منهم .

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ .

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْخُلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ
وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ آتِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ
جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ

(١) ابن السبيل : المسافر .

(٢) أى فى تخليص الرقاب بك الأسرى وعون المكاتبين .

(٣) البأساء : المصيبة فى المال . والضراء : المصيبة فى النفس . البأس : مجاهدة العدو .

(٤) صدقوا : اخلصوا للدين واتباع الحق وطلب البر . المتقون : المبتعدون عن الكفر وسائر الرذائل .

(٥) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه غير مباح .

(٦) تدلوا بها إلى الحكام : أى تلقوا بالحكومة فيها إليهم . بالإثم : أى بما يوجب إثمًا
كشهادة الزور واليمين الكاذبة . وأنتم تعلمون : جملة حالية . وذلك أن عمل الذنب مع العلم به أقبح .

(٧) أى يحلف على إخلاصه . ألد الخصام : شديد العداوة والجدال للسلبي .

(٨) تولى : أدبر وانصرف عنك أو إذا غلب وصار واليا . الحرت : الزرع . والنسل : الماشية .

(٩) أخذته بكذا : حملته عليه وألزمته إياه . والمعنى على ذلك أن الأنفة وحمية الجاهلية حملته على

الإثم الذى يؤمر باتقائه . فحسبه جهنم أى كفته جزاء وعذابا . ولبنس المهاد : جواب قسم مقدر

والخصوص بالنم محذوف للعلم به . والمهاد : الفراش ، أى بنس المهاد مهاده .

(١٠) يشترى نفسه : يبيعها ويذلها فى الجهاد مثلا . ابتغاء مرضاة الله : أى طلبا لرضاه . والله

وعرف بالعباد لإرشادهم الى مثل هذا الشراء ليكونوا مقررين فائزين .

وَمَوْفٍ بِالْعِبَادِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً^(١) وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ^(٢) . فَإِنْ زَلَلْتُمْ^(٣) مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٤) .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنبلةٍ مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ^(٥) .

(١) السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والطاعة . (٢) مبين : ظاهر العداوة .

(٣) زلتم : حدثتم عن الدخول في السلم . والبيِّنات : الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق .

(٤) عزيز : لا يعجزه الانتقام . حكيم : عادل لا ينقم إلا بحق .

(٥) كره لكم : شاق عليكم مكروه طبعاً .

(٦) أى مثل نفقتهم كمثل حبة الخ . والمراد أن الله يضاعف لهم الثواب على هذا الإنفاق .

واسع : لا يضيق فضله . عليم : بنية المنفق وقيمة إنفاقه .

(٧) المَنَّ : أن يعتد الانسان بإحسانه على من أحسن إليه .

(٨) الملك هنا : كل شيء فعناه عام وما بعده خاص .

(٩) إيلاج الليل والنهار : إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة والتقص .

(١٠) المراد بإخراج الحي من الميت وبالعكس إنشاء الحيوان من مواده وإماتته واستحاله إلى موات .

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْصُرْكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فِطْرًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا تَقْضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ
مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

(١) يشترون : يستبدلون . عهد الله : الأيمان . أيمانهم : ما حلفوا به كقولهم لثؤمن بالله
ولنصرنه . الثمن القليل : هو متاع الدنيا .

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم من الخير والثواب . لا يزكّهم : لا يثني عليهم .

(٣) اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : دين الإسلام أو القرآن .

(٤) أى فى الجاهلية إذ كنتم تتقاتلون .

(٥) الشفا : الحرف . والمعنى : كنتم مشفين على الوقوع فى النار لكفركم فأنقذكم بالإسلام .

(٦) فبما رحمة : أى فبرحة وما زائدة للتأكيد . الفظ : سبى الخلق الجافى . غليظ القلب : قاسيه .

انقضوا من حولك : تفرقوا عنك .

(٧) عزمت : وطنت نفسك على شئ . بعد الشورى .

(١) وَلَيْخَشُ الَّذِينَ لَوْتَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا
(٢) قَوْلًا سَدِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَيَصِيلُونَ سَعِيرًا .

(٣) وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى شَيْءٍ حَسِيرًا .
(٤) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا .
(٥) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ
الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا . هَاتِمَ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ
اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا . (٦) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا .



(٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَوَّةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

(١) هذا أمر للأوصياء بخفاة الله في أمر اليتامى وأن يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم
الضعاف بعد وفاتهم . والقول السديد يظهر في الإنصاف وحسن العشرة .

(٢) أى ما يجر إلى النار . يصلون سعيرا : يدخلون نارا شديدة . (٣) يحاسبكم على التحفة أيضا
كما يحاسبكم على غيرها . (٤) يختان نفسه : يخونها بالمعاصى . الأثيم : المتهمك في المعاصى .

(٥) يستخفون : يستترون . يبيتون : يدبرون زورا .

(٦) الوكيل : المحامى الدافع عنهم عذاب الله . (٧) يظلم نفسه بالشرك أو بذنب لا يمتداه ضرره .

(٨) الميسر : القمار مطلقا . الأنصاب : الأصنام نصبت للعبادة . الأزلام : جمع زلم وهو القدح . وذلك
أن العرب كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقذاح مكتوب على أحدها أمرنى وبى . وعلى الآخرها فى
وبى . والثالث غفل . فان خرج الأمر مضوا ، وان خرج الناهى تجنبوا ، وان خرج الغفل أجالوها ثانية .
ورجس : قدر تعافه العقول .

وَالْمَيْسِرَ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ^(١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما عَلَى رَسُولِنَا الْبُلْغُ الْمُبِينُ ^(٢) .



ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ^(٣) ، فلولا
إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ^(٤) ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ،
فلما نُسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ^(٥) حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم
بعتة ^(٦) فاذا هم مبلسون ، فاقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ^(٧) .

وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر ^(٨) اتّخذ أصناما ءالهة إني أرىك وقومك في ضلال مبين ^(٩) ،
وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن ^(١٠)

(١) هذا الاستفهام إيدان بأن أمر المنع والتحذير بلغ الغاية ، وأن الأعداء قد انقطعت .

(٢) أى فان أعرضتم فلن تضرروا الرسول بأعراضكم لأن عليه البلاغ وقد أداه .

(٣) أى فكفروا فأخذناهم الخ . البأساء : الشدة والفقر . الضراء : الضر والآفات . يتضرعون :
يتذللون ويتوبون .

(٤) معناه نفى تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم اليه .

(٥) أى لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب النعم امتحانا لهم بالشدة
والرخاء .

(٦) مبلسون : منحسرون آيسون .

(٧) دابرهم : آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد ، (والحمد لله) على هلاكهم إذ هو نعمة للناس .

(٨) أزر : عطف بيان لأبيه .

(٩) ملكوت السموات : عجائبها وبدائعها . ليكون من الموقنين أى ليستدل ويستيقن .

(١٠) جن عليه الليل : ستره بظلامه . وهنا أراد سيدنا إبراهيم هداية قومه من طريق النظر .

والاستدلال .

عليه السِّلُّ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ^(١) قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ^(٢)
بَارِئًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ^(٣) قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَءَا
الشَّمْسَ بِازْغَةٍ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقِيمُ إِنِّي بِرِيٍّ^(٤) مِمَّا تُشْرِكُونَ .
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا^(٥) وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .
إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَابِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ^(٦) وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ، ذَلِكَمُ اللَّهُ
فَعَّالٌ تُوَفَّقُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا^(٧) وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا^(٨) ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا^(٩)
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا^(١٠)
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ

(١) أَفَلَ النجم : غاب .

(٢) بَارِئًا : مبتدئًا في الطلوع .

(٣) أى من الأجرام السماوية المحدثّة المحتاجة الى من يصرفها .

(٤) وجهت : توجهت بالإيمان والعبادة . فطر : خلق . حنيفًا : حال من التاء في وجهت .

والحنيف : المسلم .

(٥) فالقه بالنبات والشجر الذي ينبت منه .

(٦) تُوَفَّقُونَ : تنصرفون عنه الى غيره .

(٧) فالقُ الإصباح : شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل . سَكَنًا : يسكن اليه التعب نهارًا مطمئنًا
اليه . حُسْبَانًا : أى على أدوار يحسب بها الوقت . وهو مصدر حسب بالفتح . وقيل : جمع حساب
كشباب وشبان . العزيز العليم : القادر والخير بتدبيرهما حسب الأصلح .

(٨) فصلنا الآيات : بيناها فصلًا فصلًا .

(٩) نفس واحدة : هى آدم عليه السلام . مستقر : فى الأصلاب أو فوق الأرض . مستودع :

فى الأرحام أو تحت الأرض .

(١٠) أى نبت كل صنف من النبات .

فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٍ
مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ، انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا
مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ (٦) وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ (٧)
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا
ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

(١) الخضر : شئ . أخضر يخرج من الحبة منشعبا . الحب المتراكب : هو السنبل .

(٢) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلوعها قنوان ، وهى الأعذاق : جمع قنوكهنون جمع صنو .
دانية : قرية التناول أو ملتفة متقاربة . وجنات : عطف على نبات كل شئ . ينعه : نضجه . الآيات :

العلامات والأدلة على وجود الخالق الحكيم .

(٣) أى وأحسنوا لهما إحسانا .

(٤) الإملاق : الفقر . ومن : للسيبية .

(٥) الفواحش : كبار الذنوب .

(٦) أى بالطريقة النافعة محافظة واستناراً . الأشد : جمع شدة كنعمة وأنعم . والمراد حتى يصير بالناس .

(٧) القسط : العدل والتسوية .

(٨) اعدلوا : قولوا الحق والعدل ولو على القريب .

(٩) صراط الله : شريعته . والمراد بالسبل : الأدبان المختلفة أو الأهواء الضالة .

(١) وَأَنْتُمْ لَا تُصِيبِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .
وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ
(٢) وَأَيَّدَكُمْ بِنَصِيرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ . (٣) لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ . (٣) لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ . (٣)
وَلَيْسَ خَلْقُهُ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ . (٥) قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . (٦) قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . (٦) قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . (٦)
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ . (٨) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ . (٩) لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ
(١٠) وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . (١١) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ . (١٢) وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

- (١) أى اتقوا ذنبا يعمكم أثره : كإقرار الأشرار، وترك التناهى عن المنكرات، ومن أوجه إعراب لا تصيبين أنها جواب الأمر على معنى ان أصابتكم . ولذلك أ كد الفعل .
- (٢) يمتن الله عليهم بمحابتهم ونصرتهم حينما كانوا ضعافا أول الإسلام .
- (٣) تستعمل فى الحث على بذل النفيس المحبوب .
- (٤) حصص : بان وظهر . تستعمل لظهور الأمر بعد خفائه أو الشك فيه .
- (٥) يقال للشخص ينظر الى وجه ضيف دون القوى المهم . وأصلها أن الإنسان يجب من البعث ناسيا أن الله الذى خلقه من التراب قادر على بعثه .
- (٦) يجابه بها من فرط فوق فى مغبة عمله .
- (٧) تستعمل فى اليأس من الرجوع فى الحكم أو العمل .
- (٨) فى قرب المنتظر .
- (٩) فى الحرمان .
- (١٠) للنص على أن لكل شئ غاية .
- (١١) مدبر الشريعة فيه .
- (١٢) تستعمل الشاكلة فى دلالة العمل على طبيعة صاحبه .

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ^(١) . كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ^(٢) . مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ^(٣) . مَا عَلَى
 الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ^(٤) . هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ^(٥) . كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً ^(٦)
 كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ^(٧) . ءَالَتُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ^(٨) . تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ^(٩) . وَلَا
 يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ^(١٠) . كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ^(١١) . وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ^(١٢) .
 وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ^(١٣) . لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ^(١٤) . لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ ^(١٥)
 وَالطَّيِّبُ ^(١٦) . ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ^(١٧) . ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ^(١٨) . لِمِثْلِ هَذَا
 فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ^(١٩) . وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ^(٢٠) . فَاعْتَزِلُوا يَأُولِي الْأَبْصَارِ ^(٢١) .

- (١) في ظهور الخير من غير مظانه .
- (٢) تستعمل في تحمل الإنسان نتيجة عمله .
- (٣) في الرجل يقوم بواجبه لا يعنيه المهمل .
- (٤) للحسن يجود بما يشاء .
- (٥) في الخير جزاؤه الخير .
- (٦) الضعيف يفوز بالقوى .
- (٧) عدم فائدة التوبة بعد فوات الفرصة . والأصل تطيع الآن الخ .
- (٨) تستعمل للجماعة كالمفتقين وأهواؤهم مختلفة .
- (٩) يضرب للرجل يعرف الشيء أكثر من غيره .
- (١٠) تعصب الإنسان لما عنده .
- (١١) تضرب للقوم يفقدون خيرا لا يستحقونه .
- (١٢) إنكار الجميل . (١٣) الاكتفاء بقاية الجهد .
- (١٤) للفرق بين المنبأيات . (١٥) للشريع .
- (١٦) يضرب لاستضعاف المتكبر المتجاهل .
- (١٧) استنكار الشيء وتجييله .
- (١٨) للأشياء النادرة .
- (١٩) تستعمل في لفت النظر إلى مواطن العبرة والنصر .

(ب) الشِّعر

(١) قال كعب بن زهير :

بانتُ سعادُ فقلبي اليومَ متبولٌ متيمٌ عندها لم يُجَزَّ مكبولٌ (٢)
وما سعادُ غداةَ البين إذ برزت إلا أغنَّ غضيضُ الطرفِ مكحول (٣)
تجلو عوارضُ ذي ظلمٍ إذا ابتسمت كأنه مُنهلٌ بالراح معلول (٤)
شجَّتْ بذى شيمٍ من ماءٍ مخنيةٍ صافٍ بأبطحٍ أضفى وهو مشمول (٥)
تنفى الرياحُ القذى عنه وأفرطه من صوبٍ غاديةٍ بيضٌ يعاليل (٦)
ويلمها خلةٌ لو أنها صدقت بوعدها ولو آن النصحَ مقبول (٧)

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي . وقد نشأ كعب في أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة . وأسلم ومدح الرسول بهذه القصيدة التي تشرحها . ويعتد شعره من النوع القوى الجزل مع غرابة لفظ ، وجودة وصف ، ويقال إنه توفي سنة ٥٢٤ هـ .

(٢) بانت : فارقت . والمتبول : الذي أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

(٣) الغزال الأغنَّ : الذي في صوته غنة ، وهي صوت محبوب . غضيض الطرف : أى في طرفها تكسر وفنور .
(٤) تجلو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا : الأسنان . ذي ظلم : أى ثغرى ظلم . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . ومنهل معلول : أى مسق بالخمر مرة بعد أخرى .

(٥) شجَّتْ : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها . وبذى شيم أى بماء ذى شيم . والشيم : البرد . والمخنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق . والأبطح : مسيل فيسه دقاق الحصى . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد . أى كأن فى ثغرها راحا مزجت بماء بارد نقي صاف .
(٦) القذى : ما يسقط فى الماء . وأفرطه : أى ملاه . والصوب : المطر . والغادية : النجاسة تاقى صباحا . واليعاليل : الجبال ، أى وملا هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٧) ويل أمها : تضاف كلمة ويل الى أم وتركبان كأنهما كلمة واحدة وتستعمل فى التعجب ، وفى رواية ابن هشام : فيألها . والخلة هنا : الصديقة . أى ما أعجبها صديقة لو وفّت بما وعدت : وسمعت نصيحة النصاح لها فى أمرى .

لكنها خلةٌ قد سيطَ من ديمها
فما تقومُ على حالٍ تكون بها
ولا تمسكُ بالعهدِ الذي زعمتُ
كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً
أرجو وأملُ أن تدنو مودتها
فلا يغرنك ما منت وما وعدتُ
أمت سعادُ بأرض لا يبلغها
فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلٌ^(١)
كما تلونُ في أثوابها الغول^(٢)
إلا كما يميسكُ الماءُ الغرايل
وما مواعيدُها إلا الأباطيل^(٣)
وما إخالُ لديناميكٍ تنويل^(٤)
إن الأمانى والأحلامَ تضليل
إلا العتاقُ النجياتُ المراسيل^(٥)

*
* *

وقال كل خليلٍ كنت آمله
فقلتُ : خلوا سبيلي لا أبا لكم
كل ابنٍ أننى وإن طالت سلامته
نبئتُ أن رسولَ الله أوعدني
فقد أتيتُ رسولَ الله معتذراً
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلةً أ
لا تأخذني بأقوال الوشاة ، ولم
لا الهينك إني عنك مشغول
فكل ما قدر الرحمن مفعول
يوما على آلة حذاء محمول
والعفو عند رسول الله مأمول^(٦)
والعذر عند رسول الله مقبول
قرآن فيها مواعظ وتفصيل^(٧)
أذنب ، ولو كثرت في الأقاويل

(١) سيط : من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره . والفجع : الإصابة بالمكروه . والولع : الكذب .
(٢) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تترامى لهم في القلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق .
(٣) عرقوب : يضرب به المثل في خلف الوعد ، قيل أنه وعد أخاه ثمر نخلة ، وقال : انتنى إذا أطلع النخل ، فلما أطلع قال : إذا أبلح . فلما أبلح قال : إذا أزهى . فلما أزهى قال : إذا ارطب . فلما ارطب قال : إذا صار تمرا . فلما صار تمرا جده من الليل ولم يعطه شيئاً .

(٤) مفعول إخال الأول ضمير شأن مقدر . والمفعول الثاني جملة لدينا الخ .
(٥) لا يبلغها : أى لا يبلغها أياها إلا العتاق الخ . والعتاق : الأبل أو الخيل الكريمة . والنجيات : السريعات . والمراسيل : جمع مراسل ، وهو السريع .
(٦) أوعد : هدد . (٧) نافلة القرآن : عطية القرآن . والتفصيل : التبيين .

- لقد أقوم مقامًا لو يقوم به يرى ويسمع ما قد أسمع الفيل (١)
 لظل ترعد من وجده بواذره إن لم يكن من رسول الله تنويل (٢)
 ما زلت أقطع البداة مدرعًا جرح الظلام، وثوب الليل مسبول (٣)
 حتى وضعت يميني ما أنازعها في كف ذي تقايا قوله القيل (٤)
 فلهو أخوف عندي إذ أكلته وقيل : إنك منسوب ومسئول (٥)
 من ضيغم بضراء الأرض مخدرة في بطن عثر غيل دونه غيل (٦)
 يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحم من الناس معفور خراذيل (٧)
 إذا يساور قرنا لا يحل له أن يترك القرن إلا وهب مغلول (٨)
 منه تظل حمير الجوف نافرة ولا تمشي بواديه الأراجيل (٩)

(١) أي لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبة لو شهدته القيل أو سمع القيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد .

(٢) ظل ترعد ، جواب لو في البيت السابق . والبواذر : جمع بادرة ، وهي هنا بين المنكب والعنق .

(٣) ادرع الظلام أي لبسه كأنه درع .

(٤) ما أنازعها : أي لا أجذبها . والهيل : أي القول الحق .

(٥) أخوف : أي أعظم مسبب للخوف . ومنسوب : أي مسئول عن نفسك . أي إن مقامى بين يدي رسول الله بعد أن قيل لي أنك تسأل عما نسب إليك من القبيح لأشد إخافة لي من ضيغم الخ

(٦) من ضيغم : متعلق بأخوف في البيت السابق . وضراء الأرض أي الأرض المستوية التي تأويها السباع وبها نبذ من الشجر . والمخدر : مكان إقامة الأسد . وبطن عثر مأنعة . أي مخدرة غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — يصفه بالمنعة والتوحش .

(٧) بلحم : أي يطعم اللحم . معفور : أي غلق في التراب . والخراذيل : القطع ، والمعنى يصبح الأسد فيطلب صيدا لولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة .

(٨) يساور : يواظب . والقرن : المائل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . ويراد به هنا لاستطاع المشتم . وفي رواية محدود . وفي أخرى : مغلول .

(٩) الجحر : البر الواسع . والأراجيل : جمع الأرجال ، والأرجال جمع رجل ، اسم جمع لأرجل أي غير ركب .

- ولا يزأل يَوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مَضْرُجُ الْبَزِّ وَالْذُرَّسَانِ مَأْكُولٌ ^(١)
 إِنْ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
 فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِيْطَنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُودُوا ^(٢)
 زَالُوا؛ فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِئَلٌ مُعَازِلٌ ^(٣)
 يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعِصُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السَّوْدُ التَّنَابِيلَ ^(٤)
 شَمُّ الْعُرَانِينَ أَبْطَالٌ لَبَّسَهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلَ ^(٥)
 بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولٌ ^(٦)
 لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا، وَلَيْسُوا تَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا ^(٧)
 لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ ^(٨)

- (١) البز : الثياب . والدرسان : أخلاق الثياب ، جمع دريس ؛ أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يتق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقا ممزقة .
 (٢) زودوا : أى انتقلوا من مكة إلى المدينة .
 (٣) النكس : الضعيف . والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له . والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزال وهو من لا سلاح له .
 (٤) الزهر : البيض . وعرد : قر وأعرض . والتنايل : القصار .
 (٥) شم العرائن : شم الأنوف ، أى أعزة . واللبوس : اللباس . والسراويل : الدروع ، أى لباسهم دروع من نسيج داود .
 (٦) بيض : صفة للسراويل . والسوابغ الطوال : والقفعاء : نبات ينبت على الأرض تشبه به حلق الدروع .
 (٧) المفاريح : جمع مفراح . والمجازيع : جمع مجزاع .
 (٨) التهليل : الجبن والفرار .

(٢) قالت قُتَيْلَةُ بنت النَّضْرِ بن الحارث تبكى أخاها :

يا راجئاً إن الأئيلَ مِظَنَّةٌ من صُبْحِ خامسةٍ ، وأنتَ موفِّقُ (٢)
أبلغُ بها ميتاً بارّاً تحيةً ما إن تزالُ بها النجائبُ تخفِّقُ (٣)
مِنِّي اليك ، وعبرةٌ مسفوحةٌ جادتُ بواكِفِها ، وأخرى تخفُّقُ (٤)
هل يسمَعُنِي النَّضْرُ إن ناديتُهُ أم كيف يسمعُ ميتٌ لا ينطقُ (٥)
أحمدُ يا خيرَ ضنٍّ كريمٍ في قومها ، والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ (٦)
ما كانَ ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ؟ ورُبَّما منَ الفتى وهو المغيظُ المُحْتَقُ (٧)
أو كنتَ قايلاً فديةً فليُتَفَقَّنْ بأعزٍّ ما يغلو به ما يُنْفَقُ (٨)

(١) قُتَيْلَةُ بنت النَّضْرِ وقيل أخته نشأت في قومها بنى عبد الدار بن قصي من قريش . وكان أخوها أربوها النَّضْرُ مع قريش على الرسول في غزوة بدر فأمر الرسول عليه السلام بقتله . وترى أن شعرها على قوتها أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحله .

(٢) الأئيل : موضع فيه قبر النَّضْرِ ، تقول إن الأئيل يظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة ، إذا وفقت ولم يهلك عاتق .

(٣) النجائب : جمع نجبية . وهي جياد الإبل . وخفقان النجائب : شدة اهتزازها ، وإن زائدة .

(٤) منى متعلق بأبلغ ، والمسفوحة : المصبوبة ، أى بلغه منى رسالة ، وأذكر له عبرة على فقدته سالت ، وعبرة أخرى جمدت ، وأخذ حزنها بالخلق فحققه .

(٥) أم هنا للإضراب : أى بل كيف يسمع الخ .

(٦) الضن : الأصل ، والولد . والكريمة : النجبية . والمعرق : من له أصول راسخة في الكرم المعنى أن أملك شريفة وأباك عريق في المجد .

(٧) المعنى إذا كنت كذلك فما كان ضرك لو مننت على أنسى وأطلقته فقد يعفو الكريم ، وهو منظور على الغيظ والحق .

(٨) أى وما ضرك لو قبلت فدية ، فأنك إن فعلت أنفقنا لفديته أعز وأغلى ما نملك .

قالنضر أقرب من أسرت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق (١)
 ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق! (٢)
 صبرا يقاد إلى المنية متعبا رسف المقيد ، وهو عان موثق (٣)

(٣) قال أمية بن أبي الصلت يعتب على ابن له : (٤)

غذوتك مولودا وعلتك يافعا تعل بما أدنى إليك وتنهل (٥)
 إذا ليلة نابتك بالشكولم أيت لشكواك إلا ساهرا أتمهل (٦)
 كاني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني ، وعيني تهمل (٧)
 تخاف الردى نفسي عليك ، وإنها لتعلم أن الموت حتم مؤجل (٨)
 فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أوئل

(١) كان تامة : أى وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتق وفكاه .

(٢) تنوشه : تتناوله ، والله أرحام : تعجب أى لم يقتله أحد غير بني أبيه فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها .

(٣) صبرا أى حبسا حتى يقتل ، والمضى أنه يقاد يموت بعد الحبس وهو متعب يرصف رسف المقيد ، أى وهو أسير موثق .

(٤) هو عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبي العرب ، حتى إذا كانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تقسها عليه ، وفاضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٥٩ هـ . ويمتاز شعره بالسهولة ، والدخيل من الألفاظ ، وتناول الأساطير ، والأمور الدينية مع المدح والحكمة وكان أكثر مدحه في عبد الله بن جدعان القرشي .

(٥) غذاه : قام بمؤنته ، وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العلل ، وهو الشرب الثاني . والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه مرة بعد مرة .

(٦) أتمهل : أتقلب على الملة وهى الجمر .

(٧) تهمل : أى يسيل منها الدمع .

(٨) للردى : الهلاك ، حتم أى لا مفر منه . مؤجل أى له وقت .

جعلت جزائي منك جنةً وغلظةً كانك أنت المنعم المتفضل (١)
فلينك إذ لم ترع حقَّ أبوتي فعلت كما الجار الجاور يفعل (٢)
وسميتني باسم المفيد رأيه وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل (٣)
تراه مُعدًّا للخلاف كأنه يردُّ على أهل الصواب موكل (٤)

(٤) وقال كعب بن مالك : (٥)

عَجِبُ لَأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرُ عَلَى مَا أَرَادَ ، لَيْسَ لِلَّهِ قَاهِرُ
قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نَلَاقِيَ مَعْشَرًا بَنَوْنَا ، وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
وَقَدْ حَشَدُوا ، وَاسْتَنْفَرُوا مِنْ يَلِيهِمْ مِنَ النَّاسِ ، حَتَّى جَمَعَهُمْ مُتَكَاثِرُ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تُحَاوِلُ غَيْرَنَا بِاجْمَعِهَا : كَعْبُ جَمِيعًا ، وَعَامِرُ
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ ، لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَارِ تَحْتَ لَوَائِهِ يَمْشُونَ فِي الْمَاضِي ، وَالنَّقْعُ نَائِرُ (٦)
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ ، وَكُلُّ مَجَاهِدُ لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبِيلُ النَّفْسِ صَابِرُ

(١) الجبة : مقابلة الانسان بما يكره .

(٢) أى لينك إذا أبيت أن تعاملنى معاملة الأب عاملنى كما يعامل الجار جاره .

(٣) فنده : نسبة الى سوء العقل أى وصفتنى بسوء الراى والقبارة ، ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق .

بأن ينسب اليك لا إلى . (٤) معدا : أى محضرا ومهيئا ، أى أنه يهيئ الخلاف ، ويقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

(٥) هو كعب بن مالك الخزرجى من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نشأ فى المدينة وأسلم

ودافع أعداء الرسول عنه ، ووردى عنه كثيرا من الأحاديث ثم كان عثمانيا يدعو الأنصار لنصر عثمان ، وتلقبه على شعره التزعة الدينية فى أسلوب واضح متين .

(٦) الماضى هنا : السلاح من الحديد المجلوه ، والنقع : غبار الحرب .

- شهدنا بأن الله لا ربَّ غيره وأن رسول الله بالحق ظاهر
- وقد عيرت بيض خفاف كأنها مقابيس يزهيا لعينيك شاهر^(١)
- بين أبدنا جمعهم فتبددوا وكان يلاقى الحين من هو فاجر^(٢)
- فكَبَّ أبو جهل صريعا لوجهه وعُتِبَ قد غادرته وهو عائر^(٣)
- وشَيْبَةَ والتَّيْمِيَّ غادرن في الوغى وما منهم إلا بذى العرش كافر
- فأمسوا وقود النار في مُستقرها وكل كفور في جهنم صائر
- وكان رسول الله قد قال : أقبِلوا فقولوا ، وقالوا : إنما أنت ساحر
- لأمر أراد الله أن يهلكوا به وليس لأمر حمه الله زاجر

(١) البيض الخفاف : السيوف ، والمقابيس : جمع مقباس ، وهو شعلة النار ، ويزهيا : يشعلها ، وشاهر السيف : رافعه .

(٢) الحين : الموت والهلاك .

(٣) كب : صرع والنون في غادرته للسيوف ، والعاثر يراد به المصروع .

(٤) حمه الله : قضاه ، زاجر راد .

(٥) قال مالكُ بنُ الرِّيبِ التَّمِيمِيُّ:

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً يَجْنِبُ الْغَضَى أَرْجَى الْقِلَاصِ التَّوَاجِيَا
قَلَيْتَ الْغَضَى لَمْ يَقْطَعْ الرُّكْبُ عَرْضَهُ وَلَيْتَ الْغَضَى مَا شَى الرُّكَّابَ لِيَالِيَا
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَى لَوْ دَنَا الْغَضَى مَرَارٌ وَلَكِنَّ الْغَضَى لَيْسَ دَانِيَا
أَلَمْ تَرِنِي بِعُتِّ الضَّلَالَةِ بِالْهَسْدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ أَبِي عَفَّانَ غَازِيَا (٢)
دَعَانِي الْهَوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصَحْبِي بِذِي الطَّبَسَيْنِ فَالْتَفْتُ وَرَائِيَا (٣)
أَجَبْتُ الْهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفَرَةٍ تَقَنَعْتُ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِيَا (٤)
لَعَمْرِي لَنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا (٥)
فَلَّهْ دَرَى يَوْمَ أَنْرُكَ طَائِعَا يَنْبِيَّ بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ وَمَالِيَا (٦)

(١) مالك بن الريب المازني التميمي شاعر فاتك لص نشأ في بادية بني تميم عند البصرة يقول الشعر الرقيق الجيد وينال الناس بالشرف يطلبه الولاة فيفرحون اتخذه معه سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية وعند قفولها من خراسان مرض مالك هذا فقال يذكر مرضه وغر بته بهذه القصيدة . وشعر مالك كما ترى جيد متين حسن التعبير .

(٢) في جيش ابن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان كان خرج معه لما ولي خراسان فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فلدغته حية في داخله .

(٣) أود : موضع بالبادية من بلاد العرب . الطبسان : كورتان بخراسان ، أى دعاني الهوى وأنا في المكان ذي الطبسين .

(٤) أن ألام : أى مخافة أن ألام . وردائيا : مفعول تقنعت .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) لله درى : تركيب يقال في المدح والمدح ، أى ما أنا فيه من الخير إنما هو من الله في أصل المعنى ، وأراد بهذا التركيب هنا التعجب من نفسه والتقريع لها . والرقتان : قرينان قرب البصرة .

ودر الظباء السانحات عشيّة (١)
 ودر كيرى اللذين كلاهما
 ودر الهوى من حيث يدعو صحابه
 تذكرت من يبكى على فلم أجد
 وأشقر خنذيد يحرق عناه
 يخبرن أنى هالك من ورائيا (٢)
 على شفيق ناصح لو نهانيا (٣)
 ودر لجاجاتى ودر انتهايا (٤)
 سوى السيف والرمح الردينى بايكا (٥)
 الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا (٦)

* * *

واكن بأطراف السمينه نسوة
 صرغ على أيدى الرجال بقفرة
 ولما تراءت عند مرو ميني
 أقول لأصحابي : أرفعوني لأنى
 فياصحبي رحلي دنا الموت فانزلا
 عزيز عليهن العشيّة ما بيّا (٧)
 يسوون قبرى حيث حمّ قضائيا
 وخل بها جسمى وحانت وفاتيا (٨)
 يقر لعينى أن سهيل بدا ليا (٩)
 براية ، إني مقيم لياليا

(١) إما أنه يقصد بالظباء النساء من أهله ، وأنهن كن يتشاءمن من سفرته : وإما أنه يقصد الظباء الحقيقية وأنها وإن سنحت وجاءت من المياسر الى الميامن وهو ما كانت تقيم به العرب كانت خداعة في هذا وأنها في الحقيقة كانت نذير الشؤم والهلاك .

(٢) لو نهانيا : لو للتمنى . والضمير يعود للشفيق .

(٣) ودر لجاجاتى يتهم بأن مطامعه دفعته الى الهلاك وأن الموت كان انتهاء مطامعه .

(٤) الردينى منسوب الى ردينة ، وهى امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجد من يبكى على فى

للغربة إلا سيفى ورمحى .

(٥) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيد : أى طويل صلب .

(٦) السمينه : موضع .

(٧) خل بها جسمى : اختل .

(٨) سهيل : نجم يكون فى سمت بلاد اليمن .

أَقِمْ عَلَى الْيَوْمِ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ وَلَا تَعْجَلْنِي ؛ قَدْ تَبَيَّنَ مَا بَيَا
وَقُومَا إِذَا مَا اسْتُلِّ رُوحِي وَهَيْثَا لِي السَّدْرُ وَالْأَكْفَانُ ثُمَّ ابْكَا لِيَا^(١)
وُخْطَا بِأَطْرَافِ الْأُسْنَةِ مَضْجَعِي وَرُدَا عَلَى عَيْنِي فَضْلَ رَدَائِي
وَلَا تَحْسُدَانِي — بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا — مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا
خُذَانِي بِخُزَانِي يَهْدِي إِلَيْكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ عَطَّافًا إِذَا الْخَيْلُ أَدْبَرَتْ سَرِيعًا إِلَى الْهَيْجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ مَجُودًا لَدَى الزَّادِ وَالْقِرَى وَعَنْ شَتَى ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى الْقُرْنِ فِي الْوَغَى ثَقِيلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ عَضْبًا لِسَانِيَا^(٢)
وَطُورًا تَرَانِي فِي ظِلَالٍ وَمَجْمَعٍ وَطُورًا تَرَانِي وَالْعِتَاقُ رَكَايَا^(٣)
وَطُورًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ تُحَرِّقُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا^(٤)
وَقُومَا عَلَى بِئْرِ الشُّبَيْكِ فَاسْمِعَا بِهَا الْوَحْشَ وَالْبَيْضَ الْحَسَانَ الرَوَانِيَا^(٥)
بَانِكُمَا خَلْفُمَانِي بِقَفْرَةٍ تَهِيلُ عَلَى الرِّيحِ فِيهَا السَّوَافِيَا^(٦)
وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي إِنِّي تَقَطَّعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا^(٧)

(١) السدر : شجر النبق . والمراد هنا ورقه لأنه يفصل به الميت .

(٢) القرن : المثيل في الحرب . والعضب : السيف القاطع .

(٣) يصف نفسه في السلم بأنه كان متمتعاً بلذات العيش في ظلال نعيم ، وأنه كان صاحب رأى إذا انقضت

المجامع ، ويصف نفسه في الحرب بأن مكانه متون الخيل . والعناق : جمع عنيق ، وهو الفرس الكريم .

(٤) أى في الحرب التي تدور رحاها .

(٥) الشبيك : موضع . والرواني : النواظر .

(٦) السوافي : جمع سافية ، وهي الزيج تحمل القبار .

(٧) الأوصال : المفاصل .

- قلن يعدم الوالون بيتا يجنني (١) ولن يعدم الميراث مني المواليا (١)
- يقولون : لا تبعدا ! وهم يدفنوني (٢) وأين مكان البعد إلا مكاني (٢)
- غداة غد يا لطف نفسي على غد (٣) إذا أدلجوا عني وخلقت ثاويا (٣)
- وأصبح مالي من طريف وتالد (٤) لغيري وكان المال بالأمس ماليا (٤)
- فياليت شعري هل تغيرت الرحي (٥) رحي المثل أو أضحت بفالج كما هيا (٥)
- إذا القوم حلوها جميعا وأنزلوا (٦) بها بقرا حم العيون سواجيا (٦)
- وعين وقد كان الظلام يجنني (٧) يسفن الخزامى نورها والأقاحيا (٧)
- وهل ترك العيس المراقيل بالضحا (٨) تعاليها، تعلو المتون الفياقيا (٨)
- إذا عصب الركان بين عنيزة (٩) وبولان عاجوا المبقيات المهاديا (٩)
- ويا ليت شعري هل بكت أم مالك (١٠) كما كنت لو عالوا نعيك با كيا (١٠)

- (١) بيتا يجنني : قبرا يواريني . والموالي : الأقارب .
- (٢) يعدم يعد من باب فرح هلك ، وكان من عادة العرب عند دفن الميت أن يقولوا لا تبعد .
- (٣) غداة الظرف متعلق بيقولون ، أدلجوا : ساروا ليلا . وثار : مقيم .
- (٤) الطريف : المال المكتسب . والتالد : المال الموروث .
- (٥) رحي المثل بضم الميم . والمثل : موضع . وفالج : موضع .
- (٦) حلوها : أى نزلوا بها . حم : جمع حماء وهى السوداء . والسواجى : جمع ساجبة وهى العين الساكنة ، وهى صفة حسن والظاهر أنه يقصد بالبقرة هنا النساء الحسنان وما فى البيت بعده ترشيح .
- (٧) يجنني : يخفيها ، وساف يسوف : شم . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والأقاحى : جمع أقحوان هو نبت زهره أبيض مفالج .
- (٨) العيس : الإبل . والمراقيل : جمع مرقال وهى السريعة . والتعالى : الارتفاع فى السير . والمتون : الجهات المرتفعة . والفياقيا : جمع فيفاة وهى الأرض الغليظة .
- (٩) عنيزة : مكان فى وادى بطن فالج . المبقيات : التى يبق جريها بعد انقطاع جرى غيرها وكلاهما .
- (١٠) عالوا : رفعوا أى بالغوا . أى كما كنت با كيا عليك يا أم مالك لو بلغوني نعيك .

إذا ميت فاعتادي القبور فسلمى على الرِّيم أُسْقِيت الغمام الغواديا (١)
تَرَى جَدًّا قد جَرَّت الرِّيح فوقه غُبَارًا كلون القَسْطَلَانِي هابيا (٢)
رهينة أحجار وتُربِ تَضَمَّنَتْ قَرَارَتُهَا مِنِّي العظام البواليا

* * *

أَقْلَبُ طَرْفِي فوق رجلي فلا أرى به من عيون المؤمنات مُراعيا
وبالرَّمْل مِنَّا نِسْوَةٌ لو شَهِدْتَنِي بِكَيْفٍ وَفَدَّيْنِ الطَّيِّبِ المداويا
فَمِنْهُمْ أُمِّي وابنتاها وخالتي وبأَكِيَةِ أُخْرَى تَهِيجُ البوايكا (٣)
وما كان عهد الرَّمْل مِنِّي وأهله ذَمِيمًا ، ولا بالرَّمْل ودَّعْتُ قَالِيَا

(٦) وقال أَعْشَى باهلة (٤) :

إِنِّي أَتْنِي لِسَانٌ مَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبُ فِيهَا وَلَا سَخَرُ (٥)
جاءت مُرَجَّةٌ قد كنت أحذرُها لو كان يَنْفَعُنِي الإِشْفَاقُ والحَذَرُ (٦)

(١) الرِّيم : القبر . الغوادى : جمع غادية . السحابة الباكزة المطر .

(٢) القَسْطَلَانِي : نسبة إلى القسطلان وهو غبار الحرب . هاب من هبا الغبار إذا سطع أو اختلط بالتراب .

(٣) يريد زوجته .

(٤) هو عامر بن الحارث بن عوف بن معن شاعر مشهور كان له أخ من أمه يدعى المشتربن وهب

قتله بنو الحارث بن كعب في رجل منهم فرماه الأعشى بهذه الرائية .

(٥) لسان : أى رسالة . وعلو الشيء : أعلاه . ويريد هنا من بعد وهو هنا مبنى على الضم لأنه

ظرف مبهم قطع عن الإضافة . والسخر : الاستهزاء ، أى أن الخبر الذى وصل اليه من مكان بعيد خير

لا عجب فيه ، لأنه كان ينتظر ، ولا استهزاء بصحته .

(٦) مرجة : الحديث المرحم : ما لا يوقف على حقيقته . والإشفاق : الخوف .

- تَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا تَلْوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَتْنَا ، وَكَانَتْ دُونَنَا مُضَرُّ (١)
- إِذَا يُقَادُّ لَهَا ذِكْرُ أَكْذِبُهُ حَتَّى أَتْنَى بِهَا الْأَنْبَاءُ وَالْخَبَرُ (٢)
- فَبِتُّ مَكْتَبًا حَيْرَانَ أَنْدَبُهُ وَلَسْتُ أَدْفَعُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
- بَغَاشَتِ النَّفْسِ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثِ مُعْتَمِرٍ (٣)
- إِنْ الَّذِي جِئْتَ مِنْ تَثْلِيثِ تَنْدَبُهُ مِنْهُ السَّيَّاحُ وَمِنْهُ الْجُودُ وَالْغَيْرُ (٤)
- تَتَعَى امْرَأً لَا تُغِبُّ الْحَى جَفْتُهُ إِذَا الْكُوَاكِبُ خَوَى نَوَّهَا الْمَطَرُ (٥)
- وَرَا حَتِ الشَّوْلُ مُغْبَرًا مَنَاكِبُهَا شُعْنًا تَغْيَرُ مِنْهَا النَّيُّ وَالْوَبَرُ (٦)
- وَأَجْرَ الْكَلْبِ مُبْيَضُّ الصَّقِيعِ بِهِ وَضَمَّتِ الْحَى مِنْ صُرَادِهِ الْجَحْرُ (٧)
- عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ثُمَّ الْمَطَى إِذَا مَا أَرْمَلُوا جُزُرُ (٨)

(١) لا تلوى على أحد : أى لا تتوقف ولا تنتظر . أى أن هذه الرسالة كانت تترجم على الناس سريعاً حتى وصلت إلى وكان بيني وبينها قبائل مضر .

(٢) الأنباء : الأخبار . يريد كنت أ كذبها حتى تواترت الأنباء والأخبار .

(٣) جاشت : غلت واضطربت من الحزن . وتثليث : موضع . ومعتمر : معتم .

(٤) الغير : جمع غيرة ، وهى النخوة .

(٥) نعى الميت ينعاها : أخبر بموته . أغبتهم : جاءتهم يوماً وتركهم يوماً . والجفنة : القصة . وخوى الكوكب : لم يطر . والنوء : مظهر خاص فى الكواكب ينذر بالمطر . والمعنى أنه كان كريماً يرسل الجفان إلى الحى حتى فى أوقات الشدائد والجذب حينئذ يخلف المطر ما كانت تنذره علامات سقوطه .

(٦) الشول : جمع شائلة . وهى الناقة جف لبنها . والشعث : جمع شعناء وهى المغبرة الرأس المتلبدة الوبر . والنى : الشحم والسمن .

(٧) أبحر الكلب : ألزمه بحره . والصقيع : ما يسقط بالليل كأنه ثلج . والصراد : السحاب شديد البرد ولا مطرفيه .

(٨) أرملا : قل زادهم ، والنصقت أيديهم بالرمل . والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنحر . خبر الملقى .

- لا تَأْمَنُ الْبَازِلُ الْكُومَاءُ ضَرَبَتْهُ (١)
 قَدْ تَكْظِمُ الْبَزْلُ مِنْهُ حِينَ يَفْجُوها (٢)
 أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيها وَيُسْأَلُها (٣)
 مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنْ يُكْذِرُهُ (٤)
 يَمْشِي بِيَدَاءَ لَا يَمْشِي بِهَا أَحَدٌ (٥)
 كَأَنَّهُ بَعْدَ صَدَقِ الْقَوْمِ أَنْفَسَهُمْ (٦)
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ (٧)
 إِمَّا يُصِيبُهُ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَاةٍ (٨)
 أَخُو حُرُوبٍ وَمَكْسَابٌ إِذَا عِدِمُوا (٩)
 بِالْمَشْرِفِ إِذَا مَا أَنْحَرَوْطَ السَّفَرُ (١٠)
 حَتَّى تَقْطَعَ فِي أَعْنَاقِها الْحَرَرُ (١١)
 يَخْشَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النُّوْفَلُ الزُّفَرُ (١٢)
 عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرٌ (١٣)
 وَلَا يُحْسُ خَلَا الْخَافِي بِهَا أَثَرُ (١٤)
 بِالْبَاسِ يَلْمَعُ مِنْ أَقْدَامِهِ الشَّرَرُ (١٥)
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عَسَرُ (١٦)
 يَوْمًا فَقَدْ كَانَتْ يَسْتَعْلِي وَيَنْتَصِرُ (١٧)
 وَفِي الْخُفَافَةِ مِنْهُ الْجِدُّ وَالْحَسَدُ (١٨)

- (١) الْبَازِلُ : ما برز نابه من جمل أو ناقة ، وتكون سته إذا انحوسع سنين . الْكُومَاءُ : الناقة الضخمة السنام . وَأَنْحَرَوْطَ السَّفَرُ : أي طالت مدته ، وبعدت طريقته .
- (٢) تَكْظِمُ : أي تحبس غيظها على مريض ، ويفجؤها : يجيئها بغاءة وبنتة . وَالْبَزْلُ : جمع بزة . وهي الكرش التي يضع فيها البعير طعامه ليأكله ثانية . يعني أنه لكثرة عادته بمقر الإبل إذا رآه كظمت وحبت جررها خوفاً وهيئة حتى تكاد تقطع أعناقها .
- (٣) الرَغَائِبُ : العطايا ، يعطيها ويسألها : أي مرة يعطى بلا سؤال ومرة بعد سؤال . وَالظُّلَامَةُ : ما يتظلم منه . والنوْفَلُ : الكثير العطاء . والزُّفَرُ : السيد .
- (٤) الْيَدَاءُ : القلاة . وَالْخَافِي : الجنى ، يصفه بالجرأة وقوة القلب والعزيمة .
- (٥) صَدَقَ الْقَوْمُ أَنْفُسَهُمْ : أي إجهادهم أنفسهم . وَالْبَاسُ : القوة ، يعني إذا جأراه وسابقه قوم فانك تراهم بعد أن أجهدوا أنفسهم ليلبغوا مدهاء قد خابروا ، وقرأ وقد لمع الشر من أقدامه لقوة عدوه .
- (٦) اسْتَنْظَرْتَهُ : طلبت منه الانتظار . وَيَأْسَرْتَهُ : لا ينته ولا طفته . وَالْعَسَرُ : قلة السباحة وضيق الخلق .
- (٧) إِمَّا : هي إن الشرطية المدغمة في ما . وَالْمُنَاوَاةُ : المعاداة .
- (٨) الْجِدُّ : الاجتهاد في الأمر .

- مِرْدَى حُرُوبٍ شَهَابٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الطُّخْيَةِ الْقَمَرُ (١)
- مُهْفَهْفٌ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ ، لَسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرٌ (٢)
- ضَخْمٌ الدَّسِيعَةِ مِثْلَافٌ أَخُو ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُ الْجُودُ وَالْفَخْرُ (٣)
- طَاوَى الْمَصِيرِ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْجَرِدٌ بِالْقَوْمِ لَيْلَةٌ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٌ (٤)
- لَا يَتَّارَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ (٥)
- تَكْفِيهِ فَلَذَةُ لَحْمٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ ، وَيُرْوَى شَرْبُهُ الْغَمَرُ (٦)
- لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ فِي كُلِّ لَحْجَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَغْزِ يَنْتَظِرُ (٧)
- الْمَجِئُ الْقَوْمِ إِنْ تَغَلَّى مَرَايِلُهُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ ، وَلَمَّا يُمْسَحِ الْبَصَرُ (٨)
- لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يُقْتَفَرُ (٩)

(١) المردى : الحجر الذي يرمى به أو الذي تكسره الصخور . والشهاب : شعلة من النار . والطخية : الظلمة .

(٢) المهفهف : الخفيف اللحم . أهضم الكشحين . أى ضامر الخصر . منخرق عنه القميص :

هذا كناية عن طول أسفاره .

(٣) الدسيع : العطية . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يتمتع . ويدافع عنه كالشرف والعرض وغيرها .

(٤) المصير : المعى ، وجمعه مصران . والعزاء : السنة الشديدة المجدبة ، والمنجرد هنا : المسرع بالسير

يعنى أنه في السنة المجدبة يطوى أحشاه على الجوع ، ويسير بالقوم لمواطن القوت في ليلة لا ماء فيها ولا نبات .

(٥) يتأرى : يتجسس وينتظر . والشرسوف : غضروف الضلع المشرفة على البطن . والصفر والصفار :

دوية تزعم العرب أنها في البطن تعض الضلوع عند الجوع .

(٦) الفلذة : القطعة الصغيرة . والشرب : أصله الشرب وسكنت الراء . وهو مصدر شرب بمعنى

عطش . والنمر : قدح صغير أو أصغر الأقداح .

(٧) أى أنه يخوف في كل الأوقات وأنه إذا لم يغز قوما انتظروا حملته في خوف .

(٨) أى أنه يدعو القوم إلى العجلة والإسراع إلى الغارة دون أن ينتظروا غليان قدرهم وذلك قبل

الفجر وقبل أن يمسح القوم أعينهم من آثار النوم .

(٩) الأين والنصب التعب . ويقتفر : يتبع ويجرى على أثره .

عِشْنَا بِهِ بُرْهَةً دَهْرًا فَوَدَّعْنَا كذلك الرُّمَحُ ذُو النَّصْلِينَ مِنْ كَبِيرِ
فَنِعَمَ مَا أَنْتَ عِنْدَ الْخَيْرِ تُسَالِّهُ ونعمَ ما أَنْتَ عِنْدَ الْبَاسِ تُتَحَضَّرُ (١)
أَصَبْتَ فِي حَرَمٍ مِنَّا أَخًا ثِقِيَّةً هِنْدَ بْنَ سَلَمَى ، فَلَا يَهْنَأُ لَكَ الظَّفَرُ !
فَإِنْ جَزَعْنَا فَإِنَّ الشَّرَّ أَجْزَعَنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعَشَرٌ صَبَرٌ (٢)

(٧) قَالَتِ الْخَنَسَاءُ (٣) تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا :

مَا هَاجَ حُزْنُكَ ؟ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أَمْ ذَرَقْتُ أَنْ خَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا الدَّادُ (٤)
كَأَنَّ عَيْنِي لِدِّ كَرَاهٍ إِذَا خَطَرْتُ قَيْضُ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَيْنِ مِدْرَارُ (٥)
تَبْكِي لِصَخْرٍ هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ وَلِهْتُ وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أَسْتَارُ (٦)
تَبْكِي خَنَاسٌ فَمَا تَنْفَكُ مَا عَمَرْتُ لَهَا عَلَيْهِ رَنِينٌ ، وَهِيَ مِقْتَارُ (٧)

(١) الْبَاسُ : الشَّدَّةُ ، وَتُحْتَضَرُ أَيُ يَطْلُبُ حُضُورَكَ .

(٢) صَبَرٌ : جَمْعُ صَبُورٍ .

(٣) هِيَ تَمَاضِيَةُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ السَّلْمِيِّ نَشَأَتْ فِي بَيْتِ مَجْدٍ وَسِيَادَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَقُولُ الْمَقْطُوعَاتِ
مِنَ الشَّعْرِ قَتْلَ أَخَوَاهَا صَخْرًا وَمَعَاوِيَةَ اشْتَدَّ جُزْعُهَا عَلَيْهِمَا حَتَّى نَبَتْ فِي الرِّئَاءِ . وَتَعَدُّ الْخَنَسَاءُ عَلَى بُرَاسِ
الشَّوَاعِرِ الْعَرَبِيَّاتِ لِقُوَّةِ شَعْرِهَا مَعَ جَمَالِ الْأَسْلُوبِ وَسِلَاسَتِهِ . وَكَانَتْ وَفَاتَهَا بِالْبَادِيَةِ فِي خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ .
سنة ٥٤٦ هـ .

(٤) مَا : اسْتِفْهَامِيَّةٌ . وَالْعَوَّارُ : رَمَدُ الْعَيْنِ : وَذَرَقْتُ : فَطَرْتُ قَطْرًا مُتَابِعًا . تَقُولُ : أَيُّ شَيْءٍ هَاجَ

حُزْنُكَ أَيْ هَاجَ رَمَدُ ؟ أَمْ سَكَبْتَ الدَّمُوعَ لَخْلُوعِ الدَّارِ مِنْ أَهْلِهَا ؟

(٥) كَأَنَّ عَيْنِي أَيُ دَمُوعٍ عَيْنِي . وَالْفَيْضُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ . وَالْمِدْرَارُ الْغَزِيرُ .

(٦) الضَّمِيرُ فِي تَبْكِي يَعُودُ عَلَى الْخَنَسَاءِ . وَالْعَبْرَى : الَّتِي لَا تَجِفُّ دَمُوعُهَا وَعِبْرَاتُهَا . وَالْوَلَاةُ : شَدَّةُ الْجُرْعِ
وَالْأَسْتَارُ هُنَا : الْأَجَارُ وَالتُّرَابُ يَهَالُ عَلَى الْمَبْتِ . وَفَوْقَهَا مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ يَدُلُّ عَلَى قُرْبِ مَوْتِهِ ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ

شَدَّةَ الْجُرْعِ .

(٧) مَا عَمَرْتُ : أَيُ مَدَّةَ عَمَرُهَا . وَالْمِقْتَارُ : الَّتِي أَصَابَتْهَا فِتْرَةٌ أَيُ ضَعْفٌ .

- تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخِيرٍ ، وَحَقٌّ لَهَا (١)
 إِذْ رَأَى الدَّهْرُ ، إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارٌ (١)
 لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرِ (٢)
 وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارٌ (٢)
 يَصْخَرُ وَرَادَ مَاءٍ قَدْ تَنَازَرَهُ (٣)
 أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارٌ (٣)
 مَشَى السَّبْتَى إِلَى هَيْجَاءٍ مُضْلِعَةٍ (٤)
 لَهُ سَلَاخَانِ أَنْيَابٌ وَأَظْفَارٌ (٤)
 فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تُطِيفُ بِهِ (٥)
 لَهَا حَيْنَانِ إِصْغَارٍ وَإِكْبَارٍ (٥)
 تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا أَذْكَرَتْ (٦)
 فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ (٦)
 لَا تَسْمَنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعَتْ (٧)
 فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارٌ (٧)
 يَوْمًا بِأَوْجَدَ مَنَى يَوْمَ فَارَقَنِي (٨)
 صَخْرًا ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ (٨)
 وَإِنْ صَخْرًا كَافِينًا وَسِيدُنَا (٩)
 وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتَوِ لَنَحَارُ (٩)

(١) رآها الدهر : أى رأت منه ما تكرهه .

(٢) فى صرفها : أى فى حدودها وتصرفها . وغير الدهر : أحداثه وأحواله . والحول : التحول والقلب . والأطوار : الأحوال .

(٣) تناذره أهل الموارد : أنذر بعضهم بعضا ، وخوف بعضهم بعضا عاقبة وروده . تقول : وردت بحوض المنية وقد خافه كل وارد ، على أنه ليس فى ورده من عار لأنه لا مقر منه .

(٤) السبتى : الجرى ، والنمر . والهيحاء : الحرب . والمضلة : الشديدة .

(٥) العجول من الإبل والنساء : التى يموت ولدها وهو صغير . والبو : جلد ولد الناقة محشوا يدي منها قرأه . والإصغار فى الحنين : خفض الصوت به . والاكبار : رفعه .

(٦) رتعت الناقة رعت ، أى أنها رعى مادامت ناسية ما أصاب ولدها حتى اذا ذكرته لم يقر لها قرار

من شدة الحزن .

(٧) ربت : أصابها مطر الربيع ، أى تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت فى أرض معشبة أصابها

مطر الربيع لأنها دائما فى حنين . والتسجار : مد الصوت بالحنين من سحر يسجر

(٨) بأوجد : خبر ما عجول قبل هذا البيت ببينين

(٩) نشتو أى ندخل فى الشتاء . وخصصته لأنه زمن الجذب والشدة

وان صخرًا يَلْقَدَامُ إذا ركبوا وإن صخرًا اذا جاعوا لعقار (١)
 أغرُّ أبلج تأتم الهداة به كأنه عَلمٌ في رأسه نارٌ (٢)
 جلدٌ جميلٌ المحيا كاملٌ ورعٌ وللحروب غداة الرّوعِ مسعار (٣)
 حمالُ ألويةٍ هباطٍ أوديةٍ شهادٌ أنديةٍ للجيش جرّار (٤)
 فبت ساهرةً للنجم أرقبُه حتى أتى دونَ غورِ النجمِ أستار (٥)
 ليكُم مُقترٌ أفتى حرّيتَه دهرٌ، وحالفه بؤسٌ وإقتار (٦)
 ورُفْقَةٌ حارّ هادهم بمهلكةٍ كأن ظلمتها في الطّخية القار (٧)
 لا يمنع القومَ إن سالوه خلعتَه ولا يحاوزُه بالليل مرّار (٨)

(١) عقر الإبل : نحرها .

(٢) الأغرّ : الكريم الفعال والشريف . والأبلج : البعيد ما بين الحاجبين . وهذا إما بمدح به الرجل .
 والعلم : الجبل . تصفه بأنه هادى الهداة وأنه في الشهرة والظهور أو في هداية الناس إلى الشرف والمجد
 كالجبل في قننه نار .

(٣) الجلد : الشديد القوى . والروع : المحنّب لما لا يعنيه . وفي رواية ذرع والذرع الحسن
 العشرة . والروع : الخوف والحرب . ومسعار : أى موقد نار الحرب .

(٤) تصفه بالشجاعة والسيادة ؛ فهو حامل اللواء في الحرب ، وهو لا يعتصم بالجبال خوفاً ، بل
 يهبط الوديان للقتال ، ثم أنه حكيم راجح الرأى يشهد أندية عقلا ، القبيلة وأهل الرأى فيها .

(٥) الغور : غروب النجم وسقوطه ؛ تريد بالنجم الثانى صخرًا أى حتى عجّلت ظلمات القبور ، فغيبت
 صخرًا دون أن يبلغ من الحياة أمد أمثاله .

(٦) المقتر : الفقير . والحرية : ما يعيش الإنسان به من المال

(٧) المهلكة : مكان الهلاك . والطخية : الظلمة الشديدة .

(٨) المزار : جمع ماز ، أى لو شئت توبه ما منعه ، ولا يبرداره إنسان إلا أخافه .

(٨) قال حسان بن ثابت^(١) يذكر الحارث بن هشام وهزيمته
يوم بدر . وقد حسن إسلامه بعد ذلك واستشهد بأجنادين :
تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ نَحْرِيْدَةٌ تَسْقِي الضَّجِيعَ بِيَّارِدٍ بِسَامِ^(٢)



يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهَوَى لُؤَامِي^(٣)
بَكَرْتُ عَلَى بُسْخَرَةٍ بَعْدَ الْكُرَى وَتَقَارُبٍ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ^(٤)
زَعَمْتَ بَانَ الْمَرْءِ يُكْرِبُ يَوْمَهُ عُدْمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِنَ الْأَصْرَامِ^(٥)
إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَتَجَوَّيْتُ مَنَجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يِقَاتِلَ عَنْهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ^(٦)

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري . نشأ جاهلياً تابعاً في الشعر بمدح المناذرة والغساسنة ، وقد أسلم مع الأنصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول . محباً إليه وإلى خلفائه حتى مات في خلافة معاوية سنة ٥٥ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر بنفسه وبقومه . ويختلف أسلوبه الإسلامي عن الجاهلي بتأثير البيئة الجديدة فصار منها مألوفاً بعد أن كان وعراً غريب الألفاظ

(٢) تبلة الحب : ذهب بقله وأسقمه . والنخريدة : المرأة الحية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المستترة . والضجيج : المضاجع . والبارد : البسام : القم العذب كثير الابتسام .
(٣) أي من يسعدني لدفع عاذلة . والسفاهة : الجهل ، مصدر سفه .
(٤) بكر يكر إلى الشيء : عجل . والسحرة : قبيل الصبح . ويريد بالتقارب من حادث الأيام :
الكبر والقرب من الموت .

(٥) يكر : يدن . والمعتكر : الجيش إذا اختلط رجاله . والأصرام : جمع صرم ، وهو : الصف والجماعة . يقول : إن العاذلة تدعى أن فناء قوم الرجل وأهله يدني أجله ، فهي تنفقه من الحرب وخوض غمارها .

(٦) الطمرة : الفرس الجواد المستعد للوثب ، أي نجا مسرعاً بفرسه متشبهاً برأسها وبلحامها فراراً من

هول الحرب .

- تَذَرُ الْعَنَاجِيحَ الْجِيَادَ يَقْفَرَةَ ١
مَرَّ الدَّمُوكَ يُحْصِدُ وَرِجَامَ ٢
مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَاَرَمَدَتْ بِهِ ٣
وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكِ ٤
طَحَنَتْهُمْ — وَاللَّهُ يُنْفِذُ أَمْرَهُ —
لَوْلَا إِلَهُهُ وَجَرِيهَا لَتَرَكْنَهُ ٥
مَنْ كُلِّ مَأْسُورٍ يَشُدُّ صِفَادَهُ ٦
وَمَجْدَلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ ٧
بِالْعَارِ وَالذِّلِّ الْمُبِينِ إِذَا رَأَوْا ٨
يَبْدَى أَغْرًا إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ ٩
بَيْضٌ إِذَا لَاقَتْ حَدِيدًا أَصْمَتَتْ ١٠
كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالٍ كُلِّ غَمَامَ ١١

- (١) العناجيج : جياد الخيل . الدموك : البكرة يستقى بها على البئر ، والمحصد : حبل شديد القتل ، والرجام : حجر يربط في الدلو ليكون أسرع لها عند إدلائها .
(٢) ملأت ... الخ : المراد بالفرجين القضاء بين يديها ورجليها . وأرمدت : صارت بلون الرماد لكثرة ما أصابها من غبار . ثوى : أقام .
(٣) الضمير في تركته للخيل ، وجزر السباع : أى طعمتها ويريد بالحوامى ستابك الخيل .
(٤) صقر : فاعل يشد ، وفيه تشبيه الرجل الشجاع بالصقر ، والصفاد : ما يوثق به الأسير .
(٥) حذله صرعه على الجدالة : وهى الأرض ذات الرمل الرقيق أو عام . يقول إن هذا المجدل فارق الحياة ، فلا يستجيب لمن يدعوه حتى تزول الجبال .
(٦) بالعار : متعلق بمحذوف أى يشعرون .
(٧) الأغر : الكريم الفعال والشريف . ونسب القصار أى نسب قصار النسب ، يقولون فلان قصير النسب أى أبوه معروف إذا ذكره الابن كفاه عن ذكر الجد . والسميدع : السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكتاف والشجاع والرجل الخفيف فى حاجته . بيدى متعلق بمحذوف حال من بيض .
(٨) بيض : خبر لمبتدأ محذوف أى سلاحه بيض ، وأصمتت بمعنى أسكتت لشدة هولها . ثم شبهها فى لمعانها بالبرق فى ظلمة الغمام .

وقال يمدح عمر بن الحارث الغساني وقومه :

- | | |
|--|---|
| أسألت رَسَمَ الدارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ | بين الجَوَائِي فالبُضَيْعِ حَوَمَلِ (١) |
| فالمرج مَرَجُ الصُّفَرَيْنِ فحَاسِمِ | فديارِ سَلَمَى دُرَّسًا ، لَمْ تُحْلَلِ (٢) |
| دِمَسُّ تَعَاقِبُهَا الرِّيحُ دَوَارِسُ | والمُدَجَنَاتِ مِنَ السَّيَاكِ الْأَعْزَلِ (٣) |
| دَارُ لِقَوْمٍ قَدْ أَرَاهُمْ مَرَّةً | فوق الْأَعْزَةِ عِزُّهُمْ لَمْ يُنْقَلِ |
| فَلَهُ دُرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتْهُمْ | يَوْمَا يَبْلُغُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ (٤) |
| يَمْشُونَ فِي الْحُلَلِ الْمُضَاعِفِ نَسْجُهَا | مَشَى الْجَمَالَ إِلَى الْجَمَالَ الْبُزْلِ (٥) |
| الضَارِبُونَ الْكَبِشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ | ضَرْبًا يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ الْمَفْصِلِ (٦) |
| وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بَغْنِيَهُمْ | وَالْمُنْعِمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُرْمَلِ (٧) |
| أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ | قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ |

- (١) رسم الدار : بقية آثارها . والجوأي والبضيع وحومل : مواضع .
- (٢) مرج صفر وجاسم : موضعان بالشام . ودرسا : جمع دارسة ، وهي البالية . لم تحلل أى لم ينزل أحد بها .
- (٣) الدمن : جمع دمة ، وهي آثار الدار . وتعاقبها الرياح أى تهب عليها آنا فأنا . ودوارس : جمع دارسة . والمدجئات : السحب الكثيرة الأمطار .
- (٤) جلق : دمشق .
- (٥) الحلل : الدروع ، والمضاعف نسجها : التي نسجت حلقتين حلقتين . والبزل : جمع بازل ، وهو ما برزت نابه من الإبل ، وذلك عند ما يبلغ التاسعة .
- (٦) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة تلبس على الرأس . وقصد بقوله (ضربا يطيح له بنان المفصل) أن الضرب سريع والسيوف حاد حتى أنه يقطع أجزاء الجسم الصغيرة في مرة .
- (٧) المرمل : الذي ، في زاده والنصق بالرمل . يصفهم بالجوود والرفق والتواضع .

- يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرْدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلُ (١)
- يَسْقُونَ دِرْيَاقَ الرَّحِيقِ ، وَلَمْ تَكُنْ تَدْعَى وَلَا تُدْهِمُ لَتَقِفِ الْحَنْظَلُ (٢)
- بَيْضُ الْوَجْهِ كَرِيْمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوِفِ مِنَ الْطَرَايِزِ الْأَوَّلِ
- قَلْبْتُ أَرْمَانًا طَوِيلًا فِيهِمْ ثُمَّ أَدْرَكْتُ كَأَنِّي لَمْ أَفْعَلْ (٣)
- إِمَّا تَرَى رَأْسِي تَغْيِرَ لَوْنُهُ شَمَطًا ، فَأَصْبَحَ كَالثَّغَامِ الْمُحْوِيلِ (٤)
- وَلَقَدْ يَرَانِي مُوعِدِيَّ كَأَنِّي فِي قَصْرِ دُومَةٍ أَوْ سِوَاءِ الْهَيْكَلِ (٥)
- وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ فِي حَانُوتِهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةٍ كَطَعْمِ الْفُلْفُلِ (٦)
- يَسْمَى عَلَى يَكَايِسِهَا مُتَنْظَفٌ فَيَعْلُنِي مِنْهَا ، وَلَوْلَمْ أَتَهَلَّ (٧)

(١) البريص : موضع بدمشق . وبردى : نهر دمشق الأعظم . وصفق الرجل الشراب : حوله مزوجاً من إماء إلى إماء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها . والسلسل : العذب البارد ، أى أنهم يسقون من وفد عليهم ماء من النهر مزوجاً بالخمر العذب البارد المصفى .

(٢) الدرياق : لغة في الترياق وهو الخمر . والولائد : جمع وليدة ، وهى الصبية أو الأمة . وقف الحنظل : شقه ، ويكنى بأن إماءهم لا تشق الحنظل ليسارهم ولأنهم فى خصب .

(٣) طويلاً . صفة لمفعول مطلق أى لبثاً طويلاً . وادركت : أى امتنعت عن اللهيئ بآثاره .

(٤) إماء : إن الشرطية المدغمة فى ما . والشمط : بياض الشعر يخالط سواده . والثغام : تبت بيض ورقه إذا يس وجواب الشرط محذوف أى فلا تجزعى .

(٥) أوعده : أئذره بالشر . وأصل موعدى موعدوى ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء . وقصر دومة : حصن . والهيكل : بيت لعبادة النصارى . يقصد أن أعداءه يرونه بعيداً عن أن ينالوه حتى كأنه فى الحصن .

(٦) الحانوت : الحانة .

(٧) المتنظف : لابس القمطر . وأعله : سقاه ثانياً . والتهلل : من الأضداد يقع على الرى والمطر ، أى يسقبنى ثانية ، ولولم أظلم .

ابن التي ناولتني فرددتها
 قلت - قتلت - فهاتها لم تقتل (١)
 كلتاها حلب العصور فعاطني
 بزجاجة أرخاها للمفصل (٢)
 رقص القلوص براكب مستعجل (٣)
 تكوى مواسمه جنوب المصطل (٤)
 ونسود يوم النائبات ونعتلي
 ويسود سيدنا بحاج سادة
 ويحاول الأمر المهم خطابة
 ونسود سيدنا بحاج سادة
 وتزور أبواب الملوك ركابنا
 وقال يوم فتح مكة :

عفت ذات الأصابع فالجواء
 إلى عذراء مثرها خلا (٧)
 ديار من بني الحساس قفر
 تعفها الروامس والسماء (٨)
 وكانت لا يزال بها أنيس
 خلال مروجها نعم وشاء (٩)

- (١) قتل الشراب : مزجه بالماء ، وقتلت دعاء على الساقى ولم يقصد به الشرهنا .
- (٢) كلتاها : أى الخمر الصرف والمزوجة . فاسقنى أشدهما لإرخاء للفاصل ، وهى الخمر الصرف .
- (٣) معنى رقص الكأس بما فى قعرها : صعود الفقايع من أسفل الى أعلى لشدة ثوران الخمر فيها . والقلوص : الناقة .
- (٤) المذود : اللسان . والمواسم : جمع ميسم ، وهو آلة يكوى بها . والمصطل : المستدفى . والكلام على التشبيه أى أن لسانه يشبه المكواة التى تكوى من تصيبه .
- (٥) سيد بحجاج : مسارع فى المكارم . سواء : وسط . المفصل كسجد : كل ملتحق عظيمين فى الجسد . يريد أنه يصيب شاة الصواب .
- (٦) المهم : المشكل .
- (٧) ذات الأصابع والجواء وعذراء مواضع بالشام .
- (٨) الروامس : الرياح التى تدفن الآثار ، والمراد بالسماء الأمطار .
- (٩) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل .

فدع هذا ، وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٌ يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ ؟ (١)

عِدْمَنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا * * * تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ (٢)

يُسَارِينِ الْأَسِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْثَافِهَا الْأَسْلُ الظَّاءُ (٣)

تَقْلُ جِيَادَنَا مُتَمَطَّرَاتٍ تَلَطَّطُهُنَّ بِالْخُرِّ النَّسَاءُ (٤)

فَإِذَا تُعْرَضُوا عَنَا آعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَأَنْكَشَفَ الْغِطَاءُ (٥)

وإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحُلَادِ يَوْمٍ يُعَيِّنُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرَضَتْهَا اللَّقَاءُ (٦)

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ قِتَالٌ أَوْ سَبَابٌ أَوْ هِجَاءٌ

فَنَحْكُمُ بِالْقِسَافِ مَنْ هَجَانَا وَنَضِرُ حِينَ تَخْتَلِطُ الْبِدْمَاءُ (٧)

(١) العشاء من المغرب إلى العتمة ، والمعنى دع الحديث في الأطلال ، وأرشدني إلى من يدفع عني طيف الخيال الذي يورقني إذا اشتدّ ظلام الليل .

(٢) كداء : نذية بالقرب من مكة ، وجلة عدمتنا : دعائية .

(٣) المباراة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان ، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أى أن الخيل تسابق الأسنة التي يضمها الفرسان حذاء عنفها فلما منها أن الأسنة تجرى معها شوطاً ، ومصغيات : حال من الأسنة أى ما ثلاث للظعن ، وظماً الرماح : شدة شغفها بالدم والقتال .

(٤) تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضاً ، ولطمه : ضربه ، وانخر : جمع نجار ، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أى إن النساء يسحن بنجرهن على الخيل لما أصابها من الجهد . ولما غشها من عرق وغبار .

(٥) فإذا : أصلها إن ما ، وهى إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة ، واعتمرنا : أدينا العمرة وهى زيارة البيت الحرام ، أى إن أعرضتم عنا تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

(٦) عرضتها : أى همتها وقوتها ، أى أن الأنصار قوتها فى اللقاء والقتال

(٧) حكم الفرس : جعل للجامة حكمة ، فأخضعه ، أى نخضع بشعرنا من هجانا ، ونقاتل بشجاعة حينما نخطط دماؤنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقوياء اللسان والقلب .

وقال الله : قد أرسلت عبداً
شهدت به ، وقومى صدقوه ،
وجبريل أمين الله فينا ،
ألا أبلغ أبا سُفْيَانَ عَنِّي
بأن سيوفنا تركك عبداً
هجوت محمداً ، فأجبت عنه
أتمجوه ، ولست له بكف ،
فمن يهجو رسول الله منكم
فإنَّ أبى ووالده وعرضى
لحقَّ القول إن نفع البلاء (١)
فُقُلْتُمْ : ما تُجِيب ، وما نشاء
وروح القدس ليس له كِفَاء (٢)
فأنت مُجَوِّفٌ تُحِبُّ هَوَاء (٣)
وعبدُ الدارِ سادتها الإمام
وعند الله في ذاك الجزاء
فشركا لخير كما القِداء
ويمدحه وينصره سواء
ليعرض محمد منكم وقاء

(٩) قال الحُطَيْيَّة : (٤)

وطاوى ثلاث عاصب البطن مُرْمِلٍ
أنحى جفوة فيه من الإنس وحشة
بيداء لم يعرف بها ساكن رَسَمًا (٥)
يرى البؤس فيها من شراسته نُعْمَى (٦)

(١) البلاء : الاخبار مصدر بلاء يبلوه .

(٢) الكفاء : أى المكافى أى المساوى .

(٣) المجوّف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ .

(٤) أبو مليكة جردل الحطية العبسي ، نشأ معلول النسب قبيح الصورة ناقصاً على الناس هجاء . وهو جيد

الشعر مستوى الأسلوب يعد سيد المخضرمين في الناحية الفنية وغلب عليه المدح والهجاء حتى مات سنة ٥٥٩ .

(٥) الطاوى : لابساً . ثلاث أى ليال ثلاث . عاصب البطن : مصوبه من شدة الجوع .

مرمل : فاقد الزاد فقير . بيدا : فلاة . الرمم : العلامة وما كان لاحقاً بالأرض من آثار الديار —

يذكر رجلاً بائساً في مفازة مقفرة .

(٦) الشراسة : سوء الخلق والحال — يقول : إن سوء الحال بلغ به أن يعد البؤس نعمة .

وأفرد في شعب عجزاً إزاءها
حفاة عراة ما اغتدوا خبز ملة
رأى شبحاً وسط الظلام فراعته
فقال: هيا رباه! ضيف ولا قرى!
فقال أبوه لما رآه بحيرة
ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرا
قروى قليلاً، ثم أحجم برهة،
فبينما هما عنت على البعد عانة
عطاشاً تريد الماء فانساب نحوها
فأمهلها حتى تروث عطاشها
نقرت نحوص ذات بحيش سمينة
فيا بشره إذ جرّها نحو قومه

ثلاثة أشباح تخالمهم بهم^(١)
ولا عرفوا للبر مذ خلّقوا طعاماً^(٢)
فلما رأى ضيفاً تشمر وأهتاً^(٣)
بحقك، لا تحريمه تا الليلة اللها^(٤)
أيا أبت أذبحني! ويسر لهم طعاماً
يظن لنا مالا فيوسعنا ذماً
وان هو لم يذبح قتاه فقد هما
قد انتظمت من خلف مسجلها نظماً^(٥)
على أنه منها إلى ديمها أظما
فأرسل فيها من يكاتيه مهنماً^(٦)
قد اكنزت لحماً وقد طبقت شحماً^(٧)
ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى^(٨)

(١) الأشباح : جمع شبح وهو الشخص . البهم : جمع بهمة أولاد البقر والمعز والضأن .

(٢) الملة : رماد التنور الحار وخبزها ما يخبز فيها ، يصف بؤس أهل هذا البيت .

(٣) راعه : أفزعه .

(٤) هيا حرف نداء . القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه . تا الليلة : أى هذه الليلة .

(٥) عنت : ظهرت واعترضت . والعانة : القطيع من حمر الوحش . المسجل : حمار الوحش يقود

القطيع أثناء السير الى الماء أو غيره .

(٦) تروث : رويت بمعنى شربت .

(٧) نقرت : سقطت صريعة . نحوص : سمينة . اكنزت : امتلأت . طبقت : تفتت

وعنها الشحم . (٨) الكام : الجرح .

وبأثوا إكراما قد قَضَوْا حق ضيفهم
وما غَرِمُوا غُرما ، وقد غَنِمُوا غَنما
وبات أبوهم من بشاشته أبا
لضيفهم والأُم من بشرها أُمّا
وقال يمدح بغرض بن عامر :

ألا طَرَقْنَا بعد ما هَجَعُوا هِنْدُ
ألا حَبَا هِنْدُ وَأَرْضُهَا هِنْدُ
وقد يَسِرْنَ نَحْسًا وَأَتْلَابٌ بِنَا نَجْدُ (١)
وهنْدُ أَتَى من دونها النَّأْيُ والبُعْدُ

وهنْدُ أَتَى من دونها ذو غَوَارِبِ
يَقْمَصُ بالبوصى مَعْرُوفٌ وَرَدُ (٢)

وإنَّ التي نَكَبَتْهَا عن مَعَاشِرِ
غَضَابٍ عَلَى أن صَدَدَتْ كما صَدُّوا (٣)

أَتَتْ آلَ شَمَّاسٍ بن لَآئِي وإِنَّمَا
أَتَاهُم بِهَا الْأَحْلَامُ وَالْحَسَبُ الْعِدُّ (٤)

فإنَّ الشَّقَى من تُعَادِي صدورهم
وذو الْجَدِّ من لَانُوا إِلَيْهِ ومن وَدَّوا (٥)

يسوسون أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاهَا
وإن غضبوا جاء الحَفِيفَةُ والجَدُّ (٦)

(١) يقول : ألا زارنا طيف خيال هند بعد أن هجعت الأعين ، وبعد أن سارت الإبل خمس ليال وظهر لنا نجد .

(٢) من معاني الغارب أنه أعلى كل شيء ، وذو الغوارب : البحر ، لأن أمواجه عالية ، وقص البحر بالسفينة : حركتها بموجه . والبوصى : ضرب من السفن . والمعروف : المتراكم الأمواج . والورد : الجرى . أو الأحمر الضارب إلى الصفرة . يقول : إن بني وبين هند مجرا يقذف بالسفن ، متراكم الأمواج .
(٣) نكبتها أي نحيها وأبعدتها . والضمير للدة والمعاشر آل الزبرقان بن بدر أي أن المدحة التي حدثت بها عن قوم غضبوا على لآئي صددت عنهم كما صدوا عني .

(٤) جملة أتت خبر إن في البيت قبله . والأحلام : العقول . والحسب : الشرف . والعد : القديم أو الكثير . أي جاء في هذه المدحة الإشادة بأحلامهم وحسبهم

(٥) نسب العداوة إلى الصدور لأنها مكان القبط والعداوة . والجَدُّ : الحظ .

(٦) أي يحكون الناس إذا رضوا بأحلام بعيدة النظر طويلة النأي . إذا غضبوا كانوا أهل حفيظة أي غيظ . وجد أي اجتهد وعجلة .

- أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ — لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ — من اللوم أَوْسُدُوا المكان الذي سُدُّوا (١)
- أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبَنَى وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا اشْتَدُّوا (٢)
- وَإِنْ كَانَتْ النُّعْمَى عَلَيْهِمْ جَزَّوْهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا (٣)
- وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلِّ حَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ رَدُّوا بَعْضَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوا (٤)
- وَإِنْ غَابَ عَنْ لَأَيٍّ بَغِيضٌ كَفَّتْهُمْ نَوَاشِيٌّ لَمْ تَطْرُرْ شَوَارِبُهُمْ مُرَدُّ (٥)
- وَكَيفَ وَلَمْ أَعْلَمَهُمْ خَذَلُوهُمْ عَلَى مُفْطِيعٍ ، وَلَا أَدِيمَكُمْ قَدُّوا (٦)
- مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفٌ لِلدَّجَى بَنَى لَهُمْ أَبَاؤُهُمْ ، وَبَنَى الْجَدُّ (٧)
- فَنْ مَبْلَغٌ لِأَيَّا بَانَ قَدْ سَعَى لَكُمْ إِلَى السُّورَةِ الْعُلْيَا أَخٌ لَكُمْ جَلَدٌ (٨)

- (١) لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ : شتم . والأصل أنهم لا يعرفون لهم آباء يتسبون إليها عند المفارقة .
- (٢) الْبَنَى أَوْ الْبَنَى بِكسر الباء وضمها والأول جمع بنية بكسر الباء . والثاني جمع بنية بضمها ، والمراد أنهم يحسنون عمل المكارم . وَإِنْ عَقَدُوا اشْتَدُّوا أَيْ وَإِنْ عَقَدُوا الْعَزِيمَةَ أَوْ تَقَوَّاهَا أَوْ إِنْ عَقَدُوا عَلَى الْحَرْبِ حَتَمُوا .
- (٣) أَيْ كَدُّوا مِنْ أَعْطَوْهُ بِطَلَبِ الْجَزَاءِ عَلَى النُّعْمَةِ .
- (٤) الْمَوْلَى : ابْنُ الْعَمِّ أَوْ الْجَارُ أَوْ الْخَلِيفُ . عَلَى جُلِّ حَادِثٍ أَيْ عِنْدَ الْخُطْبِ الْعَظِيمِ أَيْ إِنْ اسْتَعَاثَ بِهِمُ الْمَوْلَى فِي شَأْنٍ أَضْرَبَهُ وَاسْتَشَارَهُمْ أَمَدَوْهُ بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ .
- (٥) لَأَيٍّ : عَشِيرَةُ بَغِيضِ بْنِ عَامِرٍ . وَنَوَاشِيٌّ : جَمْعُ نَاشِئَةٍ يَرِيدُ بِهِمْ فِتْيَانُ الْقَبِيلَةِ . وَلَمْ تَطْرُرْ شَوَارِبُهُمْ : لَمْ تَظْهَرْ .
- (٦) الْمَفْطِيعُ : الْأَمْرُ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الشَّنَاعَةِ . وَالْأَدِيمُ هُنَا : الْعَرَضُ . أَيْ وَكَيفَ تَعَادُونَهُمْ وَلَمْ يَخْذَلُوكُمْ فِي خُطْبٍ مَلَمَ ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ عَرْضِكُمْ .
- (٧) مَطَاعِينَ وَمَكَاشِيفٌ : جَمْعُ مَطْعَانٍ وَمَكَشَافٍ . وَالِدَّجَى : اللَّيْلُ يَرِيدُ بِهِ ظِلَّةُ الْخُطُوبِ . أَيْ أَنَّهُمْ يَكْشِفُونَ ظِلَّةَ اللَّيْلِ بِنَارِ قَرَاهِمِ أَوْ يَبْذِلُونَ ظِلَّةَ الْخُطُوبِ بِشَجَاعَتِهِمْ وَحَسَنَ رَأْيِهِمْ .
- (٨) سُورَةُ الْحَجِّدِ : أَثَرُهُ وَعَلَامَتُهُ وَارْتِفَاعُهُ . وَالْجَلَدُ : الْقَوَى ، يَتَنَبَّأُ أَنْ يَبْلُغَ إِنْسَانٌ لِأَيَّا بَانَ أَخَاهُمْ سَعَى لِلْجَدِّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَتِهِ الْعُلْيَا .

- (١) جَرَى حِينَ جَارَى لَا يُسَارِ عَنَانُهُ عِنَانٌ وَلَا يَتَنِي أَجَارِيَهُ الْجَهْدُ
(٢) رَأَى مَجْدَ أَقْوَامٍ أُضِيعَ فَخْمُهُمْ عَلَى مَجْدِهِمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ الْخِجَةُ
(٣) وَقَدْ لَامَنِي أَفْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قَلْتُ إِلَّا بِالذِّى عَلِمْتُ سَعْدُ

وقال يهجو الزُّبْرَقَانَ بن بدر :

- والله ما معشرٌ لاموا امرءًا جُنُبًا فِي آلِ لَأَيِّ بْنِ شَمَّاسٍ بَأْ كَيَّاسٍ (٤)
لَقَدْ مَرَّيْتُكُمْ لَوْ أَنِ دَرَّتْكُمْ يَوْمًا يَحْيَىٰ بِهَا مَسِيحِي وَإِبْسَاسِي (٥)
وَقَدْ مَدَحْتُكُمْ عَمْدًا لَأُرْشِدَكُمْ كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَتَحِي وَإِمْرَاسِي (٦)
وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ إِيْنَاءَ صَادِرَةٍ لِلْخَمْسِ طَال بِهَا حَوْذِي وَتَنَسَّاسِي (٧)

(١) لَا يُسَارِ عَنَانُهُ عَنَانٌ : أَيْ لَا يُجَارِيهِ . وَالْأَجَارِيُّ : جَمْعُ إِجْرِيَةٍ ، وَهِيَ : الْجَرَى وَالْجَهْدُ وَالطَّيْعَةُ ، وَالْكَلَامُ عَلَى التَّمْيِيلِ أَيْ أَنَّهُ إِذَا سَابَقَ أَحَدًا فِي طَرِيقِ الْمَجْدِ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَقْعُدْ بِهِ نَعْبٌ أَوْ لَا يَتْرَكَ طَبْعُهُ مَهْمًا يَجِدُهُ .

(٢) أَيْ لَمَّا رَأَى أَنَّ الْمَجْدَ انْمَا هُوَ فِي الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْأُمُورِ .

(٣) الْأَفْنَاءُ : جَمْعُ فَنَاءٍ : الْجَلَاءَةُ .

(٤) الْجَنْبُ هُنَا : الْقَرِيبُ . فِي آلِ لَأَيِّ أَيْ فِي مَدِيحِ آلِ لَأَيِّ . وَأُكْيَاسٍ : جَمْعُ كَيْسٍ ، وَهُوَ اللَّابِيبُ الْفُطْنُ وَالْمُرَادُ بِالْمَعْشَرِ الزُّبْرَقَانُ وَرَهْطُهُ .

(٥) أَصْلُ الْمَرَى : الْمَسْحُ عَلَى ضَرْعِ النَّاقَةِ لِتُدْرَ . وَالْإِبْسَاسُ : أَنْ تَدْعُو النَّاقَةَ بِاسْمِهَا أَوْ تَلَاظِفَهَا لِتُدْرَ . يُرِيدُ أَنَّهُ حَاوَلَ تَمْلِقَهُمْ كَثِيرًا فَلَمْ يَنْلُ مِنْهُمْ شَيْئًا .

(٦) الْمَتَحُ : أَنْ يَقِفَ الرَّجُلُ فَوْقَ الْبُئْرِ لِيَجْذِبَ الدَّلُو ، وَالْإِمْرَاسُ : وَضْعُ حَبْلِ الْبُئْرِ فِي الْبِكْرَةِ بَعْدَ أَنْ انْزَلَقَ مِنْهَا . يُرِيدُ أَنَّهُ تَعَمَّدَ أَنْ يَقْصُرَ عَلَيْهِمْ جُهْدُهُ ، وَيَخْتَصِمَ بِمَدْحِهِ لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى مَا غَابَ عَنْهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْمَجْدِ .

(٧) الْإِيْنَاءُ : مَصْدَرُ أَوْنَى بِمَعْنَى أُنْعَبَ ، وَالصَّادِرَةُ : الْآتِيَةُ مِنَ الْمَاءِ . وَالْخَمْسُ مِنْ أَظْلَامِ الْإِبِلِ وَهُوَ أَنْ تَرعى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَتَرُدَّ الْمَاءَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، وَالْحَوْذُ مَصْدَرُ حَاذَ الدَّابَّةِ سَاقَهَا سَرِيعًا . وَالتَّنَسَّاسُ : مَصْدَرُ نَسِ النَّاقَةِ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَضَرَبَ : سَاقَهَا وَزَجَرَهَا . يَقُولُ انْتَظَرْتُ عَطَاءَكُمْ مَجْهَدًا لِإِجْهَادِ نَاقَةِ أَعْيَاهَا التَّعَبُ فَهِيَ تَسَاقُ وَتَزَجَرُ .

- لما بدا لي منكم عيبٌ أنفسيكم ولم يكن لجراحي منكم آسى (١)
 أجمعتُ يأساً مبيتاً من نوالكم ولا ترى طارداً للحمر كالإياس
 ما كان ذنبٌ بغيضٌ أن رأى رجلاً ذا فاقة حل في مستوعير شاسي (٢)
 جارا ليقوم أطالوا هوث متله وغادروه مقياً بين أرماس (٣)
 ملأوا قراه ، وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس (٤)
 لا ذنب لي اليوم إن كانت نفوسكم كفارك كرهت ثوبي وإلباسي (٥)
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
 دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي (٦)
 وأبعث يساراً إلى وفير مذمة واحدج إليها بذى عركين أنكاس (٧)
 ما كان ذنبي أث قلت معاولكم من آل لأى صفاة أصلها راسي

- (١) الآسى : الطيب . وفي رواية غيب أنفسيكم أى ما كان مستورا من بخلكم .
 (٢) المستوعر : المكان الوعر . والشاسي بالهمز ومهل المكان الغليظ المرتفع . أى لم يكن ذنب
 بغيض عند الزبرقان إلا أنه رأى رجلا في مكان وعمر قاحل فأعانه .
 (٣) الهون : المذلة . والأرماس : القبور أى وتركه كالبيت بين أموات القبور .
 (٤) هرته الكلاب : نبحته . وهذا تخاية عن أنه كان غريبا مضطهدا بينهم . وقوله (جرحوه) يريد
 أن آل الزبرقان سبوه ونهشوا عرضه .
 (٥) الفارك : المرأة تبغض زوجها . أى ليس الذنب ذنبى إذا كنتم تبغضون شعري أو مقامى فيكم
 بخلا كما تبغض المرأة زوجها ، ونكره أن ترى ثوبه وأن تلبسه إياه .
 (٦) الطاعم : المطعوم . والكاسي : المكسور ، وهذا من أقذع الهجاء لأنه قام بحاجته فأصبح كالمرأة
 (٧) يسار : اسم عبد للزبرقان . والوفر : السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شيء . والمذمة : يريد
 بها هنا الملوثة يقال : برذمة أى قليلة الماء أو غزيرته : ضد . وحديج البعير يحديجه : شد عليه الرحل
 والعرك : اشتاق في إبط البعير ، والمراد أن هذا هو عملكم دون المكارم .

(١٠) قال الأخطل^(١) يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو

قيساً وبني كليب من قصيدة أولها :

خَفَّ القَطِينُ فَرَا حُوايِكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزَعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ^(٢)

* * *

فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا مَا إِنِ يُوَازِي بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ^(٣)
حُشِدٌ عَلَى الْحَقِّ، عَنْ قَوْلِ الْخَنَازِرِ وَإِنْ أَلَمْتُ بِهِمْ مَكْرُوهَةً صَبَرُوا^(٤)
فَإِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةٌ كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصِرٌ^(٥)
أَعْظَاهُمْ اللَّهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُحْتَقِرٍ^(٦)
لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ، إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشْرُوا^(٧)
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ، وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا^(٨)

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبي . نشأ في قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر طامية وقيس خاصة . ولما كان متصلاً بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يحمي مدح الملوك ووصف المعارك ، وكذا الخمر لما قرته إياها في وقت أجمع المسلمون فيه عن شربها ، وكانت وفاته أول خلافة الوليد .

(٢) خف : أسرع . القطين : القطان ، أي السكان والمعاشر . راح : ذهب في الرواح أي للشيء ضد بكر . أزعجتهم : أفلقتهم — نوى في صرفها ونوانها غير وأحداث .

(٣) النبعة هنا : الأصل يعصبون بها : يلزمونها . والحديث عن عبد الملك وقومه .

(٤) حشد : مجتمعون . الخنا : الفحش . ألمت : نزلت . مكروهة : نازلة .

(٥) تدججت : أظلمت . معتصر : ملجأ ، أي يستطيعون الخلاص من الأزمات .

(٦) الجد : البخت والإقبال .

(٧) بأشروا : يبطروا ويطغوا . مواله : أولياءه .

(٨) شمس : جمع شمس أي عسر شديد على عدوه — استفاد لهم أي يذل ويخضع لهم العدو .

ثم : جمع حلم وهو الصبر والأناة . قدرُوا تمكنوا من العدو . والمعنى : أنهم يعفون إذا انتصروا .

لَا يَسْتَقِيلُ ذُوو الْأَضْغَانِ حَرْبَهُمْ وَلَا يَبِينُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوْرٌ^(١)
 هُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَّاحَ إِذَا بَنَى أُمَيَّةٌ نِعْمَاكُمْ مَجَلَّةٌ^(٢)
 بَنَى أُمَيَّةٌ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ وَأَتَّخِذُوهُ عِدُوًّا، إِنَّ شَاهِدَهُ^(٣)
 إِنَّ الضَّعِيفَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدِمَتْ بَنَى أُمَيَّةٌ قَدْ نَاضَتْ دُونَكُمْ^(٤)
 حَتَّى أَقْرُوا، وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضِيضٍ، وَمَا تَغِيبُ مِنْ أَخْلَاقِهِ دَعْرٌ^(٥)
 كَالْعُرْبِيِّ كُنْ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ^(٦) أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوَاءُ، وَهُمْ نَصْرُوا^(٧)
 وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرَ^(٨)

(١) يستقل : يحنل . الأضغان : جمع ضغن ، أى حقد — فى عيدانهم أى فى أقسامهم —

خور ضعف .

(٢) يبارون الرياح : يسابقونها فى الإسراع الى الكرم . العافون : الذين يطلبون القوت .
 قروا : افقروا ، وقل ما عندهم . يقول : إنهم يسرعون الى الكرم وقت الإحمال .

(٣) نعماكم : عطاياكم للناس . مجللة : عامة . المنة على الناس : ذكر المعروف الذى أسدى إليهم .

(٤) زفر بن الحارث بن كلاب الكلابي ، وكان زعيم قيس على تغلب وعلى أمية .

(٥) شاهده : ظاهره . دعر : فساد ، أى لا تغفروا بصلحه .

(٦) المر : الحرب . يقول : إن الحرب وإن كن فى الجسم لا بد أن يظهر ، فكذلك العداوة ،

وإن بعد عهدا .

(٧) ناضت دونكم : دافعت عنكم الأنصار الذين آروا الرسول بعد الهجرة ونصروه . والأخطل هو

الذى هجا الأنصار لما دعاه الى ذلك يزيد بن معاوية . واليه ينسب البيت المشهور :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللزم تحت عمام الأنصار

(٨) أقروا : سكنوا . مضض : وجع . نفذ القول : مضى وجرى ، يشبه الكلام بالإبر

فى النفاذ والأثر .

أُخِمَّتْ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَارِ قَدْ عَلِمَتْ عَلَيَا مَعَدًّا، وَكَانُوا طَالَمَا هَدَرُوا (١)
 وَقَيْسٌ عِيلَانٌ حَتَّى أَقْبَلُوا رَقَصًا فَبَايَعُوكَ جِهَارًا بَعْدَ مَا كَفَرُوا (٢)
 ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ غَوَارِبُهُمْ وَقَيْسٌ عِيلَانٌ مِنْ أَخْلَاقِهَا الضُّجْرُ (٣)
 فَلَا هَدَى اللَّهُ قَيْسًا مِنْ ضَلَالَتِهَا وَلَا لَعًا لِبَنِي ذَكْوَانَ إِذْ عَثَرُوا (٤)
 مَا إِنْ سَعَى مِنْهُمْ سَاعٍ لِيُذِرَكَا إِلَّا تَقَاصَرَ عَنَّا وَهُوَ مُنْبَهَرٌ (٥)
 وَلَمْ يَزَلْ يُسَلِّمُ أَمْرُ جَاهِلِيهَا حَتَّى تَعَايَا بِهَا الْإِيرَادُ وَالصَّدْرُ (٦)
 حَتَّى أَصَابَ سُلَيْمًا مِنْ عَدَاوَتِنَا إِحْدَى الدَّوَاهِي الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ
 كَانُوا ذَوِي إِمَّةٍ حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ بِهِمْ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ وَابْتَهَرُوا (٧)
 صُكُّوا عَلَى شَارِفٍ صَعْبٍ مَرَاكِهَا حَصَاءَ لَيْسَ لَهَا هُلْبٌ وَلَا وَبْرٌ (٨)

- (١) أُخِمَّتْ : أَسَكَتَ . بنو النجار : أخوال الرسول من الأنصار، منهم أم عبد المطلب . معد : جد الزارية . هدرُوا : افتخروا عليكم وهجؤكم ، يقال هدر البعير إذا ردد صوته في حنجرته .
 (٢) قيس عيلان كانت مع ابن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معاوية وقتل في عهد عبد الملك .
 رقصا مسرعين . كفروا خرجوا عليك .
 (٣) غوارب : جمع غارب وهو للبعير ما بين السنام والعتق (المعنى) أن الحرب آلتهم .
 (٤) لا لعالم : لا أقالمهم الله . يقال للعائر دعاء عليه . ويقال لعالم له أى أقال الله شره دعاء له .
 بنو ذكوان : قبيلة من سليم رهط عمير بن الحباب والنجاش السليمين ، وكانا قد خرجا على بني أمية ، وحاربا تغلب قبيلة الأخطل .
 (٥) تقاصر : قصروا تأخر . أنهر الرجل : انقطع نفسه من الإعياء .
 (٦) سليم قبيلة عمير بن الحباب وهم المقصود هنا بقوله « جاهلها » . تعايأ بها : أعجزها .
 الإيراد : من ورود الماء والصدر عن الماء — يعنى أعجزها تدبير الأمور .
 (٧) الإمة : النعمة — علقت بهم الخ : ضلوا . ابتهروا : افتخروا بما ليس فيهم .
 (٨) صكوا على شارف ، أى حملوا على خطة . الناقة الشارف : الكبيرة المسنة . حصاء : لا وبر لها . الهلب : شعر الذنب .

فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمْ سِنْجَارُ خَالِيَةٍ
كَرُّوا إِلَى حَرَّتِهِمْ يَعْمرُونَهُمَا
إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ يَخْنُونُ حَنْظَلَهُمْ
وَلَا يَلَاقُونَ فَرَّاصًا إِلَى نَسَبِ
وَلَا الضَّبَابَ إِذَا اخْضَرَّتْ عَيْنُهُمْ
أَمَّا كَلِيبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ
وَقَدْ نُصِرَتْ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا
يَعْرِفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الْحُبَابِ، وَقَدْ
وَالْمَحَلِّيَّاتُ فَالْخَابُورُ فَالسَّرُّ (١)
كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطَانِهَا الْبَقَرُ (٢)
إِلَى الْقُرَاتِ . فَقُلْنَا : بَعْدَ مَا نَظَرُوا (٣)
حَتَّى يُلاقِي جَدَى الْفَرْقِدِ الْقَمَرُ (٤)
وَلَا عُصَيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُمْ بَشَرُ (٥)
عِنْدَ التَّفَارُطِ إِيْرَادُ وَلَا صَدْرُ (٦)
لَمَّا أَتَاكَ بِبَطْنِ الْغُوطَةِ الْخَبَرُ (٧)
أَصْحَى وَلِلْسَيْفِ فِي خَيْشُومِهِ أَثَرُ (٨)

(١) سنجار : قصبة كورة الفرج من تل أعفر . المحليات : بلدة صغيرة بين الموصل وسنجار .
الخابور : اسم نهر وواد . السرر : أرض بالجزيرة كسائر المواضع المذكورة .

(٢) الحرة : موضع فيه حجارة سود غخرة كأنما أحرقتها النار وحرثهم بعالية نجد . كروا : رجعوا .

(٣) الحنظل : نبت مر . يقول : طمعوا فينا ، ويا بعد ما نظروا . وكانت تغلب قبيلة الأخطل
تقيم بالجزيرة في حوض القرات .

(٤) فراص بن معن بن سعد بن قيس من بادية وبنو فراص ينتسبون إلى تغلب — جدى الفرقد نجم
إلى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة ، ولا يلتق مع القمر . يقول إنهم قصروا عن نسب
هؤلاء ، ولا يشبهونهم إلا في أنهم بشر .

(٥) الضباب من قيس عيلان ، عصية بطن من سليم ، اخضرت : اسودت .

(٦) كليب بن يربوع : رهط جرير . التفارط : التقدّم في طلب الماء . (المعنى) ليس لهم نصيب
في السبق إلى الحمام .

(٧) الغوطة : الكورة التي منها دمشق وهي إحدى منازله الدنيا الأربع : الصغد والأبلة وشعب بوان
والغوطة . وكانت دمشق عاصمة بني أمية — وكان رهط الأخطل مع الخليفة في الحروب الداخلية .

(٨) ابن الحباب هو عمير بن الحباب السلمي ، وقد قتل وحمل رأسه إلى قبائل غسان ، وكان يزدرهم .
الخيشوم : أنف .

وقال يفضل الفرزدق على جرير :

- بَكَرَ الْعَوَازِلُ يَتَدَرْنَ مَلَامَتِي وَالْعَالُونَ فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي^(١)
 فِي أَنْ سَقِيتَ بِشْرَبَةٍ مَقْدِيَّةٍ صَرَفَ مُشْعَشَعَةٍ بِمَاءِ سُتَانٍ^(٢)
 فَظَلَمْتُ أَسْقِي صَاحِبِي مِنْ بَرْدِهَا عَمْدًا لِأَرْوِيَهُ كَمَا أَرْوَانِي
 وَذَكَرْتُ - إِذْ جَرَّتِ الشَّمَالُ فِيهِجَتِ شَوْقًا لَنَا - رَيًّا وَأُمًّا أَبَانَ^(٣)
 وَالْحَارِثِيَّةَ ؛ إِنِّي مُهْدِلُهَا مَدَحًا يُشَبِّهُنَّ كُلَّ مَكَانٍ^(٤)
 لَا قِيَمَتَيْنِ يَجْمَعُهُمَا فَارِثَتِي صُورَ الْمَهَا بِزُخَارِفِ الْبُنْيَانِ^(٥)
 وَمُحَوَّرَهِنَّ دِيَّاسِقٌ مِنْ فُضَّةٍ وَنَوَاهِدُ كُنُوعِ الرُّمَّانِ^(٦)
 وَمُرْمَلُ الْحَنَاءِ يُصْبِحُ قَانِيًا كَدَمَ الذَّبِيحِ - بَارُوحٍ وَبَنَانٍ^(٧)
 يَنْظُرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ نُجْلٍ يُمَتِّنُ الْعَاشِقِينَ حَسَانٍ^(٨)
 نَظَرًا مَخَالَسَةً وَهَنَّ صَوَائِدُ بِخَدُورِهِنَّ وَأَحْسَنَ الْأَلْوَانِ^(٩)
 وَإِذَا رَأَى الشَّيْبَ لَمْ يَقْرَبْنَهُ وَالْغَانِيَاتُ عَنِ الْكَبِيرِ غَوَانِي
 يَقْطَعُنَ مِنْهُ حَبْلَ كُلِّ مَوَدَّةٍ جَهْلًا ، وَهَنَّ إِلَى الشَّبَابِ رَوَانِي^(١٠)

- (١) العواذل : جمع عاذلة ، اللائمة . يتدرون ملامتي : يسرعن إلى لومي . يلحاني : يعينني .
 (٢) مقدية : نظيفة ليس فيها قذى . صرف : نقية جيدة . مشعشة : ممزوجة . ستان : ماء بارد ، وواد بالشام .
 (٣) ذكرت : تذكرت . الشمال : ريح تهب بين الشرق وبنات نعش . ريا وأم أبان : علمان لامرأتين أي ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال . (٤) يشب الخ : يذكرن في كل مكان .
 (٥) المهيا : جمع مهية ، البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة في جمال العينين . الصورة : الشكل .
 (٦) نحور جمع نحر : أعلى الصدر . دياسق : جمع ديسق ، وهو الصحن من الفضة ، يشبه محوورهن بالفضة صفاء وصقلا .
 (٧) مرمل الحناء : يقصد الحناء المرمل أي المزينة به المرأة يديها ورجليها . قانئا : شديد الحمرة .
 أروح : جمع راحة وهي باطن الكف دون الأصابع . البنان : أطراف الأصابع . المفرد بنانة . والمراد : أروجهن وبنانهن . (٨) خلل : جمع خلعة ، الثقبه . نجل : جمع نجلاء ، الواسعة العين الحسنة .
 (٩) مخالسة : مسروفا بسرعة وختل . الخدور : جمع خدر السراويل البيت .
 (١٠) الجهل هنا : الحفاء . رواني : دائمات النظر ، المفرد رانية .

- إِى أُدِيمُ لَذَى الصَّفَاءِ مَوَدَّتِي وَإِذَا تَغَيَّرْتُ كُنْتُ ذَا أَلْوَانٍ (١)
وَأَصْدُ عَنْ صَرَمِ الصَّدِيقِ تَكْرُمًا حِينًا ، وَمَا دَهْنِي لَهُ يَهْوَانٍ (٢)
وَأَفَارِقُ الْخُلَانَ عَنْ غَيْرِ الْقَلَى وَأُمِيتُ عِنْدِي السَّرَّ بِالْكَمَانِ (٣)
وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى الْقَنْيصِ بِنَهْدَةٍ عِنْدَ الْبَدِيهَةِ سَهْوَةَ الْقَذْفَانِ (٤)
تَقْقُضُ فِي أَثَرِ الْأَوَابِدِ مِثْلَ مَا تَقْقُضُ كَاسِرَةً مِنَ الْعُقْبَانِ (٥)



- مَا بَالُ قَوْمٍ لَا تَغِبُ أَذَانُهُمْ قُعْسُ الظُّهُورِ مِنَ الْحَبِينِ بَطَانٍ (٦)
هُمْ هَيَّجُوا حَرْبِي وَمَا لَهُمْ بِهَا لَوْ وَاجَهَتْهُمْ بِاللِّقَاءِ بَدَانٍ (٧)
حَرْبَ امْرِئٍ مَا إِنْ تَرِثُ سِلَاحُهُ أَبَدًا وَلَا يَفْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ (٨)
قَبَّحَ إِلَهُهُ بَنَى كَلْبٍ لِنَهْمِهِمْ لَا يَحْفَظُونَ مُحَارِمَ الْجِيرَانِ (٩)

- (١) كنت ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .
(٢) صرم : قطيعة وهجر . يقول : ما همى هوأله .
(٣) الخلان : جمع خليل ، الصديق . القلى : البغض . أميت السر : لا أبدية فكأنه ميت .
(٤) غدوت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسم . عند البديهة للجرى حين تفجوها به . السهوة : الموازية . القذفان : مرعة الركض . يصف فرس الصيد .
(٥) الأوابد : جمع أبدة وهى الوحش . كاسرة : متفضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين ، طاء من الجوارح .
(٦) ما يافهم : أى ما حالهم وما حصل لهم . لا تغيب : لا تنقطع . قعس الظهر : مفردة أقعس ، وهو من خرج صدره ودخل ظهره ، ضد الأحذب . الحبين : وجع فى البطن . بطان : عظام البطون ، المفرد بطن وبطين . بطان صفة لقوم (جرير) .
(٧) ما لهم بها يدان : أى ليست لهم عليها قدرة . اللقاء : الحرب .
(٨) ترث : تبلى . الحدتان : النوايب . لا يفتر بالحدثان : لا تأخذه النوايب على غرة لاستعدادده لها دائما .
(٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم : جمع محرما ، ما لا يحل انتهاكه .

- وإذا تُسَوِّدَ لِلْكَارِمِ وَالْعُلَا
لم يُنْدَبُوا لِتُرَادِفِ الْأَعْوَانِ (١)
أَجْرِي إِنْكَ وَالَّذِي تَسْمُو لَهُ
كَأَسِيفَةِ نَحْرَتِ يَحْدِجِ حَصَانِ (٢)
حَمَلْتُ لِرَبَّتَهَا فَلَمَّا عُولِيَتْ
نَسَلْتُ تُعَارِضُهَا مَعَ الْأُظْعَانِ (٣)
أَتَعَدُّ مَأْتَرَةً لِغَيْرِكَ نَحْرَهَا
وَسِنَاؤُهَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ (٤)
تَأْجُ الْمُلُوكِ وَنَفَرُهُمْ فِي دَارِمِ
أَيَّامَ يَرْبُوعٍ مَعَ الرُّعْيَانِ (٥)
مُتَلَفِّفٌ فِي بُرْدَةٍ حَبَقِيَّةٍ
بِفَنَاءِ بَيْتِ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ (٦)
يَغْدُو بَيْنِيهِ بِثَلَّةٍ مَذْمُومَةٍ
وَيَكُونُ أَكْبَرَ هَمِّهِ رِبْقَانِ (٧)
سَبَقُوا أَبَاكَ بِكُلِّ جَمْعٍ تَلْعَةٍ
بِالْمَجْدِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الرِّكْبَانِ (٨)
إِخْسَاءً كُلِّبٌ، إِلَيْكَ، إِنْ مُجَاشِعًا
وَأَبَا الْفَوَارِسِ نَهْشَلًا أَخْوَانِ (٩)
قَوْمٌ إِذَا خَطَرْتُ عَلَيْكَ قُرُومَهُمْ
ظَرَحُوكَ بَيْنَ كَلَاكِلِ وَجِرَانِ (١٠)

- (١) تسودب : نذب الناس ودعوا . الترادف هنا : التعاون . يقول : لا يصلحون للكارم والمعالى .
(٢) تسموله : تتعلق به من مفاخر ليست لك . الأسيفة : الأمة . الحدج : مركب النساء على البعير كالهودج . الحصان هنا : الحرة ضد الأمة . يقول ان نحره بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها .
(٣) أى حملت حدج سيدتها . عوليت : علت الحدج . نسلت : أسرعت . تعارضها أى تعدو حياها الأظعان : النساء فى الهودج .
(٤) مأثرة : محمودة ومفخرة . السناء : الشرف . سالف الأزمان : ماضيها . يقول له : تفخر بمأثر مضر وأنت من نخذ حقير هو يربوع لا مجده .
(٥) دارم : رهط الفرزدق ، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر . الرعيان جمع راع : من يقوم على الماشية يخدمها .
(٦) حبقية : نسبة الى صانع أو الى نوع من الغنم .
(٧) الثلة : الصوف أو جماعة الغنم . الربقان مثني ربق : حبل يشد فى عنق البهم .
(٨) التلعة : ما علا من الأرض . عند مواقف الركبان : أى عند المفارقة والتحاكم .
(٩) إخسأ : ابتعد محتقرا . اليك : تنح وابعد . مجاشع : قبيلة الفرزدق . نهشل : قبيلة من تميم كمجاشع .
(١٠) خطر الجمل بذنبه : رفعه مرة بعد أخرى . القروم : الفحول والأماجد جمع قرم . والكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر . والجيران : يقول : إن رجالهم يعلون عليك مفخرة .

(١١) وقال الفرزدق يذكر تفضيل الأخطل إياه على الشعراء

ويمدح بني تغلب ويهجو جريرا :

يَابْنَ الْمِرَاغَةَ وَالْهَجَاءَ إِذَا التَّقَتْ أَعْنَاقُهُ وَتَمَاحَكَ الْخَصْمَانِ (٢)
يَابْنَ الْمِرَاغَةَ أَنَّ تَغْلِبَ وَأَثِلَ رَفَعُوا عَنَّا فَوْقَ كُلِّ عَنَانٍ (٣)
كَانَ الْمُهْذِلُ يَقُودُ كُلَّ طِمْرَةٍ دَهْمَاءَ مُقَرَّبَةٍ وَكُلَّ حِصَانٍ (٤)
يَصْهَلْنَ بِالنَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّمَا إِرْنَانُهَا يَبْوَائِنَ الْأَشْطَانِ (٥)
يَقْطَعْنَ كُلَّ مَدَى بَعِيدٍ غَوْلُهُ خَبَبَ السَّبَاعِ يُقَدِّنَ بِالْأَرْسَانِ (٦)

(١) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدامي أحد غول الشعراء الأمويين . نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر ويبلغه حتى نبغ فيه ، واتصل بولاية العراق يمدحهم ويهجوهم ، ورحل الى دمشق يمدح الخلفاء وينال جوائزهم . وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لمصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم في الجاهلية والإسلام . ويمتاز شعر الفرزدق بخشونة الألفاظ ووعورة المعاني والميل الى الفخر في هجائه والفحش في غزله وقد مات سنة ١١٩ هـ .

(٢) ابن المِرَاغَةَ : جرير . خبر الهَجَاءَ : متعلق إذا . أى حاصل وذائع إذا ... الخ أعنقه : جماعته أى يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض . تماحك : تخاصم وتمازى .
(٣) تغلب من ربيعة : قوم الأخطل . إلحان بالكسر : سير اللجام ، وبالفتح : الجانب وهو الأنسب هنا .

(٤) أى المهذيل بن هبيرة . الطمرة : الفرس الطويلة السريعة . الدهماء : السوداء . مقربة أى قريبة اليهم لكرمها وسرعتها يعمدون اليها حين الفرز .

(٥) الصهيل : صوت الخيل . الإرنان : التصويت . البوائن : الآبار المفرد بيون وهى البر التي يصيب حبلها نواحيها . الأشطان جمع شطن : الحبل . يقول : كأنها تصهل من آبار بوائن لسعة أجوافها ومعنى يسهلن بالنظر البعيد أنها تصهل إذا رأت شبحا من بعد لحدة نظرها ونشاطها .

(٦) كل مدى : كل غاية بعيدة . غوله : بعده . الخيب للفرس : عدو فيه يقوم على رجله تارة وعلى يديه أخرى . الأرسان جمع رسن : الخيل ، يشبه الخيل بالسباع فى العدو .

- وَكأنَّ رَاياتِ الْهَذِيلِ إِذَا بَدَتْ فَوْقَ الْخَيْسِ كَوَاسِرُ الْعِقبَانِ (١)
 وَرَدُّوا إِرَابَ بِمِحْفَلٍ مِنْ وَائِلٍ لِحَبِّ الْعِشَى ضُبَارِمِ الْأَرْكَانِ (٢)
 وَبَيَّتُ فِيهِ مِنَ الْخَافَةِ عَائِذَا أَلْفٌ عَلَيْهِ قَوَانِسُ الْأَبْدَانِ (٣)
 تَرَكُّوا لِتَغْلِبَ إِذْ رَأَوْا أَرْمَاحَهُمْ بِإِرَابِ كُلِّ لَيْمَةٍ مِدْرَانِ (٤)
 تَدْمِي — وَتَغْلِبُ يَمْنَعُونَ بَنَاتِهِمْ — أَقْدَامُهُنَّ حَجَارَةُ الصَّوَّانِ (٥)
 يَمْشِينَ فِي أَثَرِ الْهَذِيلِ وَتَارَةً يَرْدَفُنْ خَلْفَ أَوَاحِرِ الرِّكْبَانِ (٦)
 لَوْلَا أَنَاثُهُمْ وَفَضْلُ حُلُومِهِمْ بَاعُوا أَبَاكَ يَا وَكَيْسَ الْأَثْمَانِ (٧)
 وَالْحَوْفَزَانُ أَمِيرُهُمْ مُتَضَائِلٌ فِي جَمْعٍ تَغْلِبَ ضَارِبٌ بِجِرَّانِ (٨)

(١) الخيس : الجيش الضخم . كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح وهذا وصف لاسراع الخيل .

(٢) إراب : موضع ، وهو يوم بين بنى يربوع وبكر بن وائل يقودهم الهذيل هذا . المحفل : الجيش الكثير الخيل . لحب العشى : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للطف فالأصوات كثيرة . الضبارم : الغليظ . الأركان : النواحي ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة .

(٣) عائذا : محتما . القوانس : أعلى البيض من الحديد ، المفرد : قونس . الأبدان : الدروع غير السوابغ . يقول : يناد بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون .

(٤) مدران : كثيرة الوسخ . أى خلوا نساءهم وهربوا .

(٥) تدمي : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله . وذلك لأنهن يسقن حفاة .

(٦) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب .

(٧) أوكس : أبخس .

(٨) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد في تغلب وكذلك غزاها الحوفزان في بكر

ابن وائل فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل . متضائل : متصاغر . الجران : مقدم عتي البعير ، وضرب بجرائه : برك .

أَحْبَبَنَ تَغْلِبَ إِذْ هَبَطَنَ بِإِلَادِهِمْ لَمَّا سَمِعَ وَكُنْ غَيْرَ سَمَانٍ
يَمَشِينَ بِالْفَضَالِ وَسَطَ شُرُوبِهِمْ يَتَّبِعَنَّ كُلَّ عَقِيرَةٍ وَدُخَانٍ (١)
يَتَّبَاعُونَ إِذَا انْتَشَوْا بِبَنَاتِكُمْ عِنْدَ الْإِيَابِ بِأَوَكَيْسِ الْأَثْمَانِ (٢)
وَأَسْأَلُ بِتَغْلِبَ كَيْفَ كَانَ قَدِيمُهَا وَقَدِيمُ قَوْمِكَ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْوَةً عَمْرًا، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النَّعْمَانِ (٣)
قَتَلُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ، وَأَوْقَدُوا نَارَيْنِ قَدْ عَلَتَا عَلَى النَّيْرَانِ (٤)
لَوْلَا قَوَارِئُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ نَزَلَ الْعِدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانٍ
حَبَسُوا ابْنَ قَيْصَرَ وَابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِمْ يَوْمَ الْكَلَابِ كَأَكْرَمِ الْبُنْيَانِ (٥)
إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمُهَا كَلْبٌ عَوَى مُتَهَمٌ الْأُسْنَانِ (٦)
قَوْمٌ إِذَا وَزَنُوا بِقَوْمٍ فَضَّلُوا مِثْلَى مُوَازِينِهِمْ عَلَى الْمِيزَانِ

- (١) الفضالات : الخمر أى يسقين الرجال ويخدمنهم . الشروب : القوم يشربون الخمر . يتبعن كل عقيمة : يتسمعن الغناء . دخان أى موضع الطبخ والشواء .
(٢) انتشوا : سكروا .
(٣) ابن هند عمرو بن هند : ملك الحيرة . يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله في قصة مشهورة . قسطوا : جاروا . النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا .
(٤) صنائع الملوك : أنصارهم ، المفرد صنيعه . أوقدوا نارين : اشارة الى يوم خزازي لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل .
(٥) يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحرث الكندي ثم امرئ القيس .
(٦) الأراقم : حى من تغلب . متهم متكسر والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم .

وقال يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر اليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب

هجو الشائع :

وَكُومٍ تُنْعِمُ الْأَضْيَافَ عَيْنًا وَتُصْبِحُ فِي مَبَارِكِهَا ثَقَالًا (١)
حُوسَاتِ الْعِشَاءِ خُبْعِنَاتٍ إِذَا النُّجَبَاءُ رَاوَحَتِ الشَّمَالَ (٢)
كَانَ فِصَالَهَا حَبَشُ جَعَادٍ تَحَالُ عَلَى مَبَارِكِهَا جُفَالًا (٣)
لَا كَلَفَ أُمَّهُ دَهْمَاءُ مِنْهَا كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ جَلْدٍ جَلَالًا (٤)
أَرَقْتُ فَلَمْ أَنْمَ لَيْلًا طَوِيلًا أَرَأَيْتَ هَلْ أَرَى النَّسْرَيْنِ زَالًا (٥)
فَأَرَقْنِي نَوَائِبُ مِنْ هُمُومٍ عَلَى ، وَلَمْ يَكُنْ أَمْرِي عِيَالًا (٦)
وَكَانَ قَرَى الْهُمُومِ إِذَا اعْتَرَنِي زَمَاعًا لَا أُرِيدُ بِهِ يَدَالًا (٧)

(١) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم ، الواحد أ كوم . تنعم : تقروئسر . المبارك : جمع مبارك موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كوم مبتدا بعد واورب ، خبره محذوف أى لهذا المدوح .

(٢) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعنات : ضخام شديدا ، المفرد خبعنة . النجباء : ریح انحرفت عن مهاب الرياح . راوحت : عارضت . الشمال : ریح تهب ما بين مطلع الشمس وبنات نعل .

(٣) الفصال ، جمع فصيل : ولد الناقة إذا فصل عنها . الجعاد جمع جعد : عكس المسترسل (٤) الأكلف : الفحل المائل الى السواد . دهماء : سوداء الجلد : جلد البو . الجلال جمع جل : وهو الدابة كالنوب للإنسان .

(٥) أرقط : سهرت . النسران : كوكبان . يقال لأحدهما النسر الطائر ، وللآخر النسر الواقع يقول : أرى هل زالا فيطلع الصباح ، وذلك بسبب هم .

(٦) أرقى : أسهرنى . النوائب المصائب المفرد نائبة . عيالا جمع عيل ، أى ليس همى بسبب لبنائى الذين أعولهم .

(٧) قرى : أكرام . الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

- فَعَادَلْتُ الْمَسَالِكَ نَصْفَ حَوْلٍ وَحَوْلًا بَعْدَهُ حَتَّى أَحَالَ (١)
 فَقَالَ لِي الَّذِي بَعْنِيهِ شَأْنِي نَصِيحَةَ قَوْلِهِ سِرًّا وَقَالَ : (٢)
 عَلَيْكَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَاسْتَجِرْهُمْ وَخُذْ مِنْهُمْ لِمَا تَخْشَى حَبَالًا (٣)
 فَإِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ فِي قُرَيْشٍ بَنَوْا لِبُيُوتِهِمْ عَمَدًا طَوَالًا (٤)
 فَرَوَحْتُ الْقُلُوصَ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاءَ فِي الْأُرْطَاةِ قَالَا (٥)
 تَخْطِي الْحَرَّةَ الرَّجُلَاءُ لَيْلًا وَتَقْطَعُ فِي مَخَارِمِهَا نِعَالًا (٦)
 حَلَفْتُ بِمَنْ أَتَى كَفَنِي حِرَاءٍ وَمَنْ وَافَى بِحُجَّتِهِ إِلَّا لَا (٧)
 إِذَا رَفَعُوا سَمِعْتَ لَهُمْ عَجِيجًا عَجِيجَ مُحَلٍّ نَعْمًا نِيَالًا (٨)
 وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ لَهُ فَقَامَتْ وَتَخَرَّ لَابِنِ دَاوُدَ الشَّمَالَا (٩)

- (١) عادلت الخ : وازنت بين المسالك لا أدري لأيها أصير . أحال : انقضى الحول .
 (٢) بعنيه : بهم . شأني : أمري وحالي .
 (٣) عليك بني أمية : انصدم ، وسعيد بن العاص أموي . استجرهم : استغث بهم . حبال جمع جبل : العهد والذمة .
 (٤) العمد : جمع عمود ما يقوم عليه البيت ، والمراد أنهم بنوا مجدا وشرفا .
 (٥) روجت : سقت . القلوص من الإبل : الطويلة القوائم . الأرطاة : شجرة مرة تأكلها الإبل فضة . قال : نام في منتصف النهار . يعني شدة الحر .
 (٦) الحررة : الأرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار . الرجلاء : الخشنه يبرجل فيها أو الكثرة الحجارة . المخارم : الطرق ، المفرد مخرم . النعل هنا : طبق من جلد يوق به الخلف ، يصف وعودة الطريق .
 (٧) الكنف : الظل أو الجانب . حراء : غار خارج مكة كان يلحظ فيه رسول الله ويتعبد قبل الرسالة ، وفيه نزل عليه الوحي لأول مرة . إلال : جبل يعرفات حيث يقف الحاج . والمعنى أنه الذي ظهر ظل دينه في مكة . يحلف بالنبي وبالحجيج .
 (٨) أي رفعوا أيديهم وأصواتهم بالتلبية . العجيج : رفع الصوت والصياح . المحلى : هنا : مانع الإبل عن الماء . النعم : الإبل . النبال : العطاش ، واحدها : ناهل يشبه صوت الحاج بصوت المحلى ... الخ .
 (٩) سمك : رفع ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح . يشير إلى معجزة سليمان وتسخير الريح له . والشاعر يقسم بالله كما أقسم قبل بالرسول .

- وَمَنْ نَجَّى مِنَ الْغَمَرَاتِ نُوحًا وَأَرْسَى فِي مَوَاضِعِهَا الْجَبَالَ (١)
لَتُنْ عَافَيْتَنِي وَنَظَرْتَ حِلْمِي لَا عَتَيْنَنَّ إِنِ الْحَدَثَانِ آلَا (٢)
إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ وَلَمْ أَحْسَبْ دَمِي لَكُمَّا حَلَالًا (٣)
وَلَكِنِّي هَجَوْتُ ، وَقَدْ هَجَّيْتَنِي مَعَاشِرُ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالًا (٤)
فَإِنْ يَكُنْ الْهَجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي فَقَدْ قَاتَنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَ (٥)
وَإِنْ تَكُ فِي الْهَجَاءِ تُرِيدُ قَتْلِي فَلَمْ تُدْرِكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقَالًا (٦)
نَرَى الشَّمَّ الْجَحَاجِ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ مَالًا (٧)
بَنَى عَمَّ النَّبَى وَرَهْطَ عَمِيرو وَعُثْمَانَ الَّذِينَ عَلَوْا فَعَالًا (٨)
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يُرَوْنَ بِهِ هِلَالًا (٩)
خَمْرُوبٌ لِلْقَوَانِسِ غَيْرُ هَدٍّ إِذَا خَطَرَتْ مُسَوِّمَةٌ رَعَالًا (١٠)

- (١) الغمرات : جمع غمرة معظم البحر . نوح الرسول وفي عهده كان الطوفان .
(٢) عافيتني : دفعت عني البلاء والسوء وكان الشاعر فارا من زياد حاتم العراق . نظرت حلمي : راعيت عقلي وأناذني . اعتنن : اشتد وقوى . الحدثنان النواشب . آل : رجع .
(٣) زياد ابن أبيه : والى العراق ، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره إليه لشدة هجائه ، ولكن الشاعر فر إلى سعيد هذا .
(٤) رَضَخْتُ لَهُمْ : أعطيتهم قليلا من هجائي . السجال جمع سجل : الدلو العظيمة . وقال الحرب بينهم سجال أي تارة لهم وتارة عليهم .
(٥) قَاتَنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَ أَيُّ تَهَاجِينَا ، فلم أقتل أنا دونه ؟
(٦) فِي الْهَجَاءِ أَيُّ سَبَبِهِ . ومعنى الشطر الثاني : فلم تسمع مقال المستجير . المتصمر : المستظهر على عدوه .
(٧) الشَّمُّ جمع أَشْم وهو السيد العزيز . الجحاج جمع جحجج : السيد . مال : اشتد وتفاقم .
(٨) الرهط : قوم الرجل . الفعّال : الفعل الحسن .
(٩) قِيَامًا : حال من مفعول نرى في البيت الذي قبل السابق ومعنى يرون به يروونه فالباء للتجريد .
(١٠) القوانس : أعلى البيض من الحديد ، المفرد قونس . الهد : الرجل الضعيف . المسومة : الخيل المعلمة لكرمها . الرعال : جمع رعلة : القطعة من الخيل . يصفه بالشجاعة والإقدام .

وقال يهجو جريرا :

- إِنِّ الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِكُ ، وَمَا بَنَى
بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَبٍ يَفْنَاهُ
يَلْجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ وَإِذَا احْتَبَوْا
لَا يَحْتَبِي يَفْنَاءَ بَيْتِكَ مِثْلَهُمْ
مِنْ عِزِّهِمْ وَحَمَرَتْ كَلْبٌ بَيْتَهَا
ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بَنَسِجَهَا ،
أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارِمًا
يَمْشُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ
وَالْمَانِعُونَ إِذَا النَّسَاءُ تَرَادَفَتْ
- بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ (١)
حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ (٢)
وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ (٣)
بَرَزُوا كَأَنَّهُمْ الْجِبَالُ الْمُثَلُّ (٤)
أَبَدًا إِذَا عَدَّ الْفَعَالُ الْأَفْضَلُ (٥)
زَرْبًا كَأَنَّهُمْ لَدَيْهِ الْقُمَّلُ (٦)
وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُثْرُلُ (٧)
أَمْ مَنْ إِلَى سَلْقَى طَهِيَّةً تَجْعَلُ (٨)
جَرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكُحَيْلُ الْمُشْعَلُ (٩)
حَدَرَ السَّيِّئُ إِجْمَالَهَا لَا تُرْحَلُ (١٠)

(١) سمك : رفع . الدعائم : جمع دعامة وهي عمود البيت . أعز : أقوى .

(٢) الملك : الله جل جلاله . حكم السماء : أى القوى المقتدر . لا ينقل : لا يزول . يرد

بيت شرف وعز .

(٣) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق يفخر بهم على جرير .

(٤) يلجون : يدخلون . احتبوا : اشمئلوا بالثوب . المثل : الراسيات ، جمع مائل .

(٥) فناء البيت : الساحة أمامه . الفعّال بفتح الفاء : الفعل الحسن والخطاب لجرير ، أى ليس

لك رجال أشرف كهؤلاء المعدودين تفاخرى بهم .

(٦) كلب : قوم جرير . حمّرت : دخلت زربا كأنه الحجر . الزرب : حفيرة تتخذ لحبس الجداء .

القمل : جمع قلة ، كالجرادة وأقل منها

(٧) يعنى أن بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت . والشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة

”وإن أوهن البيوت لبنت العنكبوت“ .

(٨) تسامى : تفاخر . طهيسة : أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير . تجعل هنا :

معناها تقرن بهم وتباهى .

(٩) الحلق : جمع حلقة وهي الدرع . جرب الجمال : أى الجمال المصابة بداء الجرب . الكحيل :

القطران . المشعل : الكثير . يشبه الرجال فى عظمتهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوء بالقطران

(١٠) ترادفت : ركب بعضهن خلف بعض . السباء : الأسرى الفارات . لا ترحل : لا توضع على

الرجال للعجلة . يقول : إن قومي يمنعون حرمهم إذا كانت الفارات وفرعت النساء فركبت الجمال أعزاه .

- يَجْمِي إِذَا اخْتَرَطَ السُّيُوفُ نِسَاءَنَا ضَرْبٌ تَخْرُلُهُ السَّوَاعِدُ أَرْعُلُ (١)
- وَمُعَصَّبٌ بِالتَّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ نَحْرُ الْمَلُوكِ لَهُ نَحِيسٌ بِحَقْلُ (٢)
- مَلِكٌ تَسْوِقُ لَهُ الرِّمَاحُ أَكْفُنَا مِنْهُ تَعْلُ صُدُورُهُنَّ وَتَهْلُ (٣)
- قَدْ مَاتَ فِي أَسْلَاتِنَا أَوْ عَضَّه عَضْبٌ بِرَوْنَقِهِ الْمَلُوكُ تُقْتَلُ (٤)
- وَلَنَا قُرَاسِيَةٌ تَظَلُّ خَوَاضِعَا مِنْهُ مَخَافَتُهُ الْقُرُومُ الْبَزْلُ (٥)
- مُتَخَمِّطٌ قَطِمَ لَهُ عَادِيَّةٌ فِيهَا الْفَرَاقِدُ وَالسَّمَاءُ الْأَعْزَلُ (٦)
- صَخْمُ الْمَنَاكِبِ تَحْتَ شَجَرِ شُثُونِهِ نَابٌ إِذَا ضَغَمَ الْفُحُولَةُ مِقْصَلُ (٧)
- وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي فُقَيْمٍ جَاءَنِي مَجْرَلُهُ الْعَدَدُ الَّذِي لَا يُعْدَلُ (٨)

(١) اخترط : سل . نخر : تسقط . أرعل : مسترخ مائل وهو صفة لضرب . وإنما يريد أنه يعمل ما قطع فيسترخي .

(٢) معصب : متوج ، والوار واورب . وما بعدها : مبتدأ ، وقد مات : خبره — يعني حسان وقابوس ابني المنذر . نحر الملوك : الرايات . النحيس : الجيش الضخم . الجحفل : الكثير الخيل .

(٣) منه : أى من الملك — تعل وتهل من الدم ، والإنهال : الطعن الأول ، والعلل : الطعن الثاني .

(٤) الأسلات : الرماح ، المفرد أسلة . العضب : السيف القاطع . رونقه : فرنده وجوهره .

(٥) القراسية : الضخم الغليظ من الإبل . يقول : لنا عز قديم شبيه بالفحل وهو القراسية .

القروم : جمع قرم ، وهو السيد أو الفحل الكريم . البزل : جمع بازل ، وهو الذى نبت نابه .

(٦) متخبط : متغضب فى كبر . قطم : هاجم . نادية أولية قديمة ، وأصل الفرق نجم يهتدى به

والسماك الأعزل يكون فى نوء المطر ، أى لنا عز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال ، بعضنا يقتدى به والبعض كريم يستقى منه .

(٧) الشجر : مجتمع الحيين . الشثون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن . ضغم : عض .

مقصل : قاطع .

(٨) فقيم من دارم : عشيرة الشاعر . المجر : الجيش الكثير العدد — لا يعدل : ليس له عدل من

غيره أى نظير .

- وَإِذَا الرِّبَائِعُ جَاءَنِي دَفَّاعُهَا مَوْجًا كَأَنَّهُمُ الْجَرَادُ الْمُرْسَلُ ^(١)
هَذَا وَفِي عَدَوِيَّتِي جُرْثُومَةٌ صَعْبٌ مَنَّاكِهَا نِيَافٌ عِطْلُ ^(٢)
وَإِذَا الْبَرَاجِمُ بِالْقُرُومِ تَخَاطَرُوا حَوِيلِي بِأَغْلَبَ عِزُّهُ لَا يُتَرَلُّ ^(٣)
وَإِذَا بَدَخْتُ وَرَأَيْتِي يَمْشِي بِهَا سُفْيَانٌ أَوْ عُدُسُ الْفَعَالِ وَجَنَدُلُ ^(٤)
الْأَكْثَرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمْ وَالْأَكْرَمُونَ إِذَا يُعَدُّ الْأَوَّلُ ^(٥)
وَزَحَلْتُ عَنْ عَتَبِ الطَّرِيقِ وَلَمْ تَجِدْ قَدَمَاكَ حَيْثُ تَقُومُ سُدَّ الْمَنْقَلُ ^(٦)
إِنَّ الزَّحَامَ لَغَيْرِكُمْ فَتَحِينُوا وَرَدَّ الْعَشَى؛ إِلَيْهِ يَخْلُ الْمَهْلُ ^(٧)
حُلِّلَ الْمُلُوكُ لِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا وَالسَّابِغَاتِ إِلَى الْوَعْيِ تَتَسَرَّبِلُ ^(٨)

(١) الربائع : جمع ربيعة وهي ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى . الدفّاع : دفاع السيل حين يكثر ويمتد . شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع .

(٢) العدوية : فلكية بنت مالك من زيد مناة نسب إليها بنوها . الجرثومة . الأصل والتراب يجتمع في أصل الشجرة فيرتفع على ما حوله . صعب مناكها : يعنى نواحيها . نياف طويلة مشرقة . عطل : طويلة .

(٣) البراجم في الأصل : ربوس الأشاجع التي هي أصول الأصابع ، والمراد هنا : بنو مختلة ابن مالك ، وهم نخبة تبرزوا على سائر إخوانهم . القروم : للقحول . تخاطروا كما تخطر القحول بأذانها إذا تهدد بعضها بعضاً . الأغلب : الغليظ العنق .

(٤) بدخنت : نفرت في كبر . والأسماء المذكورة في البيت من بنى دارم .

(٥) حصاهم : عددهم . الأتول يعنى من الآباء والأجداد أو من المساعى والأفعال .

(٦) زحلت : تخبث ، وانخطاب بلرير . العتب : الغلظ في ارتفاع أى عن وضوح الطريق . المنقلب : الطريق في الجبل . يقول إذا سلكتا تخبث لنا ، وسد عليك الطريق ، فلم تدر أين تسير ، وتضع قدميك .

(٧) ورد العشى : وورد المساء ليلاً . يقول إنكم لضغفكم ومهانتكم لا قبل لكم بالزحام بل تشربون من فضل غيركم .

(٨) الحلة : إزار ورداء . السابغات : الدروع . الوعى : الحرب . تتسربل : تنقص . فهم

في السلم ملوك ، وفي الحرب ليوث .

- أَحْلَامُنَا تَرْتُبُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالِفُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ (١)
فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا تَهْلَانِ ذَا الْهَضْبَاتِ، هَلْ يَخْلَحُلُ (٢)
وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الْأَغَرِّ وَإِنِّي فِي آلِ ضَبَّةَ لِلْمُعِمْ الْخُيُولُ (٣)
فَرَعَانٍ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ (٤)
فَلَيْنِ نَخَرْتُ بِهِمْ لِمَنْ لِقْدِيمِهِمْ أَعْلُو الْحُزُونَ بِهِ، وَلَا أَتَسَهَّلُ (٥)
زَيْدُ الْفَوَارِسِ، وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ وَأَبُو قَيْصَةَ، وَالرَّيْسُ الْأَوَّلُ (٦)
أَوْصَى عَشِيَّةَ حِينَ فَارَقَ رَهْطَهُ عِنْدَ الشَّهَادَةِ فِي الصَّحِيفَةِ دَغْفَلُ (٧)
أَنَّ ابْنَ ضَبَّةَ كَانَ خَيْرًا وَالِدًا وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ (٨)
يَمِّنُ يَكُونُ بَنُو كَلِيبَ رَهْطُهُ أَوْ مَنْ يَكُونُ إِلَيْهِمْ يَتَخَوَّلُ (٩)

(١) الأحلام : جمع حلم الصبر والأناة أو العقل وضده الجهل والسفه . رزانة : وفارا .

(٢) تهلان : جبل عظيم بنجد . الهضبات : جمع هضبة الجبل الصغير . هل يخلحل : أى هل يزول ويحرك ؟ فكذلك عزنا .

(٣) حنظلة : هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر وأمه من ضبة . الأغر : المشهور بالعز والشرف . المم الخول : الكريم الأعمام والأخوال .

(٤) ذروة كل شئ : أعلاه . يعقل : يلجأ . أى يلجأ إليهما الناس عند الخوف

(٥) الحزون : ما غلظ من الأرض ، مفردة حزن . السهل : ماسهل ولان . إن نخره بهؤلاء . يسمو به

(٦) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين مسمى بذلك لأنه والى بين سبعة فوارس فى نأر أبيه

حصين . وابنه هو الحصين بن زيد . وأبو قيصه خوار بن عمرو منهم أيضا . والرئيس الأول لمحم بن صويط من سعد بن ضبة .

(٧) رهط الرجل : قومه الأدنون . دغفل : هو ابن حنظلة النسابة من وائل . وهو فاعل أوصى .

(٨) بنو ضبة . رهط الشاعر لأمه . الحسب : مفاتر الآباء .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . يتخول : من الخولة ، أى يدعيهم أخوالا . فهو فى هذه الأبيات

يفضل نفسه نسباً وحسباً على جرير .

- وَهُمْ عَلَى ابْنِ مُزَيْقِيَاءَ تَنَازَلُوا وَالخَيْلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا الْقَسَطُلُ (١)
- وَهُمُ الَّذِينَ عَلَى الْأَمِيلِ تَدَارَكُوا نَعْمًا يُسَلُّ إِلَى الرَّئِيسِ وَيُكَلُّ (٢)
- وَمُحَرَّقًا صَفَدُوا إِلَيْهِ يَمِينَهُ بِصِفَادٍ مَقْتَسِرٍ أَخُوهُ مُكَبَّلُ (٣)
- مَلِكَيْنِ يَوْمَ بُزَاخَةٍ قَتَلُوهُمَا وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْهِ مُكَلَّلُ (٤)
- وَهُمُ الَّذِينَ عَلَوْا عُمَارَةَ ضَرْبَةٍ فَوَهَاةَ فَوْقَ شُثُونِهِ لَا تُوصَلُ (٥)
- وَهُمْ إِذَا اقْتَسِمَ الْأَكَابِرُ رَدَّهُمْ وَافٍ لِضَبَّةٍ ، وَالرَّكَابُ تُسَلَّلُ (٦)
- جَارٌ إِذَا غَدَرَ اللَّئَامُ وَفَى بِهِ حَسْبُ وَدَعْوَةٍ مَا جِدَّ لَا يُجْدَلُ (٧)
- وَعِشْيَةِ الْجَمَلِ الْجَلَلِ ضَارِبُوا ضَرْبًا شُثُونُ فَرَاشِهِ تَنْزِيلُ (٨)

(١) ابن مزريقاء هو الحارث عمرو بن عامر قتله أحد بنى ضبة ، وابناء : محرق وزباد قتلها زيد الفوارس : تنازلوا : نزلوا في ساحة القتال فضاربوا . العجاجتان : مثني عجاجة : الدخان والغبار . القسطل : الغبار . والمقصود أن الغبار نثر بين الجيشين المتحاربين .

(٢) الأميل : رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين ؛ وهو كذلك اسم يوم لبني ضبة على بنى شيبان . وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني أغار على بنى ضبة ، فاستاق ألف بعير لما لك بن المتفق رئيس بنى ضبة ، فتداركت ضبة الخيل وردت النعم . يسئل : يطرد . يكمل : يرد ويحبس .

(٣) محرق : سبق ذكره . صفدوا : جمعوا ، أي أسروه ، واستوثقوا منه . الصفاد : القيد أو الحديد الذي قيد فيه . أخوه : صاحبه أي صاحب هذا الصفاد مقتسر ومقتصب .

(٤) بزاخة : وقعة لضبة على غسان . والمملكان محرق وزباد كما سبق . مكمل : معقود فوق رأسه .

(٥) عمارة بن زياد العبسي قتله شرحاف الضبي يوم أعيار . فوها : واسعة ذات قم واسع . الشثون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن ، ومن الشثون تجرى الدموع . لا توصل : لا تلتئم .

(٦) اقتسم الأكابر : أسروا وتوزعوا . والأكابر شيبان وعمار وجليحة من بنى نيم الله بن ثعلبة ، أجارهم بدر بن حراء الضبي ، فوفى لهم . تسلل : تطرد .

(٧) جار : يعني بدر بن حراء الضبي . المساجد جيرانه من بنى نيم الله الذين التجأ إليهم في إحدى السنين ، فوفوا له .

(٨) أوجل : وقعة أوجل مع السيدة عائشة وقتل من بنى ضبة كثير . الفراش : جمع فراشة كل رقيق من العظم أو الحديد . تنزِيل : تنفترق .

يَا بْنَ الْمَرَاغَةِ أَيْنَ خُلْتُ إِنِّي خَالِي حُبَيْشُ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ ^(١)
 خَالِي الَّذِي غَضَبَ الْمُلُوكَ تُفُوسَهُمْ وَإِلَيْهِ كَانَ جِبَاءُ جَفْنَةٍ يُنْقَلُ ^(٢)
 إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَأَبُوكَ خَلَفَ أَتَانَهُ يَتَقَمَّلُ ^(٣)
 وَشَغِلْتَ عَنْ حَسَبِ الْكِرَامِ وَمَا بَنَوْا إِنَّ اللَّئِيمَ عَنِ الْمَكَارِمِ يُشْغَلُ ^(٤)
 إِنَّ الَّتِي فُقِيتَ بِهَا أَبْصَارُكُمْ وَهِيَ الَّتِي دَمَغَتْ أَبَاكَ الْفَيْصَلُ ^(٥)

وقال يصف ذنباً صادفه في أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وَأُطْلِسَ عَسَالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا دَعَاؤُ بَنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي ^(٦)
 فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ : آدُنْ دُونَكَ ، إِنِّي وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمْشَتَرِكَانِ ^(٧)

(١) ابن المراغة : جرير . حبش : من ضبة أمر عمرو بن الحارث الفسائي ، فجرنا صيته ، واشترط عليه أن يبعث إليه كل سنة بجباء حتى يموت .

(٢) الجباء : العطية ، والمراد هنا الضريبة . جفنة من آباء الفساسة إليه ينسبون ، ويسمون آل جفنة ملوك الشام في الجاهلية .

(٣) الرأس : الرئيس . الأتان : الحمار . يتقمل : يكثر قله .

(٤) اللئيم : الدنيء الأصل والبخل .

(٥) دمغت : أى بلغت دماغه . الفَيْصَل : مقطع الحق فيما بيننا وبينكم . وهذه القصيدة كانت

تسمى الفَيْصَل .

(٦) الأطلس : أغبر اللون . عسال : مضطرب في مشيه . موهنا : نحو متصف الليل .

(٧) آدُنْ : اقرب . دونك : أمامك .

- فَيْتُ أَقْدُ الزَّادَ بِلَيْي وَيَلْنَهُ
عَلَى ضَمَوٍ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانٍ (١)
- فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكْشَرُ ضَاحِكًا ،
وَقَائِمٌ سَبْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانٍ : (٢)
- تَعَشَّ ، فَإِنِّ وَأَتَقْتَنِي لَا تُخَوِّنِي
نَكُنْ مِثْلَ مَنْ (يَاذُبُّ) يَصْطَحِبَانِ (٣)
- وَأَنْتَ أَمْرُوْ يَاذُبُّ وَالْغَدْرُ كُنْتُمَا
أُخْيَيْنِ كَأَنَّا أَرْضَعَا يِلْبَانِ (٤)
- وَلَوْ غَيْرَنَا نَبِهْتَ تَلْتِمِسُ الْقِرَى
أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَابَةٍ سِنَانٍ (٥)
- وَكُلُّ رَفِيقٍ كُلِّ رَحَلٍ — وَإِنْ هُمَا
تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمَاهُمَا — أَخَوَانِ (٦)
- فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللَّهُ نَفْسًا تَشْعَبَتْ
عَلَى أَثَرِ الْغَادِيْنَ كُلِّ مَكَانٍ (٧)
- فَأَصْبَحْتُ لَا أَدْرِى أَأَتَّبِعُ ظَاعِنًا
أَمْ الشُّوقُ مِنِّي لِلْمُقِيمِ دَعَانِي (٨)
- وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا تَوَلَّى بِشِيقَةٍ
مِنْ الْقَلْبِ فَالْعَيْنَانِ تَبْتَدِرَانِ (٩)

(١) أقد : أقطع .

(٢) تكشر : كشف عن أسنانه ، قائم السيف : مقبضه .

(٣) واتقتني : عاهدتني .

(٤) أخيان : أخوان قومهم .

(٥) شبابة سنان : طرف الرمح .

(٦) تعاطى القنا قوماهما : أى تحارب أهلها . أخوان : خبر كل .

(٧) تشعبت : توزعت فى كل مكان من الهموم . الغادون : المبتون يشرى الى بنيه المتوفين .

(٨) ظاعنا : راحلا الى القبر . المقيم : الباقي على قيد الحياة — يصف اضطراب نفسه بين

الحزن والحذب .

(٩) تولى بشيقة : أخذ ناحية من قلبه ، فشغلها . تبتدران الدمع : تدمعان .

(١٢) وقال جرير يرثي^(١) زوجه خالدة بنت سعد :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَا جَنِي أَسْتَعْبَارُ وَلُزْتُ قَبْرَكَ ، وَالْحَبِيبُ يُرَارُ^(٢)
 وَلَقَدْ نَظَرْتُ ، وَمَا تَمَتُّعُ نَظْرَةً فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْأَحْفَارُ^(٣)
 وَهَلَّتْ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ وَذَوُّو التَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكَ صِغَارُ^(٤)
 أَرَعَى النُّجُومَ ، وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةٌ عَصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهَا صُورُ^(٥)
 نِعَمَ الْقَرِينِ ، وَكُنْتُ عِلْقَ مَضْنَةٍ وَأَرَى بِنَعْفٍ بَلِيَّةَ الْأَجَارُ^(٦)
 عَمَرْتُ مُكْرَمَةَ الْمَسَاكِ ، وَفَارَقْتُ مَا مَسَّهَا صَافٍ وَلَا إِقْتَارُ^(٧)
 فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِرُقَّةٍ ضَا حَكِ هَزِيمُ أَجَشٍّ وَدَيْمَةٍ مِندَرَارُ^(٨)

(١) ينتسب أبو حذرة جرير بن عطية بن الخطفي الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك . وقد ولد باليمامة ونشأ في البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الخلفاء والولاة حتى اشتبك مع الفرزدق في التهاجي والسباب لعوامل سياسية واجتماعية . ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ٥١٠ هـ .

(٢) استعبار : حزن ودمع .

(٣) الأحفار : جمع حفرة البئر المتسعة ، وهو هنا القبر .

(٤) وهلت : حيرت من الحزن . كبرة : كبر وضعف . التمايم : جمع تيمة ، وهي العوذة تعلق على الصبي خوف الحسد .

(٥) أرعى النجوم : أراقبها . غورية : غائبة . عصب : جماعات . الصوار : القطيع من بقر الوحش .

(٦) القرين : الزوج والصديق أي أنت . العلق : النفيس أو الجراب . المضنة : ما يرضن به .

نعف بلية : مكان قبرها .

(٧) عمرت : عاشت . المساك : الإمساك . والمراد البقاء مع زوجها . الصلاف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء تكبرا . إقتار : بخل .

(٨) الصدى هنا : جثمان الميت . جدث : قبر ، برقة ضاحك : موضع . والبرقة في الأصل الأرض الغليظة . عزم سحاب راعد ، أجش : غليظ الصوت ، ديمة : مطر يدوم في سكون . مدرار :

- مُتَرَاكِمٌ زَجَلٌ يُضِيءُ وَمِضُّهُ (١)
 كَالْبُلْقَى تَحْتَ بَطُونِهَا الْأَمْهَارُ (١)
 كَانَتْ مَكْرَمَةُ الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ (٢)
 يَخْشَى غَوَائِلَ أُمَّ حَزْرَةَ جَارُ (٢)
 وَلَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتِ أَجْمَلِ مَنْظَرِ (٣)
 وَمَعَ الْجَمَالِ مَكِينَةً وَوَقَارُ (٣)
 وَالرِّيحُ طَيِّبَةٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا (٤)
 وَالْعِرْضُ لَا دَنْسَ وَلَا خَوَارُ (٤)
 وَإِذَا مَرِيتُ رَأَيْتُ نَارَكَ نَوَّرَتْ (٥)
 وَجْهَهَا أَغْرَ يَزِينُهُ الْإِسْفَارُ (٥)
 صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيَّرُوا (٦)
 وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ (٦)
 وَعَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكَ كُلِّهَا (٧)
 نَصَبَ الْجَجِيجِ مُلَبِّدِينَ وَغَارُوا (٧)
 يَا نَظْرَةً لَكَ يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةٌ (٨)
 مِنْ أُمَّ حَزْرَةَ بِالثَّمِيرَةِ دَارُ (٨)
 تُحْيِي الرِّوَامِسَ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ (٩)
 بَعْدَ الْيَلَى، وَثَمَّتْهُ الْأَمْطَارُ (٩)
 وَكَانَتْ مَتَرَةً لَهَا يُجْلَاجِلِ (١٠)
 وَحَى الزُّبُورِ مُجِدُّهُ الْأَحْبَارُ (١٠)

(١) زجل : رفع صوته . البلقى : جمع أبلق فرس في لونه سواد وبياض . أمهار : جمع مهر .

(٢) الغوائل : مفردة غائلة وهي الشر والفساد والداهية .

(٣) الوقار : الزناة .

(٤) خوار : مريب .

(٥) مريت : مرت ليلاً . أغر : حسن له غرة . الإسفار : كشف الوجه .

(٦) الأبرار : جمع بار الصالح أو كثير الإحسان .

(٧) نصب : جد وتعب . الججيج : جمع حاج . ملبدين : محرمين ومتخفين صفحا ليلبد شعرهم .

غاروا : نزلوا النور .

(٨) عبرة : دمة . الثميرة : جبل أو هضبة بين نجد والبصرة .

(٩) الروامس : الرياح الدوافع للآثار . الربيع : الدار . نجد : نجد .

(١٠) جلاجل : موضع أو جبل بالدهناء . الوحي : المكتوب أو الرسالة . الزبور : الكتاب ،

وغلب على مزامير دارد . الأحبار : جمع حبر : العالم الصالح والرئيس الديني .

لا تُكْثِرَنَّ إِذَا جَعَلْتَ تَلَوْنِي لَا يَذْهَبَنَّ بِحِمْلِكَ الْإِكْثَارُ (١)
كَانَ الْخَلِيطُ هُمَّ الْخَلِيطِ فَأَصْبَحُوا مُتَبَدِّلِينَ وَبِالدِّيارِ دِيَارُ (٢)
لَا يُلَبِثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ (٣)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته السالفة التي مطلعها

إن الذي سمك السماء :

لَمِنَ الدِّيارِ كَأَنَّهَا لَمْ تُحْلَلِ بَيْنَ الْكِاسِ وَبَيْنَ طَلْحِ الْأَعْزَلِ (٤)
وَلَقَدْ أَرَى بِكَ، وَالْجَدِيدُ إِلَى يَلَى، مَوْتَ الْهُوَى وَشِفَاءَ عَيْنِ الْمُجْتَلِ (٥)
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنِي مُغْزِلِ قَطَعْتَ حِبَالَتِهَا بِأَعْلَى يَلِيلِ (٦)
وَإِذَا التَّمَسْتَ نَوَاهَا بَخِلْتُ بِهِ وَإِذَا عَرَضْتَ بِوُدِّهَا لَمْ تَجْهَلِ
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ، وَالْمِطِيُّ خَوَاضِعُ، وَكَأَنَّكَ قَطَا فَلَاةٍ مَجْهَلِ (٧)

(١) الحلم : الصبر والأناة والعقل .

(٢) الخليط : الصحاب . متبدلين : متغيرين . وبالديار الخ مسافرين الى ديار أخرى .

(٣) لا يلبث ... لا يمهلهم حتى يفرقهم . القرناء : جمع قرين العشير أو المصاحب .

(٤) الكاس : موضع من بلاد غنى . طلح : شجر . الأعزل : واد لكليب . كأنها لم تحلل :
أي قد درست كأنها لم تكن مسكونة .

(٥) المجنى : الناظر، أي تجابك فكان الهوى مستترا، فلما تفرقنا ظهرت آثاره بسبب الفراق .

(٦) المنزل : ظبية ذات غزال . حباتها : مصيدها . يليل : موضع قرب وادي الصفراء
بين الحرمين .

(٧) خواضع : مجدة في السير . قطا : طير . فلاة : صحراء واسعة مجهل : مفازة لا يهتدى فيها .

- يَسْقِينَ بِالْأَدَمَى فِرَاحَ تَنُوفَةٍ زُغْبَا حَوَاجِبُهُنَّ حُمَرَ الْحَوَصِلِ (١)
- يَا أُمَّ نَاجِيَةٍ ! السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ! قَبْلَ الرُّوَاكِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعُدْلِ (٢)
- وَإِذَا غَدَوْتَ فَبَاكَرْتُكَ تَحِيَّةً مَبَقَّتْ سُرُوحَ الشَّاحِجَاتِ الْجُجْلِ (٣)
- لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ (٤)
- أَوْ كُنْتُ أَرْهَبُ وَشَكَّ بَيْنَ عَاجِلِ لَقِينْتُ أَوْ لَسَّالْتُ مَا لَمْ يُسَالِ (٥)
- أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سَمًّا نَاقِعًا فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ (٦)
- لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمًا وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ (٧)
- أَخْرَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ (٨)
- بَيْتًا يُحْمَمُ قَيْنُكُمْ بِقَيْنَانِهِ دَنَسًا مَقَامِدُهُ خَيْثَ الْمَدْخَلِ (٩)
- وَلَقَدْ بَنَيْتُ أَخْسَ بَيْتٍ يُبْتَنَى فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمْ يَمْنَى يَذْبُلُ (١٠)

(١) الأدمى : موضع . تنوفة : بركة لا ماء فيها ولا أنيس . زغبا : قليلة الريش . والزمب : أول ما يبدو من الشعر أو الريش .

(٢) الرواح : الذهاب عشية . وربما كان الأولى يا آل ناجية .

(٣) الشاحجات : الغربان تشجع في صباحها . الججل : تحجل في مشيها .

(٤) عهدكم : لقائكم .

(٥) وشك : قرب . فنتت بالقليل من الود دون الطمع ويعد الأمل الذي قضى عليه الفراق .

(٦) ناقعا : قاتلا (هجا مرا) .

(٧) الميسم : المكوى ، يريد الشعر . ضعا : تذلل . جدع الأنف : قطعه .

(٨) سمك : رفع . مجاشع : قوم الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل .

(٩) يحمم : يذخن فيه فيسوده . القين : الحداد ، يرى الفرزدق بأن قومه حدادون .

(١٠) يذبل : جبل مشهور بنجد يشبه به مجده .

- أَتَى بَنَى لِي فِي الْمَكَارِمِ أَوَّلِي
وَنَفَخْتَ كِيرَكَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ (١)
- أَعْيُنَكَ مَأْثَرَةُ الْقِيُونِ مُجَاشِعٍ
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ تَدَّعَى مِنْ نَهْشَلٍ (٢)
- وَأَمْدَحُ سَرَاةَ بَنِي فُقَيْمٍ إِنَّهُمْ
قَتَلُوا أَبَاكَ وَثَأْرُهُ لَمْ يُقْتَلِ (٣)
- وَدَعَ الْبَرَاجِمَ إِنْ شَرِبَكَ فِيهِمْ
مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعِمِ الْحَنْظَلِ (٤)
- إِنِّي أَنْصَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدُقُ مِنْ عَلٍ (٥)
- مِنْ بَعْدِ صَكَّتِي الْبَيْتَ كَأَنَّهُ
تَحْرَبُ تَنْفَجُ مِنْ حِذَارِ الْأَجْدَلِ (٦)
- وَلَقَدْ وَسَمْتُكَ يَا بَعِيثُ بِمِيسَمِي
وَضَعَا الْفَرَزْدُقُ تَحْتَ حَدِّ الْكَلْكَلِ (٧)
- أَتَى إِلَى جَبَلٍ تَمِيمٍ مَعْقِلِي
وَمَحَلُّ بَيْتِي فِي الْيَفَاعِ الْأَطْوَلِ (٨)
- أَحْلَامُنَا تَزِينُ الْجِبَالَ رِزَانَةً
وَيَفُوقُ جَاهِلُنَا فِعَالُ الْجُهْلِي (٩)
- فَارْجِعْ إِلَى حَكَمَى قُرَيْشٍ ؛ إِنَّهُمْ
أَهْلُ النَّبُوءَةِ وَالْكِتَابِ الْمُتَزَلِّ (١٠)

- (١) أَوَّلِي : آبَائِي . (٢) مَأْثَرَةٌ : مَكْرَمَةٌ ، أُنْجَى لَا تَخْرُكُ فِي مُجَاشِعٍ . تَدَّعَى : تَغَيَّبَ .
نَهْشَلٌ وَمُجَاشِعٌ : أَخْوَانٌ مِنْ تَمِيمٍ .
- (٣) سَرَاةٌ : جَمْعُ مَرِيٍّ وَهُوَ الشَّرِيفُ . بَنُو فُقَيْمٍ : مِنْ دَارِمٍ ، النَّارُ : الْقَاتِلُ ، وَكَانَ ذِكْرَانِ
الْفُقَيْمِيُّ سَبَبُ مَوْتِ أَبِي الْفَرَزْدُقِ ، وَقَدْ عَقَرَ بَعِيرِي أُمَّهُ وَأَخْتَهُ جَعَتْنِ فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ .
- (٤) الْبَرَاجِمُ : قَوْمٌ مِنْ أَوْلَادِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكٍ كَمَا سَبَقَ . الشَّرْبُ : هُنَا الْحِطُّ وَالنَّصِيبُ .
- (٥) عَلٍ : أَعْلَى .
- (٦) الصَّكُّ : الضَّرْبُ الشَّدِيدُ . الْخَرْبُ : ذِكْرُ الْخُبَارِيِّ طَائِرِ كَالْدِيكِ . تَنْفَجُ : تَفْشُ رِيْشَهُ
خَوْفًا . الْأَجْدَلُ : الصَّقْرُ .
- (٧) الْكَلْكَلُ : الصَّدْرُ . الْحَدُّ : الصَّلَابَةُ .
- (٨) الْمَعْقِلُ : الْمَلْجَأُ أَوِ الْجَبَلُ الْمَرْتَفِعُ ، وَالْمَرَادُ الشَّرْفُ . الْيَفَاعُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ .
- (٩) الْجَاهِلُ : السَّفِيْهُ .
- (١٠) حَكَمَى قُرَيْشٍ : هَاهُنَا وَعِيدُ مَنْافٍ .

- فَاسْأَلْ إِذَا خَرَجَ الْخِدَامُ وَأُحِشَتْ (١)
وَالْحَيْلُ تَحِطُّ بِالْكَمَاةِ ، وَقَدْ رَأَوْا
أَبْنَوْ طُهْيَةَ يَعْدِلُونَ فَوَارِسِي
وَإِذَا غَضِبْتُ رَمَى وَرَائِي بِالْحَصَى
عَمَّرُوا وَسَعَدُوا يَا فَرَزْدُقُ فِيهِمْ
كَانَ الْفَرَزْدُقُ إِذْ يَعُودُ بِخَالِهِ
وَأَخْفَرُ بِضَبَّةٍ إِنَّ أَمْلَكَ مِنْهُمْ
وَقَضَتْ لَنَا مُضَرٌّ عَلَيْكَ بِفَضْلِنَا
إِنْ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
أَبْلَغُ بَنَى وَقَبَانٌ أَنَّ حُلُومَهُمْ
- حَرْبٌ تُضَرَّمُ كَالْحَرِيقِ الْمُشْتَعِلِ (١)
لَمَعَ الرَّيْثَانِيَّةِ فِي النَّيَافِ الْعَيْطَلِ (٢)
وَبُنُو خَضَافٍ ، وَذَاكَ مَا لَمْ يُعَدَّلِ (٣)
أَبْنَاءُ جَنْدَلَتِي نَكِيرُ الْجَنْدَلِ (٤)
زُهْرُ النُّجُومِ وَبَازِيخَاتُ الْأَجْبَلِ (٥)
مِثْلُ الذَّلِيلِ يَعُودُ تَحْتَ الْقَرْمَلِ (٦)
لَيْسَ ابْنُ ضَبَّةٍ بِالْمُعَمِّ الْمُخَوَّلِ (٧)
وَقَضَتْ رَبِيعَةً بِالْقَضَاءِ الْقَيْصَلِ (٨)
عِزًّا عَلَاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مَتَقَلِّ (٩)
خَفَّتْ ، فَلَا يَزُونُ حَبَّةَ نَحْدَلِ (١٠)

- (١) الخدام : الفرسان المحجل ، يعني في الفارة . أحشيت : أوقدت . تضرم : تشتعل .
(٢) تحط : تصوت من الإعياء والتعب . الكماة : جمع كمي : المدجج بالسلاح . الريثة : طليعة الجيش . النياف : الطويل من الإبل . العيطل : الطويل العنق .
(٣) طهية : أم جماعة من تميم مجاشع ونهشل ودارم . خضاف : هم بنو مجاشع .
(٤) الحصى : العدد الكثير . جندلة : بنت تميم الأدرم ، وهي أم يربوع قوم جرير .
(٥) عمرو وسعد : حليفا عشيرة جرير . زهر النجوم : النايهون . بازخ : عظيم . الأجبل : جمع جبل ، والمراد عظام الرجال .
(٦) يعوذ : يحتسب . القرمل : شجر ضعيف بلا شوك ، ومنه المثل ذليل كاذب قرملة .
(٧) ضبة : من طابحة أخوال الفرزدق . المعم : الكريم الأعمام ، والنحول : كريم الأخوال .
(٨) ربيعة ومضر : شعبا عدنان العظيمان . القيصل : الفاصل بين الحق والباطل .
(٩) متقل : متحول وانتقال .
(١٠) وقبان : لقب مجاشع ، معناه الحق . حلوم : جمع حلم : الغفل والزناة .

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

- أَتَصْحَوْ ، أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ عِشْيَةٌ هُمْ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ ^(١)
تَقُولُ الْعَاذِلَاتُ : عَلَاكَ شَيْبٌ ! أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِرَاحِي ؟ ^(٢)
يُكَلِّفُنِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ ظِعَائِنَ يَحْتَزَعْنَ عَلَى رِمَاحِ ^(٣)
ظِعَائِنَ لَمْ يَدُبَّ مَعَ النَّصَارَى وَلَا يَدْرِيْنَ مَا سَمَّكَ الْقُرَاحِ ^(٤)
فَبَعْضُ الْمَاءِ مَاءُ رَبَابٍ مُزْنٍ وَبَعْضُ الْمَاءِ مِنْ سَبَخٍ مِلَاحِ ^(٥)
سَيَكْفِيكَ الْعَوَاذِلَ أَرْحَبِي هِجَانُ اللَّوْنِ كَالْفَرْدِ الْإِيَّاحِ ^(٦)
يَعِزُّ عَلَى الطَّرِيقِ يَمْنَعِيكَ كَمَا ابْتَرَكَ الْخَلِيعُ عَلَى الْقِدَاحِ ^(٧)

(١) تصحو : تترك الباطل . الرواح : الذهاب عشية . ويصح أن تكون أم بمعنى بل أى للإضراب .

(٢) المراح : الاختيال والتبخر .

(٣) الظعائن جمع طعينة : المرأة فى الهودج ، يجتزعن بقدود كالرماح .

(٤) القراح : قرية بين النهر ، وربما كانت للنصارى .

(٥) الرباب جمع ربابة : السحابة البيضاء . المزن البرد أو السحاب ذو الماء . السبخ مفردة صبخة : أرض ذات تروملح . ملاح : مألحة .

(٦) يكفيك : يكف عنك . أرحبى : جعل منسوب الى أرحب بطن من همدان . هجان : أبيض كريم . الفرد : الثور المفرد ، واللياح : الأبيض ، أى سأمترى من العواذل بهذا الجبل أركبه الى الخليفة .

(٧) يعز : يشند . ابتك : حنا للركب . الخليع : المقامر . القداح جمع قدح : سهم الميسر .

- تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ : رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي امْتِنَاحٍ ^(١)
تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاعِبَةٌ بَيْنَهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّمِّ الْقَرَّاحِ ^(٢)
سَأَمَتُحَ الْبَحُورَ بِخَنِينِي أَذَاةَ اللَّوْمِ وَانْتَظَرِي امْتِنَاحِي ^(٣)
ثِقِي يَا لِلَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالْجَاحِ
أَغْنِنِي — يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي — يَسِيبُ مِنْكَ ؛ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاحِ ^(٤)
فَلَأِي قَدْ رَأَيْتُ عَلَى حَقًّا زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَامْتِنَاحِي
سَأَشْكُرُكَ إِنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيْشِي وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي ^(٥)
أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ ^(٦)
وَقَوْمٍ قَدْ سَمَوْتَ لَهُمْ فِدَانُوَا بَدُهُمْ فِي مُلْكَمِيَّةٍ رَدَاحِ ^(٧)
أَجَبْتَ حِمِي تِهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ وَمَا شَيْءٌ حَمِيَّتَ يُسْتَبَاحِ ^(٨)

(١) أم حزره : زوج جرير . امتناح : عطاء .

(٢) تعلل : تشغل وتلهي . ساعبة : جائعة . الشيم : البارد من الماء . القراح الصافي .

(٣) امتناح الماء : استنقاه واستخرجه من البئر ، والمراد العطاء الذي يناله من عبد الملك بن مروان المشبه بالبحر عطاء .

(٤) السيب : العطاء . ذوارتيح أي الى الكرم .

(٥) القوادم جمع قادمة : الريش في مقدم الجناح وهي كبار الريش وضدها الخوافي . والمراد إن أمرزني .

(٦) المطايا : جمع مطية . الراح جمع راحة : بطن الكف .

(٧) سموت لهم : خرجت اليهم محاربا . دانوا : خضعوا . دهم : خيل سود ، الواحد أدهم .
المليلة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كنيبة ثقيلة .

(٨) أجبت : حالت . الحمى : ما يحميه الإنسان ويمنعه إشارة الى حروبه في بلاد العرب .

لَكُمْ شُمُ الْجِبَالِ مِنَ الرِّوَايِ وَأَعْظَمُ سَبِيلٍ مُعْتَلَجِ الْبَطَاحِ (١)
 دَعَوْتَ الْمَلْحِدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ جَمَاحًا هَلْ شُفِيتَ مِنَ الْجَمَلِ (٢)
 فَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرَزِيًّا أَلْفَ الْعَيْصِ لَيْسَ مِنَ النَّوَاحِ (٣)
 فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قُرَيْشٍ بَعَثَاتِ الْقُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِ (٤)
 رَأَى النَّاسُ الْبَصِيرَةَ فَاسْتَقَامُوا وَبَيَّنَّتِ الْمَرَاضُ مِنَ الصِّحَاحِ (٥)

(١٣) وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الرِّقْيَاتِ يَمْدَحُ

عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ :

لَمْ يَصْخُحْ هَذَا الْفَوَادُ مِنْ طَرِيهِ وَمِثْلِهِ فِي الْهَوَى وَفِي لَعِبِهِ (٧)
 أَهْلًا وَسَهْلًا بَيْنَ أَتَاكَ مِنَ الرَّقَى قَةِ يَسْرَى إِلَيْكَ فِي سُخْبِهِ (٨)

(١) شُمُ الْجِبَالِ : أعاليها . اعتلجت الأرض : طال نبتها ، والأمواج : النطمت . البطاح : جمع بطحاء . مسيل واسع فيه حصى دقيق . يشير إلى عظم سلطانه .

(٢) الملحد : المائل عن الدين الطاعن فيه . أبو خبيب عبد الله بن الزبير الخارج على بني أمية . جمَاحًا : نافرين . والاستفهام تقريرى .

(٣) هَبْرَزِيَّا : أسدا . والهبرزى : الأسوار من أساور الفرس . ألف : كثير ملفف . العيص : الشجر الكثير أو الأصل . النواحي : البعداء . والمعنى أنهم وجدوك ذا بأس كريم الأصل .

(٤) عِشَاتِ الْقُرُوعِ : ثياب أصول نبتها . ضواح : مات ظلها لعدم الورق .

(٥) البصيرة أيضا : العبد . والفطنة . وبينت : تبينت المراض جمع مريض : الباطل والمعوج ، ضده الصحيح .

(٦) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشي من شعراء الغزل والسياسة نشأ في قريش حريصا على سيادتهم نافعا على بني أمية اعتزازهم باليمن متصرا لابن الزبير ، حتى إذا قتل واستقر الحكم للأُمويين اطمان إليهم وكان أول أمره مطاردة من الخلفاء ينتقل مختفيا بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ولزم عبيد العزيز ابن مروان وإلى مصر إلى أن مات سنة ٧٥ هـ . وابن الرقيات سهل الشعر رقيق المعاني ولا سيما في الغزل والزنا . وقد يرجع ذلك إلى مزاجه الصافي وإلى الموضوعات التي يعالجها .

(٧) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فواده بالعشق والهيام

(٨) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربي بغداد وغيرها . السخب : جمع سخاب فلادة من

قرنفل وغيره . والخطاب في البيت لنفسه أو لفواده ملتفتا إليه . ومن أتاه من الرقة . هو طيف الحبيب .

- بَاتَتْ مُحَلْوَانِ تَبْتَفِيكَ كَمَا أَرْسَلَ أَهْلَ الْوَلِيدِ فِي طَلْبِهِ (١)
 فَذَلَمَا الْحُبَّ فَاشْتَفَيْتَ كَمَا تَشْفِي دِمَاءَ الْمُلُوكِ مِنْ كَلْبِهِ (٢)
 سَقِيَا لِحُلْوَانَ ذِي الْكُرُومِ وَمَا صُنَّفَ مِنْ تَيْسِهِ وَمِنْ عَيْنِهِ
 نَحْلُ مَوَاقِيرُ بِالْفِئَاءِ مِنَ الْ بَرْنِيِّ غُلْبٌ يَهْتَرُ فِي شَرْبِهِ (٣)
 أَسْوَدُ سُكَانِهِ الْحَمَامِ فَمَا تَتَفَكُّ غِرْبَانُهُ عَلَى رُطْبِهِ
 لَتَهْنِيهِ مِصْرُ وَالْعِرَاقُ وَمَا بِالشَّامِ مِنْ بَزْهِ وَمِنْ ذَهَبِهِ (٤)
 فِيهِمْ بَهَاءٌ إِذَا أَتَيْتُهُمْ وَنَائِلٌ لَا يَغِيضُ مِنْ حَلْبِهِ (٥)
 أَثْنِي عَلَى الطَّيِّبِ ابْنِ لَيْلٍ إِذَا أَثْنَيْتَ فِي دِينِهِ وَفِي حَسَبِهِ (٦)
 مِنْ يَصْدُقُ الْوَعْدَ وَالْقِتَالَ وَيَخُ شَى اللَّهَ فِي حُلْمِهِ وَفِي غَضَبِهِ (٧)
 وَمَنْ تُفِيضُ الْبُغْيَ يَدَاهُ وَمَنْ يَنْتَهَبُ الْحَمْدَ عِنْدَ مُنْتَهَاهِ (٨)
 أُمَّكَ بِيضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الْ بَيْتِ الَّذِي يُسْتَظَلُّ فِي طُنْبِهِ (٩)

- (١) حلوان مصر هي المرادة هنا . تبنتيك : تطلبك . الوليد : الصبي .
 (٢) الكلب : داء عضه الكلب يشفي بدماء الملوك في زعمهم .
 (٣) مواقير : جمع موفر . النخلة الثقيلة الحمل . البرني : التمر . غلب جمع غلباء : الحديقة المتكاثفة .
 الشرب حوض صغير حول النخلة يسع ربيها .
 (٤) تهني : تسره . البر : الثياب ؛ من الكنان والقطن .
 (٥) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيب : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج
 ما في الضرع . والمراد العطاء الدائم .
 (٦) ابن ليل : المددوح . الحسب : الشرف .
 (٧) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه . (٨) ينتهب الحمد : يسبق إليه .
 (٩) قبيلة عظيمة تنسب إلى نخطان أحيانا وإلى عدنان أخرى . الطنب : جبل يشتهر به مرادق البيت
 والمراد يحتمى به .

- وَأَنْتَ فِي الْجَوْهَرِ الْمَهْدَّبِ مِنْ عَبْدٍ مُنَافٍ، يَدَاكَ فِي سَبَبِهِ (١)
يَخْلُقُكَ الْيُضُّ مِنْ بَيْنِكَ كَمَا يُخَلِّفُ عَوْدُ النَّضَارِ فِي شُعْبِهِ (٢)
لَيْسُوا مِنَ الْخُرُوعِ الضَّعِيفِ كَمَا جَلَّتْ صُقُورُ الصُّلَيْبِ مِنْ حَدَبِهِ (٣)
نَحْنُ عَلَى بَيْعَةِ الرُّسُولِ وَمَا أُعْطِيَ مِنْ عُجْمِهِ وَمِنْ عَرَبِيهِ (٤)
بِهَا نُصِرْنَا عَلَى الْعُدُوِّ وَنَرْعَى الْغَيْبَ فِي نَأْيِهِ وَفِي قُرْبِهِ (٥)
نَأْتِي إِذَا مَا دَعَوْتَ فِي الْخَلْقِ إلَّا مَا ذِي أَبْدَانِهِ وَفِي جَبِيهِ (٦)
نُهِدِي رِعَالًا أَمَامَ أَرْعَنَ لَا يُعْرِفُ وَجْهَ الْبَلْقَاءِ فِي لَجِيهِ (٧)
فِيهِمْ كُرْبٌ يَقُودُ حَمِيرًا لَا يَعْدِلُ أَهْلُ الْقَضَاءِ عَنْ خُطْبِهِ (٨)
وَعَارِضٌ كَالْجِبَالِ مِنْ مُضَرٍّ إلَّا حَمْرَاءَ يَشْفِي ذَا الْعُرِّ مِنْ جَرِيهِ (٩)
وَابْنَا نِزَارٍ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لَمْ يَتْرُكَا هَارِبًا عَلَى هَرَبِهِ (١٠)

- (١) الجوهر : الطبيعة والجلبة . عبد مناف أصل بنى أمية . المناف : السبب : الخيل .
(٢) النضار : الأثل أو الطويل المستقيم الفصون . الشعب : الفصون .
(٣) الخروع : نبت معروف يعظم قرب المياه . الصايب : جبل . حدبه : أعلاه .
نظرت : أى ليسوا مستضعفين فيسنة ، لم قوى . بل هم كالجبل تنظر من قته الطيور .
(٤) ما أعطى : أى على العهد الذى عاهده جميع الناس عليه .
(٥) نرعى الغيب : نحفظ العهد .
(٦) الخلق : جمع خلقة وهى الدرع . الماضى : الدرع اللينة أو السلاح كله . الجيب جمع جبة : وهى من السنان ما دخل فيه الرمح .
(٧) رعال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر . الأرعن : الجيش الكثيف . البلقاء : بلد بالشام . والمراد أننا نجيب دعوتك لنا بجيش ضخم يساعدك .
(٨) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه .
(٩) العارض : الجيش . مضر الحمراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به . العرب : الحرب والمراد الزينج .
(١٠) ابنا نزار ربيعة ومضر .

وقال من قصيدة يمدح مصعب بن الزبير ويفتحز بقريش :
 حبذا العيش حين قومي جميع لم تفرق أمورها الأهواء
 قبل أن تطمع القبائل في مد لك قريش وتسمت الأعداء
 أيها المشتبهى فناء قريش بيد الله عمرها والفناء
 إن نودع من البلاد قريش لا يكن بعدهم لحي بقاء (١)
 لو تقف وتترك الناس كانوا غم الذئب غاب عنها الرعاء (٢)
 هل ترى من مخاد غير أن ال له يبقى وتذهب الأشياء
 يأمل الناس في غد رغب الده مرء ألا في غد يكون القضاء (٣)
 لم نزل آمينين بحسنا لنا س ويحري لنا بذلك الثراء (٤)
 فرضينا بقت يدائك غمنا لا تميم غيرك الأدواء
 لو بكت هذه السماء على قوم م كرام بكت علينا السماء

* * *

إنما مصعب شهاب من الل به تجلت عن وجهه الظلماء (٥)
 ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
 يبقى الله في الأمور وقد أف لمح من كان همه الاتقاء

* * *

عين فابكي على قريش وهل ير جع ما فات إن بكيت البكاء

(١) نودع : نهلك . البلا : النعم والوهن .

(٢) تقف : تذهب . الرعاء : جمع راع . يقول لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طامة الذئاب اذا تركها الرعاة .

(٣) رغب الدهر : رغبته . (٤) الثراء : الخير .

(٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت .

- مَعَشَرُ حَقْفُهُمْ سَيْوُفُ بَنِي الْعَدَا (١)
 تَلَاتِ يَنْحَشُونَ أَنْ يَضِيعَ اللَّوَاءُ (١)
 تَرَكَ الرَّأْسَ كَالثَّغَامَةِ مِنِّي (٢)
 نَجَاتٌ تَسِيرُ بِهَا الْأَنْبَاءُ (٢)
 مِثْلُ وَقْعِ الْقُدُومِ حَلًّا بَيْنَا فَالَنَدِ (٣)
 مَا سُمِّىَ أَصَابَنَا أَخْلَاءُ (٣)
 لَيْسَ لِلَّهِ حُرْمَةٌ مِثْلُ بَيْتِ (٤)
 نَحْنُ حُجَابُهُ عَلَيْهِ الْمُلَاءُ (٤)
 خَصَّهُ اللَّهُ بِالْكَرَامَةِ فَالْبَا (٥)
 دُونَ وَالْعَاكِفُونَ فِيهِ سَوَاءُ (٥)
 حَرَقْنَاهُ رِجَالَ لَحْمٍ وَعَكَّ (٦)
 وَجُذَامٌ وَحَمِيرٌ وَصُدَاءُ (٦)
 فَبَيْنَاهُ بَعْدَ مَا حَرَّقُوهُ (٧)
 فَاسْتَوَى السَّمَكُ وَاسْتَقَلَّ الْبِنَاءُ (٧)
 كَيْفَ نَوَمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا (٨)
 يَشْمَلُ الشَّامَ غَارَةً شَعَوَاءُ (٨)
 تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي (٩)
 عَنْ بُرَاهَا الْعَقِيلَةَ الْعَذْرَاءُ (٩)

- (١) الخنف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والأصل فهم بنو أمهات شتى من أب واحد .
 يقول : إن قريشا منقسمة على أنفسها في سبيل الملك ، فن هلك منها فييد بنينا .
- (٢) الثغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أى أشيب . تسرى : تسير ليلا .
- (٣) أخلاء جمع خلو : أى خال أى ليس عليهم وزر فإنا نحن فيه من شقاق .
- (٤) الحرمه : المهابة والذمة وما لا يحل انتهاكه . الملأ جمع ملاة : الريغة والثوب يلبس على الأنفاز .
- (٥) العاكف : المقيم في المسجد . البادى : من هو خارجه ، والمراد من في مكة وخارجها .
- (٦) لحم وجذام وصداء وحمير من اليمن وعك من نزار .
- (٧) السمك : السقف والقامة من كل شيء طويل مخين . استقل : ارتفع .
- (٨) غارة شعواء : حملة منفردة ، يقصد حرب الأمويين وكانت دمشق الشام حاضرتهم .
- (٩) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والفرط والخالخال ، المفرد برة . العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . العذراء : البكر . ولا تصغر البكر إلا وقت الهول والفرع .

أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمَيَّةَ مُزَوِّ
رًا، وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ (١)
إِنْ قَتَلْتُ بِالطَّفِّ قَدْ أَوْجَعْتَنِي
كَانَ مِنْكُمْ لَنْ قُتِلْتُمْ شَفَاءُ (٢)

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرَبِ
فَعَيْنُهُ بِالْذُمُوعِ تَشْكِبُ (٣)
كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتْهَا
لَا أُمٌّ دَارُهَا وَلَا صَقَبُ (٤)
وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَتْ إِلَيَّ، وَلَا
يَعْلَمُ بَنِي وَبَنَاتِهَا سَبَبُ (٥)
إِلَّا الَّذِي أَوْرَثَتْ كَثِيرَةً فِي آلِ
مَقَلَبٍ، وَلِلَّهِ سَوْرَةٌ عَجَبُ (٦)
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْقَوَانِي قَمَا
يُضَيِّحُنَ إِلَّا لَهْنٌ مُطَلَبُ (٧)
أَبْصَرَنَ شَيْبًا عَلَا الذُّوَابَةَ فِي الرَّ
أَسِ حَدِيثًا كَأَنَّهُ الْعَطَبُ (٨)
فَهِنَّ يُنْكِرْنَ مَا رَأَيْنَ، وَلَا
يُعْرِفُ لِي فِي لِدَائِي اللَّعِبُ (٩)
مَا ضَرَّهَا لَوْ غَدَا بِحَاجَتِنَا
غَادٍ كَرِيمٌ أَوْ زَائِرٌ جُنُبُ (١٠)

(١) مزور : مائل و كاره .

(٢) الطف : موضع قرب مكة دار فيه القتال بين بني أمية والزييريين . وترى في الآيات حذبه على

فريش عامة وكرهه بني أمية وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم .

(٣) كثيرة : امرأة آوت الشاعر بالكوفة حين أهدر الخليفة دمه . تشكب : تسيل .

(٤) نازح محلها : بعيد منزلها . أمم : قرية . صقب : مجاورة .

(٥) صبت : حنت . سبب : صلة .

(٦) سورة : حدة . (٧) مطلب : مطلب وحاجة .

(٨) الذوابة : الناصية : شعر مقدم الرأس . العطب : الهلاك .

(٩) ينكرن : يعين . لدائي : أقراني ، جمع لدة .

(١٠) غاد : مبكر . جنب : غريب أو صاحب سفر — يريد ما يضرها لو زدها .

لم يأت عن ريبية وأجشمه ألد حب فأمسى وقلبه وصب (١)
يا حبذا يثرب ولذتها من قبل أن يهلكوا ويحتربوا (٢)
وقبل أن يخرج الذين لهم فيها السناء العظيم والحسب (٣)
بغت عليهم بها عسيرتهم فعوجلوا بالجزاء واطلبوا (٤)

(١٤) قطري بن الفجاءة (٥)

قال في الحماسة :

لا يركن أحد إلى الإجمام يوم الوغى متخوفاً للجمام (٦)
فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني مرةً وأماي (٧)
حتى خضبت بما تحدر من دمي أكناف سرجي أو عنان لجامى (٨)

(١) ريبة : تهمة . أجشمه : كلفه النصب . وصب : مريض .

(٢) يثرب : المدينة . يحتربوا : يبحاربوا ، والضمير يعود على حزب ابن الزبير والذين حاربهم من الأمويين ، وكان الشاعر زبيرياً أكثر حياته .

(٣) السناء : الرفعة . الحسب : الشرف .

(٤) بغت : عدت . اطلبوا : أخذوا .

(٥) هو قطري بن الفجاءة المازني من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء ، قضى مدة طويلة في حروب مع الأمويين حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

(٦) الإجمام : التراجع . الوغى : الحرب . الجمام : الموت .

(٧) الدريئة : الحلقة يعلم الطعن والرمى عليها .

(٨) تحدر : سال . أكناف : جمع كنف : الخانب . العنان : سير اللجام .

ثم أَنصَرَفْتُ، وقد أَصَبْتُ ولم أَصِبْ جَذَعُ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإِقْدَامِ (١)
وقال :

أَقُولُ لَهَا وقد طَارَتْ شَعَاعًا من الأَبْطَالِ : وَيَحْكُ ! كُنْ تُرَاعِي (٢)
فإنَّكَ لو سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الأَجَلِ الذِي لَكَ لم تُطَاعِي (٣)
فَصَبْرًا في مَجَالِ المَوْتِ صَبْرًا فما نِيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ (٤)
ولا تُؤْبُ البَقَاءَ بِثُوبِ غَيْرِ فَيُطَوَى عَنْ أَخِي الخَنْعِ الِيرَاعِ (٥)
سَبِيلُ المَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ فدَاعِيهِ لِأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِ (٦)
وَمَنْ لَا يُعْتَبِطُ بِسَامٍ وَيَهْرَمُ وتُسَلِّمُهُ المُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ (٧)
وما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ في حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ (٨)

(١) جذع : شاب . البصيرة : العقل والنقطة والحجة . القارح من ذى الخافر : ماشق نابه وطلع ، والمراد القوى .

(٢) لها : لنفسه . طارت شعاعا : تبددت من الخوف . ويحك ! : رحمة لك منصوبة بإضمار فعل . تراعى : تفرعى .

(٣) الأجل : غاية العمر .

(٤) مجال الموت : ميدانه .

(٥) الخنع : اللين ، وبالضم النذل . اليراع : الجبان .

(٦) داعى الموت : سببه من فناء العمر .

(٧) يعتبط : يموت شابا . تسلم : تترك .

(٨) سقط المتاع : رديته .

(١٥) وقال عمران بن حطان^(١) أحد شعراء الخوارج يخاطب روح بن زنباع لمساعدته لمقاتلة عبد الملك بن مروان، فارتحل تاركاً له هذه الأبيات:

يا رَوْحُ كم مِن أخى مَثَوَى نزلتُ به	قد ظَن ظَنُّكَ مِن نَحْمِ وَغَسَّانٍ ^(٢)
حتى إذا خَفُّهُ فَارَقْتُ مَنزلَه	من بعدِ ما قِيلَ : عِمْرانُ بنِ حِطَّانٍ ! ^(٣)
قد كنتُ جاركَ حَولاً ما تُروِّعُنِي	فِيهِ رَوائِعُ مِن إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ ^(٤)
حتى أردتُ بِي العُظمى فَأَدركُنِي	ما أدركَ النَّاسَ من خَوْفِ ابنِ مَروانٍ ^(٥)
فاعذِرْ أخاكَ (ابنَ زِنْباع) فَإِنَّ لَهُ	في النَّائِبَاتِ خُطوباً ذاتَ ألوانٍ ^(٦)
يوماً يَمَانٍ إذا لَاقِيْتُ ذا يَمِينٍ	وإن لَقِيْتُ مَعَدِيّاً فَعَدْنانِي ^(٧)
لو كنتُ مُستَغفِراً يوماً لَطَاغِيَةٍ	كنتُ المَقْدَمَ في سِرِّي وإِعْلاَنِي ^(٨)
لَكُنْ أَبْتُ لِي آياتُ مُطَهَّرَةٍ	عندَ الولايةِ في طَه وعِمْرانٍ ^(٩)

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسي بالبصرة حيث تعلم وتأدب، وأصبح شاعراً مجيداً صادقاً في شعره ديناً ورعاً. ثم اعتنق مذهب الشيعة من الخوارج فطارده الحكام. وأخذ ينتقل بين العراق والشام وعمان متخفياً حتى مات بالكوفة سنة ٥٨٩. ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة.

(٢) المَثَوَى : منزل الضيافة. أخو : صاحب. ظن ظنك : رأى في رأيك من أنى رجل هين. نَحْمِ : لغسان من اليمن من كهلان.

(٣) أى من بعد ما عرفته حقيقتي تركته. (٤) تروعي : تفزعني.

(٥) العظمى : لقاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي. وكان حرباً على الخوارج.

(٦) الخطوب : جمع خطب، الأمر العظيم.

(٧) يمان : أى أنا يمان أنتسب إلى اليمن. وكان عمران أثناء هربه ينتسب لمن ينزل به بما يلائمه.

فهو عند ابن زنباع أزدي، وعند زفر بن الحارث أوزاعي. (٨) الطاغية : الجبار.

(٩) أبْتُ : منعتني الاستغفار لك. آيات جمع آية : كلام من القرآن منفصل بفواصل لفظية. الولاية : السياسة. طه وعمران : سورتان في القرآن. وكان الخوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال.

وقال يخاطب زُفر بن الحارث الكلابي ، وكان قد نزل به بعد روح بن زنباع
مُخفياً نسيبه ؛ فلما حاول زفر معرفته هرب وخلف له رُقعة فيها :

إِن الَّتِي أَصْبَحْتَ يَعبَا بِهَا زُفْرُ أَعَيْتَ عِباءَ عَلَى رُوحِ بْنِ زَنْبَاعٍ ^(١)
مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأُخْبِرَهُ وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَاعٍ ^(٢)
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي وَسَائِلُهُ كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُوَلِّعْ بِإِهْلَاعٍ ^(٣)
فَاكْفُفْ كَمَا كَفَّ عَنِّي إِتْنَى رَجُلٍ : إِمَا صَمِيمٌ ، وَإِمَا فَقْعَةُ الْقَاعِ ^(٤)
وَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَنْ لَوْمِي وَمَسْأَلَتِي مَاذَا تُرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لَأَوْزَاعٍ ! ^(٥)
أَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا كُلُّ امْرِئٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ سَاعٍ ^(٦)
أَكْرَمَ بِرُوحِ بْنِ زَنْبَاعٍ وَأُسْرَتِهِ قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمُ لِلْعُلَا دَاعٍ ^(٧)
جَاوَزْتُهُمْ سَنَةً فِيمَا أُسْرُ بِهِ عِرْضِي صَحِيحٌ وَتَوْمِي غَيْرُ تَهْجَاعٍ ^(٨)
فَاعْمَلْ ؛ فَإِنَّكَ مَنْعِي بِوَاحِدَةٍ حَسْبُ اللَّبِيبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعٍ ^(٩)

(١) يعبا بها : يعجز عنها . أعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته .

(٢) مخدوع : مصدق ما أقول . خداع : ما كرمحتال .

(٣) الوسائل جمع وسيلة : السبب . يولع بالشئ : يحبه ويتعلق به جدا . إهلاعى : إفراعى .

(٤) صميم : خالص النسب الى قومه . الفقعة : الكمأة البيضاء . لاعروق لها ولا أغصان . القاع :

أرض سهلة . فقعة القاع : لا أصل له .

(٥) الأوزاع : الجماعات . ووطن من همدان

(٦) يعنى به : يهتم به .

(٧) أوليهم جمع أول : أى آبائهم ، فهم أمجاد .

(٨) فيما أسره : من الأتس والكرم . تهجاع : نوم خفيف .

(٩) منعى : مخبر بوقايتك . حسب : يكفى . ناع : مخبر . هذا : فاعل . الشيب : بدل .

وقال يرثي أبا بلال مرداس بن أدية من الخوارج :

لقد زاد الحياة إلى بغضًا وحبًا للخروج أبو بلال (١)
أحاذر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت ذرا العوالى (٢)
ولو أننى علمت بأن حنفي تحتف أبي بلال لم أبال (٣)
فمن يك همه الدنيا فأنى لها والله رب البيت قالى (٤)

وقال فيه أيضا :

يا عين بكى لمرداس ومصرعه يارب مرداس آجعلني كمرداس (٥)
تركتني هائما أبكى لمرزتي في منزل موحش من بعد إيناس (٦)
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس (٧)

-
- (١) الخروج : الانضمام الى الخوارج في القتال .
(٢) ذرا : ظل . العوالى : جمع عالية ، أعلى القناة .
(٢) الحنف : الموت .
(٤) قال : كاره .
(٥) المصرع : الطرح على الأرض ، يقصد قتله .
(٦) هائما : حائرا . المرزنة : المصيبة العظيمة .
(٧) أنكرت النى : أبغضته لأنه تغير الى حال سيئة .

إِذَا شَرِبْتَ بِكَاسٍ دَارَ أَوْطَا . عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا جُرْعَةَ الْكَاسِ (١)
فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا شَارِبٌ عِجْلًا . مِنْهَا بِأَنْفَاسٍ . وَرَدٍ بَعْدَ أَنْفَاسٍ (٢)

(١٦) قَالَ الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ مِنَ الْخَوَارِجِ : (٣)

وَإِنِّي لَمُقْتَادُ جَوَادِي وَقَازِفُ . بِهِ وَيَتَقَسَّى الْعَامَ إِحْدَى الْمَقَازِفِ (٤)
لَا كَسِبَ مَالًا أَوْ أُؤُولَ إِلَى غِنَى . مِنَ اللَّهِ يَكْفِينِي عُدَاةَ الْخِلَافِ (٥)
فَيَأْرَبُ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ . عَلَى شَرْجَعٍ يُعَلَى بِخُضْرِ الْمَطَارِفِ (٦)
وَلَكِنْ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرِ مَقِيلِهِ . يَجُودُ السَّمَاءِ فِي نُسُورِ عَوَاكِفِ (٧)
وَأُمْسِي شَهِيدَا ثَاوِيَا فِي عِصَابَةٍ . يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ (٨)

(١) جرعة : بركة . إما مركبة من أنت الشرطية وما الزائدة ، واليت التالى دليل الجواب
أى فلا تحزن .

(٢) أنفاس : جمع نفس . الورد : الماء الذى يورد والمقصود الموت .

(٣) الطرماح بن حكيم الطائي شاعى النشأة يجيد الفخر والمدح ، ورد الكوفة فى جيوش الشام ،
وانصل بأحد الشراة من الخوارج ، فدعاه هذا الى مذهبه حتى اعتقده أشد اعتقاد وأصححه ومات خارجيا
سنة ٥١٠ هـ .

(٤) مقتاد : قائد . قاذف : رام . المقاذف : الأماكن البعيدة .

(٥) أؤول : أصير . عداة : جمع عاد وهو العدو . الخلائف : جمع خليفة . وكان خلفاء بني أمية
حربا على الخوارج .

(٦) حانت : قربت . الشرجع : المرير أو النعش . المطارف : جمع مطرف : رداء من خز مريع
ذو أعلام .

(٧) مقيله : موضع قبيلته . عكفت الطير حول القنيل : استدارت .

(٨) ثاويا : مقيا . العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . الفج : الطريق الواضح بين
جبلين . خائف : واق أو مخوف .

(١٧) قال الكُميت في بني هاشم : (١)

طَرِبْتُ وما شوقاً الى البيضِ أطربُ ولا لِعَبَا مَنى وذو الشَّيبِ يَلْعَبُ؟ (٢)
 ولم يُلْهِني دارٌ ولا رَسْمُ مَنْزِلٍ ولم يَتَطَرَّبْنِي بَنَاتُ مُخَضَّبٍ (٣)
 ولا أنا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطيرَ همُّهُ : أصاح غُرَابٍ أم تَعَرَّضُ ثَعْلَبِ (٤)
 ولا السانِحَاتُ البارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمْرٌ سَلِيمُ الْقَرْنِ أم مَرٌ أَعْضَبُ (٥)
 ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حَوَّاءَ، والخير يُطَلَّبُ (٦)
 إلى النَّفَرِ البيضِ الذين يُحِبُّهم إلى الله فيما نَالَنِي أَتَقَرَّبُ (٧)
 بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ ، فَإِنِّي يَوْمَ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأَغْضَبُ (٨)

(١) كان الكُميت بن زيد الأسدي شاعراً خطيباً نشأ في الكوفة وتأدب على علمائها وأخذ عن الأعراب وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولاة والهاشميين مدحهم وبنال جوائزهم . وقد لقي في سبيل مذهبه الشجى والعدواني بلاء كثيراً وتوفي سنة ١٢٦ هـ . وتلح في شعر الكُميت آثار الحفظ الكثير لأشعار سابقيه مع سبك حسن وإخلاص لرأيه حتى أثار الفتنة بين عدنان وقحطان وفتح للشبيعة طريقاً مناظرة خصومهم بالشعر كما ترى ذلك في هذه القصيدة التي تشرحها .

(٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء . اللعب : العبث .

(٣) رسم : أثر . يتطربني : يمحطني على الطرب .

(٤) الزجر : الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وأحواله على الحوادث المستقبلية .

(٥) السانحات جمع سانح : الطير يمر من اليسار إلى اليمين وهذا فال حسن عند العرب . البارحات :

عكس السانحات . الأعضب : المكسور القرن . يقول فما سبق : ليست تعينني هذه الأمور التي تشغل الناس والشعراء وإنما هي أهل الفضائل الخ .

(٦) النهي جمع نهي : العقل .

(٧) البيض : المشهورون من الأشراف .

(٨) الرهط : القوم والقبيلة .

خَفَضْتُ لَهُمْ مِنْ جَنَاحِي مَوَدَّةً (١)
وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَوْلَاءٍ وَهَوَلَا
وَأَرَمِي وَأَرَمِي بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا
فَمَا سَاءَ نِي قَوْلِ أَمْرِي ذِي عَدَاوَةٍ
قُلْتُ لِلَّذِي فِي ظِلِّ عَمِيَاءَ جَوْنَةٍ :
بَأَى كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ
تَرَى حُبِّي عَارًا عَلَى وَتَحْسَبُ ؟ (٥)

يُشِيرُونَ بِالْأَيْدِي إِلَى وَقُولُهُمْ :
فَطَائِفَةٌ قَدْ كَفَرْتَنِي بِحُبِّكُمْ
فَمَا سَاءَ نِي تَكْفِيرِ هَاتِيكَ مِنْهُمْ
يُعَيِّنُونِي مِنْ خِيْبِهِمْ وَضَلَالِهِمْ
وَقَالُوا : تُرَابِي هَوَاهُ وَرَأْيُهُ ،
عَلَى ذَاكَ إِجْرِي بَأَى ، فَيَكُمُ ضَرِيْبِي
أَلَا خَابَ هَذَا ، وَالْمَشِيرُونَ أَخِيْبُ
وَطَائِفَةٌ قَالُوا : مُسِيٌّ وَمُذْنِبُ
وَلَا عَيْبُ هَاتِيكَ الَّتِي هِيَ أَعْيَبُ
عَلَى حُبِّكُمْ بَلْ يَسْخَرُونَ وَأَعْجَبُ (٦)
بِذَلِكَ أَدْعَى فِيهِمْ وَأُلْقَبُ (٧)
وَلَوْ جَمَعُوا طَرًّا عَلَى وَأَجْلَبُوا (٨)

(١) الكنف : الجانب والظل . عطفاء : جانباء ، أى أهل لي مرحبون بي .

(٢) المحن : الترس وما يتق به . أقصب : أشتم .

(٣) العوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة . يجتديني : يطلب مني اتباعه .

(٤) عمياء : ضلالة . جونة : سوداء .

(٥) كتاب : قرآن . سنة : كلام الرسول ، والمراد بأى حق .

(٦) الخب : الخبث .

(٧) ترابي نسبة إلى علي بن أبي طالب الملقب بأبي تراب .

(٨) اجرى بآى : خلق . طيبتى : ستنى . ضريبتى : طيبتى . أجابوا : جمعوا الجوع أو توعدوا بالشر .

وَأَحْمَلُ أَحْقَادَ الْأَقَارِبِ فِيكُمْ وَيُنْصَبُ لِي فِي الْأَبْعَدِينَ فَأَنْصَبُ^(١)
يَحْتَأْتِكُمْ غَضَبًا تَجُوزُ أُمُورُهُمْ فَلَمْ أَرْ غَضَبًا مِثْلَهُ يُتَغَضَّبُ^(٢)
بِحَقِّكُمْ أَمْسَتْ قُرَيْشٌ تَقُودُنَا وَبِالْقَدِّ مِنْهَا وَالرَدِيفِينَ تَرَكْتُ^(٣)
إِذَا اتَّضَعُونَا كَارِهِينَ لِبَيْعَةٍ أَنَاخُوا لِأُخْرَى وَالْأَزِمَةَ تُجَنَّبُ^(٤)
رِدَافًا عَلَيْنَا لَمْ يُسِيمُوا رَعِيَّةً وَهُمْ أَنْ يَمْتَرُوهَا فَيَحْبُوبُوا^(٥)
لَيَنْتَجِوهَا فِتْنَةً بَعْدَ فِتْنَةٍ فَيَفْتَعِلُوا أَفْلَاءَهَا ثُمَّ يَرْكَبُوا^(٦)
أَقَارِبُنَا الْأَدْنَوْنَ مِنْكُمْ لِعَلَّةَ وَسَاسْتُنَا مِنْهُمْ ضِبَاعٌ وَأَذُوبٌ^(٧)
لَنَا قَائِدٌ مِنْهُمْ عَنِيفٌ وَسَائِقٌ يَقَحِّمُنَا تِلْكَ الْجَرَائِمَ مُتَعِبٌ^(٨)

(١) نصب له : عاداه وحاربه .

(٢) الخاتم : ما يحتم به الملك أو سواه . تجوز : تسير وتنفذ . يتغصب : يفترض . يقول : إنهم يحكمون الناس بحكم الذي استلبوه .

(٣) القد : الفرد وأول سهام الميسر . الرديفان : مثني رديف وهو كل ما تبع شيئاً أو الزاكب خلف الزاكب . والمعنى أنها تحكم مطمئنة وإن كانت دخيلة في الحكم بلا حق .

(٤) اتضعونا : حكمونا وأصله اتضع البعير خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب . أناخوا لأخرى : دبروا لمسألة أخرى . الأزمة : جمع زمام . والمعنى والأمر تسير .

(٥) ردافا : متابعين . يسيم الماشية : يخرجها إلى المرعى . يمتري الناقة : يمسح ضرعها للدر . والمعنى أنهم (بنو أمية) يحكمون الناس لينعموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية .

(٦) نتج الفرس : غنى بها حتى تضع . افلا : جمع فلو : الجحش أو المهر الصغير . افعل : اختلق . والمعنى أنهم يدبرون الفتن ليحكموا .

(٧) أذوب جمع ذئب .

(٨) يقحم الفرس راكبه : يرميه على وجهه . وقحه في الأمر : أدخله فيه من غير روية . الجرائم جمع جرثومة . وهي الأصل أو قرية النمل . منعب : صفة سائق (الخليفة) .

وقالوا : ورثناها أبانا وأمنّا ، وما ورثتهم ذاك أم ولا أب ! (١)
 يرون لهم حقاً على الناس واجباً سفاهاً ، وحق الهاشميين أوجب (٢)

(١٨) قال جميل بن معمر : (٣)

ألا ليت أيام الصفاء جديداً ودعراً تولى يا بُنَيَّ يعود
 فنغنى كما كنا نكون وأنتم صديق وإذ ما تبذلن زهيداً (٤)
 وما أنسى الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوى أمصر تريد (٥)
 ولا قولها : لولا العيون التي ترى أتيتك ، فاعذرني . قدتك جدوداً ! (٦)
 خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر ودعوى بما أخفي الغداة شهيداً (٧)
 ألا قد أرى والله أن رب عبدة إذا الدار شطت بيننا ستريداً (٨)

(١) ورثناها : أى الخلافة . (٢) سفاهاً : جهلاً وباطلاً .

(٣) يعد جميل بن عبد الله بن معمر العذري مثال الغزل البدوي العفيف ، نشأ في البادية وأحب ابنة عمه
 شينة ، وعرف بها ، وقال فيها شعراً كثيراً يدل على شعور صادق وحب عفيف ظاهر . وقد لقي في سبيل
 حبه العنت والتقى حتى لجأ الى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان حيث مات سنة ٨٨٢ م وشعره جميل حسن
 الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة ويعدّه النقاد في البادية نظير عمر بن أبي ربيعة في الحاضرة وكلاهما حجازي
 خضعا للمراجل متقاربة .

(٤) نغنى : تقيم . نكون : نوجد . ما تبذلن : أى ما تنيلين من الوصل .

(٥) م الأشياء : من الأشياء . النضو : المهزول من الحيوان : يريد ناقته . يقول مهما أنس من شيء
 قلت أنسى قولها لى وقد قربت ناقى أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الأب تدعوه بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبدة : الدفعة أو الحزن من غير بكاء . شطت : بعدت . أى سيكثر بكائى إذا افرقنا .

ستزيد خبر عبدة والجملة خبر أن المخففة .

إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بُنَيَّةُ قَاتِلِي
وَأَنْ قُلْتُ : رُدِّيْ بَعْضَ عَقْلِيْ أَعِشْ بِهِ
فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا
جَزَيْكَ الْجَوَازِي يَا بُنَيَّةَ مَلَامَةً
وَقُلْتُ لَهَا : بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَاعْلَمِي
وَقَدْ كَانَ حُكْمُ طَرِيفًا وَتَالِدًا
وَأَنْ عَرَوْضَ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَأَقْنَيْتُ عَيْشِي بِأَنْتَظَارِي نَوَالَهَا
مِنْ الْحُبِّ ! قَالَتْ : ثَابِتٌ وَيَزِيدُ ! (١)
مَعَ النَّاسِ ، قَالَتْ : ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
وَلَا حُبَّهَا فِيمَا يَبِيدُ وَيَبِيدُ (٢)
إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ وَهُوَ حَمِيدُ ! (٣)
مِنْ اللَّهِ مِيثَاقٌ لَهُ وَعَهْدُودُ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَارِيفٌ وَثَلِيدُ (٤)
وَأَنْ سَهْلَتَهُ بِالْمُنَى لَصَعُودُ (٥)
وَأَبْلَيْتُ ذَاكَ الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ



أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً
وَهَلْ أَهْبَطَنَّ أَرْضًا تَظَلُّ رِيَا حُهَا
بَوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا أَسْعِيدُ (٦)
لَهَا بِالثَّنَايَا الْقَاوِيَاتِ وَثِيدُ (٧)

- (١) أي إذا قلت لها إن الحب سيقبلكي قالت : إنه باق ، وسيزيد أيضا .
(٢) أي فلم أنل ما طلبت من بعض عقلى ولا الحب بغيرى لأستريح .
(٣) الجوازي : جمع جازية وهي المكافئة . يقول : إذا جوزى الأحبة بالثناء عليهم وقت الفراق فليس لك في نفسى إلا العتب واللوم والبيت في الأصل جملة دعائية .
(٤) الطريف : الجديد ، وضده التليد .
(٥) العروض : الطريق في عرض الجبل . صعود : مرتفع . والمعنى أن الوصل صعب المنال مهما تسهله بالوعود .
(٦) وادى القرى : بالجواز شمالى المدينة . ليت شعرى : أى ليتنى أعرف ، جواب هذا الاستفهام الملهو كور بعد . يتمنى المبيت بهذا الوادى حيث كان يقيم الأحبة .
(٧) الثنايا جمع ثنية : وهى طريق في الجبل أو الجبل نفسه . القاويات : الخاليات . ويئيد : صوت شديد . أى هل أحيانا ثانية في تلك الأرض الخالية التى تعزف فيها الرياح حيث كنت أعيش ناعما بالهوى العذرى .

- وهل ألقين سعدى من الدهر مرة
وقد تلتقي الأهواء من بعد ياسة
وهل أزجرن حرفاً علاة شملة
على ظهر مرهوب كأن نسوزه
سبتنى يعنى جؤذر وسط ررب
فمن يعط في الدنيا قرينا كمثليها
يموت الهوى متى إذا ما لقيتها
يقولون : جاهد يا جميل بغزوة
لكل حديث بينهن بشاشة
ومن كان في حبى بشينة يمتري
الم تعلمى يا أم ذى الودع أننى
وما رث من حبل الصفاء جديد (١)
وقد تطلب الحاجات وهى بعيد
بخرق تباريها سواهم سود (٢)
إذا جاز هلاك الطريق رقود (٣)
وصذر كفائور اللين وجيد (٤)
فذلك فى عيش الحياة رشيد (٥)
ويحيا إذا فارقتها قعود
وأى جهاد غيرهن أريد
وكل قيل بينهن شهيد (٦)
فبرقاء ذى ضال على شهيد (٧)
أضاحك ذكراكم وأنت صلود (٨)

(١) رث : يلى . ما مبتدا خبره جديد .

(٢) أزجر الناقة : أصبح بها لتسرع . الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة . العلاة : الناقة الطويلة . والشملة : السريعة . الخرق : الفقر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . تباريها : تسابقها . سواهم : جمع ساهمة وهى الناقة الضامرة .

(٣) مرهوب : طريق مخوف . نشوز جمع نشز : المكان المرتفع . رقود : نيام . هلاك الطريق : الذين ضلوه . رقود خبر كان . (٤) سبتنى : أسرتنى . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . الررب : القطيع من بقر الوحش . الفائور : الطست والجفنة . اللين : الفضة . الجيد : العنق وهو بالرفع على أنه مبتدا خبره (طا) محذوف .

(٥) القرين : الصاحب ، والزوج . رشيد : موفق . (٦) بشاشة : سرور وبهجة . (٧) يمتري ، يشك . البرقاء : أرض غليظة ذات حجارة ودرمل وطين أو كل شئ فيه سواد وبياض . وبرقاء ذى ضال إحدى برق بلاد العرب ، يتخذ من موافقه فيها شاهدا على حبه الشديد . (٨) ذو الودع : طفلها يعلق عليه الودع وقاية ، وهو محاذ صغير أبيض معروف . صلود : بخيلة .

(١٩) وقال عمر بن أبي ربيعة : (١)

- قال لي صاحبي ليعلم ما بي : أُتُحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتُ الرَّبَابِ؟ (٢)
 قلتُ : وجدى بها كوجدك بالعذ : ب إذا ما مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرَابِ (٣)
 مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بَأَنِّي ضِقْتُ ذُرْعًا بِهِجْرَهَا؟ وَالْكَتَابِ! (٤)
 أَزْهَقْتُ أَمْ نَوَفَلْتُ إِذْ دَعَّيْتُهَا مُهْجَتِي ، مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ (٥)
 حين قالت لها : أجيبي ! فقالت : مَنْ دَعَانِي؟ قالت : أَبُو الْخَطَّابِ (٦)
 فأجابت عند الدعاء كما لبَّ بِي رَجَالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ (٧)
 أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهْمَةِ تَهَادَى بَيْنَ نَحْمِيسَ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ (٨)

(١) ولد أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة القرشي بالمدينة في بيت ترف ومجد متأثرا بالطبيعة الحجازية الرقيقة وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز . فكان عمر غزلا زعيم الغزلين جميعا .
 يمتاز شعره بسلاسة الأسلوب والافتنان في الغزل ولا سيما نوعه القصصى الذى تناول به نساء الأشراف في مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك . وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ .

- (٢) القتل : القاتلة . الرباب : جمع ربابة : وهى السحابة البيضاء ، وبها سميت المرأة .
 (٣) كوجدك بالعذب الخ : أى كشوقك الى الماء العذب حين تعطش جدا .
 (٤) الثريا بنت على : إحدى صواحب الشاعر . ضقت ذرعا بهجرها : لا احتمله . والكتاب : آية قسم به .

- (٥) أزهدت : أهلكت . مهجتي : روحى . (٦) أبو الخطاب : كنية الشاعر .
 (٧) أى أجابت إجابة الحاج يبنى الجزاء الجميل .
 (٨) المهمة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشى متمايلة . الكواعب جمع كاعب : وهى الفتاة الناهدة الذى . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، فهو فى سنك .

- وهي مَكْنُونَةٌ تُخَيِّرُ مِنْهَا (١) فِي أَدِيمِ الْخَدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ (١)
 دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ صَوْرُوهَا فِي جَانِبِ الْمَحْرَابِ (٢)
 ثُمَّ قَالُوا : تُنَجِّهُهَا ؟ قُلْتُ بَهْرًا ! عَدَدَ النُّجُومِ وَالْحَصَى وَالْتُّرَابِ ! (٣)
 حِينَ سَبَّ الْقَتُولَ وَالْجَدِ مِنْهَا حُسْنُ لَوْنٍ يَرِفُّ كَالزَّرِيَابِ (٤)
 أَذْكَرْتَنِي مِنْ بَهْجَةِ الشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ مِنْ دُجْنَةٍ وَسَحَابِ (٥)
 فَأَرْجَحْتَنِي فِي حُسْنِ خَلْقِي عَمِيمٍ تَهَادَى فِي مَشْيِهَا كَالْحُبَابِ (٦)
 غَضَبْتَنِي بِمَجَاجَةِ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلُّوها مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي (٧)
 قَلَّدُوهَا مِنَ الْقَرَنْفُلِ وَالْدَرِّ رَسَخَابًا وَاهَا لَهَ مِنْ سِخَابِ (٨)

وقال :

- أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا بِيَطْنٍ حُلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقَعَا (٩)
 إِلَى الشَّرِيِّ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بَدَّلَتْ مَعَالِمُهُ وَبَلَا وَنَكَبَاءَ زَعْرَعَا (١٠)

- (١) مَكْنُونَةٌ : مصوِّنة مستورة : تخيِّر : اجتمع وتردَّد . أَدِيمُ الْخَدَيْنِ : بياضهما أو صفحتهما . ماءُ الشَّبَابِ : رونقه وبهجته . (٢) الدُمِيَّةُ : الصورة البدئية . الرَّاهِبُ : الملقط للعبادة . (٣) بَهْرًا : حبا قويا . (٤) زَرِيَابٌ : زادي حسنها ، وأظهر جمالا . يَرِفُّ : يلع . الزَّرِيَابُ : الذهب . (٥) الْبَهْجَةُ : الحسن . الدُّجْنَةُ : الغلظة . (٦) أَرْجَحْتَنِي : مالت واهتزت : عَمِيمٌ : تام . الْحَبَابُ : الحبة . تَهَادَى : تمايل . (٧) مَجَاجَةُ الْمِسْكِ : يتشرب منها أريج . (٨) السِّخَابُ : فلاة من قرنفل وغيره . الْقَرَنْفُلُ : نبات طيب الرائحة . وَاهَا لَهَ : عجزا من حسنه على جيدها . (٩) الْأَطْلَالُ جمع طلل : وهو الشاخص من آثار انه يار . الْمُتَرَبِّعُ : مكان إقامة الريح . بَطْنُ حُلِيَّاتٍ : موضع يظهر أنه قرب مكة . دَوَارِسُ جمع دارس : أي زائل . بَلْقَعَا : قفرا . دَوَارِسُ بَلْقَعَا : حالان من الأطلال والمتربيع . (١٠) الشَّرِيُّ : النخيل . الْمَغْمَسُ : موضع بطريق الطائف . مَعَالِمُهُ : معاهده جمع معلم . الْوَادِي : المطر الشديد . النَّكَبَاءُ : ريح انحرقت عن مهب الرياح . زَعْرَعَا : شديدة . بقول : تلك الأطلال بناحية هذا الوادي الذي بدلت بمعاله أقطار ورياح .

فِيخَلْنَ أَوْ يُخَيَّرْنَ بِالْعِلْمِ بَعْدَ مَا
يَهْنَدُ وَأَتْرَابَ لَهْنَدٍ إِذِ الْهَوَى
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مَزَاجُهُ
وَإِذْ لَا نَطِيعُ الْعَاذِلِينَ وَلَا نَرَى
تَنَوُّعَيْنَ حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ سَقَمُهُ
فَقُلْتُ لِمَطْرِيهِرٍ بِالْحُسَيْنِ : إِنَّمَا
وَأَشْرَيْتَ فَاسْتَشْرَى وَإِنْ كَانَ قَدْ صَحَا
وَهَيَّجَتْ قَلْبًا كَانَ قَدْ وَدَّعَ الصَّبَا
لَئِنْ كَانَ مَا حَدَّثْتَ حَقًّا فَمَا أَرَى
فَقَالَ : تَعَالَ أَنْظُرْ . فَقُلْتُ : وَكَيْفَ بِي
نَكَانَ قُوَادًا كَانَ قَدَمًا مُفَجَّعًا (١)
بَجِيعٍ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا (٢)
كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرِّحِيقَ الْمَشْعَشَعَا (٣)
لَوْاشَ لَدِينَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَطْمَعَا (٤)
وَحَتَّى تَذَكَّرْتُ الْحَدِيثَ الْمَوْدَّعَا (٥)
ضَرَرْتُ ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا ؟ (٦)
قُوَادُّ بِأَمْثَالِ الْمَهَا كَانَ مُوزَعَا (٧)
وَأَشْيَاعُهُ ، فَاشْفَعْ عَسَى أَنْ تُشَفِّعَا (٨)
كَمِثْلِ الْأُلَى أَطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعَا (٩)
أَخَافُ مُقَامَا أَنْ يَشِيعَ فَيَشْنَعَا ؟ (١٠)

(١) نكأ الجرح : قشره قبل برئه فندى . مفجعا : موجعا يهند وأترابها .

(٢) بجيع : مجتمع . يتصدع : ينفترق .

(٣) مزاجه : ما يمزج به . صفق : حول الشراب ممزوجا من إناء إلى آخر ليصفو . الرحيق : الخمر أو أفضاها . المشعشع : الممزوج . يقول : كنا ممتزجين امتزاج الماء بالخمر في الشدة والصفاء .

(٤) العاذلون جمع عاذل : وهو اللائم . الواشي : النمام . الصرم : القطيعة .

(٥) تنوعتن : تووصفن . أى أن كلا وصفت لصاحبتها ما تراه فيها من المحاسن . سقم القلب :

مرضه من الحب المودع : الماضى .

(٦) المطرى : المادح المبالغ . ضررت : باذكاه الغرام فى نفسى . النفع هنا : صلاته بهن .

(٧) أشريت قوادى : حركته إلى الهوى فتحرك . صحا : ترك الباطل . موزعا : مولعا .

(٨) الصبا : جهلة الفتوة . الأشياء : جمع شعبة بالكسر وهى الفرقة . تشفع : تقبل شفاعتك

فبصلتنى .

(٩) أربع نسوة : أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت جمالا .

(١٠) مقاما : إقامة معهن . يشيع : يضيح .

فَقَالَ : اكْتَفِلْ ، ثُمَّ التَّمْ ، فَأَتِ بَاغِيَا فَإِنِّي سَأُخْفِي الْعَيْنَ عَنْكَ فَلَا تُرَى
فَسَلِّمْ ، وَلَا تُكْثِرْ بَانَ تَتَوَزَعَا (١)
مَخَافَةَ أَنْ يَفْشُو الْحَدِيثُ فَيَسْمَعَا
لِمَوْعِدِهِ أَزْجِي قَعُودًا مُوَقَّعَا (٢)
وَجُوهُ زَهَاها الْحَسَنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا (٣)
وَقُلْنَ : امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا (٤)
يَقِيسُ ذِرَاعَا كُلَّمَا قَسَنَ إِصْبَعَا (٥)
أَخِيفَتْ عَلَيْنَا أَنْ نُفَرَّوْنُ مُتَحِدَمَا (٦)
إِلَيْكَ ، وَبَيْنَا لَهُ الشَّانَ أَجْمَعَا (٧)
عَلَى مَلَأَ مِنَّا خَرَجَنَا لَهُ مَعَا (٨)

(١) اكنفل : استتر بالكفل وهو في الأصل كساء يدار حول سنام البعير . التَّمْ : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تتوزع : تتحشم .

(٢) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق . القعود من الإبل : ما يفتعده الراعي في كل حاجة . الموقع : الذي ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .

(٣) تواقفنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقنع : عن أن تلبس القناع فأفسدت معجبة بجمالها .

(٤) تبالهن : ادعين البله ، وهو الففلة . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أعيأ وتعب . أوضع : حل ناقته على السير السريع .

(٥) المنيم : الذي دلهه الحب .

(٦) تنازعنا : تبادلنا .

(٧) الشان أجمعا : الأمر جميعه أى رسمنا له الخطة

(٨) الوفى : المطابقة . الملاء : الجماعة .

رَأَيْنَا خَلَاءَ مِنْ عُيُونٍ وَجُلُوسًا
وَقُلْنَ : كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كَرَامِ
دَمِيتُ الرُّبَا سَهْلَ الْحَلَّةِ مُمْرِعًا (١)
فُحِّقْ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَمْتَعًا

وقال :

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً
زَعَمُوهَا سَأَلْتُ جَارَتَهَا ،
أَكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرُنِي ؟
فَتَضَاحَكْنَ ، وَقَدْ قُلْنَ لَهَا :
حَسَدًا حُمْلَنَهُ مِنْ شَأْنِهَا
وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَحْجِدُ (٢)
إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِيدُ
وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ : (٣)
عَمْرُكُنَّ اللَّهُ ! أَمْ لَا يَقْصِدُ ! (٤)
حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ ! (٥)
وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

(١) الدميث : اللبن ذو الرمل . الربا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . مريع :
مخضب .

(٢) أنجزتنا ما تعد : وف بوعدها . مما نوجد : أى من الوجد .

(٣) تبترد : قصب الماء البارد على رأسها .

(٤) ينعتنى : يصفنى . عمركن الله : أى أذكركن الله . يقصد : يعنل ، فلا يبالغ .

(٥) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

- غَادَةً تَفْتَرُ عَنْ أَشْنَبِهَا حِينَ تَجْلُوهُ أَقَاحُ أَوْ بَرْدُ (١)
وَلَهَا عَيْنَانِ فِي طَرْفَيْهِمَا حَوْرٌ مِنْهَا، وَفِي الْجِيدِ غَيْدُ (٢)
قُلْتُ : مَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا مِنْ شَفَةِ الْوَجْدِ، وَأَبْلَاهُ الْكَدُ (٣)
نَحْنُ أَهْلُ الْخَلِيفِ مِنْ أَهْلِ مَنَى مَا لِمَقْتُولٍ قَتْلَانُهُ قَوْدُ (٤)
قُلْتُ : أَهْلًا ! أَتُمْ بُغَيْتُنَا ، فَتَسْمَيْنَ ! فَقَالَتْ : أَنَا هِنْدُ ! (٥)
إِنَّمَا ضَلَّ قَلْبِي فَأَحْتَوَى صَعْدَةً فِي سَابِرِي تَطْرِدُ (٦)
إِنَّمَا أَهْلُكَ جِيرَانُ لَنَا إِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ أَحَدُ (٧)
حَدَّثُونَا أَنَّهَا لِي نَفَثَتْ عُقْدًا، يَا حَبْدًا تِلْكَ الْعُقْدُ ! (٨)
كُنَّا قُلْتُ : مَتَى مِيعَادُنَا ؟ ضَحِكْتَ هِنْدُ، وَقَالَتْ : بَعْدَ غَدِ !

(١) الغادة : المرأة اللينة . تفتّر : تظهر . الأشنب : الفم في أسنانه ماء ورقة وعذوبة . تجلوه : تكشفه . الأقاح : جمع أخوان وهو البابونج البري من نبات الربيع له نوراً أبيض . البرد : ماء الغمام يسقط جامداً .

(٢) الحور : شدة سواد العين مع شدة بياضها . الجيد : العنق . غيد : نعومة .

(٣) شفه الوجد : أهزله الحب . الكد : الحزن الشديد .

(٤) الخليف : ناحية من منى عند مكة . القود : القصاص .

(٥) بغيتنا : مطلبنا .

(٦) ضال : صار ضالاً لا يهتدى . احتوى : اشتمل . الصعدة : القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج

إلى متقف ، شبه بها محبوبته في اعتدال قدها . السابري : الثوب الرقيق الجيد . تطرد : تمشي مستقيمة .

(٧) شىء . أحد : أى شىء واحد .

(٨) نفثت عقداً : سحرتنى ، والنفث : النفع ، والعقد تكون من خيوط وينفث فيها قصد

السحر .

(٢٠) قال كثير عزة (١) :

خَلِيلِي هَذَا رُبُّ عَزَّةٍ فَاعْقِلَا قَلُوصِيكُمَا اِبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتْ (٢)
وَمَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْهُوَى وَلَا مُوجِعَاتِ الْحَزَنِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ
فَقَدْ حَلَقْتُ جَهْدًا بِمَا نَحَرْتُ لَهُ قُرَيْشٌ غَدَاةَ الْمَازِمِينَ وَصَلَّتْ (٣)
أُنَادِيكَ مَا جِجَ الْجَمِيجُ وَكَبَّرْتُ يَفِيفًا غَزَالَ رُقْفَةٍ وَأَهَلَّتْ (٤)
وَكَانَتْ بَقِيعَ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا تَكَادِرَةٌ نَذْرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ (٥)

(١) لم يكن لكثير بن عبد الرحمن من المكانة في الشرف والشعر الغزلي ما كان للجميل أو عمر أو سواهما من الغزلين ؛ فقد كان فيما يظهر دعيا في الحب غير مرغوب فيه لقبح صورته وهوان شخصيته فوق ثقافته السيانية وتردده بين الشيعة وبني أمية ، أخذ يشهر بعزة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها وكانت وفاته سنة ٥١٠ هـ . وما بقي من شعر كثير يدل على أسلوب جيد وصنعة حسنة وإن كان لا يبلغ في صدق الشعور مبلغ أضرابه الغزلين .

(٢) الربع : الدار . عقل البعير : شد وظيفه الى ذراعه (فيده) . القلوص : الناقة الشابة والطويلة . القوائم . يدعو صاحبيه المزعومين الى المكث عند ربيع صاحبه والبكاء عنده وقاء لها .
(٣) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالغت في اليمين . نحرت : ذبحت الضحايا . المأزم ، ويقال المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة وآخرين مكة ومنى . والمعنى أقسمت بالله لتقطعني .
(٤) أناديك : أجالسك من النادي والندى وهما المجلس كما في الأمالى . الجميج : جمع حليج وهو قاصد مكة للنسك . فيفاء الغزال : مكان بمكة لا ماء فيه . الرفقة : مثلثة الزاء : الأصحاب . أهلت : رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء .

(٥) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدته ولم تقدر . حلت : خرجت من عهده لما أوفته .

- فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَمْرُ كُلُّ مُصِيبَةٍ
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُبِّ مِيعَةً
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ
صَفْوَحًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْالَةٍ
أَبَاحَتْ حِمِّي لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا
فَلَيْتَ قَلْبِي عِنْدَ عَزَّةٍ قُيِّدَتْ
وَعُودِرَ فِي الْحَيِّ الْمَقِيمِينَ رَحْلَهَا
وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ
وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلَعِ لَمَّا تَحَامَلْتُ
- إِذَا وَطَنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ (١)
تَعَصِمُ وَلَا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ (٢)
مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعَصَمُ زَلَّتْ (٣)
فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ (٤)
وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ (٥)
بِحَبْلِ ضَعِيفٍ عُرِّ مِنْهَا فَضَلَّتْ (٦)
وَكَانَ لَهَا بَاغٌ سِوَايَ فَبَلَّتْ (٧)
وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ (٨)
عَلَى ظَلْعِهَا بِعَسَدِ الْعِتَارِ اسْتَقَلَّتْ (٩)

(١) وطنت : مهدت وأعدت . ذلت : سهلت ولانت .

(٢) الميعة : الشدة وأول الشيء وأصله . الغماء : الكرب تجلت : انكشفت وزالت .

(٣) الصم : جمع أصم : الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . زلت : زلقت . بقول : لما أمرضت عني لا تجيب ندائي كأي أدعو صخرة صلبة عظيمة ملساء لا تستقر عليها الوعول .

(٤) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بخيلة بالوصل : لا تبذله .

(٥) الحى : ما يحيى ويدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذى احتلته . برعاه الناس بدخلون إلى . التلاع : جمع تلعة وهى الأرض المرتفعة أو المنخفضة ، ويريد أنها ملكت عليه نفسه بالحلب حين لم يستطع ذلك سواها

(٦) عر منها : قطع .

(٧) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها كالسرج . باغ : طالب . بلت : نجت وذهبت .

(٨) رمى فيها الزمان : أصابها بالتلف . شلت : قطعت أو دبست

(٩) الظلع : العيب والغمز فى المشى . تحاملت على ظلعها : تكلفت الناقة السير على رجليها . استقلت :

استقام مشيا . حتى لو أتيح له ما يعطل سفره فيبقى مع عزة .

- أُرِيدُ النِّوَاءَ عِنْدَهَا ، وَأُظْهِرُهَا إِذَا مَا أَطْلُنَا عِنْدَهَا الْمَكْثَ مَلَّتْ (١)
- فَمَا أَنْصَفْتُ : أَمَا النِّسَاءَ فَبَغَّضْتُ إِلَى ، وَأَتَمَّا بِالنِّوَالِ فَضَنَنْتُ (٢)
- فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَاهْلًا وَمَرْحَبًا ! وَحَقَّتْ لَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّتْ (٣)
- وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنَّ وِرَاءَنَا مَنَادِحَ لَوْ سَارَتْ بِهَا الْعَيْسُ كَلَّتْ (٤)
- خَلِيلِي ابْنُ الْحَاجِجَةِ طَلَّحَتْ قَلُوصِيكَا وَنَاقِي قَدْ أَكَلَتْ (٥)
- فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ مَا حَلَّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ
- وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كَيَوْمِهَا وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّتْ
- وَأَضْحَتْ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فُؤَادِهِ فَلَا الْقَلْبَ يَسْلَاهَا وَلَا الْعَيْنُ مَلَّتْ (٦)
- فَيَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَّئَتْ كَيْفَ ذَلَّتْ (٧)
- وَأِنِّي وَتَهْيَامِي بِعِزَّةٍ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ (٨)
- لَكَ لِمَرْتَجِي ظِلُّ الْغَمَامَةِ كَلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْقَيْلِ اضْمَحَلَّتْ (٩)

(١) النِّوَاءُ : الإقامة . (٢) ضننت : بخلت .

(٣) العُتْبَى : الإعتاب ، يقال عَاتَبَنِي فَلَانُ فَأَعْتَبْتُهُ إِذَا نَزَعْتَ عَمَّا عَاتَبَنِي عَلَيْهِ . أَيْ إِذَا عَدَلْتَ عَنِ الْقَطِيعَةِ وَالصَّدِّ سِرْرًا وَأَعْتَبْنَاهَا كَذَلِكَ . قُلْتُ : أَيْ هِيَ شَيْءٌ قَلِيلٌ مُحْتَمَلٌ .

(٤) الْأُخْرَى : يَقْصِدُ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجَرَ . الْمَنَادِحُ : الْوَاسِعَةُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْأَرْضِ . الْعَيْسُ : الْإِبِلُ الْبَيْضُ يَخَالِطُ بَيَاضَهَا شَقْرَةَ . كَلَّتْ : أَعْيَتْ مِنَ السَّيْرِ .

(٥) طَلَّحَتْ : أَكَلَتْ وَأَتَعَبَتْ . وَالْحَاجِجَةُ : لَعْلُهُ لَقَبُ عِزَّةٍ .

(٦) الشَاهِقُ : الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَبْنِيَةِ وَغَيْرِهَا .

(٧) اعْتَرَفَهُ : صَبَرَهُ . يَرِيدُ قُوَّةَ صَبْرِهِ عَلَى أَهْوَالِ الْحُبِّ . وَخُضُوعَ نَفْسِهِ لَوِيْلَاتِهِ .

(٨) التَّهْيَامُ : كَالْجَنُونِ مِنَ الْعَشْقِ . تَخَلَّى مِنَ الشَّيْءِ : تَرَكَهُ .

(٩) الْغَمَامَةُ : السَّحَابَةُ أَوِ الْبَيْضَاءُ خَاصَّةً . تَبَوَّأَ الْمَكَانَ : نَزَلَ فِيهِ . الْمَقِيلُ : النَّوْمُ نِصْفَ النَّهَارِ . اضْمَحَلَّتْ : انْقَشَعَتْ . يُشَبَّهُ تَعَلُّقَهُ بِعِزَّةٍ بَعْدَ الْقَطِيعَةِ بِاللَّاجِئِ إِلَى ظِلِّ سَحَابَةٍ ، وَوَجْهَ الشَّيْءِ الطَّمْعِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ .

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُجْحَلٍ رَجَاها فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ (١)
فَإِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ : فِيمَ هَجَرْتَهَا فَقُلْ : نَفْسٌ حَرَّسُلَيْتَ قَتَسَلَتْ !

(ج) النثر

(١) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب الى هرقل ملك الروم :

من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .
أما بعد فأني أدعوك بدعاية الإسلام ، أَسْلِمْتُ تَسْلِمَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ . فَإِنْ
تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ (٢) . وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .

وَكُتِبَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ : (٣)

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، هَذَا مَا صَالِحٌ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَاصْطَلَحَا عَلَى
وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَأْمَنُ فِيهِمُ النَّاسُ وَيَكُفُّ عَنْ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ
عَلَى أَنَّ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّةٍ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِنْ مَعِ

(١) المحل : المجذب بعوزه المطر . جاوزته : بعدت عنه . استهلت : أمطرت .

(٢) الأريسيون : الفلاحون والعمال لأنهم تبع لساداتهم وكبرائهم .

(٣) الحديبية : قرية صغيرة بينها وبين مكة مرحلة نزل بها النبي عليه السلام سنة ست للهجرة فاصدا
مكة لزيارة الكعبة معتمرا فأرادت قريش منه الدخول بخافة العار وبعد تراسل بينهما تصالحا على ما في هذه
الصحيفة .

محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبةً مكفوفةً^(١) ، وأنه لا إسلال ولا إغللال^(٢) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، وإن معك سلاح الرّاكب والسيوف في الركب ؛ فلا تدخلها بغير هذا .

خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صدق الله وعده ، ونصر عبده وهزم
الأحزاب وحده ، أَلَا كُلُّ مَأْتِرَةٍ أَوْ دِمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَىٰ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ^(٤) ،
إلا سدانة البيت وسقاية الحاج^(٥) ، ألا وقيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه الدية
مغلظة فيها أربعون خلفه^(٦) ، في بطونها أولادها . يا معشر قريش إن الله قد أذهب
عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم خلق من تراب . ثم تلا
هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

(١) العيبة : موضع السر أو الخريطة للابس والمراد الأمن .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية والرشوة . الإغللال : الخيانة .

(٣) ما وعدهم به من فتح مكة وهزيمة الأحزاب أعدائه .

(٤) المأتره : الجليل . الدم : القتل .

(٥) سدانة الكعبة : خدمتها . سقاية الحاج وسدانة الكعبة : كانا من عمل الهاشميين منذ الجاهلية .

(٦) الخلفة : الناقة الحامل . (٧) نخوة الجاهلية : أجهالها وسفها .

يا معشر قريش ! ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء^(١) .

ومن خطبته في حجة الوداع^(٢)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم
عباد الله بتقوى الله ، وأحسبكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير^(٣) «أما بعد» أيها
الناس اسمعوا مني أيين لكم ، فإني لا أدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا ، في موقي
هذا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم^(٤) إلى أن تلقوا ربكم ، تحريم يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده
أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن ربا الجاهلية موضوع^(٥) ، وإن أول ربا أبداً به
ربا عمى العباس بن عبد المطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم
أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة

(١) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الرجل الذي يؤسره ثم يخلي عنه .

(٢) آخر حجة له .

(٣) حرام سفك الدماء وأغصاب الأموال .

(٤) موضوع : ساقط لا حساب عليه .

غير السّدانة والسّقاية . والعمدُ قودٌ^(١)، وشبهُ العمد ما قُتِلَ بالعصا والحجر، وفيه مائةٌ بعيرٌ، فمن زاد فهو من أهل الجاهليّة . أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبدَ في أرضكم هذه؛ ولكنه قد رضى أن يطاعَ فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقًا . ولكم عليهن حق . لكم عليهن ألا يوطئنَ فرشكم غيركم ، ولا يدخلنَ أحدًا تَكَرُّهُنَّ بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ ؛ فإن فعلنَ فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن^(٢) وتهجروهنَّ في المضاجع وتضربوهنَّ ضربًا غير مبرح^(٣) ؛ فإن اتهمين وأطعنكم فعليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف ؛ فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهنَّ خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ؛ فلا يحلُّ لامرئٍ مأل أخيه إلا عن طيب نفسٍ منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فلا ترجعنَّ بعدى كفارا يضربُ بعضكم رقابَ بعض ؛ فإنى قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تضلُّوا بعده : كتاب الله . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! قالوا : نعم ! قال فليبلغنَّ الشاهدُ الغائب . والسلام عليكم ورحمة الله !

(١) القود : القصاص . والمراد بالعمد : القتل عمدا .

(٢) العضل : التضيق .

(٣) الضرب المبرح : الشديد الأذى .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إِنْ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا ^(١) طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قِيلَتِ الْمَاءُ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ ^(٢) أَمْسَكَتِ الْمَاءُ ، فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ ^(٣) مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْحَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا ؛ فَذَلِكَ مَثَلٌ مِنْ فِقْهِ فِي دِينِ ^(٤) اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعِلِمٌ وَعِلْمٌ ، وَمَثَلٌ مِنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسَلْتُ بِهِ .

إِنَّمَا مَثَلِي وَمِثْلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ ^(٥) وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ تَقَعُ فِيهَا ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبُهُنَّ فَيَقْتَحِمُهُنَّ فِيهَا ؛ فَأَنَا آخِذٌ بِمُحْجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا ^(٦) .
أَذَّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَنْتَمَكْ ؛ وَلَا تَخُنْ مِنْ خَانَكَ .

إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) بِعِقَابٍ .

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ ^(٨) تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى .

- (١) أجادب : قيل جمع أجذب ، جمع جذب : القفر الصماء . (٢) القَيْحَانُ جمع قاع : أرض مهلهة مطمئنة انفسرحت عنها الجبال . (٣) ذلك إشارة إلى المثل الأول : الطائفة الطيبة . (٤) إشارة إلى المثل الأخير . (٥) استوقد : أشعل . (٦) اقتحم في الشيء : دخل فيه من غير روية . (٧) الحجز : جمع حجرة : معقد الأزار . (٨) يدل هذا الحديث على قيمة التناهي عن الشر في الجماعات والشعوب . (٩) دعا بعضها بعضا لمشاركته في الألم .

أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا : قِيلَ : أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ أَنْصُرْهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَحْجِزُهُ عَنِ الظُّلْمِ ، فَإِنْ ذَلِكَ نَصْرُهُ .

مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ .
مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ .

نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا فَبَلَغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، قُرْبٌ مُبْتَلِغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ .
وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ مِنْهُ الْقَوْمَ فَيَكْذِبَ وَيُلُّ لَهُ ، وَيُلُّ لَهُ !

لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمْعَةً : يَقُولُ : أَنَا مَعَ النَّاسِ ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنْتُ ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَاءْتُ ، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَنْ تَجْتَنِبُوا إِسَاءَتَهُمْ .

لَا يَأْمُرُ أَحَدُكُمْ (٣) حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ .

الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ (٤) ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ .

مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ (٥) .

(١) وَيْلٌ لَهُ : أَيْ شَرُّ أَوْ هَلَاكٌ يَحِلُّ بِهِ ، تَسْتَعْمَلُ فِي التَّهْوِيلِ وَالْإِنْذَارِ .

(٢) الْإِمْعَةُ : الْمُرْتَدُّ لَا يَثْبُتُ عَلَى رَأْيٍ كَمَا يَفْسُرُ ذَلِكَ سَائِرُ الْحَدِيثِ .

(٣) أَيْ لَا يَكُلُّ إِيمَانَ الشَّخْصِ إِلَّا بِذَلِكَ .

(٤) أَيْ مِنْ شَرْقُولِهِ وَعَمَلِهِ .

(٥) أَيْ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ عَلَى الْمَعْرُوفِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ لِأَنَّ النَّاسَ وَسِيلَةُ الْخَيْرِ إِلَيْهِ .

لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ،
وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَاكِيَّتِهِ فِي الْحَقِّ .

يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيُسَبُّ فِيهِ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ .
إِنَّ مِنْ أَحْبَبِكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ
أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ ^(١) وَالْمُتَفَهِّقُونَ
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا الْمُتَفَهِّقُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ .

كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ،
وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ،
وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .

بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بَرًّا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ
خَرَجَ ، وَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ ^(٢) يَا كُلُّ الثَّوْرِ مِنَ الْعَطَشِ ! فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ
هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي . فَنَزَلَ الْبِرُّ ، فَلَا خُفَّةَ مَاءً ثُمَّ
أَمْسَكَ بِفِيهِ حَتَّى يَرْقَى ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ !

مَنْ يُحَرِّمِ الرِّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ .

خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى . وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .

إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً ^(٣) فَلَا يَتَنَاجَى ^(٤) اِثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْرِجُهُ .

(١) الثَّرَارُ : الَّذِي يَكْثُرُ الْكَلَامُ تَكَلُّفًا وَبِجَاوِزًا وَخُرُوجًا عَنِ الْحَقِّ ، الْمُتَشَدِّقُ : الَّذِي يُلَوِّ
شِدْقَهُ نَعْظًا .

(٢) يَلْهَثُ : يَخْرُجُ لِسَانُهُ مِنَ النَّفْسِ الشَّدِيدِ عَطْشًا أَوْ إعياءً .

(٣) أَيْ الْجَمْعُ أَوِ الْجُلُوسُ . (٤) يَتَنَاجَى : يَتَسَارَّ .

القضاة ثلاثة : واحد في الجنة ، واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عَرَفَ الحق ففُضِيَ به ، ورجلٌ عَرَفَ الحق وجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهلٍ فهو في النار .

لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحَبَّهُ ، ثُمَّ يَأْتِيَ الْجَبَلَ ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا خَيْرَ لِه مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ : أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ .

(٢) نموذج من كلام أبي بكر الصديق ^(١)

لَمَّا تُوْفِيَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاضْطَرَبَ النَّاسُ خَطَبَهُمْ فَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِي أَمْرِهِ ^(٢) فَلَا تَدْعُوهُ جَزْعًا ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ وَقَبَضَهُ إِلَى ثَوَابِهِ ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أذْكَرُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ^(٣) وَلَا يَشْغَلْكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا يَفْتَنَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ فَعَاجِلُوهُ بِالَّذِي تَعِجْزُونَهُ وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ ^(٤) فَيَلْحَقَ بِكُمْ .

(١) هو عبد الله بن أبي نخاعة القرشي نشأ عالماً كريماً حليماً ، وكان أسبق الرجال سلاماً وأشدَّهم بلاً ، في نصرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولى شئون المسلمين بعد رسول الله فسامهم بحكمة ولين حتى توفى سنة ١٢ هـ .

(٢) أظهركم على نهايته بوفاته فلا تعرضوا عن قضاء الله جزعاً .

(٣) القسط : العدل .

(٤) لا تستنظروه : أى لا تتأوا عليه بل عاجلوه باعترام الخيرة وإيقاظه .

خطبة له أخرى

وقد جاء مال من البَحْرَيْنِ ساوياً فيه بين الناس فغضب الأنصار (١) .

حَمْدَ اللَّهِ وَأُثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ :
يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا : إِنَّا أَوَيْنَاكُمْ فِي ظِلَالِنَا ، وَشَاطَرْنَاكُمْ
فِي أَمْوَالِنَا ، وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا — قَلَمَ ، وَإِنَّ لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا
وإنَّ طَالَ بِهِ الْأَمَدُ ، فَتَحْنُ وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ طُفَيْلُ الْغَنَوِيُّ (٢) :

بَجَرَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْلَقْتَ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَلَتْ (٣)
أَبَوًا أَنْ يَمْلُونَا ، وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا تَلَا فِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا مَلَّتْ
هُمْ أَسْكُونًا فِي ظِلَالِ بُيُوتِهِمْ ظِلَالِ بُيُوتٍ أَدْفَاتُ وَأَظْلَّتْ

خطبته يوم السقيفة (٤)

حَمْدَ اللَّهِ وَأُثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ : نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ ، أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَكْرَمُهُمْ أَحْسَابًا (٥)
وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الدَّرَبِ ، وَأَمْسَمُهُمْ
رَحِمًا بِرَسُولِ اللَّهِ

(١) الأنصار : الذين نصرُوا الرسولَ بعد الهجرة إلى المدينة وأكثرهم من الأوس والخزرج ،
فقال لهم المهاجرون الذين يتحدث أبو بكر بلسانهم .

(٢) شاعر جاهلي من قيس :

(٣) كناية عن الحاجة وسوء الحال .

(٤) يوم السقيفة : يوم اجتماع العرب في سقيفة بني ساعدة عقب وفاة الرسول عليه السلام للنظر
فمين يخلفه ، وتنافس في ذلك المهاجرون والأنصار .

(٥) الحسب : مفاخر الآباء .

صلى الله عليه وسلم . أَسَلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ)) فَنَحْنُ
 الْمُهَاجِرُونَ ، وَأَنْتُمْ الْأَنْصَارُ ، إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ وَشُرَكَائُنَا فِي الْفِتْنَةِ ^(١) وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ .
 أَوَيْتُمْ وَوَأَسَيْتُمْ . فَخَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا ! فَنَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ . لَا تَدِينُ الْعَرَبُ
 إِلَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ ؛ فَلَا تَنْفَسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمُ الْمُهَاجِرِينَ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ ^(٢)
 مِنْ فَضْلِهِ .

وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب

إِنِّي مُسْتَخْلِقُكَ مِنْ بَعْدِي وَمُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ . إِنْ لِلَّهِ عَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ
 بِالنَّهَارِ ، وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ . وَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً ^(٣) حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ ؛
 فَإِنَّمَا ثَقَلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثِقَلِهِ
 عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوَضَّعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ
 مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخِفَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوَضَّعُ
 فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا . إِنْ اللَّهُ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ
 وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ؛ فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ : إِنِّي أَخَافُ إِلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ
 أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ : إِنِّي لَا أَرْجُو
 إِلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا ،

(١) الفتن : الغلبة والخراج .

(٢) لا تنفسوا عليهم : لا تحسدوهم .

(٣) النافلة : السنة التي لا يلزم أداؤها بل يشحب . والفریضة : ما يلزم أداؤها من أمور الدين .

ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يُلقى بيده إلى التهلكة^(١) ، فإذا حفظت وصيتي فلا
يَكُنْ غائبٌ أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب
أبغض إليك من الموت ولست بمُعْجِز الله .

ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها فقال له أراك بارئاً
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أَمَّا إِنِّي عَلَى ذَلِكَ لَشَدِيدُ الْوَجَعِ ، وَلَمَّا لَقِيتُ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَشَدُّ عَلَى
مَنْ وَجَعِي . إِنِّي وَلِيتُ أُمُورَكُمْ خَيْرَكُمْ فِي نَفْسِي ، فَكَلِّمُوا رِمَ أَنْفِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ
الْأَمْرُ مِنْ دُونِهِ . وَاللَّهِ لَتَتَّخِذُنَّ نَضَائِدَ الدِّيَابِاجِ وَتُسْتَوِّرُ الْحَوِيرَ ، وَلَتَأْلُمَنَّ النَّوْمَ عَلَى
الْبُصُوفِ الْأَذْرَبِيِّ كَمَا يَأْلُمُ أَحَدُكُمْ النَّوْمُ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ
يَقْبَدَ أَحَدُكُمْ فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ فِي غَيْرِ حَدٍّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَخُوضَ غَمَرَاتِ الدُّنْيَا .
يَا هَادِيَ الطَّرِيقِ جَرَتْ . إِنَّمَا هُوَ وَاللَّهُ الْفَجْرُ أَوْ الْبَجْرُ^(١١) .

(١) التهلكة : الهلاك .

(٢) يريد أن العمل بالوصية يجعل الموت أحب إليه كما أن تضييعها يفضي في الموت مع أنه حتم .

(٣) ذلك إشارة إلى البرء من المرض . (٤) اللام للتوكيد وما موصولة مبتدأ خبره أشد .

(٥) ورم أنفه : أى امتلاء غيظاً ، وذكر الأنف . لتأثره بالفضب ، كما يقال شخ بأنفه للتكبر ،

أى رفع رأسه . (٦) النضائد : الوسائد ، المفرد نضيدة ، والمراد ما نضد في البيت من أثاث .

الديباج : الثوب سداه ولحمته من حرير ، والمراد الحرير . (٧) الأذربي : نسبة إلى أذربيجان .

(٨) الحسك : الشوك . السعدان : نبت كثير الحسك . (٩) غمرات الدنيا : شئونها

التي تحير الناس . (١٠) جرت : حدثت عن جادة الصواب .

(١١) يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وإن سلكت الظلمات

وقعت في المكروه . وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا . البحر : الشر والهداية .

(٣) نبذة من كلام عائشة^(١)

قالت على قبر أبيها :

نَصَّرَ اللَّهُ يَا أَبَتِ وَجْهَكَ^(٢) وَشَكَرَكَ صَاحِبَ مَعِيكَ ، فَلَقَدْ كُنْتَ لِلدُّنْيَا مُذِلًّا
بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا ، وَلِلْآخِرَةِ مُعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا ، وَلَئِنْ كَانَ أَكْثَرُ الْمَصَائِبِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِزْوُوكَ ، وَأَكْبَرُ الْأَحْدَاثِ بَعْدَهُ فَقَدْ كُنْتَ — إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ
لَعِيدُنَا بِالصَّبْرِ عَنْكَ حُسْنَ الْغَوْضِ مِنْكَ ، وَأَنَا مُسْتَنْجِزَةٌ^(٣) مِنَ اللَّهِ مَوْعِدَهُ مِنْكَ بِالصَّبْرِ
عَنْكَ ، وَمُسْتَعِينَةٌ كَثْرَةَ الْاسْتِغْفَارِ لَكَ . فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ تَوَدِّعَ غَيْرِ قَالِيَةِ حَيَاتِكَ^(٤) ،
وَلَا زَارِيَةٍ عَلَى الْقَضَاءِ فِيكَ .

(٤) من آثار عمر بن الخطاب^(٥)

رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري^(٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ : سَلَامٌ
عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ . فَافْهَمْ إِذَا أَدُلِّيَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ

(١) هي السيدة عائشة بنت أبي بكر وزوج الرسول عليه السلام تزوجها صغيرة ، فنشأت راوية للحديث عالمة بالدين متأدبة بالأدب العالي . وقد كان لها في الأحداث السياسية بعد وفاة الرسول مواقف مشهورة . (٢) نصر وجهك . جعله فاضرا ، أى حسنا جميلا ، كناية عن حسن المثوبة .

(٣) إن : شرطية . أى إن عظم رزؤك وفقدك فإن كتاب الله الخ .

(٤) مستنجزة : طالبة الانجاز والوفاء . (٥) قالية : كارهة . زارية : عاتبة أو عاتبة .

(٦) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي ولد في الجاهلية وربى فيها وعرف بالشجاعة والحزم والسيادة وقد هداه الله إلى الاسلام بعد عداوة قوية ، فكان من أعظم أنصاره . فلما ولي الخلافة بعد أبي بكر قام بأعبائها خير قيام حتى قتل غيلة سنة ٢٣ هـ . ويعد عمر بن الخطاب من أبلغ الناس وأقواهم أسلوبا وأقدمهم للشعر وأرواهم له .

(٧) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله معروف في مسألة التحكيم بين علي ومعاوية . (٨) أى تقدم اليه المتقاضون بحجتهم .

لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . ^(١) آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى
لا يطمع شريف في حيفك ، ^(٢) ولا يئس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ،
واليمين على من أنكر . والصالح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم
حلالاً . لا يمنعك قضاء قضيتك اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك
أن ترجع الى الحق ؛ فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماي في الباطل .
الفهم الفهم فيما تلجلج ^(٣) في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . ^(٤) ثم أعرف الأشباه
والأمثال ؛ فقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى أقربها الى الله ، وأشبهها بالحق .
واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بيئة أمدداً ينتهي اليه ، فاذا أحضر بيئته أخذت له
بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ؛ فإنه أنفى للشك وأجلى للغمي . المسلمون عدول
بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنياً في ولأى
أو نسب ؛ ^(٥) فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان . ^(٦) وإياك والفتاق
والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات ؛ ^(٧) فإن الحق في مواطن الحق
يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر ؛ فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه

(١) آس بين الناس : سويتهم .

(٢) الحيف : الميل أو ميلك معه لشرفه .

(٣) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٤) الكتاب : القرآن الكريم والسنن ما أئز عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

(٥) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلاً للشهادة .

(٦) درأ : دفع يريد منع الحدود .

(٧) الفتاق والضجر : ضيق الصدر وقلة الصبر .

وبين الناس . ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله ، فما ظنك^(٢)
بثواب عند الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام .^(٣)

وكتب الى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما اليه ينصحانه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عُمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومُعَاذِ بن جبل ، سلام عليكما
فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو (أما بعد) فقد جاءني كتابكما ترعمان أنه بلغكما أنني
وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس^(٤) بين يدي الصديق والعدو والشريف
والوضيع ، وكتبتما أن انظر كيف أنت يا عُمر عند ذلك ، وإنه لا حول ولا قوة لعُمر
عند ذلك إلا بالله . وكتبتما تُحذِّرَانِي ما حذَّرت به الأئم قبلنا ، وقديما كان اختلاف^(٥)
الليل والنهار بأجال الناس يُقَرِّبَانِ كُلَّ بعيد ويُلَيِّنَانِ كُلَّ جديد ، ويأتیان بكل
مَوْعُود ، حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة أو النار ، ثم تُوفَّى كُلُّ نفس بما كَسَبَتْ
إن الله سريع الحساب . كتبتما ترعمان أن أمر هذه الأمة ، يرجع في آخر زمانها أن
يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بذلك . وليس هذا ذلك الزمان ،
ولكن زَمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة ، فتكون رغبة بعض الناس الى بعض

(١) أى أظهر للناس في خلقه خلاف نيته .

(٢) شأنه : ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله في الدنيا ورحمته في الآخرة .

(٤) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود كناية عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٥) اختلافهما بأجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

إصلاح دينهم ورهبة بعض الناس لإصلاح دنياهم . وَكَتَبْنَا تُعَوِّدَانِي بِاللَّهِ أَنْ أُنْزَلَ
كِتَابًا مِنِّي سِوَى الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِكَا . وَإِنَّمَا كَتَبْنَا نَصِيحَةً لِي . وَقَدْ صَدَقْتُمَا .
فَتَعَهَّدَانِي مِنْكَا بِكِتَابٍ ؛ فَلَا غِنَى بِي عَنْكَا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَا !

(٥) من خطب عثمان بن عفان :

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً . وَإِنْ لِكُلِّ نِعْمَةٍ عَآفَةٌ . وَإِنْ آفَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَعَآفَةُ
هَذِهِ النِّعْمَةِ عَيَابُونَ ظَنَّاؤُونَ ؛ يَظْهَرُونَ لَكُمْ مَا تَحِبُّونَ ، وَيُسْرُونَ مَا تَكْرَهُونَ ، يَقُولُونَ
لَكُمْ وَتَقُولُونَ ، طَعَامٌ مِثْلُ النَّعَامِ^(٢) ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمُ إِلَيْهِمُ النَّازِحُ^(٣) .
لَقَدْ أَقْرَرْتُمْ لَابْنَ الْخَطَّابِ بِأَكْثَرِ مَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ^(٤) ، وَلَكِنَّهُ وَقَعَكُمْ وَقَعَكُمْ وَزَجَرَكُمْ زَجَرَ
النِّعَامِ الْمُخْزَمَةِ ؛ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ، وَأَقْمِنُ إِنْ قُلْتُ هَلُمَّ ! أَنْ تَجَابَ
دَعْوَتِي مِنْ عُمَرَ . هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ حُقُوقِكُمْ شَيْئًا ؟ فَمَا لِي لَا أَفْعَلُ فِي الْحَقِّ مَا أَشَاءُ ؟
إِذَا فَلِمَ كُنْتُ إِمَامًا ؟

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموي القرشي . ولد في الجاهلية وسبق إلى الإسلام ، وأبلى
في نصرته . ثم ولي الخلافة بعد عمر بطريق الانتخاب الشورى . وبعد مدة ثار عليه أعراب من مصر والعراق
بجحة إيثاره أغاربه . وحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه سنة ٣٥ هـ . وكان من أبلغ الناس وأوجزم لفظًا
وأسلمهم أسلوبًا بحكم نشأته القرشية ودراسة القرآن الكريم .

(٢) الطعام : أراذل الناس للواحد والجمع .

(٣) النازح : الناضب من نزحت البئر قل ماؤها أو تفيد ومن معانيها البعيد جدا .

(٤) وقم : فهرم .

كتابه الى علي يستنجد به حين أحيط به :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد بلغ السيلُ الزُّبى^(١)، وجاوز الحزامُ الطُّيبين^(٢)، وطمع في من لا يدفع
عن نفسه، ولم يغلبك مثل مغلب^(٣). فأقبل إلى صديقاً كنت أو عدواً .

فإن كنت ما كُؤلاً فكُنْ خيراً آكلٍ وإلا فاذرْكني ولما أُمزق

(٦) بلغ علي بن أبي طالب^(٤) أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار،

فقتلوا عاملاً له يقال له حسان بن حسان ،

نخرج مغضباً ونخطب الناس :

أما بعد، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباسُ
التقوى ودرعُ الله الحَصينةُ وجتهُ الوثيقةُ^(٥)، فمن تركهُ رغبةً عنه ألبسه الله ثوبَ
الذُّلِّ، وشِمْلَهُ البلاءِ، ودَيْثَ الصَّغارِ^(٦) والقِماءِ، وضربَ على قلبه بالأسداد ، وأدبَل

(١) الزبي : جمع زبيبة : مصيدة الأسد وتكون في قلة أورابية أو هضبة . والتركيب كناية عن
بلوغ الشدة أفصاها كما يصل السيل الزبيبة .

(٢) الطيبان منى طبي والجمع أطباء : مواضع الاخلاف (حلقات الضرع) ومجاورة الحزام الطيبين
كناية عن الإشراف على الهلاك . (٣) المغلب : الضعيف الذي يغلب كثيراً ، فإذا قدر عليك
لا يرجع عنك . وهذا معنى ولم يغلبك مثل مغلب .

(٤) ولد علي بن أبي طالب قبيل الاسلام ونشأ في بيت مجد وشرف وكان أول من أسلم من الصبيان
ثم صاحب الدولة الاسلامية في أوليتها مجاهداً وناصرها بعد وفاة الرسول حتى اذا قتل عثمان وبايعه أهل
الحجاز قام في وجهه معاوية ينازعه الخلافة وكانت بينهما فتن وحروب ومكاتبات الى أن قتل علي غيلة
سنة ٤٠ هـ بمسجد الكوفة وكانت هذه الحياة العنيفة سبب نبوغه في الخطابة وتملكه زمام البلاغة التي تنطق
بها آثاره الصريحة . (٥) الجنة : الوفاة . (٦) ديث : ذلل . والقِماء : الذل والمهانة .

الحق منه بتضييع الجهاد، ^(١) وسيم الخسف، ^(٢) ومُنِع النصف . ألا وإني قد دعوتكم
إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزؤهم قبل
أن يغزؤكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عُقْرِ دارهم ^(٣) إلا ذلُّوا . فتواكلتم ^(٤) وتخاذلتم
حتى شنت الغارات عليكم ، ومُلِكت عليكم ^(٥) الأوطان . وهذا أخو غامد قد
وردت خيله الأنبار ، ^(٦) وقد قتل حسان بن حسان البكري ، وأزال خيلكم عن
مساحلها . ^(٧) ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى
المعاهدة ، فينتزع ^(٨) حجلها ^(٩) وقلبها ^(١٠) وقلائدها ^(١١) ويرعائها ، ما تمنع عنه إلا بالاسترجاع
والاسترحام . ثم أنصرفوا وإفرين ، ما نال رجلاً منهم كلم ، ^(١٢) ولا أريق لهم دم ، ^(١٣)
فلو أن امرأةً مسلمًا مات من بعد هذا أسفاً ما كانت به ملوماً ، بل كان به عندي

(١) أى صارت الدولة للحق بدله .

(٢) النصف : العدل .

(٣) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٤) تواكلتم : انكل كل على الآخر . وتخاذلتم : خذل كل صاحبه .

(٥) هو سفيان بن عوف بعت معارية مغيراً على العراق .

(٦) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات .

(٧) المساح : جمع سلعة ، وهي الثغر حيث طروق الأعداء .

(٨) الحجل : الخلخال .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الرعات : جمع رعة بالفتح ونحوك : الفرط .

(١١) الاسترجاع : قول (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(١٢) أى لم ينل أحد منهم في مال أو بدن .

(١٣) الكلم : الجرح .

جديرا . فيأعجبا والله يُثِيت القلب وَيَجْلِبُ الهم : اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم
وتتفرقكم عن حَقِّكم ، فُتُّبِحَا لَكُمْ وَتَرَحَّا حين صرتم غَرَضًا يُرْمَى ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ،
وَتَغْزُونَ وَلَا تَغْزُونَ . وَيُعْصِي اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ ، فإذا أمرتكم بالسير اليهم في أيام الحرِّ
قَاتِم : هذه حَمَارَةُ الْقَيْظِ ، أَمِهْلَنَا يَنْسَلِخُ عَنَا الْحَرُّ . وإذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء
قَلِم : هذه صَبَارَةُ الْقُرِّ ، أَمِهْلَنَا يَنْسَلِخُ عَنَا الْبَرْدُ . كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ
فَاتِمَ وَالله من السيف أَفْرُ . يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ ، وَلَا رِجَال ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ ، وَعُقُولُ
رَبَّاتِ الْحِجَالِ . لَوِدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ! مَعْرِفَةُ وَالله جَرَتْ نَدَمًا ، وَأَعْقَبَتْ
سَدَمًا . قَاتَلَكُمْ اللهُ ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا ، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَرَعْتُمُونِي نَغَبَّ
الْتِهَامِ أَنْفَاسًا ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخَذْلَانِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشُ :
إِنْ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ ، اللهُ أَبُوهُمْ ! وَهَلْ أَحَدٌ
مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مَرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي ؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ
وَهَآنَذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السِّتِينَ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يَطَاعُ .

(١) الترح بالتحريك : الهم أو الفقر .

(٢) حمارة القَيْظِ : شدة الحر .

(٣) يَنْسَلِخُ : يَخْفُ وَيُسْكُنُ .

(٤) أَى شدة البرد .

(٥) رَبَّاتِ الْحِجَالِ : النساء . وَالْحِجَالُ جَمْعُ حِجْلَةٍ : الْقُبَّةُ ، وَمَوْضِعُ يَزِينُ بِالسُّنُورِ لِلْعُرُوسِ .

(٦) السدَم : الهم أو مع أسف وغبط .

(٧) النغَب : جَمْعُ نَغْبَةٍ : الْجُرْعَةُ . التهام : الهم .

(٨) ذرفت : زدت .

(٩) أَى لَا يَنْفَعُ رَأْيَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لَهُ .

وخطب في استنفار الناس إلى أهل الشام فقال :

أف لكم ! لقد سمئت عتابكم ، أَرْضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة عَوْضًا ،
وبالدُّلَّ من العِزِّ خَلْفًا . وإذا دَعَوْتُكُمْ إلى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دارت أعينكم كأنكم من
الموت في غمرة ، ومن الذُّهول في سكرة . يرتج عليكم حِوَارِي فتعمهون ^(١) ،
فكأن قلوبكم مألوسة ^(٢) فأنتم لا تعقلون ما أنتم لي بثقة سيجيس ^(٣) الليالي ولا
زوافر ^(٤) عز يُفْتَقَرُ إليكم ، وما أنتم إلا كإبل ضلَّ رعاها ، فكلما جمعت من
جانب انتشرت من آخر ، ليس لعمر الله سَعْرُ ^(٥) نارِ الحرب أنتم . تُكَادُونَ ولا تَكِيدُونَ
وتُنَقِّصُ أطرافكم فلا تمتعضون ، لا يُنَامُ عنكم وأنتم في غفلة ساهون . غلب
والله المتخاذلون . وأيم الله إني لأظنَّ بكم أن لو حمس الوغى ^(٦) واستحَرَّ الموت
قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس ^(٧) . والله إن امرءًا يَمَكِّنْ عَدُوَّهُ من
نفسه ، يَعرِّقُ لَحْمَهُ ^(٨) ويهشم عَظْمَهُ ، ويفرى جِلْدَهُ — لعظيم عَجْزُهُ ، ضعيف
ما ضُمَّتْ عليه جِوَانِحُ صَدْرِهِ ^(٩) . أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ
أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبَ بِالمَشْرِفَةِ يطير منه فَرَّاشُ الهَامِ ^(١٠) ، وتطيح السواعد
والأقدام ، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء . أيها الناس إن لي عليكم حقًا ، ولكم علي
حق ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ ^(١١) عليكم ، وتعليمكم كي لا تجهلوا
وتأديبكم كيما تعملوا ، وأما حقِّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد ،
والمغيب والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم .

- (١) يرتج عليكم : يغلق فلا تهتدون لفهمه . حواري : محاربي .
(٢) مألوسة : مغلوبة . (٣) سيجيس الليالي : طول الليالي ، أي أبدا .
(٤) الزوافر : جمع زافرة : عشيرة الرجل أو دُكْنُ البناء .
(٥) السعرها : الوقود من سعر النار أو قدها .
(٦) حمس الوغى : اشتدت الحرب . استحَرَّ : بلغ غاية شدته .
(٧) أي انفراجا لا يلتئم . (٨) أي يأكل لحمه لا يبقى منه شيئا على العظم : ويفرى : يمزق .
(٩) جِوَانِحُ الصدر : ضلوعه ، والمراد القلب .
(١٠) المشرفية : السيوف تنسب إلى قري تدنو من الريف مشارف الشام . الهام : الروس ،
جمع هامة . وفراشها : عظامها الرقيقة . (١١) الفئ : الخراج وما يحويه بيت المال .

(١)

وكتب الى معاوية جوابا عن كتاب منه :

أَمَّا طَلَبُكَ إِلَى الشَّامِ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ . وَأَمَّا قَوْلُكَ
 إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتْ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ ، ^(٢) أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ
 فَإِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ . وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتُ
 بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مَنِّي عَلَى الْيَقِينِ ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ
 الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِيَّةٌ
 كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَلَا أَبُو سَفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلَا الْمُهَاجِرُ
 كَالطَّلِيقِ ، ^(٤) وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ، ^(٥) وَلَا الْمُحَقِّقُ كَالْمُبْطِلِ ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ ، ^(٦) وَلِبَنَسٍ
 الْخَلْفَ يَتَّبِعُ سَلَفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ . وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ
 وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ . وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا أَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ
 طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَكُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً ^(٧) وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ
 بِسَبْقِهِمْ وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ ، فَلَا تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا
 وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا .

(١) كتب معاوية الى علي يطلب منه أن يترك له الشام . ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم
 الحروب ويخوفه ويذكر له أنهما من شجرة واحدة فأجابه على بهذا الكتاب .

(٢) حشاشات : جمع حشاشة : بقية الروح .

(٣) حرب : جد معاوية ، وعبد المطلب : جد علي .

(٤) الطليق : من أسرف أطلق باليمن عليه أو الفدية . ومن ذلك معاوية وأبوه .

(٥) الصريح : صحيح النسب في ذوى الحسب . واللصيق : من ينتمى إليهم وهو أجنبي .

(٦) المدغل : المفسد .

(٧) أي رغبة في خير أو خوفا من شر ، أي غير مخلصين

(٧) خطبة معاوية حين قدم المدينة عام الجماعة ^(١)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فإنى والله ما وليتها بحجة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ؛ ولكن جالدينكم ^(٢)
 بسيفي هذا مجالدة ^(٣) . ولقد رُضت لكم نفسى على عمل ابن أبي حنيفة ^(٤) ، وأردتها على
 عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على سُنَيَّات عثمان فأبَتْ على .
 فسلكت بها طريقاً الى ولكم فيه منفعة ^(٥) ، مؤكلة حسنة ومشاربة جميلة . فإن لم
 تجدوني خيركم فإنى خير لكم ولاية . والله لا أحمل السيف على من لا سيف له .
 وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر أذنى ^(٦)
 وتحت قدمي . وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا منى بعضه . فإن أناكم منى
 خير فاقبلوه ؛ فإن السبل إذا جاء أثرى ^(٧) ، وإن قل أغنى . ولماكم والفتنة فإنها تُفْسِدُ
 المعيشة وتكدر النعمة .

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي ولد لإبان ظهور الاسلام وورث عن أهله
 حصاة وحسن حيلة . كان يتطلع الى الملك فلما مات عثمان ، وكان هو على الشام نازع عليا الخلافة . وكانت
 بينهما أحداث وقتن استعان معاوية فيها بدهائه حتى اذا قتل على وخلفه الحسن وشعب عليه جنده صالح الحسن
 ابن علي معاوية عام ٤١ هـ . وقد سمي عام الجماعة ، وبذلك قامت الدولة لأمية على يد معاوية وكان
 معاوية بلينا وإن كان لا يبلغ شأوه على ومات سنة ٦٠ هـ .

(٢) أى الخلافة .

(٣) جالدينكم : ضاربينكم .

(٤) ذلتها ومررتها .

(٥) هو أبو بكر أول الخلفاء .

(٦) دبر أذنى : خلفها ، أى أثره .

(٧) أثرى الناس : جعلهم أثرياء . وأعناهم جعلهم مكثفين لا يحتاجون

(٨) خطبة زياد البتراء بالبصرة حين قدم واليا عليها

من قبل معاوية

أما بعد، فإن الجهالة الجَهْلَاءَ^(٢) . والضلالة العمياء^(٣) ، والغى المؤفى بأهله على النار، ما فيه سُفْهاؤكم ويشتمل عليه حُماؤكم^(٤) ، من الأمور العظام، يَنْبُت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب العظيم لأهل معصيته، في الزمن السَّرمدى^(٥) الذى لا يزول . أتكونون كمن طرقت عينيه الدنيا، وسدَّت مسامعه الشهوات^(٦) ، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذى لم تُسبقوا إليه، من ترككم الضعيف يُقهر ويؤخذ ماله . ما هذه المواخير المنصوبة^(٧) ، والضعيفة المسلوكة في النهار المبصر، والعدد غير قليل؟ ألم يكن منكم نهاية تمنع الغواة عن

(١) يتنسب زياد ابن أبيه الى أبي سفيان . ولد في السنة الأولى للهجرة . وكان منذ صغره ذكيا هماما شديد الزأى ولى بعض الأعمال فكان مثال الصرامة والكياسة . ثم استلحقه معاوية أخاله بعد مقتل على . وبقى من رجال الدولة المعدودين حتى مات سنة ٥٣ هـ . وتدل خطبة زياد على شخصية عنيفة في الدين والسياسة ، تعدد حلقة الاتصال بين عمر بن الخطاب والحجاج ويعتمد في تأثيره الخطابى على الارهاب والوعيد في أسلوب جزل . وقالوا : انما سميت خطبته هذه البتراء لعدم بدنها بحمد الله وقيل غير ذلك .

(٢) جهالة جهلاء : شديدة مثل ليلة ليلاء

(٣) الضلالة العمياء : التى لا هدى معها .

(٤) السفية : سبي الخلق وضده الحليم .

(٥) السرمدى : الدائم .

(٦) كناية عن تمكن الشهوات من نفوسهم وانصرافهم الى متاع الدنيا .

(٧) المواخير : جمع ما خور : بيت الرية والفحش .

دَلَّجَ اللَّيْلَ وَغَارَةَ النَّهَارَ، قَرَّبْتُمْ الْقَرَابَةَ، وَبَاعَدْتُمْ الدِّينَ، تَعْتَذِرُونَ بِغَيْرِ الْعُذْرِ، وَتَغْضُونَ
 عَلَى الْمُخْتَلِسِ، كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ يَذُبُّ عَنْ سَفِيهِهِ، صَنِيعَ مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةً، وَلَا يَرْجُو
 مَعَادًا، مَا أَنْتُمْ بِالْحُلَمَاءِ، وَلَقَدْ اتَّبَعْتُمُ السَّفَهَاءَ فَلَمْ يَزَلْ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ قِيَامِكُمْ دُونِهِمْ^(٢)
 حَتَّى اتَّهَكُوا حُرْمَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ أَطْرَقُوا وَرَاءَكُمْ كُنُوسًا فِي مَكَانِ الرِّيبِ^(٣) . حَرَامٌ عَلَى
 الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أُسَوِّيَهَا بِالْأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِنِّي رَأَيْتُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ
 لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهُ : لَيْنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عَنَفٍ . وَإِنِّي أَقْسِمُ
 بِاللَّهِ لَا أَخْذَنَّا الْوَلِيَّ بِالْمَوْلَى^(٤)، وَالْمُقِيمَ بِالْظَّالِمِ، وَالْمُقِيلَ بِالْمُذْذِرِ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي، وَالصَّحِيحَ
 بِالسَّقِيمِ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ : ابْنُ سَعْدٍ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ أَوْ تَسْتَقِيمُ^(٥)
 قَنَاتُكُمْ ! إِنَّ كَذِبَةَ الْأَمِيرِ بِلِقَاءِ مَشْهُورَةٍ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ عَلَى بَكْذِبَةٍ فَقَدْ حَلَّتْ لَكُمْ مَعْصِيَتِي،
 فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَاعْتَمِزُوهَا فِيَّ^(٦)، وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِنْدِي أَمْثَالَهَا . مَنْ نُقِبَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ
 فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْ مَالِهِ . فَيَايَا وَدَجَّ اللَّيْلِ، فَإِنِّي لَا أُوتِي بِمُدْلِجٍ إِلَّا سَفَكْتُ
 دَمَهُ، وَقَدْ أَجَلَّتُكُمْ فِي ذَلِكَ بِمَقْدَارِ مَا يَأْتِي الْخَبْرُ الْكَوْفَةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَيَايَا وَدَعْوَى
 الْجَاهِلِيَّةِ^(٨)، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحَدَانَا لَمْ تَكُنْ،

(١) دَلَّجَ اللَّيْلَ : السَّيْرِ فِيهِ . وَالْمُرَادُ التَّلَصُّصُ وَالْفَتْكَ .

(٢) قِيَامِكُمْ دُونِهِمْ : دَفَاعَكُمْ عَنْهُمْ .

(٣) الْكُنُوسُ : جَمْعُ كَانَسٍ، وَهُوَ الظُّلُمَةُ يَدْخُلُ فِي كَنَاسِهِ أَيْ مَأْوَاهُ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ عَكَفُوا عَلَى الْمَعَاصِي .

(٤) الْوَلِيَّ : السَّيِّدَ . وَالْمَوْلَى : الْعَبْدَ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَأْخُذُ السَّيِّدَ بِذَنْبِ عَبْدِهِ . وَكَذَا الْبَاقِي .

(٥) مِثْلُ يَضْرِبُ لَتَابِعِ الشَّرِّ . وَأَصْلُهُ أَنَّ أَخَوَيْنِ خَرَجَا فِي طَلَبِ إِبْلِ لَهَا فَرَجَعَ سَعْدٌ وَلَمْ يَرْجِعْ سَعِيدٌ .

(٦) الْمُرَادُ حَتَّى تَسْتَقِيمُوا . وَشَبَّهَهُمُ بِالْقَنَاطَةِ وَهِيَ عُودُ الرِّيحِ .

(٧) اغْتَمَزُوهَا فِي : عَدُوَهَا مِنْ عِيُونِي .

(٨) دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ : كِتَابَةُ عَنِ التَّنَاصُرِ بِتَأْثِيرِ الْعَصْبِيَّةِ سَفَهًا وَجَهَالَةً، وَأَصْلُهَا يَا لِفُلَانِ اسْتَغَاثَةٍ .

وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبةً، فمن غرق قومًا أغرقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه،
ومن نقب بيتًا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرًا دفناه فيه حيًّا . فكفُّوا عنِّي أيديكم
وألستكم أكف عنكم يدي ولساني . ولا تظهر من أحدكم ريبةً بخلاف ما عليه
عامتكم إلا ضربت عنقه . وقد كانت بيني وبين أقوامٍ إحن^(١)، فجعلتُ ذلك دبرًا أدني^(٢)
وتحت قدمي . فمن كان منكم محسنًا فليردد إحسانًا، ومن كان منكم مُسيئًا فليترع عن
إساءته . إني لو علمتُ أنَّ أحدكم قد قتله السُّل من بغضي لم أكشف له قناعًا، ولم أهتِك
له سِترًا حتى يُسدي لي صفحته^(٣)؛ فإذا فعل ذلك لم أنظره . فاستأنفوا أموركم،
وآعينوا على أنفسكم، فربَّ مُبتئسٍ يقدومنا سيسر ومسرورٍ يقدومنا سيبتئس . أيها
الناس ! أنا أصبحنا لكم ساسةً^(٤)، وعنكم ذادة^(٥) : نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا،
ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا^(٦)؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا
العدل فيما ولينا^(٧)؛ فاستوجبوا عدلنا وفيانا بمناصحتكم لنا . واعلموا أني مهما قصرت
عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم؛ ولو أتاني طارقًا
لبيل، ولا حابسًا عطاء ولا رزقا عن إبانته، ولا مجمرًا لكم بعثًا . فادعوا الله بالصالح
لائمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا

(١) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

(٢) أي خلفها : والمراد أي طرحت ذلك .

(٣) صفحة الرجل : عرض وجهه . والمراد حتى يجهر بالعداوة .

(٤) ذادة : حاة، جمع ذائد أي مدافع .

(٥) الفيء : مال الخراج أو الغنيمة ويطلق على الظل كناية عن الحى .

(٦) إبان الشيء : أوانه .

(٧) تجير الجند أو البعث حبسهم في أرض العدو .

تَصْلَحُوا . وَلَا تُشْرَبُوا قُلُوبَكُمْ بَغْضَهُمْ فَيَسْتَدْ لَكُمْ غِيْظُكُمْ ، وَيَطْشُوا لَكُمْ حُرْنُكُمْ ،
وَلَا تُذَرِكُوا حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ . ^(١) أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
يُعِينَ كُلًّا عَلَى كُلِّ . وَإِذَا رَأَيْتُنِي أُفِيدُ فِيكُمْ الْأَمْرَ فَأَنْفَذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ . ^(٢) وَأَيُّمُ اللَّهُ إِنْ
لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرِ كُلُّ أَمْرِيَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ .

(٩) خطبة عبد الله بن الزبير بعد أن قُتِلَ أَخُوهُ مُصْعَبُ ^(٣)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَمُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يُعْزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَذِلُّ مَنْ
يَشَاءُ . أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَذِلَّ وَاللَّهُ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا ضَعِيفًا ، وَلَمْ يَعْزْ
مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْعُدَّةِ وَالْعَدَدِ وَالْكَثْرَةِ . إِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَيْرٌ مِنَ الْعِرَاقِ
بِلَيْدِ الْغَدِيرِ وَالشَّقَاقِ ، فَسَاءَنَا وَسَرْنَا : أَتَانَا أَنْ مُصْعَبًا قُتِلَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتُهُ ،
فَمَا الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَدَعَةً يَجِدُهَا حَمِيمُهُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ ،
ثُمَّ يَرْعَوِي ^(٤) بَعْدَ دَوِّ الرَّأْيِ وَالِدِينِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ ، وَأَمَّا الَّذِي سَرَّنَا مِنْهُ فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا
أَنْ قَتَلَهُ شَهَادَةٌ لَهُ وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ ذَلِكَ لَنَا وَلَهُ ذَخِيرَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . إِنْ أَهْلَ

(١) أَى لَوْ دَعَوْتُمْ عَلَيْهِمْ فَهَلَكُوا لَا تَجِدُونَ عَوْضًا عَنْهُمْ .

(٢) أَى عَلَى طَرَفِهِ وَوَجْهِهِ .

(٣) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَّامِ يَكْنَى أَبَا بَكْرٍ وَأَبَا حَبِيبٍ . وَلَدَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِقَلِيلٍ ، وَكَانَ نَجَاحًا سَلَا
خَرَجَ عَلَى بَنِي أُمِيَّةٍ وَطَلَبَ لِنَفْسِهِ الْخِلَافَةَ . وَاسْتَمَرَّ تَسْعَ سِنِينَ اسْتَوْلَى فِيهَا عَلَى الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ وَمِصْرَ
وَاسْتَمَرَّ بِنَاجِزِ الْجِيُوشِ الدَّوْلَةَ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحِجَاجَ لِخَاصِرِهِ بِمَكَّةَ مَدَّةً حَتَّى قَتَلَ ابْنَ
الزَّبِيرِ سَنَةَ ٨٧٤ هـ . وَكَانَ مُصْعَبُ أَخُوهُ رَافِعًا عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ قَبْلِهِ حَتَّى دَهَمَتْهُ جِيُوشُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَتَلَتْهُ نَحْوُ
السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالسَّبْعِينَ لِلْهَجْرَةِ .

(٤) يَرْعَوِي : يَرْجِعُ .

العِراقِ أسلموه ، وباعوه بأقل ثمن . لقد قُتِلَ أبوه وعمُّه وأخوه وكانوا خيار
 الصالحين . إنا والله ما نموت حتْفَ أنوفنا^(١) ، ما نموتُ إلا قتلا ، قَعَصًا بِالرَّماحِ ونَحْتِ
 طِلَالِ السُّيُوفِ ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِلَ منهم رجل في جاهلية
 ولا إسلام قط . وإنما الدنيا عارية^(٢) من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ،
 ولا يَبِيدُ مُلْكُه ، فإن تُقْبِلِ الدنيا على لا أَخْذَهَا أَخْذَ الْأَيْشِرِ الْبَيْطَرِ^(٣) ، وإن تُدْبِرْ عَنِ
 لا أَبْكُ عَلَيْهَا بَكَاءَ الْخَرِفِ الْمِيهِينِ^(٤) .

(١٠) خطبة لِقَطَرِيٍّ بنِ الْفُجَاءَةِ^(٥)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنِهَا حُلْوَةٌ خَيْصَرَةٌ ، حَفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ^(٦)
 وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَحَلَيْتْ بِالْأَمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ . لا تَدُومُ حَبْرَتُهَا^(٧) ، ولا تُؤْمِنُ
 بَحَبْرَتِهَا ، غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، خَوَّانَةٌ غَدَّارَةٌ ، وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَافِذَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ^(٨) .

(١) مات حتف أنفه : على فراشه .

(٢) قعصه بالرمح : قتله في مكانه .

(٣) أى شئ . مستعار .

(٤) بطر بالنعمة : طغى بها . والأشتر : المرح .

(٥) الخرف : فاسد العقل . والميهين : الذليل الوضع .

(٦) قطري بن الفجاءة المازني خطيب شاعر من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغاتهم . خرج زمن
 بنى أمية ، ودعا لنفسه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ . وقد ترجعنا له في قسم
 شعراء السياسة .

(٧) راقت العين بقله متاعها ، وتحببت الى النفوس بكونها عاجلة ليست آجلة كالأخرى .

(٨) حبرتها : نعمتها . (٩) حائلة : متغيرة .

لا تَعْدُو إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ
(١) تَعَالَى ﴿ كَيْدُ أَرْزَاقِهِ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ
(٢) وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ مع أَنَّ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا
(٣) عِبْرَةٌ وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا (٤) وَلَمْ تَطْلُغْ فِيهَا غَيْثَةٌ رِخَاءً
إِلَّا هَطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءً (٥) . وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَصِرَةٌ أَنْ تُنْسِيَ لَهُ خَاذِلَةً
مُتَنَكِّرَةً (٦) وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا أَعْدُوذٌ وَأَحْلُولِي . أَمْرٌ عَلَيْهِ جَانِبٌ وَأَوْبَا (٧) . وَإِنْ آتَتْ
أَمْرًا مِنْ غَضَارِيهَا وَرَفَاهَتِهَا نِعْمًا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا نِقْمًا . وَلَمْ يُمَسِّ أَمْرٌ مِنْهَا فِي جَنَاحٍ
أَمِنْ إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ (٨) . غَرَارَةٌ ، غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَإِنْ مَا عَلَيْهَا ، لَا خَيْرَ
فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى . مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمَنُ ، وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا
اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْيَقُهُ وَيُطِيلُ حُزْنَهُ ، وَيَبْكِي عَيْنِيهِ . كَمْ وَائِقٍ بِهَا قَدْ بَجَعَتْهُ ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ
إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِي احْتِيَالٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ ، وَكَمْ مِنْ ذِي أَبْهَةٍ بِهَا ، قَدْ صَبَّرَتْهُ حَقِيرًا
وَذِي تَخَوُّعٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا .

- (١) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانهم فلا تتجاوز وصف الله تعالى لها بهذه الآية .
 (٢) الهشيم : الثبت اليابس المكسر .
 (٣) العبرة : الدفعة قبل أن تفيض أى أحزنته .
 (٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والإدبار .
 (٥) حلت السماء : أمطرت . والطل : المطر الضعيف . والمازنة : السحابة المطيرة .
 (٦) أى عذب - (٧) أوبأ : أصله أوبأ أى صار ذا وباء .
 (٨) ارتضاوة : النعمة والسعة والخصب .
 (٩) القوادم : الريش الكبير فى مقدم الجناح ، ويقابلها الخواقي .
 (١٠) يوبقه : يهلكه .

(١١) خطبة للحجاج حين ولي العراق

أنا ابن جلا وطلاعُ الشّايا متى أضعُ العِمامةَ تعرّفوني^(٢)

يا أهل الكوفة ! إني لأرى رؤوسا قد أينعتُ وحانَ قطافُها، وإني لأصاحبُها .
وكأني أنظرُ إلى الدماء بين العائم واللقى .

ثم قال :

هذا أوان الشّد فاشتدّي زيم قد لَفَّها اللَّيْلُ بِسَواقٍ حُطَمَ^(٤)
ليس براعي إبلٍ ولا غنم ولا يجرّارٍ على ظَهْرٍ وَضَمَ^(٥)

ثم قال :

قد لَفَّها الليلُ بِعَصَلِيٍّ أروَعَ خراجٍ من الدّويّ^(٦)
مُهاجرٍ ليس بأعرابيٍّ

(١) يعدّ الحجاج بن يوسف النّففى ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا في عهدّها الأول، أوّلهم على بن أبى طالب، وثانيهم زياد . وقد شبّ الحجاج شجاعا داهية عنيّفا . وحاكما مستبدا . خدم بنى أمية ولا سيما عبد الملك فى توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥ هـ . وتدلّ خطبته على خواصه النفسية ومذهبه فى السياسة والحكم، وأسلوبه الفنّى الذى يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظى وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد كما يمتاز بنفس جاهلية عنيقة .

(٢) ابن جلا : أى ابن رجل جلا الأمور وكشف الصعاب . الشّايا جمع ثنية : وهى الطريق فى الجبل أو الجبل نفسه ، والمراد : القادر الشجاع .

(٣) أينعت : أدركت ونضجت .

(٤) زيم : اسم فرس أو ناقة . ولَفَّها : جمعها . والحطَم الذى لا يبق من السبر شيئا .

(٥) الوضم : ما يقطع عليه اللحم .

(٦) العَصَلِيّ : الشديد . والأروع : الذكى . والدويّ : الصحراء المتسعة . والمراد الخراج من

كل غنماء شديدة .

وقال :

قد شمرت عن ساقها فشددوا وجدت الحربُ بكم فشدوا (١)
والقوسُ فيها وترٌ عرُدُّ مثلُ ذراعِ البكرِ أو أشدُّ (٢)
لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بُدُّ (٣)

إني والله يا أهل العراق ما يقعق لي بالشنان (٤) ، ولا يُغمزُ جانبي كتغماز الثين .
ولقد فُيرتُ عن ذكاء (٥) ، وفُتشتُ عن تجربة . وإن أمير المؤمنين — أطال الله
بقائه — نثر كائنته بين يديه (٦) ، فعجم عيدياتها ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً (٧) ،
فرماكم بي ؛ لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة (٨) ، واضطجعتم في مراقِد الضلال . والله
لأخر منكم حزم السلامة (٩) ، ولا ضرب بكم ضرب غرائب الإبل (١٠) ؛ فإنكم لكأهل قرية كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس

(١) شمر عن ساقه : اهتم وجد ؛ كناية عن قيامها .

(٢) عرُد : شديد . البكر : الفتى من الإبل .

(٣) أي لا بد من وقوع المحتم .

(٤) الشنان جمع شن : وهو الجلد اليابس إذا وقعق أي ضرب نفرت الإبل منه ، يضرب ذلك مثلاً
لنفسه أي أنه لا يرهبه وعيد أو تخويف .

(٥) فزالذابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنّها . وفّر عن الأمر : بحث عنه . والمراد أن الخليفة
اختاره حاكماً لحدة ذكائه وصحة تجاربه .

(٦) الكئانة : جمعة السهام . وعجم عيدياتها : عضها لينظر أيها أصلب . وهذا وما بعده كناية عن أنه
اختبر أعوانه فوجدني أصلح لحكمكم . (٧) أي أقواها .

(٨) أي أمرعتم في الشر .

(٩) السلامة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتخبط بالعصى لسقوط الورق وهشم العيدان .

(١٠) وهي تضرب عند الهرب أو الخوض .

الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . وإني والله ما أقول إلا وفيت^(١) ، ولا أهم إلا أمضيت^(٢) ، ولا أخلق إلا فرئت^(٣) . وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطيائكم ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة^(٤) . وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تحلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه .

(١٢) من رسالة عبد الحميد بن يحيى^(٥) التي أوصى فيها الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد — حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم — فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا ، وإن كانوا في الحقيقة سواء ، وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات ، إلى أسباب معاشهم ، وأبواب أرزاقهم ، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءات والعلم والرزانة ، بكم تنظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر

(١) أقدر . (٢) فريت : قطعت .

(٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد أموى ولد بالبصرة ونشأ فيها وظهر أمره بمقاتلة الخوارج . وقد ولاه الحجاج خراسان وبها مات سنة ٨٢ هـ .

(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري نشأ بالأنبار من أرض العراق وشب معلم صبيان ثم صاحب مروان بن محمد مدة ولايته أرمينية ثم مدة خلافته واستمر وفيا له في محبته حتى قتل سنة ١٣٢ هـ . وبعد عبد الحميد شيخ كتاب الرسائل فله الفضل في تسليس أسلوبها وحسن تقسيمها ، وجعلها واضحة طبعية لا يجاريه في ذلك أحد وله رسائل طوال ، منها رسالته إلى الكتاب التي نورد هنا قسما منها .

بِلَدَانِهِمْ . لَا يَسْتَغْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ؛ فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ
 اسْمَاعِهِمْ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِم الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَالسُّنَنُ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ ،
 وَأَيْدِيهِم الَّتِي بِهَا يَيْطِشُونَ^(١) . فَأَمْتَعَكُمْ اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا تَزَعْ
 عَنْكُمْ ، مَا أَضْفَاهُ^(٢) مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجَ
 إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ ، أَيْهَا
 الْكُتَّابُ : إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ
 فِي نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَتَّقِي بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ
 الْحِلْمِ ، فَيُحْيِي فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، مِقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ ، مُحْجَمًا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ ،
 مُؤَثِّرًا لِلْعَفَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، كَثُومًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِمًا بِمَا
 يَأْتِي مِنَ النَّوَائِلِ ، يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا وَالطَّوَارِقَ فِي أَمَاكِئِهَا ، قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ
 فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ ، وَإِنْ لَمْ يُنْحِكِهِ أَخَذَ مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يُكْتَفَى بِهِ ، يَعْرِفُ
 بَغَرِيضَةَ عَقْلِهِ وَحُسْنَ أَدَبِهِ وَفَضْلَ تَجَرُّبَتِهِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَبْلَ وَرُودِهِ ، وَعَاقِبَةُ مَا يَصْدُرُ
 عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ، فَيَعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عُدَّتَهُ وَعَتَادَهُ ، وَيُهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ وَعَادَتَهُ .
 فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الْآدَابِ ، وَتَفَهَّمُوا فِي الدِّينِ وَابْدَعُوا بِعِلْمِ كِتَابِ
 اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ، ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ ، فَإِنَّهَا ثِقَافُ أَلْسِنَتِكُمْ ، ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ
 حَلِيَّةُ كُتُبِكُمْ ، وَارْوُوا الْأَشْعَارَ ، وَاعْرِفُوا غَيْرِهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا
 وَسِيرَهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ . وَلَا تُضَيِّعُوا النَّظَرَ

(١) ييطش : يفتك ويعمل .

(٢) أضفاه : أسبغه .

فِي الْحِسَابِ ؛ فَإِنَّهُ قِيَامُ كُتَابِ الْحَرَّاجِ . وَارْغُبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيهَا وَدَنِيهَا
وَسَفْسَافِ الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا ؛ فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرَّقَابِ مَفْسَدَةٌ لِلْكُتَابِ . وَزَهْوٌ صَنَاعَتُكُمْ
عَنِ الدَّنَاءَةِ وَارْبُتُّوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنِّيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ . وَإِيَّاكُمْ
وَالْكِبَرَ وَالشُّخْفَ وَالْعِظَمَةَ ؛ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ . وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ فِي صَنَاعَتِكُمْ وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبْلِ مِنْ
سَلَفِكُمْ .

(د) طائفة من أمثال العرب ^(١)

في جاهليتها وإسلامها

إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصْبَةِ ^(٢) — إِنْ الْعَوَانَ لَا تُعَلِّمُ الْخَمْرَةَ ^(٣) — إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الْحَزَّ
وَتُخْطِئُ الْمَفْصِلَ ^(٤) — أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ ^(٥) — إِنَّكَ رِيَّانٌ فَلَا تَعَجِّلْ بِشُرْبِكَ ^(٦)
أَرْمًا قُرُونًا ^(٧) — أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ ^(٨) — الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْبَاطِلُ بَلَّحَجٌ ^(٩) —

(١) الأمثال : جمع مثل وهو قول مأثور يمتاز بحسن التعبير وإصابة المعنى وإتقان التشبيه وحسن الإيجاز . وللتل مورد أى أصل قيل فيه ، ومضرب ، أى موضع استعمال ، فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى .

(٢) يضرب للشيء يشبه أصله .

(٣) العوان : التى سبق لها زوج ، والخمرة كيفية لبس الخمار (الطرحة) . يضرب للرجل العالم بالأمر المحرب له .

(٤) يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . الحز : القطع ، والمفصل : ملحق كل عظيمين فى الجسد حيث يكون القطع .

(٥) يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

(٦) يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

(٧) البرم : الرجل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لخبلة . والقرون : الذى يقرب بين الشئيين يأخذهما معا . يضرب لمن يجمع بين خصيتين مكروهتين .

(٨) الحشف : أردأ التمر : والكيل : طريقة الكيل . مضربه لمن يظلم من وجهين .

(٩) معناه أن الحق واضح بين ليس فيه حيرة .

أَمْكَراً وَأَنْتَ فِي الْحَدِيدِ ^(١) — إِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبَقَى ^(٢) —
 إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ ^(٣) — أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءٍ أُكْسِ ^(٤) — إِنَّ غَدَاً
 لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ ^(٥) — إِنَّ أَخَاكَ مَنْ آسَاكَ ^(٦) — يَدَاكَ أَوْ كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ ^(٧)
 يَصْبِحُ ظَمْآنَ وَفِي الْبَحْرِ قَمَهُ ^(٨) .

بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى ^(٩) — بَيْنَهُمْ عَطَرٌ مَنْشِمٌ ^(١٠) ، تَجْوَعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَدِيدِهَا ^(١١) — تَنْجِي
 عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَاتَهُ ^(١٢) — تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يُذْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ^(١٣) — ثَارَ حَايِلُهُمْ عَلَى

-
- (١) يضرب لمن أراد المكر وهو مقهور .
 (٢) المنبت : المنقطع عن أصحابه في السفر بسبب جهاده دابته ، الظهر : الدابة . يضرب
 لمن يبالغ في طلب الشيء بافراط حتى يعجز عنه قبضه .
 (٣) يضرب للكلمة تجلب الشر .
 (٤) يضرب في عدم التفريط فيما تملك اتكالا على الموهوم .
 (٥) يضرب في قرب المأمول .
 (٦) يضرب للصديق الخالص .
 (٧) أراد رجل عبور النهر على زق فنفخ فيه فلم يحكمه ، فلما توسط النهر خرج منه الهواء ففرق ،
 فاستغاث برجل ؛ فقال له هذا المثل ، يضرب لمن يجنى على نفسه الحين .
 (٨) يضرب لمن يعاشر بخيلاً مثيراً .
 (٩) الزبى : جمع زبية ، وهي مصيدة الأسد تكون في قلال الجبال اذا بلغها السيل كان مجحفاً —
 يضرب لبلوغ الأمر أشده .
 (١٠) يضرب في الشر العظيم ، ومنشم : عطرة كانت تطيب المخاربين من طيها فيفتنون في الحرب .
 فكان يقال أشام من عطر منشم .
 (١١) أى لا تكون ظنراً ، وان آذاها الجوع : يضرب لمن يصوف نفسه عن خيسر
 المكاسب .
 (١٢) أى منظره يخبر عن مخبره (حقيقته) .
 (١٣) يضرب لروعة المظهر مع سوء المخبر .

(١) نَابِلِهِمْ — جَمْعُ جَعَجَعَةٍ وَلَا أَرَى طِحْنًا — جَرَى الْمَذِيكَاتِ غِلَابٌ — جَوَّعَ كَلْبَكَ يَتَّبِعَكَ —
 حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ — حَدَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ — حَرَّكَ لَهَا حَوَارَهَا تَحِيًّا — صَارَ الزَّجُّ قُدَّامَ
 السَّنَانِ — عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى — عِنْدَ النَّطَاجِ يُغَلِّبُ الْكَبِشَ الْأَجَمَ —
 عِنْدَ جَهَنَّمَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ — فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكْمُ — قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمْلَأُ الْكَثَائِنُ — كَانَ
 كُرَاعًا فَصَارَ ذِرَاعًا — كَلَامٌ كَالْعَسَلِ وَفِعْلٌ كَالْأَسَلِ — كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا —
 كُلُّ فِتَاةٍ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ .

- (١) الخابل : صاحب الخيالة . والنايل : صاحب النبل ، أى اختلط أمرهم . يضرب فى فساد ذات
 البين وتأريث الشر فى القوم .
- (٢) يضرب لمن يعد ولا يفى ، أو للظهور الخلاب ليس وراءه نفع . والجمععة : صوت الطعن .
- (٣) المذكية من الخيل : التى مضت ستة أو ستان على قروحها . والغلاب : المقاتلة . يضرب لمن
 يفوز على أقرانه فى الفضل .
- (٤) مثل يضرب فى اللثام وكيف بما ملون .
- (٥) معناه : أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشره ، فعرف ما فيه .
- (٦) أى مثلاً بمثل ، يضرب فى التسوية بين الشئتين .
- (٧) الحوار : ولد الناقة . والمعنى ذكره بعض أشجانه يهيج له . قاله عمسرون العاص لمعاوية حين
 أراد أن يستفز أهل الشام ، أى أرهم دم عثمان على قيضه ليفزعوا إلى الحرب .
- (٨) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح ، ويقال له السنان . يضرب فى سبق المتأخر المتقدم من غير
 أهلية لذلك .
- (٩) يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة . والسرى : السريلاً .
- (١٠) الأجم : الذى لاقرن له . يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .
- (١١) يضرب للرجل يعرف الشئ على حقيقته .
- (١٢) يضرب للرجل تذهب إليه الحاجتك .
- (١٣) أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه : والكثائن : جمع مكانة : خريطة السهام .
- (١٤) يضرب للذليل الضعيف صار عزيزاً قوياً . والكراع : مستدق الساق .
- (١٥) يضرب فى اختلاف القول والعمل . والأسل : الرماح .
- (١٦) الفراء : الحمار الوحش . يضرب لمن يفضل أقرانه .
- (١٧) يضرب فى إعجاب الرجل بما يخصه من عمل أو عشيرة .

أبيات تجرى مجرى الأمثال

فإنك لم تفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب (١)

*
* *

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل (٢)

*
* *

ولست بمستبق أخا لا تلثمه على شعث أي الرجال المهذب (٣)

*
* *

حنانيك بعض الشر أهون من بعض (٤)

*
* *

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ أصبت حكماً أو أصابك جاهل (٥)

(١) المغلب : الضعيف الذي يغلب دائماً ، فإذا قدر عليك لا يتركك (لا عرى القيس) .

(٢) الخطي : الرخ نسبة إلى الخط في البحرين . الوشيح : شجر الرماح ، المفرد وشيعة أي لا ينبت القنابة إلا شجرها ولا تغرس النخل إلا بحيث تنبت وتصلح ، والمراد أنه لا يلد الكرام إلا الكرام (لزهير) .

(٣) تلثمه : تصلحه . والشعث : الفساد ، والمهذب : المنق من العيوب . (المعنى) ليس رجل مبرء من العيب ، فإذا قطعت لإخوانك بذنب لم يبق لك أخ . (للناطقة الديباني) .

(٤) لطرفة ، وصدرة : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا . الحنان : الرحمة ، والثنية هنا لقصد الدوام مثل لبك وسعديك أي رحمة بعد رحمة . والأكثر اضافتها إلى ضمير المخاطب .

(٥) الجهل : السفه والشراسة ، والحنأ : الفحش ، ومعنى الشطر الآخر أنك تؤذي كريماً أو يؤذيك جاهل مثلك ، وكلاهما شر .

محبت دیکھری